بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الاسم (رباعي) : محمد سعيد إبراهيم سيد أحمد . كلية : الدعوة وأصول الدين . قسم : العقيدة .

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : (الدكتوراه) في تخصص : العقيدة .

عنوان الأطروحة : " **كتاب الإيمان الكبير لشيخ الإسلام ابن تيمية دراسة وتحقيق** " .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه – والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١١/٥/ ١٤٢٣هـ بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم: أ. د. أحمد عبدالرحيم السايح	الاسم : أ. د. محمود محمد مزروعة	الاسم : أ. د. عبد الله بن محمد الغنيمان
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع : ....

يعتمد

رئيس قسم العقيدة

الاسم : د. عبدالعزيز بن أحمد الحميدي

التوقيع : ....

- يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٤٤٥٣

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالى
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
الدراسات العليا

٠٥١٧٨

كتاب الإيمان الكبير

لشيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام
ابن تيمية النميري الحراني
رحمه الله (٦٦١-٧٢٨ هـ)

دراسة وتحقيق

محمد سعيد إبراهيم سيد أحمد

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة

إشراف الأستاذ الدكتور

أحمد عبد الرحيم السايح

المجلد الأول

١٤٢٢ هـ - ١٤٢٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

اسم البحث : « **كتاب الإيمان الكبير لشيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق ودراسة -** » .

هدف البحث : ما قام به الباحث يهدف إلى إخراج نص الكتاب سليماً من التحريف والسقط والتصحيف مع دراسة الكتاب بتخريج نصوصه والتعريف بأعلامه وعمل الفهارس التي تخدمه وتقرب مسائله .

أهمية البحث : يُعد كتب الإيمان الكبير من أهم المراجع في مسائل الإيمان عند أهل السنة والجماعة ، فقد اشتمل على تحرير لمسائل الإيمان وما علق بها من إنحرافات وتحرير للشبهات التي ووقعت فيها الفرق في هذه المسألة العظيمة مع تقرير منهج أهل السنة والجماعة في هذه المسائل والرد على المخالفين فيها .

محتويات البحث : اشتمل البحث بعد المقدمة على قسمين رئيسيين :

القسم الأول : الدراسة وتشتمل على ثلاثة أبواب :

الباب الأول : في حياة المؤلف وعصره وبيان مكانته بين أهل العلم ، وتعرض فيه الباحث إلى ترجمة المؤلف ببيان اسمه ونسبه ونشأته العلمية وذكر شيوخه وتلاميذه وآثاره العلمية وثناء العلماء عليه ، ثم تعرض أيضاً إلى عصر المؤلف من الناحية السياسية والدينية والعلمية والاجتماعية وأثر هذه النواحي على تكوينه ونشأته العلمية وأثره في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الباب الثاني : في التعريف بالكتاب والنسخ المخطوطة والنسخ المطبوعة ، وتعرض فيه الباحث لاسم الكتاب وموضوعه وتاريخ وسبب تأليفه وتوثيق الكتاب ومنهج مؤلفه ومصادره فيه ، وقيمته العلمية ، وبين الباحث عدد النسخ المخطوطة التي اعتمدها في التحقيق ووصف تلك النسخ ووصف طبعات الكتاب .

الباب الثالث : في الدراسة التحليلية لمحتوى الكتاب ، وتعرض فيها الباحث إلى تعريف الإيمان لغة وإصطلاحاً وعند أهل السنة والجماعة وأدلتهم على ذلك وانقسام المعاصي عندهم إلى صغيرة وكبيرة وحكم مرتكب الكبيرة لديهم ، ثم تعرض للمذاهب في الإيمان فذكر مذهب الخوارج والمعتزلة والمرجئة والجهمية والكرامية والأشاعرة والماتريدية ، وبين العلاقة بين الإيمان والإسلام وما بينهما من عموم وخصوص وتحقيق الكلام فيها ، ثم ذكر مسألة زيادة الإيمان ونقصانه ومسألة الاستثناء في الإيمان وبين موقف المؤلف من المتكلمين في مسائل الإيمان من جهة حقيقته وبيان زيادته ونقصانه ، وحكم مرتكب الكبيرة وحكم الاستثناء في الإيمان .

القسم الثاني : التحقيق ، وقام الباحث ببيان منهجه في التحقيق والتعليق والتخريج للآيات والأحاديث والآثار والأشعار وغيرها ، وقد استوعب النص المحقق معظم مسائل الإيمان وبيان منهج أهل السنة والجماعة فيه وبيان الشبهات التي أدت إلى انحراف أصحاب المذاهب في مسائل الإيمان .

وختمت الرسالة بذكر أهم نتائج الدراسة والتحقيق وأهم التوصيات ومنها :

١ - إن الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو التصديق الجازم والاقرار التام الذي لا يعتريه ريب أو تردد بجميع ما أمر الله به العباد ، والانقياد لذلك ظاهراً وباطناً وتصديق القلب واعتقاده وتسليمه يتضمن جميع أعمال القلوب والجوارح فيدخل في ذلك الدين كله .

٢ - أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية من جهة أمر الرب تعالى ومن جهة فعل وامتثال العبد .

٣ - أن الاستثناء في الإيمان جائز بعداً عن تزكية النفس وخوفاً من عدم تكميل الأعمال وعدم دعوى القيام بالأعمال كلها دون شك في أصل الإيمان .

ثم زيلت الرسالة بفهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار والأشعار والإعلام والكتب الواردة في متن الكتاب والفرق والقبائل والأماكن والبلدان والمصادر والمراجع وفهرس موضوعات قسمي الدراسة والنص المحقق .

الباحث

محمد سعيد محمد إبراهيم

Research Summary

Praise be to God the Cherisher and Sustainer of the Worlds. Peace and Pray be upon our prophet Mohamad and his Companions.

The research name: Investigation and study of Ibn Tameiah's Book " Great Faith "

The research aim: introducing the book text corrrect, free from any misconstruction or deduction as well as analysing the book by explaining its text, giving abrief definiton of Famous persons and making Contents and index which serve the book and clarify its issues.

The research importance: " Great Faith " is Considered one of the most important references about faith issues. according to followers of prophetic traditions [Ahl - Assunah Wa Al Gama'ah]. It states faith issues, the deviations inserted to it and the suspicions in which some Islamic sects have fallen., in addition to stating the curriculam (method) of AhL Assunah and replying to those who differ in opinion with them.

The reseach Contents,: The research consists of two main parts:

The fist part is the Study. It includes three chapters:

The first chapter deals with the author's life, his age, his dignity and position among Scientists. The scholar has mentioned a biography of the author; his name, lineeage, Scientific origin. He has also mentioned the author's (teachers) and students, his Scientific impact and the Scientists' praise on him as well as discussing his age from political, scientific and social sides. and the influence (impact) of these on his personality and scientific growth and his influence on spreading Islam and its pure religion.

The Senond Chapter gives a definition (background) of the book, the hand - writing copies and the edited ones.

The researcher has shown the right name of the book andits different subject, history and main causes behind composing the book in addition to certifying the Book and clarifying the author's method, references and the scientific value of the book. The scholar has also shown the number of hand-writing copies on which he derends and described the book editions.

The third Chapter deals with the analytical study of the book Contents. The scholar has defined faith linguistically and traditionally and according to (AhL--Assunah) and their evidences and the division of sins into great and small sins and Judging those who comits great sins. Them hed mentions the different opinions (Mathaheb) about faith'; the khawereg, Mo'tazelah, Morge'ah, Asha'erah, and Matreediah's opionions. He has also shown the relation between Islam and Faith (Iman), their similaritiesand dissimilarities. Then he deals with faith increase and decrease and the exeption in Iman. The scholar has explained the author's stance towards Theologians concerning faith issues; its essence, increase and decrease and Judging whoever commits great sins and the exeption issue infaith (Iman).

The Seceond part: The examination and investigation. The scholar has shown his own method in investing and commenting as well as stating Quranic Verses, the prophet's sayings, Peoms.. etc. The text includes mostof faith issues and explains th methood of Ahl-Assunah and the suspicions which resulted in deviation of many Islamic sects (Ma thaheb) regarding faith Issues. Then the research is concluded by stating the most inportant outcomes of verses and examining the book and the most important recommends and arranging the Contents and index of Quranic vexes, prophetic sayings and other sayings of the Companion and followers of the prophet, poems, famous persons, and books mentioned in the book and the Islamic sects and tribes, places and countries, references and resources and finally the contents of The two parts items (elements) . The most important outcomes are :

1) faith according to AhL-Assumah is to believe an Confess defiently and undoubtedly in all things ordered by Allah unpon his worshippers The heart belief and acceptance. includes all action of organs and heart togther.

2) According to AhL-Assunah faith is increaced by o bedience and decreased by offenses (Sins).

3) Exeption in faith is accepted in order to keep away from praising oneself or claiming to perform all kind actions which leat to the complte faith. However, the exeption shoud be without any doubt in the base faith (Iman).

The researcher

Mohammad Saeed Ibrahim Sayed Ahmad

المقدمة

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢]. ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءًا وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء :١] . ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧ - ٧١] . أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد - ﷺ - وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار(١) .

فالله تبارك وتعالى لم يخلق عباده عبثاً ، ولم يتركهم سدى بل أرسل إليهم من اصطفاهم من خلقه ، وهم أنبياؤه ورسله ، وجعلهم واسطة بينه وبينهم ، يبلغونهم أمره ويحذرونهم نهيه ، ويبينون لهم طريق الهدى من الضلال .

قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون :١١٥] .

وبعثة الرسل - صلوات الله عليهم أجمعين - فضل منه - عز وجل - ومنّة ، يمتن بها على عباده المؤمنين . قال تعالى :﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي - ﷺ - يبدأ بها خطبه وكلامه ، وهي تسن بين يدي كل حاجة وقد أخرجها كل من : مسلم في كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٤٣٦/١ ، ٥٩٢/٢) ، وأحمد في المسند (٣١٠/٣ ، ٣٧١) والنسائي في كتاب صلاة العيدين باب كيفية الخطبة (٣ / ١١٨) ، وابن ماجة في كتاب النكاح باب قضية النكاح (٦٠١/١)، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٣/١) ، وقد أفردها برسالة جمع فيها الأحاديث والروايات الواردة فيها وسماها خطبة الحاجة التي كان النبي - ﷺ - يعلمها أصحابه .

يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ، وفي بعثة الرسل تبشير وإنذار لخلقه لكي لا تكون لهم حجة على الله بعد الرسل ، فيقيم عليهم الحجة بإرسال المرسلين قال تعالى : ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥] إذ كَتَبَ الله على نفسه ، وجعل من سنته ، أن لا يعذب أحداً حتى يقيم عليه الحجة ، وفي إرسال الرسل - عليهم الصلاة والسلام - اقامة للحجة . قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الاسراء : ١٥] ولا شك أن مباحث الايمان ومسائله هي أهم المسائل التي جاءت بها الرسل ، لأنها أهم مباحث الدين ، وأعظم أصول الحق واليقين ، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على الايمان الصحيح .

وبالإيمان يحيا العبد حياة طيبة في الدارين ، وينجو من المكاره والشرور والشدائد ويدرك جميع الغايات والمطالب ، وينال ثواب الآخرة فيدخل جنة عرضها كعرض السماء والأرض ، فيها من النعيم ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وينجو من نار عذابها شديد وقعرها بعيد وأعظم من ذلك كله ، أن يفوز برضى الرب - سبحانه - فلا يسخط عليه أبداً ويتلذذ بالنظر إلى وجهه الكريم وما ثمّة نعيمٌ مطلقاً أعظم ولا أكمل من هذا النعيم .

وبالجملة فالخير للبشرية ثمرة عن الإيمان ومترتب عليه ، والهلاك والدمار كله إنما يكون بفقد الايمان وإذا كان أمر الإيمان بهذه المنزلة فلا غرو إذن أن تكون مباحثه أهم المباحث وأعظمها وأولاها بالعناية والاهتمام وشرف العلم من شرف معلومه وليس هناك أشرف من الايمان وعلومه التي يتحقق بتحققها كل خير ، ويصرف بها كل شر بل ولا صلاح ولا فلاح للعباد إلا بالايمان الصحيح علماً وتطبيقاً .

أقول إذا كان أمر الايمان بهذه المنزلة ، وحاله بين أهله على هذا الوصف صار واجباً على أهل العلم وطلابه ، أن يُبينوا الايمان الصحيح لذويه وأهله ، ويوضحوا الحق المبين لراغبيه وطلابه حتى يظهرالحق ويرتفع سنامه وينقمع الباطل وتنهدم أركانه فتقام الحُجة وتتضح المحجة .

ولما منّ الله علي وأكرمني بطلب العلم الشرعي وسلوك طريقه ، ومواصلة التلقي والدراسة في رياض هذه الجامعة المباركة جامعة أم القرى ، وكان لزاماً على كل طالب في مرحلة الدكتوراة أن يقدم بحثاً علمياً في مجال تخصصه رأيت أن يكون بحثي هو تحقيق « كتاب الايمان » لشيخ الإسلام ابن تيمية ، لأنه ما من شك أن العالم الإسلامي مع بداية هذا القرن ـ الخامس عشر الهجري ـ وقبله بقليل ، يمر بمرحلة مهمة في تاريخ المسلمين المعاصر ، وقد تمثلت هذه المرحلة بشكل واضح في العودة إلى الإسلام والثقة به عقيدة وشريعة ، وذلك في خضم العقائد والفلسفات والأيديولوجيات والأنظمة والقوانين السائدة في العالم ، ولا شك أن هذه العودة ـ الصحوة ـ تبهج وتسر قلب كل مسلم وتملؤه فخراً واعتزازاً بهذا الدين الذي حاربه أعداؤه بكل الوسائل والأساليب ولكن ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف : ٨] .

ولما كان شعار كل مسلم وكل داعية العودة إلى الكتاب والسنة ـ وهو ما يتفق على إعلانه الجميع ـ إلا أن الأمر حين ينتقل إلى التطبيق العملي والتربية المنهجية ، وتحديد المصادر المفسرة والشارحة لهذين المصدرين المسلَّمَيْن يأخذ أشكالاً وسمات متعددة ، وكثيراً ما تكون متعارضة ، وفي النهاية يتخذ كل واحد منها شكل طائفة أو فرقة أو مذهب فكري محدد . والعجيب أن كلاً منها يدّعى أن أصول مذهبه قائمة على الكتاب والسنة ، ومن ثم فمن لم يلتزم بأصوله فهو ضال مبتدع .

وهذه المشكلة لا تختص بعصرنا هذا ، بل هي مشكلة قديمة نشأت منذ ظهور الفرق والطوائف في أواخر عصر الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وإلى عهود التابعين ومن جاء بعدهم .

وفي العصر الحاضر نشأت ـ إضافة إلى الفرق والطوائف القديمة ـ تيارات فكرية متعددة ومذاهب وفلسفات متباينة ، ومن ثم أصبح تحديد المنطلق والمنهج والأصول أكثر إلحاحاً وأشد حاجة من ذي قبل ، خاصة مع كثرة التلبيس والتدليس والتضليل ، ومحاولة إخضاع الأصول والنصوص الشرعية لتوافق كثيراً من النظريات والمذاهب السائدة ، أو التي يريد أعداء الإسلام لها أن تسود .

وأخطر ما يواجه مسيرة المسلمين اليوم ـ بصرف النظر عن التيارات الالحادية الصريحة، والمذاهب الباطنية وما شابهها مما هو صريح في إلحاده وبعده عن حقيقة الإسلام ـ تياران كبيران

أحدهما : تيار القوميين والعلمانيين ، الذين لا يرفضون الإسلام صراحةً ، ولكنهم يجعلونه ضمن دائرة خاصة لا يتعداها ، وذلك بجعله جزءاً من التراث ـ كما يسمونه ـ بحيث يشمل كل الفلسفات والأفكار والتقاليد والمناهج والنظم ، سواء وجدت قبل ظهور الإسلام أو بعده ، وسواء كانت وافقت أصول الإسلام أو خالفته، مادام يدخل ضمن دائرة تراث هذه الأمة التي ينتسبون إليها ، وهؤلاء ينظرون إلى الإسلام نظرة إكبار وإعزاز لا على أنه دين الله الذي لا يقبل من أحد ديناً سواه ، وبه النجاة من عذابه يوم القيامة ، وإنما لأنه أحد معطيات تراث الأمة القومي ، ومن هؤلاء من يريد حصر الإسلام في جانبٍ ضيقٍ من حياة الانسان بحيث يبقى ضمن نطاق محدود من اقامة الشعائر التعبدية والأحوال الشخصية والالتزام الفردي بأخلاقياته ومحاسن آدابه ، أما نواحي الحياة المختلفة ، فالأمر فيها متروك للأمة أن تستفيد من النظم والقوانين المختلفة ، ومناهج التربية المتعددة ، من الشرق والغرب ، ولو كانت مخالفة للإسلام ، وهذا ما يتبناه العلمانيون واضرابهم .

وهذا التيار ما يحمل أفراده أفكاراً وفلسفات فاسدة لها تصورها الخاص ، ومنطلقاتها العقدية التي تُغلِّب جانب العقل وتعلي من شأنه ، وغالباً ما تكون لها جذور فلسفية أو كلامية سابقة تنطلق منها ، أو تستفيد من آثارها وكتبها ، وأهم ما يؤخذ على هؤلاء عداؤهم للسلف ـ أهل السنة والجماعة ـ ومن يدعون إلى العودة إلى عقيدتهم ومنهجهم ، ووصمهم لهم بعبارات الاحتقار والازدراء وقلة العقل والفهم والتخلف والتعقيد .

ثانيهما : تيار أهل البدع المحدثين من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والأشاعرة وأهل الكلام والفلسفة والتصوف ، وهم امتداد واضح وقوي لمن سبقهم من هذه الطوائف وغيرها ، ويقومون بجهود كبيرة في الدعوة إلى مذاهبهم ، ونشر كتبهم واقناع الناس ممن حولهم أو يسمع كلامهم بأن ماعندهم هو الحق ، وأن هذا اعتقاد كبار الشيوخ سلفاً وخلفاً ، ويغضون من شأن الدعاة إلى مذهب السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ ويرمونهم بشتى التهم التي تنفِّر الناس منهم . وأخطر ما يمثل هذا التيار مذاهب : الخوارج والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية

والمرجئة والصوفية ، حيث إن لهذه المذاهب امتداداً عريضاً في أماكن مختلفة من العالم الإسلامي ، وساعد على ذلك أمور منها :

١ - تبنى كثير من الجامعات والمراجع العلمية لهذه المذاهب على أنها المذهب الحق الذي يجب أن يكون ضمن مناهج التعليم .

٢ - استمرار تبني هذه المذاهب من خلال دروس المشايخ - في بعض البلاد - منذ قرون مضت وربطها - في الغالب - بالمذاهب الفقهية المشهورة بحيث أصبح أمراً معهوداً ، وطريقة مسلّمة .

٣ - وفرة الكتب والمراجع والمصادر المخطوطة والمطبوعة التي تخدم هذه المذاهب والتي نشرت وطبعت بتحقيق وبدون تحقيق .

ولكن هذه التيارات بامكاناتها الكبيرة ، وجهودها المتواصلة ، يقابلها تيار قوي منتشر في أنحاء العالم الإسلامي يتبنى عقيدة السلف - أهل السنة والجماعة - ومنهجهم في الاستدلال ، يدعوا إلى العودة إلى ماكان عليه الرسول - ﷺ - وأصحابه - رضي الله عنهم - ولدى هذا التيار السلفي ثقة مطلقة ، بأنه لا عزة للمسلمين ولا رفعة ولا مكانة ولا صلاح ولا نجاة من عذاب الله ، إلا بالرجوع إلى مثل ماكان عليه النبي وأصحابه ، عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، ويدعون إلى ذلك بالوسائل المختلفة ، ومنها نشر الكتب التي تخدم ذلك وتوضحه ، وتحقيق ما كان مخطوطاً لأئمة أهل السنة والجماعة منه ، والقيام بدراسة المسائل المختلفة والجوانب المتعددة التي تبين وجه الحق وترد على أهل الباطل .

وقدكان للأقسام الشرعية في جامعات هذه البلاد المباركة جهوداً مشكورة في هذا المجال ، خاصة في البحوث التي يقوم بها الدارسون للحصول على الدرجات العلمية والتي تشمل تحقيق المخطوطات ودراسة الموضوعات ، نسأل الله تعالى أن يبارك في هذه الجهود وأن يرزقنا جميعاً الاخلاص في الأقوال والأعمال .

ولما كنت قد حصلت علي درجة الماجستير من قسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، رغبت في تسجيل بحث آخر للدكتوراه فهداني الله

تعالى إلى وجود الأصول الخطية لكتاب « الإيمان » لشيخ الإسلامْ ، تقي الدين أبي العباس أحمد ابن عبدالحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني النميري.

فتقدمت إلى تسجيل «كتاب الإيمان» تحقيق ودراسة لكامل الكتاب ، وشاورت مشرفي في ذلك ، فشجعني على أن أتقدم به تحت عنوان : كتاب « الايمان » لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق ودراسة ، وذلك لمعرفة ودراسة آراء الشيخ حول موضوع الايمان ، وكذلك مقارنتها بما كتبه أئمة أهل السنة والجماعة في هذا الباب المهم ، بما يَجّلي موقفه ويبين جهوده المتميزة في هذا الجانب الضروري من حياتنا وتراثنا . وترجع أهمية تحقيق كتاب «الإيمان » علي وجه الخصوص إلى عدة أسباب :

أولاً : أن مؤلفه هو شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو من كبار علماء أهل السنة والجماعة في عصره ، وقد أجمع أهل العلم في عصره وبعد عصره - الموافق له منهم والمخالف - على إمامته وحفظه واتقانه وورعه وجهوده المتميزة في نصرة الحق والدفاع عن الاسلام ، وحماية عقيدة أهل السنة والجماعة من المبتدعين ، وأصبح منهجه العلمي في العقيدة والشريعة والأصول والدعوة والتفسير ، منهجاً واضحاً أفاد منه من عاصره ومن جاء بعده من أهل العلم أمثال الأئمة - ابن قيم الجوزية وابن كثير ، والذهبي ، وابن رجب وابن حجر والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهم ... ممن لا يحصون .

ثانياً : نفاسة كتب ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وقيمتها العلمية ، إذ ما زالت كتبه ورسائله وفتاواه محط أنظار الباحثين ومنتهى مطلب الدارسين من أهل العلم في كافة التخصصات التي تتصل بالعقيدة ، بل ومطلب تسعى إليه معظم الجامعات بل معظم العاملين في الدعوة إلى الله تعالى ، وحق لهم ذلك لما تضمنته تلك الكتب والرسائل والفتاوى ، من التحقيقات والتدقيقات والمنهج العلمي السليم المبني على الكتاب والسنة ، على أن ما كتبه شيخ الإسلام في « كتاب الايمان » بخاصة يتصدر هذه المؤلفات أهمية ومكانة ، وهذا واقع الحال فقلما يتصدى أحد للرد على أهل البدع من المتكلمين والمتفلسفة والصوفية أو غيرهم ، إلا ويكون جُل اعتماده في

ذلك ـ بعد الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف ـ على ردود ومناقشات هذا الإمام الجليل أو على الأقل على اشارات وخطوط عريضة من منهجه وطريقته.

إذ كان رحمه الله صاحب منهج واضح ومحدد ، سار فيه على وتيرة واحدة في جميع كتبه ومؤلفاته ، ولم تتغير طريقته ولم تتناقض أقواله ـ مع كثرة كتبه وطولها وتشعب مسائلها ـ كما أن قناعته بمذهب السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ لم تتغير وأن الحق كل الحق فيه ، وأن ما عداه من الآراء والأقوال المبتدعة ، إما ضلال أو انحراف ، وفي قول السلف ما يغنى عنه تمام الغنى . ولذلك كانت هناك أهمية خاصة لما كتبه في بيان عقيدة السلف والمنهج الصحيح في تقريرها ، وكذلك ما كتبه في الرد على مخالفي عقيدة أهل السنة والجماعة والمنهج الصحيح لذلك .

ثالثاً : أن كتاب « الايمان » من أقوى الكتب التي صنفت في بابها في ذلك العصر على منهج السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ ، وعالج فيه شيخ الإسلام موضوع الايمان والمسائل المشكلة التي أثيرت حوله معالجة موضوعية شاملة ، حيث إن الكتاب كُتب أثر مرحلة عصيبة من مراحل التاريخ الإسلامي ، تجّلى فيها استعلاء الايمان وأهل الايمان فوق قوى أهل البدع والأهواء ، التي ما تركت سبيلاً إلى نشر ما يخالف عقيدة الإسلام إلا وسلكته ، مستعينة في ذلك بقوى الشر في زمانها من نصارى وتتار ، مما يشبه إلى حد كبير هذا العصر الذي نحن فيه.

رابعاً : من المعلوم أن شيخ الإسلام قد جاء في عصر متأخر نسبياً ، بعد استكمال الطوائف عقائدها وشبهاتها ، حتى المذاهب المتأخرة نسبيا كمذهب الأشاعرة كان في ذلك الوقت قد استقر وألفت فيه عشرات بل مئات الكتب التي تدعو إليه وتوضحه ، من خلال العلماء الذين تبنوه ، ومن خلال الكتب التي ألفت فيه ، فجاء شيخ الإسلام مجددا لمنهج السلف الصالح بعد أن كاد يندرس في تلك الطوائف والفرق، حيث شاع عند كثير من الناس قبيل زمانه، أن منهج الأشاعرة هو منهج أهل السنة والجماعة ولا تزال هذه الاشاعة سارية في بعض بلدان المسلمين . لكن شيخ الإسلام

ابن تيمية ـ رحمه الله ـ قد هيئه الله لتوضيح منهج السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ فأرجع المسار وحدّده ودافع عنه، ولم يكن وحده في ذلك، لأن الأمة الإسلامية لم تكن خالية من علماء السلف لا في عهد شيخ الاسلام ابن تيمية ولا قبله ولا بعده الا أنه تميز بأنه قام في ذلك بقوة وألف في ذلك الكتب والرسائل، وصارت تلك الكتب والرسائل تتناقل في مشارق الأرض ومغاربها .

فهو لم يأت بجديد من عنده ، لكنه وضّح وبيّن وشرح وناقش أهل الأهواء في مقالاتهم ، فقد كان ـ رحمه الله ـ متمكناً في فهم الكتاب والسنة ، وفي فهم أقوال أئمة السلف الصالح ، بل وفي فهم مقالات الفرق والطوائف ، إلى حد أنه قال في إحدى المناسبات وهو يناقش بعض الطوائف: « ما من صاحب مذهب إلا وأنا أعلم بمذهبه منه ». وهذا صحيح إلى حدٍ بعيد ، فإن كثيرا من أتباع المذاهب يأخذونها أحيانا على ظاهرها ، ولهذا إذا جئت الى بعض أهل البدع تناقشه في مذهبه ـ وهو أحيانا لايدرك مذهبه ـ أقول إذا وقفته على الدليل وكان ممن يتعصب لمذهبه فإنه يقول لك : أنا لا أدري لكن لا بد أن أسأل الشيخ الفلاني أو أرجع إلى الكتاب الفلاني ، فلا بد في مذهبنا من جواب لهذه المسألة ، وهذا دليل على أنه لا يعرف مذهبه وهذا كثير .

فشيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ جمع بين الخبرتين ، الخبرة بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح ، والخبرة بمقالات الطوائف والفرق ، فسار في ردوده ومناقشاته يتبّع منهجاً قوياً لأنه عرف من مداخل الفرق والطوائف ومواطن نقد أصولها ، وعرف ايضا من أنواع تناقضاتها الشيء الكثير ، فجاءت مؤلفاته في الرد على الطوائف وبيان تناقضاتها ونقد أصولها قوية لهذا ، مع بيان منهج السلف الصالح في كل تلك المسائل .

خامساً : أهمية موضوع الايمان وخطورته وضلال كثير من الفرق المبتدعة ،كالخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة والكرامية والأشاعرة والصوفية في هذا الباب ، مما يجعل من الأهمية بمكان إبراز منهج أهل السنة والجماعة وتحديد معالم ذلك المنهج في الرد علي المخالفين في هذا الباب العظيم ، وهذا ما نجده بتوسع واستفاضة في عرض شيخ

الإسلام ابن تيمية في كتابنا هذا « كتاب الايمان » لبيان حقيقة الايمان وتأصيل القواعد المنهجية المساعدة على فهم هذا الباب ، واستقرائه الجيد لنصوص الكتاب والسنة في موضوع الايمان والاسلام والاحسان والعلاقة بينهما ، كما أن له تحقيقات دقيقة ذكر فيها ـ رحمه الله ـ أصول الخلاف في مسألة الايمان وتفاوت افهام الفرق والطوائف ، وفي مدى التزامها بلوازم أقوالها أو عدم التزامها بذلك، مما يساعدنا في توضيح مسألة الايمان والحكم على الآخرين في هذا الباب العظيم، والذي نجد له صدى في وقتنا الحاضر مما يدعونا إلى إخراج الكتاب علي أقرب صورة كتبها عليه المؤلف .

سادساً : مما شجعني على ذلك أيضاً العثور على نسخة قديمة نسحت بعد موت المؤلف ـ رحمه الله ـ بخمسة عشر عاماً أي في عام (٧٤٣هـ) .

إضافة إلى كثرة الفروق بين المطبوع والمخطوط فإن فيها من الزيادات والتصحيحات الشيء الكثير .

سابعاً : مسيس الحاجة لإخراج هذا السفر العظيم محققاً موثقاً ، لما احتوى عليه من القواعد والضوابط والفوائد والردود على المخالفين في هذا الباب اضافة إلى كثرة النصوص التي أوردها المؤلف التي تفتقر إلى التخريج والتوثيق وعزوها إلى مصادرها .

لهذه الأسباب ولغيرها ، استخرت الله ـ تعالى ـ في تحقيق ودراسة الكتاب بعد أن وفقني الله ـ تعالى ـ وهداني إلى ثمان نسخ خطية للكتاب مما شجعني على المضي في تحقيق هذا الكتاب العظيم تحقيقاً علمياً تبعاً للقواعد والأصول المعروفة عند أهل التحقيق ، خاصة وأنه قد سبق وأن طبع الكتاب أكثر من اثنتي عشرة مرة ، لم تعتمد تلك الطبعات إلا على النسخة الهندية المطبوعة سنة ١٣١١هـ والتي هي مأخوذة عن النسخة النجدية، وتليها مطبوعة مصر عام ١٣٢٥هـ التي طبعته مكتبة الخانجي بعناية وتصحيح محمد بدر الدين النعساني الحلبي ، ثم طبعة دار الطباعة المحمدية ومكتبة أنصار السنة المحمدية بتصحيح الشيخ الدكتور محمد خليل هراس ـ رحمه الله ـ ثم ، طبعته بعد ذلك الادارة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالرياض عام ١٣٨٠هـ باشراف

الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله - وأخرج المكتب الإسلامي الكتاب بتخريج الشيخ محمد ناصرالدين الألباني - رحمه الله - في طبعته الأولى عام ١٣٨١هـ وطبعه المكتب الإسلامي عدة طبعات آخرها الطبعة الثانية عشرة عام ١٤١٤هـ .

وطبعت بعد ذلك طبعات تجارية كثيرة ، منها : طبعة القاهرة عن دار الحديث بجوار إدارة الازهر بدون تاريخ ومراجعة محمد هاشم الشاذلي ، وطبعة الاسكندرية عن دار عمر بن الخطاب بدون تاريخ ، وطبعة دار الثقافة الإسلامية بالرياض ، على نفقة صالح بن عبدالعزيز الراجحي ، وطبعة القاهرة عن دار الكتاب العربي باشراف محمد عبدالرحمن عوض ، وطبعة بيروت عن دار احياء العلوم باشراف الشيخ الغزال ، وطبعة دار الثقافة ببيروت بتصحيح زكريا علي يوسف ، وأهم الملاحظات على تلك الطبعات هي :

١ - عدم الرجوع إلى أكثر الأصول الخطية للكتاب - رغم كثرتها - مما أوجد في تلك الطبعات الكثيرمن التصحيفات والتحريفات والسقط الذي يتعذر معه فهم كثير من مسائل الكتاب .

٢ - عدم تخريج نصوص الكتاب حيث توجد مئات الآيات والأحاديث والآثار والأشعار والنصوص المنقلولة عن كتب أخرى مما يحوج القارئ والمراجع إلى الرجوع إلى عشرات المراجع والمصادر للتأكد من صحة تلك الآيات والأحاديث والآثار والأشعار وصحة تلك النصوص المنقولة ، ومعرفة تراجم الإعلام .. إلخ .

٣ - عدم دراسة الكتاب دراسة تحليلية تفصيلية تبين وتوضح أهمية ومكانة الكتاب بين الكتب التي تناولت موضوع الايمان وقيمته ومنهج مؤلفه ومعالجته لموضوعات الكتاب وبيان مكانته بين ما ألف في تلك الموضوعات .

لذلك كله فقد رغبت إلى إخراج هذا الكتاب بالصورة العلمية التي تليق بمكانته ومكانة مؤلفه من حيث التحقيق في ضبط النص وتقييده ، وإخراجه أقرب ما يكون الى الصيغة التي أرادها - رحمه الله تعالى - يوم دوّنه ، ومن حيث التعليق على النص بما يفيد قارئه ويقربه عنده وييسر الانتفاع بهذا الكتاب ومسائله ، ومناقشة مؤلفه لكثيرمن الفرق التي انحرفت في هذا

الباب العظيم ، ويجلي كذلك نصوصه بالعزو والتخريجات والتعريفات والتعليقات وبيان الملاحظات بما يكفي القارئ ويغنيه عن مراجعة كثيرمن الكتب والمعاجم وكتب التراجم وغيرها .

ويتكون هذا البحث من مقدمة وقسمين وخاتمة .

أما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره والصعوبات التي واجهتني فيه ومنهج الدراسة والتحقيق والتخريج والتعليق الذي اتبعته في ذلك .

أما **القسم الأول** : فهو قسم الدراسة ويتكون من ثلاثة أبواب .

الباب الأول : حياة المؤلف وعصره ومكانته بين أهل العلم ويتكون من ثلاثة فصول .

الفصل الأول : عصر المؤلف دينياً وسياسياً وعلمياً واجتماعياً .

الفصل الثاني : حياة المؤلف الشخصية وفيها نسبه ومولده ونشأته ووفاته .

الفصل الثالث : شخصية المؤلف العلمية وفيها طلبه للعلم وتحصيله وشيوخه وتلاميذه ، وآثاره العلمية ومصنفاته ، وجهاده وأثره في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومكانته وثناء العلماء عليه .

الباب الثاني : التعريف بالكتاب والنسخ المخطوطة والنسخ المطبوعة .

ويتكون هذا الباب من ثلاثة فصول:

الفصل الأول : التعريف بالكتاب ، ويشتمل على تسعة مباحث

المبحث الأول : اسم الكتاب

المبحث الثاني : موضوع الكتاب

المبحث الثالث : سبب تأليف الكتاب

المبحث الرابع : تاريخ تأليف الكتاب

المبحث الخامس : توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف

المبحث السادس : منهج المؤلف في الكتاب

المبحث السابع : مصادر المؤلف في الكتاب

المبحث الثامن : القيمة العلمية للكتاب
المبحث التاسع : بعض المصنفات في موضوع الكتاب
الفصل الثاني : التعريف بالمخطوطة ويشتمل على ثلاثة مباحث
المبحث الأول : عدد النسخ المخطوطة
المبحث الثاني : وصف النسخ المخطوطة
المبحث الثالث : النسخة الأم وأسباب اختيارها
الفصل الثالث : التعريف بالمطبوعة ويشتمل على ثلاثة مباحث
المبحث الأول : المعلومات عن طبعات الكتاب
المبحث الثاني : الملاحظات عليها
المبحث الثالث : أسباب اعتبارها في المقابلة
الباب الثالث : الدراسة التحليلية لمسائل الكتاب
ويتكون هذا الباب من ستة فصول
الفصل الأول : تعريف الايمان لغة واصطلاحاً وبيان منهج أهل السنة والجماعة فيه .
ويتكون هذا الفصل من خمسة مباحث :
المبحث الأول : الايمان في اللغة
المبحث الثاني : الايمان في الاصطلاح
المبحث الثالث : أدلة أهل السنة والجماعة على قولهم الايمان اعتقاد وقول وعمل
المبحث الرابع : أقسام المعاصي عند أهل السنة والجماعة
المبحث الخامس : حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة
الفصل الثاني : المذاهب في الايمان
ويتكون هذا الفصل من سبعة مباحث
المبحث الأول : مذهب الخوارج
المبحث الثاني : مذهب المعتزلة
المبحث الثالث : مذهب المرجئة
المبحث الرابع : مذهب الجهمية
المبحث الخامس : مذهب الكرامية
المبحث السادس : مذهب الأشاعرة

المبحث السابع : مذهب الماتريدية

الفصل الثالث : العلاقة بين الايمان والإسلام وتحقيق الكلام فيها

ويتكون هذا الفصل من مبحثين :

المبحث الأول : الايمان والإسلام وما بينهما من عموم وخصوص

المبحث الثاني : الأقوال في مسألة الايمان والإسلام والرد علي المخالفين فيها

الفصل الرابع : مسألة زيادة الايمان ونقصانه

ويتكون هذا الفصل من مبحثين :

المبحث الأول : قول أهل السنة والجماعة وأدلتهم على زيادة الايمان ونقصانه .

المبحث الثاني : أقوال الفرق والطوائف في زيادة الايمان ونقصانه

الفصل الخامس : مسألة الاستثناء في الايمان

ويتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : قول أهل السنة والجماعة في الاستثناء في الايمان ومأخذهم في ذلك .

المبحث الثاني : مذهب من يوجب الاستثناء في الايمان ومأخذه في ذلك .

المبحث الثالث : مذهب من يحرم الاستثناء في الايمان .

الفصل السادس : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المتكلمين في مسائل الايمان

ويتكون هذا الفصل من أربعة مباحث :

المبحث الأول : موقف شيخ الإسلام من المتكلمين في حقيقة الايمان.

المبحث الثاني : موقف شيخ الإسلام من المتكلمين في زيادة الايمان ونقصانه .

المبحث الثالث : موقف شيخ الإسلام من المتكلمين في حكم مرتكب الكبيرة .

المبحث الرابع : موقف شيخ الإسلام من المتكلمين في الاستثناء في الايمان .

وأما **القسم الثاني :** فيشمل النص المحقق ثم تأتي بعده الخاتمة وذكرت فيها أهم نتائج الدراسة والتحقيق وأهم التوصيات التي انتهيت إليها .

وأخيرا الفهارس الفنية وتشمل فهارس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأثار والاعلام ، والأشعار ، وأسماء الكتب الواردة في متن الكتاب ، وأسماء الفرق والقبائل وأسماء الأماكن والبلدان ، وفهرس المراجع والمصادر ، والفهرس العام لمحتويات الدراسة والنص المحقق .

المنهج في التحقيق :

أولاً : اعتنيت بنص الكتاب ، فبذلت قصارى جهدي في اخراج النص سليماً من التحريف والتصحيف والأخطاء - قدر الطاقة - وذلك بعد نسخه نسخاً صحيحاً ، وبعد مقابلة النسخ المخطوطة مقابلة دقيقة وقراءة النص قراءة صحيحة أكثر من مرة ، وكان ذلك وفق الخطوات الآتية :

١ - وضعت الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾ وعزوت الآيات القرآنية إلى مكان الآيات والسور في المصحف الشريف بين معكوفتين هكذا [....] وحددت الأحاديث والأقوال بالمزدوجين « » .

٢ - ماكان من زيادة مهمة في إحدى النسخ المخطوطة أو سقط من (أ) أو زيادة يقتضيها السياق وضعته بين معكوفتين هكذا [.....] كما هو مسلك المحققين .

٣ - قمت بضبط الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والأشعار ، وتشكيل مايلتبس من أسماء الأعلام والأماكن وغيرها .

٤ - سرت في الكتابة والإملاء على ما اتُفِقَ عليه من قواعد الإملاء والخط الحاليين .

ثانياً : وضعت حاشيتين في صفحات النص يسري وسفلى .

فالحاشية اليسرى وضعت فيها العناوين الجانبية وترقيم صفحات نسخة الأصل (أ) حيث أشرت إلى بدء صفحاتها وذلك بوضع خط مائل هكذا (/) قبل الكلمة الأولى في محاذاتها ورمزت للوجه الأول من الورقة بـ (أ) وللوجه الثاني برمز (ب) .

أما الحاشية السفلى فقد جعلتها في أسفل صفحات النص وكانت مكانا لما يأتي :

أ - خرجت الأحاديث النبوية الشريفة والآثار وقد بلغت الأحاديث أكثر من خمس وعشرين ومائتين حديث، والآثار أكثر من مئتي أثر وإذا تكرر الحديث أو الأثر فإنني أخرجه في أول موضع يرد فيه وأحيل بعد ذلك على ذلك الموضع واتبعت في التخريج الخطة الآتية :

- إما إن يذكر الشيخ من أخرجه أو بعضهم ، فأخرّجه أولاً عند من ذكرهم ، ثم عند غيرهم .

وأما إذا لم يذكر من أخرجه ، فأخرجه على النحو التالي :

١ - إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما ، أخرجه منهما أومن أحدهما ، مبيناً اسم الكتاب والباب والجزء والصفحة واسم الصحابي ، وطرف الحديث حتى أصل إلى

ماذكر من الحديث ، أو أذكر أول الحديث ثم أنتقل إلى موضع الشاهد منه ، فأقول مثلاً: أخرجه من حديث أبي هريرة فلان ... مرفوعاً بلفظ كذا ، ثم أخرجه من الكتب التي ذكرته مما أعلمه فيها بنفس الطريقة السابقة ، ولا أذكر الاسناد لأنه ما دام في الصحيحين أو أحدهما فهو صحيح ، ولا يحتاج إلى دراسة اسناد ، علي أنه قد يوجد بعض الأحاديث - وهذا قليل جداً - في الصحيحين أو أحدهما في إسناده مقال فأذكر ذلك الإسناد لبيان حال من تكلم فيه .

٢ - إذا كان الحديث في غير الصحيحين فأخرجه :

أولاً : من الكتب الستة مبتدئاً - في الغالب - بذكر سنن أبي داود ثم الترمذي ثم النسائي ثم ابن ماجه ، ثم أخرجه عن غيرهم ممن علمت أنه أخرجه ، كالإمام أحمد في المسند ، ومالك في الموطأ والدارمي في المسند ، وأذكر اسم الكتاب والباب ورقم الجزء والصفحة - كما تقدم - .

ثانياً : أذكر اسناد ذلك الحديث أوالأثر عند أول من أخرجه .

ثالثاً : إذا صح الحديث بذلك الإسناد ، أكتفي - غالباً - بذكر الشيخ الذي اتفق فيه الرواة فأقول مثلاً : أخرجه من طرق عن فلان ... به كل من : وأذكر من أخرجه بعد ذلك.

رابعاً : إذا لم يصح الحديث فاترجم للراوي الذي لم يصح بسببه الحديث مبيّناً اسمه ونسبه ومرتبته ، حسن ، ضعيف - وتاريخ وفاته - إن علمت ذلك - ثم أبحث عن متابعات أو شواهد لذلك الحديث ، فإن وجدت ، ذكرت المتابع ودرجته ، أو الشاهد وإسناده ولفظه ثم أبين هل ارتقى الحديث وصح أم لا .

خامساً : إذا كان في الاسناد رجل ضعيف ، أو فيه ضعف فإنني أقول : إسناده ضعيف ، فيه فلان ضعيف ، أو فيه كذا ، ثم أذكر كلام العلماء فيه تعديلاً وتجريحاً ، ثم أبين ما فيه بناءً على ما ظهر لي من تلك الأقوال .

سادساً : إذاكان الحديث أو الأثر ليس صريحاً وإنما من المشار إليه ، فأخرج ما يدل عليه - في نظري - من مصدرين أو ثلاثة وقد أزيد على ذلك متبعاً الطريقة السابقة نفسها .

سابعاً : إذاكان الحديث في غير الكتب الستة ، أُخَرِجّهُ من مظانه التي يغلب على الظن أنه فيها فأذكر الجزء والصفحة والاسناد إلى النبي - ﷺ - وأذكر الحديث ، وأقوم بدراسة الإسناد بالطريقة السابقة والحكم على الحديث - كما تقدم - .

ثامناً : قد يرد الحديث بعدة ألفاظ متقاربة ، فإذا ذكر لفظاً معيناً فإنني آتى بذلك اللفظ ، ولا سيما إذاكان ذلك لفظاً صحيحاً ، أما إذا لم يكن صحيحاً فإنني آتى بالألفاظ الأخرى أو الشواهد والمتابعات لتقويته إن أمكن .

تاسعاً : قد يكون لبعض الأحاديث مظان أخرى غير ما ذكر ، لكن قد يكون في طرقها ضعف فلا أذكر تلك الطرق ـ غالباً ـ وخاصة إذا صح الحديث بما ذكر .

عاشراً : هناك بعض الأحاديث والآثار لم أعثر عليها ، فأذكرها وأقول لم أجده، أو لم أعثر عليه.

حادي عشر : في حكمي على الرجال ، إذا كان الراوي مما اتفق على توثيقه من خلال إطِّلاعي على حال الراوي ، فإنني لا أترجم له وإذا كان دون ذلك فإن كان من رجال الحديث الحسن فأقول حسن الحديث ، وهذا صفة من قال فيه الحافظ ابن حجر صدوق ، أو قال : صدوق يخطىء ، أو صدوق يهم ، وما ترجح عندي من خلال أقوال العلماء فيه أنه من رجال الحديث الحسن .

وإن كان الراوي ضعيفا ـ قلت : ضعيف ، أوكان مقبولاً عند الحافظ ابن حجر ولم أجد له متابعاً فإنني أقول عنه : ليِّن الحديث أو فيه لين وهذا الغالب ـ وتارة أكتفي بعبارة الحافظ ـ رحمه الله ـ .

ثاني عشر : قد لا أعرف الراوي ، لا سيما إذا كان من غير رواة الكتب والسنة ، فالحديث إذاً ضعيف لجهالة ذلك الراوي ، ولا أقول مثل هذا إلا بعد البحث عن ترجمة ذلك الراوي ، فإن لم أجده حكمت عليه بما تقدم .

وكل كلمة وردت بلفظ الحافظ ، فهو الحافظ بن حجر العسقلاني .

ب ـ أثبت فروقات النسخ المخطوطة بعد مقابلتها وكان منهجي في عملية مقابلة النسخ مبنيا على الطريقة التالية :

١ ـ اخترت أقدم النسخ تاريخاً وأكملها وأوثقها ، وجعلتها هي الأم (الأصل) ورمزت لها برمز (أ) .

٢ ـ قابلت النسخ المخطوطة ناهجاً طريقة النص المختار .

٣ - أهملت في اختلاف النسخ الآيات التي كتبت خطأ أو محرفة - غالباً - فإنني لا أشير إلى ذلك بل أثبت القراءة الصحيحة كما في المصحف الشريف ما عدا الاختلاف في أوجه القراءات فإنني أذكره في الحاشية .

جـ - عرفت بمعظم الأعلام تعريفاً مختصراً ، وقد بلغ عدد الأعلام المذكورين في هذا الكتاب أكثر من (٣٠٠) علماً ولم أترجم للمشاهير منهم كالخلفاء الراشدين وغيرهم من كبار الصحابة وأمهات المؤمنين والأئمة الأربعة وأصحاب الكتب والستة وغيرهم من الأعلام الذين هم أشهرمن أن يذكروا وأعرف من أن ينكروا .

د - وثقت المعلومات والنقول من المصادر والمراجع التي نقل منها المصنف مع نسبتها إلى أصحابها ، إلا أن بعض الكتب لم أقف عليها وبعضها مفقود مثل كتاب أصول الدين لأبي عبد الله بن حامد ، وقد أغفلت توثيقها وتوثيق غيرها مما لم أجده مكتفياً بهذه الإشارة ، إلاّ أن يكون النص من ذلك الكتاب منقولاً في كتاب مطبوع فحينئذ أوثقه منه حسب الطاقة ، مثل ما فعل شيخ الإسلام في ذكر من حكى قولهم في الإيمان وذكر أن أبا عبيد ذكرهم وانما الذي نقلهم عن أبي عبيد هو ابن بطه في الإبانة .

هـ - شرحت الألفاظ اللغوية الغريبة وقمت بضبطها وعينّت المصدر للتوثيق .

و - عرفت ببعض الفرق وأسماء البلدان والمواضع وذلك بالرجوع إلى المعاجم المختصة وكتب الفرق والمقالات وغيرها .

ثالثاً : علّقت على الكتاب في بعض المواضع بما يوضح مشكلاً أو يزيل لبسا أو يصحح خطأ ورجعت في ذلك إلى المصادر الأصلية والمراجع العلمية .

أهم الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة :

- كثرة الأحاديث والآثار التي أوردها المؤلف - رحمه الله - فقد بلغت أكثر من (٤٢٥) حديثاً وأثراً من غير المكرر كما هو واضح في تخريجها .

- وجود بعض تلك الأحاديث في غير كتب السنة المشهورة ، الأمر الذي يحتاج الجهد الكبير والوقت الطويل لمعرفة ذلك الحديث ولا سيما إذا كانت بعض تلك الكتب لم يعتنَ بها من حيث الفهرسة والتحقيق .

- كثير من الأحاديث التي يذكرها المؤلف - رحمه الله - يذكرها بالمعنى أو يشير إليها اشارة ، فما كان بالمعنى فالعثور عليه صعب ، وكذلك ما كان بالإشارة لأن كتب التخريج لا تعتني - غالباً - إلا باللفظ الوارد عن النبي - ﷺ - .

- ذكر المؤلف - رحمه الله - لألفاظ عامة يندرج تحتها أحاديث وآثار كثيرة ، فمثلاً قوله : قد جاءت الأحاديث المتواترة بثبوت الشفاعة للنبي - ﷺ - .

- إن كتاب الايمان لم يحقق رغم تخريج الشيخ الإلباني - رحمه الله - لبعض أحاديث الكتاب حيث قام - رحمه الله - بتخريج (١٧٨) حديث وأثر بالمكرر في الكتاب كله تخريجا اقتصر فيه على تعيين من أخرجه كقوله متفق عليه ، رواه مسلم وتصحيح وتضعيف بعض تلك الأحاديث التي لا تتجاوز ستين حديثاً تصحيحاً وتضعيفاً مقتضبا أيضا . وكذلك الجزء المطبوع ضمن الجزء السابع من مجموع الفتاوى ، على أنني لا أهون من جهد الشيخين - رحمهما الله - فقد بذلا في ذلك الجهد العظيم وكان هدفهما - إن شاء الله - نفع المسلمين وقد حقق الله مقصدهما فطبع كتاب الايمان وطبعت هذه الفتاوى ونشرت في مشارق الأرض ومغاربها وهذا دليل على صدق هدفهما - إن شاء الله - ولعل ما يشفع لهما أن المؤلف - رحمه الله - كان أغلب مؤلفاته تكتب من حفظه وهو متنقل بين البلدان مرة ، وفي السجن مرة أخرى بعيد عن كتبه كما هو مشهور في ترجمته ويعرفه القاصي والداني ، فلا يستغرب ولا يستبعد وقوع بعض الخطأ ، وحسب الجميع أنهم مجتهدون ولكل مجتهد نصيب من العمل الصالح - بإذن الله -

- من المعروف أن دراسة الأسانيد ومعرفة أحوال الرجال من أشق الأعمال التي يلقاها من يقوم بالتخريج لا سيما اذا عرفنا أنه بناءً على ما يصل إليه - هو حكمه على الحديث أما بالقبول أو الرد - أمر جسيم - خاصة اذا كان قليل البضاعة في هذه الصناعة فيزداد الأمر صعوبة ومشقة ولكن الله بمنه وكرمه يسر جميع الأمور .

وأخيراً فأسأل الله العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعل كل حرف وكلمة وكل نقطة مداد وكل قصاصة ورق في ميزان حسناتي - ولمؤلفه أضعافاً كثيرة - يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم .

كما أسأله تعالى أن يجزى كل من علمني أو أرشدني أو صوبني في هذا البحث أو غيره أسأل الله تعالى أن يجزيهم من خير ما يجزى به عباده الصالحين .

وأخص بالدعاء والدي الكريمين الحبيبين اللذين كان دعاؤهما وتوجيهاتهما وارشادهما بعد توفيق الله ـ عز وجل ـ خيرمعين لي فترة إعداد هذه الرسالة فأسأل الله عز وجل باسمه الأعظم أن يُمِدَّ في عمريهما ، وأن يبارك فيهما وأن يكتب لهم موفور الصحة والعافية والسلامة، وأن يعينني على برهما وحسن صحبتهما ، وأن يختم ـ لي ـ ولهما بالصالحات أعمالنا .

كما أن الشكر والتقدير والعرفان لأستاذي وشيخي الفاضل الأستاذ الدكتور / أحمد بن عبد الرحيم السايح ـ حفظه الله ورعاه ـ الذي كانت توجيهاته وملاحظاته واستدراكاته تعود على البحث بالفائدة والتكميل فقد تعلمت منه حسن الخلق وأدب البحث وطرق التحقيق فقد أولاني ـ حفظه الله ـ من ذلك الشيء الكثير . فجزاه الله خير ما يجزى به معلم عن تلميذه ، ووالد عن ولده ، ورزقه الله الصحة والعافية والعمر المديد ونفع بعلمه الأمة إنه سميع قريب مجيب .

كما أنني لا أنسى الذين كان لهم سعي مشكور في الحصول على النسخة الأصلية (الأم) من المتحف التركي (طبقوسراي) باستانبول في تركيا والذين ذللوا الصعوبات وبذلوا الجهود حتى وصلت اليّ وعلى رأس هؤلاء أستاذنا فضيلة الشيخ / محمد قطب وأستاذنا الشيخ الدكتور / عثمان عبد المنعم يوسف عيش ، وفضيلة الشيخ / أمين سراج وفضيلة الدكتور / حمدي أرسلان فجزى الله الجميع أفضل الجزاء وأوفاه .

كما وأتقدم بشكري إلى القائمين على هذه الجامعة المباركة ـ جامعة أم القرى ـ ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين ، وأخص منهم بالذكر معالي مدير الجامعة المكلف الأستاذ الدكتور/ ناصر بن عبد الله الصالح، وفضيلة عميد الكلية الأستاذ الدكتور / عبد الله بن عمر الدميجي ، وفضيلة رئيس قسم العقيدة فضيلة الدكتور / عبد العزيز بن أحمد محسن الحميدي وجميع أساتذتي ومشايخي في قسم العقيدة فقد كان لكل هؤلاء من كان سبباً في إبراز هذا العمل الذي أرجو من الله عز وجل أن أكون قد وفقت فيه وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

القسم الأول

الدراسة

الباب الأول

حياة المؤلف وعصره ومكانته بين أهل العلم

الفصل الأول

عصر المؤلف سياسياً واجتماعياً ودينياً وعلمياً

الفصل الثاني

حياة المؤلف الشخصية

الفصل الثالث

شخصية المؤلف العلمية

قلة من العلماء هم الذين لقوا عناية وافرة في حياتهم وبعد مماتهم من قبل أهل العلم والإيمان والبصيرة والرأي السديد ، ولعل من أبرزهم شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني النميري فقد حظي - رحمه الله - بعناية بالغة وترجم له بتراجم عديدة مفردة وغير مفردة ، وعقدت المؤتمرات والندوات وأجريت الأبحاث والدراسات حول حياته واجتهاداته ومؤلفاته في العقائد والأحكام والأصول والتفسير والحديث وشروحه لمذهب السلف - أهل السنة والجماعة - .

وترجم له العديد من المؤرخين القدامى والمحدثين ، بل إن هناك دراسات لعدد من المستشرقين وغيرهم ، تناولت تراث شيخ الإسلام ومنهجه وأفكار وإبراز شخصيته وقد بلغت تلك المؤلفاتأكثر من مائة كتاب(١) .

بل لقد عقد مهرجان كبير حضره كوكبه من أهل العلم والفكر في العالم الإسلامي في دمشق وتدارسوا حول شيخ الإسلام ، وتناولوه من جوانب عديدة وسمى ذلك المؤتمر ، أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان الإمام ابن تيمية(٢) .

وذلك من يوم ١٦ - ٢٠ شوال سنة (١٣٨٠هـ) الموافق (١٩٦٠م) أي قبل نحو من ٤١ سنة ، وطبعت أعمال هذا المؤتمر وتوصياته بالقاهرة .

وعقدت أيضا ندوة علمية عالمية حول شيخ الإسلام ابن تيمية ، حياته العلمية ومواقفه الخالدةفي الجامعة السلفية بالهند سنة ١٤٠٨هـ . وقدمت للندوة بحوث عديدة وأصدرت على أثرها توصيات وقرارات مفيدة(٣) .

إضافة إلى عشرات الرسائل العلمية التي تناولت العديد من الجوانب العلمية والفكرية والفقهية والأصولية والسياسية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية . هذا غيرعشرات المقدمات التي كتبت في ترجمة الشيخ والكلام على عصره ومنزلته وثناء العلماء عليه ، وذلك ضمن تحقيق الكثير من كتبه ورسائله وفتاويه .

---

(١) انظر : « أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد إبراهيم الشيباني (ص : ١٨٨ - ٢١١) .

(٢) انظر : أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان ابن تيمية .

(٣) انظر : بحوث هذه الندوة التي هي بإعداد د / عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي ط . دار الصميعي .

كل هذا جعلني فـي غنية عن أن أترجم له في هذا الباب تـرجمة مطولة مـوسعة غـير أني أذكر شذرات مفـيدة عما سُطِّر وكتب عنه ، وأن أعطي فكرة مجـملة عن عصره مع إبراز أهم مصنفاته العقدية على وجه الخصوص وذلك من خلال الفصول التالية :

الفصل الأول : عصر المؤلف دينياً وسياسياً وعلمياً وإجتماعياً .

المبحث الأول : الحالة الدينية

المبحث الثاني : الحالة السياسية

المبحث الثالث : الحالة الاجتماعية والعلمية

الفصل الأول

عصر المؤلف

ويتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الحالة السياسية

المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية

المبحث الثالث : الحالة الدينية والعلمية

ان الظروف التي تحيط بالشخص والبيئة التي يعيش فيها لا شك أن لها أثرا كبيراً في حياته ـ إلا أن يشاء الله غير ذلك ـ ويستوي في ذلك جميع جوانب البيئة السياسية والاجتماعية والعلمية والدينية وغيرها .

ولقد أثرت مثل هذه الظروف في حياة كثير من الناس ، وخاصة الذين رضوا بالواقع وخضعوا لما فيه من العادات والتقاليد مع ما قد يكون فيها من الضلال والفساد .

ولم يتحرر من قيود البيئة والعادات السيئة إلا من أنار الله بصائرهم وإختصهم لحمل مشاعل الهداية للخلق ، من الأنبياء والرسل والعلماء المصلحين المجددين ، الذين نذروا أنفسهم لأبلاغ رسالة ربهم وإعلاء كلمته ، فعملوا على الوقوف ضد تلك العادات السيئة والتقاليد الجاهلية ، وتحملوا ـ صابرين محتسبين ـ ما يلاقونه من البلاء في هذا السبيل ممتثلين لأمر الله : ﴿ وَلْتَكُن منّكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الْخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بالْمَعْرُوف وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَر وأُولَئكَ هُمُ الْمُفْلحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] آملين في وعده : ﴿ إنَّ اللَّهَ اشْتَرَى من الْمُؤْمنين أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتلُونَ في سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْه حَقّاً في التَّوْرَاة وَالإنجيل وَالْقُرآن وَمَنْ أَوْفَى بعَهْده منَ الله فَاسْتَبْشرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذي بَايَعْتُم به وَذَلكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

وأحسب أن من هؤلاء المصلحين المجددين شيخ الإسلام ابن تيمية ولعل فيما يأتي من فصول تبين الحالة التي كان يعيشها العالم الإسلامي مما كان لوجوده وما عمله في ذلك الوقت الأثر البالغ في تصحيح كثير من المفاهيم والعقائد والتصورات ونبدأ ببيان الحالة السياسية .

المبحث الأول الحالة السياسية :

وبدأت بهذا الجانب لأنه الأقوى والمؤثر في حياة الناس عموما ـ وبايجاز شديد ـ فإن الدولة الإسلامية كانت دولة موحدة من المشرق إلى المغرب طوال عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية ، تصدر عن رأي واحد وسياسة واحدة يرسمها الخليفة بشورى المسلمين وكانت أول هزة زعزعت هذا الكيان ، ما وقع من قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ثم الخلاف بين علي بن طالب ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ ثم ماتلا ذلك من الصراع بين الأمويين والعباسيين ، والذي انتهى بقيام الدولة العباسية في المشرق والدول الأموية في المغرب ـ الأندلس ـ .

واستقر الأمر على هذا الحال مدة من الزمن ، حتى جاءت فتنة الأمين والمأمون فكانت قاصمة الظهر الثانية ، وكانت إيذاناً بتمزيق المسلمين وكانت الدولة العباسية ـ حينئذ ـ تعيش بين القوة والضعف في أدوار مختلفة ، ولعل من أسباب ذلك ، ما فعله أعداء الإسلام الذين لم يألوا جهداً في تفتيت وحدة المسلمين وتفريقهم وتقسيمهم إلى امارات صغيرة ، ونال أعداء الإسلام ما أرادوا على حين غفلة من المسلمين غطوا فيها بسبب بُعْدِهِمْ عن المنهل الروى والمنبع الصافي .

واتسع الخرق على الراقع وأصبحت مآرب البعيد الذي يريد لهذه الوحدة أن تزول أصبحت مآربه وشيكة التحقق ، فأعدَّ كل طامع عدته ، وجهز نفسه للانقضاض على بلاد المسلمين وأشباع غرائزهم من دماء المسلمين وأعراضهم وأمولهم .

وسأكتفي بذكر حدثين مهمين كان لهما الأثر البالغ في إضعاف المسلمين ، وقد عايش شيخ الإسلام ابن تيمية آخر الحدث الأول وأول الحدث الثاني وهذان الحدثان هما :

الأول : ظهور التتار بالمشرق وزحفهم واستيلاءهم على بغداد وزحفهم إلى الشام ومصر.

الثاني : خروج الفرنج (الصليبيون) من أوروبا وزحفهم إلى بلاد الشام ومصر .

فأما ظهور التتار فيقول عنه ابن الأثير : « لقد بلى الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتلى بها أحد من الأمم ، منها ظهور هؤلاء التتر ـ قبحهم الله ـ أقبلوا على المشرق

وفعلوا الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها ... ولقد بَقِيتُ عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها ، كارها لذكرها فأنا أقدم اليه رجلاً وأأخر أخرى ، فمن الذي يسهل عليه نعي الإسلام والمسلمين ؟ ومن الذي يهون عليه ذلك ؟ ... ثم يقول : لو قال قائل أن العالم منذ خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ آدم إلى الآن ، لم يبتلى بمثلها لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها وهؤلاء ـ أي التتار ـ لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والأطفال والرجال ، وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنة ـ فإنا لله وإنا إليه راجعون ـ ولهذه الحادثة التي استطار شررها وعمم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح .. فإن قوماً خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارى وغيرها ، فيملكونها ويفعلون بأهلها ما نذكره ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغونها ملكا وتخريبا وقتلا ونهباً ثم يتجاوزنها إلى الري ، وهمدان والجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق في أقل من سنة ، هذا ما لم يُسْمَع بمثله ، ففي سنة (٦٥٦هـ) استولى التتار على بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية وقتلوا الخليفة المستعصم ، وعاثوا فيها فساداً ثم زحفوا إلى الشام ، فدخلوا حلب ثم دمشق واستولوا عليها سنة (٦٥٨ هـ) وجاسوا خلال الديار وقد ملأ الرعب قلوب الأهلين بعد أن وصل التتار إلى غزة في طريقهم إلى مصر وأرسل قائدهم إلى مصر بكتاب يهدد فيه الملك المظفر قطز جاء فيه : من ملك الملوك شرقاً وغربا ... إلى أن قال : فعليكم بالهرب وعلينا بالطلب فأي أرض تأويكم وأي طريق تنجيكم وأي بلاد تحميكم فما لكم من سيوفنا من خلاص »(١) .

ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين . فإن الله ثبت قلب قطز فأعد للأمر عدته مستعيناً بالله الذي ينصر عباده المؤمنين ، وبادرهم قبل أن يبادروه ، فخرج لهم حتى انتهى إلى الشام والتقى الجمعان على عين جالوت وانتهى الأمر بنصر الإسلام وأهله ، وبهزيمة التتار وبفرارهم وكان ذلك في آخر شهر رمضان سنة (٦٥٨هـ) ، وقد ولد شيخ الإسلام ابن تيمية بعد معركة عين جالوت بثلاث سنين أي سنة (٦٦١هـ) .

أما الحدث الثاني وهو مجيء الفرنج (الصليبيين) من أوروبا وزحفهم على بلاد الشام ومصر ، وهذا الحدث لم يكن أقل تأثيراً وتدميراً للأمة الإسلامية فإذا كان التتار لم يزحفوا على

---

(١) الكامل لابن الأثير (١٠ / ٢٨٣) .

بلاد الشام إلا بعد سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ) - كما تقدم - فإن الصليبيين بدؤا غاراتهم على العالم الإسلامي - لا سيما على مصر والشام - قبل ذلك بأكثرمن قرن ونصف من الزمان ، قال ابن الأثير في ذلك : « إنه في سنة (٤٩١هـ) خرج الفرنج - أي الصليبيين - إلى بلاد الشام واستطاعوا أن يستولوا على دمشق ومعظم مدن الشام بما فيها بيت المقدس ، وقتلوا من المسلمين ألوفاً كثيرة ولم يرع الصليبيون حرمة المسجد الأقصى فأجهزوا على كل من أحتمى به من المسلمين وعددهم يزيد على سبعين ألفا »(١) .

ولم تنته الحروب بين المسلمين والصليبيين بل استمرت بين الطرفين سنين طويلة ليس في بلاد الشام فحسب ، بل توجهوا نحو مصر ، واستطاعوا بجموعهم إحتلال مدينة دمياط بعد حصار طويل وقتال شديد .

وهكذا تكالبت قوى الشر في ذلك الزمان على بلاد الإسلام في غياب المسلمين المخلصين وبسبب مؤامرة وخيانة طوائف الباطنية والروافض .

ولسنا هنا بصدد استعراض تاريخ هذا الصراع ، لكننا نشير فقط إلى ما كان عليه وضع العالم الإسلامي قبل مولد شيخ الإسلام ابن تيمية وبعده ، وكيف أنه كان نهباً لكل طامع من أعدائه ، على حين غفلة من أهله وتفرق وتمزق .

ورغم ما تعرض له العالم الإسلامي من التفكك وتربص الأعداء ، إلا أن الله - سبحانه وتعالى - قد تكفل بحفظ دين الاسلام ويهيئ له بين كل فترة وأخرى ، من يلم شمل هذه الأمة ويوقظها من سباتها ويجدد لها أمر دينها . فقيض الله تعالى للتتار من هزمهم وفرّق جمعهم - باذن الله - على يد الملك المظفر قطز ، وقيض الله للصليبيين من يمحوا أثرهم ويفرق جموعهم ، على يد صلاح الدين الأيوبي وبهذا طويت صفحات الغزو الصليبي والتتاري الذين استمر زهاء قرنين من الزمان .

بعد هذا الاستعراض المختصر للوضع السياسي لبلاد الإسلام ، ماذا عن الفترة من (٦٦١-٧٢٨هـ) وهي الفترة التي ولد وعاش فيها شيخ الإسلام ابن تيمية (٢).

---

(١) الكامل لابن الأثير (١٠ / ٢٨٣) .

(٢) انظر : تفصيل تلك الأحداث الكامل لابن الأثير (١١/ ٢٠٠) ، (١٢/١٢٣) ، البداية والنهاية لابن كثير (١٢/٣٢٠، ١٣/١٢٣) .

فلقد عاش شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وكما سبق أن رأينا آخر عهد التتار وكانت البلاد الإسلامية في هذه الفترة موزعة بين دول المماليك في مصر والشام وتقدم معنا أيضا أن الملك المظفر قطز هو الذي كسر شوكه التتار في معركة عين جالوت سنة (٦٥٨هـ) أي قبل مولد شيخ الإسلام بنحو ثلاث سنين ، وفي نفس السنة قُتِلَ قطز (٦٥٨هـ) وتولى بعده ركن الدين بيبرس واتخذ لنفسه لقب الملك الظاهر واستمر في الحكم ثمان عشرة سنة، وقد وصفه الحافظ بن كثير فقال : كان ـ رحمه الله ـ متيقظاً شهماً شجاعاً لا يفتر عن الأعداء ليلاً أو نهاراً ، بل هو مناجز لأعداء الإسلام وأهله ولم شعثه واجتماع شمله ، وبالجملة أقامه الله في هذا الوقت المتأخر عوناً للإسلام وأهله شجاعاً في فلول المارقين من الفرنج والتتار والمشركين(١).

وقد ولد شيخ الإسلام في أيامه ، ولما توفى الظاهر بيبرس كان شيخ الإسلام في أول الشباب بالغاً من العمر خمسة عشرعاماً ، ومنذ نهاية حكومة الظاهر تداول الحكم في مصر والشام ملوك كثيرون ـ كان منهم الملك المنصور سيف الدولة قلاوون الألفي الصالحي (٦٢٠ ـ ٦٨٩) الذي نظّم أمور الدولة وكان مجاهداً قوياً ، ولما توفى خلفه ابنه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (٦٩٣هـ) وهذا الملك يعتبر هو المعاصر الأصيل لشيخ الإسلام الذي قضى في عهده جلَّ عمره ، ويتصل به تاريخه الاصلاحي والتجديدي وكان محبا لشيخ الإسلام .

وكان شيخ الإسلام في هذه الأطوار يشارك الناس مشاركة إيجابية فدخل مع المسلمين في حرب التتار بنفسه ولسانه وسنانه ، فكان يعقد المجالس في المسجدالجامع لحضِّ الناس على الجهاد والنفقة وحضر بعض الغزوات بنفسه فشارك في فتح عكا سنة (٦٩٠هـ) وحضر وقعة (شقحب) لما شاع عند الناس أن التتار قد عزموا على القضاء على الدولة الإسلامية في الشام ومصر وأنهم يعدون العدة لذلك ، فانتشر الرعب والفزع بين الناس ، وظهر الارتباك في الدولة بأسرها ، حتى أن السلطان تردد كثيراً في الخروج لملاقاة التتار ، عندئذ لم يترك شيخ الإسلام من طريقة يثبت فيها للناس وأنهم يستطيعون ملاقاة التتار والانتصار عليهم ، إلاوفعلها ولم يفعل ذلك فقط ، بل إنه سار إلى مصر ليستحث السلطان للمجيء بعسكره إلى الشام ويعده

(١) انظر : البداية والنهاية (١٣ / ٢٧٦) .

٠٠٥١٧٨

بالنصر من عند الله في هذه المرة ، ويحذره مغبة التهاون في مثل هذه الأمور وكان مما قاله حينئذ : « لو قُدِّر أنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم النصر ، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه وهم رعاياكم وأنتم المسؤولون عنهم » .

ثم رجع شيخ الإسلام من مصر إلى الشام ولم يلبث أن خرج السلطان من مصر لملاقاة التتار ، واستمر شيخ الإسلام في الاجتماع بكل جيش من جيوش المسلمين على حدة في مكانه ، يَعظُهُمْ ويشجعهم على القتال ويعدهم النصر من عند الله ، ويحلف لهم بالله انكم في هذه المرة منصورون فيقول له بعض الأمراء : قل إن شاء الله فيقول « إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقا » ، وفي شهررمضان سنة (٧٠٢هـ) وقعت المعركة وكان شيخ الإسلام يباشر القتال بنفسه، ويمشي بين الصفوف يشجعهم ويبشرهم ويبين لهم فضل الجهاد ، وكان يكبر تكبيرا كان له أكبر الأثر وانجلت المعركة بهزيمة التتار ونصر الله المسلمين(١) .

ولما حاصر التتار دمشق سنة (٦٩٩هـ) خرج في جماعة من أعيانها لمقابلة قائدهم «قازان» لكي يأخذوا منه الأمان لأهلها ، فحاوره شيخ الإسلام وأغلظ له القول وكان مما قاله بواسطة الترجمان : « أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاضي وامام وشيخ ومؤذنون على على ما بلغنا ، وأبوك وجدك كانا كافرين ، وما عملا الذي عملت ، عاهدا فوفيا وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت » وقد أكرم الله شيخ الإسلام لاخلاصه وقوة ايمانه ، فقذف الله ـ سبحانه وتعالى ـ الرعب والهيبة في قلب ذلك الملك الظالم ، فانصاع لطلب الشيخ وأعطى الأمان لأهل دمشق وحقنت بسببه دماء المسلمين وأعراضهم وممتلكاتهم وخرج من عنده معززا مكرما(٢) .

وكان رحمه الله له منزلة في نفوس الولاة ، فقد كان يؤخذ برأيه في تعيين الشيوخ ومما يدل علي ذلك انه لما توفى الإمام ابن دقيق العيد سنة (٧٠٢هـ) وكان على مشيخة دار الحديث الكاملية ، استلمها الشيخ كمال الدين بن الشريشي وذلك بمشورة من شيخ الإسلام ابن تيمية(٣) وهذا يدل بلا شك على منزلة كبيرة عند العامة وعند أولي الأمر .

---

(١) انظر : الأعلام العلية (ص : ٦٧ ـ ٧١) ، البداية والنهاية (١٤ / ٢٥) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٤ / ٨) .

(٣) انظر : البداية والنهاية (١٤ / ٢٥) .

ومما تقدم يتبين لنا مدى تفاعل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مع واقعه وتلمسه لحاجات مجتمعه ومشاركته فيه مشاركة فعّالة وهذا مثال صادق للعالم العامل ، ويدل أيضا على مدى احساسه بالمسؤولية خاصة أنه من أعلم أهل زمانه بكتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ وأقوال أهل السنة والجماعة وأئمة الفقه والأصول والكلام والفلسفة والتصوف وغيرها ، فما فتأ يناقش ويؤلف ويجادل ويفتي حتى توفاه الله وهو على خير حال .

المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية :

كان من الطبيعي والحالة السياسية ـ كما ذكر ـ أن لاتكون هناك حياة إجتماعية مستقرة، فالحملات الصليبية والتتارية على بلاد الإسلام واختلاط المسلمين بغيرهم ،كان لا بد أن يكون له أثره على مجتمع المسلمين ويكون التأثير السلبي أكثرمن التأثير الايجابي ، خاصة مع وجود التنازع بين أمراء المسلمين ، فيما بينهم فأدى ذلك كله إلى اضطراب الأمن بحيث أصبح لا يطمئن أحد على نفسه وماله وعرضه ،كما أدى ذلك إلى سوء الحالة الاقتصادية وانتشار الفقر فكثر اللصوص وقطّاع الطرق واشتد الغلاء ومما زاد الأمر سوءاً ـ كما يقول الحافظ بن كثير ـ أنه قدم إلى الشام سنة (٧٠١هـ) جراد عظيم أكل الزرع وجرّد الأشجار حتى صارت مثل العصى ، ولم يعهد مثل هذا من قبل فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء[١] فعمد الناس إلى الغش في المبايعات واحتكار الأقوات وتطفيف المكيال والميزان ، وغير ذلك من الآثار الاجتماعية والسيئة التي تصحب دائما عهود الفقر .

وممازاد تلك الحالة الاجتماية سوءا أيضا عدم وجود العلماء المخلصين الذين يُبَصِّرُون الناس ويبينون لهم الحق ويردون على الباطل وأهله .

وفي الجملة فقد كانت الحالة الاجتماعية في ذلك العصر فيها من الفساد والاضطراب الشيء الكثير فكانت الحياة الاجتماعية بحاجة إلى إصلاح شامل يقوم به مصلح جرئ بصير بمواطن الداء وكيفية العلاج .

---

(١) انظر : البداية والنهاية (١٤ / ٢٠) .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية من أولئك المصلحين الذين وفقهم الله إلى صالح القول والعمل ، لازالة المنكرات والمفاسد بيده ولسانه وقلبه وقلمه فقد وضع ـ رحمه الله ـ كتاب «الحسبة في الإسلام » ، وكتاب « السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية » وبيّن فيهما ما يجب على عمال المسلمين من الواجب عمله تجاه تلك الانحرافات ، والنظر في مصالح العامة بمنع الغش والعقوبة عليه وفرض التسعيرات الجبرية عند اشتداد الغلاء ، والضرب على أيدي العابثين والمطففين والمحتكرين . ويذكر ابن كثير أنه في سنة (٦٩٩هـ) دار شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه على الخمارات والحانات فكسروا آنية الخمور وشققوا ما يخزن فيها من الخمور من الظروف وغيرها . وأراقوها وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش ففرح الناس بذلك .

وبيّن ـ رحمه الله ـ في بقية كتبه ككتاب « منهاج السنة النبوية » ما عليه الشيعة والرافضة وفرق الباطنية من انحراف وإباحية وانحلال ، وأنهم يعدون كالطابور الخامس بين المسلمين والدليل علي ذلك أنهم كانوا يغتنمون الفرص التي ينقضّون فيها على المسلمين كما فعلوا ذلك لما انشغل السلطان بقتال الصليبيين والتتار فقتلوا من المسلمين العدد الكثير ونهبوا أموالهم وأسروا رجالهم وعقدوا الأسواق ليبيعوا ما غنموا من متاع ورجال ونساء إلى الصليبيين . فطلب شيخ الإسلام من ولاة الأمر وحثّهم على قتال هؤلاء الباطنية من الشيعة والرافضة والاسماعيلية والنصرية وكانوا يسكنون جبال الجرد وكسروان في شمال الشام ، وكانت من أصعب الجبال تحصيناً ومن أشقها وكان الملوك في السابق لا تقدم علي حرب هؤلاء فخرج شيخ الإسلام سنة (٦٩٩هـ) ومعه خلق كثير من المطاوعة والحوارنة لقتال أهل تلك الجبال بسبب فساد عقائدهم وكفرهم وضلالهم والخروج على الإمام والعصيان لأمره ، وما كانوا عاملوا به عساكر المسلمين لما داهمهم التتار وهربوا فحين اجتاز عسكر المسلمين بيلادهم ، وثبوا عليهم ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وقتلوا كثيرا منهم ، فلما وصل شيخ الإسلام إلى بلادهم جاء رؤوسهم إلى شيخ الإسلام فاستتابهم وبين لكثير منهم الصواب ، وحصل بذلك خير كثير وانتصار عظيم علي أولئك المفسدين والتزموا برد ما كانوا أخذوا من أموال الجيش وقرّر علهم أموالاً كثيرة تدفع إلى بيت المال ، واقطعت أراضيهم وضياعهم وقراهم ، وكانوا قبل ذلك لا يدخلون في طاعة ولي الأمر ولا يلتزمون بإحكام الملة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله(١) .

(١) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ١٢ ـ ٢٠) .

المبحث الثالث : الحالة العلمية والدينية

لم يكن لأحد أن يتوقع نشاطاً في الحركة العلمية والدينية أو رواجاً لسوق الأدب في عصر سادت فيه الأعاجم من الأتراك والمماليك ، واستعجمت فيه الأنفس والعقول والألسن والعادات والسياسات والحكومات وتعاقبت فيه المصائب كلها على المسلمين من كل مكان. فلم يكن عندهم من الأمن والاستقرار ما يمكنهم من الاشتغال بالبحث والتأليف العلمي فقل الانتاج العلمي ، وركدت الأذهان وأقفل باب الاجتهاد ، فحرِّم الأخذ في أصول الدين بغير المذهب الأشعري والماتريدي ، وفي الفقه بغير المذاهب الأربعة ، وأصبح جهد العلماء في ذلك الزمان أن يفهم ما قيل من غير بحث ولا مناقشة ، وعمد العلماء نتيجة لذلك إلى جمع المعلومات المتعلقة بكل فن ، فنظموها في سلك واحد وشرحوها في كتب مطولة أحياناً ومختصرة أحياناً أخرى ، ويمكن أن يلاحظ أنه لا أثر في ذلك للابتكار والتجديد ، لذلك غلبت على كثير من العلماء نزعة التقليد وسيطر عليهم الجمود الفكري وأصبح العالم يقاس بكثرة ما حفظ من كلام أرباب المذاهب وعرف من آرائهم بحيث سمى هذا العصر « بعصر دوائر المعارف » .

وهكذا عصور الضعف دائماً ، تمتاز بكثرة الجمع وغزارة المادة ، مع نضوب في البحث والابتكار . أقول على الرغم من تلك الظروف والأحوال والقلاقل والحروب والمستوى العلمي والديني في ذلك الزمان ، إلا أنه كانت بعض النواحي العلمية في تلك الفترة ما تزال حية ـ وهذه طبيعة هذا الدين ـ فقد نهض في أواسط القرن السابع وأوائل القرن الثامن حتى نهايته علماء كبار أمثال أبي عمرو بن الصلاح (٥٧٧هـ ـ ٦٤٣هـ) والعز بن عبد السلام (٥٧٨ هـ ـ ٦٦٠ هـ) ومحي الدين النووي (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ) وابن دقيق العيد (٦٢٠هـ ـ ٧٠٢هـ) ، وأبو الحجاج يوسف بن زكي المزي (٦٥٤ هـ ٧٤٢ هـ) وابن كثير (٧٠١هـ ـ ٧٧٤هـ) وعلم الدين البزرالي (ت ٧٣٩هـ) وشمس الدين الذهبي (٧٤٨ هـ) وشمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) اضافة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ولا شك أن هؤلاء العلماء وغيرهم كانت لهم اليد الطولى في المحافظة على ما خلفه أئمة السلف من العلم النافع ووقفوا بالمرصاد لمن يحاول النيّل والضرر بهذا الدين وأهله من الحكام وغيرهم .

من أجل ذلك كله يمكن أن نقرر بأن العصر ـ رغم ما حصل فهي وما قيل عنه ـ كان عصرا مجيدا من ناحية الثروة العلمية التي جمعت فيه علوم الشريعة واللغة والتاريخ ، وعلوم الحياة أيضا حتى إنه ليعتبر بحق !! عصر المؤلفات المطولة والموسوعات الجامعة في علوم القرآن والحديث والتفسير والفقه والتاريخ والطبقات ، ولكنه لم يكن فيه من التجديد والابتكار في الآراء حظ كبير يتميز به ، ويتناسب معه ولو إلى حد ما ، مع كثرة ما جمع فيه من معارف وعلوم اللهم إلا ما كان لدى نفر قليل على رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية[١] .

(١) انظر : البداية والنهاية (١٣ / ٢٠) ابن تيمية السلفي محمد خليل هراس (ص : ١٩ ـ ٢٠) .

الفصل الثاني

حياة المؤلف الشخصية

ويتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اسمه ونسبه

المبحث الثاني : مولده ونشأته

المبحث الثالث : وفاته

المبحث الأول : اسمه ونسبه

هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد، ابن العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبدالحليم بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام إبن أبي محمد عبدالله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية النميري الحراني الدمشقي(١) .

فأما نسبته إلى تيمية فقد اختلف في سببها على عدة أقوال .

ـ فقد قيل : إن جده ، محمد بن الخضر ذهب إلى الحج ، وكان له امرأة حامل ، ومرَّ في طريقه إلى الحج علي درب تيماء (أحد طرق ودروب الحج القديمة من الشام إلى الحجاز) فرأى هناك جارية (طفلة) وقد خرجت من خيمة فلما رجع إلى حران وجد أمرأته قد وضعت بنتاً فرفعوها إليه ، فقال يا تيمية يا تيمية أي أنها تشبه تلك الجارية التي رآها بدرب تيماء .

ـ وقيل : إِن جده محمداً كانت امه تسمى تيمية ، وكانت واعظة تقية قد نسب إليها(٢) ولعل هذه الروايات هي أهم ما قيل في سبب تلقيبه بذلك .

ـ أما النميري فهي نسبة آل تيمية ، الجد ، والأب والحفيد إلى قبيلة بني نمير ، فهو عربي الأصل وقد صرح بهذه التسمية ابن ناصر الدين الدمشقي (ت ٨٤٢هـ) في كتابه « التبيان

---

(١) انظر : ترجمته في العقود الدرية (ص : ٢) وما بعدها ، البداية والنهاية (١٣ / ٢٤١) ، الإعلام العلية (ص:١٦)، وذيول العبر (ص : ٨٤) ، تذكرة الحفاظ (٤ / ١٤٩٦) ، وتتمة المختصر لابن الوردى (٢/ ٤٠٦) ، والوافي بالصغيات للصفدي (٧ / ١٥) ، شيخ الإسلام ابن تيمية وأخباره عن المورخين للمنجد (ص : ٤٩) ، فوات الوفيات (١/ ٧٤) ، والدر الكامنة لمحاسن من جاء بعد المائة الثالثة لابن حجر (١/ ١٥٤) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص : ٥١٦) ودرة الحجال (١/٣٠) ، وتذكرة النبية (٢/ ٨٥) ، وشذرات الذهب لابن العماد (٦/٨٠) ، والكواكب الدرية (ص : ٥١) ، والشهادة الزكية (ص : ٢٣) ، وطبقات المفسرين للداودي (١/٤٥) وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢ / ٣٨٧) ، والسلوك (٢/ ٣٠٤) ، والنجوم والزاهرة (٩ / ٢٧١) ، والمنهل الصافي ، ط ٢ (١/ ٣٥٨) والدليل الشافي (١/٥٦) والبدر الطالع (١/ ٢٦٣) ، فهرس الفهارس للكتاني (١/٢٧٤) .

(٢) العقود الدرية (ص : ٢) ، تاريخ إربل (١ / ٩٧) ، سير أعلام النبلاء (٢٢ / ٢٨٩) .

لبديعة البيان »[١] وكذلك القاضي نور الدين محمود العدوي الصالحي الزوكاوي (ت١٠٣٢) في كتابه « الزيارات »[٢] .

ـ أما الحراني فهي نسبة مكانية إلى مدينة حرّان ـ بتشديد الراء ـ وهي مدينة مشهورة من أرض الجزيرة بين دجلة والفرات وهي قصبه ديار بكر وهي على طريق الموصل الشام ، وقد كانت في القرن السادس والسابع والثامن مهد العلم والعلماء ، وقد كانت من قبل من أهم مراكز الديانات القديمة ، وهي الآن بلدة عامرة بتركيا قريبة من مدينة اورفه »[٣] .

المبحث الثاني : مولده ونشأته وأسرته

ولد شيخ الإسلام أحمد بن تيمية بحرّان يوم الاثنين عاشر ، وقيل ثاني عشر من ربيع الأول عام إحدى وستين وست مائة (٦٦١هـ) ونشأ بها نشأته الأولى إلى أن بلغ السابعة من عمره ، حيث سافر به والده مع والدته وأخوته بسبب أوضاع ديار بني بكر وما حولها من حرّان التي كانت أحوالها سيئة ، بعد أن استولى عليها التتار فوصلوا إلى دمشق سنة (٦٦٧هـ) واستوطنوها وإليها ينتسب فيقال الدمشقي[٤] .

وقد اشتهرت أسرة شيخ الإسلام بالعلم والمكانة فجده مجد الدين عبدالسلام بن عبدالله من العلماء الأعلام شيخ الإسلام في عصره ، صاحب كتاب « منتقى الأخبار » « والمحرر » في

---

(١) مخطوط وصورته بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم ١٧٦ الطبقة الحادية والعشرين ، وطبع ضمن الجامع لسيرة ابن تيمية (ص : ٤٢٦) ، وانظر العقود الدرية لابن عبد الهادي (ص : ٢) الشهادة الزكية لمرعي الكرمي (ص:٢٣) .

(٢) (ص :٩٤) برقم (٩) وفي هذا رد على دعوى الشيخ محمد أبي زهره في كتابه ابن تيمية (ص :٨) بأن ابن تيمية كردى وأن أصوله ليست عربية .

(٣) انظر : معجم البلدان لياقوت (٢/ ٢٣٥) ومراصد الاطلاع (١/ ٣٨٩) ، ومعجم ما استعجم (١/ ٤٣٥) ، وأحسن التقاسيم (ص : ١٤١) والروض المعطار (ص : ١٩١) ، ومختصر كتاب البلدان (ص: ١٣٢) ، وحياة ابن تيمية لمحمد بهجة البيطار (ص : ٨) .

(٤) انظر : الإعلام العليه للبزار (ص : ١٦) ، عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي (٢٢ / ٣٣٩) ، الإمارات الرتقية في الجزيرة والشام لعماد الدين خليل (ص : ٣٢٩ ، ٤٤١) .

فقـه الحنابلة ، قال عنـه الذهبي : «كان إماماً كاملاً معدوم النظير في زمـانه ، رأساً في الفـقه وأصوله ، بارعاً في الحديث ومعانيه ، له اليد الطولى في معرفة القراءات والتفسير »(١) . وقال جمال الدين بن مالك النحوي المشهور : « أُلينَ للشيخ المجد ـ مجد الدين ابن تيمية ـ الفقه كما أُلينَ لداوود الحديد »(٢) .

أما والده فهو شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام من أكـابر علماء بلده ، حرّان قال عنه الذهبي : « ذو الفنون ... صار شيخ حرّان وحاكمها وخطيبها بعد موت والده »(٣) . وقال ابن كثير : « مفتي الفرق ، الفارق بين الفرق ، كانت له فضيلة حسنة ولديه فضائل كبرى »(٤) وقال ابن شاكر الكتبي: «كـان إماماً في التـفسير ، مبرزاً في المذهب والخلاف وأصول الدين والنحو واللغة ، وله معرفـة تامة بعلم الحساب والجبر والهندسة ، وكان يعـرف علوماً كثيرة وكان حسن الأخلاق لطيفاً »(٥).

أما والدته فـهي ست النعم بنت عبد الرحـمن بن علي بن عبدوس الحرانية عمـرت فوق السبعين توفيت سنة ٧١٦هـ(٦) .

ولشيخ الإسلام ثلاثة من الإخوة اشتهروا بالعلم والفضل والإمامة وهم :

أ ـ أخـوه لأمه ، بدر الدين أبـو القاسم مـحمد بن خـالد الحراني ولد سنة (٦٥٠هـ) تقريباً وتوفي سنة (٧١٧هـ) كان فقيهاً إماماً تولى التدريس عن أخيه تقي الدين(٧) .

ب ـ شقـيقـه زين الدين عبـد الرحمـن بن عبد الحليم ولد سنة (٦٦٣هـ) وتوفى سنة (٧٤٧هـ) كان زاهداً عـابداً كمـا كان يعـمل بالتجـارة حبس نفـسه مع أخيـه تقي الدين في الاسكندرية ودمشق ليخدمه(٨).

---

(١) معرفة القراء الكبار (٢ / ٦٥٤) ط الرسالة المحققة .

(٢) معرفة القراء الكبار (٢ / ٦٥٤) ، سير أعلام النبلاء (٢٣ / ٢٩٢) .

(٣) العبر في خبر من غبر ٣ /٣٤٩ ـ ٣٥٠ .

(٤) البداية والنهاية (١٣ / ٣٠٣).

(٥) عيون التواريخ (٢٢ / ٣٣٩)، وانظر : وذيل طبقات الحنابلة (٢ /٣١٠) وشذرات الذهب (٥ / ٣٧٦) .

(٦) البداية والنهاية (١٤ / ٧٩).

(٧) ذيل طبقات الحنبالة (٢ /٣٧٠)، شذرات الذهب (٦/ ٤٥) .

(٨) البداية والنهاية (١٤ / ٢٢٠) ، الدر الكامنة ٢ / ٤٣٧)، شذرات الذهب (٦ / ١٥٢).

جـ ـ شقيقه شرف الدين عبد الله بن عبد الحليم ولد سنة (٦٦٦هـ) وتوفي (سنة ٧٢٧هـ) لما كان شيخ الإسلام محبوساً في قلعة دمشق ،كان عالماً متبحراً ، ذهب مع أخيه إلى مصر وناظر خصومه وحده فانتصر عليهم(١).

في هذه البيئة العلمية الصالحة كانت نشأة شيخ الإسلام ابن تيمية فنشأ أتم نشأة وازكاها وأنبته الله أحسن النبات وأوفاه ، وكانت مخايل النجابة عليه في صغره لائحة ، ودلائل العناية فيه واضحة ، تربى شيخ الإسلام في كنف والده فتلقى عنه وعن غيره من شيوخ عصره ولم يقتصر على التلقي عن المعاصرين له وانما اتجه إلى مؤلفات من سبقه من العلماء حفظاً واطلاعاً ويمكننا أن نلحظ في حياته النقاط المضيئة الآتية :

١ ـ قوة حافظه وسرعة ادراكه لما يسمع أو يقرأ وذكر من ترجموه لذلك قصصاً عجيبة(٢).

٢ ـ محافظة على الوقت منذ صغره ، وذُكِرَ لذلك حكايات ، ولذلك سار بقية حياته في عمل واجتهاد ، فهو اما في تدريس أوجهاد أو أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر ، أو تأليف للكتب أو رد على الفتاوى أو مناقشة ومحاورة للمخالفين(٣) .

٣ ـ قوة تأثيره وسلامه حجته منذ بدء حياته العلمية ، حيث أسلم على يديه يهودي وهو صغير(٤) .

٤ ـ بدؤه بالافتاء والتدريس في وقت مبكر ، فقد أفتى وعمره (١٩) سنة ،كما درّس بدار الحديث السكرية مكان والده سنة (٦٨٣هـ) وكان والده قد توفى سنة (٦٨٢هـ)(٥) .

---

(١) العقود الدرية (ص: ٣٦١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٨٢، شذرات الذهب٦/٧٦، جلال العينين (ص: ٤٢)ط المدني .

(٢) انظر : العقود الدرية (ص : ٤) ، الكواكب الدرية (ص ٨٠) . ذكر ابن عبد الهادي قصة عجيبة في سرعة حفظ شيخ الإسلام فقال : « اتفق أن بعض مشايخ حلب قدم إلى دمشق، وقال: سمعت في البلاد بصبي يقال له: أحمد بن تيمية وأنه سريع الحفظ وقد جئت قاصداً لعليّ أراه، فقال خيّاط : هذا طريق كُتّابه وهو إلى الآن ما جاء فاقعد عندنا الساعة يجيئ ، يعبر علينا ذاهباً إلى الكتاب ، فجلس الشيخ الحلبي قليلاً فمر صبيان فقال الخيّاط للشيخ الحلبي : هذاك الصبي الذي معه اللوح الكبير، هو أحمد بن تيمية فناداه الشيخ، فجاء إليه فتناول الشيخ اللوح فنظر فيه ثم قال : يا ولدي امسح هذا حتى أملي عليك شيئا تكتبه ففعل ، فأملى عليه متون بعض الأحاديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثاً وقال له : إقرأ هذا فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه ثم دفعه إليه وقال : اسمعه عليَّ فقرأه عليه عرضاً كأحسن ما أنت سامع ، فقال : يا ولدي امسح هذا فقام الشيخ وهو يقول : إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم فإن هذا لم يُرَ مثله » العقود الدرية (ص : ٤) المقصد الأرشد (١/١٣٥) الرد الوافر (ص : ٢٨٨) .

(٣) انظر : الرد الوافر (ص : ٢١٨) شيخ الإسلام ابن تيمية للمنجد (ص : ٥١) .

(٤) الإعلام العلية (: ٢١٧) ، البداية والنهاية (١٤ / ١٩) .

(٥) البداية والنهاية ١٣ /٣٤١ ، العقود الدرية (ص: ٤) ، وذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٣٨٨ ، والرد الوافر (ص : ١٤٦) .

٥ ـ عنايته بكافة المصادر العلمية في مختلف الفنون ، فقد قرأ التفسير وعلوم القرآن والسنة فقرأ الكتب الستة ومسند أحمد وسنن الدارقطني ومعجم الطبراني ، وما يتعلق بها من علوم الحديث والرجال والفقه وأصوله وأصول الدين ومقالات الفرق واللغة والنحو والخط والحساب والتاريخ ، اضافة إلى علوم أخرى من فلك وطب وهندسة وفلسفة وهذا يتضح من خلال ما كتب وألف من فتاوى ورسائل وغيرها ، فقلما يتطرق إلى فن من الفنون إلاويظنه القارئ متخصصا في هذا الفن(١) .

المبحث الثالث : وفاته

توفى شيخ الإسلام في قلعة دمشق مسجوناً مظلوماً في ليلة الاثنين ، للعشرين من شهر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مائة (٧٢٨هـ) وعمره سبع وستون (٦٧) سنة(٢) .

وكانت وفاته على إِثر مرض أَلَمَّ به أياماً يسيرة ولما كان الشيخ ـ رحمه الله ـ قد ضُيِّقَ عليك في آخر أيامه ـ خاصة بعد إخراج كتبه وأوراقه ـ فقد كانت وفاته مفاجأة للناس جميعاً ، فقد أصيبوا بصدمة ، وما كادوا يعلمون بوفاته صباح الاثنين حتى خرجوا جميعاً في جنازته واشتد زحامهم عليها .

وقد اعتبرها المؤرخون من الجنائز النادرة ، فيشبهونها بجنازة الامام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ في بغداد ، ومعلوم أن شيخ الإسلام مات في دمشق وهي صغيرة بالنسبة لبغداد وليست عاصمة الخلافة ، كما أن شيخ الإسلام مات مسجوناً مسخوطاً عليه من جهة السلطان ، بتدبير من بعض الفقهاء والصوفية وكان يذكرون للناس عنه ـ مما يسيء ـ أشياء كثيرة ومع ذلك كنت جنازته مشهورة مشهودة من أنصاره وخصومه .

وقد غُسِّلَ وكُفِّنَ وأخرج وصُلِّي عليه أولاً بالقلعة ، ثم صُلِّي عليه بجامع دمشق عقب صلاة الظهر ، ودفن في عصر ذلك اليوم ، ورثاه كثير من الفضلاء وصُلِّى عليه صلاة الغائب في مصر والشام والعراق واليمن وكثير من البلاد .

يقول الحافظ بن حجر : « ولو لم يكن من فضل هذا الرجل ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ إلا ما نبه عليه الحافظ الشهير ، علم الدين البرزالي في تاريخه انه لم يوجد في الإسلام من

---

(١) انظر : العقود الدرية (ص : ٣ ـ٧) الوافي بالوفيات (٧ / ١٦) ، تاريخ ابن الوردى (٢ / ٤٠٨) الأعلام العلية (ص:٨) ذيل طبقات الحنابلة (٢ /٣٨٨) .

(٢) البداية والنهاية (١٤ / ١٤١) .

اجتمع في جنازته لما مات ما اجتمع في جنازة الشيخ تقي الدين - ابن تيمية - لكفى ، وأشار إلى أن جنازة الإمام أحمد كانت حافلة جدا ، شهدها مئات الألوف ، لكن لو كان بدمشق من الخلائق نظير ماكان ببغداد أو أضعاف ذلك لما تأخر أحد منهم عن شهود جنازته وأيضاً فجميع من كان ببغداد إلا الأقل كانوا يعتقدون امامة الإمام أحمد وكان أمير بغداد وخليفة الوقت إذ ذاك في غاية التعظيم والمحبة له ، بخلاف ابن تيمية فكان أمير البلد حين مات غائباً ، وكان أكثر من بالبلد من الفقهاء قد تعصبوا عليه حتى مات محبوسا في القلعة ، ومع هذا فلم يتخلف منهم عن حضور جنازته والترحّم عليه والتأسف عليه إلا ثلاثة أنفس ، تأخروا خشية على أنفسهم من العامة ، ومع حضور هذا الجمع العظيم فلم يكن لذلك باعث إلا اعتقاد امامته وبركته لا بجمع سلطان ولا غيره ، وقد صح عن النبي أنه قال : « **أنتم شهداء الله في الأرض** »(١)،(٢) .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ثناء الناس على الميت (٣ / ٢٣٠) ، ومسلم في كتاب الجنائز ، باب في من يثنى عليه خيرا أوشراً من الموتى (٦٥٥/٣) .

(٢) الرد الوافر انظر : تقريظ الحافظ بن حجر (ص : ٢٢٩ - ٢٣٠) ، وانظر العقود البدرية (ص: ٣٦١ - ٥٠٢) والشهادة الزكية (ص:٥١٠) ، والدرر الكامنة (١ /١٥٩) وذيل طبقات الحنابلة (٣ / ٤٠٥) .

الفصل الثالث

شخصية المؤلف العلمية

ويتكون من خمسة مباحث:

المبحث الأول: طلبه للعلم وتحصيله

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه

المبحث الثالث: آثاره العلمية ومصنفاته

المبحث الرابع: جهاده وأثره في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المبحث الخامس: مكانته وثناء العلماء عليه

المبحث الأول : طلبه للعلم وتحصيله :

تقدم أن شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ انتقل إلى دمشق وعمره سبع سنوات ، ودمشق آنذاك مجمع العلماء ومقصد طلاب العلم ولذلك كان لها أثر كبير في تنمية مواهب شيخ الإسلام واشباع رغباته ، فانصرف إلى طلب العلم وتحصيله ، فحفظ كتاب الله وختمه وهو صغير ثم اشتغل بحفظ الحديث ، فحفظ كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي ، ثم اشتغل بالفقه واللغة وتعلم الخط والحساب ، وتأمل الكتاب لسيبويه حتى فهمه ، وأقبل على التفسير إقبالاً شديداً حتى أتقنه وسبق أقرانه ، واحكم أصول الفقه وغير ذلك من العلوم التي كانت سائدة في عصره كل هذا وهو ابن بضع عشرة سنة ، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه وسرعة ادراكه وقوة حافظته(١) .

يقول الإمام الذهبي : « ما رأيته إلا ببطن كتاب »(٢) .

وقال الحافظ البزار : « أمده الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم وبُطْئ النسيان »(٣) .

وقال الإمام ابن دقيق العيد : « لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع منها ما يريد »(٤).

ولقد تعجب السيوطي من معرفة شيخ الإسلام بالمنطق والفلسفة مع علمه بالكتاب والسنة فقال : « فإن برعت في الأصول وتوابعها من المنطق والحكمة والفلسفة وآراء الأوائل ومجاراة العقول ، واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسنة وأصول السلف ولفقّت بين العقل والنقل ، فماأظنك في ذلك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقاربها ... »(٥) .

وما زال يتقدم في ميادين العلم أخذاً وعطاءاً ، حتى أصبح امام عصره وشيخ الإسلام في زمانه وذلك لتميزه في أصول الدين والتفسير والحديث وعلومهما والفقه والأصول والفلسفة وعلم الكلام وغيرها من العلوم .

---

(١) العقود الدرية (ص : ٣) .
(٢) معجم الشيوخ (١ / ٥٦) .
(٣) الاعلام العلية (ص : ٩) .
(٤) الرد الوافر (ص: ١٠٧) .
(٥) انظر : ابن تيمية للشيخ محمد أبو زهرة (ص : ١١٦) .

فأما في أصول الدين ، فمنهجه في دراسة العقيدة والدفاع عنها وكتاباته ومؤلفاته في كافة فنون العقيدة ، من تقرير لمسائل الاعتقاد ورده على المخالفين من الفرق الإسلامية والفرق المنتسبة إلى الإسلام ، والمتصوفة وأهل الديانات الكتابية شاهدة على ذلك والتي منها كتاب «الايمان» و « شرح حديث جبريل » و « الاستقامة » و « اقتضاء الصراط المستقيم » و « الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن » ، و «شرح الأصبهانية » و « العقيدة التدمرية » و «الحموية» و « الواسطية » وكتاب « درء تعارض العقل والنقل » و « منهاج السنة النبوية » وكتاب «الصفدية » و « بيان تلبيس الجهمية » و « الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح » وغيرها مما يدل على تميّزه ودقته منهجاً وتطبيقاً وتقريراً ودفاعاً عن الدين ضد من أرادوا النيل منه إما من المبتدعة أو أهل الديانات الأخرى(١) .

أما في التفسير وأصوله ، فقد شُهِرَ عن شيخ الإسلام براعته في التفسير وبيان قواعد التفسير وأصوله ، حتى إنه لما تُوفى ـ رحمه الله ـ نودي للصلاة عليه بهذه العبارة : « الصلاة على ترجمان القرآن » .

قال ابن عبد الهادي : « وأما التفسير فسُلِّمَ اليه ، وله في استحضار الآيات من القرآن وقت إقامة الدليل بها على المسألة قوة عجيبة ، واذا رآه المقرئ تحير فيه ولفرط امامته في التفسير وعظمة اطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين ، ويوهي أقوالا عديدة وينصر قولا واحد واصفا لما دل عليه القرآن والحديث وكان ـ رحمه الله ـ يقول ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير »(٢) . « وكان يقول : إني وقفت على مائة وعشرين تفسيراً استخلص من الجميع الصحيح الذي فيها »(٣) .

أما تميزه في الحديث وعلومه ، فقد نُصَّ على امامته وثقافته العالية ، وتضلعه بعلم الحديث ورجاله ، فقد قال عنه الحافظ علم الدين البرزالي : « وأما الحديث فكان حامل رايته ،

---

(١) العقود الدرية (ص : ٣٦١) ، الشهادة الزكية (ص : ٥١) .

(٢) العقود الدرية (ص : ٢٥ ، ٤٣) .

(٣) المقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق عدنان زرزور (ص : ١١ ـ ١٢) .

حافظاً له مميّزاً بين صحيحه وسقيمه ، عارفاً برجاله متضلعاً من ذلك»(١) ، وقال الذهبي : « ما رأيت أشد استحضاراً لمتون الأحاديث منه وعزوها إلى الصحيح أو المسند أو السنن كأن ذلك نُصْبَ عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة شيقة حلوة وافحام للمخاطب »(٢) وقال أيضاً : «يصدق عليه أن يقال : كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الاحاطة لله ، غير أنه يغترف من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي »(٣) .

أما تميزه في الفقه وأصوله فقد حكى عنه معاصروه بأنه قلّ أن يتكلم في مسألة إلاويذكر فيها أقوال الأئمة الأربعة المتبوعة ، وأقوال المذهب الواحد إذا تعددت أو مذاهب الصحابة ومن بعدهم من التابعين ، وقالوا فيه : إنه خالف المذاهب الأربعة في مسائل ، واحتج لها بالكتاب والسنة . قال ابن الزملكاني : « اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ، وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذاجلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه من قبل ذلك »(٤) وكان رحمه الله يتسامى عن التقليد، بل يحب الدليل ويحرص عليه ويدعو إليه ، بحيث كان اذا أفتى لا يلتزم بمذهب معين ، بل بما يقوم دليله عنده ، وما كان ذلك إلا نتيجة لسعة علمه بالكتاب والسنة وأقوال أئمة السنة ووجوه دلالات تلك النصوص حتى قالوا عنه إنه من أصحاب الاجتهاد المطلق الذي لم يتقيد بمذهب من المذاهب(٥) .

أما ثقافته في الفلسفة وعلم الكلام ومدارسه ودراسته لفن المقالات والفرق ، فقد عُرِفَ عنه واشتهر، انه درس كل ما عرف في عصره من نحلٍ وفرقٍ ومذاهب فلسفية ومنطقية وكلامية وصوفية وغيرها ، فلم يكتف ـ رحمه الله ـ بالوقوف من الفلسفة ، والمنطق وعلم الكلام والتصوف موقفاً سلبياً بأن حرّم التعامل معها ، بل درسها ومحّصها لا ليطلب الحقائق من ورائها ، بل ليبين ما يعارض الدين منهما ، فعنده فيما جاءه عن النبي ـ ﷺ ـ ما يكفيه ، بل درسها ليبين خبثها بعد معرفته بها ، والاطلاع عليها حتى لا يغتر الناس ببهرجها ، وليستطيع

---

(١) الرد الوافر (ص :٢٠٥) .

(٢) الوافي بالوفيات (ص ٧ : ١٧) .

(٣) انظر : العقود الدرية (ص : ٢٥) .

(٤) الرد الوافر (ص : ١٠٥) .

(٥) انظر : ابن تيمية السلفي (ص : ٥٤) ومحمد لقمان السلفي ، شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٢٧) .

يحدد بعد ذلك طرق العلاج التي استنبطها من القرآن والسنة »(١) وبين أيدينا اليوم كتاب الرد على المنطقين وكتاب درء تعارض العقل والنقل ومنهاج السنة ، ونقض تأسيس جهمية وغيرها وهي تدل دلالة واضحة على مدى ثقافته الفلسفية والمنطقية العميقة .

ولم يسلم أحد من فرق المتكلمين والصوفية ، والرافضة من نقده ، فقد عرض بالنقد الشديد لأوائل المتكلمين من القدرية الأوائل ، والجهمية وغلاة الشيعة الأوائل والمعتزلة والمرجئة والأشاعرة والكرامية والكلابية ، والماتريدية وغيرهم من فرق المتكلمين والشيعة والصوفية ، وكثيرمن أحكامه وتقريراته حول ما كتبه عن تلك الفرق وما تعرّض لهم في نقده لأصولهم يدل على ثاقب فكره وبعد نظره، وأثر هؤلاء على أصول الدين وخطورة ما قالوه في هذا الباب العظيم ، والذي يميز شيخ الإسلام في هذا الباب بحق ، أنه صاحب قضية وصاحب منهج واضح ، وقد وظّف هذا المنهج في جميع كتبه فما تغيرت طريقته ولا وقع في التناقض، كما حدث لغيره حتي إن الإنسان ليحتار أي كتبه ألفّه أولا ، ليس هناك مراحل في منهجه وحياته كما حدث لغيره ، وإنما هو منهج واحد وطريق واحد في جميع القضايا التي طرحها في كتبه ، إنه التزام بطريق السلف ، ومنهج السلف في القول والعمل والاعتقاد . يقول البزار ناقلاً عنه الجواب عن سبب اهتمامه بأصول الدين : « ولقد أكثر ـ رضي الله عنه ـ التصنيف في الأصول ، فضلاً عن غيرها من بقية العلوم ، فسألته عن سبب ذلك ، والتمست منه تأليف نص في الفقه يجمع اختياراته وترجياته ليكون عمدة في الافتاء فقال لي ما معناه : « الفروع أمرها قريب فإذا قلّد المسلم أحد العلماء المقلدين جاز له العمل بقوله ، مالم يتيقن خطأه ، أما الأصول: فإني رأيت أهل البدع والضلالات والأهواء ، كالمتفلسفة والباطنية والملاحدة والقائلين بوحدة الوجود والدهرية والقدرية والنصيرية والجهمية والحلولية والمعطلة والمجسمة والمشبهة والراوندية والكلابية وغيرهم من أهل البدع ، قد تجاذبوا فيها بأزمة الضلال وبان لي أن كثيراً منهم انما قصد إبطال الشريعة المقدسة المحمدية الظاهرة العلية على كل دين ، وأن جمهورهم أوقع الناس في التشكيك في أصول دينهم ، ولهذا قل أن سمعت أو رأيت معرضا عن الكتاب والسنة مقبلا على مقالاتهم إلا وقد تزندق أو صار على غير يقين في دينه واعتقاده ... »(٢).

---

(١) مقارنة بين ابن تيمية والغزالي د . محمد رشاد سالم (ص : ٤٦) وانظر ابن تيمية السلفي (ص : ٢٧) .

(٢) الأعلام العليه (ص : ٣٣ ـ ٣٤) .

فشيخ الإسلام يرى أن سبب تركيزه وإطالة النفس على هذه الجوانب ـ جوانب أصول الدين والرد على مقالات الفرق والمتفلسفة والصوفية ـ ما رأي عند هذه الطوائف من ضلالات ترمي إلى زعزعة أصول العقيدة والشريعة ، وان الذين ردوا عليها من أهل الكلام اتبعوا مناهج واصطلاحات الفلاسفة فساعدوا بمضمون كلامهم في هدم قواعد دين الإسلام ، فرأى أنه لابد من بيان الحق وتقريره صافيا ، والرد على هذه المقالات بالأدلة النقلية الصحيحة والأدلة العقلية الصريحة .

والخلاصة أن شيخ الإسلام قد أحاط بمعظم أنواع الفكر في عصره ، وألمَّ بجميع ألوان الثقافة العقلية من شرعية وكلامية وفلسفية ، ثم اعمل في ذلك كله عقله النافذ وذهنه السيّال المستضيئ بنور الوحيين فأخرج لنا فلسفة نقدية ـ ان صح التعبير ـ غاية في القوة والخصوبة والطرافة (١) .

المبحث الثاني : شيوخه وتلاميذه

أولاً : شيوخه :

لقد بذل شيخ الإسلام غاية جهده في طلب العلم وتحصيله من أبوابه فتتلمذ على شيوخ كثيرين زادوا على مئتي شيخ وشيخه(٢) ، وقد خرّج لنفسه مشيخة ـ رواها عنه الذهبي ـ روى فيها أربعين حديثا عن أكثر من أربعين شيخا وشيخه(٣) ومن خلال تلك المشيخة يمكن معرفة بعض شيوخه وهم :

١ ـ والده الشيخ شهاب الدين أبو المحاسن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية النميري (ت٦٧٢هـ)(٤) .

٢ ـ أبو العباس زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة الله بن أحمد المقدسي (ت٦٦٨هـ)(٥) .

---

(١) انظر : ابن تيمية السلفي (ص : ٢٧ ـ ٢٨) .

(٢) القعود الدرية (ص : ٤) .

(٣) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٨/ ٧٦ ـ ١٢١) ونشرت مستقلة بعناية عبد العزيز السيروان عن دار القلم ـ بيروت ـ ١٤٠٤هـ .

(٤) البداية والنهاية (١٣ / ٢٨٧) والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (١/ ٧٤) ، ولم يذكر والده في تلك المشيخة .

(٥) البداية والنهاية (١٣/ ٢٤٤) شذرات الذهب (٦ / ٣٣٣) .

٣ ـ كمال الدين أبو النصر عبد العزيز بن عبد المنعم بن الخضر بن شبل عبد الحارثي (٥٨٩ ـ ٦٧٢هـ)[١].

٤ ـ تقي الدين أبو محمد اسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر التنوخي (٥٨٩ ـ ٦٧٢هـ) [٢].

٥ ـ سيف الدين أبو زكريا يحي بن عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الحنبلي (ت٦٦٩هـ)[٣] .

٦ ـ عماد الدين أبو محمد أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن عبد الواسع الهروي (٥٩٤ ـ ٦٧٣ هـ)[٤] .

٧ ـ زين الدين أبو العباس المؤمل بن محمد بن علي بن محمد بن منصور البالسي (٦٠٢ ـ ٦٧٧ هـ) [٥] .

٨ ـ رشيد الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد بن سليمان العامري (ت٦٨٠هـ)[٦].

٩ ـ كمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع الحرّاني ابن الصيرفي (ت٦٧٨هـ)[٧] .

١٠ ـ أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن غدير بن القواس الطائي (ت٦٨٢هـ)[٨] .

١١ ـ أبو عبد الله محمد بن بدر بن محمد بن يعيش الجزري (ت ٦٧٥هـ)[٩] .

---

(١) شذرات الذهب (٥ / ٣٣٨) . ، العبر (٥ / ٢٩٩) .

(٢) تذكرة الحفاظ (٤ / ١٤٩٠) الوافي بالوفيات (٩ / ٧١) .

(٣) شذرات الذهب (١/ ٣٤٠) ، تذكرة الحفاظ (٤ / ١٤٩١) .

(٤) الدر الكامنة (١/ ٤٨٩) .

(٥) البداية والنهاية (١٣ / ١٥٠) ، شذرات الذهب (٧ / ٣٨١).

(٦) شذرات الذهب (١/ ٣٨١) .

(٧) العبر (٥ / ٣٢١) ، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٩٥) .

(٨) العبر (٥ / ٣٤١) النجوم الزاهرة (٧ / ٣٦١) .

(٩) شذرات الذهب (٥ / ٣٤٥) .

١٢ - زين الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن أبي الفرج بن أبي طاهر المعروف بابن السديد الأنصاري (٥٨٥ - ٦٧٠ هـ)[١] .

١٣ - الشيخ المقرئ كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن اسماعيل بن فارس التميمي السعدي (٥٩٦ - ٦٧٦هـ)[٢] .

١٤ - زين الدين أبو العباس أحمد بن أبي الخير سلامة بن إبراهيم بن سلامة الحداد الدمشقي (٦٠٩ - ٦٧٨هـ)[٣] .

١٥ - أمين الدين أبو محمد القاسم بن أبي بكر بن قاسم بن غنيمه الأربلي (٥٩٥ - ٦٨٠هـ)[٤] .

١٦ - شمس الدين أبو بكر بن عمر بن يونس المزي الحنفي(٦٩٣ - ٦٨٠هـ)[٥] .

١٧ - شمس الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عطاء بن حسن الحنفي (٥٩٥-٦٧٣هـ)[٦] .

١٨ - شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبي عمر بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامه المقدسي الحنبلي(٥٩٧ - ٦٨٢هـ)[٧] .

١٩ - مجد الدين أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن عثمان بن المظفر بن هبة الله بن عساكر الدمشقي(٥٨٧ - ٦٦٩هـ)[٨] .

---

(١) شذرات الذهب (٥ / ٣٣٢) .

(٢) الوافي بالوفيات (٥ / ٦٠٩) غاية النهاية (١ / ٦) .

(٣) طبقات الحنابلة (٢ / ٤٦٢) ، العبر (٥ / ٣١٩) .

(٤) تذكرة الحفاظ (٤ / ١٤٦٥) شذرات الذهب (١/ ٣٦٧) .

(٥) لم أعثر على ترجمته .

(٦) العبر (٣٠١/٥) البداية والنهاية (٢٦٨/١٣) .

(٧) شذرات الذهب (٣٧٦/١) ذيل طبقات الحنابلة (١٤٢/٢ ، ٣٠٤) .

(٨) العبر (٥ / ٢٩٢) شذرات الذهب (٦ / ٣٣١) .

٢٠ ـ شمس الدين أبو الغنايم المسلم بن محمد بن المسلم بن علان القيسي (٥٩٤ـ٦٨٠هـ)(١).

٢١ ـ عماد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الصعر بن السيد بن الصانع الأنصاري(٢).

٢٢ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوي بن الحسين الدرجي القرشي (٥٩٩ـ٦٨١هـ)(٣) .

٢٣ ـ نجيب الدين أبو المرهف المقداد بن أبي القاسم هبه الله بن علي القيسي (٦٠٠ـ٦٨١هـ)(٤) .

٢٤ ـ أبو عبد الله محمد بن عامر بن زبي بكر الغسولي المقري (ت٦٨٤هـ)(٥) .

٢٥ ـ فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي (٥٩٥ـ٦٩٠هـ)(٦) .

٢٦ ـ أبو العباس أحمد بن شيبان بن تغلب بن حيدره الشيباني العطار (٥٩٩ـ٦٨٥هـ)(٧).

٢٧ ـ أبو يحيى اسماعيل بن أبي عبد الله بن حماد بن عبد الكريم العسقلاني (٥٩٩ ـ٦٨٢هـ)(٨) .

٢٨ ـ كمال الدين أبومحمد بن عبد الرحيم بن عبد الملك بن يوسف بن قدامة المقدسي (٥٩٨ـ ٦٨٠هـ)(٩).

٢٩ ـ زين الدين أبو بكر محمد بن أبي طاهر اسماعيل بن عبد اله بن عبد المحسن الأنماطي (٦٩١ـ٦٨٤هـ)(١٠) .

---

(١) النجوم الزاهرة (٧ / ٣٥٣) .

(٢) لم أجد له ترجمة ولا ذكرته المصادر .

(٣) العبر (٥ / ٣٣٥) .

(٤) العبر (٥ / ٣٣٦) شذرات الذهب (٥ / ٣٧٤) .

(٥) شذرات الذهب (٥ / ٣٨٩) .

(٦) شذرات الذهب (٥/ ٤١٤) ، ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٣٢٥) .

(٧) شذرات الذهب (٥ / ٣٩٠) .

(٨) لم أعثر له على ترجمة .

(٩) لم أعثر له على ترجمة .

(١٠) العبر (٥ / ٣٤٩) شذرات الذهب (٥ / ٣٨٨) .

٣٠ ـ شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك بن عثمان بن عبد الله بن سعد المقدسي (٦٠٦-٦٨٩هـ)(١) .

٣١ ـ نجم الدين أبوالعز يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيباني (٦٠٦ ـ ٦٩٠هـ)(٢) .

٣٢ ـ جمال الدين أبو حامد محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن علي الصابوني (٦٠٤-٦٨٠)(٣).

٣٣ ـ شمس الدين أبو غالب المظفر بن عبد الصمد بن خليل الأنصاري (٦٠٦-٦٨٨هـ)(٤) .

٣٤ ـ محي الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي عصرون التميمي (٥٩٩ ـ ٦٨٢هـ)(٥) .

٣٥ ـ نفيس الدين أبو قاسم هبة الله بن محمد بن علي بن جرير الحارثي الشافعي (ت٦٨٠هـ)(٦) .

٣٦ ـ الجمال بن أحمد بن أبي بكر بن سليمان الواعظ الحموي (٦٠٠ ـ ٦٨٧هـ)(٧) .

٣٧ ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الكمال عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي (٦٠٧ ـ ٦٨٨ هـ)(٨) .

٣٨ ـ أبو محمد عبد الرحمن بن عباس الفاقوسي (٦٠٧ ـ ٦٨٢ هـ)(٩) .

٣٩ ـ الشيخة الجليلة : أم الخير ست العرب بنت يحيى بن قايماز بن عبد الله الناجية الكِنْدِية (٥٩٩ ـ ٦٨٤هـ)(١٠) .

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٢٣) .

(٢) الوافي بالوفيات (٤ / ١٨٨) .

(٣) تذكرة الحفاظ (٤ / ١٤٦٤) العبر (٥ / ٣٣٢) .

(٤) لم أعثر له على ترجمة .

(٥) العبر (٥ / ٣٩٩) .

(٦) لم أعثر له على ترجمة .

(٧) شذرات الذهب(٥ / ٤٠٠) .

(٨) ذيل اطبقات الحنابلة (٢/ ٣٢٠) .

(٩) لم أعثر له على ترجمة .

(١٠) شذرات الذهب (٥ / ٣٨٥) .

٤٠ ـ الشيخة الجليلة : أم العرب فاطمة بنت أبي القاسم علي بن أبي محمد القاسم بن أبي القاسم علي بن الحسن بن هبةالله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر (٥٩٨-٦٨٣هـ)(١).

٤١ ـ الشيخة الصالحة أم أحمد زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني (٥٩٨-٦٨٨هـ)(٢).

٤٢ ـ الشيخة الصالحة أم محمد زينب بنت أحمد بن عمر بن كامل المقدسية (٦٠١-٦٨٧هـ)(٣) .

هذا طرف من شيوخه الذين تلقى عنهم العلم ، وهم أكثر من ذلك بكثير فقد زادوا على أكثر من مئتي شيخ كما ذكره ابن عبد الهادي وغيره(٤) .

ثانياً : تلاميذه :

لقد تأهل شيخ الإسلام بن تيمية للفتوى والتدريس وهو دون العشرين ، فأصبح له تلامذة ومحبون وتلقى عنه العلم خلق كثير ، فقد ألقى شيخ الإسلام دروسه على مدى خمسة وأربعين عاما وكان أول درس له سنة (٦٨٤هـ) وقد حضردرسه الأول هذا ، كبارعلماء دمشق منهم القاضي بهاء الدين بن المزكى الشافعي ، ، والشيخ تاج الدين الفزاري شيخ الشافعية والشيخ زين الدين بن المرحل الشافعي ،وزين الدين بن المنجا شيخ الحنابلة ، يقول الحافظ بن كثير « ... وكان درساً مهيباً هائلاً ،وقد كتبه الشيخ تاج الدين الفزاري بخطه لكثرة فوائده ، وكثرة من استحسنه الحاضرون ، وقد اطنب الحاضرون في شكره على حداثة سنه وصغره ـ فإنه رحمه الله ـ كان عمره اذ ذاك عشرين سنة وسنتين »(٥) .

---

(١) العبر (٥ / ٣٤٤) شذرات الذهب (٥ / ٣٨٣) .

(٢) شذرات الذهب (٥/ ٤٠٤) .

(٣) لم أعثر لها على ترجمة .

(٤) انظر : العقود الدرية (ص : ٣) ، الكواكب الدرية (ص : ٥٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٨٧) البداية والنهاية (١٤ / ١٣٦) ، تذكرة الحفاظ (٤ / ١٤٩٦) ، الدرر الكامنة (١/ ١٥٤) ، الرد الوافر (ص : ٣٣) ، البدر الطالع (٢ / ١٠٨) .

(٥) البداية والنهاية (١٣ / ٣٢١) .

ونظراً لطول فترة التدريس وكثرة التنقل بين مصر والشام ، فإنه يصعب الإحاطة بتلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية والمتأثرين به ، لأن كتبه ومنهجه تحول الى مدرسة كبرى لها تلاميذها الذين تحولوا إلى شيوخ كبار ، في عصر بلغت فيه الفرق والطوائف عدداً كبيراً وصار لكل طائفة شيوخ وأتباع ومنهج وكتب يتداولونها ، فعظمت مصيبة الأمة الإسلامية بهذه الفُرْقَة، خاصة وأن كل طائفة تدعى أنها على الحق ، وكان من أعظم ما دخل على المسلمين ـ وخفى على كثير منهم ـ اختلاط الحق بالباطل وامتزاج العقيدة بعلم الكلام والفلسفة ، حتى وصل الأمر إلى أن قُعِّدَت قواعد وأُصِّلَت أصول كلامية ونُسبت إلى أهل السنة والجماعة ، فكان دور شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه دور المميز لمنهج السلف ، والمصفى له من تلك الشوائب، مضيفا إلى ذلك نقده لتلك الأصول الكلامية والفلسفية ، وأسسها التي قامت عليها فظهر منهج السلف واضحا لمن أراده وتبين أن غيره ما هي إلا أصول كلامية وقواعد فلسفية جاء بها أصحابها واستقوها بعيدا عن المنابع الصافية من الكتاب والسنة .

يقول عبد الله بن حامد العراقي البغدادي الشافعي معبرا عن طريقة شيخ الإسلام وتميز مدرسته بين المدارس التي كانت منتشرة في العالم الإسلامي ، فلما إطلع على كتب شيخ الإسلام تبين له الحق الذي كان يبحث عنه يقول : « وكنت قبل وقوفي على مباحث امام الدنيا ـ أحمد بن تيمية رحمه الله ـ قد طالعت مصنفات المتقدمين ،ووقفت على مقالات المتأخيرن من أهل الفلسفة ونظار أهل الإسلام فرأيت منها الزخارف والأباطيل والشكوكات التي يأنف المسلم الضعيف في الإسلام أن يُخْطِرَها بباله ، فضلاً عن القوى في الدين ، فكان يتعب قلبي ويحزنني ما يصير اليه الأعاظم من المقالات السخيفة ، والآراء الضعيفة التي لا يعتقد جوازها آحاد العامة ، وكنت أفتش على السنة المحضة في مصنفات المتكلمين من أصحاب الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ على الخصوص لاشتهارهم بالتمسك بمنصوصات امامهم في أصول العقائد فلا أجد عندهم ما يكفي ، وكنت أراهم يتناقضون إذا يؤصلون أصولاً يلزم فيها ما يعتقدونه ويعتقدون خلاف مقتضى أدلتهم ، فإذا جمعت بين أقاويل المعتزلة

والأشاعرة وحنابلة بغداد وكرامية خراسان، أرى أن اجماع هؤلاء المتكلمين في المسألة الواحدة على ما يخالف الدليل العقلي والنقلي ، فيسؤوني ذلك وأظل أحزن حزنا لا يعلم كنهه الا الله حتى قاسيت من مكابدة هذه الأمور شيئاً عظيماً ... وكنت ألتجئ إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأتضرع إليه وأهرب إلى ظواهر النصوص وألقى المعقولات المتباينة والتأويلات المصنوعة فتنبوا الفطرة عن قبولها ، ثم قد نشبت فطرتي بالحق الصريح في أمهات المسائل غير متجاسرة على التصريح بالمجاهرة قولا وتصميما للعقد عليه ، حيث لا أراه مأثوراً عن الأئمة، وقدماء السلف ، إلى أن قدّر الله ـ تعالى ـ وقوع مصنف(١) لشيخ الإسلام إمام الدنيا ـ رحمه الله ـ في يدي قبيل واقعته الأخيرة بقليل ـ بقصد فتواه بسبب الطلاق وشد الرحال إلى القبور ـ فوجدت ما بهرني من موافقة لفطرتي لما فيه ، وعزو الحق إلى أئمة السنة وسلف الأمة مع مطابقة المعقول والمنقول فَبُهِتُ(٢) لذلك سرورا بالحق وفرحاً بوجود الضالة التي ليس لفقدها عوض ، فصارت محبة هذا الرجل ـ رحمه الله ـ محبة ضرورية يقصر عن شرح أقلها العبارة ولو اطنبت ، ولمّا عزمت على المهاجرة الى لقيه وصلني خبر اعتقاله وأصابني لذلك المقيم المقعد ..»(٣) ولما صمم على السفر إليه سنة (٧٢٨هـ) وهو راجع من الحج ، جاءه خبر وفاته فحزن عليه حزناً عميقاً(٤) .

هذا نموذج لكيفية ونوعية التأثير في مدرسة شيخ الإسلام وسوف أذكر بعض تلاميذ شيخ الإسلام فمنهم :

١ ـ ابن قيم الجوزية الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد ابن حريز الزرعي الدمشقي (ت٧٥١هـ) .

يقول الحافظ بن حجر : « لو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير شمس الدين ابن قيم الجوزية ، صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع فيها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته »(٥) .

---

(١) لعله يقصد كتاب درء تعارض العقل والنقل .

(٢) بهت : فطنت وقصدت انظر : المعجم الوسيط مادة بهت .

(٣) العقود الدرية (: ٥٠٣ ـ ٥٠٥) ، وانظر الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ١٨١) .

(٤) انظر : العلام العلية (ص : ٣٢) والرد الوافر (ص : ١٩٦ ـ ٢١٦) ، وانظر السبعينية (ص : ١٣٥) والاستغاثة والرد على البكري (ص : ٢٧٦) ، وانظر الجامع (ص : ١٨٠ ـ ١٨٤) .

(٥) الرد الوافر (ص : ٢٣١) .

٢ ـ الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز عبد الله التركماني الأصل الفارقي ثم الدمشقي الذهبي الشافعي مؤرخ الإسلام المتوفى سنة (٧٤٨هـ)(١).

٣ ـ الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي صاحب تهذيب الكمال (ت٧٤٢هـ)(٢) .

٤ ـ الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن ذرع القرشي البصري الدمشقي الشافعي صاحب تفسير القرآن العظيم وتاريخ البداية والنهاية وجامع المسانيد (ت٧٧٤هـ)(٣) .

٥ ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن يوسف بن محمد بن قدامه المقدسي الجماعيلي (ت٧٤٤هـ)(٤) .

٦ ـ الحافظ علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن البزرالي الشافعي (ت٧٣٩هـ)(٥) .

٧ ـ القاضي أبو العباس أحمد بن حسن بن عبد الله بن عمر بن قدامه المقدسي الصالحي الحنبلي المشهور بابن قاضي الجبل (ت ٧٧١هـ)(٦) .

٨ ـ القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد بن مفرّح المقدسي الراميني الدمشقي الصالحي الحنبلي قاضي القضاة صاحب الآداب الشرعية والمنح المرعية وكتاب الفروع وشرح المقنع (ت ٧٦٣ هـ)(٧) .

---

(١) البداية والنهاية (١٤ / ١٩٤) ، الرد الوافر (ص : ٦٧) .

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ١٩١) ، تذكرة الحفاظ (٤ / ٤٩٨) ، الدرر الكامنة (٥ / ٢٣٣) ، شذرات الذهب (١٣٦/٦)

(٣) الرد الوافر (ص : ١٥٤) ، الدرر الكامنة (١ / ٣٧٣) ، الدارس في تاريخ المدارس (١/ ٣٦) ، شذرات الذهب (٢٣٣/٦) .

(٤) الرد الوافر (ص :٦٢) ، الوافي بالوفيات (٢/ ١٦٢) الدرر الكامنة (٣ / ٣٣١) .

(٥) البداية والنهاية (١٤ / ١٩٦) ، معجم الشيوخ للذهبي (٢ / ١١٥) .

(٦) الر د الوافر (ص : ١٣٢) ، الدرر الكامنة (١/ ١٢٠) ، الدارس في تاريخ المدارس (٢/ ٤٤) .

(٧) البداية والنهاية (١٤ / ٢٥٢ ، الدرر الكامنة ٤ / ٢٦١ ، الدارس في تاريخ المدارس (٢/ ٣٣) .

٩ ـ الحافظ عمر بن علي بن موسى بن خليل البغدادي الأزجي البزار صاحب الاعلام العلية في مناقب ابن تيمية (ت ٧٤٩هـ)(١) .

١٠ ـ سراج الدين أبو حفص ابن فضل الله العمري أحمد بن يحي بن فضل الله بن المحلى بن دعجان (ت ٧٤٩هـ)(٢) .

المبحث الثالث : آثاره العلمية ومصنفاته

لقد من الله على شيخ الإسلام ابن تيمية بعقل راجح ، وذهن متقد وقلم سيال وحب للكتابة وسرعة في التأليف وهمة عالية في بيان الحق حتى إنه لما حبس في آخر أيامه في قلعة دمشق وأخرج من عنده كل شيء أثّر ذلك في نفسه ، وعدَّ ذلك من النقم ، ومع ذلك لم ييأس فكتب بالفحم لأنه لا يطيق الجلوس بغير الاشتغال بالعلم وهذا محل اجماع من المترجمين له، وبهذه المواهب استطاع أن يلم بمجامع العلوم وأن يطلع على فنون الثقافة في عصره ، فاعتنى وكتب في التفسير والحديث والفقه والأصول والتوحيد والفرق ونقد من أصول المخالفين لعقيدة أهل السنة والجماعة عشرات بل مئات الكتب .

يقول الحافظ البزار : « ... ومن أعجب الأشياء أنه في محنته الأولى في مصر لما أُخِذَ وسُجن وحِيلَ بينه وبين كتبه ، صنف عدة كتب صغاراً وكباراً وذكر فيها ما احتاج إلى ذكره من الأحاديث والآثار وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم ، وعزا كل شيء من ذلك إلى ناقله وقائمة بأسمائهم وذكر أسماء الكتب التي ذكر فيها وأي موضع هو منها ، كل ذلك بديهة من حفظه ، لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه وتعقبت واختبرت واعتبرت فلم يوجد فيها شيء بحمد الله فيه خلل ولا تغيير »(٣) .

ويقول أخوه عبد الله : « وقد منَّ الله عليه بسرعة الكتابة ويكتب من حفظه من غير نقل »(٤) .

---

(١) الدرر الكامنة (٣ / ٢٥٦ ، ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٤٤٤) .

(٢) المنهل الصافي (٢/١٦١) ، وانظر مسرد بقية التلاميذ في الجامع لسيرة ابن تيمية (ص : ٦٤٢ ـ ٦٤٤) .

(٣) الإعلام العلية (ص : ٢٢) .

(٤) العقود الدرية (ص: ٦٤) .

ويقول ابن عبد الهادي : « أخبرني غير واحد أنه كتب مجلداً لطيفاً في يوم ، وكتب غيرمرة أربعين ورقة ، في جلسة وأكثر ، وأحصيت ماكتبه وبيّضه في يوم فكان ثماني كراريس في مسألة من أشكل المسائل »(١) .

ولعل تلك الكثرة من المؤلفات سببها أنه رحمه الله كان لـه كاتب يبيض له ما يكتبه ويفهم خطه رغم ما فيه من اغلاق وصعوبة ، لأنـه كـان يكتب بسرعة واسم ذلك الشخص: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن رشيق بن سبط المغربي المالكي (ت٧٤٩هـ) ويقول عنه الحافظ ابن كثير : « وكان أبصر بخط الشيخ منه اذا عزب شيء منه على الشيخ استخرجه أبوعبد الله هذاوكان سريع الكتابة »(٢) .

وهو صاحب أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية المنسوب خطأ لابن القيم والذي نشره صلاح الدين المنجد وهذا خطأ لعدة أمور .

الأول : أن الدكتور المنجد اعتمد في نشرته تلك على نسخة خطية موجودة في دار الكتب الظاهرية برقم (٤٦٧٥ ـ عام) وهي بخط الشيخ جميل العظم نسخها سنة (١٣١٥هـ) وهذه النسخة لا تعدوا أن تكون تهذيباً وترتيباً للكتاب الأصل في مؤلفات شيخ الإسلام ويظهر أن الشيخ جميل العظم قد نسخها وهذبها لتكون مادة يقتبس منها .

الأمر الثاني : أن مؤلفا كتاب الجامع لسيرة شيخ الإسلام بن تيمية أشارا إلى أنهما تحققا من ذلك بعد وقوفهما على نسخة أخرى من الكتاب في دار الكتب الظاهرية أيضا برقم (١١٤٧٩) وهي عبارة عن دفتر منوعات بخط الشيخ طاهر الجزائري ـ رحمه الله ـ كتبه سنة (١٣١٨هـ) وأوله : « أسماء مؤلفات شيخ الإسلام (ق / ١ ـ٨) وكتب الشيخ طاهر بعد البسملة والظاهر أن هذه الرسالة لتلميذه ابن القيم .

وذكرا أنهما قاما بالمقابلة بين هذه النسخة وبين نسخة جميل العظم التي اعتمدها د / المنجد فوجودا في نسخة الجزائري زيادات كثيرة في المقدمة ، وفي ذكر بعض الكتب ، وفي

(١) العقود الدرية (ص : ٦٤) .
(٢) البداية والنهاية (١٤ / ٢٢٩) .

المعلومات عن كثيرمن الكتب فوضح لهما أن نسخه جميل العظم ما هي إلا تهذيب للكتاب الأصل(١) .

ـ الأمر الثالث : أنهما وجدا الحافظ ابن عبد الهادي في كتابه « العقود الدرية » قد اقتبس نصوصاً من هذه الرسالة « أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية » ونسبها إلى أبي عبدالله بن رشيق فقال : « قال الشيخ أبو عبد الله بن رشيق وكان من أخص أصحاب شيخنا ـ أي شيخ الإسلام ابن تيمية ـ وأكثرهم كتابة لكلامه وحرصه على جمع كتب الشيخ ـ رحمه الله ـ ثم قالا : وهذا النص برمته في أسماء مؤلفات ابن تيمية التي نشرها د / المنجد والتي نسبها خطأً لابن القيم بناء على كلام جميل العظم ، فتبين من هذا أنه لابن رشيق المغربي ونسب لابن القيم(٢) .

ويلاحظ على كتب الشيخ ورسائله وفتاواه أنها كثرت فقد بلغت أكثرمن ثلاثمائة مجلد وقيل خمسمائة مجلد ، وقيل ثمانمائة مجلد وقيل ألف . يقول ابن عبد الهادي : « لو أراد أحد حصر مؤلفات الشيخ ابن تيمية لما قدر على ذلك ، لأنه لم يزل يكتب ... ولو أن الله لطف وأعان ومَنَّ وأنعم وجرت العادة في حفظ أعيان كتبه وتصانيفه لما أمكن أحد أن يجمعها»(٣) .

ويقول البزار : « وأما مؤلفاته ومصنفاته فإنها أكثرمن أن أقدر على إحصائيها أو يحضرني جملة أسمائها ، بل هذا لا يقدر عليه ـ غالباً ـ أحد لأنهاكثيرة جدا كباراً وصغاراً ، وهي منشورة في البلدان فقل بلد نزلته الا ورأيت فيه من تصانيفه »(٤) .

وذكر البزار أنه لا يمكن تعداد كتب شيخ الإسلام ، وأنها تنيف على المئتين ،وذكر كاتبه أبي عبد الله بن رشيق المغربي نحوا من ثلاثين وثلاثمائة مصنفا للشيخ وذكر أن هذا هو الذي يحضره وأنه لم يستوعبها وقال الذهبي أنه وجدها أكثرمن ألف مصنف ثم رأى بعد ذلك مصنفات أخرى(٥) .

---

(٣) انظر : الجامع (ص : ٨-٩) .

(٢) انظر : الجامع لسيرة شيخ الإسلام لابن تيمية (ص : ١٠) .

(٣) العقود الدرية (ص : ٨١) .

(٤) الاعلام العلية (ص : ٢٥) .

(٥) انظر : الإعلام العلية (ص : ٢٧) الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٢٠ ـ ٢٤٩) الوافي (٧ / ٢٣) ، الرد الوافر (ص : ٧٢) .

ومع كثرة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، إلا أن بعض تلك الكتب فُقِدَ وضاع ، وذلك لكثرة الابتلاءات التي تعرّض لها الشيخ في حياته هو وأتباعه ، فلا بد إذن أن تنال تلك المحن والبلايا من كتبه ومؤلفاته ، بل لقد وصل الأمر إلى أن يخاف اتباعه من أن يظهروا كتبه خشية عليه ، وخوفاً من أن تضيع من قَبلِ مناوئيه ، فقد سئل عن مسألة مرة فقال : كتبت في هذا فلا يدري أين هو فيلتفت الى أصحابه ويقول : ردوا خطى وأظهروه لينقل » فمن حرصهم عليه لا يردونه، ومن عجزهم لا ينقلون فيذهب(١).

وأنه لمن الصعب ذكر جميع مؤلفاته عبر هذه الترجمة الموجزة ، ولكن مالا يدرك لا يترك، وسأذكر هنا مؤلفاته في العقيدة وما كتبه في الرد على الفلاسفة والمتكلمين والمناطقة لأن غالب ما كتبه ـ رحمه الله ـ في العقائد وتحرير وتقرير مذهب السلف أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين لهم في ذلك وهي اما رد على مبتدع أو جواب لسائل ورد عليه كما ذكر ذلك عن نفسه حيث قال : « وأما الكتب فما كتبت إلى أحد كتابا ابتداءاً أدعوه به إلى شيء من ذلك ، ولكني كتبت أجوبة أجبت بهامن يسألني من أهل الديار المصرية وغيرهم ... »(٢) .

وقد جمعت تلك المصنفات من المصادر التي ترجمت لشيخ الإسلام وذكرت مؤلفاته ومن كتاب أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية لأبي عبد الله بن رشيق المغربي المالكي وهي مطبوعة ضمن كتاب الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون لمحمد عزيز شمس، وعلي بن محمد العمران وكذلك ذكرتُ ما هو منشور منها مستقلاً أو ضمن مجموع الفتاوى أو الفتاوى المصرية أومجموعة الرسائل المنيرية أو جامع الرسائل بتحقيق د / محمد رشاد سالم، أومجموعة الرسائل والمسائل نشر السيد / محمد رشيد رضا وغيرها ورتبتها على حروف المعجم وهي على النحو التالي :

١ ـ ابطال قول الفلاسفة بإثبات الجواهر العقلية(٣) .

٢ ـ ابطال قول الفلاسفة بقدم العالم(٤) .

---

(١) العقود الدرية (ص : ٦٥) .

(٢) العقود الدرية (ص : ٢٠٧) وانظر : مجموع الفتاوى (٣ / ١٦١) .

(٣) العقود الدرية (ص : ٣٦) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٥) الجامع .

(٤) العقود الدرية (ص : ٣٦) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٥) الجامع .

٣ ـ ابطال قول الفلاسفة في أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد(١) .

٤ ـ ابطال وحدة الوجود والرد على القائلين بها (٢) .

٥ ـ اتباع الرسول بصريح المعقول (٣) .

٦ ـ اثبات الصفات(٤).

٧ ـ اثبات المعاد والرد على ابن سينا(٥).

٨ ـ أجوبة تتعلق بالمرشدة التي ألفها ابن تومرت(٦) .

٩ ـ أجوبة في العرش والعالم هل هو كروي الشكل أم لا ؟(٧) .

١٠ ـ أجوبة في مباينة الله لخلقه ، وفيمن يقول إنه سبحانه على عرشه بذاته وأقوال السلف في ذلك(٨) .

---

(١) العقود الدرية (ص : ٣٦) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٥) .

(٢) نشرت ضمن مجموعة الرسائل والمسائل بتحقيق محمد رشيد رضا (١/ ٦١ ـ ١٢٠) .

(٣) نشرت ضمن مجموع الفتاوى جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (١/ ٤٣٠ ـ ٤٥٣) .

(٤) ذكره الألوسي في جلاء العيين انظر الجامع لسيرة ابن تيمية (ص : ٦١٩) .

(٥) هكذا ذكره الصفدي في أعيان العصر وأعوان النصر (ص : ٢٩٢) ، الجامع وفي الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات (ص : ٣٣٠) ، الجامع ، الألوسي في جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص : ٦١٩) الجامع وفي العقود الدرية وردت بلفظ : « الرد على ابن سينا في رسالته الأصحوية » بالصاد وهو تصحيف والصواب كما في أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية قواعد في إثبات المعاد والرد على ابن سينا في رسالته الأضحوية ، بالضاد (ص : ٢٣٤) الجامع .

(٦) العقود الدرية (ص : ٤٢) وفي أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية قاعدة في الكلام على المرشدة (ص : ٢٤٢) الجامع ، وفي أعيان العصر الكلام على نقض المرشده (ص : ٢٩٣) الجامع ، ونشرت ضمن مجموع الفتاوى (٤٧٦/١١ ـ ٤٩٢) .

(٧) اختلف في عنوان هذه الأجوبة ففي العقود الدرية (ص: ٥٥) أجوبة في العرش والعالم هل هو كروي الشكل أم لا ؟» في أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٩) « رسالة العرش » وفي (ص : ٢٣٠) « رسالة في العرش والعالم هل هو كروي الشكل أم لا»، وطبع ضمن مجموع الفتاوى (٥٤٥/٦ ـ ٥٨٣) ، « الرسالة العرشية » ، وفي مجموعة الرسائل في المسائل (٤ / ١٠ ـ ١٣٦) « عرش الرحمن وما ورد فيه من الآيات والأحاديث » .

(٨) العقود الدرية (ص : ٥٢) ، أعيان العصر (ص : ٢٩٢) ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع .

١١ ـ أجوبة في النهي عن أن أعياد النصارى وعما يفعل من البدع في يوم عاشوراء(١) .

١٢ ـ الاحتجاج بالقدر(٢) .

١٣ ـ رسالة الارادة والأمر(٣).

١٤ ـ الرسالة الأربيلية (في الاستواء والنزول)(٤) .

١٥ ـ الاستغاثة(٥).

١٦ ـ الاستقامة(٦) .

١٧ ـ الأسماء التي علق بها الأحكام في الكتاب والسنة(٧) .

١٨ ـ الاعتصام بكتاب الله ووجوب طاعته(٨) .

١٩ ـ اعتقاد الفرقة الناجية(٩) ، وهي العقيد الواسطية .

٢٠ ـ اقتضاء الصراط المستقيم(١٠) .

٢١ ـ أقوم ما قيل في المشيئة والحكمة والقضاء والقدر والتعليل وبطلان الجبر والتعطيل(١١) .

٢٢ ـ الاكتفاء بالرسالة ، والاستغناء بالنبي عن إتباع ما سواه(١٢) .

٢٣ ـ الاكليل في المتشابه والتأويل(١٣) .

---

(١) العقود الدرية (ص : ٥٨) .

(٢) نشرت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى عن مكتبة محمد علي صبيح عام ١٣٨٥هـ (٢ / ٩٧ ـ ١٥٥) ونشرت مستقلة بتعليق محمد عبد الله السمان عن مطبعة السنة المحمدية .

(٣) نشرت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى (١/ ٣٢٣ ـ ٣٨٩) .

(٤) العقود الدرية (ص : ٥٢) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٨) .

(٥) في الاعلام العلية للبزار (ص : ٢٦) بعنوان : « كتاب الاستغاثة والتوسل » ونشرت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى (١/ ٤٧٩ ـ ٤٨٦) .

(٦) العقود الدرية (ص : ٢٩) ، أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٢) ، الجامع ، ونشرت بتحقيق د / محمد رشاد سالم عام ١٤٠١هـ في مجلدين عن ادارة النشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

(٧) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٩ / ٢٣٥ ـ ٢٥٩) .

(٨) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٩ / ٧٦ ـ ٩٢) .

(٩) الاعلام العلية (ص : ٢٠) .

(١٠) نشر بتحقيق د / ناصر بن عبد الكريم العقل .

(١١) نشرت ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (٥/ ١١٣ ـ ١٧٠) ، وضمن مجموع الفتاوى (٨/٨١ ـ ١٥٨) .

(١٢) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٩ / ٦٦ ـ ٧٥) .

(١٣) نشر ضمن مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٧٠ ـ ٣١٣) وضمن مجموعة الرسائل الكبرى (٢ / ٣ ـ ٣٧) .

٢٤ ـ الاكمالية(١) .

٢٥ ـ الأمربالمعروف والنهي عن المنكر(٢) .

٢٦ ـ أهل الصفة وأباطيل بعض المنصرفة فيهم وفي الأولياء وأحنافهم والدعاوى فيهم(٣) .

٢٧ ـ أيضاح الدلالة في عموم الرسالة(٤) .

٢٨ ـ كتاب الايمان(٥) .

٢٩ ـ كتاب الايمان الأوسط (شرح حديث جبريل في الإسلام والايمان والإحسان)(٦) .

٣٠ ـ البعلبكية(٧) .

٣١ ـ البغدادية(٨) .

---

(١) اختلف في مسمى هذه الرسالة ففي العقود الدرية (ص : ٥١) قاعدة تتضمن صفات الكمال .. تسمى الإكمالية » و«الاحاطة الكبرى » ، وفي أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (٢٣٤) « فتيا تتضمن صفات الكمال مما يستحقه الرب » . ونشرت ضمن مجموع الفتاوى (٦ / ٦٨ ـ ١٤٠) باسم : « تفصيل الأجمال فيما يجب لله من صفات الكمال » ، ونشرت بنفس الاسم كذلك ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (٥ / ٣٧ ـ ٨٠) .

(٢) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (٢٨ / ١٢١ ـ ١٧٨) ، وضمن مجموعة شذرات البلاتين بترتيب محمد حامد الفقي (١/ ٣٤٥ ـ ٣٥١) ، ونشرت مستقلة بتحقيق د / محمد السيد الجليند عام ١٤٠٩هـ ـ ١٩٩٢ م .

(٣) نشرت ضمن مجموعة الرسائيل والمسائل (١/ ٢٥ ـ ٦٠) .

(٤) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٩ / ٩ ـ ٩٥) ومجموعة الرسائل المنيرية (٢/ ٩٧ ـ ١٤٩) .

(٥) وهو كتابنا الذي أقوم بتحقيقه ، وقد ذكره ابن عبد الهادي ، وقال فيه وهو كتاب عظيم لم يسبق إلى مثله ، وذكره أبو عبد الله بن رشيق ضمن مولفات ابن تيمية (ص : ٢٣٢) ، وقال في مجلد وضمن مجموع الفتاوى (٧/١-٤٦٠) ونشر مستقلا بتخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

(٦) اختلف في اسم هذا الكتاب ونشر ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٦١/٧-٦٤٠) باسم الايمان الأوسط وسماه الصفدي في أعيان العصر والوافي بالوفيات (٢٩٢، ٣١٦) الجامع ؛بشرح حديث جبريل في الإسلام والايمان والاحسان ونشر بتحقيق د / علي بخيت الزهراني عام ١٤٢٣هـ عن دار ابن الجوزي بالدمام .

(٧) العقود الدرية (ص : ٣٣) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٤) الجامع ، أعيان العصر (ص:٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) وفوات الوفيات (ص : ٣٣٠) من الجامع . وهي رسالة تبحث في مسألة الكلام واختلاف الناس فيها .

(٨) العقود الدرية (ص : ٣٦) اسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٥) الجامع ، أعيان العصر (ص:٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٠) ، جلاء العينين (ص : ٦٢٠) الجامع ، وهي رسالة تبعث من مسألة خلق القرآن والرد على المخالفين فيها .

٣٢ ـ بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الالحاد من القائلين بالحلول والاتحاد(١) .

٣٣ ـ بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعمهم الكلامية(٢) .

٣٤ ـ تحريم أقسام المعزمين بالعزائم المعجمة وصَرْع الصحيح وصفة الخواتيم(٣) .

---

(١) عرف هذا الكتاب بأكثر من اسم فبينما سماه شيخ الإسلام في كتاب النبوات (ص: ٨٢) ط القديمة باسم « الرد على ابن سبعين وأهل الوحدة » وذكره في الرد على المنطقتين (ص : ٢٧٥) باسم « السبعينية » وفي رسالته « العبادات والفرق بين شرعيها وبدعيها » ضمن مجموع الفتاوى (٤٠٢/١٠) باسم « الرد على الاتحادية » ، وذكره ابن عبدالهادي في العقود الدرية (ص : ٣٥) باسم « مسائل الاسكندرية في الرد على الملاحدة والاتحادية » وذكره ابو عبد الله بن رشيق المغربي في أسماء شيخ الاسلام مؤلفات ابن تيمية ، وابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة (٤٠٣/٣) باسم « المسائل الاسكندرانية » وسماه الصفدي في الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات (ص:٣٣٠) الجامع ، باسم « المسائل الاسكندرانية في الرد علي الاتحادية والحلولية » ونشر الكتاب ضمن مجموعة الفتاوى المصرية الجزء الخامس عن مطبعة كردستان عام ١٣٢٦ وطبع ونشر مستقلا بتحقيق د . موسى بن سليمان الدويش عن مكتبة العلوم والحكم عام ١٤٠٨هـ .

(١٠) عرف هذا الكتاب بأكثر من اسم ، فقد ذكر في أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٣) الجامع « بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية » وكذلك في أعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، وطبقات علماء الحديث لمحمد ابن أحمد بن عبد الهادي (ص : ١٩٥) الجامع ، وفي المنهج لأحمد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (ص:٥٤٣) لمجير الدين العليمي الحنبلي وله ايضا الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (ص: ٥٥٨) الجامع .
أما في مسالك الابصار لأحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ص : ٢٥٦) وطبقات المفسرين للداوودي (ص:٥٥٨) الجامع ، فقد ذكره باسم « تأسيس التقديس » ، اما في تتمة المختصر في أخبار البشر لعمر بن الوردي (ص:٢٧١) فقال : وله تصنيف في الرد علي تأسيس التقديس للرازي . وفي فوات الوفيات (ص : ٣٢٩) الجامع ، « رد على تأسيس التقديس للرازي » وكذلك ذكر المقريزي في كتاب المنتقى الكبير (ص : ٤٤٧) الجامع وله «كتاب في الرد علي تأسيس التقديس للرازي » وكذلك قال القنوجي في أبجد العلوم (ص : ٥٩٥) الجامع ، وكذلك قال في جلاء العينين (ص : ٦٢٠) . وذكر الصفدي في أعيان العصر والوافي بالوفيات أن شيخ الإسلام ربما سماه : « تلخيص التلبيس من تأسيس التقديس» .
ويتلخص من ذلك أن موضوع الكتاب « نقض أساس التقديس للرازي » وقد طبع الكتاب قديماً بتحقيق الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم في مجلدين، وحقق في ثماني رسائل جامعية بجامعة الامام محمد بن سعود ويقع في ستة عشر مجلداً .

(٣) أعيان العصر (ص : ٢٩٧) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣٢٠) فوات الوفيات (ص : ٣٣٤) الجامع .

٣٥ ـ تحريم السماع[١].

٣٦ ـ التحفة العراقية في الإعمال القلبية[٢] .

٣٧ ـ تحقيق التوكل[٣] .

٣٨ ـ تحقيق الشكر[٤] .

٣٩ ـ تحقيق مسألة علم الله[٥] .

٤٠ ـ التدمرية[٦] .

٤١ ـ التسعينية (أوالمحنة المصرية)[٧] .

---

(١) اسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٦) الجامع ، أعيان العصر (ص : ٢٩٦) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص:٣١٣) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٣) الجامع ، وفي العقود الدرية (ص : ٤٠) ، « قواعد وأجوبة في تحريم السماع » والمقصود بالسماع هنا هو سماع الصوفية .

(٢) أسماء ومؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٦) الجامع ، مختصر طبقات علماء الحديث (ص : ١٩٦) الجامع جلاء العينين (ص : ٦٢٠) الجامع ، ونشرت ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٤ / ٢ ـ ٦٥) ومجموع الفتاوى (١٠ / ٥ ـ ٩٠) وقام بتحقيقها الدكتور يحيي هنيدي ضمن رسالته للحصول على درجة الماجستير .

(٣) نشرت ضمن جامع الرسائل بتحقيق د / محمد رشاد سالم (١/ ٨٥ ـ ١٠٠) .

(٤) نشرت ضمن جامع الرسائل بتحقيق د / محمد رشاد سالم (١ / ١٠١ ـ ١١٨) .

(٥) نشرت ضمن جامع الرسائل بتحقيق د / محمد رشاد سالم (١٧٥ ـ ١٨٣) .

(٦) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٤) وتعرف كذلك « بتحقيق الإثبات في الأسماء والصفات ، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع » ونشرت ضمن مجموع الفتاوى (٣ / ١ ـ ١٢٨) ونشرت مستقلة بتحقيق د/محمد بن عودة السعوي عام ١٤٠٥ هـ ضمن رسالته للحصول علي درجة الماجستير .

(٧) أسماء ومؤلفات شيخ الاسلام ابن تيميـة (ص : ٢٣٤) وهي في مجلدين ، ورد فيها شيخ الإسلام على الأشاعرة في مسألة الكلام النفسي ومسألة العلو وابطل قولهم في نحو ثمانين وجه أو أكثر . ومختصر طبقات علماء الحديث (ص:١٩٦) الجامع ، وابن القيم في الكافية الشافية (ص : ٢٧٩) الجامع ، واعيان العصر : ص ٢٩٢) الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، وفوات الوفيات (ص : ٣٣٠) الجامع ، والذيل على طبقات الحنابلة (ص:٤١٨)، الجامع ، والمنهج لأحمد (ص : ٥٤٣) الجامع ، والدر المنضد (ص : ٥٥٢)، ونشرت ضمن مجموع الفتاوى (٥/٢ ـ ٢٨٨) ، ونشرت مستقلة بتحقيق محمد ابراهيم العجلان عن مكتبة الصميعي ، بالرياض ، ١٤١٩ هـ .

٤٢ ـ تعليقه على فتوح الغيب (لعبد القاهر الجيلاني)[١] .

٤٣ ـ تفسير سورة الإخلاص[٢] .

٤٤ ـ التفصيل بين التكفير التحليل [٣] .

٤٥ ـ تنبيه الرجل الغافل على تمويه المجادل (في الجدل بالباطل)[٤].

٤٦ ـ تناهي الشدائد في اختلاف العقائد[٥] .

٤٧ ـ توحيد الفلاسفة على نظم ابن سينا[٦].

٤٨ ـ رسالة التوبة[٧] .

٤٩ ـ ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً والمعجزات والكرامات (كتاب النبوات)[٨].

٥٠ ـ جواب الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية[٩] .

---

(١) أسماء ومؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٦) الجامع.

(٢) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣١ - ٢٣٢) الجامع ، أعيان العصر (ص : ٢٩١) ، الوافي بالوفيات (ص:٣١٤)، الجامع ، فوات الوفيات (ص: ٣٢٩) ، الجامع ، الاعلام العلية (ص : ٢١ - ٢٤) ، ونشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٧ / ٢١٤ - ٥٠٣) .

(٣) العقود الدرية (ص : ٣٢٤) .

(٤) العقود الدرية (ً : ٢٩) أعيان العصر (ص: ٢٩٣) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٦) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣١) الجامع .

(٥) أعيان العصر (ص: ٢٩٣) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٦) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣١) الجامع .

(٦) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٠) الجامع .

(٧) نشرت ضمن جامع الرسائل بتحقيق د / محمد رشاد سالم (١ / ٢١٧ - ٣٧٩) .

(٨) أعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٠) الجامع، الكافية الشافية لابن قيم الجوزية (ص : ٢٧٨) الجامع جلاء العينين (ص : ٦١٩) الجامع ، ونشر الكتاب بتحقيق د / عبد العزيز بن صالح الطويان عام ١٤٢٠هـ عن مكتبة أضواء السلف بالرياض .

(٩) العقود الدرية (ص : ٩) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٢) الجامع ، مختصر طبقات علماء الحديث (ص:١٩٥) الجامع ، أعيان العصر (ص : ٢٩١) ، الجامع ، الوافي بالوفيات (ص: ٣١٤) ، فوات الوفيات (ص:٣٢٩) ، الجامع ، المنهج الأحمد (ص : ٥٤٣) الجامع ، الدر المنضد (ص : ٥٥٢) الجامع ، الذيل على طبقات الحنابلة (ً : ٤١٨) ، والكتاب يقع في أربع مجلدات كبار وهو من الكتب المفقودة وموضوعه رد على الأشاعرة .

٥١ ـ جواب أهل العلم والايمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن قل هو الله أحد تعدى ثلث القرآن(١) .

٥٢ ـ جواز رؤية النساء ربهن في الجنة(٢) .

٥٣ ـ الجواب الباهر في زوار المقابر(٣) .

٥٤ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح(٤) .

٥٥ ـ الجواب عما أورده كمال الدين بن الشريشي على درء تعارض العقل والنقل(٥) .

٥٦ ـ الجواب على حال الحلاج ، ورفع ماوقع فيه من اللجاج(٦) .

٥٧ ـ جواب في الاستواء وابطال تأويله بالاستيلاء من نحوعشرين وجها(٧) .

٥٨ ـ جواب عن الاستواء والنزول هل هما حقيقة أم لا ؟(٨) .

٥٩ ـ جواب عن أهل البدع ، هل يصلي خلفهم ؟(٩) .

---

(١) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٧ / ٥ ـ ٢١٣) .

(٢) أعيان العصر (ص : ٢٩٣) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٠) .

(٣) نشر ضمن مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣١٤ ـ ٤٤٥) .

(٤) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٣) الجامع ، الكافية الشافية لابن قيم الجوزية (ص : ٢٧٨) الجامع أعيان العصر (ص: ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) ، الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٢٩) الجامع المنهج الأحمد (ص : ٥٤٣) الجامع ، الذيل على طبقات الحنابلة (ص : ٤١٨) الجامع ، العقود الدرية (ص: ٢٩) ونشر بتحقيق د / علي حسن بن ناصر د / عبد العزيز بن ابراهيم العسكر ، د / حمدان بن محمد الحمدان عام ١٤١٤هـ عن دار العاصمة بالرياض .

(٥) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٣) الجامع ، أعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٢٩) الجامع ، الذيل على طبقات لاحنابلة (ص : ٤١٨) ، المنهج الأحمد (ص : ٥٤٣) الجامع الدر المنضد (ص : ٥٥٣) الجامع .

(٦) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٤١) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٥٦) .

(٧) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٨) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٥٢) ، أعيان العصر (ص:٢٩٣) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) ، الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٠) الجامع ، ونشر ضمن مجموع الفتاوى (٥/١٣٦ ـ ١٤٩) .

(٨) نشر ضمن مجموع الفتاوى (٥ / ١٩٤ ـ ٢٢٥) .

(٩) العقود الدرية (ص : ٥٨) .

٦٠ ـ جواب عمن يقول : إن النصوص لا تفي بعشر معشار الشريعة(١) .

٦١ ـ جواب عن أهل الصفة كم كانوا ؟ وهل كانوا بمكة أم بالمدينة ؟(٢).

٦٢ ـ جواب عن قوله ـ ﷺ ـ : تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة »(٣).

٦٣ ـ جواب عن حال المرازقة وما يفعلونه من أعمال ، والرد عليهم فيما أخطأوا فيه (كشف حال المرازقة)(٤) .

٦٤ ـ جواب في احتجاج الجهمية والنصارى بالكلمة(٥) .

٦٥ ـ جواب في تعليل مسألة الأفعال(٦) .

٦٦ ـ جواب في الخضر هل مات أو هو حي ؟(٧) .

٦٧ ـ جواب في حسن ارادة الله لخلق الخلق ، وانشاء الأنام لعلة أم لغير علة(٨).

٦٨ ـ جواب في الذوق والوجد الذي يذكره الصوفية(٩) .

٦٩ ـ جواب في الرضا على كلام أبي سليمان الداراني(١٠) .

٧٠ ـ جواب في الفرق بين ما يتأول من النصوص ومالا يتأول(١١) .

٧١ ـ جواب في قصد القلوب العلو وما سببه ؟(١٢) .

٧٢ ـ جواب في كفر فرعون والرد علي من لم يكفره(١٣) .

---

(١) نشر ضمن مجموع الفتاوى (١٩ / ٢٨٠ ـ ٢٨٩) .
(٢) نشر ضمن مجموع الفتاوى (١١/ ٣٧ -٧١) وفي العقود الدرية باسم: « قاعدة في أهل الصفة ومراتبهم وأحوالهم» .
(٣) نشر ضمن مجموع الفتاوى (٣ / ٣٤٥ ـ ٣٥٨) .
(٤) العقود الدرية (ص : ٦٠) أعيان العصر (ص : ٢٩٧) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣٢٠) الجامع .
(٥) العقود الدرية (ص : ٥٤) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٧) الجامع ، ولكن « بلفظ رسالة احتجاج الجهمية والنصارى بالكلمة ».
(٦) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٤) الجامع .
(٧) العقود الدرية (ص : ٥٤) ، أسماء مولفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٧) الجامع .
(٨) أعيان العصر (ص : ٢٩٣) الجامع ، الوافي بالوفايت (ص : ٣١٦) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣١) الجامع.
(٩) العقود الدرية (ص : ٥٤) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٧) الجامع .
(١٠) العقود الدرية (ص : ٥٦) .
(١١) العقود الدرية (ص : ٥٥) ، أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٠) .
(١٢) العقود الدرية (ص : ٥٥) .
(١٣) العقود الدرية (ص : ٥٥) .

٧٣ ـ جواب في العزم على المعصية هل يعاقب العبد عليه ؟(١) .

٧٤ ـ جواب في لقاء الله(٢).

٧٥ ـ جواب في مسألة القرآن(٣) .

٧٦ ـ جواب في نقض قول الفلاسفة أن معجزات الاتيان قوى نفسانية(٤) .

٧٧ ـ جواب كون الشيء في جهة العلو مع أنه ليس بجوهر ولاعرض ،معقول أو مستحيل(٥) .

٧٨ ـ جواب مسألة في القرآن هل هو حرف وصوت أم لا ؟(٦) .

٧٩ ـ جواب في مسائل الروح وهل تعذب في القبر مع الجسد ؟ وهل تفارق البدن بالموت ؟ وهل تتصور بصورة وتعقل بعد الموت(٧) .

٨٠ ـ جواب من قال : لا يمكن الجمع بين اثبات الصفات على ظاهرها من غير تشبيه(٨) .

٨١ ـ جواب في المعية وأحكامها(٩) .

٨٢ ـ جواب هل الاستواء والنزول حقيقة ، وهل لازم المذهب مذهب ؟(١٠) .

٨٣ ـ جواب هل كان النبي ـ ﷺ ـ قبل الرسالة نبيا ؟ وهل يسمى من صحبه إذا ذاك صحابيا؟(١١) .

---

(١) أسماء مولفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٥) الجامع .

(٢) أعيان العصر (ص : ٢٩٣) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٦) الجامع ، وفوات الوفيات (ص : ٣٣٠) ، الجامع .

(٣) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٤) الجامع .

(٤) اعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص: ٣٣٠) . الذيل علي طبقات الحنابلة (ص : ٤١٨) الجامع ، المنهج الأحمد (ص: ٥٤٤) الجامع ، الدر المنضد (ص :٥٥٣) الجامع .

(٥) أعيان العصر (ص : ٢٩٣) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٦) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٠) الجامع .

(٦) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٥) الجامع .

(٧) العقود الدرية (ص : ٤٥) .

(٨) أعيان العصر (ص: ٢٩٣) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٦) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٠) الجامع .

(٩) العقود الدرية (ص : ٥٤) .

(١٠) أعيان العصر (ص : ٢٩٧) الجامع، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٦) الجامع ، فوات الوفيات (ص: ٣٣٠) الجامع .

(١١) العقود الدرية (ص : ٥٥) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٨) الجامع ، أعيان العصر (ص:٢٩٥) الجامع الوافي بالوفيات (: ٣١٧) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٢) الجامع .

٨٤ ـ الحقيقة والمجاز[١] .

٨٥ ـ الحلية[٢] .

٨٦ ـ حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية[٣] .

٨٧ ـ الحموية الصغرى[٤] .

٨٨ ـ الحموية الكبرى[٥].

٨٩ ـ الحوفية[٦] .

٩٠ ـ دخول الجنة[٧] .

---

(١) وهي المعروفة « بالرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز » ونشرت ضمن مجموع الفتاوى (٢٠ / ٤٠٠ ـ ٤٩٧) وهي رد على الآمدي وغيره من الأصوليين وغيرهم من الذين يقرون بالقول بالمجاز .

(٢) العقود الدرية (ص : ٥٣) وهذه الرسالة تتكلم في مسألة الصفات هل هي زائدة على الذات أم لا ؟

(٣) نشرت ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (٤ / ٢ ـ ١٠١) .

(٤) العقود الدرية (ص : ٦٧) .

(٥) اختلف في اسم هذا الكتاب فقد ذكره شيخ الإسلام باسم «المسألة الحموية »، كما في مجموع الفتاوى (٣/١٨٠، ٢٠٦) وفي الذيل على طبقات الحنابلة (٣٩٦/٤) وذكره شيخ الإسلام أيضاً في بيان تلبيس الجهمية (٣٥٩/٢) المخطوط وذكره باسم « الفتوى الحموية » كما في مجموع الفتاوى (٢٧/٣) وكذا ذكره أبو عبد الله بن رشيق المغربي في أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٩) الجامع وكذلك ابن حجر في الدرر الكامنة (١٥٥/١) ويوجد هذا العنوان على نسخة الهند سنة ١٣٢٢هـ . أما في العقود الدرية فتوجد باسم « الحموية الكبرى » وكذا ذكرها الشيخ مرعي الكرمي في الكواكب الدرية (ص:١٠٢ ، ١١٢) أما ابن كثير في البداية والنهاية (٨/١٤) فذكرها باسم « الحموية »، وذكرها البزار في الأعلام العلية (ص : ٢٧) باسم « المسائل الحموية » ونشرت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى باسم « العقيدة الحموية الكبرى » (٤٧٨/٤٢٥/١) ونشرت مستقلة باسم « الفتوى الحموية الكبرى » بتحقيق / حمد بن عبد المحسن التويجري عام ١٤١٩هـ عن دار الصميعي بالرياض .

(٦) العقود الدرية (ص : ٥٥) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٩) .

(٧) نشرت ضمن جامع الرسائل (١ / ١٤٣ ـ ١٥٢) .

٩١ ـ درء تعارض العقل والنقل(١) .

٩٢ ـ الدر المنثور في زيارة القبول(٢) .

٩٣ ـ رأس الحسين(٣) .

٩٤ ـ الرد الأقوم على ما في كتاب فصوص الحكم(٤) .

٩٥ ـ الرد على أهل كسروان الرافضة(٥) .

٩٦ ـ الرد على الأخنائي في مسألة الزيادة(٦) .

٩٧ ـ الرد على ابن عربي في دعوى إيمان فرعون(٧) .

٩٨ ـ الرد علي البكري في مسألة الاستغاثة(٨) .

---

(١) ذكر هذا الكتاب أحمد بن محمد بن مري الحنبلي في رسالته إلى تلاميذ شيخ الإسلام (ص : ١٠٣) الجامع ، وذكرها عبد الله بن حامد العراقي الشافعي إلى أبن عبد الهادي (ص : ٧٨٢ ٩ الجامع ، ومختصر طبقات علماء الحديث (ص : ١٩٥) الجامع ، أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٣) الجامع ، وتتمه المختصر لابن الوردي (ص: ٢٧١ ٩ الجامع ، وأعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) ، الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٢٩) الجامع ، والمنهج الأحمد (ص : ٥٤٣) والدر المنضد (ص : ٥٥٣) الجامع ، وصديق القنوجي في بحر العلوم (ص : ٥٩٥) الجامع ، وجلاء العينين (ص: ٦١٩) الجامع ، ونشر الكتاب بتحقيق د / محمد رشاد سالم في عشرة أجزاء عام ١٤٠٠هـ عن ادارة النشر بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

(٢) أسماء امؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٠) .

(٣) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (٢٧ / ٤٠٠ ـ ٤٩٠) .

(٤) نشر ضمن مجموع الفتاوى (٢/ ٤٦٢ ـ ٤٥٠) .

(٥) العقود الدرية (ص : ٣٧) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٣) الجامع ، مختصر طبقات علماء الحديث (ص:١٩٦) الجامع ، أعيان العصر (ص : ٢٩٣) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص :٣١٦) الجامع ، فوات الوفيات (ص:٣٣١) الجامع ، الذيل على طبقات الحنابلة (ص: ٤١٨) الجامع ، المنهج الأحمد (ص: ٥٤٤) ، الجامع ، الدر المنضد (ص : ٥٥٣) الجامع .

(٦) الذيل على طبقات الحنابلة (ص : ٤١٩) الجامع ، المنهج الأحمد (ص: ٥٤٤) الجامع ، الدر المنضد (ص : ٥٥٣) الجامع ، ونشر ضمن مجموعة الفتاوى (٢٧ / ٢١٤ ـ ٢٨٨) ونشر مستقلاً بتحقيق / الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي عام ١٤٠٤هـ عن الرئاسة العامةلإدارات البحوث العلمية والافتاء بالرياض .

(٧) العقود الدرية (ص : ٥٦) ونشر ضمن جامع الرسائل بتحقيق د / محمد رشاد سالم (١/ ٢٠١ ـ ٢٠٦) .

(٨) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٣) الجامع ، العقود الدرية (ص: ٣٧) مختصر طبقات علماء الحديث (ص:١٩٦) الجامع ، الذيل على طبقات الحنابلة (: ٤١٨) الجامع ، المنهج الأحمد (ص : ٥٤٣) ، الجامع ، الدر المنضد (ص : ٥٥٣) الجامع .

٩٩ ـ الرد على الفلاسفة[١] .

١٠٠ ـ الرد على القدرية[٢] .

١٠١ ـ الرد على المنطق (نقض المنطق)[٣].

١٠٢ ـ الرد علي المنطقين (مجلد كبير)[٤] .

١٠٣ ـ الرد على من قال : ان الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين[٥] .

١٠٤ ـ رسالة إلى أهل البحرين وملوك العرب[٦] .

١٠٥ ـ رسالة إلى نصر المنبجي[٧] .

---

(١) رسالة ابن مري إلى تلاميذ الشيخ (ص : ٩٩) الجامع ، الكافية الشافية لابن قيم الجوزية (: ٢٧٨) الجامع ، أعيان العصر (ص: ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص: ٣٣٠) الجامع ، جلاء العينين (ص : ٦١٩) الجامع .

(٢) جلاء العينين (ص : ٦١٩) الجامع .

(٣) في مجلد لطيف ، ذكره في أعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص: ٣٣٠) .

(٤) أسماء ومؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٣) الجامع ، تتمة المختصر (ص : ٢٧١) الجامع ، أعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٠) الجامع ، الذيل على طبقات الحنابلة (ص : ٤١٨) الجامع ، المنهج الأحمد (ص : ٥٤٣) الجامع ، الدر المنضر (ص: ٥٥٣) الجامع ، بحرالعلوم (ص:٥٩٥) الجامع ، جلاء العينين (ص: ٦٢٠) الجامع ، وقد نشر بتصحيح عبد الصمد شرف الدين الكتبي عام ١٣٦٨هـ الموافق ١٩٤٩م عن ادارة ترجمان السنة لاهور باكستان ، ونشر بتحقيق د / عماد خفاجي سالم ود / محمد عبد الستار نصار عام ١٣٩٧هـ الموافق ١٩٧٧م حتى نهاية المقام الثالث وهو رد قولهم إن التصديقات لا تنال إلا بالقياس ونشر عن مكتبة الأزهر بالقاهرة .

(٥) العقود الدرية (ص : ٣٧) .

(٦) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٩) الجامع ونشرت ضمن مجموع الفتاوى (٦ / ٤٨٥ ـ ٥٠٦) .

(٧) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لأحمد بن يحيى بن فضل الله العُمَري (ص: ٢٥٩) الجامع ، المقفي الكبير للمقريزي (ص : ٤٣٨) الجامع ، الدرر الكامنة لابن حجر (ص: ٤٧٠ ـ ٤٧٧) الجامع ، البدر الطالع للشوكاني (ص : ٥٨٤) الجامع ، جلاء العينين (ص : ٦٢٦) الجامع ، العقود الذرية (ص : ٥٠) ونشرت ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (١/١٦١ ـ ١٨٣) ، وضمن مجموع الفتاوى (٢/ ٤٥٢ ـ ٤٧٠) .

١٠٦ ـ رسالة البعلبكية[١].

١٠٧ ـ الرسالة البغدادية[٢] .

١٠٨ ـ رسالة في اثبات وجود النفس بعد الموت[٣] .

١٠٩ ـ رسالة تكسير الأحجار [٤] .

١١٠ ـ رسالة العرش [٥] .

١١١ ـ رسالة في الاستطاعة هل هي مع الفعل أو قبله[٦].

١١٢ ـ رسالة في الاشتغال بكلام الله وأسمائه وذكره أي ذلك أفضل ؟[٧] .

١١٣ ـ رسالة إلى أهل طبرستان وجيلان في خلق الروح والنور والأئمة المقتدى بهم[٨] .

١١٤ ـ رسالة في الأصول ـ أصول الدين ـ لأهل جيلان[٩].

١١٥ ـ رسالة في أصول الدين للعدوية[١٠] .

١١٦ ـ رسالة في أمر يزيد هل يُسبُ أم لا ؟[١١] .

---

(١) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٤) الجامع ، وتكلم فيها الشيخ على اختلاف الناس في مسألة كلام الله » ، أعيان العصر (ص:٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص:٣٣٠) الجامع .

(٢) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص: ٢٣٥) الجامع وهي رسالة في مسألة القرآن ، أعيان العصر (ص:٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص: ٣١٥) ، فوات الوفيات (ص: ٣٣٠) الجامع ، جلاء العينين (ص : ٦٢٠)الجامع .

(٣) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٩) الجامع .

(٤) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص :٢٤٩) الجامع .

(٥) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٩) الجامع ، جلاء العينين (ص : ٦١٩) الجامع .

(٦) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص:٢٣٨) الجامع ، ونشرت ضمن مجموع الفتاوى (٨ / ٣٧١ ـ ٣٧٦) .

(٧) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٧) الجامع .

(٨) أعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٠) الجامع

(٩) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٤١) الجامع .

(١٠) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٤١ ، ٢٤٨) الجامع .

(١١) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٧) الجامع .

١١٧ ـ رسالة في أن كل حمد وذم للمقالات والأفعال لا بد أن يكون بكتاب الله وسنة رسوله(١) .

١١٨ ـ رسالة في أن مبدأ العلم الإلهي عند النبي ـ ﷺ ـ هو الوحي وعند أتباعه هو الايمان(٢) .

١١٩ ـ رسالة في إهداء الثواب إلى النبي ـ ﷺ ـ (٣) .

١٢٠ ـ رسالة في عصمة الأنبياء هل هي من الصغائر؟ وهل يكفر المنازع في تجويز الصغائر عليهم(٤) .

١٢١ ـ رسالة في أن دين الأنبياء واحد(٥) .

١٢٢ ـ رسالة في أن القرآن العظيم كلام الله ، ليس شيء منه كلاماً لغيره(٦) .

١٢٣ ـ رسالة في الايمان هل يزيد وينقص ؟(٧) .

١٢٤ ـ رسالة في تحقيق مسألة علم الله(٨) .

١٢٥ ـ رسالة في الجمع بين علو الله وقربه(٩) .

١٢٦ ـ رسالة في الجواب عمن يقول : أن صفات الرب تعالى ، نِسَبٌ واضافات وغير ذلك(١٠) .

---

(١) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٩) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٤١) .

(٢) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٩) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٤١ ٩ .

(٣) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٤) الجامع .

(٤) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : (ص : ٢٣٨) الجامع .

(٥) نشرت ضمن جامع الرسائل بتحقيق (د / محمد رشاد سالم (١/٢٨١ ـ ٢٨٤) .

(٦) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (٢ / ١١٧ ـ ١٦١) .

(٧) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٩) الجامع .

(٨) نشرت ضمن جامع الرسائل بتحقيق د / محمد رشاد سالم (١/ ٧٥ ـ ١٨٣) .

(٩) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (٥ / ٢٢٦ ـ ٢٥٥) .

(١٠) نشرت ضمن جامع الرسائل بتحقيق / محمد رشاد سالم (١/ ١٥٣ ـ ١٧٣) .

١٢٧ ـ رسالة في الجواب عن سؤال عن الحلاج : هل كان صديقا أو زنديقاً ؟[١] .
١٢٨ ـ رسالة في حق الله وحق رسوله وحقوق عباده[٢] .
١٢٩ ـ رسالة في الخلة والإمكان العام[٣] .
١٣٠ ـ رسالة في رؤية المؤمنين ربهم[٤].
١٣١ ـ رسالة في عرض الأديان عند الموت[٥] .
١٣٢ ـ رسالة في عصمة الأنبياء[٦] .
١٣٣ ـ رسالة في عقيدة الأشعرية وعقيدة الماتريدي[٧] .
١٣٤ ـ رسالة في العين والقلب وأحواله[٨] .
١٣٥ ـ رسالة في السماع والرقص[٩].
١٣٦ ـ رسالة في الشهادتين وما يتبع ذلك[١٠] .
١٣٧ ـ رسالة في فضل السلف على الخلف في العلم[١١] .
١٣٨ ـ رسالة في الصراط المستقيم وفي الزهد والعبادة والورع[١٢] .
١٣٩ ـ رسالة في كفر فرعون[١٣] .
١٤٠ ـ رسالة في المباينة بين الله وبين خلقه[١٤] .
١٤١ ـ رسالة في المسألة الحرفية[١٥] .
١٤٢ ـ رسالة فيمن قال ان بعض المشايخ أحيا ميتا[١٦] .

---

(١) نشرت ضمن جامع الرسائل بتحقيق د / محمد رشاد سالم (١/ ١٨٥ ـ ١٩٩) .
(٢) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٩) الجامع .
(٣) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٩) الجامع .
(٤) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (٦ / ٤٠١ ـ ٤٦٠) .
(٥) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٩) الجامع .
(٦) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٨) الجامع .
(٧) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية(ص : ٢٣٩) الجامع .
(٨) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٨) الجامع .
(٩) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١١/ ٥٠٧ ـ ٦٠٧) وضمن مجموعة الرسائل المنيرية(٣/ ١٦٦ ـ ٢٠٤) .
(١٠) أسماء مؤلفات ابن تيمية (ص : ٢٣٨) الجامع .
(١١) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٩) الجامع العقود الدرية (: ٤١) .
(١٢) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٦٨ ـ ٦١٤) .
(١٣) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٨) الجامع .
(١٤) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤١) الجامع العقود الدرية (ص : ٥٢) .
(١٥) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤١) الجامع .
(١٦) أسماء مؤلفات شيخ ابن تيمية (ص : ٢٤٣) الجامع .

١٤٣ ـ رسالة في الصفات الاختيارية[١] .

١٤٤ ـ رسالة في العبادات والفرق بين شرعيها وبدعيها[٢] .

١٤٥ ـ رسالة في العقل والروح[٣] .

١٤٦ ـ رسالة في علم الباطن والظاهر[٤] .

١٤٧ ـ رسالة في علو الله واستوائه على عرشه[٥] .

١٤٨ ـ رسالة في علو الله على خلقه[٦] .

١٤٩ ـ رسالة في الفروق التي يتبين بها كون الحسنة من الله والسيئة من النفس[٧].

١٥٠ ـ رسالة في قدرة الرب[٨] .

١٥١ ـ رسالة في قرب الرب من عابديه وداعيه[٩] .

١٥٢ ـ رسالة في قنوت الأشياء كلها لله عز وجل[١٠] .

١٥٣ ـ رسالة في النهي عن أعياد النصارى[١١] .

١٥٤ ـ رسالة في معنى كون الرب عادلاً[١٢] .

١٥٥ الرسالة القبرصية (إلى ملك قبرص النصراني)[١٣].

١٥٦ ـ رسالة في الرقص والسماع[١٤] .

---

(١) نشرت ضمن جامع الرسائل بتحقيق د / محمد رشاد سالم (٢/ ٣ ـ ٧٠) .

(٢) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٨٧ ـ ٤٢١) .

(٣) نشرت ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٢/ ٢٠ ـ ٤٩) .

(٤) نشرت ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (١/ ٢٢٩ ـ ٢٥٢) ، وضمن مجموع الفتاوى (١٣/ ٢١٣ ـ ٢٦٩) .

(٥) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (٥ / ١٢١ ١٣٥) .

(٦) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (٥ / ١٣٦ ـ ١٥٢) .

(٧) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (٨ / ٢٠٤ ـ ٢٣٤) .

(٨) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (٨ / ٧ ـ ٥٧) .

(٩) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٨) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٤١) .

(١٠) نشرت ضمن جامع الرسائل بتحقيق د / محمد رشاد سالم (١/ ٥٩ ـ ٦٦) .

(١١) أأسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٥) الجامع .

(١٢) نشرت ضمن جامع الرسائل بتحقيق د / محمد رشاد سالم (١/١١٩ ـ ١٤٢) .

(١٣) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (٢٨ / ٦٠١ ـ ٦٣٠) .

(١٤) نشرت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى (٢ / ٢٩٣ ـ ٣٣٠) .

١٥٧ ـ الرسالة القادرية[١] .

١٥٨ ـ الرسالة المدنية في الصفات النقلية[٢] .

١٥٩ ـ شرح كتاب الغزنوي في أصول الدين[٣] .

١٦٠ ـ شرح أول المحصل « للرازي »[٤] .

١٦١ ـ شرح حديث بدأ الإسلام غريباً[٥] .

١٦٢ ـ شرح حديث فحاج آدم موسى[٦].

١٦٣ ـ شرح حديث من عادى لي ولياً[٧] .

١٦٤ ـ شرح حديث النزول[٨] .

١٦٥ ـ شرح بضع عشرة مسألة من الأربعين للرازي[٩] .

---

(١) أعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٠) الجامع .

(٢) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٢٤٨) الجامع ، أعيان العصر (ص : ٢٩٣) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص:٣١٦)، الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣١) الجامع .

(٣) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٣) الجامع ، أعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص:٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٠) الجامع .

(٤) أأسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٣) الجامع أعيان العصر (ص: ٢٩٢) الجامع الوافي بالوفيات (ص :٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٢٩) الجامع .

(٥) العقود الدرية (ص : ٦١) ونشر عن المكتب الإسلامي عام ١٣٩٩م عدة مرات .

(٦) أعيان العصر (ص : ٢٩٣) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٦) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣١) الجامع .

(٧) العقود الدرية (ص : ٦٢) .

(٨) أعيان العصر (ص : ٢٩٣) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص :٣١٦) الجامع ، وقد نشر ضمن مجموع الفتاوى (٣٢١/٥ ـ ٥٨٢) ونشر مستقلا عن المكتب الإسلامي بيروت عام١٣٩١هـ وقام بتحقيقه د/ محمد عبد الرحمن الخميس للحصول علي درجة الماجستير في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٧ هـ .

(٩) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٣) الجامع ، أعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص:٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٢٥) الجامع ، الذيل على طبقات الحنابلة (ص : ٤١٨) ، المنهج الأحمد (ص : ٥٤٣) الجامع ، الدر المنضد (ص : ٥٥٣) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٣٧) .

١٦٦ - شرح رسالة ابن عبدوس (في كلام الامام أحمد) في أصول الدين[١] .

١٦٧ - شرح العقيدة الأصبهانية[٢] .

١٦٨ - شرح كلمات من فتوح الغيب[٣] .

١٦٩ - الشفاعة الشرعية والتوسل إلى الله بالأعمال والأشخاص[٤] .

١٧٠ - الصارم المسلول على شاتم الرسول[٥] .

١٧١ - الصعيدية (قاعدة تتعلق بالتوبة)[٦] .

---

(١) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٣) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٤٦) أعيان العصر (ص:٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٠) الجامع .

(٢) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٣ ، ٢٤٩) الجامع ، شرح الكافية الشافية لابن قيم الجوزية (ص:٢٧٨) الجامع ، أعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) ، فوات الوفيات (ص : ٣٢٩) الجامع ، الذيل على طبقات الحنابلة (ص: ٤١٩) الجامع ،المنهج الأحمد (ص : ٥٤٤) الجامع ، الدر المنضد (ص:٥٥٣) الجامع ، جلاء العينيين (: ٦١٩) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٣٧) ونشرت بتصحيح مفتي مصر الأسبق فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف وحققها ضمن رسالته للحصول على درجة الدكتوراه ، الدكتور / محمد بن عوده السعوي عام ١٤٠٧هـ .

(٣) نشر ضمن مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٥٥ - ٥٤٨) ، وضمن جامع الرسائل بتحقيق د / محمد رشاد سالم (٧١/٢-١٨٩) .

(٤) نشرت ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (١ / ١٠ - ٢٤) .

(٥) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٤٣) الجامع ، مختصر طبقات علماء الحديث (ص : ١٩٦) الجامع ، العقود الدرية (ص:٣٥) مسالك الابصار (ص : ٢٥٦) الجامع ، البداية والنهاية (ص : ٣٤٥) الجامع ، الذيل على طبقات الحنابلة (ص : ٤١٩) الجامع ، المقفي الكبير للمقريزي (ص : ٤٤٦) الجامع ، المنهج الأحمد (ص : ٥٤٤) الجامع ، الدر المنضد (ص : ٥٥٣) الجامع ، طبقات المفسرين للداوودي (ص : ٥٥٨) الجامع جلاء العينين (ص:٦٤٠) ونشر الكتاب قديما بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي ونشر حديثا بتحقيق د / محمد عمر حلواني ، د/ محمد كبير شوردي عام ١٤١٧هـ عن دار رمادي للنشر بالدمام .

(٦) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٦) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٤٣) .

١٧٢ ـ الصفدية[١] .

١٧٣ ـ صفات الكمال والضابط فيها[٢] .

١٧٤ ـ العقيدة الواسطية[٣] .

١٧٥ ـ العبودية[٤] .

١٧٦ ـ عصمة الأنبياء فيما يبلغونه[٥].

١٧٧ ـ فيتا في مسألة العلو[٦] .

١٧٨ ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان[٧] .

١٧٩ ـ الفرقان بين الحق والباطل[٨] .

---

(١) وتعرف بجواب المسألة الصفدية ، العقود الدرية (ص : ٣٧) فوات الوفيات (ص : ٣٣٠) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، أعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، الذيل على طبقات الحنابلة (ص : ٤١٦) الجامع المنهج الأحمد (ص : ٥٤٤) ، الجامع ، الدر المنضد (ص : ٥٥٣) الجامع ونشرت بتحقيق د . / محمد رشاد سالم عام ١٣٩٦هـ عن شركة مطابع حنيفة بالرياض .

(٢) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٤) الجامع ، أعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص:٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٠) الجامع .

(٣) نشرت ضمن مجموع الفتاوى ((٣ /١٢٩ ـ ١٥٩) ونشرت بشرح الشيخ / محمد خليل هراس وبشرح الشيخ/ زيد ابن عبد العزيز بن فياض وبشرح الشيخ/ محمد بن صالح بن عثيمين ـ رحم الله الجميع ـ .

(٤) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٢٣) الجامع ونشرت عام ١٣٩٩ عن المكتب الإسلامي ببيروت .

(٥) أعيان العصر (ص : ٢٩٣) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٦) الجامع ، فوات الوفيات (ص: ٣٣١) الجامع .

(٦) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٤) الجامع .

(٧) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٠) الجامع ، مختصر طبقات علماء الحديث (ص : ١٩٦) الجامع ، الذيل على طبقات الحنابلة (ص : ٤١٩) الجامع ، المنهج الأحمد (ص : ٥٤٤) الجامع ، الدر المنضد (ص: ٥٥٣) الجامع ، جلاء العينين (ص : ٦٢٠) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٣٥) الاعلام العلية (ص : ٢٤) ونشرت ضمن مجموع الفتاوى (١١/ ١٥٦ ـ٣١٠) ، ونشرت بتحقيق د . محمد عبد الكريم اليحيى عام ١٤١٤هـ عن دار طويق للنشر بالرياض .

(٨) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية بلفظ « الفرقان بين الحق والبطلان » (ص : ٢٤٩) الجامع ، المنهج الأحمد (ص:٥٤٤) الجامع ، الدر المنضد (ص : ٥٥٣) الجامع ، ذيل طبقات الحنابلة (ص : ٤١٩) الجامع ، ونشر ضمن مجموع الفتاوى (١٣/٥ ـ ٢٢٩) وضمن مجموعة الرسائل الكبرى (١/ ٣ ـ ١٧٢) .

١٨٠ ـ فتيا في السفر لزيادة القبول(١) .

١٨١ ـ القادرية(٢) .

١٨٢ ـ قاعدة في إثبات كرامات الأولياء(٣) .

١٨٣ ـ قاعدة في الإخلاص والتوكل(٤) .

١٨٤ ـ قاعدة في أن الايمان والتوحيد يشتمل على مصالح الدنيا والآخرة(٥) .

١٨٥ ـ قاعدة في أمراض القلوب وشفائها(٦) .

١٨٦ ـ قاعدة في أن جميع البدع ترجع إلى شعبة من شعب الكفر(٧) .

١٨٧ـ قاعدة في أن خبر الواحد بغير اليقين(٨) .

١٨٨ ـ قاعدة أهل السنة والجماعة في الاعتصام بالكتاب والسنة وعدم الفرقة(٩) .

١٨٩ ـ قاعدة أهل السنة والجماعة في رحمة أهل البدع والمعاصي ومشاركتهم في صلاة الجماعة(١٠) .

١٩٠ ـ قاعدة فق أن فوارق العادات لا تدل على الولاية(١١) .

١٩١ ـ قاعدة في أن الشريعة والحقيقة متلازمان(١٢) .

---

(١) البداية والنهاية (ص : ٣٧٦ ـ ٣٧٧) الجامع المقفى الكبير للمقريزي (ص : ٤٤٥) الجامع .

(٢) العقود الدرية (ص : ٣٦) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٥) الجامع ، وهي مسألة في القرآن .

(٣) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٥) الجامع .

(٤) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٦) الجامع .

(٥) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٥) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٣٩) .

(٦) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٠) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٤١) .

(٧) العقود الدرية (ص : ٤٤) .

(٨) أعيان العصر (ص : ٢٩٤) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٧) الجامع .

(٩) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (٣ / ٢٧١ ـ ٢٩٢) .

(١٠) نشرت ضمن مجموعة رسائل الرسائل (٥ /١٩٧ ـ ٢٠٦) .

(١١) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٥) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٣٩) .

(١٢) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٧) ، العقود الدرية (ص : ٤٠) .

١٩٢ ـ قاعدة تتعلق برحمة الله في ارسال محمد ـ ﷺ ـ وأن إرساله أجل شكر(١) .

١٩٣ ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة(٢) .

١٩٤ ـ قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات(٣) .

١٩٥ ـ قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والايمان ، وعبادات أهل الشرك والنفاق(٤) .

١٩٦ ـ القاعدة العظيمة في مسائل الصفات والأفعال(٥) .

١٩٧ ـ قاعدة على كلام ابن الشريف في التصوف(٦) .

١٩٨ ـ قاعدة في أبطال المجردات(٧) .

١٩٩ ـ قاعدة في اثبات الرؤية والرد على نفاتها(٨) .

٢٠٠ ـ قاعدة في أحوال الشيخ يونس الغيبي والشيخ أحمد بن الرفاعي(٩).

٢٠١ ـ قاعدة في الاخلاص وتقديره بالعقل(١٠) .

---

(١) العقود الدرية (ص : ٤٢) .

(٢) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١/ ١٤٢ ـ ٣٦٨) ونشرت مستقلة بتحقيق د / ربيع هادي المدخلي عام ١٤٠٩هـ عن مكتبة لينه بدمنهور .

(٣) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١١/ ٣١١ ـ ٣٦٢) وضمن مجموعة الرسائل والمسائل (٤/ ١٥٣ ـ ١٩٠) .

(٤) نشرت بتحقيق د / سليمان الغصن عام ١٤١١هـ عن دار العاصمة بالرياض .

(٥) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (٦ / ١٤٤ ـ ١٨٤) .

(٦) أسماء مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيمية (ص: ٢٤٠) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٤١) وفيها ابن العريف بدل الشريف .

(٧) العقود الدرية (ص : ٦٦) .

(٨) العقود الدرية (ص : ٦٦) .

(٩) العقود الدرية (ص : ٤٠) .

(١٠) العقود الدرية (ص : ٤٠) .

٢٠٢ ـ قاعدة في أن كل آية يحتج بها مبتدع ، ففيها دليل على فساد قوله[١] .

٢٠٣ ـ قاعدة في أن كل عمل صالح أصله اتباع النبي ـ ﷺ ـ [٢] .

٢٠٤ ـ قاعدة في أن الله تعالى انما خلق لعبادته[٣] .

٢٠٥ ـ قاعدة في أن مخالفة الرسول لا تكون إلا عن ظن أو إتباع هوى[٤] .

٢٠٦ ـ قاعدة في بيان طريقة القرآن في الدعوة والهداية النبوية وما بينها وبين الطريقة الكلامية والصوفية[٥] .

٢٠٧ ـ قاعدة في تزكية النفوس[٦] .

٢٠٨ ـ قاعدة في التسبيح والتحميد والتهليل[٧] .

٢٠٩ ـ قاعدة في تسبيح المخلوقات من الجمادات وغيره هل هو بلسان الحال أم لا؟[٨] .

٢١٠ ـ قاعدة في تعذيب المرء بذنب غيره[٩] .

٢١١ ـ قاعدة في الاسم والمسمى[١٠].

٢١٢ ـ قاعدة في شرح أسماء الله الحسنى[١١] .

٢١٣ ـ قاعدة في تفضيل صالحي الناس على سائر الأجناس[١٢] .

٢١٤ ـ قاعدة في الايمان المقرون بالاحسان وفي الاحسان المقرون بالاسلام[١٣] .

٢١٥ ـ قاعدة في الايمان والتوحيد وبيان من ضل في هذا الأصل[١٤] .

---

(١) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٧) .

(٢) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٦) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٤٧) .

(٣) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٢) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٤٧) .

(٤) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٥) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٤٩) ونشر ضمن مجموع الفتاوى (١٠/٦٢٥ ـ ٦٤٢) ، ونشرت مستقلة بتحقيق د / محمد سعيد القحطاني عام ١٤١٥هـ عن دار المسلم بالرياض .

(٥) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٢) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٤٣) .

(٦) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية(ص : ٢٤٠) ، الجامع

(٧) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ص ٢٤٢) .

(٨) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٢) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٤٣) .

(٩) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٣) ، الجامع ، العقود الدرية (ص : ٤٤) .

(١٠) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (٦ / ١٨٥ ـ ٢١٢) .

(١١) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٧) الجامع .

(١٢) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٦) الجامع ، مختصر طبقات علماء الحديث (ص : ١٩٦) الجامع أعيان العصر (ص : ٢٩٤) الجامع، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٦) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣١) الجامع .

٢١٦ ـ قاعدة في الشبابة(١) .

٢١٧ ـ قاعدة في توحيد الإلهية واخلاص العمل لوجه الله(٢) .

٢١٨ ـ قاعدة في تقرير النبوات بالعقل والنقل(٣) .

٢١٩ ـ قاعدة في توحيد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها وتوحد الدين الملي دون الشرعي(٤) .

٢٢٠ ـ قاعدة في توحيد الشهادة(٥) .

٢٢١ ـ قاعدة في الجماعة والفرقة وسبب ذلك(٦) .

٢٢٢ ـ قاعدة في حق الله وحق رسوله وحقوق عباده وما وقع في ذلك من التفريط(٧) .

٢٢٣ ـ قاعدة في الخلة والمحبة وأيهما أفضل؟(٨) .

٢٢٤ ـ قاعدة في الخلطة والعزلة(٩) .

٢٢٥ ـ قاعدة في ذم الوساوس(١٠) .

٢٢٦ ـ قاعدة في الرد على أهل الاتحاد(١١) .

٢٢٧ ـ قاعدة في الرد علي من قال بفناء الجنة والنار(١٢).

٢٢٨ ـ قاعدة في رسالة النبي - ﷺ - إلى الإنس والجن(١٣) .

٢٢٩ ـ قاعدة في الزهد والورع(١٤) .

---

(١) العقود الدرية (ص :٤٩) .

(٢) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١ /٢٠ ـ ٣٦) ، ونشرت مستقلة بتحقيق د / محمد ا لجليند عام ١٤٠٧هـ عن دار القبلة بجدة بعنوان : كتاب التوحيد مع اخلاص العمل لوجه الله عز وجل » .

(٣) العقود الدرية (ص : ٦٦) .

(٤) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٩ / ١٠٦ ـ ١٢٨) وضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٣ / ١٢٨ ـ ١٦٥) .

(٥) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية(ص : ٢٤٢) الجامع .

(٦) نشرت ضمن مجموع الفتوى (١/ ١٢ ـ ١٧) .

(٧) العقود الدرية (ص : ٤٠) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٧) الجامع .

(٨) العقود الدرية (ص : ٤٠) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية(ص : ٢٣٧) الجامع .

(٩) العقود الدرية (ص: ٤٦) .

(١٠) العقود الدرية (ص : ٤٧) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٧) الجامع ، أعيان العصر (ص:٢٩٥) الجامع الوافي بالوفيات (ص :٣١٨) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٣) الجامع .

(١١) العقود الدرية (ص : ٤٦) ، أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤١) الجامع .

(١٢) العقود الدرية (ص : ٦٧) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٢٥) جامع ، أعيان العصر (ص:٢٩٤) ، الجامع الوافي بالوفيات (ص : ٣١٦) الجامع ، فوات الوفيات (ص: ٣٣١) الجامع ، ونشرت بتحقيق د / محمد بن عبدالله السمهري عام ١٤١٥هـ عن دار بلنسية بالرياض .

(١٣) العقود الدرية (ص : ٣٩) ، أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٤٣) الجامع .

(١٤) العقود الدرية (ص : ٤١) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٠) الجامع ، ونشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٠/٥٦٨ ـ ٦٢٤) .

٢٣٠ ـ قاعدة في السياحة والعزلة وفي الفقر والتصوف وهل هما اسمان شرعيان ؟[١] .

٢٣١ ـ قاعدة في السياحة ومعناها في هذه الأمة[٢] .

٢٣٢ ـ قاعدة في الشكر لله وأنه يتعلق بالأفعال الاختيارية[٣] .

٢٣٣ ـ قاعدة في الصبر والشكر[٤] .

٢٣٤ ـ قاعدة في العدم واستطاعته[٥] .

٢٣٥ ـ قاعدة في العلوم والاعتقادات والأحكام والكلمات والمحبة والارادات[٦] .

٢٣٦ ـ قاعدة في فضل معاوية وفي ابنه يزيد وانه لا يُسَبْ[٧] .

٢٣٧ ـ قاعدة في الفقراء والصوفية وأيهم أفضل ؟(٨) .

٢٣٨ ـ قاعدة في الفقير الصابروالغني الشاكر أيهما أفضل ؟[٩] .

٢٣٩ ـ قاعدة في الفناء والاصطلام[١٠] .

٢٤٠ ـ قاعدة في القدرية وأنهم ثلاثة أقسام مجوسية ومشركية وإبليسية[١١] .

٢٤١ ـ قاعدة في القرآن وكلام الله[١٢] .

٢٤٢ ـ قاعدة في القضايا الوهمية[١٣] .

٢٤٣ ـ قاعدة في الشيوخ الأحمدية وما يظهرونه من الاشارات[١٤] .

---

(١) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٣) الجامع .

(٢) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٠) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٤٢) .

(٣) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية(ص : ٢٤١) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٤٢) .

(٤) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٦) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٣٩) .

(٥) العقود الدرية (ص : ٤٠) .

(٦) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٩ / ١٢٩ ـ ١٥٤) .

(٧) العقود الدرية (ص : ٥٤) وأعيان العصر (ص : ٢٩٤) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٦) الجامع، فوات الوفيات (ص: ٣٣١) الجامع .

(٨) العقود الدرية (ص : ٣٩) ، أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٦) الجامع ، ونشرت ضمن مجموع الفتاوى (١١/٥ ـ ٤٢) .

(٩) العقود الدرية (ص : ٣٩) ونشرت ضمن مجموع الفتاوى (١١/ ١١٩ ـ ١٣٢) .

(١٠) العقود الدرية (ص ٤١) ، أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٠) الجامع .

(١١) العقود الدرية (ص : ٤١) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٢) الجامع ، ونشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٠/٣٣٧ ـ ٣٤٣) بلفظ « رسالة الفناء الذي يوجد في كلام الصوفية » .

(١٢) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٢ ـ ٦ ـ ٣٦) العقود الدرية (ص : ٤٣) .

(١٣) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٥) الجامع ، العقود الدرية (ص: ٤٢) ، أعيان العصر (ص:٢٩٢) الجامع الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٠) الجامع .

(١٤) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٦) الجامع ، العقود الدرية (ص: ٤٢) أعيان العصر (ص:٢٩٧) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٩) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٤) الجامع ، المقفى الكبير (ص:٤٣٧) الجامع البداية والنهاية (ص : ٣٥٧) الجامع .

٢٤٤ ـ قاعدة في كفر النصيرية(١).

٢٤٥ ـ قاعدة في كلام الجنيد لما سئل عن التوحيد فقال : إفراد الحدوث عن القدم(٢).

٢٤٦ ـ قاعدة في الكلام على الممكن(٣) .

٢٤٧ ـ قاعدة في الكنائس وما يجوز هدمه منها(٤) .

٢٤٨ ـ قاعدة في لباس الخرقة والأقطاب ونحوهم(٥) .

٢٤٩ ـ قاعدة في لفظ الجسم واختلاف الناس واصطلاحاتهم في هذا الاسم(٦) .

٢٥٠ ـ قاعدة فيما لكل أمة من الخصائص ، وخصائص هذه الأمة(٧) .

٢٥١ ـ قاعدة فيما يتعلق بالوسيلة بالنبي ـ ﷺ ـ وبيان خصائصه(٨) .

٢٥٢ ـ قاعدة فيما يتناهى ، وما لا يتناهى(٩) .

٢٥٣ ـ قاعدة في المتشابهات(١٠) .

٢٥٤ ـ قاعدة في المحبة(١١) .

٢٥٥ ـ قاعدة في مشايخ العلم ، ومشايخ الفقراء أيهم أفضل(١٢) .

٢٥٦ ـ قاعدة فيمن ابتلى في الله وصبر(١٣) .

---

(١) أعيان العصر (ص : ٢٩٤) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٦) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣١) الجامع .

(٢) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٢) الجامع ،العقود الدرية (ص : ٤٢) .

(٣) العقود الدرية (ص : ٤٩) .

(٤) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٧) العقود الدرية (ص : ٢٨٥) باسم « كتاب في أمر الكنائس » ، ونشرت بتحقيق/ علي بن عبد العزيز الشبل عام ١٤١٥هـ عن مكتبة العبيكان بالرياض باسم « مسألة في الكنائس » .

(٥) العقود الدرية (ص : ٤٣) بلفظ « لباس الفتوة والخرقة عند المتصوفة » أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص:٢٣٦) ، ونشرت ضمن مجموع الرسائل والمسائل (١/ ١٤٧- ١٦٠) .

(٦) العقود الدرية (ص : ٦٦) .

(٧) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٩) الجامع .

(٨) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤١) الجامع .

(٩) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٥) الجامع ، أعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص:٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٣) الجامع .

(١٠) العقود الدرية (ص : ٦٦) .

(١١) العقود الدرية (ص : ٣٩) بعنوان « قاعدة كبيرة في محبة العبد لله ومحبة الله للعبد »أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٦) الجامع ، ونشرت ضمن جامع الرسائل بتحقيق محمد رشاد سالم (٢ / ١٩٠ - ٤٠١) .

(١٢) العقود الدرية (ص : ٤٤) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٣) الجامع .

(١٣) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤١) الجامع .

٢٥٧ ـ قاعدة في وجوب الاعتصام بالرسالة وان كل خير في العالم فأصله متابعة الرسل وكل شر فمن مخالفتهم أما جهلا أو عمداً (١) .

٢٥٨ ـ قاعدة في وجوب تقديم محبة الله تعالى ، ورسوله على النفس والمال والأهل(٢) .

٢٥٩ ـ قاعدة فيما أحدثه الفقراء المجردون(٣) .

٢٦٠ ـ القاعدة والمراكشية(٤) .

٢٦١ ـ قتل تارك أحد المباني وكفره(٥) .

٢٦٢ ـ قاعدة نافعة في صفة الكلام(٦) .

٢٦٣ ـ قاعدة وأجوبة في عصمة الأنبياء عليهم السلام(٧) .

٢٦٤ ـ قواعد في اثبات القدر والرد على القدرية والجبرية(٨) .

٢٦٥ ـ قواعد في اثبات المعاد والرد على ابن سينا في رسالته الأضحوية(٩) .

٢٦٦ ـ قواعد في خلافة الصديق(١٠) .

٢٦٧ ـ قواعد في السنة والبدعة ، وفي أن كل بدعة ضلالة(١١) .

---

(١) العقود الدرية (ص : ٤٩) ونشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٩ / ٩٣ ـ ١٠٥) .

(٢) العقود الدرية (ص : ٦٦) .

(٣) العقود الدرية (ص: ٤٣) .

(٤) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٤) الجامع ، أعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص:٣١٥) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٠) ونشر بتحقيق د / ناصر بن سعد الرشيد ، د / رضا نعسان معطي عام ١٤٠٢هـ عن دار طيبة بالرياض .

(٥) أعيان العصر (ص : ٢٩٦) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص: ٣١٨) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٣) الجامع .

(٦) نشرت ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٢ / ٥٠ ـ ٨٣) .

(٧) العقود الدرية (ص : ٤٠) .

(٨) أعيان العصر (ص : ٢٩٣) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٦) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣١) الجامع.

(٩) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٤) الجامع .

(١٠) العقود الدرية (ص : ٤٠) ، أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية(ص : ٢٣٧) الجامع .

(١١) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٤٤) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٤٤) .

٢٦٨ ـ قواعد في الشهادتين(١) .

٢٦٩ ـ قواعد في الكنائس وأحكامها وما يجوز هدمه منها وابقاؤه منها وما يجب هدمه وأجوبة تتعلق بذلك(٢) .

٢٧٠ ـ كتاب في الوسيلة(٣) .

٢٧١ ـ الكلام على ارادة الرب تعالى وقدرته وتحرير القول في ذلك على كلام الرازي في المطالب العالية(٤) .

٢٧٢ ـ الكلام علي بطلان الفتوة المصصلح عليها بين العوام وليس لها أصل يتصل بعلي ـ رضي الله عنه ـ (٥).

٢٧٣ ـ الكيلانية(٦) .

٢٧٤ ـ الكلام على حديث عمران بن معين الذي قال فيه : جئنا نسألك عن أول هذا الأمر(٧).

٢٧٥ ـ كتاب في الايمان هل يزيد وينقص ؟(٨) .

٢٧٦ ـ كتاب في خلق الأفعال(٩) .

٢٧٧ ـ الماتريدية(١٠) .

---

(١) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٨) الجامع .

(٢) العقود الدرية (ص : ٤٦) وذكر انها في نحو مجلدين .

(٣) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٣) الجامع ، العقود الدرية (ص : ٣٦) مختصر طبقات علماء الحديث (ص:١٩٦) الجامع .

(٤) العقود الدرية (ص : ٥١) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٤) الجامع .

(٥) أعيان العصر (ص : ٢٩٧) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص: ٣١٩) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٤) الجامع .

(٦) العقود الدرية (ص : ٣٦) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٤) الجامع ، ونشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٢ / ٣٢٣ ـ ٥٨) .

(٧) العقود الدرية (ص : ٥٠١) .

(٨) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٩) الجامع .

(٩) جلاء العينين (ص : ٦٢٠) الجامع .

(١٠) العقود الدرية (ص : ٥٥) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٩) الجامع .

٢٧٨ ـ مراتب الارادة(١) .

٢٧٩ ـ مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم(٢) .

٢٨٠ ـ مسائل كثيرة في الأفعال الاختيارية المسماه عند المتكلمين بحلول الحوادث(٣) .

٢٨١ ـ مسائل وأجوبتها في قتال التتار الذين قدموا مع قازان وغيره(٤) .

٢٨٢ ـ مسألة الأحرف التي أنزلها الله على آدم هل هل كلام الله(٥) .

٢٨٣ ـ مسألة الشفاعة ومسألة الشهادة بالاستفاضة(٦) .

٢٨٤ ـ مسألة صفات الله تعالى وعلوه على خلقه بين النفي والاثبات(٧) .

٢٨٥ ـ مسألة في الفقر والتصوف(٨) .

٢٨٦ ـ مسألة في العقل والروح(٩) .

٢٨٧ ـ مسألة في العلو(١٠) .

٢٨٨ ـ مسألة في فضل أبي بكر وعمر على غيرهما(١١) .

---

(١) نشرت بتحقيق محمد حامد الفقي عام ١٣٧٢هـ عن مطبعة السنة المحمدية ، وضمن مجموعة الرسائل الكبرى (٨٧-١٩/٢) .

(٢) نشر ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (٣/٢ - ٦٤) .

(٣) العقود الدرية (ص : ٥٢) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٤) الجامع .

(٤) العقود الدرية (ص : ٥٨) .

(٥) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٢ / ٣٧ - ١١٦) .

(٦) العقود الدرية (ص : ٦١) .

(٧) نشرت ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (١ / ١٨٥ - ٢١٦) .

(٨) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (٢٥/١١ - ٢٦) .

(٩) أعيان العصر (ص: ٢٩٣) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٦) الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣١) الجامع.

(١٠) العقود الدرية (ص: ٥١) .

(١١) أعيان العصر (ص : ٢٩٣) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٦) الجامع ، فوات الوفيات (ص: ٣٣١) الجامع جلال العينين (ص : ٦١٩) الجامع .

٢٩٩ - نصيحة أهل الايمان في الرد على منطق اليونان(١) .
٣٠٠ - نقض المنطق(٢) .
٣٠١ - نقض الاعتراض لبعض المشارقة(٣).
٣٠٢ - النهي عن المشاركة في أعياد اليهود والنصارى وانقاد نصف شعبان والحبوب في عاشوراء(٤) .
٣٠٣ - الواسطة بين الحق والخلق(٥) .
٣٠٤ - الوصية الصغرى(٦) .
٣٠٥ - الوصية الكبرى(٧).

المبحث الرابع :جهاده وأثره في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد أدرك شيخ الإسلام ابن تيمية وعَلِم عِلْمَ اليقين أن ثمرة العلم أنما هو العمل، والعلماء ورثة الأنبياء في نفع الناس وتعليميهم ، وتطبيق ذلك العلم يكون بالعمل ، وذلك لا يتم إلا بالقدوة الصالحة في حياتهم وما لم يكن العالم عاملا بعلمه داعياً إلى الله تعالى آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر مدافعاً عن الإسلام فما فائدة العلم إذاً؟!

لقد أدرك شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الحقيقة فلم يكن العالم القابع في بيته ، المعتكف في مسجده للإفتاء والتدريس فحسب ، وانما كان يرحمه الله رابطا للعلم بالعمل فحمله علمه إلى تحمل مسؤليته ، فكانت حياته كلها صفحات مشرفة بالجهاد والدعوة والتعليم والأمر

---

(١) نشر ضمن مجموع الفتاوى (٩ / ٨٢ - ٢٥٤) .

(٢) نشر ضمن مجموع الفتاوى (٩ / ٥ - ٨٢) ونشر مستقلا بتحقيق / محمد عبد الرزاق حمزة ، وسليمان بن عبدالرحمن الصنيع وتصحيح محمد حامد الفقي عن مكتبة السنة المحمدية بالقاهرة .

(٣) أعيان العصر (ص : ٢٩٢) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٥) وهو رد على ما اعترض به بعض المشارقة على شرح شيخ الإسلام للعقيدة الأصبهانية .

(٤) أعيان العصر (ص : ٢٩٦) الجامع ، الوافي بالوفيات (ص : ٣١٩) ، الجامع ، فوات الوفيات (ص : ٣٣٣) الجامع.

(٥) نشرت عن المكتب الإسلامي عام ١٣٨١هـ .

(٦) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (١٠ / ٦٥٣ - ٦٦٥) وضمن مجموعة الرسائل الكبرى (١/٢٢٩- ٢٤١) .

(٧) نشرت ضمن مجموع الفتاوى (٣ / ٣٦٣ - ٤٣٠) وضمن مجموعة الرسائل الكبري (١/ ٢٦٧ - ٣٢٣) .

بالمعروف والنهي عن المنكر حتي قبضه الله تعالى إليه وهو في تلك الحال محتسبا لله ما فعله. والكلام حول هذا الجانب من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية يطول ولكنا نشير إلى بعض الأمثلة:

يقول البزار : « ما رأيت أحد أثبت جأشا منه ، ولا أعظم عناءا في جهاد عدو منه ، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده ولا يخاف من الله لومة لائم »(١) فمما يذكر من جهاده انه ـ رحمه الله ـ قد شارك في فتح عكا ، واستنقذها مع جنود المسلمين من أيدي الصليبيين ولقد حكى من كان معه في فتح عكا أموراً عظيمة من الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها وقالوا : ولقد كان السبب في تملك المسلمين اياها بفعله ومشورته وحسن نظره(٢) .

ومن ذلك أيضاً إرساله كتابا إلى ملك قبرص النصراني يدعوه فيه إلى الإسلام ، ويبين فيه أن دين الأنبياء واحد ويوضح له تلبيسات القساوسة والرهبان، ويذكر له من تفصيلات دينهم وما ابتدعوه فيه من إدخال الألحان في صلواتهم مع ما تحلّى به خطاب شيخ الإسلام من اللين والسماحة والحكمة والموعظة الحسنة ، فقد جاء في خطابه إلى ملك قبرص : « من أحمد بن تيمية إلى سرجوان عظيم أهل ملته ، ومن تحوط به عنايته من رؤساء الدين وعظماء القسيسين .. سلام على من اتبع الهدى .. وإنما نبه الداعي لعظيم ملته وأهله لما بلغني ماعنده من الديانة والفضل ومحبة أهل العلم وطلب المذاكرة .. ونحن نحب الخير لكل أحد ، ونحب أن يجمع الله لكم خير الدنيا والآخرة .. وأنا ما غرضي الساعة إلا مخاطبتكم بالتي هي أحسن والمعاونة على النظر في العلم واتباع الحق وفعل ما يجب واصل ذلك أن نستعين بالله ونسأله الهداية ... والله المسؤول ان يعين الملك على مصلحته التي هي عند الله المصلحة ، وان يخير له من الأقوال ما هو خير له عند الله ويختم له بخاتمة خير والحمد لله رب العالمين »(٣) وحين لاحظ شيخ الإسلام ازدياد النشاط التنصيري في عصره ورأى أن بعض علمائهم قاموا يبشرون في الأرض لنشر ديانتهم والتشكيك في دين الإسلام، نهض إلى تأليف كتابه المبارك : « الجواب الصحيح

---

(١) الاعلام العلية (ص : ٦٧) .

(٢) الاعلام العلية (ص : ٣٤) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٢٨ / ٦٠١ - ٦١٠) .

لمن بدل دين المسيح » الذي أوضح فيه بجلاء ما عليه النصرانية من أكاذيب وأباطيل وخرافات ، وأن المسيح بريءٌ منها وانها بصورتها الموجودة في ذلك الزمان وحتى يومنا هذا مخالفة لدين الأنبياء جميعا هذا من جهة النصارى .

أما جهاده ضد التتار ، فشيء يعجب منه المطلع على سيرة ذلك الإمام ، فرغم هزيمتهم عام (٦٥٨هـ) في معركة عين جالوت على يد صلاح الدين إلا أنهم توحدوا من جديد وبدأوا بمحاولات لاعادة سيطرتهم التي تقوم على سفك الدماء وإزهاق الأرواح وحرب الإسلام وذلك بالتعاون مع أعداء المسلمين من اليهود والنصارى والرافضة والنصيريين .

فقد قاموا في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن بعدة حملات على بلاد الإسلام ـ خاصة بلاد الشام ـ وروعوا الآمنين ونهبوا الأموال وسبوا النساء وكانت وقعة قازان « ملك التتار » عام (٦٩٩هـ) هزيمة مروعة للمسلمين ولكن شيخ الإسلام على عادته قاد الأمة في هذه المحنة فخرج مع جماعة من العلماء والأعياء الى قازان ملك التتار وكان هو المفاوض باسم الوفد فلم يأخذه في الله لومة لائم ، وأخذ في التكلم معه وارتفع صوته ووعظه وشدّد عليه وكان مما قاله لقازان : « أنت تزعم انك مسلم ومعك قاض وامام وشيخ ومؤذنون ـ على ما بلغنا ـ فغزوتنا ، وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذي عملت ، عاهدا فوفيا وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت وجرت ... »(١) .

وقد أنزل الله الهيبة للشيخ في قلب قازان ، واعجب به وسأل عن الشيخ ولما عرف أن موطنه حرّان ، عرض عليه أن يعمرها وان ينقله أميراً عليها فرفض شيخ الإسلام وقال : لا والله لا أرغب عن مهاجر ابراهيم ـ عليه السلام ـ واستبدل به غيره ، وخرج من عنده معززاً مكرّماً، وقد حقن الله به دماء المسلمين . ثم وردت أخبار بغزو التتار بلاد الشام مرة أخرى وانهم عازمون على دخول مصر، فانزعج الناس لذلك وازدادوا ضعفا على ضعفهم وطاشت عقولهم .. وشرع الناس في الهرب ، فما كان من شيخ الإسلام ليدع بلاد الشام وحاضرة الإسلام يفر الناس منها وعزَّ عليه أن يرى المسلمون بهذا الحال ، فقام وحرّض الناس على الجهاد والقتال في سبيل الله وحذر من الفرار والهرب ورغّب في الجهاد بالنفس والمال في الجامع الأموي وتتابعت دروسه وخطبه التي كان يلقيها حول الجهاد، وأن الفرار الحقيقي إنما هو الفرار الى الله.

(١) انظر : الاعلام العلية (ص : ٣٣) البداية والنهاية (٨/١٤) .

فكانت من بركة تلك الدروس ، صدور مرسوم سلطاني يمنع الناس من السفر إلا بإذن من السلطان وكان يدور على الأسوار كل ليلة يحضُّ الناس على الجهاد ويأمرهم بالصبر ويذكّرهم بفضل الشهادة في سبيل الله ، وسافر إلى مصر حيث مقر السلطان وأخذ يحثه على المسير إلى الشام للدفاع عنها ضد زحف التتار ، وكان مما قاله للحكام هناك : « إن كنتم أعرضتهم عن الشام وحمايته ، أقمنا له سلطانا يحميه ويحوطه زمن الأمن .. ولو قُدِّرَ أنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم النصر ، فكيف وأنتم حكّامه وسلاطينه وهم رعاياكم وأنتم المسؤولون عنه ... » .

ولقد توج الله تلك الجهود الكبيرة التي بذلها شيخ الإسلام في جهاد التتار ، بمعركة «شقحب» وكانت الكثرة في العدد والعدة تميل لصالح التتار واعتقد الناس أنه لا طاقة لجيش المسلمين بهذه الجيوش ، ولكن أهل العلم يعلمون أن النصر والعاقبة لعباده المؤمنين ، فقام شيخ الإسلام يطوف بين صفوف المقاتلين حالفاً ومؤكداً أن النصر في هذه الكرة للمسلمين ، فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله ، فيقول : إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا ، وأفتى الناس بالفطر في رمضان أثناء أيام موقعة شقحب ، وحين تردد بعض الناس في قتال التتار لدعواهم الإسلام ، بين - رحمه الله - أن هؤلاء من جنس الخوارج الذين قاتلهم أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - بأمر رسول الله - ﷺ - ، وقد تحقق ما وعد به الشيخ وما انفك يحلف به ، فنصر الله المسلمين ولم تقم للتتار بعدها قائمة، وقاتل فيها شيخ الإسلام قتالاً عجيباً ، واستقبل الناس شيخ الإسلام وأصحابه لما دخل دمشق مرحبين بهم مهنئين لهم بالنصر ، داعين له ولهم بما يسّر الله على يديه من النصر المبين(١) .

- أما امره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، فله صور كثيرة ، فقد كان يخرج مع أصحابه وتلاميذه إلى أهل المنكرات من مروجي الخمر ، فكسروا أواني الخمور وقاموا بتعزير جماعة منهم وفرح الناس بذلك إذ رأواْ حكم القرآن ينفذ وعهد رسول الله يعود(٢) .

- وحارب - رحمه الله - البدعة والمبتدعة في دين الله وذلك لأجل اقامة السنة ونشرها بين الناس ، فقد أنكر رحمه الله بعض الصلوات المبتدعة التي كان يجتمع عليها بعض الناس

(١) انظر : البداية والنهاية (١٤ / ١٦ - ٢٧) .
(٢) البداية والنهاية (١٤ / ١٢) .

وأزال أثراً بنهرٍ كان يـزار وينذر له ، فأمر الحجّارين بقطع ذلـك الأثر ، وأزال الشرك الذي كان يحصل بسببه .

ـ أما المبتدعة فكان يقيم عليهم الحـجة أولاً ، فإن أبوْا الانصياع للحق ، نابذهم وزجرهم وقهرهم بقوة الحق والسنة .

فـمن ذلك احـضاره لشيخ مـبتدع يـدعى إبراهيم القطان ، وأمـر بحلق رأسـه ، وتقليم أظفاره وحف شاربه ، واستتابه من أكل الحشيشة ومن قول الفحش(١) .

ـ وأما انكاره على المتصوفة ، فأمـر مشهور جدا فقد كبت متقدمـيهم وانتقدهم بالتأليف والتصنيف وقد لاقى متصوفة عصره مقاومة عنيفة عصفت بهم في كثير من الأحيان .

ومن ذلك انكاره عن طائفـة الأحمـدية البطحائيـة، الذين كانوا يـتعاطون مـن الأحوال الشيطانية ما يحسـبه الجهال انه من كرامات الأولياء ، ففضـح أسرارهم وهتك أستارهم وأظهر الله على يديه السـنة وأخمـد الله به بدعـهم(٢) وسعى فـيه هؤلاء الصوفيـة وتسببـوا في دخوله السـجن فلما دخل السـجن وجـد المحابيس مـشتـغلين بأنواع اللعب المحرمة كـالنرد والشطرنج ونحو ذلك مع تضييع الصلوات ، فأخذ في الانكار عليهم وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجه إلى الله بالأعمال الصـالحة والتسبيح والاسـتغفار ، وعلّمهـم من السنة ما يحتاجون اليـه ، ورغّبهم في أعمال الخير ، حتى صار الحبس بمافـيه من الاشتغال بالعلم والدين خير من الزوايا والمدارس، وصار بعض المحابيس اذا أطـلقوا من السجن يختارون الاقـامة عنده ، وكثر المتـرددون اليه حتى كان السجن يمتلئ بهم !

أما الروافض والنصيـرية ، فقد ذهب إليهم شيخ الإسلام وبعض أصـحابه في عقر دارهم، واستـتابوا خلقاً مـنهم ، وألزموهم بشرائع الإسـلام ، وحين نقضـوا ما عاهدوا به ، خـرج شيخ الإسلام اليـهم مع جيش المسلمين بقـيادة نائب السلطان لغزوهم وقـتالهم وفتـحوا جبـال الجرد والكسـروانيـين وأبادوا كـثيـرا منهم ، حيـث كـانـوا يتـعـاونـون مع النصـارى والتـتار ضـد المسلمين(٣) .

وهكذا كان شيخ الإسلام كالغيث أينما وقع نفع .

(١) البداية والنهاية (١٤ / ٣٦) .

(٢) البداية والنهاية (١٤ / ٣٨) العقود الدرية (ص : ١٣٠) .

(٣) انظر : البداية والنهاية (١٤ / ٣٧) .

المبحث الخامس : مكانته وثناء العلماء عليه

لقد تبوأ شيخ الإسلام ابن تيمية مكانة ومنزلة عظيمة بين علماء عصره ، فقد فاق أقرانه إذ هو الإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً وهو البحر من أي جهة أتيته ولقد شهد له بذلك أعدائه ومناؤوه قبل أحبابه ومتبعوه ، من ذلك ما قاله السبكي الذي قال : « والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى ، فالجاهل لا يدري ما يقول ، وصاحب الهوى يبعده هواه عن الحق بعد معرفته »(١) ويقول القاضي ابن مخلوف المالكي : « ما رأينا اتقى من ابن تيمية سعينا في دمه فما قدرنا عليه ، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا »(٢) .

أما محبوه ومن أثنى عليه فهم كثير جدا ، نأخذ بعض أقوالهم فمن ذلك قول عماد الدين الوساطي المعروف بابن شيخ الحزامين (ت ٧١١هـ) : « فوالله ثم والله ثم والله لم يرى تحت أديم السماء ، مثل شيخكم علماً وعملاً وحالاً وخلقاً واتباعاً وكرماً وحلماً في حق نفسه وقياماً في حق الله عند انتهاك حرماته ، أصدق الناس عقدا ، وأصحهم علماً وعزماً وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق ، وقيامه همة وأسخاهم كفاً وأكملهم إتباعاً لنبيه محمد - ﷺ - ما رأينا في عصرنا هذامن تستجلى النبوة المحمدية وسنتها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل ، بحيث يشهد القلب الصحيح ان هذا هو الاتباع حقيقة »(٣) .

وقال البزار : « ما رأيت أحدا ثبت جأشا منه ولا أعظم عناءً في جهاد العدو منه ، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده ولا يخاف في الله لومة لائم »(٤) .

وقد قال ابن دقيق العيد عن شيخ الإسلام بعدما اجتمع به لماذ هب الي مصر يستحث السلطان على الخروج لقتال التتار وقال فيه : « ما كنت أظن ان الله تعالى بقى يخلق مثلك » .

وسئل عنه مرة فقال : « رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه ، يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد(٥) .

---

(١) الرد الوافر (ص : ٩٥) .

(٢) العقود الدرية (ص : ١٨٧) البداية والنهاية (١٤/ ٥٦) .

(٣) الجامع لسيرة شيخ الإسلام (ص : ٦٩ - ٧٠) .

(٤) الاعلام العلية (ص: ٦٧) .

(٥) انظر : الرد الوافر (ص : ١٠٧) .

ويكفي شيخ الإسلام مكانة واعظاما أن له الفضل - بعد الله عز وجل - في تجديد ما اندرس من منهج السلف - أهل السنة والجماعة - القائم على الكتاب والسنة ، ودعوة الناس للعودة إلى هذا المعين الصافي والأخذ منه مباشرة وقد كان لذلك أكبر الأثر على الأمة الإسلامية إلى يومنا هذا .

يدل على ذلك ما سبق أن أوردناه عن عبد الله بن حامد البغدادي الشافعي أنه فتش عن الحق لدى جميع الطوائف فلما وقعت له كتب ابن تيمية سُرَّ بها ، وعلم أنها توافق فطرته لما فيها من نور النبوة وموافقة المعقول للمنقول(١) .

ويقول شهاب الدين ابن مري الحنبلي أحد تلامذة الشيخ في رسالة إلى تلامذة الشيخ يحثهم فيها على جمع مؤلفاته ونشرها : « فإن يسرالله - تعالى - وأعان على هذه الأمور ، صارت - إن شاء الله - مؤلفات شيخنا ذخيرة صالحة للإسلام وأهله وخزانة عظيمة لمن يؤلف منها وينقل وينصر الطريقة السلفية على قواعده ويستخرج ويختصر إلى آخر الدهر إن شاء الله تعالى ، وكما انتفع الشيخ بكلام الأئمة قبله فكذلك ينتفع بكلامه من بعده - إن شاء الله تعالى - ونحن نرجوا أن يكون لمؤلفات شيخنا ابي العباس من هذ الوراثة نصيب كثير ... لأنه كان بنى جملة أموره على الكتاب والسنة ونصوص أئمة سلف الأمة وكان يقصد تحرير الصحة بكل جهده، ويدفع الباطل بكل ما يقدر عليه.. وكان - كما علم من حاله - لايخاف في هذا الباب لومة لائم ولا ينثني عما يتحقق عنده، ولم يزل على ذلك إلى أن قضى نحبه ولقى ربه»(٢) .

وصدق هذا الإمام - والله - فإنه قلما يكتب أحدا في أي مسألة من المسائل وخاصة فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد والدفاع عنه إلا وينقل عن شيخ الإسلام ويستفيد مما كتبه وألفه .

ولعل ما بلغه شيخ الإسلام من هذه المكانة والمنزلة له أسبابه ومظاهره المختلفة فمن تلك الأسباب .

١ - بعده عن المناصب وتعففه عن أخذ رواتب من الدولة، وكان ذلك عن عزم منه وتصميم ، فلم يتولى القضاء أو الامارة ، كما أنه لم يأخذ أجراً على دروسه التي كان يلقيها في

---

(١) انظر : العقود الدرية (ص : ٣٠٥ الإعلام العلية (ص : ٣٣) ، الرد الوافر (ص : ١٩٦) .

(٢) انظر : لجامع (ص :١٠١ - ١٠٣) .

المدارس والجوامع ، ومن عجيب ما يذكر من ذلك أن بعض حسّاده قد وشوا به إلى السلطان الناصر ، وقالوا بأنه يطلب الملك وانه دائما يثنى على ابن تومرت فأحضره الملك الناصر وقال له من جملة كلامه : « إنني أخبرت أنك قد أطاعك الناس ، وأن في نفسك أخذ الملك » فلم يكترث به شيخ الإسلام بل قال له بنفس مطمئنة وصوت عال وقلب ثابت : أنا أفعل ذلك؟! والله إن ملكك وملك المغل - أي المغول - لايساوي عندي فلسين ، فتبسم السلطان لذلك ، وأجابه في مقابلته بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة العظيمة : إنك والله لصادق ، وأن الذي وشى بك إليّ لكاذب»(١) .

فقد أعطى هذا الموقف شيخ الإسلام من الحرية والاستقلالية مما جعله بمنأى عن وسائل الضغط والاحراج ، فهو لا يشعر بأن لهم منّة عليه ، ولا يخاف قطع رزقه المتمثل في الرواتب والعطايا ، ولا شك أن لذلك أثر في مكانته وهيبته في النفوس .

٢ - قيامه بواجب العلم والدعوة والبيان والتوضيح ، خاصة في الأمور المشكلة التي تحتاج لمثله، فمن ذلك اشتباه أمر التتار على الناس لما غزواْ بلاد المسلمين مع ادعائهم الدخول في الإسلام ، فبين شيخ الإسلام أمرهم للناس وأن قتالهم من جنس قتال الخوارج ، فنشط الناس بما فيهم السلطان لقتالهم حتى انتصروا عليهم(٢) .

- ومن ذلك أيضا ما اشتبه على الناس في الأموال التي أخذت من الرافضة والنصيرية لما قاتلوهم في جبال الجرد والكسروان فبّين - رحمه الله - أمرهم للناس أتم بيان وأزال الشبه التي وقعت في أذهان الناس في حكم تلك الأموال(٣) .

- وكانت تأتيه في سجنه في القاهرة والاسكندرية الفتاوى المشكلة التي لا يستطيعها الفقهاء من الأمراء والأعيان ، فيرد عليها ويجيب عليها ويكتب فيها ما يحيّر العقول مستدلا عليها بالكتاب والسنة(٤) .

---

(١) الاعلام العلية (ص : ٧٢ - ٧٣) ، الكواكب الدرية (ص : ٩٨) .

(٢) انظر : النجوم الزاهرة (٨ / ١٤٤) .

(٣) انظر : البداية والنهاية (١٤ / ٧٨) .

(٤) انظر : البداية والنهاية (١٤ / ٨٤) .

٣ ـ ومن الأسباب أيضا : دوره المميز في الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلم يكن دوره في هذه الأمور دور المتكلم فقط ، بل كان الجندي الشجاع والقائد المتفرّد والداعية المتميز والمعلم الفَطِنْ وصاحب المشورة النافذة والنصيحة الواعية فما دخل في أمر من أمور الحرب أو الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا ورجع منتصرا وحظى بتقدير واحترام الناس وأولياء الأمور على حد سواء .

واذا دخل في أمور العلم والدعوة أتى في ذلك بما يفوق الوصف ، علماً وتحريراً وتقريراً ، ولذلك أصبح موضع ثقة الناس يسألونه في كل ما عنّ لهم ، وما ذلك الا للثقة في علومه ومنهجه في النظر والاستدلال مع العمل والتطبيق والاخلاص لله تعالى ، وقد تجلت هذه المكانة في مظاهر عديدة منها :

- استفتائه في الأمور العظيمة المهمة مثل قتال التتار والنصيرية .
- انتدابه للجهاد وسفره لاستنفار السلطان للدفاع عن الشام .
- اشارته بتولية المناصب السياسية المهمة وكذلك المناصب العلمية الشرعية في المدارس النظامية ، وتوليه الخطابة في المساجد المهمة .
- محاربته للفساد الاداري خاصة دفع الرشوة وسوء استخدام السلطة .

وغير ذلك مما يدل علي علو منزلته ورفعة مكانته .

الباب الثاني

التعريف بالكتاب والنسخ المخطوطة والنسخ المطبوعة

الفصل الأول

التعريف بالكتاب

الفصل الثاني

التعريف بالنسخ المخطوطة

الفصل الثالث

التعريف بالنسخ المطبوعة

سنذكر في هذا الباب ـ إن شاء الله ـ معلومات مفصلة عن هذا الكتاب: «كتاب الإيمان» من مختلف الجوانب العلمية سواء في ذلك ما يتعلق بالكتاب نفسه من حيث ذكر اسمه وموضوعه وسبب وتاريخ تأليفه وتوثيق نسبته إلى مؤلفه ومنهج المؤلف في كتابه ... إلخ .

وكذلك ما يتعلق بالنسخ المخطوطة من حيث وصف تلك النسخ واختيار النسخة الأصل (الأم) وسبب اختيارها ... إلخ .

وكذلك ما يتعلق بمطبوعات الكتاب من حيث ذكر أهم الملحوظات عليها وغير ذلك .

وقد كان ذلك من خلال الفصول الثلاثة الآتية :

الفصل الأول

التعريف بالكتاب

ويتكون من تسعة مباحث :

المبحث الأول : اسم الكتاب .

المبحث الثاني : موضوع الكتاب .

المبحث الثالث : سبب تأليف الكتاب .

المبحث الرابع : تاريخ تأليف الكتاب .

المبحث الخامس : توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف .

المبحث السادس : منهج المؤلف في الكتاب .

المبحث السابع : مصادر المؤلف في الكتاب .

المبحث الثامن : القيمة العلمية للكتاب .

المبحث التاسع : بعض المصنفات في موضوع الكتاب .

المبحث الأول : اسم الكتاب

اشتهر هذا الكتاب باسم « كتاب الإيمان » وقد اعتمد هذا الاسم كل من نشر الكتاب وقام عليه قديماً وحديثاً ، فقد طبع قديما في الهند باسم « كتاب الإيمان » واعتمد من طبعة على النسخة النجدية ، وأشار الشيخ عبد الرحمن بن قاسم جامع الفتاوى وناشر كتاب الايمان ضمن الجزء السابع من ذلك المجموع المبارك، واعتمد كتاب الإيمان وهو من الكتب المطبوعة سابقاً على جمع الفتوى وانما اضافة مع كتاب الايمان الأوسط الذي هو في الحقيقة كتاب « شرح حديث جبريل في الاسلام والإيمان والإحسان » الذي أشار إليه شيخ الإسلام كثيرا في كتبه ، وطبعه صاحب المكتب الإسلامي قديما سنة ١٣٨٦هـ باسم « كتاب الإيمان » .

والذي يظهر أن من طبع الكتاب، قد أخذ هذه التسمية إما من إشارات شيخ الإسلام ابن تيمية نفسه إلى أن له كتاباً يسمى « كتاب الإيمان » أو أنه اطلع على نسخة خطية مكتوب عليها «كتاب الايما ن» .

وقد ذكر كل من ترجم لشيخ الإسلام أنه له « كتاب الايمان » .

فقد ذكر ابن عبد الهادي (ت٧٤٤هـ) في كتابيه العقود الدرية ومختصر طبقات علماء الحديث، أن من مصنفاته «كتاب الايمان» في مجلد وهو كتاب عظيم لم يسبق إلى مثله[(١)] .

وذكر تلميذه وناسخ كتبه وكاتبه أبو عبد الله بن رشيق المغربي (ت٧٤٩هـ) في ثبت مؤلفاته المسمى « أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية » .

— أقول ذكر أنه : مما صنفه في الأصول مبتدأ أو مجيباً لمعترض أو سائل ... « كتاب الايمان » في مجلد[(٢)] ، وذكر العلامة خليل بن ايبك الصفدي (ت٧٦٤هـ) في كتابيه أعيان العصر وأعوان النصر وفي كتاب الوافي بالوفيات : ان مما صنفه شيخ الإسلام في الأصول .. كتاب « الايمان » في مجلد[(٣)].

وكذلك ذكر محمد شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) في كتابه فوات الوفيات[(٤)] .

---

(١) انظر : العقود الدرية (ص : ٢٦) ، الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ١٩٦) .

(٢) انظر : الجامع (ص : ٢٣٢) .

(٣) انظر : الجامع (ص : ٢٩٣ ، ٣١٦) .

(٤) انظر : الجامع (ص : ٣٣٠) .

وذكر الحافظ بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ) في كتابه الذيل على طبقات الحنابلة : «ولنذكر نبذة من أسماء أعيان المصنفات الكبار .. كتاب الايمان في مجلد .. وذكر بعض المصنفات الأخرى ثم قال : وكل هذه التصانيف ما عدا « كتاب الايما ن» كتبه وهو بمصر في مدة سبع سنين ، صنفها في السجن »[1].

وذكر نحو هذا الكلام مجير الدين عبد الرحمن العليمي الحنبلي (ت٩٢٨) في كتابيه المنهج الأحمد والدر المنضّد[2] .

وينبغي أن يلاحظ أن الذين ذكروا اسم الكتاب بعضهم من تلامذة شيخ الإسلام كابن عبد الهادي ، وأبو عبد الله بن رشيق وبعضهم ممن عاصر الشيخ كالصفدي وابن شاكر الكتبي وبعضهم من تلامذة تلاميذه ،كالحافظ بن رجب والباقي قريب منه من الناحية الفقهية كمجير الدين العليمي ولا شك أن بعضهم ينقل من بعض . يضاف إلى ذلك أن شيخ الإسلام نفسه قد ذكر اسم « كتاب الايمان » باسمه في بعض كتبه وأشار إلى موضوعه في بعض كتبه الأخرى، فمن ذلك قوله : في « درء تعارض العقل والنقل » بعد أن ذكر أن جهم بن صفوان يقول في الإيمان أنه هو المعرفة وذكر تكفير الإمام أحمد ووكيع لمن قال ذلك ثم قال : « كما قد بينا في غير هذا الموضع لما بيّنا الكلام في مسمى الايمان وقبوله للزيادة والنقصان »[3]ومن المعلوم أن شيخ الإسلام قد توسع في هذه المسألة في « كتاب الايمان » .

ومن ذلك أيضا قوله في رسالة الفرقان بين الحق والباطل بعد أن ذكر مقدمة طويلة حول نشأة الفرق ثم قال وهذا التفصيل « في الايمان » أي كتاب الايمان وهو كذلك في لفظ البر والتقوى والمعروف ... تختلف دلالاتها في الافراد والاقتران لمن تدبر القرآن وقد بسطنا هذا بسطا كبيرا في الكلام على الإيمان »[4] .

وقال في موضع آخر في نفس الكتاب : « ولكن هو الذي نصره الأشعري وأكثر أصحابه ولكن قالوا مع ذلك: أن كل من حكم الشرع بكفره حكمنا بكفره ،واستدللنا بتكفير الشارع له على خلو قلبه من المعرفة، وقد بسط الكلام علي أقوالهم وأقوال غيرهم في « الايمان »[5] .

---

(١) انظر الجامع (ص : ٤١٨) .

(٢) انظر الجامع (ص : ٥٤٣ ـ ٥٥٣) .

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٣ / ٢٧٥) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٣ / ٣٩) .

(٥) مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٧) .

وقـال في موضع آخـر بعد أن رد علـى الكرامـيـة في قولهم مـن أن من تكلم بالإيمان فهـو مـؤمن كامل الايمان لكن ان كـان مـقراً بقلبـه كـان من أهل الجنة وان كان مـكذبا بقلبه كـان منافـقا مـؤمنا من أهل النـار الي أن قال في آخـر رده عليـهم إذ بسط الكلام في هذا له مـواضع أخر، وقد صنفت في ذلك مجلدا غيـرما صنفت فيه غير ذلك » [١]، ومعلوم أن كتاب الايمان هو ما يقع في مجلد أما شـرح حديث جبريل فيقع في أقل من ذلك فـعدد لوحاته (٦٦ لوحة) كما في النسخة التركية الكاملة . من كل ما سبق نستنتج أن اسم الكتاب هو « الإيمان » .

لكن عندما نذهب إلى النسخ المخطوطة نجدها قد اتفقت في جملتها على تسمية الكتاب « شرح الايمان » مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ كما يأتي[٢] فقد جاء في :

نسخة (أ) النسخة الأم « كتاب الإيمان » .

وفي نسخة (هـ) « كتاب شرح الإيمان » .

وفي نسخة (م) « كتاب شرح الإيمان » .

وفي نسخة (ح) « كتاب شرح الإيمان » .

وفي نسخة (ق) « كتاب فيه شرح الايمان » .

وفي نسخة (مح) « كتـاب الايمان الكبير » وفي آخر النسخة آخر مـا وجد من « كتاب الايمان » .

وفي نسخة (س) « الكلام على حقيقة الإسلام والايمان » .

وفي نسخة (ف) « عين الاعيان في الفرق بين الإسلام والايمان » .

فـالفرق بين نسـخة (ق) وبقـية الـنسخ قبلهـا في زيادة « فيـه » والفـرق بين بقيـة النسخ ونسخة (س) و (ف) أن الأخيرتين كما هو واضح إنما سمت الكتاب باسم موضوعه ، ولعل الناسخ قد غلط وسمى « كتاب الايمان » باسم موضـوع كتاب » « شرح حديث جبريل » لأنه يعني بهذا المـوضوع فان اسـمه « شرح حـديث جبريل في الإسـلام والايمان والاحسـان فمظنه

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣ / ٥٦ - ٥٨) .

(٢) حيث سنذكر - إن شاء الله - أسماء المخطوطات وأماكنها بالتفصيل في الفصل الثاني من هذا الباب .

الكلام على الحقيقة والتفريق بين الإسلام والايمان في كتاب « شرح حديث جبريل » أكمل وأشمل وإن كان شيخ الإسلام عالج تلك القضية في « كتاب الايمان » إلا أنها في شرح حديث جبريل أكمل وأوفى .

كما يلاحظ أن شيئاً من تلك النسخ لم يكتب بخط المصنف ولا بخط أحد تلامذته إلا النسخة التركية (أ) فإنها منقولة عن نسخة لأحد تلامذته وهو : جمال الدين الاسكندري وهو من تلامذة شيخ الإسلام ومن أكثر المتخصصين في نقل كلامه وتحرير مؤلفاته .

يقول عنه الذهبي : هو جمال الدين عبد الله بن يعقوب بن سيدهم الاسكندري ثم الصالحي أبو محمد، الشيخ المحدث العالم نزل دمشق سنة (٧٠٧هـ) سمع وقرأ الكثيروبالغ ، ونسخ وحصَّل على ضعفٍ في خطه ولفظه ووعظه ، وفي الجملة على جنانه بقية مروءة وكيس، وعلى ذهنه فوائد مهمة وحكايات وله جامع وتعاليق ، أوذي من أجل ابن تيمية وقُطِع رزقه ، وبالغوافي التحريز عليه ثم انصلح حاله »[١] .

وقال عنه الحافظ ابن حجر : « ... وكتب كثيرا من فتاوي ابن تيمية »[٢] .

وعلى ذلك فالصيغة المختارة لاسم الكتاب هي « كتاب الايمان وذلك للأسباب التالية :

١ - أنه وجد على صفحة العنوان في النسخة الأم بهذا الاسم « كتاب الايمان » .

٢ - أن معظم من ترجم لشيخ الإسلام وخاصة تلاميذه قد نصّوا على أن إسمه « كتاب الايمان» .

٣ - أن « الإيمان » جزء من عنوان جميع المخطوطات شرح الايمان ، الإيمان الكبير ، الكلام على حقيقة الايمان والاسلام ، « عين الأعيان في الفرق بين الإسلام والايمان » . ومن المعلوم أنه جرت عادة المصنفين القدماء اختصار الأسماء الطويلة لأجل الحفظ وسهولة النطق فلعله أُختُصِرَ لهذا السبب من قبل المؤلف ونقله تلامذته ومترجموه عنه ذلك .

---

(١) المعجم المختص (ص : ١٣٢) .

(٢) الدرر الكامنة (٢ / ٣٠٧) .

٤ - من المعلوم أيضاً عن شيخ الإسلام في شأن التصنيف ، أنه لا يسمى بعض مؤلفاته ، لأن أغلب ما صنفه إما إجابة لسؤال أو طلب لفتوى أو غير ذلك ، وهو وان سمى بعض تلك المصنفات فليس لها اسم ثابت ، فتختلف أسماء تلك المؤلفات في كلام المؤلف وذلك مثل ما حصل في كتابه الجواب الصحيح ، ودرء تعارض العقل والنقل ، والرسالة التدمرية ، وكتاب بيان تلبيس الجهمية وكتاب الاستقامة وغيرها .

٥ - من الملاحظ أيضا أن شيخ الإسلام - رحمه الله - كان كثير الافتاء والتدريس فكثيرا ماكان يسأل ويُستَفتى ، فيفتي ويرسل رسائل كثيرة إلى من استفتاه أو سأله وبعض هذه الأجوبة والفتاوى والرسائل ليس لهااسم اطلق عليها من جهته - رحمه الله - فكانت تسمى تلك الرسائل والأجوبة والفتاوى أحيانا باسم البلد الذي ينتمي اليه السائل ، وأحيانا باسم موضوع تلك الفتوى أو الرسالة ، أو أن تلامذة شيخ الإسلام أو نقلة كلامه كانوا يسمونهاباسم معين عرفت واشتهرت بينهم بذلك الاسم وأقرهم شيخ الاسلام على ذلك فلعل « كتاب الايمان » كان من هذا النوع من المؤلفات .

٦ - أنه قد توافق معظم من ترجم لشيخ الإسلام وذكر ثبت مصنفاته من تلامذته وغيرهم على تسمية كتابنا الذي أقوم بتحقيقه باسم « كتاب الايمان » واشتهر بين القاصي والداني بهذا الاسم فالذي أرجحه - والله أعلم بالصواب - ابقاء اسم « الايمان » على الكتاب على ما عرف واشتهر عليه لأن العنوان يتطابق مع موضوع الكتاب ، وقد تعارف أهل العلم على معرفة ذلك وانتشر بينهم بهذا الاسم ثم أنه لا محذور في ذلك - ان شاء الله - لأنه لو غُيِّر لالتبس الأمر على من يطالع الكتاب اذ قد يظن أنه كتاب آخر غير كتاب الايمان والله أعلم .

المبحث الثاني : موضوع الكتاب

يتضح موضوع الكتاب من خلال عنوان الكتاب واسمه الذي ذكره المؤلف - رحمه الله - ثم من خلال المقدمة التي بيَّن فيها منهجه وطريقته في كتابه .

وقد تضمن الكتاب اثنين وعشرين فصلاً تختلف بين الطويل جدا وبين المختصر جدا اضافة إلى المقدمة .

فقد بين المؤلف ـ رحمه الله ـ في المقدمة المنهج في تأليف الكتاب ، وبين أن الإسلام والايمان يجتمع فيهما الدين كله ، وقد كثر كلام الناس ونزاعهما فيهما قديماً من أيام الخوارج والمعتزلة ، لكن المقصود من الكلام في الكتاب ذكر مايستفاد من كلام الله وكلام رسوله -ﷺ- في هذه المسألة ، لأن هذا هو الأصل في الايمان ، رد موارد النزاع إلى الله ورسوله .

ثم بين بعد ذلك أن الإسلام هو الإقرار أوهو الإيمان المجمل أوالحد الأدنى الذي يدخل به الإنسان في الايمان ، ثم بين بعد ذلك أن الإيمان المفصل هو مااشتمل عليه مفهوم الإيمان ، بأركانه الثلاثة ثم فصل بعد ذلك المنزلة العليا في ذلك وهي الايمان الكامل والذي يسمى الاحسان ، وأن هذا التقسيم ذكره الله ورسوله ثم بين العلاقة بين درجات الدين الثلاثة الاسلام والايمان والاحسان من حيث العموم والخصوص ، وبين حالات اقتران الايمان بالإسلام وانفراد أحدهما عن الآخر ، فإذا قرن بينهما فالمقصود بالإسلام حينئذ الأعمال الظاهرة والمقصود بالإيمان كذلك هو ما في القلب ، أما إذا انفرد أحدهما تناول ما يتناوله الآخر فهما اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا .

ثم بين في الفصل الأول أنه يجب على المسلم أن يقدركلام الله وكلام رسوله فيجب حمل الكلام على مراد الله ومراد رسوله ـ ﷺ ـ ولا يحمل كلام الله ورسوله على كلام أحد من الناس كائناً من كان . وفي الفصل الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس بين بالتفصيل الألفاظ والمصطلحات التي يكثر فيها النزاع في مسألة الايمان ، وبيّن أن سبب النزاع في ذلك ذكرها مجملة ، بينما هي في الكتاب والسنة مفصلة بأنواعها مفردة ومقيدة ووردوها في كل موضع بحسبه ، ثم ذكر من ذلك لفظ: الكفر والشرك والنفاق والمعصية والفسوق والظلم والفساد والصلاح والصالح والشهيد وغيرها . أما في الفصل السابع إلى الفصل الحادي عشر فقد بين تنوع دلالة الألفاظ والمصطلحات الشرعية بالاطلاق والتقييد وبيّن خطأ كثيرمن المتكلمين في جعلهم دلالة الأعمال على الإيمان على سبيل المجاز ، وبيّن ـ رحمه الله ـ خطأ القول بالمجاز وتاريخ القول به وانه انما حصل من جهة المعتزلة ، ثم تبعهم على ذلك بقية المتكلمين وبين أن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع حادث وباطل من وجوه كثيرة ، ورد على أصحاب المذاهب في مسألة المجاز لأنها مخالفة للكتاب والسنة ، وما أجمع

عليه أئمة السلف في باب الايمان من الخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة والكرامية والأشاعرة والماتريدية وغيرهم ، ونقل كلامهم أقول رد على ذلك محللا لأصل الخلاف والخطأ عند المتكلمين في ذلك ، وأنهم انما وقعوا في الخطأ في مسألة الايمان بسبب شبهتين .

الأولى : أنهم ظنوا أن الإيمان كل لا يتجزء إذا زال بعضه زال جميعه ، وبنوا على ذلك الشبهة الثانية .

الثانية : وهي انهم تصوروا ـ بناءاً على الشبه الأولى ـ أنه لا يجتمع عند الانسان طاعة ومعصية وايمان وكفر واسلام ونفاق بل اذا وُجِدَ أحدهما انتفى الآخر .

ثم إنهم لما بنوا على هاتين الشبهتين كلامهم في الإيمان وقعوا في أمرين كلاهما شر من بعض .

الأول : تناقض أقوالهم في ذلك ، لأنها مخالفة لنصوص الكتاب والسنة .

الثاني : الالتزام بالقول الباطل المجمع على بطلانه .

ثم بيّن ـ رحمه الله ـ في الفصل الثاني عشر بعض أنواع المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وبيّن في الفصل الثالث عشر أنه يراد بلفظ الايمان اذا أطلق ما يراد بلفظ البر والتقوى والدين فيتناول أعمال القلوب وأعمال الجوارح .

وبيّن في الفصل الرابع عشر أن دلالة لفظ الإيمان على تصديق القلب وأعماله وعلى أعمال الجوارح كدلالة أسماء ا لله على ذاته وعلى صفاته، ثم بيّن بعد ذلك أصناف المرجئة وبيّن أن الأشاعرة منهم وأنهم أخطأوا في أمرين :

الأول : أنهم ظنوا أن الإيمان هو مجرد التصديق والعلم فقط .

الثاني : أنهم ظنوا أن من حكم الشرع بكفره ، فذلك لخلو قلبه من التصديق وناقشهم في خطأهم في ذلك حتى نهاية الفصل السادس عشر .

ثم بيّن في الفصل السابع عشر مسألة زيادة الإيمان ونقصانه ، وبين أوجه الزيادة والنقصان وانها ترجع إلى أمرين :

الأول : أنها تزيد وتنقص من جهة أمر الله تعالى فيما يأمر به وينهى عنه .

الثاني : أنها تزيد وتنقص من جهة فعل العبد في امتثاله أوعدم امتثاله لأمر الرب ـ سبحانه وتعالى ـ .

وبين في الفصل الثامن عشر والفصل العشرين العلاقة بين الإسلام والايمان ، وبين أنهما ليسا مترادفين ورد على محمد بن نصر ومن معه كالبخاري وابن منده وغيرهما ممن قال بترادفهما ، وبيّن أن الخلاف في هذه المسألة خلاف شكلي صوري .

ثم بين في الفصل التاسع عشر والفصل الواحد والعشرين ارتباط العمل بالايمان وبين أن هذا معنى الإيمان في الكتاب والسنة ، وما أجمع عليه أئمة السلف أهل السنة والجماعة ولم يخالف منهم أحد في ذلك .

ثم ختم الكتاب بالفصل الثاني والعشرين ببحث مسألة الاستثناء في الإيمان وتفصيل القول فيها فبين قول من يوجب الاستثناء ووجه قوله بالوجوب ، ومأخذه في ذلك ، وذكرقول من يحرمه ووجه القول بتحريمه ، ثم عقب على ذلك كله ببيان قول أهل السنة والجماعة وانهم يجوزون القول بالاستثناء لعدم تكميل الايمان وعدم الشهادة للانسان بالجنة ، وليس للشك، فهم يوجبونه باعتبار ويمنعونه باعتبار ، وبين مأخذ كل وجه في ذلك ، بناءاً على ما تدل على نصوص الكتاب والسنة .

المبحث الثالث : سبب تأليف الكتاب :

من المعلوم أن شيخ الإسلام ابن تيمية عاش في أواخر القرن السابع الهجري ، وأوائل القرن الثامن الهجري ، ومن المعلوم أيضا أن هذا العصر قد كثرت فيه البدع والأهواء وقويت فيه شوكة الفرق المناوئة لأهل السنة والجماعة ، وكان لكل فرقة دعاتها وأتباعها الذين يتبنّون هذه البدع ويزينوها للناس ، حتى لَبَّسُوا على كثير من العامة أمر دينهم وشككوهم في أصول عقائدهم وايمانهم ، وأخذوا يثيرون عليهم تلك الشبه ويجادلونهم بالمتشابه من القرآن ويضربون كتاب الله بعضه ببعض ، حتى وقع في حبائلهم كثير من العامة وضعاف العقول .

لذلك كان لزاما على العلماء أن يغاروا على دينهم ،وأن يقوموا ببذل النصيحة لله ولرسوله ـ ﷺ ـ ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وأن يبينوا للناس عقيدة الإسلام الصافية كما هي في كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ وأن يدافعوا عنها ضد تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، وأن يحذروهم هذه الفرق وأصحابها من أهل الأهواء والبدع التي تتجارى بأصحابها كما يتجارى الكلب بصاحبه .

وقد كـان شيخ الإسـلام ابن تيمـية من هؤلاء العلمـاء القلائل الذين شـعروا بثـقل التبـعة وعظم المسؤولية ، فقام ـ رحمه الله ـ مدافعاً ومنافحاً عن دينه وعقيدته بقوة .

يقول عن سبب تأليفـه لهذا الكتـاب : « أعلم أن الايمان والإسلام يجـتمع فـيهـما الدين كله، وقد كـثر كلام الناس في حـقيقـة الايمان والاسلام ونزاعهم واضطرابـهم وقد صنفت في ذلك مجلدات والنزاع في ذلك من حين خرجت الخوارج بين عامة الطوائف .

ونحن نذكر ما يستـفاد من كلام النبي ـ ﷺ ـ مع ما يستفاد من كـلام الله تعالى فيصل المؤمن إلى ذلك من نفس كلام الله ورسوله فإن هذا هو المقصود[1] .

هذا عن سـبب تأليف الكتـاب بعـامـة ، ولا تذكر لنا المراجع سـبباً خاصـا من أجله ألّف شيخ الإسلام كتابه هذا ، اللهم إلا أن يكون هناك سببين غيرمباشرين هما :

السبب الأول : أنه بعد أن ألف شيخ الإسـلام كتاب« شرح حديث جـبريل في الإسلام والايمان والاحـسان » وهو مـتقـدم على كتـاب الايمان ، أراد أن يشـرحه فـألف كتـاب الايمان لتحقيق ذلك كمـا فعل ـ رحمه الله ـ في شرح العقيدة الأصبـهانية لما رأى إقبال الناس وطلاب العلم عليها ، فقام بشرحها وبيان ما تضمنته من خطأ وصواب ، وما وافقت فيه الكتاب والسنة وما خالفته ، وكـذلك ما وافقت فيه ما عليه أئمة السلف ، و إن كان الأمـر مختلف في كتاب الايمان ، فأصل الكتـاب شرح حـديث جبريل لشـيخ الإسلام وما قـام به من شرح وبيـان ونقد للمـخالفين من تصنيف شـيخ الإسلام كـذلك . ولعل ما يؤيد هـذا الاحتمـال ما ظهـر لي من خلال النظر في النسختين المخطوطتين التركيتين للكتـابين المذكورين ، فقد سمى كتاب « شرح حديث جـبريل » في النسخة التـركية بكتـاب « الايمان » وسمى «كتاب الايمان » في النســخة التركية أيضا بكتاب «شرح الايمان » كما جاء في آخر تلك النسخة .

ومما يقوي من هذا الاحتمال أنه يلاحظ لمن يقرأ كـتاب « شرح حديث جبريل » يجد أنه كتاب قد انتهى منه مؤلفه كما يظهر ذلك من النسخة التركية .

ومما تجدر الإشارة إليه أن النسختين التركـيتين لناسخ واحد وهما في مخطوط واحد ، بل إنهما أقدم نسخ الكتابين على الاطلاق .

---

(١) كتاب الايمان (ص : ٢) .

كمـا يلاحظ أيضا أن كـتاب الايمان ناقص من آخـره كما ذكـر الناسخ في آخر النسـخة التركـية (أ) وأشار إلى أن مـؤلفه قد مات قـبل أن يتمه وذلك حـين أشار في بعض المواضع أنه سوف يقوم ببسطها في الكتاب ، ولكن الأجل حال دون ذلك الأمر .

ولعل ما يؤيد ذلك ايضا مـا ذكره الحافظ بن عبد الهـادي عن الحافظ علم الدين البرزالي حيث قـال عن شيخ الإسلام : « وله تصـانيف كثيرة في الفـروع والأصول ، كمّل منهـا جملةً وبُيضت وكتبت عنه ، وجملة كثيرة لم يكمّلها ، وجملة كمَّلهَا ولم تبيض »(١).

فلعل كتاب الايمان من الكتب التي لم يكملها

السبب الـثاني : من المعلوم للمطـلعين على ترجـمة شـيخ الإسـلام ابن تـيمـيـة أن مـعظم مؤلفاته التي ألفهـا انما ألفها بسبب أسئـلة أو فتاوى وردت اليه ، فيقوم بالاجابة عن تلك الأسئلة بما يناسب المقـام من تأليف رسالـة أوكتـاب صغـير أوكـبيـر ، فلعل تأليفـه لكتاب الايمان كـان بسبب سؤال أو فـتيا ورد اليه حول مسـائل الايمان فأجاب السائل بذلك الكتاب كـما يظهرمن قوله في أول الكتاب : « إعلم أن الايمان والاسلام ... إلخ » .

المبحث الرابع : تاريخ تأليف الكتاب :

يحدد لنا الحـافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه الذيل على طبـقات الحنابلة ، تاريخ تأليف كتـاب « الايمان » فيقـول : « ولنذكر نبذة من أسـماء أعيـان المصنفات الكبار : كـتاب الإيمان مجلـد كتاب الاسـتقـامة مـجلدان ، جواب الاعـتراضات المـصرية على الفـتوى الحـموية أربع مجلدات ، كـتاب تلبيس الجهمـية في تأسـيس بدعهم الكلاميـة ، في ست مجلدات كـبار ، كتاب المحنة المصرية مجلدان ، المسائل الاسكندرانية ، مجلد الفتاوى المصرية ، سبع مجلدات، وكل هذه التصـانيف ـ ما عدا كتـاب الايمان كتبه وهـو بمصر في مدة سبع سنين ، صنفـها في السجن ، وكتب معها أكثر من مائة لَفَّة ورق أيضاً ... »(٢) ونقل عنه ذلك الكلام مجير الدين العليمي الحنبلي في كتابيه المنهج الأحمـد في ذكر أصحاب الإمام أحمد(٣) ، والدر المنضد في ذكر أصحاب أحمد(٤) .

(١) العقود الدرية (ص : ٣٦ ، ٣٧٣) .

(٢) الجامع لسيرة ابن تيمية (ص : ٤١٨) .

(٣) المصدر السابق (ص : ٥٤٣)

(٤) المصدر السابق (ص : ٥٥٣) .

ومن المعلوم أن ابن رجب كان من تلامذة ابن قيم الجوزية تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، وعلى ذلك فكلامه عن تاريخ تأليف كتاب الايمان ، كلام يوثق به ، ولعله سمعه من شيخه ابن قيم الجوزية .

ومن المعلوم كذلك أن شيخ الإسلام وصل إلى مصر يوم الاثنين الثاني والعشرين من رمضان سنة (٧٠٥هـ) على ما ذكره ابن كثير وابن عبد الهادي[١] ، وأنه سُجِنَ ليلة العيد بالجب بقلعة الجبل ، وأنه بقى في سجنه سنة ونصفاً ، وأنه سجن مرة ثانية في حبس القضاة سنة ونصفاً ، ومرة ثالثة في برج بالإسكندرية ثمانية أشهر ثم أفرج عنه في شوال سنة (٧١٢هـ) وأنه عاد إلى دمشق في أول يوم من ذي القعدة سنة (٧١٢هـ) ، وكانت غيبته عنها سبع سنين[٢] وعلى هذا فإن تأليف شيخ الإسلام لكتاب الايمان تمَّ خلال مدة اقامته بمصر بعد خروجه من السجن أي ما بين سنة (٧٠٩ هـ - ٧١٢هـ) .

ولعل ما يؤكد هذا ما جاء في كتاب درء تعارض العقل والنقل بعد أن قال شيخ الإسلام إن جهم بن صفوان قال إن الإيمان هو المعرفة ، وذكر انكار أئمة الإسلام عليه ، وأن الامام أحمد ووكيع بن الجراح قالا بكفر من قال بهذا القول ، ثم قال : « وهذا القول - وإن كان قد تابعه عليه الصالحي والأشعري في كثير من كتبه وأكثر أصحابه - فهو من أفسد الأقوال وأبعدها عن الصحة ، كما قد بيّناه في غير هذا الموضع ، لّما بيّنا الكلام في مسمى الإيمان وقبوله للزيادة والنقصان ، وما للناس في ذلك من النزاع[٣] .

ومن المعلوم أن توسع شيخ الإسلام في بيان قول جهم وبيان قول الأشعري وأصحابه وأنهم تابعوا جهم على أصله ، وكذلك توسعه في بيان مسمى الإيمان وأنه يقبل الزيادة والنقصان ونزاع الناس في ذلك إنما هو في كتاب الإيمان .

فإذا كان كتاب درء تعارض العقل والنقل قد ألفه شيخ الإسلام بين عامي (٧١٣-٧١٨هـ)[٤] فإن هذا يفيدنا بأن كتاب الإيمان قد أُلِفَ قبل تأليف كتاب درء تعارض العقل والنقل ، وإذا كانت الكتب التي ذكرها الحافظ ابن رجب قد ألفها شيخ الإسلام فترة بقاءه في السجن ، وكان ذلك بين سنة (٧٠٥هـ - ٧٠٩هـ) ، وقبل سفره إلى الشام سنة

---

(١) العقود الدرية (ص : ١٩٨) ، البداية والنهاية (١٤ / ٣٨) .

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٤ / ٣٨ - ٥٣) العقود الدرية (ص : ١٩٦ - ١٩٨) .

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٣ / ٢٧٥) .

(٤) المصدر السابق (١ /٩) من المقدمة .

(٧١٢هـ) ، وقبل تأليفه درء تعارض العقل والنقل عام (٧١٣هـ) فكتاب الإيمان ألف بين عامي (٧٠٩هـ - ٧١٢هـ) والله أعلم .

المبحث الخامس : توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف :

عند ارادة توثيق أي مصنف من المصنفات والتأكد من صحة نسبته إلى مؤلفه ، لا بد من اثبات امرين :

الأول : اثبات ان لذلك المؤلف مصنفاً بهذا الاسم .

الثاني : اثبات أن هذا المصنف المراد توثيقه ، هو ذلك الكتاب الموسوم . بذلك الاسم او كما يقال : مطابقة الاسم على المسمى .

ونحن - ولله الحمد والمنة - لا نجد كبير عناء عند إثبات هذين الأمرين بالنسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية وكتابه « الايمان » ، وليس هناك شبهة تؤدي إلى الشك في أن هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب الايمان لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - للأمور التالية :

١ - أن غالب من ترجم لشيخ الإسلام وذكر تصانيفه واعتنى بذكر المؤلفين والمصنفات، قد عدَّ كتاب الايمان من كتبه، ومنهم : الحافظ بن عبد الهادي(١) ، وأبو عبد الله بن رشيق المغربي كاتب شيخ الإسلام وناسخ مؤلفاته(٣)، العلامة خليل بن ايبك الصفدي(٣) ، العلامة محمد بن شاكر الكتبي(٤) ، الحافظ زين الدين ابن رجب الحنبلي(٥) ، مجير الدين عبدالرحمن العليمي الحنبلي(٦) ، حاجي خليفة(٧) ، كارل بروكلمان(٨) ، الزركلي(٩) .

وهذا يثبت أن لشيخ الإسلام كتابا يسمى « كتاب الايمان » .

---

(١) العقود الدرية (ص : ٢٩) مختصر طبقات علماء الحديث (ص : ١٦٦) ضمن الجامع لسيرة شيخ الاسلام بن تيمية .

(٢) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٣٢) ضمن الجامع .

(٣) في كتابيه أعيان العصر وأعوان النصر (ص : ٢٩٣) ، ضمن الجامع ، الوافي بالوفيات (ص: ٣١٦) ضمن الجامع .

(٤) فوات الوفيات (ص: ٣٣١) ضمن الجامع .

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (ص : ٤١٨) ضمن الجامع .

(٦) في كتابيه المنهج الأحمد (ص : ٥٤٣) ضمن الجامع ، وكتاب الدر المنضد (ص: ٥٥٣) ضمن الجامع .

(٧) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٥ / ١٠٦).

(٨) تاريخ الأدب العربي (الطبعة الألمانية) (٢٠ / ١٢٠) .

(٩) الاعلام (١/ ١٤٤) .

أمـا فيـما يتـعلق باثبات نسبة كـتابنـا « الايمان » لشيخ الإسـلام ابن تيمـية ، فـهناك أدلة وشواهد كثيرعلى ذلك أهمها :

١ ـ اثبـات اسم الكتـاب واسم المؤلف عـلى النسـخـة الأصليـة ، وعلى جـميع نسخ الكتـاب المخطوطة والمطبوعة كما مر معنا في اسم الكتاب .

٢ ـ أن المصنف ـ رحـمه الله ـ قـد صرح باسم الكتـاب في بعض مؤلفـاته وأشار إلى الكـتاب وإلى موضوعه كذلك في بعض المؤلفات [١] .

٣ ـ أن المصنف ـ رحمه الله ـ قد صرح بذكر بعض مـؤلفاته ضمن كتاب الايمان حيث صرح في (ص: ٦٢٥) بأنه بسط هذه المسألة في كتاب « الصارم المسلول على شاتم الرسول » ومن المعلوم ان كتاب الصارم المسلول هو من تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية .

٤ ـ ان الكتاب متفق مع منهج وأسلوب شيخ الإسلام ابن تيـمية في طرحه للقضايا والمسائل ومعالجـته لها ، وقد عالج شيخ الإسـلام ضمن كتاب الايمان كثيـراً من الموضوعات التي عنى بهـا في مـؤلفاته الأخـرى بأسلوب يكاد يكون واحـدا ، بل بعـبارات مـتـشابهـة بل مكررة في بعض الأحـيان[٢] ، وكل من يتـصفـح هذا الكتاب لا يشـك أنه من مؤلفـات شيخ الإسلام ابن تيمية.

والحاصل أن بعض هذه الأدلة تكفي للقطع بصحة نسبة هذا الكتاب لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ولا تدع مجـالا للشك في ذلك فما بالك إذا تضافرت مجتـمعة لتكون كلها أدلة على ذلك والله أعلم .

المبحث السادس : منهج المؤلف في الكتاب :

ذكر شيخ الإسـلام ابن تيمية ـ رحـمه الله ـ منهجه في كـتابه بعد أن ذكر خطبـة الحاجة التي تعوّد ان يبدأ بها معظم كتبه ورسائله وفتاويه ، والتي هي سنة عن النبي ـ ﷺ ـ .

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل (٣ / ٢٧٥) ، رسالة الفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٩، ٤٧، ٥٧) مجموع الفتاوى (١٤ / ١٢١) ، مجموع الفتاوى (١٢ / ٤٧٧) ، (٢٨ / ١٧٧) .

(٢) انظر : مواضع الاحالات له في الهامش السابق (١) .

ـ أقول أخذ يُبيّن منهجه في كتابه ويبين الطريقـة التي سار عليها فقال : « ونحن نذكر ما يستفاد من كلام النبي ـ ﷺ ـ مع ما يستـفاد من كلام الله تعالى فيـصل المؤمن من نفس كلام الله تعـالى ورسوله ـ ﷺ ـ **فإن هذا هو المقـصود** ، فلانذكر اختـلاف الناس ابتداءاً ، بل نذكر من ذلك ـ أي نذكر اختـلاف الناس وذكر مقالاتهم ـ في ضـمن بيان ما يستـفاد من كلام الله ورسولـه ، ما يبين أن رد مـوارد النزاع إلى الله ورسوله خـير وأحـسن تأويلاً وأحسن عـاقبـة في الدنيا والآخرة ... »[1] .

ويقـول في مـوضع آخـر : « ... وهو من انفع الأمـور في مـعرفـة دلالة الألفـاظ مطلقـاً ، وخصوصاً ألفاظ الكتـاب والسنة وبه نزول شبهات كثيرة ، كثر فيـها نزاع الناس ، من جملتها مسألة الايمان والاسلام ، فـإن النزاع في مسماهما أول اختـلاف وقع ، وافترقت الأمة لأجله ، وصاروا مختلفين في الكتاب والـسنة وكفّر بعضهم بعضا وقاتل بعضـهم بعضا ... اذ المقصود هنا : بيان شرح كـلام الله ورسوله علي وجه يبين أن الهدي كله مأخـوذ من كلام الله ورسوله باقامة الدلائل الدالة لا بذكر الأقوال التي تقـبل بلا دليل وترد بلا دليل ، أو يكون المقصود بها نصر غير الله ورسـوله ، فإن الواجب أن يقصد معرفـة ما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ وإتباعه بالأدلة الدالة على مـا بينه الله ورسـوله في هذا البـاب ، ومن هذاالباب أقـوال السلف وأئمـة السنة في تفسير الإيمان ... »[2] .

ومن الأمور التي تبين وتوضح منهـجه في هذاالكتاب ، ذكره للعشـرات من مصطلحات مـسألـة الايمان من الأسمـاء والأحكام مـثل كـلامـه عن الاحـسان والايمان والاسـلام والكفـر والشرك والنفاق والمعـصية والشهـادة والصلاح ، والصديق والظلم وغيـرها فان هذه هي ألفاظ الأسمـاء والأحـكام ولكن يتناولها من خـلال ما شرطه على نفـسه وهو بيان الله تعـالى ، وبيان رسوله ـ ﷺ ـ لمعاني ومدلـولات هذه الأسماء والمصطلحات الشـرعية ، وما يترتب عـليها من أحكام .

من خلال ما سبق يظهر لنا منهج شيخ الإسلام في كتابه والذي يتمثل في :

---

(١) كتاب الايمان (ص : ٢) .

(٢) كتاب الايمان (ص : ٢٦٨ ـ ٢٦٩) .

١ ـ بيان الهدف والغاية من تأليف الكتاب بقوله : فإن هذا هو المقصود أي حصول الفائدة ووصولها إلى المؤمن من ذكر ما يستفاد من كلام الله ورسوله .

٢ ـ بيان المنهج الصواب وهو ما يستفاد من كلام الله تعالى وما يستفاد من كلام رسوله ـ ﷺ ـ في تقرير عقيدة أهل السنة في موضوع الايمان وما يتعلق به من مسائل ، فنجده ـ رحمه الله ـ غالبا بعد أن يذكر المسألة التي يريد الحديث عنها ، يتبعها بذكر الآيات الدالة عليها، ثم يردفها بالأحاديث المرفوعة إلى النبي ـ ﷺ ـ ثم بأقوال الصحابة والتابعين واتباعهم وأقوال أئمة أهل السنة في هذه المسألة ، ثم يُعَقّب في كثير من الأحيان على تلك الأدلة بالتعليق والايضاح والمناقشة للمخالفين للكتاب والسنة .

٣ ـ عدم ذكر أقوال وشبهات الفرق والطوائف في الإيمان ومسائل العقيدة الأخرى ابتداءاً ، بل يذكر تلك الأقوال والشبهات ضمن ما حدّده ابتداءاً وهو بيان الله تعالى وبيان رسوله ـ ﷺ ـ ، حتى لا تتعلق نفوس القراء والمطلعين على الكتاب بشبهات الفرق والطوائف وانما تتعلق أولاً ببيان الله ورسوله ، وانما يذكر أقوال وشبهات الطوائف بعد ذلك ويبين خطأها وبعدها عما بينه الله ورسوله ، ويرد عليها بما بينه الله ورسوله.

وهذا المسلك الذي سلكه شيخ الإسلام هو مسلك أئمة السنة والجماعة قبله ، يقررون كلام الله تعالى وكلام رسوله ـ ﷺ ـ ثم ما اتفق وأجمع عليه أئمة السلف ، ثم يذكرون شبهة المخالفين ويردون عليها وعلى مثل هذا درج الامام البخاري ومسلم وأئمة السنة كالإمام أحمد والإمام اللالكائي وأبي اسماعيل الصابوني وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن منده وغيرهم .

وقد تعرض ـ رحمه الله ـ في كتابه هذا إلى رؤوس الفرق والطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة في موضوع الايمان ، كالخوارج والمعتزلة والمرجئة والجهمية والكرامية والأشاعرة والماتريدية وغيرهم ، وقد إلتزم ـ رحمه الله ـ منهج أهل السنة والجماعة في الرد عليهم بنصوص الكتاب والسنة واذا كان لهم شبهة من دليل شرعي أو أصل عقلي فإنه يبين المراد من ذلك الدليل والفهم الصحيح له ، ثم يبين فساد استدلالهم بذلك بما يورده من النصوص من الكتاب والسنة وأقوال أئمة اهل السنة والجماعة ، وبالمعقول بذكر المقدمات واستخلاص النتائج ، ولعل من مسوغات استخدام هذا المسلك ان خصوم شيخ الإسلام في هذا الباب من المتكلمين الذين يهتمون بهذه النواحي .

٤ ـ الأمانة العلمية والدقة في النقل ، فكل من يطالع الكتاب يلمس هذا المسلك الذي شرطه شيخ الإسلام على نفسه وهو ألا يذكر قولاً بلا دليل ، بل لا بد لكل قول من دليل يدل عليه ويستند اليه فلا يدّعى على أحد انه قال ذلك بلا دليل بل يورد من كلامه أما بنصه أو بمعناه أو يلخص كلامه تلخيصاً مركّزاً يدل على كلامه ، ويتضح ذلك من كثرة النقول عن الموافقين له والمخالفين فلا نجد ذلك النقل عند المقابلة إلامطابقاً لأصله في كتب الموافقين والمخالفين على حد سواء وهذا يدل عل موضوعيته وعدله وإنصافه وتجرده للحق وعدم التجني والتقول على الآخرين وهذا ليس بغريب عليه بل هو منهجه في عامه كتبه ومؤلفاته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

المبحث السابع : مصادر المؤلف في الكتاب :

لقد اعتمد شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بعد كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ كما اتضح ذلك من منهجه ـ على الكثير من المصادر المتنوعة التي كانت ذاخرة في عصره ، ولذلك جاء هذا الكتاب يحمل بين دفتيه علوماً كثيرة ومسائل مفيدة في كافة فروع العلم في التفسيروالحديث والفقه والأصول واللغة والتاريخ وتاريخ الفرق والمذاهب وغيرها .

ففي التفسير اعتمد ـ رحمه الله ـ على كثيرمن كتب التفسير فيصرح أحياناً باسمها واسماء مصنفيها وأحيانا لا يصرح بها ، فيورد الآثار والأقوال في التفسير مسندة وغيرمسندة فمن ذلك ايراده كثير من الأقوال والآثار عن ابن جرير في تفسيره ، وابن أبي حاتم في تفسيره وبعض كتب التفسير الأخرى كالقرطبي وابن الجوزي .

أما الأحاديث النبوية والشريفة ، فقد كان يذكر في الحديث الراوي أو السند ويذكر من أخرجه وفي بعض الأحيان لا يذكر ذلك ، ومن تلك المصادر الصحيحان وسنن النسائي ، وسنن أبي داود ومسند الامام أحمد وسنن الترمذي وابن ماجه وموطأ مالك ، وشرح السنة للبغوي واعلام الحديث في شرح البخاري للخطابي ، وشرح سنن أبي داود له أيضاً ، وكتاب الاخلاص لابن أبي الدنيا .

اما في كتب العقيدة ، فقد نقل أقوالاً لأئمة أهل السنة والجماعة وذكر كثيرا من أسماء كتبهم فقد نقل عن كتاب الايمان للامام أحمد ،والايمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ، وكتاب

السنة للاثرم ، وكتاب السنة لعبد الله بن الامام أحمد ، وكتاب السنة للخلال ، وكتاب تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصرالمروزي ، ونقل عن كتب المخالفين ككتاب الموجز للأشعري وكتاب أصول الدين لعبد الله بن حامد الحنبلي ، وكتاب الأسماء والصفات لأبي إسحاق الاسفرايني وكتاب شرح الارشاد لأبي القاسم الأنصاري تلميذ امام الحرمين الجويني ، ونقل عن كتاب التمهيد للباقلاني وشرح العقيدة النظامية للجويني .

أما كتب المناقب فقد نقل شيخ الإسلام عن كتاب مناقب الشافعي لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، وكتاب مناقب الشافعي لفخر الدين الرازي . أما كتب الفقه فقد نقل أقوال الأئمة وذكر أسماء كتبهم بواسطة أو بغير واسطة فقد نقل عن الإمام الشافعي بواسطة اللالكائي ، وعن محمد بن الحسن الشيباني وشرح المذهب للقاضي أبي يعلي ، أما ما نقل عنه شيخ الإسلام من بعض الكتب ولم يذكر اسمائها وذلك لشهرتها وان ذكر أسماء مؤلفيها ، فنقل عن كتاب الحجة في بيان المحجة لقوّام السنة ، وكتاب التمهيد لابن عبد البر ، وكتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي وكتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي وكتاب شرح صحيح مسلم المسمى صيانة صحيح مسلم من الاخلال والغلط ، لأبي عمرو بن الصلاح وكتاب مقاييس اللغة ومجمل اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا امام اللغة ، وكتاب الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري امام اللغة وغير ذلك .

المبحث الثامن : القيمة العلمية للكتاب :

لقد بلغ شيخ الإسلام ابن تيمية مكانة علمية مرموقة ، ومنزلة عالية بين علماء عصره وبعده ، يشهد لذلك محبيه ومناوئيه فقد امتاز ـ رحمه الله ـ بالذكاء والفطنة والورع والتقوى وقوة الايمان والاخلاص ، اضافة إلى ما حباه الله من التعبير السهل والأسلوب الراقي في كل مؤلفاته وقد آلان الله له العلوم كما آلان الله لنبيه داود ـ عليه السلام ـ الحديد، فكان اذا تكلم في علم ظن السامع انه لا يتقن الا ذلك العلم . وقد قال عنه الحافظ ابن دقيق العيد ـ رحمه الله ـ بعدما اجتمع بشيخ الإسلام : « رأيت رجلا العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع منها ما يريد » (١).

ويعد كتاب « الايمان » من أهم الكتب المصنفة في العقيدة عند أهل السنة والجماعة وتبرز قيمته العلمية من خلال الموضوعات التي عالجها هذا الكتاب ،وهي مسائل الايمان وبيان

---

(١) الرد الوافر (ص : ١٠٧) .

حقيقته ودخول الأعمال في مسماه والرد على المخالفين في ذلك ، من المرجئة المحضة ومرجئة الفقهاء ومرجئة المتكلمين ، والرد على من يقول بترادف الايمان والاسلام ويجعلهما واحدا وتقرير القول في مسألة الاستثناء في الايمان ، وتحرير كثير من المصطلحات الشرعية التي أوردها شيخ الإسلام في بيان مفهوم مصطلح الايمان وما علق به من انحرافات عقدية بنى عليها كثيرمن المسائل الفاسدة .

وبحق قل أن نجد مصنفا قبله أو بعده عالج هذه الموضوعات بمنهجية ووسطية وانصاف حتى إن من جاء بعده افاد منه واشار إليه فللكتاب مكانته العلمية لدى العلماء من الموافقين له والمخالفين وغيرهم ممن كانوا معاصرين له وممن جاءوا بعده فنقولهم منه كانت كثيرة وهذا يلقي الضوء على أهميته وقيمته العلمية . هذا ومن المميزات التي اشتمل عليها الكتاب ما يلي :

١ ـ عنايته الشديدة بالاستدلال بالقرآن الكريم فلا تكاد صفحة من صفحات الكتاب تخلوا من آياته فنجده مستدلا بها أو مفسرا لها أو راداً على تفسيرخاطئ لها ، ومقرراً لما فيها من الدلالة على مسائل العقيدة .

٢ ـ عنياته الفائقة بالاستدلال بالحديث ، خاصة الصحيح منه والإثار عن السلف فقد اشتمل الكتاب على أكثر من (٤١٠) حديثاً وأثراً ، واشتمل كذلك على أسماء كثير من علماء السلف من أهل السنة والجماعة من أهل الحديث والفقه والأصول واللغة وغيرهم .

٣ ـ اشتمل الكتاب على كثير من المصادر والمراجع المهمة ، والتي كانت إلى وقت قريب في حكم المفقود مثل كتاب تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي ، وكتاب أصول الدين لابن حامد وغيرها .

٤ ـ لم يكتف شيخ الاسلام ـ رحمه الله ـ بتقرير عقيدة أهل السنة والجماعة بأدلتها الشرعية والعقلية في مسألة الايمان فحسب ، بل إهتم ـ كما سبق أن بيّنا ذلك ـ بالرد على المخالفين وبيان مخالفتهم للكتاب والسنة ولما أجمع عليه السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ مع ذكر الأدلة الشرعية والعقلية التي تدحض شبهاتهم وتفند أرائهم ، وأقوال أئمة السنة في الرد عليهم ، دون الدخول معهم في تفصيلات بدعهم ودون الدخول في مجادلات عقلية لا تؤدي إلى نتيجة .

ولما كان كتاب الايمان بهذه المكانة العلمية الرفيعة ، وله هذه القيمة الغالية ، استفاد العلماء منه قديما وحديثا ، وتداولوه وتدارسوه واختصروه ونقلوا منه وأثنوا عليه .

من كل هذا نستطيع أن ندرك المكانة العالية والقيمة العلمية الكبيرة التي تبوئها هذا الكتاب الذي بين أيدينا .

المبحث التاسع : بعض المصنفات في موضوع الكتاب :

أفرد كثير من العلماء مسألة الإيمان بالتأليف والتصنيف والشرح والبيان ، وذكرها بعضهم ضمن موضوعات كتابه أو قسما من أقسامه .

ويمكننا تقسيم الذين ألفوا في مسألة الايمان ، أو أنهم في تأليفهم في هذا الموضوع كانوا على طريقتين :

الأولى : طريقة من يسرد النصوص من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والروايات والآثار وأقوال أئمة السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ ويجمعها ويبوبها مثل صنيع الحافظ ابي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (١٩٥ ـ ٢٣٥هـ) في كتابه « الايمان » وصنيع الحافظ : محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني (ت٢٤٣هـ) في كتابه « الايمان » وكذلك صنيع الامام أحمد بن حنبل في كتاب « الايمان » .

فهؤلاء العلماء يغلب عليهم في منهج التأليف ، انهم يجمعون النصوص من الآيات والأحاديث والروايات والطرق ويسردونها سردا ، ولا شك أن جمع الروايات والطرق في كل باب من أبواب العلم مهم ، وخاصة في باب الايمان الذي هو أهم الأبواب ، ـ أقول يجمعون الطرق والروايات حتى يكون القارئ والباحث وطالب العلم على معرفة بجميع الروايات الواردة في مسائل الايمان نفياً واثباتاً اجمالا وتفصيلاً .

الثانية : طريقة من يورد أدلة الكتاب والسنة وأقوال السلف ورواياتهم ثم يتبع ذلك بذكر مقالات الفرق والطوائف ثم يناقش ذلك على منهاج السلف الصالح ، ومن هؤلاء أبو عبيد القاسم بن سلام (١٥٧ ـ ٢٢٤هـ) في كتاب « الايمان » فإن هذا الكتاب ـ رغم صغره ـ يشتمل من أوّله إلى آخره على مناقشة لأقوال واعتراضات لشبهات ومقالات لمختلف الفرق

والطوائف ومن أصحاب هذه الطريقة شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابنا « كتاب الايمان » وكتاب « شرح حديث جبريل في الإسلام والايمان والاحسان » .

ومن كتب الايمان عموماً :

- كتاب الايمان للإمام محمد بن أسلم الطوسي (ت ٢٤٢هـ) وهذا الكتاب في حكم المفقود.

- ومنها : كتاب « الايمان » للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، صاحب متن العقيدة الطحاوي (ت ٣٢١ هـ) والكتاب في حكم المفقود أيضا .

- ومنها كتاب « الايمان » للحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده (ت ٣٩٥هـ) ، وقد سار فيه مؤلفه على طريقة المحدثين من إيراده لآيات وأحاديث الايمان ، وبيان حقيقته وأصله، ورد فيه على المخالفين للسلف في باب الايمان من الخوارج والمعتزلة والمرجئة والكرامية والأشاعرة وغيرهم ، وذلك بِسَوْق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، بسنده وقد نشر الكتاب ضمن سلسلة عقائد السلف عن المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م بتحقيق د / علي بن محمد بن ناصرالفقيهي .

- ومن ذلك أيضاً كتاب المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (ت٤٠٣هـ) ، فقد ذكر فيه أقوال أئمة السلف في الإيمان ونصره ، وردَّ فيه على المبتدعة ثم عقب على ذلك بذكر حديث شعب الايمان ، فذكر من شعب الايمان وخصاله أكثرمن سبعين شعبة وخصلة ، وبيّن أنها موزعة على أعمال القلوب وأعمال الجوارح ، ثم جاء بعده الإمام البيهقي فشرح في كتابه « شعب الايمان » ما أوجزه الحليمي في المنهاج وكلا الكتابين مطبوع متداول .

- ومنها: كتاب مسائل الايمان للقاضي أبي يعلي محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت٤٥٨هـ)، أظهرفيه قول أهل السنة والجماعة ، ورد فيه على فرق المبتدعة من الخوارج والمرجئة والمعتزلة وممن خالف الحق وجانبه في هذه المسائل ، وقد نشر عام ١٤١٠هـ بتحقيق د / سعود بن عبد العزيز الخلف عن دار العاصمة بالرياض .

- ومنها كتاب شرح حديث جبريل في الاسلام والايمان والاحسان والذي يُعد كالمتن بالنسبة لكتاب الايمان الذي أقوم بتحقيقه وقد نشر بتحقيق د / علي بخيت الزهراني عا م١٤٢٣هـ عن دار ابن الجوزي بالدمام .

وممن أدرج موضوع الايمان ضمن كتابه وجعله قسماً من أقسام فهم على النحو التالي :

١ - الامام البخاري - رحمه الله - (ت٢٦١هـ) فقد ضمن كتابه الصحيح ، كتاب « الايمان » وسار فيه على طريقة المحدثين في ايراد الآيات والأحاديث الدالة على بيان حقيقة الإيمان وأنه قول وعمل واعتقاد وانه يزيد وينقص وترجم وبوّب لموضوعات الايمان الأخرى ومنهجه وفقهه في الترجمة معروف ، حيث يشير في كثيرمن تراجمه إلى أصل من أصول الإيمان يوضح فيها الدلالة علي ذلك الأصل ، ويرد على من يقول بخلاف ذلك .

٢ - الإمام مسلم بن الحجاج القشري (ت ٢٦١هـ) حيث بدأ - رحمه الله - كتابه الصحيح بكتاب الإيمان ذاكرا في أوله حديث جبريل راداً به ومحتجاً على نفاة القدر، ثم تكلم - رحمه الله - على حقيقة الايمان وانه اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح ورد على من خالف ذلك من المعتزلة والخوارج والمرجئة الذين خالفوا أئمة السنة في هذا الباب .

وتبعهم على صنيعهم هذا بقية أئمة السنة فالإمام أبي داود بوّب في كتاب السنة من سننه بابا في الرد على المرجئة والجهمية .

وكذلك فعل الامام الترمذي حيث خصص كتاباً كاملاً تحدث فيه عن الايمان ، وأورد فيه الآيات والأحاديث الدالة على حقيقته وأنه يزيد وينقص ، ورد فيه على مخالفي أهل السنة في هذا الباب العظيم .

وكذلك فعل الإمام النسائي في سننه ، حيث خصص كتاباً كاملاً للحديث عن الايمان وشرائعه وتكلم فيه عن الايمان بمالا يخرج عن طريقة من سبقه من الأئمة .

أما الإمام ابن ماجه فقد خصص في مقدمة السنن وكتاب الفتنة جزءا كبيراً للكلام عن الايمان وأنه قول وعمل يزيد وينقص ورد في كتاب الفتن على الجهمية والمرجئة وأهل الأهواء المخالفين لأهل السنة في هذا الباب .

وكذلك فعل الامام مالك في موطئه حيث خصص ضمن كتاب النهي عن القول بالقدر باباً للرد على المخالفين في باب الايمان ممن خالفوا من الخوارج والمعتزلة والمرجئة .

ولا أبالغ لو قلت إنه لايخلو أي كتاب من كتب السنة من تخصيص جزء - ليس بالقليل - في بيان موضوع الايمان - كيف لا بفعل ذلك وهو أهم موضوع - والرد على أهل الأهواء

والمبتدعين في هذا الباب كما فعل الأئمة : ابن أبي شيبة في كتاب السنن ، والامام أحمد في كتاب السنة ، والأثرم في كتاب السنة ، وكذلك حنبل بن إسحاق في كتابه السنة ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة ، وكذلك عبد الله بن أحمد في كتاب السنة وأبي بكر أحمد بن علي ابن سعيد المروذي في كتاب السنة ، والخلال في كتاب السنة ، وكذلك فعل أبو أحمد بن محمد ابن أحمد بن أبراهيم الأصفهاني المعروف بالعسّال ، وأبو القاسم الطبراني في كتاب السنة ، وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب السنة ، وأبو جعفرعمر بن أحمد بن عثمان المعروف بابن شاهين ، وكتاب السنة وتعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي ، وكذلك كتاب السنة لابن منده ، وكذلك شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ، وكتاب السنة لأبي ذر الهروي ورسالة السنة لأبي عثمان الصابوني وكتاب الشريعة للآجري ، وكتاب الابانة الكبرى وشرح الابانة لابن بطة الحنبلي العكبري ، والحجة في بيان الحجة لقوام السنة الأصبهاني وغيرهم كثير(١) .

---

(١) انظر : مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية (ص : ٨٤ - ١٠٢) .

الفصل الثاني

التعريف بالمخطوطة

ويتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عدد النسخ المخطوطة .

المبحث الثاني : وصف النسخ المخطوطة .

المبحث الثالث : النسخة الأم وأسباب اختيارها .

المبحث الأول : عدد النسخ المخطوطة

لقد يسر الله تعالى بمنّه وكرمه الحصول على ثمانية نسخ خطية لكتاب الايمان من أماكن متفرقة وهي كما يلي :

١ - مخطوطة المتحف التركي (طبقوسراى) باستانبول (أ)

٢ - مخطوطة ندوة العلماء بلكنو بالهند (هـ)

٣ - مخطوطة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ١ - (مح)

٤ - مخطوطة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ٢ - (م)

٥ - مخطوطة مكتب الملك فهد الوطنية بالرياض ١ - (ف)

٦ - مخطوطة مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض ٢ - (ق)

٧ - مخطوطة المكتبة الخيرية بحائل (ح)

٨ - مخطوطة مكتبة دير الاسكريال باسبانيا (س)

ولا شك أن هذه النسخ بعضها أفضل من بعض ، فالنسخة الأولى قوبلت على نسخة بخط تلميذ المؤلف وهو الشيخ جمال الدين الاسكندراني (ت٧٤٣هـ) وهو من أكثر المتخصصين في نقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وقد كتبت بعد موت بأربعة عشر عاما أي سنة (٧٤٢ هـ) .

ونسخة الهند من أفضل النسخ التي ساعدت في تقويم نص الكتاب .

ونسخة المكتبة الخيرية بحائل فيها زيادات وتصويبات لا توجد في غيرها .

ونسخة مكتبة الملك فهد الوطنية (ق) هي الأصل لنسخة الهند وهي النسخة التي تم طباعة الكتاب عليها قبل ذلك بالهند ولبنان .

المبحث الثاني : وصف النسخ المخطوطة :

١ - النسخة الأولى : مخطوطة المتحف التركي (طبقوسراي)(أ) باستانبول :

في تركيا برقم (٣٠١ - ٥٣٢٩) وهذه المخطوطة ذكرها كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي (١٢٠/٢) الطبعة الألمانية .

وقد يسّر الله وأعان في الحصول على مصورة هذه النسخة على (مايكرو فيلم) من تركيا وبعد فحصها اتضح لي أن المخطوط يشتمل على كتابين لشيخ الإسلام ابن تيمية هما كتاب «الايمان » وكتاب « شرح حديث جبريل في الإسلام والايمان والاحسان » ويوجد في المخطوط في صفحة عنوان واحدة وصفها كالآتي : هذامن جانب التجليد والله يفعل ما يريد « كتاب الايمان » ثم كتب في أعلى الصفحة اليسرى في وسطها : بسم الله الرحمن الرحيم ثم كتب تحته دعاء بخط غيرواضح في مجمله وفيه: أعوذ بعزة الله من شر حر النار ـ ثم كتب بعد ذلك بخط أصغر بشكل مائل ما يلي : قال أبو الفتح الشيرازي في كتاب « التبصرة في أصول الدين » ويجب أن يقول : أنا مؤمن إن شاء الله ،وصليت إن شاء الله ، وكذا جميع أفعال الإيمان ولا يجوز أن يقول : أنا مؤمن حقا وقال المخالفون لنا في الايمان يقول : أنا مؤمن حقا .

أما الورقة الثانية ففي أعلى الصفحة اليمنى منها كتب ما يلي : قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله ـ فان قيل : ـ الايمان مخلوق أم غير مخلوق ؟ فقل الايمان اقرار بوحدانية الله وهدايته ، واما الاقرار فهو صنع العبد وهو مخلوق واما الهداية فهو صنع الرب وهو غيرمخلوق .

قال كاتبه ـ رحمه الله ـ والدليل على الهداية قول الله عز وجل : ﴿ **يمنون عليك أن أسلموا** ... ﴾ قلت قال شيخ الإسلام في أثناء كتابه الذي أملاه في الايمان على سؤال جبريل عليه السلام ... ثم شرح في نقل جمعه من النصوص من كتاب (شرح حديث جبريل في الاسلام والايمان والاحسان) المعروف بالايمان الأوسط .

أما الصفحة اليسرى (ب) فقد كتب بخط جانبي في أعلاها على اليمين : ملكه ومابعده كاتبه محمد المظفري لطف الله به . وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن العثيمين عميد معهد البحوث العلمية سابقاً والأستاذ بكلية اللغة العربية والمتخصص في المخطوطات ـ إن المظفري ، هذا مشهور باقتناء الكتب وجمع النوادرمنها وبعد البحث لم أعثر له على ترجمة .

ثم كتب في أعلى الصفحة : توكلت علي الله وكتب تحت ذلك كتاب الايمان وبجواره يتضمن الحديث عن سؤال جبريل ـ عليه السلام ـ النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والايمان والاحسان وجوابه ـ صلى الله عليه وسلم بأفصح بيان .

وكتب تحته ، املاه الشيخ الامام العالم العامل الورع الناسك ، شيخ الإسلام بقية السلف الكرام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن[١] بن عبد السلام بن تيمية تغمده الله منه بالرحمة والرضوان وأسكنه الفردوس أعلى الجنان الذي أخبر عنها الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة وأزكى سلام ، حين قال : إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى ، فإن سقفها عرش الرحمن ، اللهم انا نسألك الفردوس الأعلى لنا ولوالدينا واحبابنا وسائر الأخوان أهل الإسلام والايمان آمين يا رب العالمين اللهم صل وسلم على النبي الأمي وآله وأصحابه وأزواجه وسائر النبيين والمرسلين وآل كلٍ وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين . ثم وضع ختم مدور في وسط الصفحة مكتوب فيه : الحمد لله الذي هدانالهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ثم توقيع .

وأفاد الدكتور عبد الرحمن العثيمين أن هذا ختم السلطان العثماني والتوقيع له .

وأول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ..

وقد كتب في ذيل ا لصفحة الأخيرة من الكتاب بلغ مقابلة وتصحيحا بحضور أحمد صهر عبد الله الاسكندراني وهو المجلس الأخير .

أما آخر صفحة من المخطوط فقد كتب فيها : ووافق الفراغ منه يوم الاثنين ثامن شهر شعبان المبارك من شهور سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وهي سادس كانون الثاني سنة تعليق العبد المذنب الخاطئ المقصر المعترف بذنبه الراجي عفو ربه ومغفرته ومسامحته ورحمته افقر الخلق إلى ذلك كنور بن كنور بن صخر بن كنور بن صخر بن أبي الحسن بن نقاء بن مساور العامري تجاوز الله عنه وعنهم بفضله وكرمه هو أهل التقوي والمغفرة والحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وقد جاء في أول صفحة في كتاب الايمان : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين رب يسر وأعن عن قال الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المتقن المحقق المتقن ركن الشريعة ناصر الملة إمام الأئمة وحيد عصره وفريد دهره شيخ الإسلام مفتي الأنام ، بحر العلوم منبع الفهوم ،

---

(١) الصواب : ابن عبد الحليم .

نخبة الراسخين ، كنز المستفيدين ، الرباني المجتهد ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية ـ رضي الله عنه ـ الحمد لله .

وجاء في آخر النسخة فأقسم صلوات الله عليه وسلامه على المستقبل في مواضع كثيرة بلا استثناء . إلى هنا بلغ المصنف ـ رحمه الله ـ ثم سبق عليه الموت ولم يكمل هذا الكتاب وهو الذي سماه شرح الايمان ، ولم يصل إلى ما أشار إلى بسطه في مواضعه وكان يقتضي تمامه على الاختصار في مجلد ثانٍ أو ثالث ، والله أعلم .

وافق الفراغ في تعليقه يوم الأربعاء ثامن عشر محرم سنة اثنين وأربعين وسبعمائة هجرية تعليق صخر العامري عفا الله عنه بمنه وكرمه .

أما نوع الخط في هذه النسخة فهو خط نسخ جميل في غالبه ولم تسلم هذه النسخة من الأخطاء . وإن كانت قليلة نسبياً وقد جعلت حواشي هذه النسخة لتصحيح الأخطاء أو اكمال النقص كما أنها احتوت ـ أحيانا ـ على بعض العناوين الجانبية .

أما متوسط عدد الأسطر فهو خمسة وعشرون سطراً وعدد الكلمات في كل سطر : خمس عشرة كلمة غالبا ، أما عدد لوحات هذه المخطوطة فهو تسع وستون ومائة لوحة .

وبعد فنخرج من وصف تلك النسخة بالنتائج التالية :

١ ـ هذا الكتاب الذي أقوم بتحقيقه يسمى «كتاب الايمان » لأنه ذكر أولاً، ولأن الناسخ قد انتهى منه أولا في شهر محرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وأن كتاب شرح حديث جبريل انتهى منه الناسخ في شهر شعبان من نفس السنة وان ذكر الناسخ ، ان شرح حديث جبريل يسمى أحياناً بكتاب الايمان ، وأن حصل تقديم كتاب شرح حديث جبريل في المخطوطة فلعل ذلك من فعل الناسخ أو من فعل الوراقين أومن فعل مفهرس المخطوطات بالمتحف التركي .

٢ ـ ما ذكره الناسخ في اخر « كتاب الايمان » من أن المصنف ـ يقصد شيخ الإسلام ـ سمى الكتاب بشرح الايمان فلعل الناسخ ذكر ذلك من باب ذكر موضوع الكتاب وإلا فقد أشار شيخ الإسلام في أكثر من موضع في كتبه الى كتاب الايمان وكذلك ذكر تلاميذه ممن قام بالترجمة له وذكر ثبت مؤلفاته ، كالحافظ ابن عبد الهادي وأبو عبد الله بن رشيق المغربي

وغيـرهم . وكذلك ذكـره من بعدهم ممن ترجم للمـصنف وذكر مـؤلفاته كالحـافظ ابن رجب والكتبي وغـيرهم ، ولعل ما فعلـه الناسخ قد أوقع غيره ممن نقل عـنه في تسمية الكتـاب بشرح حديث جبريل كما ذُكِرَ في بعض النسخ .

النسخة الثانية : نسخة المكتبة المحمودية الأولى (م) :

أصل هذه المخطوطة موجود بالمدينة المنورة ـ حرسها الله ـ وهي بخط رقعة واضح وجميل وعليها تصـحيحات وتملكات كما يظهـر من الاشارات على الحواشي والتصحيـحات التي بها بعض السقط عن باقي النسخ الأولى، وتشترك في بقية النسخ الأخرى في السقط الا في بعض المواضع .

توجد هذه الـنسخة بالمكتـبة المحمودية التي ضُـمَّت الى مكتبة الملك عبد العـزيز بالمدينة المنورة وقد جاء بيانها كالتالي :

ووصف هذه المخطوطة كالآتي :

جاء في أعلى الصفحة من اليمين من المجاميع في التـوحيد والعقائد ثم في وسـط الصفحة كتـاب الايمان الكبيـر للامام الكبير شيخ الإسلام والمسلمـين بحر علوم الدين أحـمد بن عـبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه بمنّه وكرمه آمين .

ثم جاء تحته بقليل ورق وبجـواره سطر ثم تحتـه رقم ٢٥ ثم بجواره إلى اليسـار بسم الله الرحمن الرحيم وبجوار بقليل ،طمس ثم كتب فيها « الايمان » ثم تحتهـا بقليل حرف لم أعرفه بعـده ، في المجمـوع المبـارك ثم بعدهاكلمـات غير واضـحة ثـم « الايمان الكبيـر » ، « الايمان الصغيـر » « الفرقان » « والسيـاسة الشرعية » وغـيرهم ثم طمس بمقدار عشـر كلمات ثم كتب تحت ذلك سنة١٢٢٨هـ بجوارها كـلام غير واضح ثم تحتهـا ص (٦٦٦) ثم إلى اليمين سجل برقم (١٤/٢٠) وتحتها (٢٦٤٧) وجـاء في الصفـحة الأولى من المخطوط : بسم الله الـرحمن الرحيم رب يسـر وأعن قال الشـيخ الامام العالم العـلامة الحـافظ المتقن المحقق المدقـق ناصر الملة وحيد دهـره وفريد عصره شيـخ الإسـلام مفـتي الأنـام بحـر العلـوم تقـي الدين أحمد بن تيمية ـ رحمه الله ورضى عنه ـ الحمد لله ثم ذكر خطبـة الحاجة ثم بدأ الكتاب وجاء في آخره : آخر ما وجد من كتاب الايمان لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله .

أما نوع الخط في هذه النسخة فهو خط نسخ عـادي في غالبه وقد جعلت حواشي هذه النسخة لتصحيح بعض الأخطاء .

أما متوسط عدد الأسطر فهو خمسة وعشرون سطرا ، وعدد الكلمات في السطر الواحد تصل إلى ثماني عـشرة كلمة غـالبا وعدد لوحات هذه المخطوطـة تسعة وتسعـون لوحة وتاريخ النسخ ١٢٢٨ هـ .

النسخة الثالثة : نسخة المكتبة المحمودية الثانية (مح) :

أصل هذه المخطوطة موجود كذلك بالمدينة المنورة ـ حرسها الله ـ وهي بخط رقعة واضح وجميل وعليها تصحيحات كما يظهر من الاشارات على الحواشي والتصحيحات التي بها .

وتوجد هذه النسـخة بالمكتبة المحـمودية التي ضمت إلى مكتـبة الملك عبـد العزيز بالمدينة المنورة وتشبه في بياناتها النسخـة السابقة الا في رقم الحفظ حيث تحفظ برقم (١٨٩٦/٢٤٠) وعدد أوراقها (١٥٦) ورقةووصفها كالآتي : في صـفحة العنوان في أعلى الصفحة من الجهة اليسـرى طمس ثم عفـا الله عنا وعنه ثم طمس وجاء فـي وسط الصفحـة كتـاب شرح الايمان لشيخ الاسلام عالم المسلمين تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ رحمه الله ـ وتحت العنوان بقليل إلى اليـمين نمره (٧) وبجوارها (١٥٤) ورقة وبجـوار بقليل (١٩) سطر وتحت ذلك في منتصف الصفحة بسم الله الرحمن الرحيم وتحت البسملة وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب وتحت ذلك بسطرين

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وتحت ذلك كتب من العقائد وبجوارها الترقيم (١٨٦٦) .

وجـاء في الصفـحـة الأولى بسم الله الرحـمن الرحـيم رب يسر واعن برحـمـتك ثم بدأ بخطبه الحاجـة ... وجاء في آخر صفـحة بعد انتهاء الكتـاب قال والحمد لله وحـده بلغ مقابلة بخط أبي عبد الله ومنه نقل ولحمد لله ، وهذا الكتاب لم يقرأ على مصنفه .

النسخة الرابعة : نسخة مكتبة الملك فهد الوطنية الثانية (ف) :

هذه النسخـة موجودة بالرياض في مكتـبة الملك فهـد الوطنية وهي بخط نسخي جـميل واضح وعليـهـا تملكات وهي نـسـخـة مـقـابلة كـمـا يـتـضح من الاشـارات على الحـواشي

والتصحيحات التي بها ، وأصل هذه النسخة موجود بمكتبة الرياض العامة بالسعودية (الافتاء) تحت رقم عام (٤٧٥) خاص (٨٦) ومسجلة بتاريخ (١٣٩٢/٧/٦هـ) وعدد أوراقها (٢٠٤) ورقة .

ووصف هذه النسخة ما يلي : كتب في صفحة العنوان في وسط الصفحة من أعلى كتاب « عين الأعيان في الفرق بين الإسلام والايمان » للعلامة تقي الدين أحمد بن تيمية تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته بفضله وكرمه أمين ثم كتب تحتها تم ، تم ، تم وتحت ذلك وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً ، وفي اقصى اليمين تحت ذلك ختم مكتوب بداخله مكتبة الرياض العامة ـ السعودية وختم التسجيل العام (٤٧٥) .

رقم التسجيل الخاص (٨٦)

التاريخ ١٣٩٢/٧/٦هـ

وفي اليسار ، هذا الكتاب عندي عارية، وهو للشيخ عبد الرحمن بن فيصل ، وأنا الفقير إلى الله عيسى بن عبد الله بن عكاس عفا الله عنه .

وتحت ذلك كتب وارد من مكتبة الشيخ محمد بن عبد اللطيف رحمه الله .

وجاء في آخر هذه النسخة بلغ مقابلته على حسب الطاقة على أصل غير صحيح انتهى ثم جاء في الصفحة التي تليها أسفل الختم الذي سبق بيان معلوماته كتب تحته علي بن بعد العزيز بن الشيخ كلمة لم أعرف قرائتها ثم بعدها من الشيخ عبد العزيز بن محمد بن الشيخ سلمه الله تعالى سلام عليكم ورحمته ثم كتب تحت هذا السطر .

كمل الكتاب بعون الملك الوهاب بقلم أفقر العباد إلى الله الملك الجواد عبده وابن عبده محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أحمد بن ناصر بن موسى الملقب بالمطوع النازل ببلد الدلم من بلدان الخرج غفر الله ولوالديه وجميع المسلمين أمين تم سنة (١٣٦٩هـ) .

النسخة الخامسة نسخة مكتبة الملك فهد الأولى (ق)

هذه النسخة موجودة في الرياض في مكتبة الملك فهد الوطنية وهي بخط نسخي متوسط الجودة وهي نسخة مقابلة كما يتضح من الاشارات على الحواشي والتصحيحات التي

بها ، وأصل هذه النسخة موجودة بمكتبة الرياض السعودية برقم (٤٠٣) وعدد أوراقها (١٥٠) ورقة وتاريخ النسخ (١٢٨٠هـ) .

ووصف هذه النسخة ما يلي : في وسط الصفحة وإلى اليمين قليلا : كتب في صفحة العنوان عنوان الكتاب « كتاب فيه شرح الايمان »تأليف الشيخ الامام العالم العلامة المحقق شيخ السلام بقية السلف الكرام تقي الدين أبي العباس أحمد بن الشيخ الإمام العالم بهاء[1] الدين عبدالحليم بن الشيخ الامام العالم العلامة مجد الدين أبي البركات بن تيمية رحمه الله تعالى ورضى عنه بمنه وكرمه امين امين أمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وكتب العنوان مرة أخرى بخط معكوس بالعرض : كتاب فيه شرح الايمان رحم الله مؤلفه ورضي عنه بمنه وكرمه انه جواد كريم رؤوف رحيم آمين آمين .

وكتب تحت العنوان واسم المؤلف أحد عشر سطراً بعد الكلام الذي سبق المقطع الأخير كتب لغير الله ثم كلمة غير واضحة ، وهكذا حال من كان متعلقا برياسة وبصورة ونحو ذلك من اهواء نفسه أن حصل له رَضِيَ وان لم يحصل له سخط ، فهذا عبد لهواه في ذلك ، وهو رقيق له ، اذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده فهو عبده ، إلى أن قال : وهكذا ايضا طالب المال فان ذلك يستعبده ويسترقه وهذه الأمور نوعان فمنها ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه ومشربه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك ، فهذا يطلبه من الله ويرغب اليه ، فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلوعاً ثم بياض بمقدار كلمة وربما كانت [ومنها] ما لا يحتاج اليه العبد بهذه ينبغي انه لا يعلق قلبه بها ، فإن تعلق قلبه بها صار مستعبدا لها ، وربما صار مستعبدا معتمداً على غير الله فيها ، فلا يبقى معه حقيقة العبودية ولا حقيقة التوكل عليه بل فيه شعبه ... » انتهى الكلام ، ثم بدأ الكتاب في الصفحة الثانية بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن ياكريم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قال الشيخ الامام العالم العلامة الحافظ المتقن المحقق المدقق ركن الشريعة ناصرالملة وحيد دهره فريد عصره

---

(١) الصواب : شهاب الدين .

شيخ الإسلام مفتي الأنام بحر العلوم تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية ـ رحمه الله ورضي عنه الحمد لله ثم بدأ بخطبة الحاجة وجاء في آخره : بلغ مقابلةً وتصحيحاً وجاء في آخره : فأقسم صلوات الله وسلامه عليه وعلى المستقبل في مواضع كثيرة بلا استثناء والله سبحانه وتعالى أعلم وهذا آخره ، والحمد لله أولاً وآخرا على ما أنعم به باطنا وظاهراً ، وصلى الله على محمد وصحبه وسلم تسليماً كثيرا ، انجز الكتاب المبارك بعون الله وحمده ضحوة السبت تاسع ربيع أول من شهور ثمانين ومائتين وألف من هجرته صلى الله عليه وسلم بقلم الفقير لربه المقر بالذنب والتقصير راجي رحمة ربه العزيز القدير انهاه كتابةً وأخيه ومحبة في ربه خميس ابن محمد والله اسأل ان يوفقنا واياه وان يجعل القصد خالصا لوجهه الكريم ومعونة على طاعة السميع العليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والخط يشهد لصاحبه اني سأتركه يوما وارتحل يا ساكن الدار لا تنس الرحيل غدا فكل ساكن دار سوف يرتحل قال أبو سليمان أحمد بن محمد ابراهيم السببي والمؤمن مسلم في جميع أحواله ، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً ، المسلم كما يطلق عليه الايمان كما يطلق على المؤمن، وقال في قوله الايمان بضع وسبعون شعبة بيان ان الايمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأنه دين له أدنى وأعلى ، فأدناه اماطة الأذى عن الطريق وأعلاه قول لا إله إلا الله وأجزاء ، كلمة غير واضحة فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، وحقيقته تقتضي جمع اجزائه وشعبه وتستوفى جملة اجزائه كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء كالاسم يتعلق ببعضها ، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها ويدل عليه قوله : الحياء شعبة من الايمان ، فيه اثبات تفاصيل الايمان وتباين المؤمنين في درجاته والله سبحانه وتعالى أعلم م م م .

وجاء في يسار آخر النسخة: بسم الله الرحمن الرحيم انتقل الكتاب بالشراء إلى حمد ابن عبد العزيز، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ثم أسفل منها خمس كلمات غير واضحة وأسفل منها ثلاثة أسطر بقلم وبخط مختلف : أفضل ما يهدي ما يعين على التقوى وحيث أن كتاب « الايمان » أفضل ما يهدي للاخوان ، فقد أهديته إلى أحب الاخوان لدي ـ فيصل بن مريشيد أبو أيمن ثم كتب تحته بسطر المحب المخلص حمد بن محمد ال الشيخ.

ونوع الخط في هذه النسخة فهو خط نسخ جميل في غالبه وقد جعلت حواشي هذه النسخة لتصحيح الأخطاء .

ومتوسط عدد الأسطر فهوخمسة وعشرون سطراً وعدد الكلمات في كل سطر ثلاثة عشرة كلمة غالباً ، أما عدد لوحات هذه المخطوطة فهو مائة وخمسون لوحة .

النسخة السادسة : نسخة الهند مكتبة ندوه لعلماء بلكنو (هـ) :

هذه النسخة موجودة بالمدينة المنورة وهي بخط نسخ واضح ،وهي نسخة مقابلة كما يتضح من الاشارات على الحواشي والتصحيحات التي بها ، وأصل هذه النسخة موجود بالهند ضمن مكتبة ندوة العلماء بلكنو بالهند تحت رقم (١٣٦٦) وتقع في (٢٠٨) ورقة وهي بمقاس (١٦×٢) وهي ضمن مصورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٤٧) عقائد ووصف هذه النسخة كما يلي : في وسط الصفحة من الأعلى رقم الترقيم (نمره ١٣٦٦) كتب تحته : كتاب شرح الايمان لشيخ الاسلام ، عالم المسلمين تقي الدين أبي العباس أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله سبحانه وتعالى آمين .

ثم جاء في يسار العنوان : مما منَّ الله به على عبده وابن عبده عيسى بن زيد الزير نفعه الله به وذريته واخوانه المسلمين ، ثم أسفل بخط مائل ، ثم انتقل إلى ملك الشيخ عبد الله ثم كلمة مطموسة علج علم مبادلةً بنظيره ، كتبه الفقير الى الله عبد العزيز ثم كلمة مطموسة ثم كتب تحت ذلك سبعة أسطر بخط مائل كلها مطموسة غير واضحة ، وجاء في الورقة الأولى بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن برحمتك ، ثم ذكر خطبة الحاجة وجاء في آخره : فأقسم صلوات الله وسلامه عليه على المستقبل في مواضع كثيرة بالاستثناء . آخره والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين برحمتك يا أرحم الراحمين .

ومتوسط عدد الأسطر فهوخمسة وعشرن سطراً وعدد الكلمات في كل سطر أربع عشرة كلمة في السطر .

النسخة السابعة : نسخة المكتبة الخيرية بحائل (ح) :

وهذه النسخة موجودة بحائل بالمكتبة الخيرية انتقلت اليها عن طريق مكتبة المعهد العلمي بحائل ، وهي بخط نسخ معتاد واضح ، وهي نسخة مقابلة كما يتضح من الاشارات على الحواشي والتصحيحات التي بها ، وهي برقم (١٥) وعدد أوراقها (٢٠٨) ورقة وتاريخ النسخ (١٢٤٣هـ) .

ووصف هذه النسخ كما يلي : في صفحة العنوان في أعلى الصفحة كتب فيه ثم حرف (شين) ولعله شرح الايمان والكلمة مطموسة ، ثم على يمين ذلك أسفل ذلك بسطر كتب رقم (١٥) وتحته بسطر، الخيرية بحائل ، وتحت ذلك بسطر ، آخر بخط مخالف لخط المخطوط ومائل كتاب « شرح الايمان » ابن تيمية ثم آثار رطوبة ثم الرحيم ، وتحت ذلك في وسط الصفحة ، يعلم الناظر اليه أن شاك بن عبد العزيز بن حمد المعمر وقفت هذا الكتاب ، الذي هو «شرح الايمان» وماتصل به من مختصرالبخاري على بن الأولى ثم كلمة غير واضحة العلم ثم كلمة غير واضحة شهد ثم علي بن عواد واسلم عبد الله بن ابراهيم بن غيث وصلى الله على محمد ثم يوجد ختم غيرواضح وأسفل من ذلك ختم ثاني غيرواضح ثم كتب سنة ١٢٧٣هـ.

ثم جاء في الورقة الأولى : « كتاب فيه شرح الايمان » تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام بقية السلف الكرام تقي الدين أبي العباس أحمد بن الشيخ الإمام العالم(١) بها الدين عبد الحليم بن الشيخ الإمام العالم العلامة مجد الدين أبي البركات بن تيمية رحمه الله تعالى ورضى عنه آمين ثم كتب : بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر قال الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المتقن المحقق المدقق ركن الشريعة ناصر الملة وحيد دهره وفريد عصره شيخ الاسلام مفتي الأنام بحر العلوم تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله ورضى عنه ثم ذكر خطبة الحاجة .

وجاء في آخره فاقسم صلوات الله عليه وسلامه على المستقبل في مواضع كثيرة بلا استثناء والله سبحانه وتعالى أعلم هذا آخر ماوجد من كتاب الايمان لشيخ الاسلام ابي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله .

قال ـ أوقاله ـ أبو سليما ـ أو سليمان ـ أحمد بن محمد بن ابراهيم السبي وكتب تحت ذلك عشرة أسطر وهي كالاتي : مسلم في جميع أحواله ، فكل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمن والمؤمن المسلم لا يطلق عليه اسم الايمان كما يطلق على المؤمن ، وقال في قوله الايمان بضع وسبعون شعبه بيان أن الايمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء ، وان له أدنى وأعلا فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها ، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وشعبة ، ويدل عليه قوله الحياء شعبة من الايمان وفيه اثبات تفاضل الايمان وتباين المؤمنين في درجاتهم ، والله

(١) الصواب : شهاب ا لدين .

سبحـانه ، أعلم ثم كتب بعد ذلك : كـتبته بيـدي وهو في ملكي بمعونة ربي أنا الفقـير إلى الله العزيـز البصيـر إبراهيم بن علي بن حـسين بن علي بن عبـد الله بن مبـارك بن الحنبلي مـذهبا البدراني نسبا غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات أمين .

فرع منه سنة ثلاثا وأربعون المائتين والألف (١٢٤٣هـ) .

وتتمـيز هذه النسـخة عن بقـية النسخ بأنهـا تضع عناوين لكل فقـرة من فقـرات الكتاب طالت هذه الفقرة أم قصرت ولعل ذلك من فعل الناسخ لامن قول المؤلف .

ونوع الخط في هذه النسخة ، فـهو خط نسخ جميل ، أما متوسط عـد الأسطر فهو اثنان وعشرون سطر وعدد الكلمات في كل سطر ثلاث عشرة كلمة ، وعدد اللوحات مئتين وسبعة لوحات .

النسخة الثامنة : نسخة مكتبة دير الاسكريال باسبانيا (س)

هذه النسخة موجودة بمكتبة ديرلاسكريال باسبانيا تحت رقم (١٤٧٤) وهي بخط نسخ واضح وهي نسخة مقابلة على نسخة قرئت على المصنف وعـليها تصحيحات كما هو واضح على الحواشي التي بـها ، وعدد أوراقـها (٢٣٨ ورقة) وصـورتها من الجامـعة الإسلامـية برقم (٣٦) ووصف هذه النسخة كما يلي :

ليس بهـاورقة عنوان وانما بدأت بالصـفحـة الأولى ، وانما عرفنا أنهـا كتاب الايمـان لأنها بدأت بمثل ما بدأت به النسخ الأخرى ، وجاء في أولها : بـسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين قال الشيخ الامـام العالم العلامة بقـية السلف الكرام شيخ الاسلام ومفـتي الأنام ، وبحر العلوم ونخبة الراسخين منبع الفهوم وكنـز المستفيـدين الربانـي المجتهد تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الامام الـعالم العـلامـة عبـد الحليم بن الشيـخ الامـام العالـم العلامــة مـجـد الدين أبي البركات بن تيمية تغمده الله برحمته وأكسنه فسيح جناته ثم بدأ بخطبه الحاجة ..

وجـاء فـي آخـرها : فأقـسم صلوات الله وسـلامه على المسـتقـبل في مواضع كـثيـرة بلا استـثناء والله اعلم والحمـد لله رب العالمين وصلى الله على سـيدنا محـمد وآله وصحـبه وسلم تسليما كثيرا ، بلغ مقابلة على نسخة قرئت على المصنف رضي الله عنه .

ومتـوسط عدد الأسطر فهـو خمسة وعـشرون سطراً وعدد الكـلمات في كل سطر أربع عشرة كلمة غالبا .

المبحث الثالث : النسخة الأم (الأصل) وأسباب اختيارها :

إن مخطوطة المتحف التركي (طبقوسراي) باستانبول هي النسخة الأم (الأصل) لهذه المخطوطات التي سبق التعريف بها والتي يسر الله تعالى لي الحصول عليها بمنه وكرمه وذلك للأسباب الآتية :

١ ـ أن هذه النسخة هي أقدم النسخ الخطية للكتاب فقد نسخت سنة (٧٤٣هـ) وهي مقابلة على نسخة للكتاب للشيخ جمال الدين الاسكندراني (ت ٧٥٤هـ) وهو من تلامذة شيخ الإسلام بل ومن أبرز المتخصصين في نقل كلامه وتحرير مؤلفاته كما قال الحافظ بن حجر : « وكتب الكثيرمن فتاوى ابن تيمية »(١) .

٢ ـ ان هذه النسخة صححت عنوان الكتاب ، فمن المعلوم ان كتاب الإيمان وكتاب شرح حديث جبريل نسخا في سنة واحدة ومن ناسخ واحد وقوبلا على نسختين لناسخ واحد.

٣ ـ هذه النسخة يوجد بها زيادات أكثر من ثلاث صفحات عن بعض النسخ الأخرى التي طبع عليها الكتاب اضافة إلى أن خطها حسن وقراءتها سهلة .

٤ ـ أنها احتوت على بعض الحواشي والاضافات والتعليقات ، وكتب على بعضها بلغ مقابلة وبلغ تارة أخرى ، وتارة أخرى صح وهذا يدل علي دقة المقابلة والتصحيح والعناية .

لهذه الأسباب جميعها قد جعلت مخطوطة المتحف التركي هي الأصل المعتمد في عملية المقابلة مع بقية المخطوطات الأخرى .

الفصل الثالث

التعريف بالمطبوعة

ويتكون من مبحثين :

المبحث الأول : معلومات مختصرة عن طبعات الكتاب .

المبحث الثاني : بعض الملاحظات عليها .

المبحث الأول : معلومات مختصرة عن طبعات الكتاب :

لكتاب « الايمان » ثلاث طبعات وقفت عليهاوهي :

الأولى : المطبوعة الهندية .

الثانية : مطبوعة مجموع الفتاوى .

الثالثة : المطبوعة اللبنانية .

أما المطبوعة الهندية فقد طبعت بمجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في حيدر أباد الدكن سنة (١٣١١هـ) وهذه الطبعة تقع في (١٨٩) صفحة من القطع الكبير ولم يذكر من طبعها أصل معتمد في مقدمة أو خاتمة الكتاب ، وعن هذه النشرة نشر الكتاب السيد / محمد بدرالدين النعساني عام (١٣٤٥هـ) بمطبعة الخانجي بالقاهرة .

أما المطبوعة ضمن مجموع الفتاوى فقد قام بنشرها فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ـ رحمه الله ـ عام (١٣٧٤هـ) وتقع في (٤٦١) صفحة ثم أعيد طبعها عدة مرات مع كامل المجموع ، وعن هذه النشرة نشره الدكتور / محمد خليل هراس عام ١٣٨٠هـ عن دار الطباعة المحمدية ومكتبة أنصار السنة المحمدية ، وعن هذه النشرة أيضا نشره زكريا علي يوسف في بيروت عن دار التضامن ، ودار عمر بن الخطاب بالاسكندرية ، وصدرت نشرة أخرى عن دارالحديث بجوار ادارة الازهر بتحقيق ومراجعة محمد هاشم الشاذلي ونشره بالرياض صالح بن عبد العزيز الراجحي عن دار الثقافة الإسلامية بالرياض عام (١٣٩٢هـ) .

أما الطبعة اللبنانية فقد قام بنشرها زهير الشاويش عام (١٣٨١هـ) وأعاد طباعته عدة مرات حتى عام ١٤١٤هـ بتخريج الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ وأشار إلى أنه رجع في طباعة الكتاب الى النسخة الهندية المطبوعة عام (١٣١١هـ) ، وقال بأنها مقابلة على النسخة النجدية واشار إلى أن تخريج الأحاديث تخريج موجز وهذه الطبعة تقع في (٤٥٥) صفحة .

المبحث الثاني : بعض الملاحظات على النسخ المطبوعة

وهذه الملاحظات كالتالي :

١ ـ لم يقم أحد ممن قام بنشر الكتاب بذكر النسخ المخطوطة التي اعتمد عليها ولم تظهر على تلك المطبوعات مقارنات بالنسخ المعتمدة والفروق بينها وكتابة هذه الفروق بالحواشي اللهم إلاما ذكره زهير الشاوش عن النسخة الهندية بأنها مقابلة على النسخة الموجودة بنجد ومع ذلك فمنذ ذلك التاريخ لم يقم أحد بتحقيق الكتاب رغم كثرة نسخه الخطية وفق المنهج العلمي في التحقيق .

٢ ـ لم يقم أحد ممن نشر الكتاب أوصححه أو طبعه أو أشرف على طباعته بتخريج أحاديث الكتاب ـ رغم كثرتها ـ حيث اشتمل الكتاب على أكثر (٤١٠) حديثاً وأثرا حيث أن تخريج الأحاديث والآثار من أهم الأمور ليطمئن القارئ والباحث ويطلع على مدى صحة الحديث الذي يورده المصنف ويستدل به .

٣ ـ لم يقم أحد بتراجم الأعلام حيث بلغ عدد الأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب أكثر من (٣٠٠) علم ومن المعلوم أن تراجم الأعلام خاصة في هذا الباب المهم من الأهمية بمكان لما في ذلك من ازالة الاشتباه والاشكال الذي يحصل بسبب عدم الترجمة .

٤ ـ لم توثق النصوص والنقول التي ذكرها المصنف رغم كثرتها ورغم اشارة المصنف ـ رحمه الله ـ إلى كثير منها ، اضافة الى وفرة المصادر التي تشتمل على تلك النصوص .

٥ ـ كثرة الفروق بين المطبوع والمخطوط مما يجده ويلحظه المطلع على الكتاب، بعد تحقيقه فلا تكاد تخلو صفحة من ذكر فرق أو فرقين بل أحياناً عشرات الفروق ، ولا شك أن ذكر الفروق بين النسخ يزيل الاشكال والاشتباه التي يمكن أن يقع أثناء قراءة النص .

ومع ذلك لم اعتمد في المقابلة بين المخطوط والمطبوع إلا على نسخة مجموع الفتاوى والنسخة المطبوعة في المكتب الإسلامي عام ١٣٩٠ الطبعة الثالثة أحياناً وقد أشرت إلى ذلك في الحواشي حين تقتضي الضرورة ذكر المطبوع في ذلك المكان .

الباب الثالث
الدراسة التحليلية لمسائل الكتاب

الفصل الأول : تعريف الايمان لغة وإصطلاحاً وبيان منهج أهل السنة والجماعة فيه .

الفصل الثاني : المذاهب في الإيمان

الفصل الثالث : العلاقة بين الايمان والإسلام وتحقيق الكلام فيها

الفصل الرابع : مسألة زيادة الايمان ونقصانه

الفصل الخامس : مسألة الاستثناء في الايمان

الفصل السادس : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المتكلمين في مسائل الإيمان

الفصل الأول

تعريف الإيمان لغة وإصطلاحاً وبيان منهج أهل السنة والجماعة فيه

ويتكون من خمسة مباحث :

المبحث الأول : الإيمان في اللغة

المبحث الثاني : الإيمان في الاصطلاح

المبحث الثالث : أدلة أهل السنة والجماعة على قولهم الإيمان اعتقاد وقول وعمل

المبحث الرابع : أقسام المعاصي عند أهل السنة والجماعة

المبحث الخامس : حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة

المبحث الأول : الايمان في اللغة

قال ابن فارس : « آمن الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان أحدهما : الأمانة التي هي ضد الخيانة ومعناها سكون القلب ، والآخر : التصديق والمعنيان كما قلنا متدانيان .

قال الخليل الآمنة من الامن ، والامان اعطاء الامَنَةُ ، والأمانة ضد الخيانة ، يقال امنت الرجل : أمنا وأمنةً وأماناً وآمنني يؤمنني إيماناً والعرب تقول : رجل أمّان إذا كان أميناً .

قال اللحياني وغيره رجل امنة إذا كان يأمنه الناس لا يخافون غائلته ، وأَمَنَةٌ بالفتح يصدق ما سمع ولا يكذب بشيء يثق بالناس ، فأما قولهم اعطيت فلاناً من آمن مالي فقالوا: معناه من أعزه عليَّ ، وهذا وان كان كذلك ، فالمعنى معنى الباب كله ، لأنه اذا كان من أعزه عليه ، فهو الذي تسكن نفسه ، وفي المثل : من مأمنه يؤتى الحذر ، وأما التصديق فقول الله تعالى : ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا** ﴾ [سورة يوسف : ١٧] أي مصدق لنا ، قال بعض أهل العلم إن المؤمن في صفات الله تعالى ، هو أن يُصْدُقَ ما وعد عبده من الثواب ، وقال آخرون : هو مؤمن لأوليائه يؤمنهم عذابه لا يظلمهم فهذا قد عاد إلى المعنى الأول ، ومنه قول النابغة :

والمؤمنِ العَائذَاتِ الطَّيرِ يمسحُها ... رُكْبَان مَكةَ بين الغيْلِ والسَّعَدِ

ومن الباب الثاني - والله أعلم - قولنا في الدعاء « أمين » قالوا تفسيره: اللهم افعل ، ويقال هو اسم من أسماء الله تعالى(١) .

وقال الجوهري : « أمن الامان والأمانة بمعنى ، وقد أمِنْتُ فأنا آمنٌ ، وأمَنْتُ غيري من الأمن ، والامان ، والايمان : التصديق ، والله المؤمن ، لأنه آمَنَ من عباده من أن يظلمهم ، وأصل آمن : أأمن بهمزتين لينت الثانية .

والأمن : ضد الخوف ، والأمنةُ أيضاً : الذي يثق بكل أحد ، وكذلك الأُمَنَةُ مثال الهُمَزَةُ وأمِنتُه علي كذا وائتمنته بمعنى وقُرِئَ : ﴿ **مالك لا تأمنا على يوسف** ﴾ [يوسف : ١١] . واستأمن اليه : أي دخل في أمانة(٢) .

(١) مقاييس اللغة (١/١٣٣) مادة « أمين » .

(٢) الصحاح (ص : ٢٠٧١) مادة « آمن » .

وقال الأزهري : « اتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الايمان معناه التصديق ، قال تعالى : عن إخوة يوسف : ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا** ﴾ [يوسف : ١٧] ولم يختلف أهل التفسير أن معناه : وما أنت بمصدق لنا »(١) .

وقال الراغب الأصفهاني : « أصل الأمْن : طمأنينة النفس وزوال الخوف ، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر ويجعل الامان تارة اسما للحالة التي يكون عليها الانسان في الأمن، وتارة اسماً لما يُؤمِنْ عليه الانسان، نحو قوله تعالى: ﴿ **ثم أبلغه مأمنه** ﴾ [التوبة: ٦] أي منزلة الذي فيه أمنُهُ . وآمَنَ إنما يقال على وجهين :

أحدهما : متعديا بنفسه يقال أمنته ، أي جعله له الأمن ومنه قيل لله مؤمن .

الثاني : غير متعد ومعناه. : صار ذا أمن ، والايمان يستعمل : تارة اسما للشريعة التي جاء بها محمد ﷺ ويوصف به كل من دخل في شريعته مقراً بنبوته وعلى هذا قال تعالى : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون** ﴾ [يوسف: ١٠٦] وتارة يستعمل على سبيل المدح ، ويراد به : إذعان النفس للحق على سبيل التصديق ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء : تحقيق بالقلب واقرار باللسان ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون** ﴾ [الحديد: ١٩] ويقال : لكل واحد من الاعتقاد، والقول الصدق والعمل الصالح ، ايمان ، قال تعالى: ﴿ **وماكان الله ليضيع ايمانكم** ﴾ [سورة البقرة : ١٤٣] أي صلاتكم ، وجعل الحياء وإماطة الأذى من الايمان ، قال تعالى : ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين** ﴾ [يوسف : ١٧] قيل معناه بمصدق لنا ، إلا أن الايمان هو التصديق الذي معه أمن »(٢) .

وجاء في المعجم الوسيط : « أمِنَ ـ أمْناً وأمانا وأمانة وأمَنًا وإمْناً وأَمَنَة إطمأن ولم يخف ، فهو آمن وأمِنٌ وامين . يقال لك الامان : أي قد امنتك ، وأمِنَ البلد : إطمأن فيه أهله ، وأمن

---

(١) تهذيب اللغة (١/٪ / ٥١٣) مادة « آمن » .

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص : ٩٠ - ٩١) .

الشر وأمِن منه : سَلِمَ ، وأمِنَ فلاناً على كذا ، وثق به ، واطمأن إليه ، أو جعله أميناً عليه ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ **هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل** ﴾ [يوسف : ٦٤] وأمُنَ أمانة كان أميناً .

وآمن ايمانا : صار ذا أمْنٍ وآمن به : وثق وصدقه ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا** ﴾ [يوسف : ١٧] ، وآمن فلان : جعله يأمَنُ »(١) .

ويذهب شيخ الاسلام ابن تيمية إلى أن الايمان في اللغة يمكن ان يعرّف بمعنى الاقرار لأن لفظ أقر اصدق في الدلالة على معنى الايمان في اللغة من غيرها من الألفاظ التي فسر بها الايمان في اللغة(٢) .

ويلاحظ على التعريفات السابقة لأئمة اللغة أن لفظ الايمان له في لغة العرب استعمالان:

١ ـ تارة يتعدى بنفسه فيكون معناه التأمين اي إعطاء الامان ، وأمنته ضد أخفته ،ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **وآمنهم من خوف** ﴾ [قريش : ٥] فالأمن ضد الخوف ومنه قوله تعالى : ﴿ **واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا** ﴾ [البقرة : ١٢٥] أي ذا أمن فهو آمن وأمين وآمين ومنه قوله تعالى أيضا : ﴿ **وهذا البلد الأمين** ﴾ [التين : ٣] .

أي الآمن ، واستأمن إليه ، دخل في أمانته ، وقد امنه وآمنه ، ولأمَنَهُ والأمانة ، نقيض الخيانة.

وفي الحديث « المؤذن مؤتمن » أي الذي يثقون فيه تقول : أؤْتُمِنَ الرجل فهو مؤتمن ، يعني أن المؤذن أمين الناس على صلاتهم وصيامهم هذا ما تدور عليه مادة أمن إذا تعدت بنفسها .

٢ ـ أما إذا تعدت بغيرها وهو الاستعمال الثاني ، فيكون ذلك التعدي إما بالباء أو اللام فيكون معناه التصديق ، ومن ذلك قوله : ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا** ﴾ [يوسف : ١٧] أي

---

(١) المعجم الوسيط (ص : ٢٨) .

(٢) مجموع الفتاوى (٧ / ٥٣٠) .

مصـدق ، آمنت بكذا أي صـدقت ، والمؤمن مبطنٌ من التـصديق مـثل ما يظهـر ، والأصل في الايمان الدخول في صدق الأمانة التي إئتـمنه الله عليها ، فإذا اعتقد التصـديق بقلبه كما صدق بلسانه فـقد أدى الأمانة فـهو مؤمن ، ومن لم يعـتقد التصـدق بقلبه فهـو غير مـؤدٍ للأمانة التي أئتمنه الله عليها فهو منافق . ومنه قوله تعالى : ﴿ **يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين** ﴾ [التوبة: ٦١] قال ثعلب : يصدق الله ويصدق المؤمنين .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم** ﴾ [البقرة : ٧٥] .

ومما يلاحظ أيضا أن التصديق كما يكون بالقلب واللسان يكون ايضا بالجوارح ومنه قوله - ﷺ - : « **والفرج يصدق ذلك أو يكذبه** »[1] .

ومما يلاحظ ايضا أن لفظ الايمان لا يستعمل في اللغـة غالباً إلا في الخبر عن الغائب ، ولم نجد فيـما سبق ايراده ، ان من أخبرعن مـشاهده كقوله : طلعت الشـمس أو غربت الشمس أن يقال له : آمنـاه كمـا يقال صدقناه، لأنه من المعروف أن الايمان مـشتق من الأمن الذي هو ضد الخوف .

- ومما يلاحظ أيضا ان لفظ الايمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب ، بل المعروف في اللغة أن ما يقابل لفظ الايمان هو لفظ الكفر . يقال : هو مؤمن أو كافر ، والكفرلا يختص بالتكذيب بل يكون بالتكذيب وغيره .

وعليـه يمكن أن نقول ان لفظ أمـن يدور حول التـصديق والثـقـة والطمأنينة والاقـرار في حالتيه أي سواء تعدى بنفسه أو تعدى بغيره الباء أو اللام .

وليس هناك ترادف بين التصديق والايمان وذلك لما يلي :

١ - ان لفظة آمن تـختلف عـن لفظة صدق من جهة التـعدي ، حيث إنّ آمن لا تـتعدى الا بحرف إما الباء أواللام ، فيقـال : آمن به أو آمن له ، ولا يقال آمنه بخلاف لفظة صدق فإنه

(١) الحديث مخرّج (ص : ١٩٩) من النص المحقق .

يصح تعديها بنفسها فيقال صدقه واذا تعدى الايمان بنفسه كان معناه اعطاء الأمان الذي هو ضد الخوف .

٢ ـ انه ليس بينهما ترداف في المعنى ، فإن الايمان عادةً لا يستخدم الا في الأمور التي يؤتمن عليها المخبر مثل الأمور الغيبية ، لأن الايمان مشتق من الأمن ففيه معنى الائتمان والأمانة أما الأمور المشاهدة فإنه لا يصح ان يقال فيها آمن ، بل يقال فيها صدق ،فكل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة صدقت كما يقال كذبت ، اما لفظ الايمان فلا يستعمل الا في الخبر عن الغائب .

٣ ـ أن لفظ الايمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب ، فإذا لم يصدق المُخْبِر في خَبْره فانه يقال له : كذبت ، واذا صدق يقال له : صدقت ، ولا يقال لكل مُخْبِرٍ أمنّا له ، أو كذبناه . ولا يقال : أنت مؤمن له أو مكذب له ، فالمقابل للفظ الايمان لفظ الكفر يقال مؤمن وكافر والكفر لا يختص بالتكذيب بل يكون بالتكذيب وبغيره من المعاداة والبغض والمخالفة وعدم الإتباع ، فلما كان الكفر المقابل للايمان ليس هو التكذيب فقط ، علم ان الايمان ليس هو التصديق فقط .

٤ ـ من المعلوم أن الإيمان في اللغة مشتق من الأمن الذي هو ضد الخوف ، فآمن أي صار داخلاً في الأمن فهو متضمن مع التصديق معنىً آخر ، هو الائتمان والأمانة كما يدل علي ذلك الاشتقاق والاستعمال ، ولهذا قال إخوة يوسف ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين** ﴾[يوسف : ١٧] أي لا تقر بخبرنا ولا تثق به ولا تطمئن إليه ولو كنا صادقين ، لأنهم لم يكونوا عنده مما يؤتمن على ذلك ، فلو صدقوا لم يأمن لهم ولم يثق بهم ولم يطمئن الى خبرهم وعليه فلا يقر لهم . أما التصديق فلا يتضمن شيئا من ذلك .

بهذه الأمور تندفع دعوى القول بالترادف بين الايمان والتصديق ، وبناءً على ذلك فالايمان ليس هو التصديق فقط وانما هو تصديق وأمن وطمأنينة ، وهومتضمن للالتزام بالمؤمن به سواء كان خبرا أوانشاء بخلاف لفظ التصديق فلا يتضمن شيئا من ذلك ولعل ما ذهب إليه

شيخ الاسلام من تفسير لفظ الايمان في اللغة بالاقرار هو الصواب وذلك لقربه من لفظ آمن لأنه من المعلوم أن الايمان مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة والثقة اضافة إلى التصديق ، كما ان لفظ اقر مأخوذ من قر يقر ، وهوقريب من آمن يؤمن لكن الصادق يطمئن الي خبره ، والكاذب بخلاف ذلك ، كما أن المقر دخل في الاقرار ولفظ الاقرار يتضمن الالتزام على وجهين :

أحدهما : الأخبار وهو من هذا الوجه كلفظ التصديق والشهادة ونحوهما وهذا الاقرار الذي يذكره الفقهاء في كتاب الاقرار .

الثاني : انشاء الالتزام وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا ﴾ [آل عمران : ٨١] فهذا الالتزام للإيمان والنصر للرسول وكذلك لفظ الايمان فيه اخباروانشاء والتزام بخلاف لفظ التصديق المجرد[(١)] .

فتفسيرالايمان لغة بالاقرار أقرب من تفسيره بالتصديق ، لأن التصديق انما يطابق الخبر ، اما الإقرار فيطابق الخبر ويطابق الأمر يقول شيخ الإسلام : « فكان تفسير . ـ اي الايمان ـ بلفظ الاقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق مع أن بينهما فرقا »[(٢)] .

وقال ايضا : « ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق ، والإقرار ضُمِّن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد »[(٣)] .

فالذي يترجح لنا إذاً ان لفظة آمن لغةً هي بمعنى أقر ، والايمان لغة هو الاقرار القلبي وهذا الإقرار مشتمل على أمرين .

أولهما : اعتقاد القلب وهو تصديقه بالأخبار .

ثانيهما : عمل القلب وهو إذعانه وانقياده للأوامر . هذا من جهة اللغة .

---

(١) انظر : كتاب الإيمان (ص : ٤٤١ ـ ٤٤٦) ، شرح حدث جبريل (ص : ٤١٣ ـ ٤٢٠) .

(٢) مجموع الفتاوى (٧ / ٦٣٧) .

(٣) كتاب الإيمان (ص : ٤٤٦) .

المبحث الثاني : الإيمان في الاصطلاح :

اختلفت عبارات أئمة السلف في تعريف الايمان وبيان حقيقته في الاصطلاح ولكنها ترجع في الحقيقة إلى أربع صيغ هي : أنه قول وعمل ،وقول وعمل ونية ، وقول وعمل واتباع السنة . وقول باللسان واعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح .

ـ قال الامام الخطابي : إن الايمان الشرعي اسم لمعنى ذو شعب وأجزاء له أعلى وأدنى فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها ، والحقيقة تقتضي جميع شعبها وتستوفي أجزاءها كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها ، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها ويدل علي ذلك قوله : « **الحياء شعبة من الايمان** » فأخبر أن الحياء احدى تلك الشعب »[١] .

ـ وقال الامام محمد بن اسماعيل الأصبهاني المعروف بقوام السنة : « والايمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب والعمل بالاركان »[٢] .

ـ وقال الامام البغوي :« اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الايمان ... وقالوا : « إن الايمان قول وعمل وعقيدة »[٣] .

وقال الحافظ بن عبد البر : « أجمع أهل الفقه والحديث على أن الايمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية ... إلاما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه ، فانهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانا.. » [٤] .

وقال الامام الشافعي فيما حكاه عنه ابو القاسم اللالكائي : « ... وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركنا : أن الايمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر »[٥] .

---

(١) معالم السنن (٤ / ٣١٢) .

(٢) انظر : الحجة في بيان المحجة ((١/ ٤٠٣) .

(٣) شرح السنة ١/ ٣٨) .

(٤) التمهيد (٩ / ٢٣٨ ، ٢٤٣) .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥ / ٨٨٦) .

ـ وقال الامام البخاري : لقيت أكثرمن ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص »(١) .

والنصوص عن الأئمة كثيرة جدا في قولهم : إن الايمان قول وعمل ، نقل كثيرا منها المصنفون في عقيدة أهل السنة من الأئمة المتقدمين كالإمام اللالكائي وابن بطه والخلال وعبد الله بن أحمد وابن أبي عاصم .

وقد بين شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ مقصودا أئمة السلف في عباراتهم هذه بقوله : «والمقصود هنا ان من قال من السلف : الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر او خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ، ومن قال : قول وعمل ونية ، قال : القول يتناول الاعتقاد ـ قول القلب ـ وقول اللسان .

وأما العمل فقد لا يفهم منه النية ـ عمل القلب ـ فزاد ذلك ، ومن زاد إتباع السنة ، فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله الا باتباع السنة وأولئك لم يريدوا كل قول أو عمل ، وإنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال ، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط فقالوا : بل هو قول وعمل .

والذين جعلوه أربعة ، بينوا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الايمان ـ ماهو » فقال : قول وعمل ونية وسنة ، لأن الايمان اذا كان قولا بلاعمل فهو كفر واذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق ، واذا كان قولا وعملا ونية بلاسنة فهو بدعة(٢) .

وبهذا البيان الشافي يندفع ما قد يتوهم من خلاف بين عبارات أئمة السلف ، لأنها جميعاً تلتقي عند مفهوم واحد ، فجميعهم يقولون : لا بد من تصديق القلب واظهار هذاالتصديق بالقول واللسان ، ثم التصديق العملي لذلك ، بالقيام بعمل ما أوجبه الله ورسوله من الأعمال الظاهرة والباطنة واجتناب ما نهى الله ورسوله عنه ، فأقوالهم توافق الكتاب والسنة

---

(١) انظر : فتح الباري (١ / ٤٧) .

(٢) كتاب الايمان (ص : ٢٧١) .

قال الإمام الآجري : « ... ثم اعلموا انه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق الا أن يكون معه الايمان باللسان نطقاً ولا تجزى معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح ، فإذاكملت فيه هذه الثلاث خصال، كان مؤمنا ، دل علي ذلك القرآن والسنة وقول علماء المسلمين »[١] .

وقال شيخ الاسلام : « كان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الايمان والعمل ، العمل من الايمان والايمان من العمل .. فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق بعمله فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله ، كان في الآخرة من الخاسرين ، وهذا معروف عن غير واحد من السلف والخلف أنهم يجعلون العمل مصدقا للقول »[٢] .

ومن القائلين بأن الايمان قول وعمل الأئمة الثلاثة الإمام مالك والإمام والشافعي والامام أحمد بن حنبل وغيرهم من الأئمة ، فقد ذكر ابن بطة في الإبانة أقوال أئمة السلف وسرد أكثرمن مائة وثلاثين اسما ممن يقول بذلك، وكذلك فعل الإمام اللالكائي[٣] ونقل ذلك عنهم شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب الايمان[٤] كما أن الامامين الجليلين الامام البخاري والامام مسلم قالا بهذا القول في كتابيهما واستدلا استدلالاً واضحاً على ذلك ، فقد رتب الإمام البخاري كتاب الايمان من صحيحه ترتيبا يدل على عقيدته في القول بركنية العمل في الإيمان واستهل كتاب الايمان بقوله : وهو قول وفعل ويزيد وينقص ثم سرد أدلته على ذلك من الكتاب والسنة[٥] .

ولابد من الاشارة إلى قول شيخ الإسلام أبواسماعيل الهروي حيث قال : « الايمان تصديق كله » وذلك فيما ذكره عنه شيخ الإسلام[٦] ، أقول : إن قوله لا يتنافى مع الأقوال المتقدمة والتي اتضح أن المراد منها واحد في المعني ، وكذلك تعبير الهروي هنا عن الايمان

(١) كتاب الشريعة (٢ /٦١١) .
(٢) كتاب الايمان (ص : ٤٥١) .
(٣) انظر : الابانة ٢١ / ٨١٤ - ٨٢٦ ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥ / ٩٦٠) .
(٤) كتاب الايمان (ص : ٤٧٢) .
(٥) انظر : فتح الباري (١/ ٤٧) .
(٦) انظر كتاب الايمان (ص : ٤٥٣) .

يلتقي معها في المفهوم المعنوي لأن مراده ـ والله أعلم ـ أن كل ركن من أركان الايمان يصدق عليه اسم التصديق كما أن إعتقاد القلب يعتبر تصديقا فكذلك القول باللسان يصدق هذا الاعتقاد ، ويبرز وجوده ، والعمل يدل على صدق الانسان فيما اعتقده بقلبه ، وأبرزه بلسانه فان الانسان اذاعمل بالواجبات وتفانى في عمله وأخلص ، فإن ذلك من أكبر البراهين على صدق ما ادعاه بلسانه واعتقده بقلبه .

يتضح لنا ما سبق ان حقيقة الايمان الشرعي مركبة من قول وعمل ، والقول قسمان : قول القلب وهو الاعتقاد ، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الاسلام ، والعمل قسمان : عمل القلب وهو نيته واخلاصه ، وعمل الجوارح ، فإذا زالت هذه الأربعة زال الايمان بكماله ، واذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء ، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، واذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق ، فهذا موضع المعركة بين أهل السنة والمرجئة ، فأهل السنة مجمعون على زوال الايمان وانه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب ، وهو محبته وانقياده ، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول ـ ﷺ ـ ويقرون به سرا وجهرا ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به، والمرجئة على خلاف ذلك .

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي :

عرفنا ان من معاني الايمان في اللغة الثقة والاقرار والطمأنينة والتصديق ، وان التصديق يكون بالقلب واللسان والجوارح وهكذا الايمان في معناه الشرعي عبارة عن تصديق مخصوص وهو ما يعبر به عند أئمة السلف بقول القلب ، وهذا التصديق لا ينفع وحده بل لا بد من الانقياد والاستسلام وهوما يسمى بعمل القلب ، ويلزم من ذلك قول اللسان وعمل الجوارح وهذه الأجزاء مترابطة لا غني لواحدة منها عن الأخرى ، من آمن بالله ـ عز وجل ـ فقد أمِنَ من عذابه ـ إن شاء الله ـ .

وبعد ان اتضح لنا قول أئمة السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ في بيان حقيقة الايمان وانه يتركب من أمور ثلاثة وهي التصديق بالقلب والاقرار باللسان ، والعمل بالجوارح وهي على

التفصيل تشتمل على خمسة أمور قول القلب وعمل القلب ، وقول اللسان وعمل اللسان ، وعمل الجوارح والأدلة على هذه كثيرة جدا .

المبحث الثالث : أدلة أهل السنة والجماعة على قولهم : الإيمان اعتقاد وقول وعمل :

منهج أهل السنة والجماعة في مسائل الاعتقاد واضح ، وهو الاعتماد على الكتاب وما صح عن النبي - ﷺ - ، فهم لا يعدلون عن النص الصحيح ولايعارضونه بمعقول ولا بقول فلان وفلان وجميعهم يعلم أن الوحي الإلهي هو الذي يرسم للبشرية معتقدها الصحيح ، ويرشدها إلى سبيل الخير ومناهج التطبيق السوية ، أما العقل البشري فدوره يقوم على التفكر في آيات الله في الكون والحياة والدين والاعتبار بذلك ، وتمشيا مع هذا المنهج فإنهم لم يقولوا في حقيقة الايمان القول الذي سبق بيانه إلا بعد استقرائهم لنصوص الكتاب والسنة ورأوا أن قولهم يسنده الدليل ويرشده الوحي .

الايمان أصله في القلب :

سبق أن قلنا : إن الإيمان عند أهل السنة والجماعة اعتقاد بالقلب وهذا الاعتقاد يشتمل على أمرين : أحدها قول القلب ، والثاني عمل القلب .

وايمان القلب ليس مجرد العلم والمعرفة والتصديق بالله تعالى والتصديق بخبر الرسول - ﷺ - بل لا بد مع ذلك من الانقياد والاستسلام والخضوع والإخلاص مما يدخل تحت عمل القلب من المحبة والتوكل والخوف والرجاء وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبهاالله ورسوله وجعلها جزءا من الايمان .

قال تعالى : ﴿ **ولما يدخل الايمان في قلوبكم** ﴾ [الحجرات : ١٤] . وقال تعالى : ﴿ **ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم** ﴾ [الحجرات : ٧] وقال تعالى : ﴿ **كتب في قلوبهم الإيمان** ﴾ [المجادلة : ٢٢] . وقال تعالى : ﴿ **والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون** ﴾ [الزمر : ٣٣] . وقال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا** ﴾ [الحجرات:١٥] .

وقال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾ [الأنفال : ٢] .

وقال تعالى : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجه ﴾ [الأنعام : ٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من ربهم ولهم عذاب عظيم ﴾ [النحل:١٠٦] .

وقال - ﷺ - : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه » .

وقوله : - ﷺ - : « الايمان بضع وسبعون أوبضع وستون ، شعبة ، افضلها شهادة ألا لا إله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان »[١] .

وفي حديث الشفاعة : « ... يخرج من النار من قال لا إله إلاالله وفي قلبه من الخير ما يزيد شعيرة ... »[٢] إلى غير ذلك من الأدلة التي تضيف الايمان الى القلب وأن ايمان القلب شرط لا يصح الإيمان بدونه . يقول الامام محمد بن نصر المروزي : « أصل الايمان التصديق بالله وبما جاء من عنده ، وعنه يكون الخضوع لله لأنه اذا صدق بالله خضع له ، وإذا خضع أطاع ... ومعنى التصديق هو المعرفة بالله والاعتراف له بالربوبية بوعده ووعيده وواجب حقه وتحقيق ما صدق به من القول والعمل ... ومن التصديق بالله يكون الخضوع لله ، وعن الخضوع تكون الطاعات »[٣] .

ويقول أيضا : « ... وانما المعرفة التي هي ايمان ، هي معرفة تعظيم الله وجلاله وهيبته ، فإذا كان كذلك ، فهو المصدق الذي لا يجد محيصا عن الإجلال والخضوع لله بالربوبية ،

(١) سوف يرد تخريج الحديث في (ص : ٨) من النص المحقق .

(٢) سوف يرد تخريج الحديث في (ص : ١٢٣) من النص المحقق .

(٣) تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٦٩٥) .

فبذلك ثبت أن الإيمان يوجب الإجلال لله والتعظيم له والخوف منه ، والتسارع اليه بالطاعة على قدر ما وجب في القلب من عظيم المعرفة »[١] .

وقال الإمام الآجري بعد ان أورد بعض الآيات التي سبق ذكرها : « فهذا مما يدلك على أن على القلب الايمان وهو التصديق والمعرفة ، لا ينفع القول اذا لم يكن القلب مصدقاً بما نطق به اللسان مع العمل فاعلموا ذلك »[٢] .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية : «الإيمان : أصله الايمان الذي في القلب ولا بد فيه من شيئين :

- تصديق القلب وإقراره ومعرفته ، ويقال لهذا : قول القلب .

- ولابد فيه من عمل القلب مثل محبة الله ورسوله ، واخلاص العمل لله وحده ، وتوكل القلب على الله وحده ، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله ، وجعلها من الايمان ثم القلب هو الأصل فإذا كان فيه معرفة وإرادةً سرى ذلك إلى البدن ضرورة ... »[٣].

ويقول أيضاً : الإيمان أصله معرفة القلب وتصديقه وقوله والعمل تابع لهذا العلم ، والتصديق ملازم له ولا يكون العبد مؤمنا إلا بها ... »[٤] .

يتضح مما سبق من الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف، أن العلم والمعرفة والتصديق - التي هي قول القلب - إن لم يصحبها الانقياد والاستسلام والخضوع - الذي هوعمل القلب والجوارح - لم يكن المرأ مؤمنا بل تصديق هذا شر من عدمه ، لانه ترك الانقياد مع العلم والمعرفة .

والدليل على أن العلم والمعرفة وحدها لا تنفع صاحبها ، اقول الدليل علي ذلك ، انه وصف بها إبليس بقوله : ﴿ **خلقتني من نار** ﴾ [الأعراف : ١٢] وقوله : ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين** ﴾ [سورة ص: ٨٢] . فأخبر انه قد عرف أن الله خلقه ، ولم يخضع لأمره فيسجد لآدم كما أمره ، فلم تنفعه معرفته اذ لم يتبعها خضوع .

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٧٧٥) .

(٢) كتاب الشريعة (٢ / ٦١٢) .

(٣) كتاب الايمان (ص : ٢٩١) .

(٤) كتاب الايمان (ص : ٥٨٤) .

يقول الإمام ابن القيم : « الإيمان : هو التصديق ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له ،ولو كان مجرد اعتقاد التصديق ايمانا ، لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذين عرفوا أن محمدا رسول الله - ﷺ - كما يعرفون أبناءهم مؤمنين صادقين»[1] .

فأئمة السلف أكدوا على أهمية الخضوع والاستسلام والانقياد - عمل القلب والجوارح - وأنه أساس دعوة الأنبياء والرسل ، وأن قضيتهم مع أقوامهم دائما ليست قضية ذهنية تجريدية قضية المعرفة والعلم المجرد الذي هو قول القلب بل القضية في العمل عمل القلب والجوارح من الاخلاص لله والتوكل عليه والخوف منه واتباع رسوله - ﷺ - الذي هي توحيد الألوهية والمتابعة .

قال تعالى : ﴿ **فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** ﴾ [الأنعام:٣٣] . وقال عز وجل : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا** ﴾ [النمل: ١٤] .

الإيمان باللسان :

سبق أن بينا أن الايمان عند أهل السنة والجماعة يشتمل على الاعتقاد وقول اللسان والعمل بالجوارح ، وسبق أن بينا أدلتهم على ان الايمان أصله في القلب وأن ذلك الاستدلال يدل علي قول القلب وعمل القلب .

وهنا نبين أدلتهم على أن قول اللسان من الايمان وانه جزء مسمى الايمان والمقصود بقول اللسان : الأعمال التي تؤدي باللسان كالشهادتين والذكر والدعاء وتلاوة القرآن والصدق والنصيحة وغيرها من الأعمال ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون * فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فإنما هم في شقاق ..** ﴾ [البقرة : ١٣٦ - ١٣٧] .

---

(١) كتاب الصلاة وحكم تاركها (ص : ٤٤ - ٤٥) .

قال الحليمي : « ... فأمر المؤمنين أن يقولوا : آمنا ثم أخبر بقوله تعالى : ﴿ **فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به** ﴾ [البقرة : ١٣٧] أن ذلك القول منهم ايمان ، وسمى قولهم مثل ذلك ايمانا ، اذا لا معني لقوله : ﴿ **فإن آمنوا بمثل ما أمنتم به** ﴾ إلا فإن آمنوا بأن قالوا : « مثل ما قلتم » فكانوا مؤمنين كما آمنتم فصح ان القول ايمان »[١] .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا** ﴾ [غافر : ٨٤ - ٨٥] .

قال الحليمي أيضاً: « هذا الايمان منهم لما رأوا البأس لم ينقلهم من الكفر ولم ينفعهم، فثبت انه لو كان قبلها لنفعهم بأن ينقلهم من الكفر إلى الإيمان ، وبذلك يكون هذاالقول منهم لو كان قبل رؤية البأس لكان ايماناً »[٢] .

- ومن ذلك قوله - ﷺ - : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها** »[٣] .

فقد أخبر - ﷺ - في هذاالحديث الشريف أن العصمة المزايلة - أي المفارقة - للكفر تثبت بالقول ، فبذلك يثبت أن القول ايمان ، لان الايمان هوالعاصم من السيف[٤] .

وقد ذكر أئمة السلف عشرات الأحاديث التي تدل على أن قول اللسان جزء مسمى الايمان وعلقوا على بعضها وبعضهم سردها سرداً[٥] .

هذا ومما ينبغي أن يقرر هنا ، أن أهل السنة والجماعة اتفقوا على ان النطق بالشهادتين هما أصل قول اللسان بل إنهما شرط في صحة الايمان .

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١ / ٢٦) .

(٢) المنهاج في شعب الايمان (١ / ٢٦ .

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الايمان ، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم (١/ ١١) . ومسلم في كتاب الايمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ... (٥١/١) ، وأبوداود في أول كتاب الزكاة (٩٣/٢) ، والنسائي في كتاب الزكاة ،باب مانع الزكاة (٥ / ١٤)، وابن ماجه في كتاب الفتن ، باب الكف عمن قال : لا إله إلاالله (٢/ ١٢٩٥) ، وسوف يرد في النص (ص : ٣٢٠) .

(٤) انظر : المنهاج في شعب الايمان (١ /٢٧).

(٥) انظر : كتاب الشريعة (٢ / ٦١٢- ٦٢٠) .

يقول الإمام النووي : « واتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين ، على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار ،لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الاسلام اعتقاداً خالياً من الشكوك ، ونطق بالشهادتين ، فإن اقتصر على أحدهما لم يكن من أهل القبلة أصلا ...» (١)ويقول معلقاً على حديث : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ... قال : وفيه أن الايمان شرطه الاقرار بالشهادتين مع اعتقادهما، واعتقاد جميع ما أتى به النبي - ﷺ - (٢) .

ويقول شيخ الإسلام : « ان الذي عليه الجماعة : أن من لم يتكلم بالايمان بلسانه - أي بالشهادتين - من غيرعذر لم ينفعه ما في قلبه من المعرفة ، وإن القول من القادر عليه ، شرط في صحة الإيمان »(٣) ويقول ايضا : « وقد اتفق المسلمون على أن من لم يأت بالشهادتين فهو كافر »(٤) وقال كذلك : « فأما الشهادتان اذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير المسلمين »(٥).

ويقول الحافظ بن حجر معلقاً على حديث « **يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير** ... » قال : وفيه دليل على اشتراط النطق بالتوحيد »(٦) .

ولا يخفى ان المقصود بالشهادتين ليس هو مجرد النطق بهما ، بل التصديق بمعانيهما واخلاص العبادة لله ، والتصديق بنبوة محمد - ﷺ - والاقرار ظاهرا وباطنا بما جاء به ، فهذه الشهادة هي التي تنفع صاحبها عند الله تعالى ، ولذلك ثبت في الأحاديث الصحيحة قوله - ﷺ - : « **من قال لا إله إلاالله مخلصاً من قلبه دخل الجنة** »(٧) وفي رواية : « **صدقا**»(٨) وفي رواية أخرى : « **غيرشاك** »(٩) وفي أخرى : « **مستيقنا** »(١٠) .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ١٤٠) .

(٢) المصدر السابق (١/ ٢١٢) .

(٣) الصارم والمسلول (٩٧٤/٣) .

(٤) كتاب الايمان (ص : ٤٦١) .

(٥) شرح حديث جبريل (ص : ٤٤٤) .

(٦) فتح الباري (١/ ١٠٤) .

(٧) أخرجه أحمد في المسند (٥ / ٢٣٦) وابن منده في كتاب الايمان (١/ ٢٣٠) .

(٨) أخرج هذه الرواية البخاري في كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوما دون قوم ... فتح الباري (١/ ٢٢٦) .

(٩) أخرج هذه الرواية مسلم في كتاب الايمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (١/ ٥٧) .

(١٠) اخرج هذه الرواية مسلم في كتاب الايمان باب الدليل على من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (١/ ٦٠) .

يقـول الامام مـحمـد بن نصرالمرزوي : « ثم قـال - ﷺ - في حديث ابن عباس لـوفد عبدالقيس : « **آمركم بالايما ن، ثم قال : أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله** » فبدأ بأصله ، والشاهد بلا إله إلا الله هو المصدق المقر بقلبه ، يشـهد بها لله بقلبه ولسانه يبتدئ بشهادة قلبه والاقرار بـه ثم يثنى بالشهادة بلسـانه والاقرار به ... وليس كما شهـد المنافقون إذ ﴿ **قالوا نشهد إنك لرسول الله** ﴾[المنافقون : ١] .

والله يشـهـد إنهم لكاذبون ، فلم يكذب قـولهم ، انه حق في عـينه ، ولكن كـذّبهم من قولهم ، فـقال : ﴿ **والله يعلم إنك لرسـوله** ﴾[المنافـقـون : ١] أي كمـا قـالوا ثم قـال : ﴿ **والله يشـهد إن المنافقين لكاذبون** ﴾[المنافـقـون : ١] فكذبهم من قـولهم لا أنهم قـالوا بألسنتهم باطلاً ولا كذباً ، وكذلك حين أجاب النبي - ﷺ - جبريل بقوله :« **الإسلام شهادة ألا إله إلا الله** » لم يرد شهادة باللسـان كشهادة المنافقين ، ولكـن أراد شهادة بدؤها من القلب بالتصديق بالله بأنه واحد »(١) .

أعمال الجوارح من الايمان :

عمل الجـوارح هو العمل الذي لا يؤدي إلا بهـا ، مثل القيـام والركوع والسـجود والمشي في مـرضـاة الله كنقل الخطا الي المسـاجـد والي الحج والجـهاد فـي سبـيل الله وغيـر ذلك من الأعمال التي تؤدي بالجوارح . وأعـمال الجوارح لهامنزلة عظيمة عند أئمـة أهل السنة والجماعة ولذلك قـالوا بأنهاجزء مـسمى الإيمان ـ كـمـا سبق أن رأينا ـ يوجـد الإيمان بوجـودها وينقص بعدمها، وكما كان المؤمنون متفاضلين في إيمانهم فـإنهم متفاضلون في أعمالهم فمن كان أكثر طاعةً كان أكثر ايماناً ، ومن خلط الطاعات بالمعاصي كان أنقص إيماناً ممن أخلص الطاعات .

وأعمال الجوارح كـثيرة يدل عليها حديـث شعب الايمان، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قـال : قال رسـول الله - ﷺ - : « **الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أو بضع وستون شعبة**

(١) تعظيم قدرالصلاة (٢ / ٧٠٧ ـ ٧٠٨) ، وانظر الصارم المسلول (٣ / ٩٦٧ ـ ٩٧٠) .

(٢) الحديث مخرج في النص المحقق (ص : ٨) .

فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناه إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان »[١] وهذا الحديث أصل في أن أعمال الجوارح من الايمان وإن كان يدل على غيرها من أعمال اللسان وأعمال القلوب .

وقد اعتنى الأئمة بهذا الحديث واعتبروه أصلاً لادخال الطاعات في الإيمان وعدوها من شعبه الكثيرة وألفوا في ذلك بعض المصنفات .

وممن اعتنى بهذه الشعب وألف فيها الامام اللالكائي المتوفى سنة (٤١٨هـ) فقد ذكر في كتابه « شرح أصول اعتقاد أهل السنة » اثنتين وسبعين خصلة من خصال الايمان ، وذكر تحت كل خصلة ما يناسبها من الآيات والأحاديث[١] وقد حصرها الإمام الآجري في ست وخمسين موضعا تقريباً حيث قال : واعلموا رحمنا الله تعالى واياكم يا أهل القرآن ويا أهل العلم بالسنن والآثار ، ويا معشر من فقههم الله تعالى في الدين بعلم الحلال والحرام انكم إن تدبرتم القرآن كما أمركم الله تعالى ، علمتم أن الله تعالى أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله العمل ، وأنه تعالى لم يثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم وأنهم رضواعنه وآثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة والنجاة من النار إلا بالإيمان والعمل الصالح ، فقرن مع الإيمان العمل الصالح ، ولم يدخلهم الجنة بالايمان وحده حتى ضم اليه العمل الصالح الذي وفقهم اليه فصار الايمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقا بقلبه وناطقا بلسانه وعاملاً بجوارحه، لا يخفى على من تدبر القرآن وتصفحه وجده كما ذكرت واعلموا رحمنا الله وإياكم اني قد تصفحت القرآن فوجدت ما ذكرته في سببه من خمسين موضعا .. »[٢] ثم بدأ بسرد تلك المواضع و يطول الحديث بنا لو ذكرناه ولكن من أراد الاطلاع عليها فليراجع كتاب الشريعة.

وعد الامام ابن بطة العكبري في كتابه « الابانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة » سبعين شعبة سردا دون ذكر أدلتها[٣] ومن أكبر تلك المؤلفات كتاب المنهاج في شعب الايمان للإمام أبي عبد الله الحليمي واختصره الامام البيهقي في كتابه «الجامع في شعب

---

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥ / ٩١١ - ٩٤٠) .

(٢) كتاب الشريعة (٢/ ٦١٨ - ٦٣٢) .

(٣) انظر : الإبانة (٢/ ٦٥٠ - ٦٥٣) .

الايمان » مع عنايته بأسانيد تلك الأحاديث خلافا للحليمي وقد عدوا من شعب الايمان سبعا وسبعين شعبة مع شرحها .

أما أبرز أدلة أهل السنة على أن أعمال الجوارح من الايمان فمنها :

- قول الله تعالى : ﴿ **يا أيهاالذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم** ﴾[الحج : ٧٧ - ٧٨] .

- قوله تعالى:﴿ **آلم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾[العنكبوت:١- ٣].

- وقوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله** ﴾ [العنكبوت : ١٠] ، فقد أورد أبو عبيد القاسم بن سلام هذه الآيات مستدلا بها علي أن العمل من الايمان فقال بعد أن أوردها : « أفلست تراه سبحانه وتعالى قد امتحنهم بتصديق القول بالفعل ، ولم يكتف منهم بالاقرار دون العمل ، حتى جعل أحدهما من الآخر ؟ فأي شيء يُتَّبع بعد كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ومنهاج السلف بعده الذين هم موضع القدوة والإمامة »(١) .

- ومن الأدلة أيضاً أن الله تعالى سمّى الصلاة إيماناً وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم** ﴾ [البقرة : ١٤٣] يقول ابن جرير في تفسيره : «قال أبوجعفر : قيل عني بالايمان في هذا الموضع : الصلاة ثم ذكرمن روى عنه ذلك، فذكر أنه قول ابن عباس والبراء بن عازب وقتادة والسدي وذلك : « أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا فلم يدروا ما يقولون فيهم فأنزل الله ﴿ **وما كان الله ليضيع أيمانكم** ﴾ [البقرة: ١٤٣] ثم قال رحمه الله « فأخبر الله جل ثناؤه انه لم يكن ليبطل عمل عامل عمل له عملا وهو له طاعة ، فلا يثيبه عليه وان نُسِخَ ذلك الفرض بعد عمل العامل اياه على ما كلّفه من عمله »(٢) .

---

(١) كتاب الايمان (ص : ٦٦) .

(٢) تفسيرالطبري (ص (/ ٢٠) وانظر : اسباب النزول للواحدي (ص : ٧٧) والدر المنثور للسيوطي (١ / ٣٥٢) .

وقال الحليمي : « أجمع المفسرون على أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس ، فثبت ان الصلاة ايمان وان ثبت ذلك فكل طاعة إيمان اذ لم أعلم فارقاً ، في هذه التسمية بين الصلاة وسائر العبادات »(١) .

ـ ومن الأدلة ايضا حديث وفد عبد القيس الذي قال فيه ـ ﷺ ـ : « **آمركم بالايمان بالله وحده وقال هل تدرون ما الايمان بالله وحده ؟ قالوا ، الله رسوله أعلم قال : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمس ما غنتم ...** »(٢) .

فقد فسر النبي ـ ﷺ ـ للوفد الايمان هنا بنطق اللسان بالشهادتين وأعمال الجوارح من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإعطاء الخمس من المغانم وهذا من أصرّح الأدلة على دخول أعمال الجوارح في مسمى الايمان حيث فسر النبي الايمان بذلك .

والحاصل أن أدلة السلف ـ على أن الأعمال ركن في الايمان ـ من الكتاب والسنة كثيرة جدا ولا داعي للاستطراد فليس غرضنا الاستقصاء وبيان طريقتهم في الاستدلال إذ أن آية واحدة واضحة الدلالة أوحديثاً واحداً صح عن رسول الله ـ ﷺ ـ برواية الرجال الاثبات يكفي أحدهما في الاستدلال ، وقد أتي على كثير من تلك الآيات والأحاديث الصحيحة شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابنا هذا الذي نقوم بتحقيقه .

ولعل ما نريده هنا هو توضيح عقيدة أئمة السلف والتي تتمثل في اعتقادهم أن الايمان مكون من ثلاثة أركان الاعتقاد بالجنان والقول باللسان والعمل بالأركان وأن اعتقاد القلب هو الأصل وأن قول اللسان شرط في صحة الايمان وأن أعمال الجوارح تصديق للإيمان الذي في القلب وهذا ان دل فإنما يدل على أنهم فهموا الاسلام فهما ايجابياً لا مجال للسلبية وترك العمل فيه اذ أن هذا الدين جاء ليعمل به ويتسابق في تلك الأعمال التي كُلِّفَ بها العباد .

---

(١) المنهاج (١ / ٣٧) .

(٢) الحديث مخرج في النص المحقق (ص : ٨) .

المبحث الرابع : أقسام المعاصي عند أهل السنة والجماعة :

ذهب جمهور أهل السنة والجماعة إلى انقسام المعاصي والذنوب إلى صغائر وكبائر ، وقد تظاهرت على ذلك دلائل كثيرة من الكتاب والسنة واجماع سلف الأمة فمن ذلك : قوله تعالى: ﴿ **ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما** ﴾ [النساء : ٣١] ففي هذه الآية نهى الله تعالى عن الكبائر ووعد من انتهى عنها أن يكفر عنه ما دونها وهذا يدل على أن هناك من الذنوب ما هو من الكبائر وما هو دون الكبائر التي هي الصغائر .

- ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ **والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون** ﴾ [الشورى : ٣٧] ، وفي هذه أيضا دلالة على انقسام الذنوب والمعاصي إلى كبائر وإلى ما دونها وهي الصغائر .

- من ذلك ايضا قوله - ﷺ - : « **الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ، إذا اجتنبت الكبائر** »(١) .

ففي هذا الحديث إشارة إلى أن المعاصي تنقسم إلى ما تكفره الصلوات الخمس ، أو صلاة الجمعة أو صوم رمضان أو غير ذلك مماجاءت به الأحاديث الصحيحة التي تفيد ان تلك الأعمال تكفر ما دون الكبائر ، وإلى ذنوب كبائر لاتكفرها الصلوات الخمس ولا صلاة الجمعة ولا صوم رمضان وان افاد غير ذلك الحديث ان الحج يَجُبُّ ما قبله ، فأفاد ذلك أن الذنوب تنقسم الى ما يكفر وهو الصغائر وإلى ما لا يكفر بالصلاة والجمعة والصوم وان كفر بغيرها وهي الكبائر .

- ومن ذلك ايضا حديث أبي بكرة عن أبيه قال : كنا عند رسول الله - ﷺ - فقال : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ (ثلاثاً) الشرك بالله ،وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور وقول الزور ، وكان رسول الله - ﷺ - متكئا فجلس ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت** »(٢)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة ، باب الصلوات الخمس (١ /٢٠٩) من حديث أبي هريره رضي الله عنه .

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر (١٠ / ٤٠٥) فتح الباري ، ومسلم في كتاب الايمان باب الكبائر وأكبرها (١ /٩١) .

ففي هذا الحديث خص النبي - ﷺ - الكبائر من بين الذنوب ، ولوكانت الذنوب كلهاكبائر لم يكن لتخصيصه الكبائر وجه . فالنصوص السابقة - كما هو واضح - صريحة في انقسام الذنوب التي هي دون الشرك بالله إلى كبائر وصغائر .

ونقل عن بعض الأشاعرة إنكارهم تقسيم الذنوب الى صغائر وكبائر ، وقالوا : إن سائرالذنوب كبائر وانما يقال لبعضها صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها كما يقال : القُبْلة المحرمة صغيرة باضافتها إلى الزنا وكلها كبائر ، واستدلوا بقول ابن عباس : « كل ما نهى الله عنه كبيرة » [١] .

والذين قالوا هذا من الأشاعرة، أبو اسحاق الاسفرايني والباقلاني وامام الحرمين وابن القشيري وتقي الدين السبكي وحكاه ابن فورك عن الأشاعرة واختاره في تفسيره[٢] .

ولا شك ان ما ذهبوا إليه باطل لمخالفته لنصوص الكتاب والسنة الدالة على تقسيم الذنوب الى صغائر وكبائر[٣] . أما استدلالهم بقول ابن عباس ، فيمكن الاجابة عنه ، بأنه ورد عنه ايضا انه قال : «كل ما توعد الله عليه بالنار كبيرة »[٤] فالأولى حمل القول الأول على أنه نهي خاص وهو الذي قُرِن به وعيد ،فيحمل مطلق كلامه - رضي الله عنه - على مقيده جمعا بين القولين ، كما يمكن حمل هذا القول على تعظيم حرمات الله والترهيب من ارتكابها ، أما أن كل ما نهى الله عنه فهوكبيرة فهو مخالف لظاهر القرآن في الفرق بين الصغائر والكبائر[٥] .

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٥ /٤٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٩٢) وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات إلا أن الحسن مدلس وقد عنعنه (مجمع الزوائد) (١/ ١٠٣) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٩٩/٢) الي عبد بن حميد و ابن المنذر وقال الحافظ في الفتح : أخرجه اسماعيل القاضي والطبري بسند صحيح على شرط الشيخين الي ابن عباس (١٠ / ٤١٠) .

(٢) انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمي (١/ ٥) .

(٣) انظر مجموع الفتاوى (١١ / ٦٥٧) .

(٤) قال الحافظ : « اخرج هذا الأثر ابن أبي حاتم من وجه اخر متصل لا بأس برجاله » . انظر : فتح الباري (١١/ ٦٥٧) .

(٥) انظر : فتح الباري (١٠ / ٤١٠) .

وإذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقد اختلف العلماء في تعريف الكبيرة اختلافا كبيرا فبعضهم يعبر عن جانب منها من خلال الاستدلال ببعض النصوص دون بقيتها فقد قيل في تعريفها :

- الكبائر كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب ، روى هذا عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري [١] .

- وقيل : هي ما أوعد الله عليه بنار أو حدٍ في الدنيا[٢] .

- وقيل هي كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقاقه الديانة ، وهذا تعريف إمام الحرمين[٣] .

- وقيل : هي كل معصية يقدم المرء عليها ، من غير استشعار خوف وحذار ندم ، كالمتهاون بارتكابها والمتجرئ عليه اعتياداً ، فما اشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة ، وما يحمل على فلتات اللسان ، ولا ينفك عن تندم يمتزج بها وينغص التلذذ بها فهذا لا يمنع العدالة فليس بكبيرة هذا قول أبي حامد الغزالي[٤] .

- وقيل الكبيرة : ما اتفقت الشرائع على تحريمه[٥] .

- وقيل الكبيرة : كل ذنب كَبُرَ وعَظُمَ عِظَماًيصح معه أن يطلق عليه اسم الكبير ووصف بكونه عظيما على الاطلاق ، وله امارات منها : ايجاب الحد ، والايعاد عليه بالعذاب بالنار أو نحوها في الكتاب والسنة ، ومنها وصف فاعلها بالفسق نصا ، ومنها اللعن ، كلعن الله سبحانه وتعالى من غَيَّرَ منار الارض ، وهذا قول أبي عمرو بن الصلاح[٦] .

---

(١) انظر تفسير الطبري (٥ / ٤٢) ، وفتح الباري (١٠/ ٤١٠) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢ / ٨٠) .

(٣) انظر فتح الباري (١٠ / ٤١٠) وشرح النووي على مسلم (٢ / ٨٥) .

(٤) انظر : الزواجر (١ / ٧) .

(٥) انظر مجموع الفتاوى (١ / ٦٥٦) .

(٦) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ٨٦) .

- وقال العزّ بن عبد السلام : إذا أردت معرفة الفرق بين الصغائر والكبائر ، فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها ، فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر ، فهي من الصغائر وان ساوت أدنى مفاسد الكبائر وأربت - أي زادت - عليها فهي من الكبائر(١) .

- وذهب الامام الطبري إلى تعريف الكبيرة بالعد من غير ضبطها بحد ، فقال : وأولى ما قيل في تأويل الكبائر بالصحة ، ما صح به الخبر عن رسول الله - ﷺ - دون ماقاله غيره(٢) .

- وقيل الكبيرة : ما وجبت فيه الحدود ، أو توجه اليه الوعيد وهو معنى قول القائل كل ذنب خُتِمَ بلعنه أو غضبه أو نار فهو من الكبائر ، وهذا قول الماوردي من أئمة الشافعية وورد مثله عن الامام أحمد(٣) وهو ما رجحه شيخ الاسلام ابن تيمية لعدة اعتبارات منها :

١ - انه يشمل كل ما ثبت في النصوص أنه كبيرة كالشرك والقتل والزنا ... وغير ذلك من الكبائر التي فيها عقوبات مقدرة ويشمل ما ورد فيه الوعيد ، كالفرار من الزحف واكل مال اليتيم ويشمل كل ذنب تُوُّعِدَ صاحبه بأنه لا يدخل الجنة ، وما قيل فيه من فعله فليس منا ، وما ورد فيه من نفي الايمان عمن ارتكبه ، لأن النفي لا يكون لترك مستحب ولا فعل صغير ، بل لفعل كبيرة .

٢ - أنه المأثور عن السلف من الصحابة والتابعين بخلاف غيره .

٣ - ان هذا الضابط يمكن التفريق به بين الصغائر والكبائر .

٤ - ان الله تعالى قال : ﴿ **ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً** ﴾ [النساء : ٣١] فقد وعد مجتنب الكبائر بتكفير السيئات ، واستحقاق الوعد الكريم ، وكل من وعد بغضب الله أو لعنته أو نار ، أو حرمان جنته أو ما يقتضي ذلك ، فإنه خارج عن هذا الوعد فلا يكون من مجتنبي الكبائر ، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد ، لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر ، اذ لو كان كذلك لم يكن له ذنب يستحق أن يعاقب عليه ، والمستحق ان يقام عليه الحد له ذنب يستحق العقوبة عليه(٤) .

---

(١) انظر قواعد الاحكام في مصالح الآنام (١/ ٢٣) .

(٢) انظر تفسر الطبري (٨ / ٢٥٣) .

(٣) انظر العدة في أصول الفقه لأبي يعلي الفراء (٣ / ٩٤٦) وفتح الباري (١٠ / ٤١١) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٤ - ٦٥٥) .

٥ ـ ان هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكر الله ورسوله في الذنوب ، فهو حد متلقي من خطاب الشارع وما سوى ذلك متلقي من رأي السائل وذوقه والرأي والذوق بدون دليل شرعي لا يجوز (١).

ومهما يكن من تعدد الآراء حول بيان حد الكبيرة والتفريق بينها وبين الصغيرة ، فإنه ينبغي أن ينبه الي أن المخالفة لأوامر الله تعالى ونواهيه قبيحة جدا بالنسبة الى عظمة الباري جل جلاله، ولكن بعضها لا شك أعظم من بعض وانها تنقسم بهذا الاعتبار الى ماتكفره بعض العبادات مما وردت به الأحاديث، وإلى ما لا يمكن تكفيره ، لكن هذا لا يخرج الصغائر عن كونها قبيحة بالنسبة الى جلال الله تعالى ، فإنها صغيرة بالنسبة إلى ما فوقها ، لكنها أقل قبحا، ويكون تكفيرها سهلا، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى ، فإنه قد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء من الله ، وعدم المبالاة وترك الخوف ما يلحقها بالكبائر ، وقد يقترن بالكبيرة من الحياء والخوف والخشية ما يلحقها بالصغائر، وهذا مرجعه إلى ما يقوم بالقلب وعلى هذا فليس للكبائر عدد محدد حتى قال عبدالله بن عباس هي إلى السبعين أقرب، وما ورد عن النبي - ﷺ - من مثل قوله : « **اجتنبوا السبع الموبقات..** » الحديث .

وأخبار الله عن أكبر الكبائر وانها الشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وغيرها أما الشرك فلانزاع في أنه كفر يخرج من الملة ، وهو أكبر المعاصي مطلقا ، وانما قرنت به بقية المعاصي في السنة على سبيل التشنيع زجرا عن ارتكابها .

المبحث الخامس : حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة :

من الأصول الاعتقادية عند أهل السنة والجماعة المجمع عليها عندهم ، عدم تكفير مرتكب الكبيرة ، وعدم خلوده في النار إن دخلها ما لم يستحل ، وقد اتفق المتقدمون منهم والمتأخرون على هذا . فمن أتى بكبيرة من الذنوب يسمى فاسقاً أو مؤمنا ناقص الايمان ، وأنه لا يخرج من الايمان بسبب كبيرته ولا يخلد في النار بسبب ذلك ، بل هو تحت مشيئة الله ان شاء عفا عنه بفضله وكرمه وادخله الجنة من أول الأمر وان شاء عذّبه بقدر ذنبه ، ثم أدخله الجنة ، فمن عصى الله فقد عرّض نفسه لعقوبة الله وعذابه ، فأهل السنة لا ينفون عنه الايمان أصلا ،

(١) انظر مجموع الفتاوى (١١ / ٦٥٤ - ٦٥٥)

ولا يثبتون له الايمان كاملاً وانما يقولون : هو مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته وحكمه في الآخرة تحت مشيئة الله ان شاء عفا عنه وغفر له فيدخله الجنة ابتداء وان شاء عذبه بقدر معصيته ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة .

يقول الامام أبو اسماعيل الصابوني : « ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وان أذنب ذنوبا كثيرة صغائر كانت أو كبائر فإنه لا يكفر بها ، وان خرج من الدنيا غير تائب منها ، ومات على التوحيد والاخلاص ، فإن أمره الى الله - عز وجل - إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانماً ، غير مبتلي بالنار ، ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار ، وان شاء لم يعف عنه وعذّبه مدة بعذاب النار ، وان عذبه لم يخلد فيها، بل اعتقه وأخرجه منها الى نعيم دار القرار »(١) .

ويقول الامام البغوي : « اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الايمان بارتكاب شيء من الكبائر ، اذا لم يعتقد إباحتها ، وإذا عمل شيئاً منها فمات قبل التوبة ،لا يخلد في النار كما جاء به الحديث ، بل هو إلى الله ، ان شاء عفا عنه ،وان شاء عاقبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الجنة برحمته »(٢) .

وقال الامام ابن بطة : « وقد أجمعت العلماء - لا خلاف بينهم - انه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه من الاسلام بمعصية نرجو للمحسنين ونخاف على المسيىء »(٣) .

ويقول الامام أبو جعفر الطحاوي : « وأهل الكبائر من أمة محمد - ﷺ - في النار لا يخلدون اذا ما توا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين ، بعد ان لقواْ الله عارفين(٤) وهم في مشيئته وحكمه ، ان شاء غفر لهم وعفاعنهم بفضله ،كما ذكر الله عز وجل في كتابه ﴿ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ٤٨] وان شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته ، وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم الى جنته »(٥) .

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث(٧١ - ٧٢) .

(٢) شرح السنة (١ / ١٠٣) .

(٣) الشرح والابانة (ص : ٢٦٥) .

(٤) لو قال مؤمنين بدل عارفين لكان أولى لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر، والذين يكتفون بالمعرفة فقط في الحكم بالإيمان هم الجهمية، ولعل الطحاوي كان يقصد مؤمنين ولكنها سبقة لسان .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٢٤) ط التركي ، والأرناؤوط .

ويقـول شيخ الإسـلام : « إنهم - يقصـد أهل السنة الجماعـة - لا يكفرون أحـدا من أهل القبلة بذنب إشارة إلى بدعة الخوارج الذين يكفرون بمطلق الذنوب ، فأما أصل الايمان الذي هو الاقرار بما جاءت به الرسل عن الله تصديقا بـه وانقيادا له ، فهذا أصل الايمان الذي من لم يأت به فليس بمؤمن ... فعلم ان الايمان يقبل التبعيض والتجزئة ، وان قليله يخرج الله به من النار من دخلها ، ليس كما يقوله الخارجون عن مقاله اهل السنة : إنه لا يقبل التبعيض والتجزية ، بل هو شيء واحد اما ان يحصل كله أو لا يحصل منه شيء » (١) .

وهكذا نرى أئمة السلف يقررون أن المذنب إن تاب فتوبته مقبولة ، وإن مات ولم يتب ، فـأمره يفـوض الى الله ان شـاء عـذبه بعدله ، وإن شـاء عـفـا عنه بفضلـه ، لكن إن عُذِّبَ فـان تعذيبـه يختلف عن تعذيب الكافـر ، فالمؤمن يعذب ليُطَهْـر من الآثام التي ارتكبها ، وقـد ذكر الامـام أبو اسمـاعـيل الصابونـي الفرق بين العـذابين عن شيخـه أبي الطيب سـهل بن مـحمـد الصعلوكي حيث قال - رحمه الله - « المؤمن المذنب وان عُـذِبَ بالنار ، فإنه لا يلقي فيـها إلقَاءَ الكفَّار ، ولا يبـقى فيهـا بقاء الكفار ، ولا يشقـى فيها شـقاء الكفار ، ومـعنى ذلك : أن الكافر يسحب عـلى وجهه الى النار ويلـقى فيهـا منكوسا في السـلاسل والأغلال والانكال الثـقال، والمؤمن المذنب اذا ابتلى في الـنار ، فإنه يدخل النار كـمـا يدخل المجرم في الـدنيا السـجن على الرجل من غير إلقاء وتنكيس أو معنى قـوله : لا يلقى في النار القاء الكفار أن الكافر يحرق بدنه كله ، وكلما نضج جلده بدل جلدا غيره ليـذوق العذاب ... وأما المؤمنون فلا تلفح وجوههم النار ولا تحرق اعضاء السـجود منهم اذ حرّم الله على النار أعضاء السـجود ، ومعنى قوله : ولا يبقى في النار بقاء الكفار ، ان الكافر يخلد فيها ولا يخرج منها أبدا ، لا يُخَلِّدَ والله من مذنبي المؤمنين في النار أحدا »(٢) .

هذا حكـم مرتكب الكبـيرة في الآخرة أما حكمه واسـمه في الدنيا فقـد قرر أئمة السلف أنه لا يجـوز لنا أن نسلب المذنب الموحـد اسم الايمان بالكليـة ، بل ليقـولون : إنه مـؤمن بايمانه فاسـق بكبيـرته ويستـحق من المعاملة باسم الاسـلام ما يستـحـقه سـائر المسلمين ، يقول شيخ

(١) انظر : شرح حديث جبريل (ص : ٣١١، ٣٣١) .

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص : ٧٢ - ٧٣) .

الاسلام ابن تيمية حول تسمية فاعل الكبيرة وحكمه واسمه في الدنيا: « والتحقيق ان يقال : إنه مؤمن ناقص الإيمان مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ولايعطي الاسم المطلق ... ، واسم الايمان يتناوله فيما أمرالله به ورسوله ، لأن ذلك ايجاب عليه وتحريم عليه وهو لازم له كما يلزم غيره وانما الكلام في اسم المدح المطلق وعلى هذا فا لخطاب بالايمان يدخل فيه ثلاث طوائف ، يدخل فيه المؤمن حقا ، ويدخل فيه المنافق في أحكامه الظاهرة ، وان كان[1] في الآخرة في الدرك الأسفل من النار ، وهو في الباطن ينفي عنه الإسلام والايمان ، وفي الظاهر يثبت له الاسلام والايمان الظاهر ، ويدخل فيه الذين أسلموا ولم تدخل حقيقة الايمان في قلوبهم ، لكن معهم جزء من الايمان ، وإسلام يثابون عليه كأهل الكبائر ، ثم قد يكونون مفرطين فيما فرض عليهم وليس معهم من الكبائر ما يعاقبون عليه كأهل الكبائر لكن يعاقبون على ترك المفروضات، وهؤلاء كالأعراب المذكورين في الآية وغيرهم فإنهم قالوا : آمنا من غير قيام منهم بما أمروا به باطنا وظاهرا »[2] .

وقد استدل أهل السنة على ما ذهبوا اليه بأدلة كثيرة منها :

- قوله تعالى : ﴿ **إن اللهَ لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ [النساء : ٤٨] . فحكم الله في هذه الآية بأن الشرك غير مغفور للمشرك اذا مات غير تائب منه ، لقوله تعالى : ﴿ **قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف** ﴾ [الأنفال : ٣٨] فان تاب من شركه وآمن بالله فما وقع منه قبل التوبة مغفور له ، فثبت ان الشرك الذي أخبر الله انه لا يغفره هو الشرك الذي لم يُتَبْ منه ،وأخبر الله في الآية أيضا أنه يغفر ما دون الشرك لمن أتى بما دون الشرك ومات غير تائب منه ، لأنه لو أراد أن يغفر ما دون الشرك للتائب ، دون من لم يتب ، لكان قد سوّى بين الشرك وما دونه ، ولو كان كذلك ، لم يكن لفصله بين الشرك وما دونه معنى[3] .

يقول ابن جرير : « أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله ان شاء عفا عنه ، وان شاء عاقبه مالم تكن كبيرة شركا بالله »[4] .

---

(١) في جميع نسخ كتاب الايمان « كانوا » والصواب ما أثبت وهو ما يقتضيه السياق .

(٢) كتاب الإيمان (ص : ٣٧٧) النص المحقق .

(٣) انظر : تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٦١٧) ، وانظر اعتقاد أئمة الحديث لأبي بكر الاسماعيلي (ص : ٦٤) .

(٤) انظر : تفسير الطبري (٥ / ١٢٦) .

واستدلوا أيضاً بحديث ابي هريرة الذي في غزوة تبوك ، وجاء في آخره أن رسول الله - ﷺ - قال : « **أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة** »(١) وبحديث أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « **يقول الله عز وجل : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وازيد ... إلى أن قال : ومن لقينني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة** »(٢) .

يقول الحافظ بن رجب : « ... فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض ، وهو ملؤها أو ما يقاربها خطايا ، لقيه الله بقرابها مغفرة ، لكن هذا مع مشيئة الله - عز وجل - فإن شاء غفر له ، وان شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته ان لا يخلد في النار ، بل يخرج منها ثم يدخل الجنة »(٣) .

فهذه النصوص - التي سبقت - تدل على أن من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وعلى أن من قال لا إله إلا الله مخلصا من قبله دخل الجنة إن مات على ذلك .

- والتي منها ايضا حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - ان النبي - ﷺ - قال وحوله عصابة من أصحابه : « **بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولاتقتلوا أولادكم ... إلى أن قال فمن وفّي منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله ، فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وان شاء عاقبه** »(٤) .

قال محمد بن نصرالمرزوي : ففي هذا الحديث دلالتان على أن السارق والزاني ومن ذكر في هذا الحديث غير خارجين من الايمان بأسره .

إحداهما قوله :فمن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهوكفارة له ، والحدود لا تكون كفارة إلا للمؤمنين ... فإذا غفر له أدخله الجنة ولا يدخل الجنة من البالغين المكلفين إلامؤمن .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس ، باب ارداف الرجل خلف الرجل (١٠ / ٣٩٧) ، فتح الباري ، ومسلم في كتاب الايمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (١/ ٥٧) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله (٤ / ٢٠٦٨) .

(٣) جامع العلوم والحكم (ص : ٣٧٤) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الايمان باب (١٨) (١ / ٦٤) ، الفتح ، ومسلم في كتاب الحدود باب الحدود كفارات لأهلها (٣ / ١٣٣٣) .

ـ الثانية : قول ـ ﷺ ـ : « إن شاء غفر له وان شاء عذبه هو نظير قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[النساء : ٤٨] ... وأن يغفر ما دون ذلك الشرك لمن يشاء ، ممن مات وهو غير تائب ، ولا جائز أن يغفر له ويدخله الجنة إلا وهو مؤمن »(١) .

وقال النووي : « فهذا الحديث مع قول الله عز وجل : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفرما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[النساء : ٤٨] مع اجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أهل الكبائر ـ غير الشرك ـ لا يَكْفُرون بذلك ، بل هم مؤمنون ناقصوا الايمان ، ان تابوا اسقطت عقوبتهم وان ماتوا مُصّرين على الكبائر كانوا في المشيئة ، فإن شاء الله تعالي عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولا ، وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة(٢) ».

ـ واستدل أهل السنة بقول الله تعالى أيضا : ﴿ **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنين اخوة فأصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** ﴾[الحجرات ٩ ـ ١٠) .

ـ وبقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من أخيه شيء** ﴾[البقرة : ١٧٨] .

— أقول يستدل شيخ الاسلام ابن تيمية بهذه الآيات على أن أهل السنة لا يُكَفِّرُونَ أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر بل الاخوة الايمانية ثابتة مع المعاصي ... ولا يسلبون الفاسق الملى اسم الايمان بالكلية ويقولون : هو مؤمن ناقص الايمان ، او مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته فلا يعطي الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الإسم عنه(٣) .

ـ ويستدل أهل السنة بما شرعه الله على بعض الكبائر من اقامة الحدود وايجاب الكفارات وهذا ما يدل على فساد قول من يكفر مرتكب الكبيرة ، اذ لو كان السارق

---

(١) انظر : تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦١٦) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٤١) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٣ / ١٥١ ـ ١٥٢) .

والقاذف، والمرتد سواء في الحكم لما اختلف الحد في كل منهما يقول شيخ الاسلام : « ... بل القرآن والنقل المتواتر عنه يبين أن هؤلاء - يقصد السارق والقاذف وشارب الخمر - لهم عقوبات غير عقوبة المرتدين عن الاسلام ، كما ذكر الله في القرآن ، جلد القاذف والزاني وقطع يد السارق ، وهذا متواتر عن النبي - ﷺ - ولو كانوا مرتدين لقتلهم فكلا القولين - أي قول الخوارج والمرجئة - مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الاسلام » [١] .

ويقول بن ابي العز « ونصوص الكتاب والسنة والاجماع ، تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل ، بل يقام عليه الحد فدل على أنه ليس بمرتد[٢] .

- ويستدلون ايضا بما ورد من نصوص صريحة في خروج من دخل النار من الموحدين بالشفاعة وبغيرها ، وهذا يوضح لنا عدم كفر مرتكب الكبيرة وعدم خلوده في النار اذ لو كان كافراً لما خرج من النار يقول ابن الوزير : « وأحاديث الشفاعة المصرحة بخروج الموحدين من النار قاطعة في معناها بالاجماع وهي قاطعة في ألفاظها لورودهما عن عشرين صحابيا أوتزيد في الصحاح والسنن والمسانيد واما شواهدها بغير الفاظها فقاربت خمسمائة حديث »[٣] .

ومن ذلك حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال : « **يخرج من النار من قال لا إله إلاالله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال : لا إله إلاالله وفي قلبه وزن بره من خير ، ويخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير** » وفي رواية « **من ايمان** » [٤] .

ومن ذلك ايضا أحاديث شفاعة النبي - ﷺ - في أهل الكبائر الذين دخلوا النار ان يخرجوا منها ، والذي فيها حديث أبي هريره رضي الله عنه قال قال رسول الله - ﷺ - : « **لكل نبي دعوة مستجابة فتعجّل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة ان شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا** »[٥] .

---

(١) كتاب الإيمان (ص ٤٣٨ - ٤٣٩) النص المحقق .

(٢) شرح الطحاوية (٢ / ٤٤٣) . ط التركي والارناؤوط .

(٣) ايثار الحق على الخلق (ص : ٢٩٥) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الايمان باب زيادة الايمان ونقصانه (١/ ١٠٣) ، ومسلم في كتاب الايمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/ ١٨٢) .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الايمان باب اختباء النبي - ﷺ - دعوة الشفاعة لأمته (١/ ١٨٩) .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ويطول الحديث بذكرها لو أردنا سرد جميع ما استدل به أئمة السلف لتقرير هذا الأصل العظيم في هذه المسألة فهي كثيرة جدا ، وكلها تدل على أن مرتكب الكبيرة مؤمن وانه معرّض لعقاب الله ، وان عوقب فانه لا يخلد في النار بل يخرج منها إلا أنه وردت بعض النصوص فهم منها بعض المبتدعة انها تخالف مذهب أهل السنة في هذا الباب ، والحقيقة انهم أوتوا من جهة سوء فهمهم أو سوء قصدهم لأنهم نظروا إلى جانب من النصوص وتركوا جوانب أخرى فبعضهم نظر إلى بعض الآيات والأحاديث السابقة فأخذوا منها جانب الوعد والرجاء ، والبعض الاخر نظر إلى بعض آيات وأحاديث العذاب فأخذوا جانب الوعيد والخوف ، وهدى الله أهل السنة إلى القول الحق والصواب في هذه

ومن ذلك ايضا : قوله تعالى: ﴿ **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها** ﴾ [النساء : ٩٣] وقوله - ﷺ - : « **لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه** »(١) .

وقوله - ﷺ - : « **من شهد أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار**»(٢).

فهذه النصوص تمسّك بها بعض أهل البدع من الخوارج والمعتزلة في تحريم دخول القاتل ، ومن لا يأمن جاره بوائقه الجنة ، وتمسك المرجئة بالحديث الثالث وقالوا انه لا يضر مع الإيمان ذنب ، وأن من اذنب لا يدخل النار ،كما أن الكافر لا تنفعه الطاعة ، أما أهل السنة فهداهم الله الى الجمع بين تلك النصوص ، فقد قال ابن جرير - رحمه الله - في تفسير آية القتل بعد أن استعرض الأقوال في تفسيرها : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : معناه ، ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، ولكنه أي الله سبحانه وتعالى يعفوا ويتفضل على أهل الايمان به وبرسوله فلا يجازيهم بالخلود فيها ، ولكنه - عز ذكره - إما أن يعفوا بفضله فلا يدخله النار ، وإما أن يدخله اياها ثم يخرجه منها بفضل رحمته ، لما سلف من وعده عباده المؤمنين بقوله : ﴿ **قل لعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا** ﴾ [الزمر : ٥٣](٣) .

وقال الحافظ بن حجر : « وقد حمل جمهور السلف وجميع أهل السنة ماورد من ذلك على التغليظ وصححوا توبة القاتل كغيره ، وقالوا معنى قوله فجزاؤه جهنم ، أي ان شاء ان يجازيه تمسكاً بقوله تعالى في سورة النساء ايضا : ﴿ **ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ [النساء : ٤٨] ومن الحجة في ذلك حديث الاسرائيلي الذي قتل تسعة وتسعين نفسا ، ثم أتى بتمام المائة فقال له : لا توبة ، فقتله فأكمل به مائة ، ثم جاء آخر فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة(٤) وهو مشهور قال : وإذا ثبت ذلك لمن قبلنا من غير هذه الأمة فمثله لنا أولى ، لما خفف الله لنا من الأثقال التي كانت على من قبلنا(٥) .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الايمان ، باب بيان تحريم ايذاء الجار (١/ ٦٨) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الايمان ، باب الدليل علي أن من مات على التوحيد دخل الجنة (١ / ٥٨) .

(٣) تفسيرالطبري (٩ / ٦٩) .

(٤) أخرج ما يدل على ذلك مسلم في كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وان كثر قتله (٤ / ٢١١٨) من حديث ابي سعيد الخدري - ري الله عنه - .

(٥) انظر فتح الباري (٨ / ٤٩٦) .

الفصل الثاني

المذاهب في الإيمان

ويتكون من سبعة مباحث

المبحث الأول : مذهب الخوارج

المبحث الثاني : مذهب المعتزلة

المبحث الثالث : مذهب المرجئة

المبحث الرابع : مذهب الجهمية

المبحث الخامس : مذهب الكرامية

المبحث السادس : مذهب الأشاعرة

المبحث السابع : مذهب الماتريدية

وقع الخلاف بين الفرق والطوائف في حقيقة الإيمان ، واختلفوا اختلافاً جوهرياً في كون الأعمال داخلة في مسمى الايمان ، وكذلك اختلفوا في حكم مرتكب الكبيرة ، واختلفوا في ثمرات الخلاف في تلك المسألة ، في مفهوم زيادة الايمان ونقصانه وفي حكم الاستثناء فيه وكان خلافهم في مسألة الصلة بين الإسلام والايمان خلافا صوريا لفظيا ، ويمكن تقسيم تلك المذاهب الى سبعة على سبيل الاجمال وهي :

١ ـ قول أهل السنة والجماعة وجماهير السلف وهو أن الايمان قول واعتقاد وعمل ، قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ومرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وفي الآخرة تحت المشيئة ويجوزون الاستثناء في الايمان وأن الإسلام والايمان اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا .

٢ ـ قول الخوارج والمعتزلة وهؤلاء يقولون : الإيمان قول وإعتقاد وعمل ، وأما مرتكب الكبيرة فهو :

أ ـ في الدنيا عند المعتزلة ليس بمؤمن ولا كافر ، بل هو في منزلة بين منزلتين ، ومن ثم فليس مباح الدم والمال وأما عند الخوارج فهوكافر مباح الدم والمال .

ب ـ وأما حكمه في الآخرة فقد اتفق الخوارج والمعتزلة على أنه مخلد في النار مستحق للوعيد كالكفار . أما زيادة الايمان ونقصانه ، فالإيمان عندهم كل لا يتجزأ اذا ذهب بعضه ذهب كله، وانه لا يقبل التبعض ومن هنا كان الاخلال بالعمل ، وارتكاب الكبائر عندهم مخرجاً من الملة على اختلاف في تسميته كافرا ، فالخوارج قطعوا بكفره والمعتزلة نازعوا في الاسم فقالوا : هو في منزلة بين المنزلتين .

أما في موضوع الاستثناء فإن المعتزلة يجوزون الاستثناء كما ذهب إليه أهل السنة .

٣ ـ قول مرجئة الفقهاء من أتباع أبي حنيفة : أن الإيمان قول واعتقاد ، وأما الأعمال فغير داخلة فيه وأما حكم مرتكب الكبيرة عندهم فهو موافق لمذهب أهل السنة .

وقولهم في زيادة الايمان ونقصانه ، أنه : لا يزيد ولاينقص ولا يتفاضل الناس فيه ، وقالوا في الاستثناء بمثل ما قاله أهل السنة .

٤ ـ قول الجهمية والمرجئة : والايمان عندهم هو المعرفة فقط ، وما عداه من تصديق القلب واقراره من القول والعمل فغير داخل في الايمان ، وهذا قول جهم . ولازم قوله : أن إبليس وفرعون ومن شابههم ممن عرف الله، وعاند فسب الله ورسوله ، وعاداهم وقتل الأنبياء وهدم المساجد واهان المصاحف أنه مؤمن كامل الايمان .

٥ ـ قول الماتريدية : والايمان عندهم هوالتصديق ، وأما قول اللسان فهو دليل عليه ، وأما حكمه في الآخرة فمن لم يوافق قوله ما في قلبه من الاعتقاد الصحيح ـ كالمنافق ـ فهو مخلد في النار أما زيادة الايمان ونقصانه فقد قالوا بعدم زيادة الايمان ونقصانه وقالوا بتحريم الاستثناء في الايمان وذلك ناتج عن قولهم بأن الايمان هو التصديق .

٦ ـ قول الكرامية : والايمان عندهم قول باللسان فقط وهذا لإثبات ايمانه في الدنيا ، أما في الآخرة فمن لم يوافق قوله ما في قلبه من الاعتقاد الصحيح ، كالمنافق فهو مخلد في النار .

٧ ـ قول الكلابية والأشاعرة ولهم في الايمان قولان :

أحدهما : أنه قول واعتقاد وعمل وهذا قول أبي علي الثقفي والقلانسي وأبو بكر بن مجاهد وهو أحد قولي أبي الحسن الأشعري الذي ذكره في كتاب المقالات ضمن مقالة أهل الحديث وقال : انه بكل ما قالوه يقول.

ثانيهما : القول الثاني الذي ذكره في كتاب الموجز ووافقه عليه جمهور أصحابه من الأشاعرة المنتسبين اليه كالباقلاني والجويني وابن فورك وغيرهما وهو أن الايمان مجرد تصديق القلب ومعرفته لكن يختلف تعبير هؤلاء ، فتارة يقولون : هو المعرفة كقول جهم ، وتارة يقولون هو التصديق .

أما مذهبهم في مرتكب الكبيرة فهو موافق لقول أهل السنة والجماعة .

ويلاحظ أن القول الثاني الذي ذكره الأشعري في كتاب الموجز وتبعه عليه أكثر اتباعه هو الذي اشتهر وهو الذي نصره أئمتهم ممن جا ء بعد الأشعري وهو الذي استقر عليه المذهب .

ولعل كثرة هذه الأقوال جعلت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ لما رأى تلك الكثرة ـ يضع تأصيلات وقواعد في باب الايمان ذكرمعظمها في كتاب الايمان بناها على استقراء جيد لماورد في النصوص الشرعية لألفاظ الأسماء والأحكام وما شابهها ذكر من خلالها تحقيقات في أصول الخلاف في هذه المسائل وتفاوت الفرق في مدى التزامها بلوازم أقوالها .

وليس القصد هنا استيقاء هذه القواعد والتأصيلات وانما يمكن الأشارة إلى لمحات تتعلق بالخلاف في مسألة الايمان فقط من ذلك :

١ ـ ما ذكره ـ رحمه الله ـ من أن الأصل الذي نشأ بسببه النزاع في مسألة الايمان بين جميع الفرق والطوائف هو التزام بعضهم أو أكثرهم بمسألتين أو شبهتين :

الأولى : تصورهم ان الإيمان كل لا يتجزأ إذا زال بعضه زال كله .

الثانية : قولهم إنه لا يمكن أن تجتمع عند الانسان طاعة ومعصية ، وايمان وكفر وإسلام ونفاق ، بل إذا وجد أحدهما إنتفى الآخر .

فلما استقرت هذه الشبهات لديهم وخالفهم فيها أهل السنة صارت الأقوال في مسائل الايمان ثلاثة أقوال :

القول الأول : قول الخوارج والمعتزلة ، وهؤلاء قالوا : ثبت بالأدلة أن الأعمال شرط في صحة الإيمان ومن ثم من تركها فقد ترك بعض الايمان ،والقاعدة عندهم ان الايمان اذا زال بعضه زال باقيه ، ولا يكون في العبد إيمان ونفاق أو إيمان وكفر ومن ثم لم يقولوا بجواز تبعض الايمان لا في الاسم ولا في الحكم فرفعوا عن صاحب الكبيرة صفة الايمان بالكلية هذا في الاسم ، وأوجبوا له الخلود في النار ، وهذا في الحكم .

القول الثاني : قول المرجئة وهؤلاء قالوا : قد علمنا يقينا أن أهل الذنوب من أهل القبلة لا يخلدون في النار ، بل يخرجون منها ، كما تواترت بذلك النصوص ، كما أن الاجماع حاصل علي أنهم ليسوا كفاراً مرتدين .

فقالوا : لو أدخلنا الأعمال في حقيقة الايمان والقاعدة عندهم أن الإيمان كل لا يتجزأ اذا ذهب بعضه ذهب باقيه ولوجب اذا فعل المؤمن ذنبا وزال بعض ايمانه ، أن يزول كله فيخلد في النار ، وهذا خلاف ماتواترت عليه النصوص ، لهذا أخرجوا الأعمال من مسمى الايمان لئلا

يؤدي ترك بعضها إلى زوال الايمان بالكلية ومن ثم الخلود في النار ، وهذا مخالف للنصوص وهم ثلاثة أصناف .

- صنف يقول : الإيمان مجرد ما في القلب وبعضهم يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر المرجئة ، ومنهم من لا يدخلها في الايمان كجهم وأتباعه .
- وصنف آخر يقولون : ان الإيمان مجرد قول اللسان وهو قول الكرامية كما سبق حكايته قريبا .
- وصنف آخر يقولون:هو تصديق القلب وقول اللسان وهذا المشهور عن مرجئة الفقهاء(١).

فهؤلاء المرجئة نازعوا في الاسم لا في الحكم ، فقالوا في الحكم : يجوز أن يكون صاحب الكبيرة مثابا معاقباً ، وبعضهم يقف في نفوذ الوعيد ، فلا يجوّز إنفاذ الوعيد في حق أحد من أصحاب الكبائر ، كما قاله من قاله من المرجئة والأشاعرة ، هذا حكمه في الآخرة .

أما اسمه في الدنيا فمنعوا التبعيض في الايمان ، فقالوا : لا يجوز أن يكون معه بعض الايمان دون بعض لأن القاعدة عندهم : أنه لا يمكن أن يجتمع عند الانسان طاعة ومعصية اذا وجد أحدهما انتفى الآخر .

القول الثالث : قول أهل السنة والجماعة ، فقد قالوا بجواز التبعيض في الاسم والحكم فيكون مع الرجل بعض الايمان أو كله ، ويثبت له من حكم أهل الايمان وثوابهم بحسب ما معه من الإيمان كما يثبت له من العقاب والجزاء بحسب ما عليه . وقالوا ايضا : إنه يجتمع عند الانسان طاعة ومعصية ، وايمان وكفر أصغر ، واسلام ونفاق عملي بحسب ما معه من الطاعات والمعاصي ، فهو في الدنيا - اذا فعل كبيرة - مؤمن ناقص الايمان ، وفي الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء عذبه ، وان شاء عفا عنه ، مع القول بالوعيد المجمل لأهل الكبائر ، فيدخل بعضهم النار ، لكن لا يخلدون فيها(٢) .

بعد هذا التحليل الدقيق لمنشأ الخلاف بين الفرق والطوائف كما أشار إليها شيخ الإسلام بن تيمية - رحمه الله - نذكر أقوال الفرق في الايمان بالتفصيل فنقول :

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ٣٠٤) من النص المحقق .

(٢) انظر : كتاب الايمان (ص: ٣٤٦ - ٣٥٠ ، ٦٠٩ - ٦٢٣) النص المحقق ، شرح العقيدة الأصبهانية (ص:٥٧٠-٥٧٧) تحقيق السعوي ، مجموع الفتاوى (٥١٠/٧ - ٥٢٠ ، ١٣/ ٤٨ - ٤٩ ، ١٩ / ٢٧٠ - ٢٧٦) .

المبحث الأول : مذهب الخوارج :

الخوارج فرقة من أشهر الفرق الإسلامية وأولها ظهوراً إذ تذكر كتب التاريخ أنهم ظهروا إِثر حادثة التحكيم حين رفع معسكرمعاوية - رضي الله عنه - المصحف على أسنة الرماح ونادوا بتحكيم كتاب الله تعالى ، فأجابهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - إلى ذلك وكان من الأمر ما كان ، وكان من نتيجة ذلك ، خروج جماعة من معسكر علي - رضي الله عنه - وانحازوا إلى حروراء معلنين سخطهم على علي حين رضي بالتحكيم ، وانتقدوا عليه التحكيم وأموراً أخرى كانت ذريعة لهم في خروجهم وانفصالهم وإعلانهم العداء له ولمعسكره ، فأرسل اليهم عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - فناظرهم ورجع منهم من رجع وبقى كثيرمنهم ، فقاتلهم علي - رضي الله عنه - وحروبه معهم مبسوطة في كتب التاريخ(١) .

ولهم ألقاب كثيرة منها المارقة والشراه والحرورية والمُحَكِّمَة والخوارج .

قولهم في الايمان :

ذهب الخوارج إلى أن الايمان يتركب من ثلاثة أمور تصديق الجنان ، واقرار اللسان وعمل الجوارح ، وهوكل عمل خير فرضاً كان أو نفلاً مع ترك الكبائر ، والايمان عندهم لا يزيد ولا ينقص وأن من ارتكب كبيرة ثم مات عليها ولم يتب منها فهوكافر مخلد في الآخرة في النار ، وانكروا أن تكون هناك صغيرة وكبيرة وقالوا : بأن الكل كبيرة وبناءً على هذا تجرأ الخوارج على الصحابة فكفروا علياً وعثمان ومعاوية وأصحاب الجمل وصفين والحكمين وكل من رضى بالتحكيم فهو كافر ، وقتلوا بعض الصحابة واستحلوا دماء المسلمين وأعراضهم(٢) .

واستدل الخوارج على تكفير مرتكب الكبيرة بالنصوص الواردة بكفر العصاة فمن ذلك قوله تعالى في تارك الحج : ﴿ **ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

---

(١) انظر : تاريخ الطبري (٥ / ٤٩) ، تاريخ ابن كثير (٧ / ٢٧٨) .

(٢) انظر الفصل لابن حزم (٣/ ٧٣) ، وأصول الدين للبغدادي (ص : ٢٤٩) والتبصير في الدين للإسفرائيني (ص:٤٦) .

وقوله تعالى فيـمن حكم بغير ما أنزل الله : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ [المائدة : ٤٤] .

وقولـه تعالى فيـمن ارتكب كبيرة : ﴿ **ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ [النور: ٥٥] وبقـوله - ﷺ - « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** »[١] . وقـوله - ﷺ - : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** ... » الحديث[٢] . قـالوا فـإذا أطلق على العـاصي اسم الكفر، ونفى الايمان عمن زنى وسب أخاه وقاتله ، فمن لم يكن مؤمنا ، فهو كافر[٣] .

غيرأن ما ذهب اليـه الخوارج ليس هو قول جميع فرقـهم ، إذْ أن النجدات من الخوارج لم يوافقوا على اطلاق اسم الـكفر على كل مذنب ، بل قالوا : انه كافـر كفر نعمه لا كـفر شرك، ووافقـهم على ذلك الإباضيـة في كونه كافـر كفـر نعمة لا كـفر شرك ، إلا أن الـنجدات على استحلال دمه وماله وعرضه والاباضية يقـولون : بأنه تحل موارثته ومناكحته وأكلُ ذبيحته وانه ليس مؤمنا على الإطلاق ولا كافراً على الاطلاق .

أما الصفرية منهم ، فيرون أن الذنوب التي فيها حد مقرر لا يتجاوز بمرتكبها ما سماه الله به من أنه زان أوسارق أو قـاذف، وأنه لا يباح قـتل نساء مخـالفيهم ولا أطـفالهم . وكل ذنب ليس فيه حـد مقرر في الشريعة مثل الإعـراض عن الصلاة مرتكبه كافر ، ولا يسـمون مرتكب واحد من هذين النوعين جميعا مؤمنا[٤] .

---

(١) سيأتي تخريجه في تحقيق النص (ص : ٣٨٦) .

(٢) سيأتي تخريجه في تحقيق النص (ص : ١٤) .

(٣) انظر : الفصل : (٥ / ٧٣) .

(٤) انظر الفصل لابن حزم (٥ /٧٣) ، التبصير في الدين (ص : ٣١) .

المبحث الثاني : مذهب المعتزلة :

المعتزلة فرقة من أشهر الفرق الإسلامية وأقدمها ظهوراً ، فقد ظهروا في أيام عبد الملك بن مروان المتوفى سنة (٨٦هـ) وهشام بن عبد الملك المتوفى سنة (١٢٤هـ) بعد ظهور الخوارج والمرجئة وسموا بذلك لاعتزالهم مجلس الحسن البصري بزعامة واصل بن عطاء الغزال ويسمون بالقدرية لقولهم بأن العبد يخلق فعله ، ويلقبون بأصحاب العدل والتوحيد ،والعدلية .

وهم اثنا عشر طبقة ، يعدون الصحابة هم الطبقة الأولى منهم وآخرهم أصحاب القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني (ت٤١٥هـ) صاحب المغني وشرح الأصول الخمسة ، وهم فرق كثيرة لكن يجمعهم : القول بالأصول الخمسة التي هي: التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإذا قال احد من الناس بهذه الأصول كما هي عندهم فهو المعتزلي (١).

قولهم في الايمان :

يرى المعتزلة ان الايمان الشرعي المعتبر مركب من ثلاثة أجزاء ، اعتقاد القلب ، وقول اللسان وعمل الجوارح . يقول أحمد بن يحيى بن المرتضى : « أجمعت المعتزلة على أن الإيمان قول ومعرفة وعمل » (٢) ويقول القاضي عبد الجبار بن أحمد : « الايمان عند أبي علي وأبي هاشم ، عبارة عن أداء الطاعات الفرائض دون النوافل ، واجتناب المقبحات ، وعند أبي الهذيل : عبارة عن أداء الطاعات الفرائض منها والنوافل واجتناب المقبحات »(٣) .

وما ذهب اليه المعتزلة في تعريف الايمان موافق لما ذهب إليه السلف أهل السنة والجماعة لكن يختلفون عنهم في بيان حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا والآخرة، كما سنبينه في موضعه.

---

(١) انظر طبقات المعتزلة لابن المرتضى (ص : ٣) والانتصار لأبي الحسني الخياط (ص : ١٢٦) والملل والنحل للشهرستاني (٤٨/١) الفرق بين الفرق (ص : ١٧٩ .

(٢) طبقات المعتزلة (ص : ٨) .

(٣) شرح الأصول الخمسة (ص : ٧٠٧) وانظر الفصل لابن حزم (٥ / ١٧٧) المقالات للأشعري (١/ ٣٢٩) ، ط محمد محي الدين عبد الحميد .

إما أدلتهم على ماذهبوا إليه فكثيرة ، منها ما ذكره القاضي عبد الجبار حيث استدل بقوله تعالى : ﴿ **انما المؤمنون الذين إذاذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقا** ﴾[الأنفال : ٢ - ٤] .

يقول القاضي : « هذه الآية تدل على أن الايمان ليس هو القول باللسان ، أو اعتقاد القلب، على ما ذهب المخالف إليه ، ولكنه كل واجب وطاعة ، لأنه تعالى ذكر في صفة المؤمنين مايختص بالقلب، ومايختص بالجوارح فاشترك الكل في أنه من الطاعات والفرائض»(١).

قولهم في الصلة بين الإسلام والايمان :

يذهب المعتزلة إلى أن الايمان والإسلام مترادفان فهما اسمان لمسمى واحد ، عندما يذكر الإسلام فيراد به الإيمان ، وعندما يذكر الايمان فيراد به الإسلام أيضا ، لأنهما جُعِلاً اسماً لمن يستحق المدح والتعظيم • يقول القاضي عبد الجبار : « قولنا مؤمن من الأسماء التي نقلت من اللغة إلى الشرع وصار بالشرع اسما لما يستحق المدح والتعظيم ، كما أن قولنا مؤمن ، جعل بالشرع اسما لمن يستحق التعظيم . والإجلال ، فكذلك قولنا مسلم جعل بالشرع اسما لمن يستحق المدح والتعظيم حتى لا فرق بينهما إلا من جهة اللفظ »(٢) .

وقال أيضا : « ومما يدل على أن الدين والإسلام واحد ، قوله تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه** ﴾ [آل عمران : ٨٥] والمعلوم أنه لو اتخذ الايمان دينا لقبل منه»(٣).

واستدلوا ايضا بقوله تعالي : ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** ﴾[الذاريات : ٣٥ - ٣٦) ، قال القاضي عبد الجبار « فلو لم يكن احدهما هو الاخر ، لكان لا يصح الاستثناء على هذه الوجه »(٤) .

---

(١) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار (ص : ٣١٢) .

(٢) شرح الأصول الخمسة (ص : ٧٠٥) .

(٣) المصدر السابق (ص : ٧٠٥) .

(٤) المصدر السابق (ص : ٧٠٦) .

فقد جعل المعتزلة الإسلام مثل الإيمان فكما أن الإيمان تصديق وقول وعمل ويزيد وينقص فكذلك الإسلام .

قولهم في زيادة الايمان ونقصانه :

يذهب المعتزلة الي القول بزيادة الايمان ونقصانه لا على النحو الذي يقول به أهل السنة والجماعة من زيادة الايمان في القلب بزيادة أعمال الجوارح ، وانما قالوا زيادة الايمان هي زيادة التكاليف من حيث الكم لا من حيث الكيف . يقول القاضي عبد الجبار : « فإن قال افتقولون في الايمان إنه يزيد وينقص ؟ قيل : نعم ، لأن الإيمان كلُ واجبٍ يلزم المكلف القيام به والواجب على بعض المكلفين أكثرمن الواجب على غيره فهو يزيد من هذا الوجه ، وقد وصف الله تعالى الصلاة بذلك فقال : ﴿ **وما كان الله ليضيع ايمانكم** ﴾[البقرة : ١٤٣] كما وصفه دينا فقال : ﴿ **وذلك دين القيمة** ﴾[البينة : ٥] وقال - ﷺ -: « **لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن** »[١] فجعل من الايمان ترك السرقة فبطل قول المرجئة في أن الإيمان قول فقط أو قول واعتقاد وانه لا يزيد ولا ينقص وعلى هذا المذهب يصح تفاضل العباد في الايمان فيكون ايمان الرسول عليه السلام أعظم من ايمان غيره على قولنا ، وعلى قولهم لا يصح »[٢] .

ويحتجون ايضا على الزيادة والنقصان بقوله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾[الأنفال : ٢ - ٣] .

قال : « إن هذه الآية تدل على أن الإيمان يزيد وينقص على ما نقوله ، لأنه إذا كان عبارة عن هذه الأمور التي يختلف التعبد فيها على المكلفين فيكون اللازم لبعضهم أكثر مما يلزم الغير فتجب صحة الزيادة والنقصان ، وانما يمتنع ذلك لو كان الايمان خصلة واحدة هو القول باللسان، أو اعتقادات مخصوصة بالقلب »[٣] .

---

(١) سيأتي تخريجه في تحقيق النص (ص :١٤) .

(٢) المختصر في أصول الدين ضمن رسائل العدل والتوحيد (١/ ٢٤٧) .

(٣) متشابه القرآن (١ / ٣١٣) .

نستنتج من هذا أن المعتزلة يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه من ناحية التكاليف ، فالزيادة والنقصان شيء نسبي بين المكلفين ، فذاك الشخص ايمانه أكثرمن ايمان هذا لأن ذاك الشخص كُلِّفَ بشيء زائد لم يكلف به الآخر ، والآخر غير مؤاخذ على تركه لأنه لم يكلف به لعدم قدرته عليه أو لوجود مانع من ذلك ، فالزيادة في الكم لا في الكيف والذي يظهر أن قولهم يشبه قول المرجئة في القول بأن الإيمان القلبي لا يزيد ولا ينقص لأن التكليف فيه واحد على المكلفين جميعاً فزيد أكثر إيمانا من عمرو لأن زيداً غني فهو مكلف بأمر زائد وهو الزيادة التي لم يكلف بها عمرو ، لفقره والشخص الواحد لا يزيد ايمانه بالطاعة وينقص بالمعصية لأن المعصية امر يخرجه من الايمان فهو في منزلة بين المنزلتين .

ويظهر أيضا أن المعصية لا اعتبار لها في زيادة الايمان ونقصانه ، لأنها عندهم تخرجه من الايمان الى منزلة بين منزلتين ، وتخلّده في النار في الآخرة .

قولهم حكم مرتكب الكبيرة :

يرى المعتزلة أن المعاصي تنقسم إلى صغائر وكبائر ، وكما دلت عليه النصوص الشرعية كقوله تعالى : ﴿ **ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها** ﴾ [الكهف : ٤٩] . وقوله تعالى : ﴿ **وكرّه إليكم الكفروالفسوق والعصيان** ﴾ [الحجرات : ٧] .

فالمعاصي منها ما يكون كفراً، ومنها ما يكون فسقاً ومنها ما يكون عصياناً ، والصغيرة عند المعتزلة كما يقول القاضي عبد الجبار : هي ما يكون ثواب فاعله أكثرمن عقابه إما محققاً واما مقدرا ، والكبيرة هي ما يكون عقاب فاعله أكثر من ثوابه إما محققاً وإما مقدراً ، واحترز بقوله : اما محققا أو مقدرا عن الكافر ومن لم يطع أبداً فإنه قد وقع في الصغيرة والكبيرة على معنى أنه لو كان له ثواب لكن يكون محبطا بما ارتكبه من المعصية ، أو يكون عقاب ما أتى به من الصغيرة ، مكفرا في جنب ما يستحقه من الثواب(١) .

وأما حكم الصغائر عندهم فيدور على ثلاثة أقوال .

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص : ٦٣٢) .

الأول : أن الله يغفر الصغائر اذا اجتنبت الكبائر تفضلا .

الثاني : أن الله يغفر الصغائر اذا اجتنبت الكبائر باستحقاق .

الثالث : أن الله لا يغفر الصغائر إلا بالتوبة(١) .

وهذا الذي ذهب اليه المعتزلة ناشئ عن قولهم بوجوب الصلاح والأصلح على الله سواء كان ذلك بالتفضل او الاستحقاق ، أما القول الثالث ، فإنه يجعل الصغيرة بمنزلة الكبيرة في عدم الغفران إلابالتوبة .

أما الكبائر فيرى المعتزلة أنه مرتكبها لا مؤمن ولاكافر ، بل له اسم بين الاسمين ، وحكم بين الحكمين ، فلا يكون اسمه اسم الكافر ، ولا اسمه اسم المؤمن ، وانما يسمى فاسقا ، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر ، ولا حكم المؤمن ، بل يفرد له حكم ثالث وهذا الحكم هو ما يسمى: بالمنزلة بين المنزلتين (٢) وذلك ان الإيمان عندهم عبارة عن خصال خير ، إذا اجتمعت في شخص سمى ذلك الشخص مؤمنا وهو اسم مدح ، والذي يفعل الكبيرة لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح فلا يسمى مؤمنا ، وليس هو بكافر ايضا ، إنما يعامل في الدنيا معاملة المسلمين فتجوز مناكحته وموارثته ودفنه في مقابر المسلمين ، أما حكمه في الآخرة فهو الخلود في النار لأن من دخل النار لا يخرج منها ، والمؤمن لا يدخل النار .

يقول القاضي عبد الجبار : « الذي يدل على أن صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمنا هو ما قد ثبت من انه لا يستحق بارتكاب الكبيرة الذم واللعن والاهانة ، وثبت أن اسم المؤمن صار بالشرع اسما لما يستحق المدح والتعظيم والموالاة فإذا ثبت هذان الأصلان ، فلا اشكال في أن صاحب الكبيرة لا يجوز ان يسمى مؤمنا ... أما الدليل على أن مرتكب الكبيرة لا يسمى كافرا ، فهو أنه جعل الكافر في الشرع اسما لمن يستحق العقاب العظيم ، ويختص بأحكام مخصوصة نحو المنع من المناكحة والموارثة .. اذا ثبت هذا ، ومعلوم أن صاحب الكبيرة من لا

(١) مقالات الإسلاميين (١ / ٣٣٢) .

(٢) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص : ٦٩٧) .

يستحق العقاب العظيم ولا تجرى عليه هذه الأحكام ، فلم يجزان يسمى كافرا(١) .

وقالوا ايضا : « الأمة مجمعة على أن من أتى كبيرة أوترك طاعة فريضة كالصلاة والزكاة والصيام من أهل الملة فهو فاسق ،واختلفوا في كونه مؤمنا ، واختلفوا في غير ذلك من أسمائه فالحق هو ما أجمعوا عليه والباطل هو ما اختلفوا فيه ففي اجماعهم الحجة والبرهان »(٢) .

هذا عن حكمه واسمه في الدنيا ،اما حكمه في الآخرة ، فمن استوعب عمرا في طاعة الله ، ثم قارف كبيرة ولم يوفق الى التوبة عنها ، مات على هذه الحال ، فهو مخلد مع المشركين(٣) .

وقد استدل المعتزلة على خلود من ارتكب الكبيرة في النار حيث قالوا : « العاص لا يخلو حاله من أحد أمرين : أما أن يعفى عنه ، أو لا يعفى عنه ، فإن لم يعف عنه ، فقد بقي في النار خالدا ، وهو الذي نقوله ، وان عفى عنه فلا يخلوا اما أن يدخل الجنة أولا يدخل الجنة ، فإن لم يدخل الجنة لم يصح ، لأنه لا دار بين الجنة ولنار ، فإذا لم يكن في النار وجب أن يكون في الجنة لا محالة . واذا دخل الجنة فلا يخلو ، إما أن يدخلها مثابا أو متفضلا عليه ، ولا يجوز أن يدخل الجنة متفضلا عليه ، لأن الأمة اتفقت على أن المكلف اذا دخل الجنة فلا بد أن يكون حاله متميزاً عن حال الولدان المخلدين وعن حال الأطفال والمجانين ، ولا يجوز أن يدخل الجنة مثابا لأنه غير مستحق ، وإثابة من لا يستحق الثواب قبيح ، والله تعالى لا يفعل القبيح »(٤) .

نخرج من هذا أن المعتزلة بنوأ حكمهم على مرتكب الكبيرة على أن القبح والحسن عقليان وان الله لا يفعل القبيح فيجب عليه ان يجعله خالدا في النار ولا يجوز على الله أن يعفو عنه .

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص ٧٠٢ - ٧١٢) .

(٢) رسائل العدل والتوحيد (١/ ١٣٠) .

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص : ٦٦٦) .

(٤) شرح الأصول الخمسة (ص : ٦٦٦) .

قولهم في الاستثناء في الايمان :

يذهب المعتزلة إلى وجوب الاستثناء في الإيمان ، حيث ذكر القاضي عبد الجبار أنهم لا يجيزون غير الاستثناء فقال : « من ذلك الكلام في أحدنا هل يجوز أن يقول : أنا مؤمن ان شاء الله تعالى ؟ والأصل فيه أنه يجوز ، بل لا يجوز خلافه »(١) .

فهذا صريح في أن المعتزلة يوجبون الاستثناء في الايمان .

المبحث الثالث : مذهب المرجئة :

المرجئة نسبة إلى الأرجاء ، والارجاء لغة التأخير يقال : ارجأ الأمر أخره. وترك الهمز لغة فيه ، وقوله تعالى ﴿ **قالوأرجه** ... ﴾﴿ **وقالوا أرجه** ﴾[الأعراف : ١١١] وفيها قراءتان ، وقوله : ﴿ **ترجى من تشاء منهن** ﴾[الأحزاب : ٥١] وقرئ : « **ترجى** » بغير همز . قال الزجاج والهمز أجود ، قال : وأرى ترجى مخففا من ترجئ لمكان تؤوى »(٢) .

الارجاء في الاصطلاح يطلق على عدة معان :

أولاً : على من يؤخر أمر علي وعثمان - رضي الله عنهما - فلا يتولونهما ولا يتبرؤون منهما ، فمن قال ذلك يرى تأخير أمرهما ويضادون لمن يكفرهما أو يغلو فيهما أو أحدهما ، وكذلك من يرى تقديمهما وفضلهما ووجوب موالاتهما .

الثاني : من يؤخر العمل والطاعة عن الايمان .

الثالث : يطلق على من قال بتأخير حكم العاصي إلى يوم القيامة ليكون تحت مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ، دون الجزم بأحد الأمرين .

هذا وقد تعارف أهل السنة والجماعة ومعظم من كتب في الفرق على تسمية كل من أخّر العمل عن الركنية في الإيمان ، وعدم ادخاله في مسمى الايمان - أقول اتفقوا على تسمية من يقول بذلك مرجئا .

---

(١) شرح الأصول الخمسة (ص : ٨٠٣) .

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢ / ٢٠٦) ، لسان العرب (١ / ٨٤) مادة أرجأ .

يقول الإمام ابن جرير : « إن المرجئة هم قوم موصوفون بارجاء أمر مختلف فيما ذلك الأمر .والصواب من القول في المعنى الذي من أجله سميت المرجئة مرجئة أن يقال : ان الإرجاء : معناه ما بيّنا قبل من تأخير الشيء .

فمؤخر أمر عثمان وعلي - رضي الله عنهما - إلى ربهما ، وتارك ولايتهما والبراءة منهما مرجئ ، ومؤخر العمل والطاعة عن الايمان ، ومرجئهما عنه فهو مرجئ ، غير أن الأغلب من استعمال أهل المعرفة بمذاهب الناس المختلفين في الديانات في دهرنا هذا ، هذا الاسم فيمن كان من قوله : الايمان قول بلا عمل ، وفيمن كان من مذهبه ان الشرائع ليست من الايمان ، وان الايمان انما هو التصديق بالقول دون العمل المصدق بوجوبه »(١) .

والي هذ القول ذهب الإمام سفيان بن عيينه كما حكاه عنه الإمام ابن جرير حيث قال : الارجاء على وجهين : قوم ارجأوا أمر عثمان وعلي فقد مضى أولئك ، فأما المرجئة اليوم فهم قوم يقولون : الإيمان قول بلا عمل فلا تجالسوهم ... »(٢) .

وكذلك قال الحافظ بن حجر(٣) . والذي يظهرمن الكلام السابق أن المرجئة نوعان :

- نوع يؤخر أمر علي وعثمان والمتقاتلين بعد عثمان وعدم تولي أحد منهم وهؤلاء إنقضى أمرهم كما نص على ذلك الامام سفيان بن عيينه .

- نوع يؤخرون العمل عن مسمى الايمان وهو المعنى المتعارف عليه في اصطلاح العلماء ثم هذا النوع ينقسم إلى قسمين .

- قسم يؤخرون العمل ويخرجونه من مسمى الإيمان ، ويقصرون الإيمان على التصديق والإقرار وهؤلاء هم مرجئه الفقهاء .

- وقسم حصر الإيمان في التصديق القلبي، أو المعرفة فقط وهؤلاء هم مرجئة المتكلمين .

يؤكد هذا التقسيم شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول : « والمرجئة ثلاثة أصناف :

---

(١) تهذيب الآثار (٢/ ١٨١ - ١٨٢) .

(٢) تهذيب الآثار (٢/ ١٨١) .

(٣) هدي الساري مقدمة فتح الباري (١/ ٢١٣)

ـ الذين يقولون : الايمان مجرد ما في القلب .

ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة ـ كما قد ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم في كتابه .

ومنهم من لا يدخل أعمال القلوب في مسمى الايمان كجهم ومن اتبعه كالصالحي وهذا هو الذي نصره هو وأكثر أصحابه يقصد الأشعري والأشاعرة والكلابية .

ـ القول الثاني : قول من يقول الايمان هو مجرد قول اللسان ، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية .

ـ القول الثالث : قول من يقول الايمان تصديق القلب ، وقول اللسان ، هذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم يعني ابا حنيفة وأصحابه(١) .

وشيخ الإسلام هنا يوافق الأشعري فيما ذهب اليه في تقسيمه للمرجئة لكنه يعده ويعد الكلابية ، ممن نصر قول جهم بن صفوان والجهمية ، من المرجئة وكذلك يوافقه ابن حزم فيما ذهب اليه حيث انه شنّع عليه ونقده نقدا شديداً في كتابه الفصل(٢) .

والمرجئة فرق قديمة وكثيرة عدّد منهم الأشعري اثنتى عشر فرقة هي : اليونسية اتباع يونس ابن عون النميري، والعبيدية أصحاب عبيد المكتئب، والغسانية أصحاب غسان الكوفي، والثوبانية أصحاب أبي ثوبان المرجئ ، التومنية أصحاب أبي معاذ التومني ، والصالحية ، أصحاب صالح بن عبيد ، والجهمية أصحاب جهم بن صفوان الترمذي ، والنجارية أتباع الحسين بن محمد النجار ، والغيلانية أصحاب غيلان ، وأصحاب محمد بن شبيب ، وأبي حنيفة وأصحابه ، والكرامية أصحاب محمد بن كرّام .

هؤلاء هم فرق المرجئة وسوف يتبين لنا إن كان اتباع أبي حنيفة منهم أم لا وكذلك النجارية أتباع الحسين بن محمد النجار ، وأصحاب محمد بن شبيب ، حيث عدهم ضمن فرق المرجئة الخالصة ، وفرق المرجئة الخالصة يتفقون على :

---

(١) كتاب الايمان (ص : ٣٠٤ ـ ٣٠٥) من النص المحقق .

(٢) الفصل لابن حزم (٥ / ١٨٨) .

١ ـ أن العمل ليس ركناً في الايمان .

٢ ـ وان الايمان لا يزيد ولا ينقص ، ولا يتفاضل أهله فيه ، إلا ما ذكر عن أصحاب الحسين بن محمد النجار وأصحاب محمد بن شبيب ، حيث أنهم يقولون يتفاضل الناس في الإيمان ، وان الايمان يتبعض وان الايمان يزيد ولا ينقص .

٣ ـ أن مرتكب الكبيرة في الجنة دون سابقة عذاب أو مناقشة حساب ، لأنه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

٤ ـ ان الاستثناء في الايمان غير جائز .

هذه خلاصة مقالات المرجئة الخالصة في الإيمان كما ذكرها مؤرخوا الفرق(١) .

ومما يلاحظ أن بدعة الارجاء بدعة قديمة تكلم عليها وبين خطرها أئمة التابعين وقد ظهرت قبل انقضاء القرن الأول حيث نقل عبد الله بن أحمد في كتاب السنة ، وكذلك ابن بطه في كتاب الإبانة واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أصل السنة قولا للإمام قتادة بن دعامة السدوسي المفسر ان الارجاء حدث بعد فتنة ابن الأشعث(٢) وابن الأشعث هو عبد الرحمن بن محمد الأشعث الكندي الثائر على الحجاج في الفتنة المشهورة والتي كانت سنة (٨٢هـ) وذكر الحافظ بن حجر انها كانت سنة ٨٠ هـ(٣) .

وهذا يوضح لنا الأصول والملابسات التي نشأت فيها بدعة الارجاء حيث إنها ظهرت لما انقضت فتنة ابن الأشعث .

قام الحجاج بن يوسف الثقفي بتعقب القراء والعلماء الذين ناصروا ابن الأشعث في ثورته، وعذّب بعضهم ، وقتل البعض الآخر ومن أشهر من قتل الامام سعيد بن جبير ـ رحمه

---

(١) انظر : مقالات الإسلاميين (ص: ١٣٢ ـ ١٤١) ط ريتر، الفصل لابن حزم (٥ / ٧٣) . الملل والنحل للشهرستاني (١/١٤٥ ـ ١٤٧) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص :٢٠٢) .

(٢) انظر كتاب السنة (١/ ١٣٩) ، والابانة الكبري (٢/ ٨٨٩) ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥ / ١٠٠٢ ، ١٨٤١).

(٣) انظر البداية والنهاية (٩ / ٣٥) وتهذيب التهذيب (٣ / ٢١٨) .

الله ـ وزادت فتنة الخوارج وزاد الحجاج في تعسفه وفي تلك الأجواء ظهرت بدعة الإرجاء كرد فعل لفتنة الخوارج وغُلوهم وأول من أُثِرَ عنه ذلك ، هو ذر بن عبد الله المرهبي الهمداني وهو من كبار التابعين ومن رجال الكتب الستة ، وتوفى في أواخر القرن الأول(١). نسب إليه ذلك الإمام أحمد بن حنبل وسلمة بن كهيل(٢) .

وهذه النسبة لها أهميتها حيث إن سلمه بن كهيل المتوفى سنة (١٢١هـ)(٣) معاصر له وقد نقل الحافظ بن حجر أن ذرا أحد الذين شاركوا ابن الأشعث في ثورته على الحجاج(٤) .

وقد تابع ذرًا على رأيه عدد من الفقهاء ممن جاء بعده ، من أشهرهم : حماد بن أبي سليمان المتوفى سنة (١٢٠هـ) وهو من تلاميذ ابراهيم النخعي ، ومن أشهر شيوخ الإمام أبي حنيفة ، حتى إن كثيرا من العلماء ينسبون اليه الأولية في القول بالإرجاء(٥) وهذا لشهرته وكونه هو الذي نشر هذا القول ، وتابعه عليه كثير من أهل الكوفة .

وأيضا عمرو بن مرة المرادي الجملي الكوفي الزاهد ، وقد كان لدخوله في الإرجاء أثره البالغ في متابعة الناس له لشهرته وزهده وعلمه وعيادته .

قال مغيره بن مقسم : « لم يزل في الناس بقية حتى دخل عمرو بن مرة في الإرجاء فتهافت الناس فيه »(٦) .

هذا وقد استدل المرجئة على ما ذهبوا اليه بأدلة كثيرة منها ما يدل على عدم ركنيه العمل في الإيمان فاحتجوا بمثل قوله تعالى : ﴿ **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ [البقرة :٢٥] .

---

(١) انظر التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٢٦٧) ، الجرح والتعديل (١/ ٢/٤٥٣) .
(٢) انظر مسائل ابن هاني (٢/ ١٦٢) ، السنة للخلال (٣/ ٥٦٣) والسنة لعبد الله بن أحمد (٣٢٦/١) .
(٣) السنة (١ / ٣٢٩) ، الإبانة (٢ / ٨٩٢) .
(٤) انظر : تهذيب التهذيب (٣ / ١٢٨) .
(٥) انظر : كتاب الايمان (ص : ٤٥٣) من النص المحقق .
(٦) انظر : سير أعلام النبلاء (١٩٨/٥) .

قالوا : ففرق الله بين الإيمان والعمل ، وقالوا : إن الله تبارك وتعالى خاطب الإنسان قبل وجود الأعمال ، فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق** ﴾ [المائدة : ٦] وقالوا : لو أن رجلا آمن بالله ورسوله ضحوة ، ومات قبل أن يجب عليه شيء من الأعمال مات مؤمنا ، وكان من أهل الجنة ، فدل ذلك على أن الأعمال ليست من الإيمان(١) .

ـ ومن الأدلة ما يدل على عدم زيادة الايمان ونقصانه فقالوا : الإيمان شيء واحد ، لا تعدد فيه ، لأنه اذا كان ذا عدد أمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه ، بل لا يكون الا شيئا واحد ولذلك لا يتبعّض ولا يتفاضل أهله فيه .

ـ ومن الأدلة ايضا قولهم : بأن المعاصي غير ضارة بالإيمان ، وأن العاصي مصيره إلى الجنة قطعا وابتداءا واستدلوا بحديث : « **من قال لا إله إلا الله دخل الجنة** » فظاهر هذا الحديث هو مناط استدلالهم على هذه الدعوى ، وبه يتشبثون .

وأما مسألة الاستثناء في الإيمان فقالوا بعدم جواز الاستثناء في الايمان واستدلوا على ذلك فقالوا : الإيمان لا يكون إلا عن جزم ويقين وهو ما لا يعتوره الشك ولا الريب ولا الشبهة والاستثناء دليل على خلاف ذلك ، فالمستثنى شاك في إيمانه ، والشاك في ايمانه لم يعد مؤمناً ، فلا بد من الجزم في الايمان(٢) .

الامام أبو حنيفة والإرجاء

الإمام أبو حنيفة أحد الأئمة الأربعة المتبوعين الذين انتشرت مذاهبهم وأقوالهم في العالم الإسلامي ، وله أتباع كثيرون يطلق عليهم الأحناف أو الحنفيه ، ولقد اتهم الإمام أبوحنيفة بأنه يقول بقول المرجئة فقد ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة عن بي إسحاق الفزاري انه قال : « كان أبو حنيفة مرجئا يرى السيف »(٣) .

(١) كتاب الايمان (ص : ٣٠٣) من النص المحقق .

(٢) الرفع والتكميل للكنوي ص (١٥٣) .

(٣) كتاب السنة (١ / ٢١٨) .

وروى أيضا عن عبد الله بن المبارك أن رجلا قال له : « إن أبا حنيفة كان مرجئا يرى السيف فلم ينكر عليه ذلك ابن المبارك » (١) .

وروى عن أبي عبد الرحمن المقرى أنه قال : « كان والله أبوحنيفة مرجئاً ، ودعاني إلى الإرجاء فأبيت عليه »(٢) .

وروى أيضا عن حماد بن زيد وقد سئل عن أبي حنيفة فقال : « إنما ذلك يعرف بالخصومة في الإرجاء »(٣) .

هذه بعض أقوال الأئمة التابعين المعاصرين لأبي حنيفة ـ رحمه الله ـ وقد عرفوا عنه قوله بالإرجاء تارة بنسبته إلى الإرجاء وتارة بأنه كان يدعو اليه ويخاصم فيه .

وقال يحيى بن معين : « كان أبوحنيفة مرجئا وكان من الدعاة (٤) . وقال البخاري في ترجمته : « نعمان بن ثابت أبو حنيفة الكوفي مولى لبني تيم الله بن ثعلبة وروى عنه عباد بن العوام ... كان مرجئاً ، سكتوا عنه أو عن رأيه ، وعن حديثه »(٥) . وقال ابن حبان البستي عنه : « كان داعية إلى الإرجاء »(٦) .

وقال أبوجعفر الطحاوي الحنفي في عقيدته المختصرة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم وأبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني ـ أقول قال عن الايمان عند الأحناف : « والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان وأن جميع ما أنزل الله تعالى في القرآن وجميع ما صح عن رسول الله من الشرع والبيان ، كله حق ، والايمان شيء واحد ، وأهله في أصله سواء والتفاضل بينهم بالخشية والتقوى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى »(٧) .

---

(١) نفس المصدر (١/ ١٨١) .

(٢) نفس المصدر (١ / ٢٢٦) .

(٣) نفس المصدر (١/ ٢٠٣) .

(٤) نفس المصدر (١ / ٢٢٦) .

(٥) التاريخ الكبير (٢/ ٤/ ٢٢٥٣) .

(٦) كتاب المجروحين .

(٧) شرح الطحاوية لابن ابي العز (٢ / ٤٥٩) ، ط تركي ، الأرناؤوط .

فهذا النص من الطحاوي فيه دلالة على أن أبا حنيفة يقول بالإرجاء لأنه اقتصر في تعريف الإيمان على أنه التصديق والإقرار وأن المعمل ركن زائد في الإيمان ، وأنه يحصل كاملا بمجرد التصديق والإقرار ، وانه شيء واحد وأهله في أصله سواء . وسبق أن أوردنا عن الأشعري انه ذكر ابا حنيفة ضمن فرق المرجئة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية « .. وابن كلاب نفسه والحسين بن الفضل البجلي ونحوهما كانوا يقولون : هو التصديق والقول جميعاً موافقة لمن قاله من فقهاء الكوفيين كحماد بن سليمان ومن اتبعه ، مثل أبي حنيفة وغيره »(١) وقال أيضا : « وهؤلاء المعروفون مثل حماد أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما من فقهاء الكوفة ، كانوا يجعلون قول اللسان واعتقاد القلب من الايمان ، وهو قول أبي محمد بن كلاب وأمثاله ، لم يختلف قولهم في ذلك ، ولا نقل عنهم أنهم قالوا الايمان مجرد تصديق القلب »(٢) .

هذا ما نقله الأئمة عنه لكن هل هذا يكفي في الحكم عليه بالإرجاء ؟ لعل ما تنقله عنه من كتبه ما يفيدذلك يقول في كتاب الوصية : « الإيمان الإقرار باللسان ، وتصديق بالجنان ، والإقرار لا يكون وحده إيماناً لأنه لو كان ايمانا لكان المنافقون كلهم مؤمنين وكذلك المعرفة وحدها لا تكون إيمان لأنها لو كانت ايماناً لكان أهل الكتاب كلهم مؤمنين ، قال تعالى في حق المنافقين : ﴿ **والله يشهد ان المنافقين لكاذبون** ﴾ [المنافقون : ١] وقال تعالى في حق أهل الكتاب: ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابنائهم** ﴾ [الأنعام: ٢٠].

قال ملا علي قاري « والمعنى أن مجرد معرفة أهل الكتاب بالله ورسوله لا ينفعهم ، حيث ما أقروا بنبوة محمد - ﷺ - ورسالته إليهم وإلى الخلق كافة ، فإنهم كانوا يزعمون أنه - ﷺ - مبعوث إلى العرب خاصة فاقرارهم بهذا الطريق لا يكون خالصاً ، ثم التصديق ركن حسن لعينه لا يحتمل السقوط في حال من الأحوال بخلاف الإقرار ، فإنه شرط أوشطر ، وركن حسن لغيره، ولهذا يسقط في حال الإكراه وحصول العذر، وهذا لأن اللسان ترجمان الجنان،

---

(١) كتاب الايمان (ص : ١٩٤) من النص المحقق .

(٢) شرح حديث جبريل (ص : ٣٧٥ - ٣٧٦) .

فيكون دليل التصديق وجوداً وعدما ، فإذا بدلّه بغيره في وقت يكون متمكناً من اظهاره كان كافراً ، وإما إذا زال تمكنه - من الاظهار بالاكراه لم يصر كافرا لأن سبب الخوف على نفسه دليل ظاهر على بقاء التصديق في قلبه ، وان الحامل على هذا التبديل ، حاجته إلى دفع المهلكة عن نفسه لا تبديل الاعتقاد في حقه كما أشار اليه قوله تعالى : ﴿ **من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدر فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** ﴾ [النحل : ١٠٦] فأما تبديله في وقت تمكنه فإنه دليل على تبديل إعتقاد فكان ركن الايمان وجودا وعدما »(١) . فالإمام كما يظهر من الكلام السابق يجعل الإيمان مركباً من جزئين .

أحدهما : أصلي ثابت لا يحتمل السقوط أو الزيادة أو النقصان وهو التصديق .

والثاني : يمكن سقوطه والتجاوز عنه ، لوجود أسباب تمنع من الالتزام به وهو الاقرار .

وجاء في كتاب العالم والمتعلم : « الناس في التصديق على ثلاثة منازل. فمنهم: من يصدق بالله وبما جاء منه بقلبه ولسانه ،ومنهم من يصدق بلسانه ويكذب بقلبه ، ومنهم من يصدق بقلبه ويكذب بلسانه ، فمن صدق بالله وبما جاء من عند الله بقلبه ولسانه ، فهو عند الله وعند الناس مؤمن ، ومن صدّق بلسانه وكذب بقلبه كان عند الله كافراً ، وعند الناس مؤمناً لأن الناس لا يعلمون ما في قلبه ، وعليهم أن يسموه مؤمناً بما ظهر لهم من الإقرار بهذه الشهادة ، وليس لهم ان يتكلفوا علم ما في القلوب ، ومنهم من يكون عند الله مؤمناً ، وعند الناس كافرا ، وذلك بأن يكون الرجل مؤمناً بالله وبما جاء من عنده ويظهر الكفر بلسانه في حال التقية أي في حالة الاكراه فيسميه من لا يعرف أنه يتقي كافرا ، وهو عند الله مؤمن»(٢) من هذا النص يظهر لنا أن مذهب أبا حنيفة في الايمان عبارة عن الإقرار والتصديق ، والتصديق راسخ لا يزول إلا بالكفر ، أما الإقرار فيمكن سقوطه وزواله ، مع بقاء الانسان مؤمنا بذلك التصديق القلبي ، كما في حالة العذر والاكراه على إظهار خبره فيمتثل تقية من عدوه أونحوه(٢) .

---

(١) شرح الفقه الأكبر (ص : ٨٥) .

(٢) رسالة العالم والمتعلم (ص : ٥٢) .

وأما العمل فلم يجعله الامام أبي حنيفة من اركان الايمان بل جعله مغايراً له ، قال في الوصية : « الايمان غير العمل والعمل غير الايمان ، بدليل أن كثيراً من الأوقات يرتفع العمل عن المؤمن ولا يصح ان يقال : ارتفع الايمان عنه ، فإن الحائض والنفساء يرفع الله عنهما الصلاة والصوم ولا يصح أن يقال يرتفع عنهما الايمان ، أو أمرهما بترك الايمان »(١) .

والاسلام عنده : هو الأعمال التي هي غيرالايمان ، إلا أنه يجعل بينهما تلازماً قوياً بحيث لا يمكن وجود احدهما دون وجود الاخر . يقول في الفقه الأكبر : « الاسلام هو التسليم والانقياد لأوامر الله تعالى ، ففي طريق اللغة فرق بين الايمان والإسلام ولكن لا يكون ايمان بلا إسلام ولا إسلام بلا إيمان ، فهما كالظهر مع البطن ، والدين واقع على الإيمان ، والإسلام والشرائع كلها»(٢) .

أما رأيه في زيادة الإيمان ونقصانه : فقد ذهب ـ فيما تحكيه المصادر ـ إلى أن الايمان لا يزيد ولا ينقص فقد قال في الوصية : « والإيمان لا يزيد ولا ينقص : لأنه لا يتصور نقص الإيمان إلا بزيادة الكفر ، ولا يتصور زيادة إلا بنقصان الكفر ، وكيف يجوز أن يكون الشخص الواحد في حالة واحدة مؤمناً وكافراً ، والمؤمن مؤمن حقاً والكافر كافرحقاً ، وليس في الإيمان شك ، كما أنه ليس في الكفر شك »(٣) ويقول في الفقه الأكبر: « وإيمان أهل السماء والأرض لايزيد ولا ينقص، والمؤمنون متساوون في الإيمان والتوحيد متفاضلون في الأعمال»(٤).

أمارأيه في مرتكب الكبيرة : فيجعله ـ رحمه الله ـ تحت المشيئة بين الخوف والرجاء ، قال شارح العقيدة الطحاوية : « والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة ، اختلاف صوري فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أوجزء من الايمان مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الايمان بل هو في مشيئة الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه نزاع لفظي (٥) .

---

(١) انظر الوصية (ص : ٢) وانظر كتاب العلم المتعلم (ص : ٤٩) .
(٢) الفقه الأكبر (ص : ٨٩) مع شرحه .
(٣) الوصية (ص : ١) .
(٤) الفقه الأكبر مع شرحه (ص : ٨٧) .
(٥) شرح الطحاوية (ص : ٣١٢) .

وبهذا القدر يمكن تلخيص كلام الامام أبي حنيفة في النقاط التالية :

١ ـ ان الايمان تصديق وإقرار وأن العمل خارج عنه ومغاير له .

٢ ـ ملازمة الايمان للإسلام مع افتراق مفهوميهما .

٣ ـ ان الإيمان لا يزيد ولا ينقص وأن أهله متساوون فيه .

٤ ـ ان مرتكب الكبيرة تحت مشيئة الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه ، مع بقاء ايمانه وان عذبه فانه لا يخلد في النار .

وإذا كان الإمام أبي حنيفة قد قال بذلك أعني : أنه جعل الإيمان تصديق ، وإقرار ، والعمل ليس جزء مسماه وأن الايمان لا يزيد ولا ينقص ، وان الناس فيه سواء . وهذا بعينه هو ما قاله المرجئة .

ولكن ما يجب أن ينبه إليه أن هذا النوع من الارجاء هو ما يسميه علماء أهل السنة والجماعة ارجاء الفقهاء كما يقوله شيخه حماد بن أبي سليمان لا ارجاء المتكلمين .

المبحث الرابع : مذهب الجهمية :

تنسب الجهمية إلى مؤسسها جهم بن صفوان الترمذي السمرقندي ، ويكنى أبا محرز مولى بني راسب من الأزد ، أصله من بلخ ، وعاش فترة من حياته في سمرقند فنسب إليها، وقيل : أصله من خراسان من الموالي ، أقام بالكوفة فترة قصيرة عاد بعدها إلى خراسان حيث أقام بترمذ ، وتتلمذ في الكوفة على الجعد بن درهم الذي كان مؤدباً لمروان بن محمد ، وعنه أخذ مقالته المبتدعة في مسائل العقيدة ومنها نفي الصفات والقول بخلق القرآن ثم رجع إلى بلخ وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان ، ولم يستمرالأمرطويلا حيث استطاع مقاتل ان ينفي جهما إلى ترمذ ، فاتصل جهم بالسمنية الذين ناقشوه في وجود الله تعالى ومسائل أخرى فتحير مدة من الزمن ثم اتصل بالحارث بن سريج صاحب الراية السوداء حيث جعله الحارث كاتبا له وأميناً لسره ، وكان الحارث قد ثار علي الدولة الأموية لأشياء نقمها عليهم ، وكان ـ كما يقول المؤرخون ـ يدعو إلى الكتاب والسنة وإلى انتخاب خليفة يرضى عنه الناس ، وقد أخذ جهم في نشر بدعته في رجال الحارث بن سريج وقتل سنة (١٢٨هـ) قتله سلم بن أحوز

المازني في آخر زمان بني مروان ، وقيل غير ذلك أما سبب قتله، فقد ذهب أكثر المؤرخين إلى أنه قتل بسبب آرائه ، وقيل إنه قتل بسبب انضمامه الى الحارث بن سريج الذي كان من أشد أعداء سلم بن أحوز المازني(١) .

قولهم في الايمان :

ذهب جهم بن صفوان والجهمية إلى أن الايمان مجرد المعرفة بأن الله هو الرب الخالق لكل شيء ، وكانوا يقولون : إن الناس متساوون في هذه المعرفة كأسنان المشط ـ لا يزيد أحد فيها على الاخر ولا ينقص عنه ، ومن أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده ، لأن المعرفة والعلم لا يزولان بالجحد ، والإيمان لا يتبعض إلى عقيدة وقول وعمل ولا يتفاضل أهله فيه(٢) .

فالجهمية إذاً ترى أن الإيمان عبارة عن شيء ، واحد هوالمعرفة، وأنه لا يزيد ولا ينقص والناس فيه سواء وانه لا يضر مع الإيمان شيء لمن عمله ،كما لا ينفع مع الكفر طاعة لأنهم لم يكلفوا في الإيمان إلا بالمعرفة المجردة ، وجعلوا العصاة في حل مما يفعلون ، وذلك نتيجة لرأيهم في الجبر وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده ، وأنه هو الفاعل وان الناس إنما تنسب اليهم أعمالهم على سبيل المجاز ، كما يقال : تحركت الشجرة ودار الفلك ، فالانسان عندهم كالريشة المعلقة في مهب الريح ، فكيف يؤاخذ على أعمال لا قدرة له عليها (٣) .

المبحث الخامس : مذهب الكرامية :

تنسب الكرامية إلى مؤسسها محمد بن كرام بن عراق بن حزابه بن براء السجزي ، يكنى بأبي عبد الله ، ولد في سجستان ولم تذكر المصادر تاريخ ولادته ، نشأ في سجستان ثم دخل خرسان طالبا للعلم ثم رجع إلى سجستان ومنها انتقل إلى غجرستان ثم انتقل بعد ذلك

---

(١) انظر : تاريخ الطبري (٧ / ٢٢٠) ، تاريخ ابن كثير (١٠ / ٢٢٦) ، لسان الميزان (٢/ ١٤٢) ، الكامل لابن الأثير (٤/ ٢٩٣) ، وفيات الأعيان (٥/ ١٢٣) .

(٢) انظر : المقالات للأشعري (ص : ١٣٢) ، ط ريتر الفصل لابن حزم (٥/٧٣) ، الشهرستاني (١/ ٨٨) الفرق بين الفرق (ص : ٢١١) .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين (ص : ٢٧٩) .

إلى نيسابور وأظهر مـذهبه فيها ، وهي القول بأن الايمان قول وأن اللـه تعالى جسم على العرش وغير ذلك من الأقاويل ، حتى افتى العلماء بحبـسه فسجن مدة طويلة وبعد أن أطلق من حبسه انصرف إلى ثغور الشام ، وهناك أظهـر التنسك فاعتنق مذهبه خلق كثـير وتذكر المصادر أن له من الأتبـاع ما يزيد على عـشرين ألف نفس في بيت المقدس توفي سنة (٢٥٥هـ) وقـيل سنة (٢٥٦هـ) وقيل غير ذلك ، له مؤلفات كثيرة ، لكنها أُحرِقَت بسبب قوله في الايمان وقوله في التجـسيم من هذه المؤلفات : كـتاب « عذاب القبـر » وكتاب « التـوحيد » وبعض التـعاليم التي صاغها في صور مقالات وأقاويل في اصلاح النفس الشهوانية بالتقشف والزهد(١) .

قولهم في الايمان :

يذهب الكرامية الي الـقول بأن الإيمان عبارة عن أمر واحـد لا تعدد فيه فهـو اقرار فقط ، وقـد حكى عنهم هذا الرأي مـعظم كُتَّـاب الفرق: يقـول أبو الحسن الأشعري : « الكـرامية أصـحاب مـحـمد بن كـرَّام . يزعـمـون أن الايمان هو الإقرار والتـصـديق باللسـان دون القلب ،وأنكروا ان يكون مـعرفـة القلب أو شيء غـير التـصديق باللـسان ايمانا ، وزعـموا ان المنافـقين الذين كانوا على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ كانوا مؤمنين على الحقيقة ، وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والانكار له باللسان»(٢) .

ويقول أبو المظفر الاسـفرايني : « ومن بدعهم ـ يقصد الكرامـية ـ في باب الايمان قولهم: ان الإيمان قول مـجرد لا هذا القول الـذي يقوله القائل الآن ، أنه لا إله إلاالله ولـكنه هذا القول الذي صدرعن ذرية آدم في بعث الميثاق حين قال الله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهـورهم ذريتهم واشـهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلي** ﴾ [الأعـراف : ١٧٢] ويقولون : ان ذلك القول قول باق أبداً لا يزول حكمه إلا أن يرتد عنه ، فحينئذ يزول حكمه ،

---

(١) انظر : تاريخ دمشق لابن عساكر (١١/ ٦٦) ، الانساب للسمعاني (٦٠/١١) ، طبقات الشافعية للسبكي (٣٠٣/٢) ، البداية والنهاية لابن كثير (٢٠/١١) ، لسان الميزان (٣٥٥/٥) ، التجسيم عند المسلمين مذهب الكرامية لسهير مختار (ص : ٤٣) .

(٢) المقالات (ص : ١٤١) وانظر تبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي (ص : ٣٣٣) وبحر الكلام له أيضا (ص : ٢٠).

وقالوا : إن الـزنديق أو المنافق إذ قال بلسـانه لا إله إلا الله وفي قلبـه النفاق والزندقـة فهـو مؤمن حقاً وايمانه كايمان جبريل وميكائيل وجميع الأنبياء والأولياء »(١) .

ويقول شـيخ الإسلام في كتـاب الايمان : « والكرامية يقولون : المنافق مـؤمن وهو مخلد في النار لأنه آمن ظاهراً لا بـاطناً ، وانما يدخل الجنة من آمن ظاهراً وباطناً ... والكـرامية توافق المرجئة والجهـمية في أن ايمان الناس كلهم سواء ولا يستـثنون في الإيمان بل يقولون : هو مؤمن حقـاً لمن أظهـر الإيمان وإذاكان منافـقاً فـهو مـخلد في النارعندهم فـإنه انما يدخل الجنة من آمن باطناً وظاهراً ، ومن حـكى عنهم أنهم يقـولون : المنافق يدخل الجنـة فقـد كـذب عليـهم ، بل يقولون المنافق مؤمن لا أن الإيمان هو القول الظاهر »(٢) .

يظهر لنا مما سبق أن الكراميـة ترى أن ايمان المنافق وغيره ممن خـالف باطنه ظاهره، انهم مؤمنون حقاً إذا أقرّوا بالشهادة وإن أشـركوا في العبادة ، ولا يشترطون للإيمان أن يوافق الظاهر الباطن فمن أقرّ بلسانه فهـو مؤمن مثل ايمان الأنبياء والملائكة والايمان عندهم لا يزيد ولا ينقص ولا يستـثنى فيـه لأنه كامل بمجـرد الإقرار ، غـير أن مـاقرره شيـخ الإسلام من أن الكرامـية انما يطلقون على المنافق اسم الايمان ويعتبرونه مؤمناحقا باعتبار ما ظهر منه من إقرار ، غير أن الإيمان الذي يدخل صاحبه الجنة يشترط فيه عندهم ان يطابق الباطن حتى يستحق دخول الجنة .

وعليـه فإن المنافقين مـخلدون في النار ، فـهم يخالفـون الجماعـة في الاسم دون الحكم ، كمـا أن الإيمان واحد في جميع الناس ، فهم وان أوجبوا المعرفـة والتصديـق لكن يقولون : لا يدخل في اسم الإيمان حذراً من تبـعضه وتعـدده ، اذ أنهم يرون ان الايمان لا يتبعض فـيذهب بعضه ويبقى بعضه بناءً على الشبـهة التي علقت بأذهانهم وهي أن الايمان كل لا يتجزأ فإما أن يبقى وإما أن يذهب ولا ننسى أن الكرامية من فرق المرجئة في الجملة .

---

(١) التبصير في الدين (ص : ٦٩) .

(٢) كتاب الايمان (ص : ٢٢٧ - ٢٢٨) من النص المحقق .

فالكرامية إذاً فرّقوا بين تسمية المؤمن مؤمناً فيما يرجع إلى أحكام الظاهر والتكاليف الشرعية ، وفيما يرجع إلى أحكام الآخرة والجزاء ، فالمنافق عندهم مؤمن في الدنيا حقيقة ، مستحق للعقاب الأبدي في الآخرة .

وقد استدل الكرامية بقول الله تعالى : ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا** ﴾ [البقرة:١٣٦] وقوله : ﴿ **ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ [المائدة : ٨٣] . وقوله - ﷺ - : « **من قال لا إله إلا الله دخل الجنة** ». وقوله - ﷺ - : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله الله وأني رسول الله فإن قالوها فقد عصموا مني دمائهم وأموالهم** »[١] .

وقالوا : إن رسول الله قد أخبر أنه كان مأموراً بدعاء الناس إلى القول فقط ، لأن ما في القلوب لا يعلمه الا الله وليس للناس الا ظواهر الأمور وما ينطق به اللسان[٢] .

وهذه الأدلة التي ذكرها البغدادي عن الكرامية لا تخرج عن أدلة المرجئة وهذا يؤكد لنا أن الكرامية في جملتهم في باب الايمان من المرجئة .

المبحث السادس : مذهب الأشاعرة :

تنسب الأشاعرة إلى أبي الحسن الأشعري وهو أبو الحسن علي بن اسماعيل بن أبي بشر ابن اسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، ولد بالبصرة سنة ٢٦٠هـ وسكن بغداد إلى أن توفى بها سنة ٣٢٤هـ على الأرجح وقيل قبل ذلك وقيل بعد ذلك[٣] .

أثنى عليه العلماء وخاصة علماء الأشاعرة ، وتركزّ ثناؤهم على ما كان له من نسب وما قام به من الرد على المعتزلة والملاحدة .

---

(١) سيأتي تخريجه (ص :٣٣٣) من النص المحقق .

(٢) انظر الفرق بين الفرق (ص : ١٢) .

(٣) انظر : تاريخ بغداد (٣٤٦/١١) ، تبين كذب المفتري (ص : ٣٥) ، وفيات الأعيان (٢٨٤/٣) ، سير أعلام النبلاء (٨٥/١٥) ، البداية والنهاية (١١/ ١٧) الخطط للمقريزي (٢/ ٣٥٨) و ومذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي(١ /٤٨٧) .

أطوار أبي الحسن الأشعري العقدية :

لقد مر الشيخ أبي الحسن الأشعري في حياته بأطوار منها ما هو متفق عليه بين العلماء المترجمين له ، ومنها ما وقع حوله خلاف، ولقد شغل هذا الأمر الناس قديما وحديثا ، ولا شك ان التطور في مذهب الأشاعرة - بعد الأشعري - كان من أسباب بيان هذا الأمر اذ هو يتصل بمؤسس المذهب ومن ينتسب اليه وذلك من خلال علاقته ودوره في تطور المذهب ، وأمر آخر وهو محاولة الدفاع عن هذ االمذهب ببيان سلامه عقيدة من ينتسبون إليه ورجوعه إلى مذهب السلف .

طور الأشعري الأول : لا يختلف اثنان في أن الأشعري نشأ على مذهب المعتزلة ، وانه أقام على ذلك فترة طويلة من الزمن ، وليس أدل علي ذلك من اعترافه بنفسه وذلك حين قال في كتابه « العمد » يعدد مؤلفاته فقال : « وألفنا كتاباً كبيراً في الصفات سميناه كتاب الجوابات في الصفات عن مسائل أهل الزيغ والشبهات نقضنا فيه كتابا كنا ألفناه قديما على تصحيح مذهب المعتزلة لم يؤلف لهم كتاب مثله ، ثم أبان الله سبحانه لنا الحق فرجعنا عنه ونقضناه وأوضحنا بطلانه(١) .

من هذا النص نلحظ المستوى الذي وصل إليه الأشعري في مرحلة الاعتزال ، وكيف انه صار يؤلف الكتب على مذهبهم ، بل انه يقول انه لم يؤلف للمعتزلة مؤلف مثله.

أما المصادر التي ترجمت له فتذكر ذلك عنه فممن ذكر ذلك ، ابن النديم والسجزي وابن عساكر والقاضي عياض وغيرهم(٢) حيث ذكروا انه بقى على الاعتزال فترة طويلة ذكر بعضهم أنها أربعون سنة ، وانه كان ذا منزلة كبيرة عند شيخه وزوج أمه أبوعلي الجبائي المعتزلي حيث إنه كان يُنيَبُه في بعض مناظراته(٣) . هذه هي المرحلة الأولى من أطوار الأشعري وهي مرحلة الاعتزال .

رجوعه عن الاعتزال وأسبابه :

تذكر المصادر أن الأشعري رجع عن الاعتزال بعد أن غاب في بيته ثم خرج إلى الناس بعد صلاة الجمعة ، وأعلن رجوعه عن الاعتزال وأنه يتبرأ من جميع أقواله السابقة على تلك

---

(١) تبيين كذب المفترى (ص : ١٣١) .

(٢) انظر : الفهرست (ص : ٢٣١) الرد علي من انكر الحرف والصوت (ص : ١٤٠) ، تبين كذب المفترى (ص:٣٩). ترتيب المدارك (٢٧٤/٧) ، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٥٩) .

(٣) انظر : تبيين كذب المفترى (ص : ٩١) .

التوبة ومما تجدر الاشارة اليه أن مترجمي الأشعري ذكروا أن مدة مقامه في الاعتزال أربعين سنة فإذا كان الأشعري ولد سنة (٢٦٠هـ) على الأرجح ، والجبائي توفي سنة (٣٠٣ هـ) ورجوع الأشعري كان قبل وفاة الجبائي ، لأن الجبائي نفسه قد رد على الأشعري ، فالذي يجب أن يلاحظ ان هذا الكلام انما هو على وجه التقريب وان المقصود بالرجوع أن الأشعري رجع وهو قريب من الأربعين من عمره ، ولذلك عبر البعض بأن اقامة الأشعري في الاعتزال كانت عدة سنين(١) .

وتذكر تلك المصادر أسبابا كثيرة لرجوعه عن مذهب المعتزلة يمكن حصرها في الأسباب التالية :

١ ـ الرؤية وتعدد الروايات في ذلك وتتلخص في أنه رأى النبي ـ ﷺ ـ في المنام ، فشكا إليه ما به من حيرة بسبب ما يورده على شيوخه من أسئلة ولا يجد منهم جوابا شافيا ، فقال له الرسول ـ ﷺ ـ عليك بسنتي .لكن يلاحظ على هذه الروايات انها تنتهي الى أصحابه أوتنتهي إلى مجاهيل أوتذكر بدون اسناد(٢).

٢ ـ من الأسباب ايضا مناظرته لشيخه الجبائي في مسألة الصلاح والأصلح ، ومناظرته حول جواز أن يسمى الله عاقلا أم لا ، وأنه لما انقطع شيخه في هذه المناظرات رجع وان ذلك أفقده الثقة في مذهب الاعتزال(٣) .

٣ ـ ومن الأسباب أيضا حيرته وتكافؤ الأدلة عنده ، ولم يترجّح عنده حق على باطل ، ولا باطل على حق ، وأنه إنخلع من الاعتزال كما ينخلع من ثوبه ، وانخلع من ثوب كان عليه، ودفع الى الناس كتباً ألفها بعد رجوعه من الاعتزال منها كتاب «اللمع» وكتاب «كشف عوار المعتزلة » المسمى « كشف الأسرار وهت الأستار »(٤).

---

(١) انظر : الخطط للمقريزي (٢/ ٣٥٩) .

(٢) انظر تبيين كذب المفترى (ص: ٤٠ ـ ٤١) ، طبقات الشافعية للسبكي (٣ / ٣٤٨) ، ترتيب المدارك (٥ / ٢٨).

(٣) انظر : وفيات الأعيان (٤ / ٢٦٧) ، طبقات الشافعية (٣ / ٣٥٦) ، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٣) .

(٤) انظر : تبيين كذب المفترى (ص : ٣٩) .

٤ ـ من الأسباب أيضاً من يرجع تلك الأسباب إلى عوامل خارجية ، مثل محنة الإمام أحمد بن حنبل ، وما جري له بعد تلك المحنة من انتصاره وشيوع ذكره وأفول نجم المعتزلة في عهد المتوكل ، وأن الناس ملوا كثرة الماحكات التي آثارها المعتزلة ، فكرهوا المعتزلة فولد هذا لدى الأشعري كراهية هذا المذهب فرجع عنه(١) .

٥ ـ ومن الأسباب أيضا من يربط بين نشأة الأشعري الفقهية والحديثية ، فأبوه كان ممن يسمع الحديث وأوصى به عند موته إلى زكريا بن يحيى الساجي المحدث، ثم صارالأشعري يتردد علي أبي إسحاق المرزوي الشافعي فتأثر بذلك ، خاصة وأن أهل الحديث والفقهاء لهم موقف مناوئ للمعتزلة فكان ذلك سببا في رجوعه عن مذهب المعتزلة(٢) .

وذكر البعض أسبابا أخرى غير ما سبق لكن يلاحظ أن هذه الأسباب لم ترد عن الأشعري نفسه، لذلك لا بد من إلتماس ذلك الرجوع في أكثر من سبب ، علماً بأن الرجوع إلى الحق ونبذ الباطل انما هو عودة إلى الهداية الموافقة للفطرة وهو أمر يقذفه الله في قلب عبده المؤمن ، فليس الأمر غريباً أو بعيداً أو مخالفاً للمعقول حتى يتلمس له سبب .

مذهب الأشعري بعد رجوعه :

اختلف العلماء والباحثون بعد اتفاقهم على الطور الأول الذي هو طور الاعتزال الذي مر به الأشعري ـ أقول اختلفوا هل مرالأشعري بعد تحوله بطورٍ أو طورين على أقوال يمكن تلخيصها كما يلي :

١ ـ أن الأشعري تحول عن الاعتزال الى التوسط أوما يسمى بمذهب الكلابية وان ما رجع إليه هو الحق .

٢ ـ أنه رجع إلى مذهب السلف والقول الحق ـ الذي هومذهب الإمام أحمد ـ ولم تختلف أقواله ولا كتبه .

---

(١) انظر : ظهر الإسلام لأحمد أمين (٤/ ٦٦) نشأة الأشاعرة وتطورها محمد جلال شرف (ص : ١٧٩) .

(٢) انظر : في علم الكلام لأحمد صبحي (٢/ ٤٢) .

٣ ـ أنه رجع إلى المذهب الحق ، لكنه تابع ابن كلاب وبقيت عليه بقايا اعتزالية .

٤ ـ انه رجع أولا إلى التوسط ومتابعة ابن كلاب ثم رجع إلى مذهب السلف رجوعاً كاملاً .

هذا ما انتهى اليه القول في أبي الحسن الأشعري وهو ما ذهب اليه شيخ الإسلام ابن تيمية .

أما الأشاعرة المنتسبون إليه فتعد فرقة من أكبر الفرق الإسلامية وأوسعها انتشاراً وكما سبق أن بينا أن الأشعري رجع إلى الحق وأن قول الأشاعرة بعده أخذ شكلا يختلف كليةً عما هو معروف عن الأشعري من آراء ، فقد اشتهر عنهم ميلهم إلى مذاهب المرجئة في الإيمان وقولهم فيه يشبه كثيراً قولهم في مسألة الكلام وذلك حين حصروه في الكلام النفسي دون الألفاظ وفي الايمان حين جعلوا معناه المعرفة ، أو التصديق ولم يدخلوا فيه القول ولا العمل .

ومن الملاحظ في هذه الفرقة أنها بقيت متحدة من حيث النسبة اذ لم يوجد فيها فرق متناحرة كما وجد في غيرها على الرغم من وجود خلافات كثيرة بين رجالاتها في كثير من المسائل الاعتقادية ومن أشهر رجالاتها الباقلاني وابن فورك وامام الحرمين الجويني والغزالي والآمدي والرازي والايجي .

حقيقة الايمان عند الأشاعرة :

للأشاعرة : قولان في الإيمان :

أحدهما : أنه اعتقاد وقول وعمل وهذا قول أبي علي الثقفي والقلانسي وإليه مال ابن مجاهد وهو أحد قولي أبي حسن الأشعري ذكره في المقالات ضمن مقاله أصحاب الحديث وأهل السنة وقال : إنه بكل ما قالوه يقول[1] .

يقول شيخ الإسلام : « فهذا قوله في هذا الكتاب وافق فيه أهل السنة وأصحاب الحديث بخلاف القول الذي نصره في الموجز »[2] .

---

(١) انظر : المقالات (ص : ٢٩٧) .

(٢) كتاب الايمان (ص : ٣١٥) من النص المحقق ، وانظر : شرح حديث جبريل (ص : ٤٣٩ ـ ٤٤٠) .

الثاني : هو أن الايمان مجرد تصديق القلب ومعرفته ، ويختلف قول الأشاعرة في التعبير عن ذلك فتارة يقولون : هو المعرفة كقول جهم بن صفوان وتارة يقولون : هو التصديق كقول جمهور الأشاعرة كالباقلاني والجويني وغيرهما(١).

قال الايجي في المواقف : « اعلم ان الايمان في اللغة هو التصديق مطلقا قال تعالى حكاية عن اخوة يوسف : ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا** ﴾ [يوسف : ١٧] أي بمصدق لنا فيما حدثناك به، وقال عليه الصلاة والسلام: « **الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله** ... » أي تصدق، ويقال : فلان يؤمن بكذا أي يصدقه ويعترف به وأما في الشرع وهو متعلق ما ذكرناه من الأحكام ـ يعني الثواب على التفاصيل المذكورة ـ فهو عندنا ـ يعني اتباع أبي الحسن الأشعري وعليه أكثر الأئمة كالقاضي والاستاذ ووافقهم على ذلك الصالحي وابن الراوندي من المعتزلة : التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة تفصيلاً فيما علم تفصيلاً واجمالاً فيما علم إجمالاً فهو في الشرع تصديق خاص » (٢) .

فالايمان عندهم كما هو واضح من كلام الايجي : تصديق خاص ، أما الإقرار اللساني والعمل بالجوارح ، فهم وان لم يجعلوها من الإيمان ، إلا أنهم لم يهملوها بل جعلوا لهما اعتبارهما في الوجود فقد جعلوهما شرطا به يتحقق الايمان لأنهما دليل على صدق الايمان الباطن يقول الايجي : « واللفظ بكلمتي الشهادتين مع القدرة عليه ، شرط ، فمن أخل به فهو كافر مخلد في النار ولا تنفعه المعرفة القلبية من غير إذعان وقبول ، فإن من الكفار من كان يعرف الحق يقيناً وكان إنكاره عناداً واستكباراً ، قال الله تعالى : ﴿ **وجحدوا بهاواستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواً** ﴾ [النمل : ١٤](٣) .

---

(١) انظر كتاب الايمان (ص : ٢٣٥ ، ٣٠٤) من النص المحقق ، مجموع الفتاوى (٧/٥٠٩ ، ٥٤٣ ، ٥٥٠) الرسالة التسعينية (ص:١٦٠) .

(٢) المواقف بشرح الجرجاني (٨ / ٣٢٢) .

(٣) انظر : العقائد العضدية بشرح الدواني (٢ / ٢٨٥) .

يظهـرمن النص السـابق أن الأشـاعـرة يخـرجـون الإقـرار والعـمل من الركنيـة في الإيمان ويجعلونه شرطا لتحقق الإيمان .

ثم ذكر الايجي بعد ذلك الدليل على خـروج العمل عن الايمان فـقال : « والعـمل خارج عنه ـ أي عن الايمان ـ لمجيئه مقـروناً بالايمان معطوفاً عليه في عدة مـواضع من الكتاب ، كـقوله تعالى : ﴿ الذين آمنـوا وعـملوا الصـالحات ﴾ فإن الجـزء لا يعطف على كله ، فـلا يقـال : جاءني القوم وافرادهم ولاعندي العشرة وآحادها »(١) .

فالايمان إذاً عند الأشاعرة هو الايمان المعروف في اللغـة ، وهو التصديق المخصوص ومحله القلب ، لأن الآيات تنسبه إلى القلب دون غيره فكان مـحله ، والعمل خارج عن الايمان ومغاير له بدليل عطف العمل على الايمان ، والعطـف يتقضي المغايرة والكتاب والـسنة والاجماع تدل على بقاء الايمان على معناه اللغوي غير أنه تصديق مخصوص والاقرار والعمل شرط في الايمان.

هذه هي حقيقة الايمان عند الأشاعرة .

العلاقة بين الإيمان والإسلام عند الأشاعرة :

انقسم رأي الأشاعرة في مسألة العلاقة بين الإيمان والاسلام على رأيين

الأول : أنهما مترادفان .

الثاني : أنهما متغايران .

يقول اللقانـي في شرح جوهرة التوحيـد : « لماكان الإيمان والإسلام لغة مـتغايري المدلول لأن الايمان هو التـصديق : والإسلام هـو الخضوع والانقـياد ، إخْتُلِفَ فيـهمـا شرعـا ، فذهب جمهور الأشاعرة إلى تغايرهما لأن مفهوم الإيمان ما علمته آنفا ، ومفهوم الإسلام امتثال الأوامر والنواهي ببناء العمل على ذلك الاذعان فهـما مختلفان ذاتا ومفهومـا ، وان تلازما شرعا بحيث لا يوجد مـسلم ليس بمؤمن ولا مؤمن ليس بمسلم . وذهب .. المحـققون من الأشاعـرة إلى اتحاد مفهومهما بمعنى وحدة ما يراد منهما في الشرع، وتساويهما بحسب الوجود على معنى أن كل من اتصف بأحدهما فهو متصف بالاخر شرعا وعلى هذا فالخلاف لفظي باعتبار المآل » (٢) .

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٨٥) ، وانظرالتمهيد للباقلاني (ص : ٣٤٦) ط مكارثي .

(٢) شرح جوهرة التوحيد (ص : ٣٨) .

مما تقدم يتضح لنا أن العلاقة بين الإسلام والايمان عند الأشاعرة فيها خلاف على رأيين :

الأول : أن الايمان والاسلام متغايران ذاتا ومفهوماً مع القول بتلازمهما شرعا في الوجود أي أنه لا يوجد مسلم ليس بمؤمن ، كما أنه لا يمكن وجود مؤمن ليس بمسلم مع اختلاف حقيقتي الايمان والاسلام والذي يظهر من قولهم أن كل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمناً وأن الانقياد والاستسلام قد يحصل بدون تصديق فلا يعتد به ، أما التصديق اذا حصل فلا بد وأن ينتج الانقياد والاستسلام الذي هو معنى الاسلام فيكون بذلك مؤمنا مسلما .

الثاني : ان الإيمان والإسلام متحدان أي هما مترادفان مفهوماً ومراداً ، ومتساويان في الوجود فكل متصف بأحدهما فهو متصف بالآخر من الناحية الشرعية وهذا يشبه ماتقدم في الرأي الأول من القول بالتلازم في الوجود .

فعند هؤلاء لا يعقل بحسب الشرع ، مؤمن ليس بمسلم ، أو مسلم ليس بمؤمن ، وهو مرادهم من الترادف .

وقد استدل الأشاعرة على قولهم بالترادف بالاجماع بقول التفتازاني : « قالوا : إنه لا يمكن ان يأتي أحد بجميع ما اعتبر في الايمان ولا يكون مسلما ، أو بجميع ما اعتبر في الاسلام ولا يكون مؤمنا، وعلى أنه ليس للمؤمن من حكم خاص به ولا يكون للمسلم وبالعكس »(١) .

وقد استدلوا بأدلة سمعية منها :

- أن الايمان لو كان غير الإسلام لم يقبل من مبتغيه لقوله تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه** ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

- أن الايمان لو كان غير الإسلام ، لم يصح استثناء أحدهما من الآخر ، لقوله تعالى : ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** ﴾ [الذاريات: ٣٥ - ٣٦]. أي فلم نجد ممن كان فيها من المؤمنين إلا أهل بيت من المسلمين »(١).

ولعل الرأي الذي ابطله هو الذي يتناسب مع ما سبق أن بيناه من أن الإيمان عند الأشاعرة هو التصديق فقط وأن الأعمال التي تمثل الإسلام من لوازم ذلك التصديق .

---

(١) شرح المقاصد (٢ / ٢٦٠) .

ولعل من قال بالترادف من الأشاعرة قد شعروا بوجود تناقض بين مذهبهم في حقيقة الايمان ومذهبم في القول بالترادف بين الايمان والاسلام .

أقول لقد حاولوا تفسير وجهة نظرهم بأن المراد بالترادف ، الترادف في المعنى ، بمعنى أن المراد من الايمان الاذعان بالقلب و « المراد من الإسلام الاذعان بالجوارح ، والمعنيان المراد منهما واحد وكلاهما مراد ، فهما مترادفان من هذا الوجه ، ومترادفان من حيث إن كلاهما مطلوب شرعا والمراد منهما واحد وهو الاذعان .

وقد استدلوا على القول بالتغاير بقوله تعالى : ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا** ﴾ [الحجرات : ١٤] قالوا : فقد أثبت أحدهما ونفي الآخر .

ـ واستدلوا ايضا بعطف أحدهما على الاخر ، والعطف ـ كما يقولون ـ دليل على المغايرة مثل قوله تعالى : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات** ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقوله تعالى : ﴿ **وما زادهم إلا إيمانا وتسليما** ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

قالوا والتسليم هو الإسلام .

ـ واستدلوا ايضا بأن جبريل ـ عليه السلام ـ لما جاء لتعليم الدين ، سأل النبي ـ ﷺ ـ عن كل منهما على حده ، وأجاب النبي ـ ﷺ ـ لكلٍ بجواب ، وذلك أنه قال : أخبرني عن الايمان فقال الايمان أن تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله ... إلخ . قال فأخبرني عن الإسلام فقال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله(١) .

زيادة الايمان ونقصانه عند الأشاعرة :

اختلف رأي الأشاعرة في مسألة زيادة الايمان ونقصانه على النحو التالي :

١ ـ ان الايمان هو التصديق وهو لا يزيد ولا ينقص ، ولهم في ذلك حجة عقلية ملخصها : ان الايمان عبارة عن التصديق الجازم البالغ حد اليقين ، واليقين لا يقبل التفاوت ،لأن

(١) انظر : المصدر السابق (٢/ ٢٦١) .

التفاوت فيه انما هو لاحتمال النقيض ، واحتمال النقيض الذي هو الشك ينافي اليقين وهذا رأي جمهور الأشاعرة(١) .

٢ ـ ان الايمان الذي هو التصديق يزيد وينقص ولهم في ذلك مسلكان :

المسلك الأول : القول بأن التصديق نفسه يزيد وينقص فيمكن اطلاق القول بالزيادة والنقصان على الايمان بحسب الذات الذي هو التصديق ، وبحسب المتعلق وهو افراد ما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ مما يجب الايمان به ، وقد استدل هؤلاء على الأمرين بدليلين :

الأول : عقلي ملخصه : « أن التصديق القلبي يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة وعدم ذلك ، ولهذا كان ايمان الصديقين أقوى من ايمان غيرهم ، بحيث لا يعتريه الشبه ولا الشكوك ، يؤيد ذلك أن كل أحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل حتى يكون في بعض الأحيان أعظم يقينا واخلاصا منها في بعضها ، فكذلك التصديق والمعرفة يكون بحسب ظهور البراهين وكثرتها .

الثاني : نقلي وهو قوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام : ﴿ **أولم تؤمن ؟ قال بلا ولكن ليطمئن قلبي** ﴾[البقرة : ٢٦٠] قالوا : فاطمئنان القلب الذي هو أقصى درجات التصديق ، هو ما قصده ابراهيم ـ عليه السلام ـ والا فهو مصدق دون شك .

كما استدلوا على أن الايمان يزيد وينقص بحسب متعلقه بأن التصديق التفصيلي في افراد ما وجب عليه الايمان به ، جزء من الايمان ، يثاب عليه ، كما يثاب علي تصديقه بالكل ، وأضافوا إلى ذلك ، الآيات المصرحة بزيادة الايمان ، ولا شك أن القابل للزيادة قابل للنقصان(٢).

المسلك الثاني : القول بأن الايمان يزيد وينقص بحسب متعلقه فقط ، أما التصديق نفسه لا يزيد ولا ينقص ، ولا شك أن قائل ذلك يحاول الجمع بين رأي السلف القائلون بأن الايمان يتفاضل والتصديق داخل فيه ، وبين القائلين بأن الايمان هو التصديق فقط .

ولم ينكروا ان الايمان يتجزأ ، ووجه الجمع ، ان الجميع اتفقوا على ان الايمان يتجزأ ، سواء هو التصديق وحده أو التصديق والعمل فقالوا : إن التصديق الذي هو أصل الإيمان لا

---

(١) انظر : أصول الدين (ص : ٢٥٢) ، والمواقف بشرح الجرجاني (٨ / ٣٣٠) .

(٢) انظر : أصول الدين (ص : ٢٥٣) ، والمواقف بشرح الجرجاني (٨ / ٣٣١) .

يزيد ولا ينقص ، وإنما الزيادة والنقصان تكون في الأعمال التي هي ثمرات الايمان ، والايمان يطلق عليها حقيقة عند قوم ، مجازاً عند آخرين(١) وهذا رأي جمهور الأشاعرة .

٣ ـ الرأي الثالث : وهو القول بأن الايمان يزيد ولا ينقص وهو رأي قليل الانصار واضح البطلان اذ أنه لا يتصور شيء قابل للزيادة غير قابل للنقصان .

حكم مرتكب الكبيرة عند الأشاعرة :

ذهب الأشاعرة الى القول بأن مرتكب الكبيرة مؤمن فاسق، لأن ارتكاب الكبيرة لا يُذهِب إيمانه وانما يؤثر فيه بالنقصان ، فيسلب عنه كمال الايمان ويقيد بما اتصف به من معصية وفسق ، فيقال مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته يقول الباقلاني : « إن قال قائل : فخبروني عن الفاسق الملي ، هل تسمونه مؤمناً بايمانه الذي هو فيه ، وهل تقولون إن فسقه لا يضاد ايمانه ؟! قيل له : أجّل فإن قال : فلم قلتم إن الفسق الذي ليس بجهل بالله لا يضاد الايمان ؟ قيل له : لأن الشيئين انما يتضادان في محل واحد وقد علمنا أن ما يوجد بالجوارح لا يجوز أن ينفي علماً وتصديقاً يوجد بالقلب ، فثبت انه غير مضاد للعلم بالله والتصديق له ، والدليل علي ذلك ، أنه قد يعزم على معصية الرسول ـ ﷺ ـ بقلبه من لا ينفي عزمه على ذلك معرفة النبي ـ ﷺ ـ وتصديقه له ، وكذلك حكم القول في العزم على معصية الله عز وجل وانه غير مضاد لمعرفته والعلم به والتصديق له هو الايمان لا غير ، فصح بذلك اجتماع الفسق الذي ليس بكفر مع الايمان وانهما غير متضادين .

فإن قيل : ولم قلتم انه يجب أن يسمى الفاسق الملى بما فيه من الايمان مؤمناً ؟ قيل له : لأن أهل اللغة إنما يشتقون هذا الاسم للمسمى به من ووجود الايمان به ، فلما كان الايمان موجوداً بالفاسق الذي وصفنا حاله ، وجب أن يسمى مؤمناً ، كما أنه لما لم يضاد ما فيه من الايمان فسقه الذي ليس بكفر ، وجب أن يسمى به فاسقا وأهل اللغة متفقون على أن اجتماع الوصفين المختلفين لايوجب منع إشتقاق الأسماء منهما ومن أحدهما ، فوجب بذلك ما قلناه »(٢) .

---

(١) انظر : المواقف بشرح الجرجاني (٣٣١/٨) ، جوهر التوحيد للقاني (ص : ٤٣) .

(٢) كتاب التمهيد (ص : ٣٤٩ - ٣٥٠) .

مما سبق يتضح لنا رأي الأشاعرة ودليله والدليل كما هو واضح ذو شقين شق عقلي وشق لغوي .

أما العقلي فملخصه أن الفسق لا يضاد الايمان لأن التضاد بين الشيئين لا يكون إلا إذا وجدا في محل واحد ، والمعصية التي بها يكون الفسق محلها الجوارح ، والايمان عندهم محله القلب فقط ، وما يحصل من الجوارح لا يجوز أن ينفى ما يوجد بالقلب من الايمان لأنه غير مضاد له اذ قد يعص الله من هو مصدق بقلبه بالله ورسوله ، فصح بذلك اجتماع الفسق والايمان .

أما اللغوي فملخصه كذلك ، أن أهل اللغة إنما يشتقون تسمية الشيء من صفة توجد فيه ، والايمان الذي هو التصديق القلبي موجود في الفاسق الذي عصى الله بعمل قبيح صدر عن الجوارح غيرمضاد للايمان .

وهذان الدليلان كما هو واضح ، مبنيان على قولهم في معنى الايمان وانه هو التصديق القلبي بالله وملائكته وكتبه ورسله وأن أعمال الجوارح انما هي ثمرات التصديق القلبي وليست ركنا فيه ولا جزءاً في مفهومه .

فهم يوافقون السلف في التسمية ، ويخالفونهم في الأصل الذي ينطلقون منه ويوافقونهم في النتيجة .

أما الحكم الاخروي فهم يوافقون فيه السلف ، حيث فوضوا أمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه بعدله وان شاء غفر له بفضله وذلك إذا مات من غير توبة .

يقول البغدادي : « فأما أصحاب الذنوب من المسلمين اذا ماتوا قبل التوبة فمنهم من يغفر الله ـ عز وجل ـ له قبل تعذيب أهل العذاب ، ومنهم من يعذبه في النار مدة ثم يغفر له ويرده إلى الجنة برحمته »(١) .

الاستثناء في الإيمان عند الأشاعرة :

سبق أن بينا ان الاستثناء في الايمان هو قول الانسان : أنا مؤمن إن شاء الله ومذهب الأشاعرة فيه أنهم يوجبونه باعتبار الموافاة وهو أن الايمان الذي يتصف به الانسان في الحال

---

(١) أصول الدين (ص : ٢٤٢).

مقطوع به لا يجوز الاستثناء فيه ، وانما يجب الاستثناء في الايمان في المستقبل ، إذ الايمان هو ما مات عليه الانسان وكذلك الكفر هو ما مات عليه الانسان أما قبل ذلك فلا عبرة به .

وسبب قول الأشاعرة بالموافاة انه بالنسبة لما مضى من ايمان الانسان قالوا بعدم جواز الاستثناء في هذا الأمر ، ثم لما رأواْ أن المشهور عن أهل السنة الاستثناء جعلوه في المستقبل لأنه هو الذي يشك فيه فأوجبوه لهذا .

وسبب آخر ، انه من المعروف من مذهبهم منع حلول الحوادث بذات الله تعالى ، لأجل ذلك قالوا عن صفات الفعل الاختيارية من الحب والرضا والسخط والغضب ، أنها صفات أزلية قديمة ، فقالوا والله يحب في أزله من كان كافراً إذا علم انه يموت مؤمنا ، ويبغض في أزله من كان مؤمنا اذا علم انه يموت كافراً ، ومن ثم ربطوا مسألة الاستثناء بهذا القول ، وأوجبوه لذلك بناء على أن الانسان لا يعلم على أي شيء يموت .

وهم يحتجون لقولهم بالموافاه بما روى عن ابن مسعود لما قيل له : « إن قوماً يقولون : إنا مؤمنون ؟ فقال : أفلا سألتموهم أفي الجنة هم ، فلما سألوا أحدهم قال : الله أعلم . قال ابن مسعود : أفلا وكلت الأولى كما وكلت الثانية (١).

يقول الجويني : « فإن قيل قد أثر عن سلفكم ربط الايمان بالمشيئة ، وكان اذا سئل الواحد منهم عن ايمانه قال : أنا مؤمن ان شاء الله فما محصول ذلك ؟ قلنا الايمان ثابت في الحال قطعا لا شك فيه ، ولكن الايمان الذي هو عَلَمُ الفوز ، وآية النجاة ايمان الموافاه ، فاعتنى السلف به وقرنوه بالمشيئة ولم يقصدوا التشكيك في الايمان الناجز(٢) .

وقد تدرج الأمر بالأشاعرة الذين يوجبون الاستثناء باعتبار الموافاه أن صار بعض آتباعهم المتأخرين يستثنون في كل شيء ، فيقول الواحد منهم هذا ثوب إن شاء الله ، وهذا حبل ان شاء الله ، وإذا اعترض عليه معترض بأن هذا لا شك فيه، قالوا : إن الله قادر على أن يغيره »(٣) .

---

(١) انظر كتاب الايمان (ص : ٦٤٤) من النص المحقق .

(٢) انظر : كتاب الارشاد (ص : ٤٠٠) .

(٣) انظر كتاب الايمان (ص : ٦٦٣) من النص المحقق .

المبحث السابع : مذهب الماتريدية :

تنتسب الماتريدية الى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي والذي يلقب بامام الهدى وامام المتكلمين ، وينتسب الماتريدي الي ماتريد ويقال لها ماتريت وهي بلدة قرب سمرقند تخرّج منها جماعة من العلماء .

ولد الماتريدي في حدود سنة (٢٣٨هـ)على وجه التقريب اذ لم يذكر من ترجموا له تاريخ ولادة وذلك لأن تاريخ وفاة اثنين من شيوخه وهما: محمد ابن مقاتل الرازي كان سنة (٢٤٨هـ)، ونظير الدين بن يحيي البلخي كان سنة (٢٦٨هـ) ولا يبدو من الصواب افتراض أن عمره كان أقل من عشر سنين حين وفاة شيخه محمد بن مقاتل ، أما وفاته فقد أجمع من ترجم له على أنه توفى سنة (٣٣٣هـ) ودفن بسمرقند .

نشأ الماتريدي في بلاد ما وراء النهر وقد كانت مرتبطة بالخلافة بدمشق ثم ببغداد حتى عهد المأمون ، فلمّا تولى المأمون قرّب اليه أولاد أسد بن سامان وساروا معه سيرة حسنة حتى استقلت الدولة السامانية سنة (٢٦١هـ) وكان أولاد سامان من أحسن ملوك الأرض سيرة وعدلا واجلالا للعلم وأهله ، واستمرت الدولة السامانية وقد عمها الرخاء .

ورغم ذلك لم يحظ الماتريدي ولا الماتريدية باهتمام المؤلفين في الملل والنحل أو التاريخ أو الطبقات والتراجم والعقائد ، فلم يذكره الأشعري في مقالاته ولا البغدادي ولا الشهرستاني ولا ابن حزم في فصله ويرجع ذلك إلى عدة أسباب أهمها :

١ ـ بُعْد الماتريدي عن مركز الخلافة حيث يتوافد إليها من العلماء من مختلف البقاع الإسلامية .

٢ ـ عدم دعم الماتريدية في عصورها الأولى بقوة سياسية كما حصل للمعتزلة والأشاعرة .

٣ ـ عدم إرتحال الماتريدي إلى المراكز العلمية في العالم الإسلامي كمكة والمدينة وبغداد ودمشق، إذ أنه لو زارتلك البلاد والتقى بعلمائها وناظرهم ، لاشتهر وذكر في تواريخ تلك المدن كتاريخ بغداد وتاريخ مدينة دمشق وغيرها .

٤ ـ تأخر عهد تأليف الحنفية في طبقات علمائهم ، إذ أن أول مؤلف في طبقات الحنفية وهو « الجواهر المضيئة » لعبد القادر القرشي المتوفى سنة (٧٧٥هـ) .

ومن أشهر رجال المدرسة الماتريدية : أبو اليسر البزدوي المتوفى سنة (٤٩٣هـ) ، أبو المعين النسفي المتوفى سنة (٥٠٨هـ) ، الكمال بن الهمام المتوفى سنة (٨٩١هـ)، وملا علي القاري المتوفى سنة (١٠١٤هـ)(١) .

حقيقة الايمان عند الماتريدية :

ذهب جمهور الماتريدية إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ، وذهب بعضهم ـ متابعة للحنفية ـ إلى أنه التصديق بالقلب والاقرار باللسان واستدلوا على ذلك بما يأتي :

١ ـ قالوا ان الايمان في اللغة هوالتصديق ، وهو باق على معناه اللغوي ولم ينقل إلى غيره واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين** ﴾ [يوسف : ١٧] .

٢ ـ وقالوا أيضاً : ان الكفر ضد الإيمان والكفر هو التكذيب والجحود وهما يكونان بالقلب فكذا ما يضادهما .

٣ ـ قالوا ايضا : إن الله قد فرّق بين الإيمان والأعمال ، وذلك بما ورد في كثير من الآيات من عطف الأعمال على الإيمان ، والعطف يقتضي المغايرة .

٤ ـ واستدلوا أيضا : بأن الله خاطب المؤمنين بالإيمان قبل فرض الأعمال ، فدل ذلك على عدم دخول الأعمال في مسمى الإيمان .

قال أبو المعين النسفي : « الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق ، فكل من صدق غيره فيما يخبر يسمى في اللغة مؤمناً به ، ومؤمنا له ، قال الله تعالى خبراً عن إخوة يوسف ـ صلوات الله عليهم ـ : ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا** ﴾ [يوسف : ١٧] أي بمصدق لنا ، ثم إن هذا اللغوي وهو التصديق بالقلب هو حقيقة الإيمان الواجب على العبد حقا لله تعالى ، وهو أن يصدق الرسول ـ ﷺ ـ فيما جاء به من عند الله تعالى ، فمن أتى بهذا التصديق فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى ... فمن جعله لغيرالتصديق ، فقد صرف الاسم عن المفهوم في اللغة إلى غير المفهوم ،

(١) انظر مقدمة تحقيق كتاب التوحيد للماتريدي (ص : ١ ـ ٧) مقدمة تحقيق :تأويلات أهل السنة (١/ ٩-١٧) اتحاف السادة المتقين للزبيدي(٢/ ٥) الجواهر المضيئة للقرشي (٣ / ٣٦٠) ، الماتريدية دراسة وتقويم لأحمد عوض الله الحربي (ص : ٧٩ ـ ١٣٠) .

وفي تجويز ذلك إبطال اللسان وتعطيل اللغة ، ورفع طريق الوصول الى اللوازم الشرعية والدلائل السمعية ، يحققه ان ضد الايمان هو الكفر ، والكفر هو التكذيب والجحود وهما يكونان بالقلب فكذا ما يضادهما ، اذ لا تضاد يتحقق عند تغاير المحلين .

والذي يدل عليه ، أن الله تعالى فرّق بين الايمان ، وبين كل عبادة بالاسم المعطوف عليه ما فرّق بين العبادات بالأسماء المعطوفة لها على ما قال الله تعالى : ﴿ **انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ..** ﴾[التوبة : ١٨] .

فقد عطف إقام الصلاة وايتاء الزكاة على الايمان ، ولا شك في ثبوت المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ،وقال تعالى: ﴿ **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ [يونس:٩] .

يحققه أن الله تعالى خاطب باسم الايمان ثم أوجب الأعمال على العباد ، على ما قال الله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام** ﴾[البقرة : ١٨٣] فهذا دليل التغاير وقصر إسم الايمان على التصديق ، وبالوقوف على هذا يثبت بطلان قول من جعل الأعمال إيماناً وهو قول فقهاء أصحاب الحديث وأكثر متكلميهم(١) .

العلاقة بين الايمان والاسلام عند الماتريدية :

ذهبت الماتريدية إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد ، وأنه لا تغاير بينهما ولا ينفك أحدهما عن الآخر واذا زال أحدهما زال الآخر واستدلوا على قولهم بأدلة ذكرها الماتريدي وتابعه عليها عامة الماتريدية .

قال الماتريدي : « وأما القول عندنا في الإيمان والإسلام ، أنه واحد في أمر الدين في التحقيق بالمراد ، وإن كانا يختلفان في المعنى باللسان .. ثم من جهة التحقيق بالمراد في الدين ، أن الإيمان هو اسم لشهادة العقول والآثار بالتصديق على وحدانية الله ـ تعالى ـ وان له الخلق والأمر في الخلق ، لا شريك له في ذلك ، والإسلام هو اسلام المرء نفسه بِكُلِّيتِهَا وكذا كل شيء لله تعالى بالعبودية لله لا شريك فيه ، فحصلا من طريق المراد فيهما على واحد ... ثم

---

(١) التمهيد (ص : ٩٩ ـ ١٠٠) ونظر تبصرة الأدلة (ص : ٤٧٣ ـ ٤٧٦) وكتاب التوحيد للماتريدي (ص : ٣٧٣ ـ ٣٧٩) المسايره لابن الهمام (ص : ٢٨٥ ـ ٣١٤) شرح الطحاوية للميداني (ص : ٩٨ ـ ٩٩).

الأصل انه من البعيد عن المعقول أن يأتي المرء بجميع شرائط الايمان ثم لا يكون مسلما ، أو يأتي بجميع شرائط الإسلام ثم لا يكون مؤمنا ، فثبت أنهما في الحقيقة واحد ، ومعلوم ان الذي يسع له التسمى بأحدهما يسع الآخر ، وأن الذي به يختلف الأديان إنما هو الاعتقاد لا بأفعال سواه وبالوجود يستحق كل الاسم المعروف ، لذلك وجب ما قلنا وقد قال الله تعالى : ﴿ **ان الدين عند الله الإسلام** ﴾[آل عمران : ١٩] وقال : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه** ﴾[آل عمران : ٨٥] .

فالمؤمن بالصفة التي يصير بها مؤمناً ، لا يخلو من أن يكون أتى بالإسلام الذي هو الدين عند الله أو أتى ببعضه لا كله ، أو ابتغي غير دين الله ، فإن قال بالأول أذعن للحق ، وإن قال بالثاني فهو إذاً لم يبتغ به ديناً ، انما ابتغى بعضه وذلك بعيد ، بل شهد الله على مثله بأنه كافر حقا ... وان قال بالثالث : صيّر دار المؤمنين النار ، وابطل جميع ما جاء به الرسل من الأمر بالإيمان بهم .. ثم قد ثبت أنهما واحد في التحقيق على ما جرى به أحكام القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ **قولوا آمنا بالله** ﴾ إلى قوله ﴿ **ونحن له مسلمون** ﴾ [البقرة : ١٣٦] فألزمهم اسم الإسلام بالذي به صاروا مؤمنين ، ومثله في يونس : ﴿ **وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾[يونس : ٨٤] فصيّرهم بالذي آمنوا مسلمين ،وقال عز وجل : ﴿ **يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن علكيم أن هداكم للإيمان ان كنتم صادقين** ﴾[الحجرات : ١٧] صيّر ذلك منهم اسلاماً لو صدقوا في إيمانهم ، وكذلك به يكونون مؤمنين ، وقالت الملائكة : ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** ﴾[الذاريات : ٣٥ - ٣٦] فصيرالذين كانوا مسلمين مؤمنين »(١) .

زيادة الايمان ونقصانه عند الماتريدية :

لما كان معنى الايمان عند الماتريدية هو التصديق وأن الأعمال غير داخلة في مسمى الايمان قالوا بعدم زيادة الايمان ونقصانه ، وبنو قولهم في هذه المسألة على أن التصديق لايتصور فيه الزيادة والنقص .

---

(١) كتاب التوحيد (ص : ٣٩٤ - ٣٩٧) وانظر أصول الدين للبزدوي (ص : ١٥٤ - ٢٢١) ، تبصرة الأدلة (ص:٤٨٢) .

قال أبوالمعين النسفي : « واذا ثبت أن الإيمان هو التصديق ، وهو لا يتزايد في نفسه ، دل ان الايمان لا يزيد ولاينقص ، فلا زيادة له بانضمام الطاعات اليه ولا نقصان له بارتكاب المعاصي، اذ التصديق في الحالين على ما كان قبلهما »(١) .

الاستثناء في الايمان عند الماتريدية :

سبق أن بينا أن معنى الايمان عند الماتريدية هو التصديق وأن الأعمال غير داخلة في مسماه وأنه لا يزيد ولا ينقص ، فقد قالوا تبعا لذلك بأنه لا يجوز أن يستثنى في الإيمان وقالوا : الاستثناء شك ، ومن شك في تصديقه فهو كافر .

يقول الماتريدي : « الأصل عندنا قطع القول بالإيمان ، وبالتسمي به بالاطلاق ، وترك الاستثناء فيه ، لأن كل معنى مما باجتماع وجوده تمام الإيمان عنده مما إذا استثنى فيه ، لم يصح ذلك المعنى . فعلى ذلك أمره في الجملة نحو أن يقول : أشهد أن لا اله إلا الله ان شاء الله ، أو محمد رسول الله ان شاء الله ، وكذلك الشهادة بالبعث والملائكة والرسل والكتب »(٢).

ويقول أبو المعين النسفي : « ثم لما كان - أي الإيمان - اسما للتصديق وهو شيء حقيقي معلوم الحد ، فإذا حصل بهذا الحد كان الذات به مؤمناً كالقعود والجلوس والسواد والبياض وغير ذلك لما كانت معاني معلومه الحد متى وجدت بحقيقتها كانت الذات بها قاعداً ، وجالساً أسود أبيض فكذا هذا ... وبمعرفة هذا يعرف أن التصديق لما وجد وجد الإيمان بحقيقته فقول من يقول أنا مؤمن إن شاء الله ، مع وجود حقيقة التصديق كقول من يقول : أنا قائم إن شاء الله ، وأنا قاعد إن شاء الله ، مع وجود حقيقة ذلك ، وذلك باطل فكذا هذا ...»(٣) .

---

(١) كتاب التمهيد(ص :١٠٢) وانظر تبصرة الأدلة (ص : ٤٧٨) بحرالكلام له أيضا (ص :٤٥) ، المسايرة (ص:٣٢٥).

(٢) كتاب التمهيد (ص : ٣٨٨) .

الفصل الثالث

العلاقة بين الإيمان والإسلام وتحقيق الكلام فيها

ويتكون من مبحثين :

المبحث الأول : الإيمان والإسلام وما بينهما من عموم وخصوص

المبحث الثاني : الأقوال في مسألة الإيمان والإسلام والرد على المخالفين فيها

المبحث الأول : الايمان والاسلام وما بينهما من عموم وخصوص :

اختلف علماء الإسلام قديماً وحديثاً في العلاقة بين الإسلام والايمان من حيث عمومهما وخصوصهما ، والمطالع لآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول - ﷺ - يجد أن هذين المصطلحين الاسلام والايمان وردا بمعنى واحد ، يدل كل واحد منهما على مسمى الآخر فيسمى الإسلام ايماناً ، ويسمى الايمان إسلاماً .

وورد أيضا هذان المصطلحان بألفاظ يدل كل واحد منهما على معنى مخالف لما يدل عليه الآخر . حيث يجتمع اللفظان . والأصل في هذا ، حديث جبريل - عليه السلام - حيث ورد فيه المصطلحات الثلاثة : الإسلام والايمان والاحسان ولا بد ونحن بصدد معرفة موقف شيخ الاسلام في هذه المسألة من معرفة دلالات المصطلحات لأن هذا من أنفع الأمور في هذه المسألة التي هي ثمرة من ثمرات الخلاف في الايمان ، يقول شيخ الإسلام : « .. وهو من أنفع الأمور في معرفة دلالة الألفاظ مطلقاً وخصوصا ألفاظ الكتاب والسنة ، وبه تزول شبهات كثيرة ، كَثُر فيها نزاع الناس من جملتها مسألة الايمان والاسلام ، فإن النزاع في مسماهما أول اختلاف وقع ، إفترقت الأمة لأجله وصاروا مختلفين في الكتاب والسنة ، وكفّر بعضهم بعضاً وقاتل بعضهم بعضا »(١) .

فلفظ الإسلام في اللغة يدل على الانقياد والاذعان، أما في الشرع: فيطلق على مسألتين.

الأولى : أن يطلق على الأفراد غيرمقترن بالايمان .

فيشمل حينئذٍ الدين كله الاسلام والايمان.قال تعالى : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ [آل عمران : ١٩] . وقال : ﴿ **ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ [المائدة : ٣] .

وقال - ﷺ - « **بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء** »(٢) .

---

(١) كتاب الايمان (ص : ٢٦٨ - ٢٦٩) من النص المحقق .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الايمان باب ان الإسلام بدأ غريبا ... (١ / ١٣٠) والترمذي في كتاب الإيمان باب رقم (١٩/٥/١١٣) وأحمد في المسند (٤/ ٧٣) .

الثانية: أن يطلق مقترناً بالاعتقاد فيراد به حينئذ الأعمال والأقوال الظاهرة، كقوله تعالى : ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم** ﴾ [الحجرات : ١٤] .

وقوله - ﷺ - لما قال له سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « **مالك عن فلان ؟ فوالله إني لأراه مؤمنا فقال - ﷺ -**(١) **أو مسلم** » هذا عن معنى الإسلام في اللغة والشرع . أما الايمان . فهو في اللغة له استعمالان الأول : من الخوف وذلك إذا تعدى بنفسه فيكون معناه اعطاء الأمان ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **وآمنهم من خوف** ﴾ [قريش : ٥] .

الثاني : أن يكون متعدى اما الباء أو اللام فيكون معناه التصديق ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **ما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين** ﴾[يوسف : ١٧] . ومنه قوله تعالى : ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم** ﴾ [البقرة : ٧٥] .

أما في الشرع فاطلاقه له حالتان أيضا مثل الإسلام .

الحالة الأولى : أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام ، وحينئذ يراد به الدين كله كقوله تعالى: ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢].

وقوله تعالى : ﴿ **ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة** ﴾ [البقرة : ١٧٧] وقول النبي - ﷺ - لوفد عبد القيس : « **آمركم بالايمان بالله وحده قال أتدرون ما الايمان بالله وحده ...** »(٢) .

الحالة الثانية : أن يطلق مقروناً بالإسلام، وحينئذ يراد به الاعتقادات الباطنة كقوله تعالى: ﴿ **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ [النساء : ٥٧] هذا هو المقصود بالاسلام والايمان وما يدلان عليه سواء عند الاقتران أو الافراد .

وقد بين شيخ الإسلام سبب النزاع في مسمى الإسلام والايمان وعزا ذلك إلى : « كثرة ذكرهما وكثرة كلام الناس فيهما، والاسم كلما كثر التكلم فيه فتكلم به مطلقاً ومقيداً بقيد ومقيداً بقيد آخر في موضع آخر ،كان هذا سببا لاشباه بعض معناه ، ثم كلما كَثُرَ سماعه كثر من يشتبه عليه ذلك ، ومن أسباب ذلك : أن يسمع بعض الناس بعض موارده ولا يسمع بعضها الآخر ، ويكون ما سمعه مقيداً بقيد أوجب اختصاصه بمعنى ، فيظن معناه في سائر موارده كذلك، فمن اتسع علمه حتى عرف مواقع الاستعمال عامة ، وعلم مأخذ الشبه ،

(١) سيأتي تخريجه (ص : ٣٧١) في النص المحقق .

(٢) سيأتي تخريجه (ص : ٨) في النص المحقق .

أعطى كل ذي حق حقه، وعلم أن خيرالكلام كلام الله ، وأنه لا بيان أتم من بيانه وأن ما أجمع عليه المسلمون من دينهم الذي يحتاجون اليه اضعاف أضعاف ماتنازعوا فيه »(١) .

ونقل شيخ الإسلام عن الخطابي أنه عدّ هذه المسألة من أكثرالمسائل التي غلط فيها الناس فقال : ما أكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة ـ مسألة الإسلام والايمان ـ قد تكلم في هذا الباب رجلان من كبراء أهل العلم ، وصار كل واحد منهما إلى مقالة من هاتين المقالتين ـ أي اتفاقهما أوعدم اتفاقهما ـ ورد الآخر منهما على المتقدم، وصنف عليه كتابا يبلغ عدد أوراقه المئتين »(٢) ثم قال الشيخ معلقا على كلام الخطابي : « الرجلان اللذان أشار إليهما الخطابي أظن أحدهما ـ وهو السابق ـ محمد بن نصر، فإنه الذي علمته بسط الكلام في أن الايمان والإسلام شيء واحد من أهل السنة والحديث وما علمت لغيره قبله بسطا في هذا والآخرالذي رد عليه أظنه(٣) لكن لم أقف على رده »(٤) .

وقال في موضع آخر ... « وللناس في الإسلام والإيمان من الكلام الكثير ، مختلفين تارة ومتفقين أخرى ، ما يحتاج الناس معه إلى معرفة الحق في ذلك، وهذا يكون بأن تبين الأصول المعلومة المتفق عليها ثم بذلك يتوصل إلى معرفة الحقيقة المتنازع عليها »(٥) .

المبحث الثاني : الأقوال في مسألة الإيمان والإسلام والرد على المخالفين فيها :

ينحصر الخلاف في هذه المسألة في ثلاثة طوائف .

القول الأول : طائفة تقول بالترادف بين الإسلام والايمان وانهما اسمان لمسمى واحد . وهذا الرأي قال به جماعة من السلف ، منهم الامام البخاري في صحيحه، وله أدلته التي ساقها على قوله في هذا الرأي ، وهو رأي ابن منده ومحمد بن نصر المروزي وأبي بكر الاسماعيلي وبعض أصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة .

---

(١) كتاب الايمان (ص : ٥٥٥ ـ ٥٥٦) من النص المحقق .

(٢) كتاب الايمان (ص : ٥٥٨) من النص المحقق ، وانظر : معالم السنن (٤ / ٢٩٠) أعلام الحديث (١/ ١٦٠) .

(٣) بياض في جميع النسخ المخطوطة ومعالم السنن للخطابي وأعلام الحديث له أيضاً وفتح الباري للحافظ بن حجر .

(٤) انظر : كتاب الإيمان (ص : ٥٥٩) من النص المحقق .

(٥) شرح حديث جبريل (ص : ٢٩٠) .

القول الثاني : قول من يفرق بين مسمى الاسلام ومسمى الايمان ويقول بأن الإسلام الكلمة ، والايمان العمل ، وهذا قول جماعة من أئمة السلف منهم الزهري وحماد بن زيد ورواية عن الامام أحمد ، كما ذكره ابن منده والخلال وعبد الله بن أحمد عن عبد الملك الميموني وقال بأن عبد الله بن عباس والحسن وابن سيرين ذهبا إليه .

واستدلوا على ذلك بأدلة سوف نذكرها فيما بعد .

القول الثالث : قول من يجمع بين النصوص الواردة في هذه المسألة ويقول : ان بين الإسلام الايمان تلازماً مع افتراق مسماهما ، وإن حالة اقتران الاسلام بالايمان غيرحالة إفرد أحدهما عن الآخر ، ويمثل حالة الإسلام والايمان بحالة إقتران الشهادتين . الشهادة بالرسالة للنبي - ﷺ - غير شهادة الواحدانية لله تعالى ، فهما شيئان في الأعيان ، وإحداهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم ، وكذلك الروح والبدن وكذلك الإسلام والايمان لا إيمان لمن لا اسلام له ، ولا إسلام لمن لا إيمان له. اذ لا يخلو المؤمن من اسلام به يتحقق ايمانه ، ولا يخلو المسلم من إيمان به يصح اسلامه . وهذا ما ذهب إليه جمهور السلف وأيده شيخ الاسلام ابن تيمية في جميع كتبه ، وهذا هو المذهب الصحيح لأنه من المعروف أن لكلٍ من الايمان والاسلام حقيقة شرعية مستقلة ، كما أن لكلٍ منهما حقيقة لغوية مستقلة ، وما يمكن ان يقال فيهما انهما متلازمان في الوجود لا مترادفان في الحقيقة والمعنى، ولقوة التلازم بينهما فإذا وجد أحدهما مفردا في نص من النصوص فإنه لا يمكننا ان نتصوره وحده ، فيكون الآخر داخلا فيه على سبيل التلازم ، فالغاية منهما مجتمعين أو متفرقين تحصل بذكر واحد منهما منفرداً.

قال شيخ الإسلام : « إذا قيل إن الإسلام والإيمان متلازمان ، لم يلزم أن يكون أحدهما هو الاخر ، كالروح والبدن ، فلا يوجد عندنا روح إلا مع البدن ، ولا يوجد بدن حي إلا مع الروح ، وليس أحدهما هو الآخر ، فالإيمان كالروح فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن ، والإسلام كالبدن ، ولا يكون البدن حياً إلا مع الروح ، بمعنى أنهما متلازمان ، لا أن مسمى أحدهما هو مسمى الاخر ، وإسلام المنافقين كبدن الميت جسد بلا روح ، فما من بدن حي إلا وفيه روح ولكن الأرواح متنوعة »(١) .

(١) كتاب الايمان (ص : ٥٧٠) من النص المحقق .

أدلة القائلين بالترادف بين الإسلام والإيمان :

سبق أن ذكرنا قول الذين ذهبوا إلى القول بالترادف وأن منهم الامام البخاري ومحمد بن نصر المرزوي وابن منده وأبي بكر الاسماعيلي وابن حزم وابن حبان والبيهقي وابن عبد البر وبعض أصحاب الشافعي وأصحاب ابي حنيفة ولكن أوسع من تكلم في ذكر ما ذهبوا اليه هو محمد بن نصر المرزوي حتى قال شيخ الاسلام عنه « وماعلمت لغيره قبله بسطا في هذا - أي في هذه المسألة »[١] .

وذكر ابن نصر هذا القول وانتصر له وساق له من أدلة الكتاب والسنة وأقول العلماء في ذلك وذكر بأن القائلين به هم الجمهور الأعظم من أهل السنة وأصحاب الحديث واستدل بالأدلة التالية .

الدليل الأول :

استدل محمد بن نصر المرزوي على قوله بترادف الاسلام والايمان باللغة فقال : « إن الإيمان في اللغة هو التصديق والاسلام في اللغة هو الخضوع ، فأصل الايمان هو التصديق بالله وما جاء من عنده ، وهوما أراده النبي - ﷺ - بقوله « **الايمان أن تؤمن بالله** » وعنه يكون الخضوع لله، لأنه إذا صدق بالله ، فقد خضع له ، وإذا خضع أطاع فالخضوع عن التصديق وهو أصل الإسلام ، ومعنى التصديق هو المعرفة بالله والاعتراف بربوبيته وبوعده ووعيده وواجب حقه فمن التصديق بالله يكون الخضوع لله ، وعن الخضوع تكون الطاعات ، فأول ما يكون خضوع القلب لله ، الذي أوجبه التصديق من عمل الجوارح ، الإقرار باللسان لأنه لما صدق بأن الله ربه، خضع لذلك بالعبودية مخلصا ، ثم ابتدأ الخضوع باللسان فأقر بالعبودية مخلصا كما قال الله - عز وجل - لابراهيم : ﴿ **أسلم قال أسلمت لرب العالمين** ﴾ [البقرة: ١٣١] . أي أخلصت بالخضوع لك[٢] .

الدليل الثاني :

ان الدين الذي بعث الله به الرسل ، وأنزل به الكتب ورضيه للناس ، هو دين الاسلام ، وضده الكفر ، وقد أمر الله الناس بالايمان بهذا الدين والدخول فيه ، فالايمان والاسلام سواء لم

---

(١) كتاب الايمان (ص : ٥٥٩) من النص المحقق .

(٢) انظر : تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٦٩٦) . وانظر : اعتقاد أئمة الحديث (ص: ٦٧) التمهيد لابن عبدالبر (٩/ ٢٤٧).

يفرّق الله بينهما ، حتى أنه سبحانه مـدح الاسلام بمثل ما مدح الايمان ، ولو كان بينهما فرقا لما سوّى الله في مدحـهـمـا . وأيـد قوله بـقولـه اللـه تعـالـى: ﴿ ورضـيـت لـكـم الاسـلام دينـا ﴾ [المائـدة : ٣]، وقولـه: ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ [الأنعام:١٢٥].

ثم قال : فمـدح الله الإسلام بمثل ما مدح به الايمـان وجعله اسم ثناء وتزكية ، فـأخبر أن من أسلم فهـو على نور من ربه وهدى ، وأخبـر أنه دينه الذي ارتضاه فـقد أحـبه وامتـدحه ... فحكم بأن من اسلم فقد اهتدى ومن آمن فقد اهتدى فقد سوى بينهما »[1] .

الدليل الثالث :

استدل من قـال بترادف الإسلام والايمان بآية الحجـرات ، يقول محمـد بن نصر : « قال الله عـز وجل ﴿ يمنون عليك أن أسلمـوا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل لله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ [الحجرات : ١٧] فـدل ذلك على أن الإسلام هو الإيمان واستدل على قوله بأثر قتادة الذي ساقه بسنده[2] انه قال في معنى الآية قال : « منوا على النبي ـ ﷺ ـ حين جـاءوا فـقالـوا : أسلمنا بغـير قتـال ، وقـالـوا : لم نقاتـلك كـمـا قاتلـك بنو فلان وبنو فلان ، فـقال الله لنبـيه : ﴿ قل لا تمنوا علي إسـلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هـداكم للإيمان ﴾ [الحجرات:١٧] .

وبما رواه بسنده عن مقاتل بن حيان أنهم أعـراب بني أسد بن خزيمة قالوا : يا رسول الله آتيناك بغـير قتـال وتركنا العشـائر والأموال ، وكل قـبيلة من الأعـراب قاتلتك حـتى دخلوا في الإسلام كرها فلنا عليك حق ، فأنزل الله: ﴿ يمنون عليك أن أسلموا ﴾ [الحجرات : ١٧] فله بـذلك المن إليكـم إن كنتم صـادقين وفـيـهـم أنزلت : ﴿ ولا تبطلوا أعـمـالكم ﴾[3] [محمد:٣٣] .

---

(١) انظر : تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٥٢٩ ـ ٥٣١) وانظر كتاب الايمان لابن منده (ص :٣٢١) .

(٢) انظر : أثر قتادة في تفسير الطبري (٢٦ /٩٠) .

(٣) انظر : تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٥٣٢ ـ ٥٣٣) .

الدليل الرابع :

واستدل محمد بن نصر المرزوي بما ورد عن النبي - ﷺ - انه وصف الايمان بما وصف به الإسلام فقال : « والأخبار التي ذكرناها عن رسول الله - ﷺ - دالة على أن الايمان والاسلام لا يفترقان ، لأنه دل على الإيمان ، بما دل على الاسلام . ثم ذكر حديث جبريل الطويل(١) ، وحديث عبد الله بن عمر :« **بني الإسلام على خمس**»(٢) وحديث عبد الله بن عباس لوفد عبدالقيس(٣) وحديث المسلم **من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من آمنه الناس**»(٤) وحديث « **والله لا يؤمن ثلاثا من لا يأمن جاره بوائقه** »(٥) قال : ... البوائق لا تكون إلا باللسان واليد ... ، فسمى الايمان بما سمى به الاسلام ... فدل النبي - ﷺ - بسنته على أن الايمان والاسلام لا يفترقان ، وان المسلم هو المؤمن، فليس لأحد أن يفرق بين اسمين دل النبي - ﷺ - عليهما بمعنى واحد ، يجعلهما معنيين مختلفين ، ومن فرّق بينهما فقد عارض سنة النبي - ﷺ - بالرد ، إلا أن أحدهما أصل للآخر ، لاينفك أحدهما عن الآخر ، لأن أصل الايمان هو التصديق ، وعنه يكون الخضوع ، فلا يكون مصدقاً إلاخاضعاً ولا خاضعاً إلا مصدقا وعنهما تكون الأعمال التي وصف النبي - ﷺ - الإسلام وتسمى من قام بها بالايمان والاسلام » (٦).

الدليل الخامس :

استدل محمد بن نصر على ترادف الايمان والإسلام بأن دين الله واحد ، وهو الإسلام الذي وعد الله عليه الثواب وأجمعت الإمة على أن من دان الله بالايمان يقبل منه كما يقبل منه الإسلام ، وكذلك فإن الله قد سمى بعض شرائعه ديناً ، من أتى بها فقد أتى بالدين القيم ، ومن أضاعها أضاع الدين القيم الذي هو الإسلام وهذه الشرائع كالصلاة والزكاة ونحوها قول وعمل كما اننا نجد أن الايمان قول وعمل فلا فرق اذا بين الايمان والاسلام قال رحمة الله : « وقال الله عز وجل : ﴿ **إن الدين عند الله الاسلام** ﴾ [آل عمران : ١٩] ... وقال

---

(١) سيأتي تخريجه (ص : ٢) في تحقيق النص .

(٢) سيأتي تخريجه (ص :٣) في تحقيق النص .

(٣) سيأتي تخريجه (ص : ٨) في تحقيق النص .

(٤) سيأتي تخريجه (ص :٥) في تحقيق النص .

(٥) سيأتي تخريجه (ص : ١٣) في تحقيق النص .

(٦) تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٧١٤ - ٧١٦) .

﴿ ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين ﴾ [البقرة : ١٣٢] الذي إرتضاه واصطفاه هو الإسلام ثم قال : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

فدل ذلك ان الايمان المقبول الذي وعد الله عليه الثواب هو الإسلام ، لأنه لو كان غير الإسلام لكان من دان الله بالايمان غيرمقبول منه إياه ، لقوله : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

فلما اجتمعت الأمة على أن من دان الله بالايمان فجائز أن يقبل منه ، ثبت بذلك ان الإيمان هو الإسلام وهو الدين المرتضى وثبت بذلك ان الصلاة والزكاة وسائر ما يدان الله به إسلام ، وايمان لأنها لو لم تكن ايمانا اسلاماً لم يجز أن يقبل من دان الله بها »(١) .

الدليل السادس :

استدل محمد بن نصر على ما ذهب اليه من القول بترادف الايمان والاسلام، بأن الله تعالى أمر عباده بأن يعبدوه ويخلصوا له الدين ولا شك أن هذا الدين المأمورين بإخلاصه هو الإسلام ، يقول رحمه الله : « وقال عز وجل : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ [البينة : ٥] . وقال : ﴿ إن الدين عند الله الاسلام ﴾ [آل عمران : ١٩] فسمى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ديناً قيماً ، وسمى الدين إسلاماً فمن لم يؤد الزكاة فقد ترك من الدين القيم الذي أخبر الله أنه عنده الدين وهو الإسلام بعضا ، وقد جامعتنا هذه الفرقة التي فرقت بين الايمان والاسلام على أن الإيمان قول وعمل ، وأن الصلاة والزكاة من الايمان ، وقد سماها الله ديناً ، وأخبر أن الدين عند الله الإسلام ، فقد سمى الله الإسلام ، بما سمى به الايمان وسمى الايمان بما سمى به الاسلام وبمثل ذلك جاءت الأخبار عن النبي - ﷺ - » (٢) .

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٤٤ - ٣٤٥) .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٥٣٣) .

الدليل السابع :

استدل محمد بن نصر المروزي على ترادف الايمان والإسلام بأن الله « بيّن في كتابه وكذلك بين رسوله أن الايمان والاسلام لا يفترقان فمن صدق بالله فقد آمن به ، ومن آمن به فقد خضع له ... ومن صام وصلى فقد استكمل الإسلام والإيمان الذي فُرِض عليه ومن ترك من ذلك شيئاً فلن يزول عنه اسم الايمان والإسلام إلا أنه أنقص من غيره في ذلك من غير نقصان في الإقرار بأن الله حق وما قال صدق لا كذب ولكن ينقص من الايمان الذي هو تعظيم للقدر وخضوع للهيبة والجلال للمصدق به وهو الله عز وجل فمن ذلك يكون النقصان لا من إقرارهم بأن الله حق وما قاله صدق »(١) .

الدليل الثامن :

استدل محمد بن نصر على ترادف الإسلام والايمان بموافقة الطائفة التي فرقت بين الايمان الاسلام على عدم زوال اسم الاسلام عمن ارتكب كبيرة لأنهم يروون عن النبي - ﷺ - أن الله يأمر باخراج من كان في قلبه إيمان من النار فلا فرق إذاً بين الإسلام والإيمان لأن من في قلبه إيمان لا يزول عنه الإسلام ايضا(٢) .

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٥٣٤ - ٥٣٥) .

(٢) انظر : تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٣٥) .

أدلة من يقول الإسلام الكلمة والإيمان العمل :

سبق أن ذكرنا أن القول الثاني قول من يفرق بين مسمى الإسلام والايمان لكنه يقول بأن الإسلام الكلمة ، والايمان العمل ، وسبق أن ذكرنا أنه قول جماعة من السلف منهم الزهري وحماد بين زيد ورواية عن الإمام أحمد ـ كما ذكره ابن منده عن عبد الملك الميموني قال : سألت أحمد بن حنبل أتفرق بين الايمان والاسلام ؟ قال : نعم ... وقال بهذ االقول جماعة من الصحابة والتابعين ، منهم عبد الله بن عباس ، والحسن ومحمد بن سيرين(١).

١ ـ واستدل هؤلاء بآية الحجرات ، قال تعالى :﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم** ﴾[الحجرات : ١٧] قالوا : إن التفسير الصحيح للآية أنهم ليسوا بمؤمنين كاملي الايمان لا أنهم منافقون كما نفي الايمان عن الزاني والسارق ومن لا أمانة له ، ويؤيد هذا سياق الآية ، فإن السورة من أولها إلى موضع الآية في النهي عن المعاصي ، وأحكام بعض العصاة وليس فيها ذكرالمنافقين ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ **وان تطيعوا لله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا** ﴾[الحجرات : ١٤] قالوا : ولو كانوا منافقين، ما نفعتهم الطاعة ثم قال: ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا** ﴾[الحجرات : ١٥] يعني ـ والله أعلم ـ أن المؤمنين الكاملي الايمان هم هؤلاء لا أنتم ، بل أنتم منتف عنكم الايمان الكامل . يؤيد هذا انه أمرهم أو أذن لهم أن يقولوا : أسلمنا ، والمنافق لا يقال له ذلك ، ولو كانوا منافقين لنفي عنهم الإسلام ، كما نفي عنهم الايمان . ونهاهم أن يمنّوا بإسلامهم ، فأثبت لهم إسلاماً ، ونهاهم أن يمنّوا على رسوله ، ولو لم يكن إسلاماً صحيحاً لقال : لم تسلموا ، بل أنتم كاذبون كما كذّبهم في قولهم : ﴿ **نشهد إنك لرسول الله** ﴾[المنافقون:١] .

٢ ـ ومن الأدلة أيضاً : حديث سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ـ ﷺ ـ أعطى رجالاً ولم يعط رجلا منهم شيئا فقلت يارسول الله أعطيت فلانا وفلانا ولم تعط فلانا وهو مؤمن.

---

(١) انظر : كتاب الايمان لابن منده (١ / ٣١٨) .

فقال رسول الله - ﷺ - : « أو **مسلم ! اعادها ثلاثاً والنبي - ﷺ - يقول: أو مسلم « ثم قال: إني لأعطى رجالا وامنع آخرين وهم أحب إليَّ منهم، مخافة أن يكبوا على وجوههم في النار**»(١).

وقالوا : إن الإيمان خاص يثبت الاسم به بالعمل مع التوحيد ، والإسلام عام يثبت الاسم بالتوحيد والخروج من ملل الكفر . قال شيخ الإسلام مبيناً استدلال هذه الطائفة:

« وهذا على وجهين فانه قد يراد به الكلمة بتوابعها من الأعمال الظاهرة، وهذا هو الإسلام الذي بينه النبي - ﷺ - حيث قال: « **الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت** »(٢) .

وقد يُراد به الكلمة فقط ، من غير فعل الواجبات الظاهرة ، وليس هذا هو الذي جعله النبي - ﷺ - الإسلام ، لكن قد يقال : إسلام الأعراب كان من هذا ، فيقال : الأعراب وغيرهم كانوا اذا أسلموا على عهد النبي - ﷺ - أُلْزِمُوا الأعمال الظاهرة الصلاة والزكاة والصيام والحج ، ولم يكن أحد يُتْرك بمجرد الكلمة ، بل كان من أظهر المعصية يعاقب عليها، وأحمد إن كان أراد من هذه الرواية أن الإسلام هو الشهادتان فقط ، فكل من قالها فهو مسلم، فهذه إحدى الروايات عنه ، والرواية الأخرى لا يكون مسلما حتى يأتي بها ويصلي فإذا لم يصل كان كافرا ، والثالثة انه كافر بترك الزكاة أيضاً ، والرابعة انه يكفر بترك الزكاة اذا قاتل الامام عليها دون ما إذا لم يقاتله ، وعنه أنه لو قال : أنا أوديها ولا أدفعها الى الامام ، لم يكن للإمام أن يقتله ، وكذلك عنه رواية : أنه يكفر بترك الصيام والحج إذا عزم أنه لا يحج أبدا، ومعلوم أنه على القول بكفر تارك المباني يمتنع أن يكون الاسلام مجرد الكلمة ، بل المراد أنه إذا أتى بالكلمة دخل في الإسلام ، وهذا صحيح فإنه يُشْهَد له بالإسلام ، ولا يشهد له بالايمان ، الذي في القلب ، ولا يستثنى في هذا الإسلام لأنه أمر مشهود ، لكن الإسلام الذي هو أداء الخمس ، كما أمر به يقبل الاستثناء ، فالإسلام الذي لا يستثنى فيه الشهادتان باللسان فقط فإنها لا تزيد ولا تنقص فلا استثناء فيهما » (٣) .

---

(١) سيأتي تخريجه (ص : ٣٧١) في تحقيق النص .

(٢) سيأتي تخريجه (ص : ٢) في تحقيق النص .

(٣) انظر : كتاب الايمان (ص : ٤٠٠ - ٤٠١) من النص المحقق .

الرد على القائلين بترادف الايمان والإسلام :

تقدم ذكر أقوال أهل العلم في مسمى الاسلام والايمان وهل هما مترادفان أم لا ، ولما كان من الأئمة من يذهب إلى القول بترادف الايمان والإسلام مؤيدا رأيه بكثيرمن الأدلة وقد سرد تلك الأدلة شيخ الاسلام في كتابنا هذا ورد عليهم شيخ الإسلام فأيد ما وافقوا فيه الحق ، ووّجه بعض الأدلة إلى وجهتها الصحيحة ، وبين مرادهم منها ، وردِ على من خالف القول الراجح من أقوال الجمهور من أهل السنة والجماعة .

على أنه ينبغي أن يلاحظ أن شيخ الإسلام يؤكد على أن هناك تلازماً شديدا بين الإسلام والايمان فلا يوجد أحدهما بدون الآخر فلا يصح الإسلام إلابوجود أصل الإيمان ، فإذا انتفى أصل الايمان بطل الإسلام ، وكذلك لا يصح ولا يوجد إيمان بدون الإسلام فلو انتفى العمل فإن ذلك يدل على بطلان الايمان وفساده(١) ، ويؤكد شيخ الإسلام ايضا على أن الاسم الواحد ينفي بحسب الأحكام المتعلقة به ، فلا يجب إذا ثبت أو نفى في حكم أن يكون كذلك في سائر الأحكام(٢) .

الرد الأول :

إن أول ما استدل به من قال بترادف الايمان والإسلام ، اللغة فقال الايمان في اللغة : هو التصديق والإسلام في اللغة هو الخضوع ، لأنه اذا صدق بالله خضع له واذا خضع أطاع فالخضوع عن التصديق وهو أصل الإسلام . فرد عليهم شيخ الإسلام برد عام قرر فيه أن من أنفع الأمور في معرفة دلالة الألفاظ مطلقاً وخصوصاً ألفاظ الكتاب والسنة ماعرف تفسيرها وما أريد به من جهة النبي - ﷺ - واذا حصل ذلك لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة ولا غيرهم واسم الايمان والإسلام والنفاق والكفر هي أعظم من هذا كله ،والنبي - ﷺ - قد بين المراد بهذه الألفاظ والمصطلحات بيانا شافيا لا يحتاج معه الى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ، فيجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إِلى بيان الله ورسوله فإنه شافٍ كاف بل معاني هذه الأسماء الشرعية معلومة من حيث الجملة للعامة والخاصة(٣) .

---

(١) انظر : الايمان (ص : ٥١٣) من النص المحقق .

(٢) انظر : الايمان (ص : ٦٤٥) من النص المحقق .

(٣) انظر : كتاب الإيمان (ص : ٢٦٨ - ٢٦٩) من النص المحقق .

الرد الثاني :

من أعظم أدلة من قال بترادف الايمان والإسلام كابن نصر وغيره آية الحجرات وهي قوله تعالى : ﴿ **يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا علي اسلامكم بل الله يمن علكيم أن هداكم للايمان كنتم صادقين** ﴾ [الحجرات : ١٧] .

قال ابن نصر : « فدل ذلك علي أن الإسلام هو الايمان ثم روى بسنده عن سفيان عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا** ﴾ [الحجرات : ١٤] . قال : إستسلمنا خوف السبي والقتل »[١] فرد شيخ الإسلام وقال : «ولكن هذا منقطع لان سفيان لم يدرك مجاهد » .

وقال أيضا : الذين قالوا ان هذا الإسلام هو كاسلام المنافقين لا يثابون عليه قالوا : لأن الله نفى عنهم الايمان ، ومن نفى الله عنه الايمان فهو كافر وقال هؤلاء : الإسلام هو الإيمان ، فكل مسلم مؤمن وكل مؤمن مسلم ، ومن جعل الفساق مسلمين غير مؤمنين لزمه أن لا يجعلهم داخلين في قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة** ﴾ [المائدة : ٦] ... وأمثال ذلك فانهم انما دعوا باسم الايمان لا باسم الإسلام فمن لم يكن مؤمنا لم يدخل في ذلك»[٢] .

فأجاب شيخ الاسلام عن هذا الكلام فقال : « الذين قالوا من السلف : أنهم خرجوا من الايمان إلى الإسلام لم يقولوا : أنه لم يبق معهم من الإيمان شيء ، بل هذا هو قول الخوارج والمعتزلة.

وأهل السنة الذين قالوا هذا ، يقولون : الفساق يخرجون من النار بالشفاعة ، وأن معهم إيماناً يخرجون به من النار . لكن لا يطلق عليهم اسم الايمان ، لأن الايمان المطلق ، هو الذي يستحق صاحبه الثواب ودخول الجنة ، وهؤلاء ليسوا من أهله وهم يدخلون في الخطاب بالإيمان، لأن الخطاب بذلك هو لمن دخل في الإيمان ، وان لم يستكمله فإنه انما خوطب ليفعل

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٥٤) .

(٢) كتاب الايمان (ص : ٣٧٥) من النص المحقق .

تمام الايمان ، فكيف يكون قد أتمه قبل الخطاب ، وإن كنا قد بينّا أن هذا المأمور من الايمان قبل الخطاب، وانما صار من الإيمان بعد أن أمر به، فالخطاب بـ ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ غير قوله : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم** ﴾ [الحجرات : ١٥] ونظائره ، فإن الخطاب بيا أيها الذين آمنوا أولا يدخل فيه من أظهر الايمان ، وان كان منافقاً في الباطن يدخل فيه في الظاهر ، فكيف لا يدخل فيه من لم يكن منافقاً وان لم يكن من المؤمنين حقا ؟

وحقيقة الأمر ان من لم يكن من المؤمنين حقا ، يقال فيه : أنه مسلم ومعه إيمان يمنعه من الخلود في النار ، وهذا متفق عليه بين أهل السنة ، لكن هل يطلق عليه اسم الايمان ؟ هذا هو الذي تنازعوا فيه فقيل : يقال : مسلم ولا يقال : مؤمن ، وقيل : بل يقال : مؤمن .

والتحقيق أن يقال : إنه مؤمن ناقص الايمان مؤمن بايمانه ناقص بكبيرته ، ولايعطي اسم الايمان المطلق ، فإن الكتاب والسنة نفيا عنه الاسم المطلق ، واسم الايمان يتناوله فيما أمر الله به ورسوله ، لأن ذلك ايجاب عليه وتحريم عليه ، وهو لازم له كما يلزم غيره ، وانما الكلام في اسم المدح المطلق[1] .

ثم حقق الشيخ ـ رحمه الله ـ القول في تفسيرهذه الآية فقال : « قال الجمهور من السلف والخلف : بل هؤلاء الذين وصفوا بالإسلام دون الايمان ، قد لا يكونون كفارا في الباطن ، بل معهم بعض الاسلام المقبول وهؤلاء يقولون : الاسلام أوسع من الايمان ، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا ، ويقولون في قول النبي ـ ﷺ ـ « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** ... »[2] الحديث أنه يخرج من الايمان الى الإسلام ودوروا للإسلام دارة ودوروا للايمان دارة أصغر منها في جوفها ، وقالوا : اذا زنى خرج من الايمان الى الإسلام ولا يخرجه من الإسلام إلا الكفر . ودليل ذلك أن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وأن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم** ﴾ [الحجرات : ١٤] . فقد قال تعالى : ﴿ **لم تؤمنوا**

(١) كتاب الإيمان (ص : ٣٧٧) من النص المحقق .

(٢) سيأتي تخريجه (ص : ١٤) من النص المحقق .

ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ﴾[الحجرات : ١٤] . وهذا الحرف أي : « لما » ينفي ما قرب وجوده وانتظر وجوده ولم يوجد بعد ، فيقول لمن ينتظر غائباً أي « لما » ويقول : قد جاء « لما » يجيء بعد .

فلما قالوا : « آمنا » قيل « لم تؤمنوا » بعد ، بل الإيمان مرجو منتظر منهم ، ثم قال : «**وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم** » أي لا ينقصكم من أعمالكم المثبتة شيئا أي في هذه الحال ، فإنهم لو أرادوا طاعة الله ورسوله بعد دخول الايمان في قلوبهم ، لم يكن في ذلك فائدة لهم ولا لغيرهم ، إذ كان من المعلوم أن المؤمنين يثابون على طاعة الله ورسوله ، وهم كانوا مقرين به فإذا قيل لهم : المطيع يثاب والمراد به المؤمن الذي يعرف انه مؤمن لم يكن فيه فائدة جديدة . وايضا فالخطاب لهؤلاء المخاطبين قد أخبر عنهم لما يدخل في قلوبهم ، وقيل لهم : « إن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا ، فلو لم يكونوا في هذا الحال مثابين على طاعة الله ورسوله لكان خلاف مدلول الخطاب ، فبين ذلك أنه وصف المؤمنين الذين أخرج هؤلاء منهم فقال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون** ﴾[الحجرات : ١٥] وهذا نعت محقق الايمان ، لا نعت من معه مثقال ذرة من ايمان ، كما في قوله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقا** .. ﴾ [الأنفال : ٢ - ٤] . وأمثال ذلك ، فدل البيان على أن الإيمان المنفي عن هؤلاء الأعراب ، هو هذا الايمان الذي نفى عن فُساق أهل القبلة الذين لا يخلدون في النار ، بل قد يكون مع أحدهم مثقال ذرة من ايمان ونفي هذا الايمان لا يقتضي ثبوت الكفر الذي يخلد صاحبه في النار .

وبتحقيق هذاالمقام يزول الاشتباه في هذاالموضع ،ويعلم أن في المسلمين قسما ليس هو منافقا محضا في الدرك الأسفل من النار ، وليس هو من المؤمنين الذين قيل فيهم .. ﴿ **أولئك هم المؤمنون حقا** ﴾ فلا هم منافقون ، ولا هم الصادقون المؤمنون حقا ولا من الذين يدخلون

الجنة بلا عقاب ، بل له طاعات ومعاصي وحسنات وسيئات ومعه من الايمان مالا يخلد معه في النار ، وله من الكبائر ما يستوجب دخول النار ، وهذا القسم قد يسميه بعض الناس ، الفاسق الملي ، وهذا مما تنازع الناس في اسمه وحكمه ، والخلاف فيه اول خلاف ظهر في الاسلام في مسائل أصول الدين »[١] .

ثم إنه ـ رحمه الله ـ اشار إلى أن من قال بترادف الايمان والإسلام فقوله ضعيف.، لأن هناك « قولين متطرفين ، قول من يقول الاسلام مجرد الكلمة والأعمال الظاهرة ليست داخلة في مسمى الاسلام ، وقول من يقول : مسمى الإسلام والايمان واحد ، وكلاهما قول ضعيف مخالف لحديث جبريل ، وسائر أحاديث النبي ـ ﷺ ـ ولهذا لما نصر محمد بن نصر القول الثاني لم يكن معه حجه على صحته ، ولكنه إحتج بما يبطل القول الأول ، فاحتج بقوله في قصة الأعراب : ﴿ **بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ان كنتم صادقين** ﴾ [الحجرات : ١٧] قال فدل ذلك على أن الإسلام هو الإيمان . فيقال : بل يدل على نقيض ذلك لأن القوم لم يقولوا : أسلمنا ، بل قالوا : آمنا ، والله أمرهم أن يقولوا : أسلمنا ثم ذكر تسميتهم بالاسلام فقال : ﴿ **بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين** ﴾ [الحجرات : ١٧] في قولكم آمنا ، ولو كان الإسلام هو الايمان لم يحتج أن يقول : إن كنتم صادقين ، فإنهم صادقون في قولهم أسلمنا مع أنهم لم يقولوا ، ولكن الله قال : ﴿ **يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم** ﴾ [الحجرات : ١٧] اي يمنون عليك ما فعلوه من الإسلام، فالله تعالى سمى فعلهم اسلاماً ، وليس في ذلك ما يدل على أنهم سموه اسلاما ، وانما قالوا : آمنا ، ثم أخبر أن المنة تقع على الهداية إلى الإيمان ، فأما الاسلام الذي لا إيمان معه، فكان الناس يفعلونه خوفا من السيف ، فلا مِنّة لهم بفعله ، واذا لم يمن الله عليهم بالايمان كان ذلك كإسلام المنافقين فلا يقبله الله منهم ، فأما إذا كانوا صادقين في قولهم : آمنا فالله هو المآنّ عليهم بهذا الايمان ، وما يدخل فيه من الإسلام ، وهو سبحانه نفى عنهم الايمان أولاً وهنا علق مِنَّةَ الله به على صدقهم ، فدل على جواز صدقهم »[٢] .

---

(١) شرح حديث جبريل (ص : ٣١٠ - ٣١٣) .

(٢) انظر : كتاب الايمان (ص : ٥٨٢) من النص المحقق .

الرد الثالث :

استدل من قال بترادف الاسلام والايمان وانهما شيء واحد بأن الله مدح الاسلام بمامدح به الإيمان ، وشيخ الإسلام في رده على هذا ، يبين ان مراد من قال بذلك هو : « أن المسلم الممدوح هو المؤمن الممدوح وأن المذموم ناقص الاسلام والايمان وأن كل مؤمن فهو مسلم وكل مسلم لا بد أن يكون معه ايمان وهذا صحيح متفق عليه ومقصوده ايضا : أن من أطلق عليه الاسلام ، أطلق عليه الايمان وهذا فيه نزاع لفظي .

ومقصوده أن مسمى أحدهما هو مسمى الاخر ، وهذا لايعرف عن أحد من السلف .

وان قيل هما متلازمان ، فالمتلازمان لا يجب أن يكون مسمى هذا هو مسمى هذا ، حيث أنه لم ينقل عن أحد من الصحابة ولا التابعين انهم قالوا : مسمى الإيمان هو مسمى الاسلام ثم أهل السنة يقولون : الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة معهم بعض ذلك وانما النزاع في اطلاق الاسم .

لكن لما كان الجمهور الأعظم يقولون : ان الإسلام هو الدين كله ليس هو الكلمة فقط ، خلاف ظاهر لما نُقِلَ عن الزهري ، فكانوا يقولون : إن الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من الأفعال المأمور بها هي من الإسلام كما هي من الايمان أقول ظن أنهم يجعلونها شيئا واحداً ، وليس كذلك ، فإن الايمان مستلزم للإسلام باتفاقهم ، وليس اذا كان الإسلام داخلا فيه يلزم انه يكون هو إياه .

وأما الاسلام فليس معه دليل على أنه يستلزم الايمان على الاطلاق ، ولكن هل يستلزم الايمان الواجب أو كمال الإيمان ؟ فيه نزاع وليس معه دليل أيضاً على أنه مستلزم للإيمان ... ولو قدر ان الإسلام يستلزم الإيمان الواجب فغاية ما يقال : أنهما متلازمان ، فكل مسلم مؤمن وكل مؤمن مسلم ، وهذا صحيح إذا أُرِيدَ أن كل مسلم يدخل الجنة معه الايمان الواجب ، وهو متفق عليه اذا اريد أن كل مسلم يثاب على عبادته فلا بد أن يكون معه أصل الايمان فما من مسلم الا وهو مؤمن ، وان لم يكن هو الإيمان الذي نفاه النبي - ﷺ - عمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وعمن يفعل الكبائر وعن الأعراب وغيرهم . فإن قيل: إن الإسلام والإيمان التام

متـلازمان ، لم يلزم ان يكون أحـدهما هو الآخر كـالروح والبدن فلا يـوجد عندنا روح إلا مع البدن ولا يوجـد بدن حي الا مع الروح وليس أحدهمـا هو الآخر ، فـالإيمان كالروح فـانه قائم بالروح ومـتصل بالبـدن ، والإسلام كـالبدن ، ولا يكون البـدن حيـا الا مع الروح بمعنى أنهـما متلازمـان ، لا أن مسمى أحدهمـا هو مسمى الآخر ، واسـلام المنافقين كبدن الميـت جسد بلا روح فما من بدن حي إلا وفيه روح ولكن الأرواح متنوعة(١) .

الرد الرابع :

سبق أن بينا أن من استدل على قوله بترادف الاسلام والايمان استدل بقوله تعالى : ﴿ إن الدين عن الله الإسلام﴾ [آل عمران : ١٩) وقوله تعالى : ﴿ ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة : ٣] وذكر أنها تدل على أن الإيمان والاسلام سواء .

فرد عليهم شيخ الإسلام بأن هذه الآيـات جاءت: « لتدل على وجوب الاسلام وانه دين الله وانه يحـبه ويـرضاه ، وانه ليس له دين غـيـره ، وهذا كله حق ، لكن ليس في هذا مـا يدل علي أن الإسـلام هو الإيمان ، بل يدل على أنه بمجرد الاسـلام يكون الرجل من أهل الجنة كـما ذكـره في حجـة القول الأول ، وأن الله وعـد المؤمنين بالجنة في غـيـر آية ولم يذكر هذا الوعـد باسم الإسلام ، وحينئذ فمدحه وايـجابه ومحبة الله له تدل على دخوله في الإيمان ، وانه بعض منه وهذا مـتفق عليه بين أهل السنة كلـهم ، يقولون : كل مـؤمن مـسلم وكل من أتى بالإيمان الواجب فقد أتى بالاسلام الواجب لكن النزاع في العكس ، ثم ذكـر الشيخ أن جميع ما احتج به من يقول بالترادف من الحجة عن النبي - ﷺ - فإن فيها التفريق بين مسمى الإيمان والإسلام إذا ذكرا جميـعا كما في حديث جبـريل وغيره ، وفيها أيضـا أن إسم الايمان إذا أطلق دخل فيه الاسلام(٢) .

الرد الخامس :

سبق أن بـينا أيضاً أن من قـال بترادف الايمان والإسلام اسـتدل بأن الله سـمى الايمان بما سمى به الاسـلام ، وسمى الإسـلام بما سمى به الإيمان ورد شـيخ الإسلام هذا الاسـتدلال بأن

---

(١) كتاب الإيمان (ص : ٥٦٩ - ٥٧٠) من النص المحقق .

(٢) كتاب الإيمان (ص : ٥٧١ - ٥٧٢) من النص المحقق .

الواقع ليس كذلك « فإن الله ورسوله قد فسّر الايمان بأنه الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر ، وبين أيضاً أن العلم بما أمر يدخل في الإيمان ، ولم يسم الله الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت إسلاماً ، بل إنما سمى الإسلام بالاستسلام له بقلبه وقصده وإخلاص الدين والعمل بما أمر به ، كالصلاة والزكاة خالصاً لوجهه ، فهذا الذي سماه الله إسلاماً وجعله دينا فقال :﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه** ﴾ [آل عمران : ٨٥] ولم يدخل فيه ما خص به الإيمان ، وهو الإيمان بالله وملائكته وأنبيائه ورسله ، بل ولا أعمال القلوب مثل حب الله رسوله ونحو ذلك . فإن هذه جعلها الله من الإيمان ، والمسلم المؤمن يتصف بها وليس اذا اتصف بها المسلم المؤمن يلزم أن تكون من الإسلام ، والإسلام فرض ، والإيمان فرض ، بل هي من الإيمان ، والإسلام داخل فيه ، فمن أتى بالإيمان الذي أمر به فلا بد أن يكون قد أتى بالإسلام المتناول لجميع الأعمال الواجبه ، ومن أتى بما يسمى إسلاماً لم يلزم أن يكون قد أتى بالإيمان إلا بدليل منفصل .

كما عُلِمَ أن من ما أثنى الله عليه به الإسلام من الأنبياء وأتباعهم إلى الحواريين كلهم كانوا مؤمنين كما كانوا مسلمين كما قال تعالى : ﴿ **وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون** ﴾ [المائدة : ١١١] . وقال في الآية الأخرى : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ [آل عمران:٨٥] .

وهذا يقتضي أن كل من دان بغير دين الإسلام فعمله مردود وهو خاسر في الآخرة فيقتضي وجوب دين الإسلام وبطلان ما سواه لا يقتضي أن مسمى الدين هو مسمى الإسلام بل أمرنا أن نقول آمنا بالله ، وأمرنا أن نقول : ونحن له مسلمون فأمرنا باثنين ، فكيف نجعلهما واحداً »[1] .

الرد السادس :

سبق أن بينا أنه مما استدل به من قال بترادف الايمان والإسلام أن الله تعالى بين في كتابه وسنة رسوله أن الإسلام والايمان لا يفترقان فمن صدق بالله فقد آمن ، ومن آمن بالله فقد

---

(١) كتاب الإيمان (ص : ٦٣٤ - ٦٣٥) من النص المحقق .

خضع له وأسلم له ومن صام وصلى وقام بفرائض الله وانتهى عما نهى الله عنه فقد استكمل الايمان والإسلام المفترض عليه ومن ترك من ذلك شيئا فلن يزول عنه اسم الايمان والإسلام إلا أنه انقص من غيره في الإسلام والايمان من غير نقصان من الإقرار بأن بالله حق وما قاله حق لا باطل .. إلخ ولكن ينقص من الإيمان الذي هوتعظيم لله وخضوع للهيبة والجلالة والطاعة للمصدق به وهو الله فمن ذلك يكون النقصان لإن الإقرار .

فرد عليهم شيخ الإسلام بأن ما ذكره يدل على أن من أتي بالإيمان الواجب فقد أتى بالإسلام وهذا حق ، ولكن ليس فيه ما يدل على أن من أتى بالإسلام الواجب فقد أتى بالإيمان.

وقولهم من آمن بالله فقد خضع له واستسلم له حق كذلك ، لكن ليس فيه ما يدل على أن من أسلم لله وخضع له فقد آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله .....

وقولهم : أن الله ورسوله قد بيّن أن الإسلام والايمان لا يفترقان ، إن أرادوا أن الله أوجبهما جميعا ونهى عن التفريق بينهما ، فهذا حق أيضاً ، وإن أرداوا أن الله جعل مسمى هذا هو مسمى هذا ، فنصوص الكتاب والسنة تخالف ذلك وما ذكر فيهما نص واحد يدل على اتفاق المسميين .

وكذلك قولهم: من فعل ما أمر به وانتهى عما نهى عنه ، فقد استكمل الإيمان والإسلام، فهذا صحيح ، إذا فعل ما أمر به باطنا وظاهرا ويكون قد استكمل الايمان والإسلام الواجب عليه ولا يلزم أن يكون ايمانه وإسلامه مساويا للايمان والاسلام الذي فعله أولي العزم من الرسل ... بل كان معه من الايمان ما لا يقدر عليه غيره ممن ليس كذلك ، ولم يؤمر به.

وقولهم من ترك من ذلك شيئا فلن يزول عنه اسم الإسلام والايمان إلا أنه أنقص من غيره في ذلك .

فيقال : إن أريد بذلك أنه بقى معه شيء من الإسلام والايمان فهذا حق ، كما دلت عليه النصوص خلافا للخوارج والمعتزلة .

وإن أريد أن يطلق عليه بلا تقييد مؤمن ومسلم في سياق الثناء والوعد ، فهذا خلاف الكتاب السنة ، ولو كان لدخلوا في قوله تعالى : ﴿ **وعد الله المؤمنين المؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ [التوبة : ١٢] ، وأمثال ذلك مما وعدوا فيه بالجنة بلا عذاب .

وكذلك قولهم : لا يكون النقصان من إقراره بأن الله حق وماقاله صدق . فيقال : بل النقصان يكون في الايمان الذي في القلوب من معرفتهم ، ومن علمهم فلا تكون معرفتهم وتصديقهم بالله وأسمائه وصفاته وما قاله من أمر ونهي و وعد ووعيد كمعرفة غيرهم وتصديقه لامن جهة الأجمال والتفصيل ولامن جهة القوة والضعف، وهذه الأمور كلها داخلة في الايمان بالله وبما أرسل به رسوله فكيف يكون الإيمان بالله وأسمائه وصفاته متماثلاً في القلوب ؟

فلا يمكن مسلماً أن يقول: إن الايمان بذلك ليس من الايمان به ولا يدعى تماثل الناس فيه.

وأما ما ذكروه من أن الإسلام ينقص كما ينقص الإيمان ، فهذا أيضاً حق ، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة . فإن من نقص من الصلاة والزكاة والصيام والحج شيئا فقد نقص إسلامه بحسب ذلك ، ومن قال : إن الإسلام هو الكلمة فقط وأراد بذلك انه لا يزيد ولا ينقص فقوله خطأ ، وردُ الذين جعلوا الإسلام والايمان سواء، إنما يتوجه إلى هؤلاء، فإن قولهم فيالإسلام يشبه قول المرجئة في الإيمان،ولهذا صار الناس في الإيمان والاسلام على ثلاثة أقوال:

- فالمرجئة يقولون الاسلام أفضل ، فإنه يدخل فيه الإيمان.
- وآخرون يقولون الايمان والاسلام سواء وهم المعتزلة والخوارج وطائفة من أهل الحديث والسنة ، وحكاه محمد بن نصر عن جمهورهم وليس كذلك .
- والقول الثالث : أن الايمان أفضل وأكمل وهذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة في غير موضع وهو المأثور عن الصحابة والتابعين لهم باحسان[1] .

الرد السابع :

سبق أن بينا كذلك أن من قال بترادف الإسلام والإيمان استدل بقوله تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾ [البينة:٥] وقوله :﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ [آل عمران : ١٩٠] .

قالوا : فسمى الله إقام الصلاة وايتاء الزكاة ديناً قيماً وسمى الدين إسلاماً فمن لم يؤد الزكاة فقد ترك من الدين القيم بعضا ، وقد أجمعت هذه الطائفة التي فرقت بين الإسلام

(١) كتاب الإيمان (ص : ٦٣٦ - ٦٣٩) من النص المحقق .

والايمان، على أن الإيمان قول وعـمل فمن زعم أن الإسلام هو الإقرار وأن العمل لـيس منه فقد خالف الكتاب والسنة ولا فرق بينه وبين المرجئة اذ زعمت أن الإيمان إقرار بلا عمل .

فـرد شـيخ الإسلام عـليه بكـلام طويل هذا ملخـصه : « أمـا قـوله إن الله جـعل الصـلاة والزكاة من الدين ، والدين عنده هو الإسلام ، فهذا كلام حسن موافق لحديث جبريل ، ورده على من جعل الـعمل خارجـاً من الإسلام ، كلام حـسن ، وأما قوله : إن الـله سمى الإيمان بما سمى به الإسـلام وسمى الإسلام بما سـمى به الإيمان ، فليس كذلك ، فـإن الله انما قال : ﴿ **إن الدين عـند الله الإسـلام** ﴾ [آل عـمـران : ١٩] ، ولم يـقل قط إن الدين عنـد الله الايمان ، ولكن هذا الدين من الإيمان ، وليس إذا كان منه يكون هو إياه . فإن الإيـمـان أصله معرفة القلب وتصديقه .

وقوله : والعمل تابع لهذا العلم ، والتصديق مـلازم له لا يكون العبد مؤمناً إلا بهما ، وأما الإسلام فهو عمل محض مع قول ، والعلم والتـصديق ليس هو جزء مسماه ، لكن يلزمه جنس التصديق ، فلا يكون عمل إلا بعلم ، لكن لا يستلزم الايمان المفصل الذي بينه الله رسوله كما قال تعـالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالـله ورسـولـه ثم لم يرتـابوا وجـاهـدوا بأمـوالـهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون** ﴾ [الحجرات : ١٥] .

وسـائر النصوص التي تنفـي الايمان عمن لم يتـصف بما ذكـره ، فإن كـثيـراً من المسلمين مسلم باطناً وظاهراً ، ومعه تصديق مجمل ولم يتصف بهذا الايمان ، والله تعالى قال : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه** ﴾ [آل عمران : ٨٥] ... لم يقل ومن يبتغ غير الإسلام علما ومعرفة وتصديقا وايماناً ولا قال ورضيت لكم الإسلام تصديقاً وعلماً .

فـإن الإسلام مـن جنس الدين والعلم والطاعـة والانقـياد والخـضـوع ، فـمن ابتغـى غيـر الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، والايمان طمأنينة ويقين وأصله علـم وتصديق ومعرفة والدين تابع له يقال : آمنت بالله وأسلمت لله فلوكان مسماهمـا واحداً كان هذا تكريرا وكذلك قوله تعالى: ﴿ **ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات** ﴾ [الأحزاب:٣٥] كما قا ل: ﴿ **والصادقين**

والصابرين والخاشعين ﴾ فالمؤمن متصف بهذا كله ، لكن هذه الأسماء لا تطابق الايمان في العموم والخصوص(١) .

أما قولهم : فمن زعم أن الإسلام هو الإقرار وأن العمل ليس منه فقد خالف الكتاب والسنة . قال شيخ الإسلام : « هذا صحيح ، فإن النصوص كلها تدل على أن الأعمال من الإسلام واعترض شيخ الإسلام على قولهم السابق بأنه لا فرق بينه وبين المرجئة ، إذ زعمت المرجئة أن الإيمان اقرار بلا عمل ، فرد شيخ الإسلام فقال : بل بينهما فرقاً وذلك أن هؤلاء الذين قالوا من أهل السنة كالزهري ومن وافقه يقولون : الأعمال داخلة في الايمان ، والإسلام عندهم جزء من الايمان ، والإيمان عندهم أكمل ، وهذا موافق للكتاب والسنة ، ويقولون : الناس يتفاضلون في الايمان وهذا موافق للكتاب والسنة والمرجئة يقولون: الايمان بعض الإسلام، والاسلام أفضل، ويقولون: ايمان الناس متساوى، فإيمان الصحابة وأفجر الناس سواء ، ويقولون: لا يكون مع أحد بعض الايمان دون بعض ، وهذا مخالف للكتاب والسنة(٢) .

وبعد هذا يظهر لنا أن القول الراجح في هذه المسألة هو القول بعدم الترادف بين الإسلام والايمان ، وانهما اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا ، وأن لكل منهما حقيقته الشرعية ، كما أن لكل منهما حقيقته اللغوية ، لكن كل منهما مستلزم للآخر ، بمعنى التكميل وهذا الذي ذهب اليه جمهور أهل السنة والجماعة ، وهو الذي تدل عليه النصوص لأن غاية ما يقال للتقريب بين الآراء في هذه المسألة : ان يقال : من قال بالترادف إنما قاله مبالغة منه في قوة ارتباط الإسلام بالإيمان ، حتى كأنهما ـ في نظره ـ شيء واحد ، ومن قال بأن الإسلام الكلمة والايمان العمل ، فإنه لم يرد الكلمة مجردة من توابعها المذكورة في حديث جبريل ، وإنما أرادها مع توابعها ولم يرد أنهما متغايران بحيث يمكن انفكاك أحدهما عن الاخر في الاعتبار الشرعي ، وعليه فإن الذي ذهب اليه جمهور أهل السنة والجماعة أجمع لجميع الآراء وأبعد عن التعبيرات التي قد توهم اعتقاداً لم يقصده السلف ، مما قد يؤدي إلى انكار النصوص الشرعية الواردة في ذلك مع ملاحظة أن الخلاف في هذه المسألة خلاف (لفظي) شكلي صوري إذ أن الجميع ـ كما سبق ـ متفقون على أن العمل لا بد منه ، وأن الإيمان لا قيمة له إذا لم يتبع بالعمل

---

(١) كتاب الإيمان (ص : ٥٨٤ ـ ٥٨٥) من النص المحقق .

(٢) كتاب الإيمان (ص : ٥٨٦ ـ ٥٨٧) من النص المحقق .

وكلهم يقولـون بنقصان الايمان اذا قُـصرَ في العمل وزيادته حـتى درجة الكمـال اذا حافظ المرأ على جميع المأمورات واجتنب جميع المنهيات .

وكـلاهما لا يخـرجون أهل المعـاصي من الإيمان إلى الكفـر ، حتى الذين قـالوا : إن أهل الكبـائر يخرجـون من الإيمان إلى الإسلام ، لم يقـولوا : إنه لم يبق معـهم من الإيمان شيء ، بل هذا قول الخـوارج والمعتزلة ، وأهل السنة يقـولون الفساق : يخـرجون من النار بالشفـاعة ، وأن معهم إيماناً يخرجون به من النار كما ذكرت ذلك النصوص ، لكن لا يطلق عليهم اسم الايمان المطلق ، لأن الايمان المطلق هو الذي يستـحق صاحبه الثواب ودخـول الجنة بلا عذاب ، وأيضاً يتـفق أهل السنة على أن من لزمه اسم الايمان مـن أهل الكبائر يدخل في خطاب الأمـر والنهي وتجب به الفرائض والحدود لأنه يشمل كل من دخل الايمان .

الفصل الرابع

مسألة زيادة الإيمان ونقصانه

ويتكون من مبحثين :

المبحث الأول : قول أهل السنة والجماعة وأدلتهم على زيادة الإيمان ونقصانه

المبحث الثاني : أقوال الفرق والطوائف في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه

المبحث الأول : قول أهل السنة والجماعة وأدلتهم على زيادة الإيمان ونقصانه :

لا شك أن الناس على درجات من التفاوت في الأعمال ، إذا لايمكنهم التساوي في الاتيان بها علي الوجه المطلوب ، وذلك لتفاوت استعدادهم في تقبل ما يصل إليهم من التكاليف ، فمنهم من يبلغ من الكمال درجة يستطيع معها تنفيذ أوامر الشريعة واجتناب منهياتها التي نهى عنها الشارع ، فهو يتقبل التشريع الرباني ويصدق قلبه تصديقاً جازماً ويقر بجميع ما طلب منه الشارع الحكيم فيستمر ذلك العمل بلا تفريط ثم أنه لا يقف على هذا فحسب بل يطلب منزلة أكمل ومكانة أعلى فيحرص على نوافل حث عليها الشارع استحباباً لا ايجاباً ، مثل اماطة الأذى عن الطريق والصدقات على الفقراء ومواساة أهل المصائب وغيرها من مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال .

وصنف شارك هؤلاء في امتثال الأوامر واجتناب المناهي إلا أنه اقتصر عليها ولم يتعداها إلى النوافل .

وصنف آخر لم يمتثل كل الواجبات بل قصّر في بعضها تهاوناً ، وقادته الشهوة الجامحة إلى فعل بعض المحرمات .

فهؤلاء أصناف ثلاثة على درجات متباينة من الاجتهاد في إدراك متطلبات الايمان وهذا أمر واقع يقر به جميع العقلاء ولا يمكن لعاقل أن يسوي بين الأول والأخير والتفاوت بينهما واضح جلي أوضح من أن يدل عليه دليل .

من هذا الواقع المحسوس أدرك أئمة السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ هذا الأمر في الايمان وأعماله ، فكان قولهم في الايمان على تفاوت الناس في أداء ما أنيط بهم وأنزل لهم ربهم الذي له الخلق والأمر ، فأجمعوا على القول بأن الايمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

فمن أتى بجميع ما أمر الله به من الأقوال والأعمال ، واجتنب ما أمر باجتنابه منها لا شك أنه أكمل ايماناً ممن فرط في شيء من ذلك ، وعلى ذلك فايمان أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ أكمل من إيمان غيرهم من الصحابة ، كما أن الرسول ـ ﷺ ـ أكمل الأمة ايماناً بل أكمل البشرية كلها . وهذاما أجمع عليه أئمة السلف إلا ما أثر عن الإمام مالك وذلك أنه أثر عنه روايتان قال في :

إحداهما : أن الإيمان يزيد ، أما النقصان فتوقف فيه وطلب من السائل أن يكف عن السؤال عنه لأنه لم يجد عليه دليلاً من الكتاب والسنة .

الثانية : أنه قد جاءت عنه روايات من طرق صحيحة قال فيها : أن الإيمان يزيد وينقص كقول بقية أهل السنة والجماعة سواء .

فقد جاءت روايات عن الإمام مالك تذكر موقفه منها ما أخرجه ابن عبد البر في كتاب الانتقاء قال : « قال الدولابي وأخبرنا يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال : سئل مالك بن أنس عن الإيمان ؟ فقال : قول وعمل فقلت : يزيد وينقص ؟ قال : قد ذكر الله سبحانه في غير أي من القرآن أن الإيمان يزيد . فقلت له : اينقص ؟ دع الكلام في نقصانه وكُفَّ عنه ، فقلت : بعضه أفضل من بعض ؟ قال : نعم »[١] .

وهذا اسناد صحيح ، الدولابي هو أبو البشر محمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الإمام الحافظ الورع أحد الأئمة من حفاظ الحديث . توفي سنة (٣٢٠هـ)[٢] ، ويونس بن عبدالأعلى هو أبو موسى الصدفي المصري ، ثقه من صغار الطبقة العاشرة توفي سنة (٢٦٤هـ) وهو من رجال مسلم[٣] .

وابن وهب هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم أبو محمد المصري ، ثقة حافظ عابد ، من الطبقة التاسعة توفى سنة (٢٩٧هـ) أخرج له الشيخان وأصحاب السنن[٤] .

وقد نقل هذه الرواية شيخ الإسلام في كتاب الايمان[٥] .

وقال ابن عبد البر : « وقد روى ابن القاسم عن مالك ان الايمان يزيد ووقف في نقصانه»[٦] .

---

(١) انظر الانتقاء : (ص : ٣٣) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٠٩) .

(٣) انظر : التقريب (٢ / ٣٨٥) .

(٤) انظر التهذيب (٦ / ٥٦) .

(٥) كتاب الإيمان (ص : ٣٤٩ ، ٥١٥) من النص المحقق .

(٦) انظر : التمهيد (٩ / ٢٥٢) ، وانظر : المصدر السابق .

وقـال القاضي عـياض : « قـال ابن القاسم كـان مـالك يقـول : الايمان يزيد وتوقف في النقصان وقال ذكر الله زيادته في غيرموضع فدع الكلام في نقصانه وكف عنه[١] .

يتضح من النقل السابق أنه نقل صحيح وأفاد ذلك النقل أن الإمام مالك توقف عن القول بالنقصـان ولعل له في ذلك سبباً وهو عدم بلوغ النص إليـه ، وقيل : أنه نظر إلى أن التـصديق بالله تعـالى ورسولـه لا ينقص لأنه يصيـر شكاً ويخـرج عن اسم الإيمان[٢] . وقـيل : إنما توقف مالك عن الـقول بنقصـان الإيمان خشـية أن يتأول عليـه موافـقة الخوارج ، الذين يـكفرون أهل المعاصي من المؤمنين بالذنوب[٣] .

وقـال شيـخ الإسلام : « وكـان بعض الفـقـهاء من أتـباع التـابعين لم يوافـقـوا في اطلاق النقـصـان عليـه لأنهم وجدوا ذكـرالزيادة في الـقرآن ولم يجـدوا ذكـر النقص ، وهذا إحـدى الروايتين عن مالك »[٤] .

هذا ما اعتذر به من نقل كلام الإمام مالك فيما نقل عنه وقد ثبت عنه أيضا ـ رحمه الله ـ أنه يقول بالزيادة والنقصان فمن ذلك :

ـ ما أخرجه عبد الرزاق قال :سمعت مـعمراً وسفيان الثوري ومالك بن أنس وابن جريح وسفيان الثوري يقولون : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص[٥] .

ـ وقـال أيضـا : « لقيت اثنـين وستين شـيـخاً منهم معـمـر .... ومـالك بن أنس كلهم يقولون : الايمان قول وعمل يزيد وينقص[٦] .

ـ ومن ذلك أيضا ما قاله أحمد بن القاسم قال : تذكرنا من قال الإيمان يزيد وينقص فعد الإمام أحمد غيرواحد . ثم قال : ومالك بن أنس يقول يزيد وينقص فقلت له أن مالكاً يحكون عنه أنه قال يزيد ولا ينقص فقال بلى قد روى عنه يزيد وينقص .

---

(١) انظر : ترتيب المدارك (٢ / ٤٣) ، وسير أعلام النبلاء (٨ / ١٠٢) .

(٢) انظر : شرح النووي لصحيح مسلم (١/ ١٤٦) .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) مجموع الفتاوى (٧ / ٥٠٦) .

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمـد في كتاب السنة (١/ ٣٤٢) واللالكائي فـي شرح أصول اعتـقاد أهل السنة (٥ / ٩٥٧) وذكره ابن عبد البر في التمهيد (٩ / ٢٥٢) .

(٦) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥ / ٩٥٨) .

كان ابن نافع يحكيه عن مالك فقلت له ابن نافع يحكيه عن مالك ؟ قال : نعم[1] .

ـ ومن ذلك أيضا رواية معن بن عيسى بن يحيى الأشجعي المدني القزاز الثقة أثبت أصحاب مالك نقل عنه انه قال بالزيادة والنقصان فيما نقله ابن عبد البر في التمهيد وشيخ الإسلام في كتابنا هذا[2] .

ـ ومن ذلك أيضاً رواية سويد بن سعيد بن سهل الهروي قال : سمعت مالك بن أنس وحماد بن زيد ... وجميع من حملت عنهم العلم يقولون : الايمان قول وعمل يزيد وينقص...»[3] .

فالقول إذا بالزيادة والنقصان ثابت عنه من طرق صحيحة متعددة ، وقد ذكر الحافظ ابن عبد البر في كتاب التمهيد بعد أن أشار إلى رواية ابن القاسم المتقدمة قال : « وروى عنه عبد الرزاق ومعن بن عيسى وابن نافع وابن وهب : « أنه يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وعلى هذا مذهب الجماعة من أهل الحديث »[4] .

ولهذا لما اطلع شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن أشار إلى موقف مالك في النقصان قال : « والرواية الأخرى عنه ، وهو المشهور عند أصحابه كقول سائرهم أنه يزيد وينقص »[5] فلا يشك أن شيخ الإسلام لا يقول ذلك إلا لأنه اطلع على ما نقل عنه من أنه يقول بأن الايمان يزيد وينقص .

هذا هو موقف السلف في مسألة زيادة الايمان ونقصانه ، وموقف الامام مالك وهو واحد منهم قيل عنه انه يقول الايمان يزيد وتوقف في نقصانه ونقل عنه ولعله ما نقل هو ما أقر به لما بلغته نصوص النقصان ، فقال به وشهد عليه بذلك كل من نقل كلامه .

---

(١) أخرجه الخلال في كتاب السنة (٢ / ٦٩٣) وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١/ ٣١٧) .

(٢) انظر : التمهيد (٩ / ٢٥٢) ، كتاب الايمان ((ص : ٥١٢) .

(٣) أخرجه البيهقي في السنن (٢٠٦/١٠) .

(٤) التمهيد (٩ / ٢٥٢) .

(٥) انظر : مجموع الفتاوى (٧ / ٥٠٦) .

أدلة أهل السنة والجماعة على زيادة الإيمان ونقصانه :

لقد استدل أئمة السلف بالكتاب والسنة والاجماع على ماذهبوا إليه في قولهم بزيادة الايمان ونقصانه فمن المعلوم أنه قد جاء في الكتاب والسنة نصوص كثيرة تدل على زيادة الايمان ونقصانه ، وأن أهله متفاضلون فيه وأن بعضهم أكمل ايمانا من بعض فمنهم السابق بالخيرات ، ومنهم المقتصد ومنهم الظالم لنفسه فهم في الدين ليسوا سواء في مرتبة واحدة منهم المحسن ومنهم المؤمن ومنهم المسلم وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقد استدل أئمة السلف بأدلة زيادة الايمان على نقصانه وكذلك العكس لأنه من المعلوم أنه ما من دليل يدل علي نقصان الايمان إلا يدل علي الزيادة ، وما من دليل يدل على الزيادة إلا ويدل على النقصان باللزوم ، لأن الزيادة تستلزم النقص فقد كان هذا هو صنيع الامام البخاري - رحمه الله - حيث يقول الحافظ بن حجر عنه بعد أن تكلم عن منهجه في كتاب الايمان من صحيحه واستدلاله بالآيات المصرحة بزيادة الايمان في باب مسألة زيادة الايمان ونقصانه مستدلا بآيات الزيادة على النقصان . قال الحافظ عن الامام البخاري : « ثم شرع المصنف يستدل لذلك بآيات من القرآن مصرحة بالزيادة ، وبثبوتها يثبت المقابل ، فإن كل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة »(1) .

وقال البيهقي في كتابه شعب الايمان بعد أن ذكر جملة من الآيات التي تتكلم عن زيادة الايمان قال : « فثبت بهذه الآيات أن الايمان قابل للزيادة و اذا كان قابلا للزيادة فعدمت الزيادة كان عدمها نقصانا »(2) .

نخرج من ذلك أن كل دليل يدل على زيادة الايمان يُعَدُ دليلا على نقصان الايمان لزوما ، وكذلك العكس ولقد تنوعت أدلة القرآن الكريم فمنها ايات فيها التصريح بزيادة الايمان ونقصانه فقد ورد في القرآن ستة مواضع جاء فيه االتصريح بزيادة الايمان .

- وذلك في قوله تعالى : ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

---

(١) فتح الباري (١ / ٤٧) .

(٢) انظر : شعب الايمان (١/ ١٦٠) .

- وقوله تعالي : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾[الأنفال : ٢] .

- وقوله تعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ﴾[التوبة : ١٢٤] .

- وقوله تعالى : ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ﴾[الأحزاب : ٢٢] .

- وقوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً ﴾[الفتح : ٤] .

- وقول تعالى : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ﴾[المدثر : ٣١] .

بهذه الآيات السابقة قد استدل بها أئمة السلف على زيادة الإيمان ونقصانه (١) .

فقد قيل لسفيان بن عيينه : الإيمان يزيد وينقص؟ قال: أليس تقرأون ﴿ فزادتهم إيماناً ﴾ [آل عمران : ١٧٣] في غيرموضع قيل : ينقص ؟ قال : ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص »(٢)

وكذلك فعل الامام البخاري فقد أورد بعض الآيات السابقة في باب زيادة الايمان ونقصانه وقال ابن بطال عند شرح ذلك الباب : « مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها ، ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص ، والحجة على زيادته ونقصانه ، ما أورده البخاري من الآيات - أي المصرحة بزيادة الايمان - ثم قال : فإيمان من لم تحصل له الزيادة ناقص »(٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية شارحا بعض تلك الآيات و مبينا أنها تدل على الزيادة والنقصان قال : « والزيادة - أي زيادة الايمان - قد نطق بها القرآن في عدة آيات كقوله تعالى :

---

(١) انظر : كتاب الشريعة للاجري (٢/ ٦٠٣) .

(٢) أخرجه الآجري في كتاب الشريعة (٢/ ٦٠٥) ، وابن بطة في الإبانة (٢/٧٣٧) .

(٣) انظر : شرح النووي على مسلم (١/ ١٤٦) .

﴿ إنما المؤمنون الذين إذاذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ [الأنفال ٢] وهذه الزيادة إذا تليت عليهم الآيات أي وقت تليت ، ليس هو تصديقهم بها عند النزول ، وهذا أمر يجده المؤمن اذا تليت عليه الآيات زاد قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الايمان ما لم يكن ، حتى كأنه لم يسمع الآية إلا حينئذ ، ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرهبة من الشر ما لم يكن ، فزاد علمه بالله ومحبته لطاعته وهذه زيادة الايمان .

وقال تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ [آل عمران ١٧٣] فهذه الزيادة عند تخويفهم بالعدو، لم تكن عند آية نزلت فازداوا يقيناً وتوكلاً على على الله وثباتاً على الجهاد وتوحيداً بألا يخافوا المخلوق بل يخافون الخالق وحده . وقال تعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا * فأما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم ﴾ [التوبة : ١٢٥ - ١٢٦] ، وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بأن الله أنزلها ، بل زادتهم ايماناً بحسب مقتضاها ، فإن كانت امرا بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة ، وأن كانت نهياً عن شيء انتهوا عنه فكرهوه ، ولهذا قال : وهم يستبشرون والاستبشار غير مجرد التصديق ... وقال تعالى : ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم ﴾ [الفتح : ٤] وهذه نزلت لما رجع النبي - ﷺ - وأصحابه من الحديبية فجعل السكينة موجبة لزيادة الايمان ، والسكينة طمأنينة في القلب ، غير علم القلب وتصديقه ... »[1] .

ب - وقدجاءت آيات فيها زيادة الهدى ومن المعلوم أن الهدى من الإيمان بدليل قوله تعالى : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٧] .

- من ذلك قوله تعالى : ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدي والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا ﴾ [مريم : ٧٦] ، وقوله تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ [محمد : ١٧] .

---

(١) كتاب الإيمان (ص : ٣٥٧ - ٣٥٩) .

يقول ابن جرير : « يقول الله تعالى ذكره ويزيد الله من سلك قصد المحبة واهتدي لسبيل الرشد ، فآمن بربه وصدّق بآياته فعمل بما أمر به وانتهى عما نهاه عنه ، هدى بما يتجدد له من الايمان بالفرائض التي يفرضها عليه ، ويقر بلزوم فرضها اياه ويعمل بها ، فذلك زيادة من الله في اهتدائه بآياته هدى على هداه »(١) .

جـ - وقد جاءت آيات في القرآن فيها خبر من الله بزيادة الخشوع وزيادة الخشوع دليل على زيادة الايمان بدليل قوله تعالى: ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ [المؤمنون : ١ - ٢] .

قال تعالى في وصف الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب : ﴿ **ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً** ﴾ [الإسراء : ١٠٩)] .

قال ابن جرير : « أي ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعاً يعني خضوعاً لأمر الله وطاعته واستكانة له »(٢) .

ويقول شيخ الإسلام : « أعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشيه الله تعالى ورجاؤه ونحو ذلك هي كلها من الايمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف وهذا يتفاضل الناس فيه تفاضلاً عظيما »(٣) .

د - من أنواع الأدلة على زيادة الايمان ونقصانه اخباره سبحانه وتعالى بتفضيل بعض المؤمنين على بعض بسبب طاعتهم له وسابقتهم في الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ونصرتهم لله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً** ﴾ [النساء : ٩٥] .

( ) تفسيرابن جرير (٩ / ١١٩) .

(٢) تفسير ابن جرير (٩ / ١٨١) .

(٣) كتاب الايمان (ص : ٣٦٧) .

وقال تعالى : ﴿ **لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير** ﴾ [الحديد : ١٠] .

يقول ابن بطه : « الله عز وجل لم يفضل الناس بعضهم على بعض برشاقة الأجسام ولا بصباحة الوجه ولا بحسن الزي وكثرة الأموال ولو كانوا بذلك متفاضلين لما كانوا عنده ممدوحين ، لأن ذلك ليس هو بهم ولا من فعلهم ، فعلمنا أن العلو في الدرجات والتفاضل في المنازل انما هو بفضل الايمان وقوة اليقين والمسابقة اليه بالأعمال الزاكية والنيات الصادقة من القلوب الطاهرة ... فهذا وأشباهه في كتاب الله يدل على زيادة الايمان ونقصانه وتفاضل المؤمنين بعضهم على بعض وعلوهم في الدرجات ... ولو كان الايمان كله واحداً لا نقصان له ولا زيادة ، لم يكن لأحد على أحد فضل ... وبذلك فضّل الله أوائل هذه الأمة على أواخرها ولو لم يكن للمتسابقين بالايمان فضل على المسبوقين للحق آخر هذه الأمة أولها في الفضل ولتقدمهم ... ولكن بدرجات الايمان قُدمَ السابقون وبالابطاء عن الايمان أُخرَ المقصرون ... فالايمان هو القول والعمل هو الطاعة ، والقول تبع للطاعة والعمل ، والناس يتفاضلون فيه على حسب مقادير عقولهم ومعرفتهم بربهم وشدة اجتهادهم في السبق بالأعمال الصالحة إليه » (١).

هـ - ومما يدل على زيادة الايمان ونقصانه ايضا إخباره تعالى بتفاضل درجات المومنين في الجنة وسبب ذلك تفاضلهم في الايمان فمن كان ايمانه أقوى وأشد كانت درجته في الجنة أعلى وأرفع ، قال الله تعالى عن المؤمنين ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم اياته زادتهم إيماناً وعلي ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ . ثم قال الله عنهم : ﴿ **أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند**

---

(١) الإبانة (٢ / ٨٣٦ - ٨٤٠) .

ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾[الأنفال : ٢ ـ ٤] . وقال أيضاً : ﴿ **انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً** ﴾[الاسراء : ٢١] .

فهذه الآيات وغيرها من أكبر الأدلة على زيادة الايمان ، ونقصانه ، لأن المؤمنين ليسوا سواء في إيمانهم بالله ، بل بعضهم أعظم وأشد وأقوى إيماناً من بعض . يقول شيخ الإسلام : «لا شك أن درجة المؤمن القوي في الجنة أعلى وأن كان كل منهم كمّل ما وجب عليه »[(١)] وهذا التفاوت الحاصل بينهم لا يكون إلا لأنهم متفاوتون في الايمان .

و ـ من أدلة القرآن على زيادة الايمان ونقصاه إخبار تعالى بأنه أكمل الدين وذلك في قوله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾[المائدة : ٣] . وقد استدل بهذه الآية الإمام البخاري على زيادة الإيمان ونقصانه ، حيث أورد هذه الآية مع آيات أخرى تحت الترجمة التي عقدها لبيان زيادة الايمان ونقصانه ، ثم أعقب تلك الآية بقوله: فإذا ترك شيئا من الكمال فهو ناقص قال الحافظ ابن حجر : « وأما الكمال فليس نصاً في الزيادة بل هو مستلزم للنقص فقط ، واستلزامه للنقص يستدعى قبوله للزيادة وبهذا يظهر وجه استدلال البخاري بها[(٢)] .

واستدل بهذه الآية أيضا أبو عبيد القاسم بن سلام حيث قال عقب ايراده لهذه الآية فقال: « فذكر جل ثناؤه إكمال الدين في هذه الآية ، وانما نزلت فيما يروى قبل وفاة النبي ـ ﷺ ـ بإحدى وثمانين ليلة ، فلوكان الايمان كاملاً بالاقرار ورسول الله ـ ﷺ ـ بمكة أول النبوة ... ما كان للكمال معنى ، وكيف يكمل شيئاً قد استوعبه وأتى على آخره »[(٣)] .

وقال شيخ الإسلام : « أكمل الله الدين بايجابه لما أوجبه من الواجبات التي آخرها الحج وتحريمه للمحرمات المذكورة في هذ الآية هذا من جهة شرعه ، ومن جهة الفعل الذي هو

---

(١) الايمان (ص : ٥٢٧) .

(٢) انظر : فتح الباري (١/ ١٠٣ ـ ١٠٤) .

(٣) الايمان لأبي عبيد (ص : ٦٢) .

تقـويته واعـانته ونـصره يئس الذين كـفـروا من ديننا ، وحج النبي ـ ﷺ ـ حجة الإسـلام فلما أكملوا الدين قـال عـقب ذلك : ﴿ **يسـألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيـبـات ومـا علّمتم من الجوارح مكلبين** ﴾[المائدة : ٤] ... إلى قوله : ﴿ **اليوم أكـملت لكم دينكم** ﴾ [المائدة : ٣] فكان إحـلالـه الطيـبـات يوم أكـمل الدين، فـأكـمله تحريماً وتحليـلاً لما أكـملوه امتثالاً»[(١)] .

يتضح مما سـبق أن أئمة أهل السنة والجماعـة يرون أن هذه الآية دليل على تفاضل الايمان في قلوب المؤمنين والإكمال لا يكون إلا عن نقص والنقص يقتـضي قبول الزيادة وهو ما نصت عليه الآية .

هذا بعض مما جـاء في القرآن الكريم مما يدل علي زيادة الايمان ونقـصانه وغيـرها كـثير مما يدل علي زيادة الايمان ونقصـانه من أمره سبحـانه وتعالى المؤمنين بالإيمان ، وتقسـيمه سبـحانه وتعالى عبـاده المومنين إلى ثلاث درجات الظالم لنفسـه ، والمقتصد ، السابق بـالخيرات ، وأنهم في الجنة ، واثباته سبحانه وتعالى في القرآن إسلاماً بلا إيمان .

وذلك في إخـباره عن الأعراب فـي قوله : ﴿ **قـالت الأعـراب آمنا قل لم تؤمـنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾ [الحجرات : ١٤] .

فالأعـراب المقصودون في الآية هم مـسلمون إلا أنهم لم يصلوا إلى درجة مـا إدعوه وهو الإيمان ، فلهذا نفاه الله عنهم وأثبت لهم الإسلام وحده[(٢)] .

واخباره سبـحانه وتعالى بأن الذنوب تُذْهِب الايمـان شيئـاً فشـيئاً حـتى يطبـع الله عليهـا من كـثرة الذنوب ، كـمـا في قوله تعـالى : ﴿ **بل ران على قلوبهـم مـا كـانوا يكـسـبـون** ﴾ [المطففين: ١٤] فقد جاء عن أئمة السلف من المفسـرين أن العبد يعمل الذنوب فتحيط بالقلب ثم ترتفع حـتى تغـشى القلب فـقدجـاء هذا المعنى عن ابن عـمـرو وحذيـفة ومـجـاهد وقتـادة وغيرهم[(٣)] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠ / ١٥٣) .

(٢) انظر كتاب الايمان (ص : ٢٣٠) .

(٣) انظر : تفسير الطبري (١٥ / ٩٨ ـ ١٠٠) .

ومما استدل به أئمة السلف من السنة ما قد ثبت عن النبي - ﷺ - في أحاديث كثيرة فيها دلالة ظاهرة علي زيادة الايمان ونقصانه فمن ذلك :

أ - حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهومؤمن لا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن** »(١) .

فهذا الحديث مع نظائره في الصحيح مع قول الله عز وجل : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ [النساء : ٤٨] مع اجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك ، لا يكفرون بذلك بل هم مؤمنون ناقصوا الايمان ، إن تابوا سقطت عقوبتهم ، وإن ماتوا مصرين على الكبائر ، كانوا تحت المشيئة فإن شاء الله عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولا ، وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة »(٢) .

ب - ومنها حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « **الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلهما قول لا إله إلا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق والحياة شعبة من الايمان** »(٣) .

ففي هذا الحديث كما يقول الخطابي : « بيان أن الايمان الشرعي ، اسم لمعنى ذي شعب واجزاء له أعلى وأدنى فالاسم - أي اسم الايمان - يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها ،والحقيقة تقتضي جميع شعبها وتستوفي جملة اجزائها ، كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها (٤) .

ولا شك أن هذه الشعب متفرعة إما عن أعمال القلوب أو أعمال اللسان أو أعمال الجوارح ونصيب العبد من الايمان بحسب نصيبه من هذه الشعب قلة وكثرة قوةً وضعفاً

(١) سيأتي تخريجه (ص : ١٤) من النص المحقق .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٦٥٣/١١) منهاج السنة (٢٩٧/٥) ، التمهيد لابن عبد البر (٩ / ٢٤٣) .

(٣) سيأتي تخريجه (ص : ١٨) من النص المحقق .

(٤) انظر : معالم السنن (٧ / ٤٢) ، وأعلام الحديث (١/ ١٤٤) .

تكميلاً وتقصيراً تماماً ونقصاً ، ولا شك أيضاً أن الناس متفاوتون في ذلك تفاوتاً واضحاً لأن قيامهم بهذه الشعب ليس على درجة واحدة ، بل بعضهم أكمل من بعض فمنهم المحسن ومنهم المقتصد ومنهم المسيء وهذا من أوضح الدلائل على زيادة الايمان ونقصانه وتفاضل أهله فيه .

جـ ـ ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **لا إيمان لمن لا أمانة له** »(١) .

فهذا الحديث دليل على أن من لا أمانة له فقد نقص فيه شيء من واجبات هذا الدين ، فيذهب عنه كمال الايمان الواجب وتمامه فيكون بذلك مؤمن ناقص الايمان(٢) يوضح هذا ما جاء عن عروة بن الزبير ـ رضي‌الله عنه ـ أنه قال : ما نقصت أمانة عبد قط إلا نقص إيمانه(٣) .

ولهذا لما سئل الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ مرة عن نقصان الايمان ، احتج بهذا ، قال الفضل ابن زياد : سمعت أبا عبد الله وسئل عن نقص الايمان فقال : حدثنا وكيع عن سفيان عن هشام ابن عروة عن أبيه قال : ما نقصت أمانة رجل إلا نقص إيمانه »(٤) .

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة المستفيضة التي استدل بها أئمة السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ على زيادة الايمان ونقصانه ويكفي الانسان أن يطلع على كتبهم ليجدها تمتلئ بالأحاديث الصحيحة والتي تدل على هذا الأمر دلالة واضحة لا لبس فيها ولا تأويل(٥).

أقوال أئمة أهل السنة والجماعة في زيادة الايمان ونقصانه :

لقد جاء عن أئمة السلف الصالح آثار كثيرة وصحيحة قرروا فيها ما جاء في الكتاب والسنة من حجج ودلالات على زيادة الايمان ونقصانه .

---

(١) سيأتي تخريجه (ص : ١٧) في النص المحقق .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٣) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/١٢) وفي الايمان (ص: ٦) وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١/ ٣٦٨) .

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/ ٦٠٩) ، وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١/٣١٠) ، وابن بطه في الابانة (٢/٧٣٩) .

(٥) انظر: الإبانة لابن بطه (٢/٨٢٩) الشريعة للآجري (٢/ ٥٨٠) كتاب السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣١٠) .

فقد قرروا أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص بل لقد حكى اجماعهم على ذلك غيرواحد من أهل العلم .

قال يحيى بن سعيد القطان : « ما أدركت أحدا من أصحابنا إلا على سنتنا في الايمان ويقولون : الايمان يزيد وينقص »(١) .

ـ وقال البخاري : « لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً يختلف في أن الإيمان : قول وعمل يزيد وينقص »(٢) .

ـ وقال ابن جرير : « أما القول في الإيمان هل هو قول وعمل يزيد وينقص أم لا زيادة فيه ولا نقصان ؟ فإن الصواب فيه قول من قال : هو قول وعمل يزيد وينقص وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسو لالله ـ ﷺ ـ وعليه مضى أهل الدين والفضل »(٣) .

ـ وقال ابن عبد البر : « أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والايمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية »(٤) .

وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان عن عدد من الصحابة والتابعين فمن ذلك قول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول لأصحابه : « هلموا نزدادا إيماناً وفي لفظ تعالوا نزداد ايمانا»(٥) .

وكان عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يقول في دعائه : « اللهم زدني إيماناً ويقيناً وفقهاً »(٦) .

---

(١) أخرج ذلك ابن هانئ في مسائله عن الإمام أحمد (٢ / ١٦٢) .

(٢) انظر : فتح الباري (١/ ٤٧) .

(٣) صريح السنة (ص : ٢٥) .

(٤) التمهيد (٩ / ٢٣٨) .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ٢٦) وفي كتاب الايمان (ً : ٣٦) والخلال في كتاب السنة (٥/٤٩) ، وابن بطه في كتاب الإبانة (٢ /٨٤٧) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥ /٩٤١) .

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (٣٦٨/١) ، والآجري في كتاب الشريعة (٥٨٥/٢) والخلال في كتاب السنة وابن بطة في كتاب الإبانة (٢ /٨٤٦) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أصل السنة (٩٤٢/٥) .

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أنه قال: « الإيمان يزيد وينقص »[١] .

وعن جندب بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال: « كنا مع رسول الله - ﷺ - فتياناً حزاوره فتعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا »[٢] .

- وكتب عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - إلى عدي بن عدي - أحد عماله على الجزيرة : « أما بعد فإن للإيمان حدوداً وشرائع وفرائض من استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان »[٣] يقول الحافظ ابن حجر : والغرض من هذا الأثر أن عمر بن عبد العزيز كان ممن يقول بأن الايمان يزيد وينقص حيث قال : استكمل ولم يستكمل[٤] .

وكتب حماد بن زيد إلى جرير بن عبدالحميد : « بلغني أنك تقول في الإيمان بالزيادة وأهل الكوفة يقولون بغير ذلك ، أثبت على ذلك ثبتك الله »[٥] .

وقال الإمام الشافعي : « الإيمان قول وعمل يزيد وينقص »[٦] .

وقال اسحاق بن راهوية : « الإيمان يزيد وينقص حتى لا يبقى منه شيء »[٧] .

هذه بعض أدلة السلف - أهل السنة والجماعة - في زيادة الايمان ونقصانه والآثار في هذا رواها المصنفون في هذا الباب عن الصحابة والتابعين في كتب كثيرة معروفة كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[٨] .

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (٣١٤/١) والخلال في كتاب السنة (٣٨/٤) ، وابن بطة في كتاب الإبانة (٢ / ٨٤٣ ، ٨٤٨) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل ا لسنة (٥ / ٩٤٤) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٣/١) وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١/ ٣٦٩) وابن منده في كتاب الايمان (٣٧٠/٢) وابن بطه في كتاب الابانة (٨٤٨/٢) .

(٣) أخرجه البخاري تعليقاً (٤٥/١) فتح الباري ووصله ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ٤٨) وفي كتاب الايمان (ص : ٤٥) وابن بطه في كتاب الإبانة (٢/ ٨٨٩) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٨٤٤) والبغوي في شرح السنة (١/ ٤٠) .

(٤) انظر : فتح الباري (١/ ٤٧) .

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥ / ٩٦١) .

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠ / ١١٥) والبيهقي في شعب الايمان (١/ ٨١) وفي مناقب الشافعي (١/ ٣٨٠) .

(٧) أخرجه الخلال في كتاب السنة (٢ / ٦٨٠) .

(٨) انظر : كتاب الإيمان (ص : ٣٥٣ - ٣٥٤) .

وجوه معرفة زيادة الايمان ونقصانه :

يمكن تلخيص وجوه معرفة زيادة الإيمان ونقصانه كما أوردها شيخ الإسلام على النحو التالي :

أولاً : الاجمال والتفصيل فيما أمروا به فإنه ولا شك أن الخلق وإن وجب عليهم الايمان بالله ورسوله ووجب على كل أمة إلتزام ما يأمر به رسولهم .

لأنه من المعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كاملاً ، ولا يجب على كل عبد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول ، - ﷺ - ما يجب على من بلغه خبره ، فمن عرف القرآن والسنن ومعانيها لزمه من الإيمان المفصل بذلك ما لا يلزم غيره فلو آمن رجل بالله ورسوله باطناً وظاهراً ، ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين ، مات مؤمناً بماوجب عليه من الايمان وليس ما وجب عليه ولا ما وقع منه مثل ايمان من عرف الشرائع وتفاصيلها ، فآمن بهاوعمل بها بل ايمان هذا أكمل وجوباً ووقوعاً ، فإن ماوجب عليه من الإيمان أكمل ، وماوقع منه أكمل وقوله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ [المائدة : ٣] المراد به إكمال التشريع بالأمر والنهي ، وليس المراد به أن كل واحد من الأمة وجب عليه ما يجب على سائر الأمة بل الناس متفاضلون في الايمان أعظم تفاضل فصارالنقص في الدين والايمان نوعين :

نوعاً لا يذم العبد عليه ، لكونه لم يجب عليه لعجزه عنه حساً أو شرعاً ، وأما لكونه مستحباً ليس بواجب . ونوعاً يذم عليه وهو ترك الواجبات أي دون عذر(١) .

ثانياً : الاجمال والتفصيل فيما وقع من العباد ، فمن طلب علم التفصيل وعَمِلَ به ، لا شك أن إيمانه أكمل ممن عرف ما يجب عليه والتزمه وأقر به ، ولكن لم يعمل بذلك كله .

وهذا المقر المقصر في العمل ، إن اعترف بذنبه وكان خائفاً من عقوبة ربه على ترك العمل أكمل ايماناً ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ولا عمل بذلك ، ولا هو خائف أن يعاقب ،بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول ، مع أنه مقر بنبوته باطناً وظاهراً فكل ما علم القلب ما أخبر به الرسول فصدقه ، وما أمر به فالتزمه ، كان ذلك زيادة في إيمانه على من لم يحصل له ذلك ، وإن كان معه اقرار عام والتزام عام ، وكذلك من عرف أسماء الله تعالى

---

١) انظر : كتاب الايمان (ص: ٣٦٣ - ٣٦٤) ، شرح الأصبهانية (ص : ٥٧٨) ، وشرح حديث جبريل (ص :٤٥٨) .

ومعانيها فآمن بها كان ايمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الأسماء ، بل آمن بها ايماناً مجملاً ، أو عرف بعضها ، وكلما ازداد معرفة بأسماء الله وصفاته كان ايمانه أكمل وهذا الكمال انما وقع من جهة المؤمنين بالله ورسوله ووقوعه منهم (١) .

ثالثاً : أن العلم والتصديق نفسه يكون بعضه أقوى من بعض ، وأثبت وأبعد عن الريب والشك ، وهذا أمر يشهده كل واحد من نفسه ، كما أن الحس الظاهر بالشيء الواحد ، مثل رؤية الناس للهلال ، فهم وإن اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أكمل من بعض ، فكذلك معرفة القلب وتصديقه تتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة ، والمعاني التي يؤمن بهامن معاني أسماء الرب وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها (٢) .

رابعاً : أن أعمال القلوب مثل خشيته ورجائه وخوفه ومحبته والذل والإنابة إليه والتوكل عليه والرغبة والرهبة منه ونحو ذلك ، هي كلها من أعمال الإيمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واجماع السلف ، ولا شك أن هذه الأعمال يتفاضل الناس فيها تفاضلاً عظيماً .

فالمحبة مثلا ، الناس متفاوتون فيها، ما بين أفضل الخلق محمد وابراهيم - عليهما السلام - خليلا الرحمن وأشد الناس محبة له ، إلى أدنى الناس محبة له ، كمن في قلبه مثقال ذرة من ايمان ولا شك أن بين هذين الحدين من الدرجات ما لا يحصيه إلا الله ، قال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله** ﴾ [البقرة:١٦٥] ، ولا شك أن المحبة عمل قلبي والناس يتفاضلون فيها فكذلك يتفاضلون في أعمال القلوب الأخرى من خشية وإنابة وتوكل ورجاء وخوف وغيرها(٣).

خامساً : أن الأعمال الظاهرة يتفاضل فيها الناس أيضاً ، وهذا شامل لأعمال اللسان كالتهليل والتكبير والذكر ، وشامل لأعمال الجوارح كالصلاة والحج والجهاد فهذه الأعمال الظاهرة هي من الإيمان، وداخله في مسماه والناس متفاوتون في ذلك ،كما في الأعمال الباطنة .

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ٣٦٥ - ٣٦٦) .

(٢) انظر : كتاب الايمان (ص : ٣٦٦) .

(٣) انظر : كتاب الايمان (ص :٣٦٧) شرح حديث جبريل (ص : ٤٩٠) .

قال شيخ الإسلام : « وأما زيادة العمل الصالح الذي على الجوارح ونقصانه ، فمتفق عليه وان كان في دخوله في مطلق الايمان نزاع ، والذي عليه أهل السنة والحديث ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص » .

إذن الناس متفاوتون في أداء أعمال اللسان وأعمال الجوارح ومتفاوتون في المحافظة عليهاوالقيام بها فهم ليسوا في درجة واحدة بل بينهم تفاوت عظيم .

سادساً : ذكر الانسان بقلبه ما أمِرَ به واستحضاره لأمور الايمان ودوامه عليها ، بحيث لا يكون غافلاً ، أكمل ممن صدق وغفل عنه ، فإن الغفلة تضاد كمال العلم ، والتصديق والذكر ، والاستحضار يكمل العلم واليقين والايمان ، ولهذا قال عمير بن حبيب الخطمي : « إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه ، فذلك زيادته وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه » وقال تعالى : ﴿ **وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾ [الذاريات : ٥٥] .وقال تعالى : ﴿ **سيذكرمن يخشى ويتجنبها الأشقى** ﴾ [الأعلى : ١٠ - ١١][(١)] .

سابعاً : أن من علم ما جاء به الرسول وعمل به ، لا شك أنه أكمل ممن أخطأ في ذلك وأكمل ممن عَلِمَ الصواب بعد الخطأ ، ومن عَلِمَ الصواب بعد الخطأ وعمل به ، لا شك أيضا أنه أكمل ممن لم يكن كذلك ، فإن الإنسان قد يكون مكذبا ومنكرا لأمور لا يعلم أنها من الايمان، ولوكان عالماً بأنها منه لم يكذب ولم ينكر فإذا تبين له بعد أنها من الايمان ، فإنه يصدق بما كان به مكذباً ويعرف ما كان له منكراً ، وهذا تصديق جديد وايمان جديد ازداد به ايمانه ، وهو لم يكن قبل ذلك كافراً بل جاهلاً ، وهذا يحصل لكثير من أهل العلوم والعبادات، فإنه يقوم بقلوبهم من التفصيل أمور كثيرة تخالف ما جاء به رسول الله - ﷺ - وهم لا يعرفون أنها تخالف فإذا عرفوا رجعوا [(٢)] .

ثامناً : أن الزيادة والنقصان في الايمان ،تحصل من جهة الأسباب المقتضية لها ، فمن كان مستنداً في تصديقه ومحبته إلى أدلة توجب اليقين وتدحض الشبهات ، فهو ليس بمنزلة من كان تصديقه ومحبته لأسباب دون ذلك ، فإن التصديق والمحبة قد يتزعزعان لضعف أسباب

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص ٣٦٧) ، شرح حديث جبريل (ص : ٤٦٢) .

(٢) انظر : الكتاب الايمان (ص : ٣٦٩ - ٣٧٠) .

التصديق ولا يختلف عاقلان أن العلم بكثرة الأدلة وقوتها ، وبفساد الشبه العارضة لذلك وبطلانها، ليس كالعلم الذي يستند إلى دليل واحد من غير معرفة بالشبهات العارضة له وفسادها .فالشيء كلما قويت أسبابه وتعددت وانقطعت موانعه ، كان أوجب لكماله وقوته والعكس بالعكس[1] .

ومما سبق يتبين لنا تفاوت الناس وتفاضلهم فيما يقوم بالقلب واللسان والجوارح ويمكن تلخيص تلك الوجوه في وجهين :

الأول : أن الايمان يتفاضل من جهة أمر الرب فيما يأمرهم به وينهاهم عنه .

الثاني : ان الايمان يتفاضل من جهة فعل العبد وما يمتثله من تلك الأوامر وينتهى عنه من تلك المناهي .

يقول شيخ الإسلام : أصل أهل السنة أن الإيمان يتفاضل من وجهين : من جهة أمر الرب ومن جهة فعل العبد .

أما الأول : فإنه ليس الايمان الذي أمربه شخص من المؤمنين ، هو الإيمان الذي أمربه كل شخص ، فإن المسلمين في أول الأمر كانوا مأمورين بمقدارمن الايمان ، ثم بعد ذلك أمروا بغير ذلك بل وأمروا بترك ما كانوا مأمورين به ، كالقبلة فكان من الإيمان في أول الأمر الايمان بوجوب استقبال بيت المقدس ، ثم صار من الإيمان تحريم استقباله ووجوب استقبال الكعبة ، فقد تنوع في الشريعة الواحدة . وأيضاً فمن وجب عليه الحج والزكاة ... يجب عليه من الايمان أن يعلم ما أمر به ويؤمن بأن الله أوجب عليه ما لا يجب على غيره إلامجملاً ، وهذا يجب عليه فيه الايمان المفصل، وكذلك الرجل كان أول ما يسلم إنما يجب عليه الاقرار المجمل، ثم إذا جاء وقت الصلاة كان عليه أن يؤمن بوجوبها ويؤديها فلم يتساوى الناس في أمر الإيمان..

النوع الثاني : هو تفاضل الناس في الاتيان والأداء له مع استوائهم في الواجب ، وهذا الذي يظن أنه محل النزاع ، وكلاهما محل النزاع وهذا أيضا يتفاضلون فيه ، فليس ايمان السارق والزاني ... كايمان غيرهم ، ولا إيمان من أدى الواجبات كإيمان من أخل ببعضها ،

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ٣٧٠ - ٣٧١) ، مجموع الفتاوى (١٣ / ٥٢ - ٥٤) .

كمـا أنه ليس دين هذا وبره وتقواه مثل دين هذا وبره وتقـواه بل افضل دينا وبرا وتقوى ، فـهو كذلك أفضل إيماناً ...[١] .

مراتب الناس في الإيمان :

من المعلوم أن حقيـقة الايمان واستكماله لا تكون إلا بأداء الفـرائض واجتناب المناهي وأن اسم الايمان وحكمه شمل كل من دخل فيـه وان لم يستكمله بل إن هذا يعم الأمور كلها التي يستحق الناس بها أسمائها مع ابتدائها ، والدخول فيها، ثم يفضل فيها بعضهم بعضاً ومع ذلك يشـملهم فيـها اسم احـد ، من ذلك أنك تجد القـوم صفـوفاً في الصـلاة بين مستـفتح للـصلاة وراكع وساجد وقائم وجالس ، وكلهـم يلزمهم اسم المصلي ، ويقال لهم مصلون وهم مع هذا فيها مـتفاضلون ، وكذلك صناعات الناس تجد القـوم يبنون حائطاً فبعضهم يكـون في تأسيسه وبعضهـم في بناءه إلى منتصفه ، وبعـضهم قد قارب الفـراغ منه ، ويقال لهم جميـعاً بُناة ، مع أنهم متبـاينون في بنائهم ، فكذلك القـول في الإيمان هو درجات ومنازل وان سمى أهله اسـما واحدا . إلا أنه يجب أن يلاحـظ أن ما ورد من نفي الإيمان عمن ارتكب الكـبائر هو داخل في هذا المعنى عند أهـل السنة والجـماعـة ، والمنفى عنه حـينئـذ يكون حـقـيـقة الايمان وكـمـاله ، ويلاحظ ايضا أن هذا الذي ذهب اليه أهل السنة هو الموافق لكلام العرب وليس شاذاً .

يقـول الامام أبو عـبيـد القاسم بين سـلاَّم : « فإن قـال قائل : كـيف يجوز أن يقـال ليس بمؤمن واسم الايمان غير زائل عنه ؟ قيل هذا كلام العرب المستفيض عندنا غير المستنكر في إزالة العمل عن عـامله اذا كان عمله عـلى غير حقـيقتـه ، ألا ترى أنهم يقولون للصـانع اذاكان ليس بمحكم لعمله ما صنعت شيئاً ... وانما وقع معناه هاهنا على نفي التجويد لا على الصنعة نفسها فهـو عامل عندهـم بالاسم وغير عـامل في الاتقـان ، حتى تكلمـوا به فيـما هو أكبـر من هذا ، وذلك كرجل يعق أباه ويبلغ منه الأذى فـيقال : ما هو بولده ، وهم يعلمـون أنه ابن صلبه ،... وإنما مذهبهم في هذا المزايله من الأعمال الواجبة عليهم من الطاعة والبر ، فكذلك هذه الذنوب التي ينفى بها الايمان ، إنما أحبطت الحقائق منه الشرائع التي من صفاته ، فأما الأسماء ، فعلى ما كانت قبل ذلك ، ولا يقال لهم مؤمنون وبه الحكم عليهم »[٢] .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١٣ / ٥٣) .

(٢) الايمان (ص : ٩٠ - ٩١) .

يظهر لنا مما سبق أن استحقاق اسم الايمان حاصل ، وكل من دخل في الايمان ، استكمله أم لا ، أما استحقاق اسم الايمان مطلقاً على معنى الكمال وذلك لمن أتى بحقائق الإيمان .

فالمؤمنون اذا متفاوتون في مراتب ايمانهم ، فمنهم من معه أصل الايمان ، ومنهم من بلغ درجة الكمال الواجب ، ومنهم من بلغ درجة الكمال المستحب .

الإيمان المجمل :

ويقصد به مايعتبر شرطا لصحة الايمان ، والنجاة من الخلود في النار في الآخرة ، ان مات على ذلك ، والذي تثبت به الأحكام من فرائض ومواريث أو هو الإسلام ، وهذا غير قابل للنقص لأن نقصانه يعني خروج الانسان من اسم الايمان .

وهذه المرتبة يمكن أن يعبر لصاحبها بالإسلام أو الايمان المقيد ويدخل تحت هذه المرتبة أهل الكبائر عموما ، وكذلك من أسلم من أهل الطاعة ممن لم تدخل حقائق الايمان في قلوبهم أما أهل الايمان فلا ينتفي عنهم إلا إذا عملوا الكفر الأكبر . يقول الامام محمد بن نصر : « الكفر ضد أصل الإيمان ، لأن للإيمان أصلا وفروعاً ، فلا يثبت الكفر حتى يزول أصل الإيمان .. فإن قيل : فالذي زعمتهم أن النبي - ﷺ - أزال عنه اسم الإيمان جعل فيه من الإيمان شيء ؟ قالوا نعم ، أصله ثابت ولولا ذلك لكفر »(١) .

ويقول شيخ الإسلام : « فعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر ، أو ولدوا على الإسلام والتزموا شرائعه وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله ، فهم مسلمون ، ومعهم ايمان مجمل ، ولكن دخول حقيقة الايمان إلى قلوبهم ، انما يحصل شيئاً فشيئاً ، إن أعطاهم الله ذلك ، وإلا فكثير من الناس لا يصلون إلى اليقين وإلى الجهاد ، ولو شككوا لشكوا ، ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا وليسو كفاراً ولا منافقين ، بل ليس عندهم من عِلْمَ القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأ الريب ، ولا عندهم قوة الحب لله ولرسوله ما يُقَدِمُونَه على الأهل والمال ، وهؤلاء أن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة ، وإن ابتلوا بمن يورد عليهم شبهات توجب ريبهم ، فإن لم يَمُنُ الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من النفاق »(٢) .

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٥١٣) .

(٢) كتاب الايمان (ص : ٢٥٧) .

الايمان المفصل :

ويقال له الايمان الواجب أو الكامل ، أو المطلق ، أو حقيقة الايمان ، وصاحب هذا يكون ممن يؤدي الواجبات ويجتنب الكبائر . يقول الإمام محمد بن نصر : « إن اسم المؤمن قد يطلق على وجهين :

اسم بالخروج من ملل الكفر والدخول في الإسلام - الذي سبق في المرتبة الأولى ، واسم يلزم بكمال الايمان ، وهواسم ثناء وتزكية يجب به دخول الجنة والنجاة من النار ... والمؤمنون الذين زكاهم الله وأثنى عليهم ووعدهم الجنة هم الذين أكملوا ايمانهم باجتناب المعاصي »(١)

ويقول شيخ الإسلام : « من أتى بالايمان الوجب استحق الثواب ، ومن كانت فيه شعبة من نفاق وآتى بالكبائر فذلك من أهل الوعيد ، وايمانه ينفعه الله به يخرجه به من النار، ولو أنه مثقال حبة من خردل ، لكن لا يستحق به الاسم المطلق(٢) » .

لكن من أتى الكبائر فإن الرسول - ﷺ - لم ينف عنه الايمان لكنه ناقص الايمان عمن اجتنب الصغائر ، فمن أتى بالايمان الواجب ولكنه خلطه بسيئات كُفِرَتْ عنه بغيرها ونقص بذلك درجة عمن لا يأتي بذلك(٣) .

الايمان الكامل :

أو ما يمكن أن يعبرعنه بمرتبة الاحسان وهي التي وصل صاحبها إلى عدم الاكتفاء بعمل الواجبات وترك المنهيات بل أتى بالمستحبات والمكملات في سائر الأعمال من الصلاة والزكاة والصيام والحج بل أتى بنوافل تلك الأعمال وقد ورد في القرآن الكريم اشارة إلى هذه المراتب السابقة قال تعالى : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير** ﴾[فاطر : ٣٢] فالمسلم أو من معه أصل الايمان أو آمن مجملاً وهو الذي لم يقم بحقائق الايمان ولا اجتنب المنهيات هو الظالم لنفسه .

والمقتصد هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجبات وترك المحرمات . والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يعلم أنه يراه(٤) .

(١) تعظيم قدر الصلاة (ص / ٥٦٧) .

(٢) كتاب الايمان (ص : ٣٣٤) .

(٣) انظر : كتاب الايمان (ص : ٣٣٧) .

(٤) انظر : كتاب الايمان (ص : ٣٤٢) .

المبحث الثاني : أقوال الفرق والطوائف في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه :

سبق أن رأينا عند كلامنا على مذاهب الناس في الإيمان أن القائلين بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص هو قول طوائف من أهل الكلام من المرجئة سواء منهم الفقهاء أو المتكلمين ونظراً لكونه سبق بيان قولهم في الإيمان فسأكتفي هنا بذكر قولهم في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه مع ذكر أدلتهم باختصار .

أولاً : ذكر قول من قال بأن الإيمان يزيد ولا ينقص :

ذكر كُتّاب الفرق أن الغسانية والنجارية والإباضية يقولون بأن الإيمان يزيد ولاينقص ، وحكى ذلك عن أبي حنيفة في رواية ، وهو رأي جماعة من الأشاعرة .

فقد نقل الأشعري ذلك ، فقال : « وأما الغسانية فالقول بأن الإيمان يزيد ولا ينقص مشتهر عنهم » وقد نسبه إليهم غير واحد من مؤلفي المقالات والفرق [(١)] .

ـ أما النجارية فقد نَسَبَ إليهم غير واحد أنهم يقولون : الإيمان يزيد ولا ينقص كالأشعري والاسفراييني والبغدادي وشيخ الإسلام بن تيمية[(٢)] .

ـ أما الأباضية فقد ذكر أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي في كتابه مشارق أنوار العقول أن : « الإيمان بالمعنى الشرعي الذي هو أداء الواجبات مطلقاً ليس ينقص نظراً إلى أن كل مؤمن فإنه في ذاته غير متفاوت بالنسبة إلى إيمان غيره » ثم قال المعلق على الكتاب أحمد ابن حمد الخليلي وهو من الأباضية المعاصرين : ذهب اصحابنا ـ رحمهم الله ـ إلى أن الايمان يزيد ولا ينقص ، وهذا المذهب إذا تؤمل له أصالته في العقيدة سواء حملنا الايمان على حقيقته اللغوية أو حقيقته الشرعية ... وإذا اعتقد ما لزمه اعتقاده ولم يحضره فرض قولي أو عملي كان مؤمناً كامل الايمان ، وإذا وجب عليه شيء من الأقوال أو الأفعال وأداه كما وجب عليه ازداد ايمانه ، وإذا أخل بهذا الواجب انهدم ايمانه كله »[(٣)] .

---

(١) المقالات (ص : ١٣٩) .

(٢) انظر : المقالات (ص : ١٣٦) ، والتبصير في الدين (ص : ١٠١) ، والفرق بين الفرق (ص : ٢٠٨) ، مجموع الفتاوى (٧ / ٥٤٦) .

(٣) حاشية مشارق أنوار العقول للسالمي (٢/٢٠٤) .

يتضح مما سبق أن الأباضية تقول بأن الايمان لا ينقص ، ولو نقص لانهدم ايمانه كله ، وهذا في الجملة هو قول الخوارج لأن الايمان عندهم كل لايتجزأ إما أن يبقى كله كاملا أو ينهدم مرة واحدة .

أما الرواية عن أبي حنيفة فقد حكي الأشعري عن أبي حنيفة أنه قال : الإيمان يزيد ولا ينقص. قال : « فأما غسان وأكثر أصحاب أبي حنيفة فإنهم يحكون عن أسلافهم أن الايمان هو الاقرار والمحبة لله ،والتعظيم له والهيبة منه وترك الاستخفاف بحقه وأنه يزيد ولا ينقص »[١] .

لكن الاسفراييني والبغدادي يرون أن نسبة هذا القول إلى أبي حنيفة غلط عليه لأن المشهور عنه هو نفي الزيادة والنقصان[٢] .

ولقد احتج من ذهب إلى أن الإيمان يزيد ولا ينقص بحجج كثيرة أهمها :

١ - أن الإيمان هو التصديق ، والتصديق لا يقبل النقص لأنه إذا قبل النقص صار شكاً يقول البغدادي : « وأما من قال إنه ـ أي الايمان ـ التصديق بالقلب ، فقد منعوا من النقصان فيه»[٣] وقال العيني : « وقال آخرون أنه لا يقبل النقصان ، لأنه لو نقص لا يبقى إيماناً ولكن يقبل الزيادة لقوله تعالى : ﴿ **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا** ﴾[الأنفال : ٢] ونحوها من الآيات[٤] .

٢ - احتجوا بأن المعاصي لا تحبط الطاعات ، وإذا لم تحبطها فلا نقصان يلحق الايمان : قال الحليمي : « ... ومن ذهب إلى أن الايمان يزيد ولا ينقص فإنه يقول : أصله يتكثر بفروعه ، وفروعه تتكثر ببعضها والمعاصي لا تحبط الطاعات، وإذا لم تحبطها فلا نقصان يلحق الايمان[٥].

ثانياً : أبو حنيفة وأصحابه :

اشتهر عن الامام أبي حنيفة قوله بالارجاء واستفاض عنه ذلك بما لا يدع مجالاً للشك ، وكان مما قال : إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ويؤكد هذا عدة أمور :

---

(١) مقالات الإسلاميين (ص : ١٣٩) .

(٢) انظر : التبصير في الدين (ص : ١٠١) والفرق بين الفرق (ص : ٢٠٣) .

(٣) أصول الدين للبغدادي (ص : ٢٥٢) .

(٤) عمدة القاري (١ / ١٠٧) .

(٥) المنهاج في شعب الإيمان (١ / ٦٩) .

أ - عامة كتب المقالات والفرق وكتب السنة وكتب التاريخ التي تنسب هذا القول إليه ذكرت ذلك فقد ذكر الأشعري والبغدادي والشهرستاني والخطيب البغدادي وعبد الله بن أحمد ابن حنبل واللالكائي ذلك عنه(١) .

٢ - أن الكتب المنسوبة إلى أبي حنيفة - رحمه الله - تذكر هذا القول مثل كتاب العالم المتعلم والفقه الأكبر والوصيتين ورسالته إلى عثمان البتي وهذا الكتب إن لم يصح نسبتها جميعا اليه ، فلا بد أن يصح نسبة بعضها أو على أقل تقدير نسبة واحد منها(٢) .

٣ - ان اتباع أبي حنيفة والمنتسبين إليه أكدوا ان الأمام أبي حنيفة قال : إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولم ينف أحد منهم أو يدافع عن الإمام أبي حنيفة في نسبة هذا القول إليه(٣) .

ثالثاً : الجهمية :

سبق أن رأينا أيضا أن الجهمية من أوائل القائلين بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص قال الأشعري : « وزعمت الجهمية ... أن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه »(٤) وقال الشهرستاني : « قال - أي جهم - : والايمان لا يتبعض أي لا ينقسم إلى عقد وقول وعمل قال : ولا يتفاضل أهله فيه ، فإيمان الأنبياء وإيمان الأمة على نمط واحد ، اذا المعارف لا تتفاضل »(٥) والجهمية قالوا بأن الايمان لا يزيد ولا ينقص لأن الايمان عندهم مجرد التصديق فمن صدّق بقلبه فهو عندهم مؤمن كامل الايمان وإن تكلم بالكفر ، وسبَّ الله ورسوله وأحل المحرمات ، والتصديق يتساوى فيه الناس فهو لا يقبل الزيادة ولا النقصان .

فهو - حسب الشبهة التي علقت بالوعيدية والمرجئة إما أن يوجد جملة واحدة ، وأما أن يعدم فهو كل لا يتجزأ .

---

(١) انظر : المقالات (ص : ١٣٩) الفرق بين الفرق (ص : ٢٠٣) ، الملل والنحل (١٤١/١) ، تاريخ بغداد (٣٧٣/١٣) ، كتاب السنة (٢١٩/١) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٩٩٦/٥ - ٩٩٩) .

(٢) انظر : الفقه الأكبر بشرح ملا علي القاري (ص : ١٢٦) ، رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي (ص : ٣٥) ، الجواهر المنيفة في شرح وصية الإمام أبي حنيفة (ص :٣) ، الفقه الأبسط (ص : ٤٦) .

(٣) انظر : البداية من الكفاية للصابوني (ص : ١٥٥) النبراس في شرح العقائد (ص : ٤٠٢ - ٤٠٦) .

(٤) المقالات (ص : ١٣٢) .

(٥) الملل والنحل (١/ ٨٨) .

رابعاً : الخوارج والمعتزلة :

سبق أن عرفنا أن الخوارج والمعتزلة يوافقون أهل السنة في تعريف الايمان من حيث إنه شامل للأقوال والأعمال والاعتقادات ، إلا أنهم فارقوهم في النتيجة حيث إنهم قالوا بأن الايمان كل لا يتجزأ اذا ذهب بعضه ذهب كله ، وأنه لا يقبل التبعض ولا الزيادة ولا النقصان فالذي يرتكب الكبائر ويخل بأعمال الايمان عند الخوارج كافر ، وعند المعتزلة في منزلة بين المنزلين واتفقوا على أنه يوم القيامة مخلد في نار جهنم ، ولعل منشأ وسبب الغلط الذي أوقعهم في هذه المسألة : «انهم ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقاً للثواب والعقاب والوعد والوعيد والمدح الذم، بل أما لهذا وما لهذا، فاحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها ، وقالوا: الايمان هوالطاعة فيزول بزوال بعض الطاعة ، ثم تنازعوا هل يخلفه الكفر على قولين ووافقتهم المرجئة والجهمية على أن الإيمان يزول كله بزوال شيء منه وأنه لا يتبغض ولا يتفاضل فلا يزيد ولا ينقص وقالوا : إيمان الفساق كإيمان الأنبياء والمؤمنين »(١) .

« وجماع شبهتهم في ذلك : أن الحقيقة المركبة عندهم تزول بزوال بعض أجزائها كالعشرة ، فإنه اذا زال بعضهالم تبق عشرة قالوا : فإذا كان الايمان مركبا من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة لزم زواله بزوال بعضها»(٢) .

وانما أوقع هؤلاء كلهم - أي المرجئة بأقسامهم - ما أوقع الخوارج المعتزلة في ظنهم أن الايمان لا يتبعض بل اذا ذهب بعضه ذهب كله ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يتبعض وأنه ينقص ولا يزول جميعه(٣) .

خامساً : الأشاعرة والماتريدية :

سبق أن رأينا كذلك أن جمهور الأشاعرة وجميع الماتريدية ذهبوا إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص .

قال الكمال بن أبي شريف : « وهذا القول - أي أن الايمان لا يزيد ولا ينقص - اختاره من الأشاعرة إمام الحرمين ، وجمع كثير منهم ، وذهب عامتهم - أي أكثر الأشاعرة - إلى زيادته ونقصانه »(٤) .

---

(١) شرح الأصبهانية (ص : ٥٧٤ - ٥٧٥) ت السعوي ، كتاب الإيمان (ص : ٥٥١) .

(٢) مجموع الفتاوى (٧ / ٥١١) .

(٣) شرح الأصبهانية (ص : ٥٧٥) .

(٤) المسامرة شرح المسايرة (ص ٣٦٧) .

وقال البـزدوي : « الايمان لا يزيد ولا ينقص عند أهل السنة والجماعة ، وقال أصحاب الحديث : إنه يزيد وينقص »[١] .

يتضح مما سبق أن الماتريدية لهم في مسألة زيادة الايمان ونقصانه قول واحد هو أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص .

وأن الأشاعرة على قولين : جمهورهم على أنه لا يقبل الزيادة والنقصان ،وذهب بعضهم الى القول بأنه يزيد وينقص .لكن اتفق جمهورهم على تعريف الإيمان بأنه هو التصديق فقط ، فلم يدخل فيه القول والعمل فمناط البحث هنا هو التصديق ، هل يقبل الزيادة والنقصان أم لا؟

فالذين قالوا لا يزيد ولا ينقص فالايمان عندهم هو التصديق اليقيني وهو غير قابل للتفاوت ، فإن نقص فنقصه شك وكفر ، ومن قال منهم إنه يزيد وينقص فهم يعلمون بأن تصديق أفراد الأمة ليس كتصديق النبي - ﷺ - وهذا وإن كان يتوافق مع قول أهل السنة إلا أن مأخذهم مختلف وثمرة ذلك مختلفة أيضاً ، فأهل السنة يُدْخِلُون الأقوال والأعمال في مسمى الايمان وهؤلاء لا يدخلونها لأن الايمان عندهم هو التصديق ، وقد استدل الأشاعرة والماتريدية بعين دليل الخوارج والمعتزلة والمرجئة وهو أن الايمان ما دام هو التصديق وهو كل لا يتجزأ فلا يصح فيه لازيادة ولا نقصان لأنه بلغ حد الجزم ، وهذا لا يتصور فيه الزيادة والنقصان فمن حصل له التصديق وإن أتى بالمعاصي والكبائر أو الطاعات فتصديقه واحد لا يمكن أن يزيد ولا ينقص وهذا عين دليل الخوارج والمعتزلة والمرجئة .

---

(١) أصول الدين (ص : ١٥٣) .

الفصل الخامس

مسألة الاستثناء في الإيمان

ويتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : قول أهل السنة والجماعة في الاستثناء في الايمان ومأخذهم في ذلك

المبحث الثاني : مذهب من يوجب الاستثناء في الايمان ومأخذه في ذلك

المبحث الثالث : مذهب من يحرم الاستثناء في الإيمان

المبحث الأول : قول أهل السنة والجماعة في الاستثناء في الإيمان ومأخذهم في ذلك :

الاستثناء في الإيمان[1] هو أن يقول الانسان : أنا مؤمن إن شاء الله. ومجمل قول السلف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة ، هو أن الاستثناء جائز مشروع ، لأن الإيمان عندهم شامل للاعتقادات والأقوال والأعمال فإذا سئل أحدهم عن الايمان ، استثنى في ايمانه مخافة وإحتياطاً من عدم تكميل الأعمال التي بكمالها يكمل الايمان ، فيقول أحدهم إذا أجاب عن السؤال : أنا مؤمن إن شاء الله ، أو مؤمن أرجو أو نحو ذلك . لأنه المعلوم عندهم أن الانسان عرضة للتقصير في أي صورة من صور العمل الذي هو جزء مسمى الايمان ، سواء كان هذا التقصير قليلاً أو كثيراً ، لأنه من المعروف أن أكمل الناس إيماناً هم الرسل ـ عليهم السلام ـ ولا أحد يستطيع أن يصل إلى هذه الدرجة مهما سعى إليها ، فالانسان له طاقته المحدودة ومداركه القاصرة التي ينشد بها الكمال ، ويتفانى في سبيل الوصول إلى هذه الدرجة ان كان ممن أعطاهم الله قوة العزيمة وأنىَّ له ذلك ، لأن الانسان له عدوه الذي يلازمه لا يمكن أن يفارقه أبداً ، وآلى على نفسه ان يضل بني آدم ارضاءً لذلك الحقد الذي زرعه في قلبه على أبيهم آدم ـ عليه السلام ـ لكنه اعترف بالعجز عن تحقيق هذه الهدف من عباد الله الذين منَّ الله عليهم بحصانَّة واقية من وساوس الشيطان قال الله تعالى عن الشيطان : ﴿ **قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ [سورة ص : ٨٢ ـ ٨٣] .

فالإنسان إذاً لا يستطيع أن يحكم لنفسه بالإيمان الكامل ، ولهذا نظر أئمة السلف إلى هذا الواقع فاحتاطوا له بأن قالوا بالاستثناء في الايمان ، وليس هذا منهم شك في أصل الايمان ، فهم أعلى وأرفع من ذلك ، وانما قالوا بالاستثناء لترك تزكية النفس والشهادة لها بتكميل الأعمال ولهم فيما ذهبوا إليه دلائل وشواهد من الكتاب والسنة .

---

(١) الاستثناء المقصود هنا غيرما هو معلوم في اللغة ، لأن الاستثناء في اللغة له أدواته ومعانيه ،غير أن الاستثناء المقصود هنا هو ما اصطلح عليه علماء الإسلام من تعليق الايمان الشرعي بالمشيئة فهو استثناء اصطلاحي لا دخل له في الاستثناء اللغوي وإن كان بينهما صلة .

قـال يحيى بن سـعيد القطـان : « مـا أدركت أحـداً من أصحـابنا ولا بـلغنا ، إلا على الاستثناء »[١]. وقال الوليد بن مسلم : « سمعت أبا عمرو الأوزاعي ومالك بن أنس وسعيد بن عبدالعزيز ينكرون أن يقول: أنا مؤمن ويأذنون في الاستثناء أن يقول: أنا مؤمن ان شاء الله»[٢] .

و قال شيخ الإسـلام ابن تيمية : « المأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف ، وهو مذهب أهل الحديث وهو المنسوب إلى أهل السنة ، أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وأنه يجوز الاستثناء فيه »[٣].

مآخذ أهل السنة والجماعة في الاستثناء في الإيمان :

ولما كان أهل السنة والجماعة يذهبون إلى الاستثناء في الإيمان فلهم فيما ذهبوا إليه مآخذ كثيرة لخصها شيخ الإسلام ابن تيمية في عدة وجوه :

الوجه الأول : اعتبارهم أن الايمان المطلق يتضمن فعل كل ما أمر الله به العبد وترك المحرمات كلها ، فإذا قال الرجل أنا مؤمن بهذا الاعتبار ، فقد شهد لنفسه بأنه من المتقين القائمين بفعل المأمورات وترك المحظورات ، فيكون ولياً لله ، ولا ينبغي لمسلم أن يدّعى ذلك لنفسه ، فلهذا كانوا يستثنون مخافة واحتياطاً ألا يكونوا كمّلوا الأعمال ، وأتوْبها على وجهها المطلوب ، لأن الايمان عندهم قول وعمل ، والقول الجميع يقر بل يجزم انه أتى به ، وأما العمل فلا ، لأن الناس متفاوتون في القيام به تفاوتاً عظيما وأقوال أئمة السلف تدل على ذلك .

قال الامام أحمد : « أذهب إلى حديث ابن مسعود في الاستثناء في الإيمان ، لأن الايمان قول وعمل ، والعمل الفعل ، فقد جئنا بالقول ، ونخشى أن نكون قد فرطنا في العمل ، فيعجبني أن تستثنى في الايمان بقول : أنا نؤمن ان شاء الله »[٤] .

وقال أيضاً : « لا نجد بُدّا من الاستثناء ، لأنه إذا قال أنا مؤمن فقد جاء بالقول، فإنما الاستثناء بالعمل لا بالقول »[٥] .

---

(١) أخرجه الخلال في كتاب السنة (٣/٥٩٥) وعبدالله بن أحمد في السنة (١/٣١٠) والآجري في الشريعة (٢/ ٦٥٦). وابن بطة في الابانة (٢/ ٨٧١) .

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٤٧) ، وابن بطة في الابانة (٢/ ٨٧٣) .

(٣) مجموع الفتاوى (٧ / ٥٠٥) .

(٤) أخرجه الخلال في السنة (٣ / ٦٠٠) وانظر كتاب الايمان (ص : ٦٨٩) .

(٥) أخرجه الخلال في كتاب السنة (٣ /٥٩٧) .

قال شيخ الإسلام في كتاب الايمان بعد أن نقل عن الخلال وعبد الله بن أحمد والميموني وابن هانئ نصوصاً كثيرة في الاستثناء قال: « ومثل هذا كثير في كلام أحمد وأمثاله »(١) .

وقال الآجري: « طريق الصحابة من التابعين لهم بإحسان عندهم أن الاستثناء في الأعمال لا يكون في القول، والتصديق في القلب وانما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الايمان »(٢) .

الوجه الثاني: من المعلوم أن الإيمان النافع هو المتقبل عند الله، فمن قام بالعمل وأتى به لا يدري هل تقبل الله منه عمله أم لا؟ فمن هذا الوجه كانوا يستثنون، قال الله عز وجل في وصف المؤمنين:﴿ **الذين يؤتون ما آتو وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون** ﴾ [المؤمنون: ٦٠] .

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ يا رسول الله أهو الرجل يزني ويسرق ويشر الخمر ويخاف أن يعذب ؟ فقال: **لا بنت الصديق ، ولكنه الرجل يُصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه »**(٣) .

قال ابن بطة: « سبيل المؤمنين وطريق العقلاء من العلماء ، لزوم الاستثناء والخوف والرجاء ، لا يدرون كيف أحوالهم عند الله ، ولا كيف أعمالهم أمقبولة هي أم مردودة ؟ قال الله عز وجل :﴿**إنما يتقبل الله من المتقين**﴾ [المائدة: ٢٧] .. فهل يجوز لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يجزم أن أعماله الصالحة من أفعال الخير وأعمال البر كلها مرضية.. ولديه مقبولة؟ هذا لا يقدر على حتمه وجزمه إلا جاهل مغتر بالله ... فليس يخالف الاستثناء في الإيمان ويأبى قبوله إلا رجل خبيث مرجئ ضال ، قد استحوذ على قلبه الشيطان نعوذ بالله منه»(٤) .

وقال شيخ الإسلام: « خوف من خاف من السلف، أن لا يتقبل منه لخوفه أن لا يكون قد أتى بالعمل على الوجه المأمور ، وهذا أظهر الوجوه في استثناء من استثنى منهم في الإيمان وفي

---

(١) انظر: كتاب الايمان (ص: ٦٨٥) .

(٢) الشريعة للآجري (٢ / ٦٥٧) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٥٦/٦ ، ٢٠٥) ، والترمذي في السنن (٥ / ٣٢٧) . وابن ماجه (١٤٠٤/٢) . والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٣) وصححه ووافقه الذهبي ، وسيأتي في تحقيق النص (ص: ٢٣) .

(٤) انظر: الابانة لابن بطة (٢ / ٨٧٢) .

أعمال الإيمان كقول أحدهم: « أنا مؤمن إن شاء الله ،وصليت ان شاء الله ، لخوفه أن لا يكون أتى بالواجب على الوجه المأمور به لا على جهة الشك فيما بقلبه من التصديق »[١] .

وقد نقل الإمام أحمد عن سليمان بن حرب أنه كان يستثني ويحمل هذا على التقبل يقول : نحن نعمل ولا ندري يتقبل منا أم لا ؟[٢] وقال شيخ الإسلام عقب هذا الكلام مباشرة: والقبول متعلق بفعله كما أمر ـ أي كما أمر الله ـ فكل من اتقى الله في عمله ففعله كما أُمِرَ فقد تقبل منه لكن هولا يجزم بالقبول لعدم جزمه بكمال الفعل[٣] .

الوجه الثالث : أن من استثنى من السلف في الايمان كان مقصودة البعد عن تزكية النفس وليس هناك تزكية للنفس أعلى من الشهادة لها بالإيمان ، فمن قال عن نفسه أنه مؤمن فقد زكاها بأعظم تزكية ونعتها بأكمل الصفات وأجملها ، والله قد نهى عن ذلك في كتابه قال تعالي : ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى** ﴾ [النجم : ٣٢] . قال الخليل بن أحمد : إذا قلت : إني مؤمن فأي شيء بقى ؟![٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فإذا قال الرجل أنا مؤمن بهذا الاعتبار ـ أي باعتبار أن الايمان المطلق يتضمن فعل المأمور وترك المحظور ـ فقد شهد لنفسه بأنه من الأبرار المتقين القائمين بفعل جميع ما أمروا به وترك كل ما نهوا عنه فيكون من أولياء الله ، وهذا من تزكية الإنسان لنفسه، وشهادته لنفسه بمالا يعلم ، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لكان ينبغي له أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال ، ولا أحد يشهد لنفسه بالجنة ، فشهادته لنفسه بالايمان كشهادته لنفسه بالجنة اذا مات على هذه الحال وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون وان جوزوا ترك الاستثناء بمعنى آخر »[٥] .

---

(١) شرح حديث جبريل (ص : ٣٤٩ ، ٣٥٣) .
(٢) أخرجه الخلال في السنة (٣ / ٥٩٧) وابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٧٣) .
(٣) انظر : كتاب الايمان (ص : ٦٨٣) .
(٤) أخرجه الخلال في كتاب السة (٣ / ٥٦٨) وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١/ ٣١٦) .
(٥) انظر : كتاب الايمان (ص : ٦٨٢) .

الوجه الرابع : هو أن الاستثناء يكون في الأمور المتيقنة التي لا شك فيها ، وقد جاءت السنة بمثل هذا ، قال الإمام أحمد : قول النبي - ﷺ - حين وقف على المقابر فقال : « **وإنا ان شاء الله بكم لاحقون** »[١]، وقد نعيت اليه نفسه انه صائر إلى الموت ، وفي قصة صاحب القبر « **عليه حييت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله** »[٢] وفي قول النبي - ﷺ - : « **إني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئا** »[٣] ..

ودخل عليه شيخ فسأله عن الإيمان فقال : قول وعمل فقال يزيد ؟ قال : يزيد وينقص فقال له : أقول مؤمن ان شاء الله ؟ قال : نعم فقال : له : إنهم يقولون لي : انك شاك ، قال بئس ما قالوا ثم خرج فقال : ردوه فقال أليس يقولون : الايمان قول وعمل يزيد وينقص . قال : نعم قال : هؤلاء يستثنون قال له : كيف يا أبا عبد الله ؟ قال : قل لهم زعمتم ان الايمان قول وعمل فالقول قد أتيتم به ، والعمل لم تأتوا به ، فهذا الاستثناء لهذا العمل . قيل له تستثنى في الإيمان ؟ قال : نعم فأقول : أنا مؤمن ان شاء الله ، استثنى على اليقين لا على الشك ، ثم قال : قال الله عز وجل: ﴿ **لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين** ﴾ [الفتح : ٢٧] فقد أخبر الله تعالى أنهم داخلون المسجد الحرام[٤] . قال شيخ الإسلام معلقاً على كلام الإمام أحمد : « فقد بيّن أحمد في كلامه أنه يستثنى مع تيقنه بما هو الآن موجود فيه، بقوله بلسانه وقلبه لا يشك في ذلك ويستثنى لكون العمل من الايمان، وهو لا يتيقن انه أكمله، بل يشك في ذلك فنفى الشك وأثبت اليقين فيما يتيقنه من نفسه وأثبت الشك فيما لايعلم وجوده، وبين أن الاستثناء مستحب لهذا الثاني الذي لا يعلم هل أتى به أم لا، وهو جائز أيضا لما يتيقنه ، فلو استثنى لنفس الموجود في قلبه جاز كقول النبي - ﷺ - : « **والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله ...** » وهذا أمر موجود في الحال ليس بمستقبل وهو كونه أخشانا ،فإنه يرجوا أن يكون أخشانا لله ، بل هو يرجو أن يكون حين هذا القول أخشانا لله ، كما يرجو المؤمن إذا عمل عملاً أن يكون الله تقبله منه أو يخاف أن لا يكون تقبله منه »[٥] .

---

(١) سيأتي تخريجه في النص المحقق (ص : ٣٩٥) .

(٢) سيأتي تخريجه في النص المحقق (ص : ٣٩٥) .

(٣) سيأتي تخريجه في النص المحقق (ص : ١٢٣) .

(٤) أخرجه الخلال في كتاب السنة (٣ / ٥٩٥ - ٥٩٦) .

(٥) كتاب الإيمان (ص : ٦٩١ - ٦٩٢) .

هـذه هي الوجوه التـي استثنى لأجلهـا السلف في الإيمان وجوزّوه ، وقد جـمعهـا شيخ الإسلام في قوله : « فـإذا كـان مقصوده ـ أي المستثنى فـي ايمانه ـ أني لا أعلم اني قائم بكل ما أوجب الله عليّ ، وأنه يقبـل أعمالي، ليس مقصوده الشك فيما في قلبه، فهذا استثناؤه حسن ، وقصده ان لا يزكى نفسه ، وأن لا يقطع بأنه عمل عملاً كما أُمِرَ فَقُبِلَ منه ؟ والذنوب كثيرة ، والنفاق مـخوف على عـامة الناس »(١) . ثم إنه لما كـانت المرجئـة من أوائل من آثاروا مـسـألة الاستثناء في الايمان لغاية في نفوسهم ، ولمقـصدٍ في صدورهم ، وهو اتخاذه حجة لقولهم في الايمان وأنه التصديق وأن العمل خارج عن مسماه ـ كما سبق أن بينا ذلك ـ .

ـ أقول لما أكـثروا من طرح هذه المسألة بين الناس بهـدف تحقيق تلك الغـاية ، أنكر عليهم أئمة الـسلف ذلك أشد الانكار ، ولهـذا كثرت أقـوالهم الموضحـة للموقف الشـرعي على هذه المسألة البدعية ، ونصوا على كراهة هذه المسألة وأنها من بدع المرجئة حتى إن بعضهم أفرد لها بابا ضمن موضوع الايمان وبوّب لهـا باباً « فيمن كره من العلماء لمن سأل غيـره فيقول له أنت مؤمن ؟ هذا عندهم مـبتدع رجل سوء وتبـديع من قال ذلك(٢) ومن تلك النصـوص التي ساق بعضاً منها شيخ الإسلام ابن تيمية :

أ ـ سـأل رجل مـيـمـون بن مـهـران قـال : فـقـال لي : أمـؤمن أنت ؟ قـال : قـل آمنت بالله وملائكته وكتبه . قال : لا يرضى مني بذلـك قال : فردها فقال : لايرضى فردها عليه ثم ذره في غيظه يتردد(٣) .

ب ـ وقـال إبراهيم النخعي : قـال : « سـؤال الرجل الرجل أمؤمن انت ، بدعـة »(٤) . وسأله رجل: أمؤمن أنت ، فقال : ما أشك في ايماني وسؤالك اياي عن هذا بدعة »(٥) .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٤١) .

(٢) انظر : الإبانة لابن بطه (٢ / ٨٧٧) ، الشريعة للآجري (٢ / ٦٦٧) .

(٣) أخرجه : ابن بطه في كتاب الإبانة (٢/ ٨٧٧) .

(٤) أخرجـه عبـد الله بن أحمد فـي كتاب النسـة (١/ ٣٢١) والآجري في كـتاب الشريعـة (٢/ ٦٦٧) وابن بطة في الابانة (٢/ ٨٨٠) .

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١/ ٣٣٩) .

ج ـ قال الامام أحمد : سمعت سفيان بن عيينه يقول : إذا سئل : أمؤمن أنت ؟ إن شاء لم يجبه أو يقول : سؤالك إياي بدعة ولا أشك في إيماني »[١] .

قال شيخ الإسلام معلقاً على بعض تلك النصوص : « وقد كان أحمد وغيره من السلف يكرهون سؤال الرجل لغيره أمؤمن أنت ؟ ويكرهون الجواب ، لأن هذه بدعة أحدثها المرجئة ليحتجوا بها لقولهم فإن الرجل يعلم من نفسه انه ليس بكافر ، بل يجد قلبه مصدقا بما جاء به الرسول فيقول : أنا مؤمن فيثبت أن الايمان هو التصديق ، لأنك تجزم بأنك مؤمن ولا تجزم بأنك فعلت كل ما أمرت به ، فلما علم السلف مقصدهم صاروا يكرهون الجواب ، أو يفصلون في الجواب وهذا لأن لفظ الإيمان فيه اطلاق وتقييد ، فكانوا يجيبون بالايمان المقيد الذي لا يستلزم انه شاهد لنفسه بالكمال ، ولهذا كان الصحيح أنه يجوز ان يقول أنا مؤمن بلا استثناء اذا أراد ذلك ، لكن ينبغي أن يقرن كلامه بما يُبَيِّن أنه لم يرد الايمان المطلق الكامل ، ولهذا كان أحمد يكره أن يجيب على المطلق بلا استثناء تقدمه »[٢] .

وبهذا يظهر أن أئمة السلف ـ رحمهم الله ـ سلكوا مسلك الحذر في قولهم في الاستثناء وعدمه ووضعوا القيود لذلك لمنع المسلم من الوقوع فيما هو محذور إن هو راعي الدقة في هذا الباب واتبع ولم يبتدع .

هذه هي وجهة رأي السلف فيما ذهبوا فيه في الاستثناء ، تبين أنهم في بعض أقوالهم يوجبون الاستثناء ويجوزون ترك الاستثناء بمعنى اخر فهم يجوزون الأمرين باعتبارين فإن أراد المستثنى الشك في أصل إيمانه ، مُنِعَ من الاستثناء، وان أراد به اعتبارات أخرى ، مثل أنه لم يقم بجميع ما وجب عليه ، ولم يترك جمع ما نهى عنه ، ومثل عدم علمه بالعاقبة لأنه لا يدري على ما يموت عليه ، ومثل أن يستثنى خوفا من تزكية النفس . فهذا الاستثناء جائز وهو الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة .

---

(١) اخرجه أيضا : عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١/ ٣١٠) والخلال في كتاب السنة (٣ / ٦٠٢) وابن بطه في الإبانة (٢/ ٨٨١) .

(٢) كتاب الايمان لشيخ الإسلام (ص : ٣٨٣) .

المبحث الثاني : مذهب من يوجب الاستثناء في الإيمان ومأخذه في ذلك :

أشهر من ذهب إلى القول بوجوب الاستثناء هم الكلابية والأشاعرة ، حيث أن الايمان عندهم : هو ما مات عليه الانسان ، والانسان إنما يكون مؤمناً أو كافراً باعتبار ما يموت عليه وهو ما يسمونه الموافاة ، وهي بعبارة أخرى ما سبق في علم الله أنه يموت عليه ، وما قبل ذلك لا عبرة به .

فعند هؤلاء بالنسبة لما مضى من إيمان الانسان لا يجوز له أن يستثنى فيه ، ثم لما رأوْ أن المشهور عن أهل الحديث والسنة الاستثناء في الإيمان ، جعلوا الاستثناء في المستقبل إلا أنه هو الذي يشك فيه الانسان ، فأوجبوه لهذا .

ومقصودهم بالموافاة : أن العبد يأتي موافياً بالإيمان ربه بأن يبقى عليه إلى الوفاة فيكون متصفاً به إلى آخر حياته ، إذ أن الإيمان لا يكون نافعاً معتبراً منجيا لصاحبه ، إلا إذا مات عليه، فلما كان هذا الإيمان هو المعتبر في النجاة ، صار هؤلاء إلى الاستثناء في الايمان بهذا الاعتبار ، فإذا قيل لأحدهم : أمؤمن أنت ؟ قال : إن شاء الله ، وهو في ربطه هذا الايمان بالمشيئة يلحظ أنه قد لا يموت على هذا الايمان ، ولا يثبت عليه إلى الوفاة . وحملوا بهذا التصور ، جميع الآثار الواردة عن السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ في الاستثناء على هذا المحمل(١) .

يقول الجويني : « فإن قيل قد أثرعن سلفكم ربط الايمان بالمشيئة ، وكان اذا سئل الواحد منهم عن إيمانه قال :أنا مؤمن إن شاء الله ، فما محصول ذلك ؟ قلنا : الإيمان ثابت في الحال قطعا لا شك فيه ، ولكن الايمان الذي هو عَلَمُ الفوز وآية النجاة ، إيمان الموافاة فاعتنى السلف به وقرنوه بالمشيئة ، ولم يقصدوا التشكيك في الايمان الناجز »(٢) .

وهذ االذي قاله الجويني ليس مراد السلف ولم يستثنى أحد منهم بهذا الاعتبار ، قال شيخ الإسلام « وأما الموافاة فما علمت أحدا من السلف علّل بها الاستثناء ، ولكن كثيراً من

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ٦٩٩) .

(٢) الارشاد (ص : ٣٣٦) .

المتأخرين يعلل بها من أصحاب الحديث من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم ، كما يعلّل بها نُظَّارهم كأبي الحسن الأشعري وأكثر أصحابه ، لكن ليس هذا قول السلف أصحاب الحديث » (١).

وقال أيضاً : « فهؤلاء - أي الكلابية والأشاعرة - لما اشتهر عندهم عن أهل السنة أنهم يستثنون في الايمان ورأوا أن هذا لا يمكن إلا اذا جعل الايمان هو ما يموت العبد عليه ، وهو ما يوافى به العبد ربه ، ظنوا أن الايمان عند السلف هو هذا ، فصاروا يحكون هذا عن السلف وهذا القول لم يقل به أحد من السلف ، ولكن هؤلاء حكوْه عنهم بحسب ظنهم لما رأوا أن قولهم لا يتوجه إلا على هذا الأصل ، وهم يدّعون أن ما نصروه من قول جهم في الايمان هو قول المحققين والنظار من أصحاب الحديث ، ومثل هذا يوجد كثيراً في مذاهب السلف التي خالفها بعض النظار وأظهر حجته في ذلك ، ولم يعرف حقيقة قول السلف فيقول من عرف حجة هؤلاء دون حجة السلف أو من يعظمهم لما يراه من تميزهم عليه ، هذا قول المحققين ، وقال المحققون ، ويكون ذلك من الأقوال الباطلة المخالفة للعقل مع الشرع ، وهذا كثيراً ما يوجد في كلام بعض المبتدعين وبعض الملحدين ، ومن آتاه الله علما وإيماناً ، عَلِمَ أنه لا يكون عند المتأخرين من التحقيق إلاما هو دون تحقيق السلف لا في العلم ولا في العمل »(٢) .

ويظهر مما سبق أنهم انما كرهوا ذلك واعتبروه بدعة لما تقدم من أن السؤال عن الايمان انما جاء من جهة المرجئة ، ومن أخذ حججهم استدراجاً منهم للايقاع في معتقداتهم في الايمان ، لأن الرجل المؤمن اذا سئل هذا السؤال فإنه يعلم ما في قلبه من التصديق ، فإذا أجاب بأنه مؤمن قاصداً انه مصدق ،فإن في ذلك حجة للمرجئة على مذهبهم ، فلما علم السلف مقصدهم كرهوا الجواب ، أو فصلوا فيه فأجابوا بالإيمان المقيد الذي لا يسلتزم الشهادة بالكمال.

ثم إن هناك سببا آخر لأجله أوجبوا الاستثناء ، هو أن من مذهبهم منع حلول الحوادث بذات الله ، ومن ثم قالوا إن الحب والرضا والسخط والغضب ونحو ذلك ، صفات أزلية قديمة

---

(١) كتاب الإيمان (ص : ٦٧١)

(٢) كتاب الإيمان (ص : ٦٦٧ - ٦٦٨) .

وقالوا : والله يحب في أزله من كـان كافرا إذا علم انه يموت مؤمناً ، ويبغض في أزله من كان مؤمناً ، اذا علم انـه يموت كافراً ، ومن ثم ربطوا مـسألة الاستثناء في هذا القول وأوجبوه بناءًا على أن الانسان لا يعلم على أي شيء يموت(١) .

ويتضح من ذلك أن الكلابية والأشاعرة غلطوا على أئمـة السلف من جهة ، حيث نسبوا إليهم شيئا لم يقولوه ، وضلوا عن الحق من جهة أخرى حيث أوجبوا الاستثناء في الايمان على هذا الاعتبار الذي ابتدعوه وهـم مع ذلك متناقضون في رأيهم لأنهم يقـولون : إن الإيمان هو التصديق ثم يقولون إن الايمان في الشرع هو ما يوافى به العبد ربه وأوجبوا لذلك الاستثناء فهذا عدول منهم عن الايمان في اللغة الي معنى آخر فهلا فعلوا ذلك في الأعمال(٢) .

المبحث الثالث : مذهب من يحرم الاستثناء في الايمان :

سبق أن ذكرنا المذاهب في مسألة الاستثناء في الايمان وذكرنا قول أئمة السلف في ذلك وأنهم يجيزونه باعتبار ويتركـونه باعتبار حسب مراد المتكلم به ، وذكرنا قول مـن يوجبه وهم الكلابيـة والأشـاعـرة وبقي مـذهب من من يحـرمه وهـو قول الماتريـدية وبعض الأحناف وهم يجعلون الايمان شيئا واحدا ، وهو ما يعلمه الانسـان من نفسه ، وقالوا : من استثنى فقد شك ، وسموا من قال بالاستثناء شُكَّاكاً ، وقد استـدلوا على ما ذهبوا إليه بأدلة يعترضون بها علي أدلة من أجاز الاستثناء ، فمن تلك الأدلة .

١ - قولهم : أن الايمان هو التصديق ، أو هو التصـديق والاقرار ، ومن قام به التصديق والاقرار فهو مؤمن حقا ، لا يجوز أن يقول : أنا مؤمن ان شاء الله ، كمن قامت به الحياة لا يجوز أن يقول : أنا حي إن شـاء الله ، وكذلك يكون مـؤمناً عند الله تعالي لقـيام الإيمان به في الحال ،وان علم الله تعالى أنه يكفر بعد ذلك ، كمـا يعلم الله الحي حياً لقيام الحياة به في الحال، وان علم انه يموت بعد ذلك، وكذلك هومثل قول الشاب: أنا شاب إن شاء الله ،

---

(١) كتاب الإيمان (ص : ٦٥٩ - ٦٦٢) .

(٢) انظر : كتاب الايمان (ص : ٢٣١) .

باعتبار انه لا يدوم على شبابه ، ومن المعلوم ان هذا غير جائز ، فكذلك الاستثناء في الإيمان(١) .

٢ ـ ومن أدلتهم قولهم : أن الاستثناء فيه ايهام وشك في الإيمان ، فينبغي حفظ الكلام عنه(٢).

٣ ـ ومن أدلتهم قولهم : أن الاستثناء تعليق والتعليق لا يتصور الا فيما يتحقق بعد ، كما قال الله تعالى : ﴿ **ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله** ﴾ [الكهف:٢٣] وإما اذا تحقق كالماضي والحال فلا يجوز الاستثناء ، وكذلك الحال في الايمان فيمتنع تعليقه(٣) .

٤ ـ وقالوا أيضا : إن الاستثناء يرفع العقود ، نحو الطلاق والعتاق والنكاح والبيع ، ولا شك أن الايمان عقد فالاستثناء يرفع الايمان(٤) .

٥ ـ ومما احتج به هؤلاء : حديث الحارث بن مالك ان النبي ـ ﷺ ـ قال له : كيف أصبحت يا حارث ابن مالك ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا ، قال : إن لكل قول حقيقة ، فيما حقيقة ذلك ؟ قال : أصبحت عزفت نفسي عن الدنيا ، وأسهرت ليلي واظمأت نهاري وكأني أنظر الى عرش ربي قد أبرز للحساب ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة ، وكأني اسمع عواء أهل النار. قال: عبد نوّر الايمان قلبه، أن عرفت فألزم » وقالوا : فلم ينكر النبي ـ ﷺ ـ عليه ولكن قال : لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة ايمانك ؟(٥) .

الرد على من يحرم الاستثناء في الإيمان :

١ ـ ما سبق بيانه في الشبه الأولى من كلام الماتريدية والأحناف انما يتوجه على قول الأشاعرة والكلابية القائلين بوجوب الاستثناء باعتبار الموافاة ، أما باعتبار عدم تكميل الأعمال والبعد عن التزكية وغير ذلك مما ذهب اليه أئمة السلف فغير متوجه هذا من جهة .

---

(١) انظر : البداية من الكفاية في أصول الدين للصابوني (ص : ١٥٥) .

(٢) تحف القاري للكندهلوي (ص : ٥٢) وانظر : مجموع الفتاوى (١٣/ ٤١) .

(٣) انظر : التوحيد للماتريدي : (ص : ٣٨٨) بحر الكلام للنسفي(ص : ٤٠) .

(٤) انظر : بحر الكلام (ص :٤١ ، وانظر : مجموع الفتاوى (١٣/ ٤١) .

(٥) انظر : بحر الكلام (ص : ٤١) .

ومن جهة أخرى فقد أورد الأشاعرة جواباً على هذا الاعتراض الوارد على قولهم بأن قالوا : إن الاستثناء في الايمان ليس مثل قول القائل : أنا شاب ان شاء الله ، لأن الشباب ليس من الأفعال المكتسبة ، ولا مما يتصور عليه البقاء في العاقبة ، ولا مما يحصل به تزكية النفس ، والحاصل منع استواء الكلامَيْن لأن في الايمان ثلاثة أمور مصححة للاستثناء :

١ ـ أنه من الأمور الكسبية الاختيارية التي يجوز فيها التأدب بترك الدعوى ، بخلاف الشباب فإنه ليس كذلك ، فلا يتصور في الاستثناء فيه ، تأدب لأن التأدب في هذا الموضع هو لترك دعوى القدرة مع الكسب .

٢ ـ ان الإيمان عاقبته مبهمة فيجوز فيه الاستثناء ، بخلاف الشباب الذي لا يتصور استمراره على ماجرت به العادة الإلهية ، فلما لم يمكن من الأمور التي تشك في بقائها عاقبة الأمر، لم يحسن الاستثناء فيه على سبيل إبهام العاقبة كما في الايمان .

٣ ـ ان الإيمان من الأعمال الصالحة بل هو أعلاها ، ثم هو مما يفتخر به بخلاف الشباب ، فإنه ليس من الأعمال الصالحة وليس مما يفتخر به ، فلا يصح فيه الاستثناء الدافع للإفتخار بخلاف الايمان(١) .

وبهذا الجواب يندفع اعتراض الماتريدية والأحناف بتسوية الإيمان والشباب في عدم جواز الاستثناء فيهما لأن هذا الجواب مما يتطابق مع مراد السلف ومقصودهم بالاستثناء في الايمان وهو التزكية والشهادة بتكميل الأعمال، إلا أن الجواب لم يشتمل على أن الأعمال من الايمان.

٢ ـ دعواهم ان الاستثناء فيه شك وايهام في الإيمان ومن ثم قالوا بتحريم الاستثناء فيه صوناً للايمان وحفظا للكلام عنه .

وقد سبق الكلام على هذه الشبهة عند بيان الوجوه التي من أجلها استثنى السلف ؟ وان الاستثناء لا يلزم منه ولا يقتضي الشك ، بل يكون على اليقين لا على الشك كما ظن هؤلاء ، وسبق كذلك ايراد كثيرمن نصوص الكتاب والسنة مثل قوله تعالى : ﴿ **لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين** ﴾ [الفتح : ٢٧] ، وقوله ـ ﷺ ـ في أصحاب القبور : « **وإنا إن شاء الله بكم لاحقون** »(٢) وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنة الدالة على أن

---

(١) النبراس في شرح العقائد (ص : ٤٢٠) .

(٢) سيأتي تخريجه (ص (٣٩٥) من النص المحقق .

الاستثناء في الإيمان يكون على اليقين ولا يقتضي الشك ، على أنه ينبغي أن يلاحظ أن هناك فرقاً بين قول الرجل : أنا مؤمن أو مؤمن ، وبين قوله : آمنت بالله ، وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، لأن المراد بالشهادة لله بالوحدانية وللنبي بالرسالة أصل الايمان وهذه الأمور لا استثناء فيها ، وأما المراد بمؤمن أو مؤمن حقاً كمال الايمان وتمامه ، ولهذا قال السلف فيها بالاستثناء وإلا كان من لم يستثنى مزكيا لنفسه، وشاهدا لهابالجنة وهذا لا يجوز أن يدعيه أحد.

ثالثاً : ورابعاً : قولهم : إن الاستثناء تعليق ، والتعليق لايتصور إلا فيما يتحقق بعد ، واما اذا تحقق كالماضي والحال فيمتنع تعليقه ، وقولهم : ان الاستثناء يرفع العقود والايمان عقد فالاستثناء يرفع عقد الايمان .

فيمكن الجواب عن هاتين الشبهتين كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بأن يقال : «تعليلهم في المسألة انما يتوجه إلى من يعلق انشاء الايمان على المشيئة ، كالذي يريد الدخول في الإسلام ، فيقال له : آمن ، فيقول : أنا أؤمن إن شاء الله ، أو آمنت إن شاء الله ، أوأسلمت ان شاء الله ، والذين اسثنوا من السلف والخلف لم يقصدوا في الإنشاء ، وانما كان استثناؤهم في اخباره عما قد حصل له من الايمان فاستثنوا ، أما أن الايمان المطلق يقتضي دخول الجنة وهم لايعلمون الخاتمة ، كأنه اذا قيل للرجل : أنت مؤمن . قيل له : أنت عند الله مؤمن من أهل الجنة ، فيقول : أنا كذلك إن شاء الله ، أو لأنهم لايعرفون أنهم أتوا بكمال الايمان الواجب ، ولهذا كان من جواب بعضهم اذا قيل له انت مؤمن ؟ قال : أمنت بالله وملائكته وكتبه ، فيجزم بهذا ولا يعلقه ، أو يقول : إن كنت تريد الإيمان الذي يعصم دمي ومالي فأنا مؤمن ، وان كنت تريد ﴿ **إنما المؤمنون الذين ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقا** ﴾[الأنفال : ٢ - ٤] فأنا مؤمن إن شاء الله ، وأما الانشاء فلم يستثنى فيه أحد ولا شُرِعَ الاستثناء فيه ، بل كل من آمن وأسلم ، آمن وأسلم جزماً بلا تعليق . فتبين أن النزاع في المسألة قد يكون لفظياً ، فإن الذي حرّمه هؤلاء غيرالذي استحسنه أولئك، ومن جزم جزم بما في قلبه من الحال ، وهذا لا ينافى تعليق الكمال والعاقبة ، ولكن هؤلاء عندهم الأعمال ليست من الإيمان، فصار الايمان هو الإسلام عند أولئك .

وما أعرف أحدا أنشأ الايمان فعلقه على المشيئة ، فإذا علقه ، كان مقصوده أنا مؤمن ان شاء الله ، أنا أؤمن بعد ذلك ، فهذا لم يصر مؤمناً ، مثل الذي يقال له : هل تصير من أهل دين الإسلام فقال : اصير إن شاء الله ، فهذا لم يسلم ، بل هو باق على الكفر ، وإن كان قصد اني آمنت ، وإيماني بمشيئة الله ، صارمؤمناً . لكن اطلاق اللفظ يحتمل هذا وهذا ، فلا يجوز اطلاق مثل هذا اللفظ في الانشاء .

وايضا فإن الأصل أنه انما يعلق بالمشيئة ما كان مستقبلاً ، فأما الماضي والحاضر ، فلا يعلق بالمشيئة ، والذين استثنوا ، لم يستثنوا في الانشاء ـ كما تقدم ـ كيف وقد أمروا أن يقولوا : ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط﴾ [البقرة : ١٣٦] وقال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ [البقرة : ٢٨٥] فأخبر أنهم آمنوا فوقع الايمان منهم قطعاً بلا استثناء . وعلى كل أحد أن يقول : آمنا بالله وما أنزل إلينا كما أمر الله بلا استثناء ، وهذامتفق عليه بين المسلمين .

وما استثنى أحد من السلف قط في مثل هذا ،وانما الكلام اذا أخبر عن نفسه بأنه مؤمن كما يخبر عن نفسه بانه بر تقي ، فقول القائل له : أنت مؤمن ، هو عندهم كقوله : هل انت بر تقي ؟ فإذا قال : أنا بر تقي فقد زكى نفسه ، فيقول : إن شاء الله ، وأرجو أن أكون كذلك ، وذلك أن الإيمان التام يتعقبه قبول الله له وجزاؤه عليه وكتابة الملك له ، فالاستثناء يعود إلى ذلك، لا إلى ما علمه هومن نفسه وحصل واستقر، فإن هذا لا يصح تعليقه بالمشيئة . بل يقال : هذا حاصل بمشيئة الله ، وفضله وإحسانه ، وقوله فيه : إن شاء الله ، بمعنى إذا شاء الله ، وذلك تحقيق لا تعليق .

والرجل قد يقول : والله ليكونن كذا ان شاء الله وهو جازم بأنه يكون، فالمعلق هو الفعل كقوله : ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ﴾ [الفتح : ٢٧] والله عالم بأنهم سيدخلونه ،وقد يقول الآدمي : لأفعلن كذا إن شاء الله، وهو لا يجزم بأنه يقع لكن يرجوه ، فيقول : يكون إن شاء الله، ثم عزمه عليه قد يكون جازماً، ولكن لا يجزم بوقوع المعزوم عليه ، وقد يكون العزم مترددا معلقا بالمشيئة أيضاً ، ولكن متى كان المعزوم عليه معلقا لزم تعليق بقاء العزم ، فإنه بتقدير أن تعليق العزم ابتداءاً أو دوماً في مثل ذلك ، ولهذا لم يحنث المطلق المعلق ،

وحرف « إن » لا يبقى العزم ، فلا بد إذا دخل على الماضي صار مستقبلاً تقول : إن جاء زيد كان كذلك ، ﴿ **فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فإنما هم في شقاق** ﴾ [البقرة : ١٣٧] وإذا أريد الماضي دخل حرف « إن » كقوله : ﴿ **إن كنتم تحبون الله فاتبعوني** ﴾ [آل عمران : ٣١] فيفرق بين قوله : أنا مؤمن ان شاء الله ، وبين قوله : إن كان الله شاء ايماني »[١] .

خامساً : سبق أن رأينا ان من يذهب إلى تحريم الاستثناء يحتج بحديث الحارث بن مالك وقالوا : لم ينكر النبي - ﷺ - عليه ولكن قال : لكل شيء حقيقة ، فماحقيقة ايمانك ؟ والكلام هنا من وجهين :

الوجه الأول : ان في اسناد الحديث نظر فهو معضل[٢] .

الوجه الثاني : بتقدير أنه صحيح فإن الحديث يحمل على أن المراد بالحقيقة التي ذكرت أصل الايمان ، أو الايمان المجمل ، وإذا كان المقصود به ذلك ، جازا إطلاقه.

يقول شيخ الإسلام : « وأما من جوّز إطلاق القول بأني مؤمن ، فيصح اذا عنى أصل الايمان دون كماله والدخول فيه دون تمامه ، كما يقول : أنا حاج وصائم لمن شرع في ذلك ، وكما يطلقه في قوله : آمنت بالله ورسله وعلى هذا يخرج ... ماروى في حديث الحارث الذي قال فيه : « أنا مؤمن حقا » وفي حديث الوفد الذين قالوا : نحن المؤمنون ... » وان كان في الإسنادين نظر[٣] .

---

(١) رسالة الفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموع الفتاوى (١٣ / ٤١ - ٤٦) .

(٢) فقد أخرجه محمد بن نصر المرزوي في تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٧٦٠) معلقاً ، وأخرجه عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد (ص : ١٠٦) عن معمر عن صالح بن مسمار أن النبي - ﷺ - قال يا حارثة ... إلى الحديث .
وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١ / ١٢٩) من طريق معمر عن صالح وجعفر بن برقان أن النبي - ﷺ - قال ... فذكره ، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٣/١١) وفي كتاب الايمان (ص : ٣٨) من طريق ابن نمير . أخبرنا مالك بن مغول عن زبير قال : قال رسول الله - ﷺ - .. فذكره .
قال الشيخ الألباني والحديث معضل ، فإن زبيداً من الطبقة السادسة التي لم تلق أحدا من الصحابة كما في التقريب ، وقد روى موصولا عن الحارث بن مالك نفسه رواه عبد بن حميد والطبراني وأبو نعيم وغيرهم بسند ضعيف. انظر: الاصابة ترجمة الحارث (١/ ٢٨٩) ، والايمان لابن أبي شيبة (ص : ٣٨) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٧ / ٦٦٩) .

الفصل السادس

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المتكلمين في مسائل الإيمان

ويتكون من أربعة مباحث :

المبحث الأول : موقف شيخ الإسلام من المتكلمين في حقيقة الايمان

المبحث الثاني : موقف شيخ الإسلام من المتكلمين في زيادة الإيمان ونقصانه

المبحث الثالث : موقف شيخ الإسلام من المتكلمين في حكم مرتكب الكبيرة

المبحث الرابع : موقف شيخ الإسلام من المتكلمين في الاستثناء في الإيمان

لقد كان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء المتكلمين في مسائل الايمان موقفاً علمياً واضحاً قوياً ، وكان منهجه في الرد عليهم ـ فيما ذهبوا إليه ـ يعتمد على تأصيلات علمية بناها ـ رحمه الله ـ على استقراء جيد لماورد في نصوص الكتاب والسنة ، وأقوال أئمة السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ كما أن له تحقيقات دقيقة ذكر فيهاأصول الخلاف في هذه المسألة العلمية ، وذكر فيها تفاوت أهل الفرق والطوائف في مدى التزامها بلوازم أقوالها فقد جمع ـ رحمه الله ـ بين الخبرتين الخبرة بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح ، والخبرة بمقالات الفرق والطوائف في هذا الباب ـ وفي غيرها ـ فجاء منهجه وردوده ومناقشاته لتلك الفرق والطوائف منهجاً منسقاً واضحاً ، لأنه عرف من مداخل تلك الفرق والطوائف ، ومواطن نقد أصولها وعرف من تناقضاتها الشيء الكثير ، مع بيانه ـ في أثناء تلك الردود والمناقشات ـ لمنهج السلف الصالح ـ أهل السنة والجماعة ـ في ذلك .

وليس قصدنا هنا اسيقاء هذه التأصيلات والتحقيقات والضوابط ، وإنما الاشارة إلى بعضها ، خاصة ما يتعلق منها بمسألة الايمان فمن ذلك :

١ ـ ما ذكره ـ رحمه الله ـ من أن الأصل الذي نشأ بسببه النزاع في مسأله الايمان بين جميع الطوائف ، انما كان بسبب التزام بعضهم أو كلهم وتعلقهم بشبهتين :

الأولى : ظنهم أن الايمان كل لا يتجزأ ، إذا زال منه جزء زال جميعه .

الثانية : ظنهم أنه لا يجتمع في الانسان طاعة ومعصية ، وايمان وكفر ، وإسلام ونفاق عملي، فإذا وجد أحدهما انتفى الآخر .

٢ ـ ملاحظته لمن قال في الايمان قولاً ثم لم يلتزم بلوازم ذلك القول ، والتي قد تكون لوازم باطلة ، أنه يبقى بين أمرين :

ـ إما مناقضة قوله الذي قاله .

ـ وإما التزام القول الباطل ، الذي ثبت بالاجماع انه قول باطل(١) .

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ٣٤٨ ـ ٣٥٠ ، ٦٢٥ ، ٦٣٠) وشرح حديث جبريل (ص : ٣٨٣ ـ ٤٠٦) .

وهذا تحليل دقيق لبيان منشأ الخلاف وأصل النزاع بين الطوئف بعضهم البعض من جانب وبينهم وبين أهل السنة والجماعة من جانب آخر .

ويتلخص موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من المتكلمين في مسألة الايمان في عدة مباحث.

المبحث الأول موقفه منهم في حقيقة الايمان .

المبحث الثاني : موقفه منهم في زيادة الايمان ونقصانه .

المبحث الثالث : موقفه منهم فيما ذهبوا إليه في حكم مرتكب الكبيرة .

المبحث الرابع : موقفه منهم في مسألة الاستثناء في الايمان .

المبحث الأول : موقف شيخ الإسلام من المتكلمين في حقيقة الايمان

سبق أن بينا آراء المتكلمين في حقيقة الايمان ، ورأينا أنهم يكادوا يجمعون على تأخير العمل عن الايمان وعدم اعتباره ركنا فيه وداخلاً في مسماه - عدا الخوارج والمعتزلة - وعليه فيمكن تلخيص أقوالهم في حقيقة الايمان إلى خمسة أقوال :

١ - أنه التصديق ، وهذا رأي المرجئة والمختار عند الأشاعرة وبعض الماتريدية .

٢ - أنه المعرفة، وهذا قول جهم بين صفوان والجهمية .

٣ - أنه الإقرار ، وهو قول الكرامية .

٤ - أنه : التصديق والاقرار ، وهو قول أبي حنيفة وبعض أتباعه وبعض الأشاعرة والماتريدية .

٥ - أنه الاعتقاد والقول والعمل ، وهو قول السلف - أهل السنة والجماعة - وقول الخوارج والمعتزلة .

ويتلخص موقف شيخ الإسلام من المتكلمين في هذا المبحث في مسألتين :

المسألة الأولى : موقفه منهم في تأخيرهم العمل عن الايمان وعدم ادخاله في مسمى الايمان .

المسألة الثانية : موقفه منهم في تصورهم لحقيقة الايمان .

المسألة الأولى : لقد وقف شيخ الإسلام من تأخير العمل عن الايمان وعدم ادخاله في مسماه ، موقفا ينكر فيه هذا الرأي ويقرر أن العمل ركن أصيل في الإيمان ، وهم قسيم الركنين

الآخريين ، وعدم ادخال الأعمال في مسمى الايمان يعد رأياً خاطئاً معارضاً لما ورد في نصوص الكتاب والسنة التي تطلق على الأعمال أنها إيمان ، ومعارض أيضاً لما اتفق عليه سلف الأمة من اعتبارهم العمل ركن أصيل يدخل في حقيقة الايمان .

يقول شيخ الإسلام « ... ومما يدل من القرآن على أن الايمان المطلق مستلزم للأعمال قوله تعالى : ﴿ **إنما يؤمن بآياتا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون** ﴾ [السجدة : ١٥] فنفى الايمان عن غير هؤلاء ، فمن كان إذا ذكر بالقرآن لا يفعل ما فرضه الله عليه من السجود ، لم يكن من المؤمنين وسجدو الصلوات الخمس فرض باتفاق المسلمين ... فهذه الآية مثل قوله : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم** ﴾ [الحجرات : ١٥] وقوله : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾ [الأنفال:٢] وقوله : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه** ﴾ [النور : ٦٢] . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم ا لكاذبين * لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين * إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون** ﴾ [التوبة : ٤٣ - ٤٥] وهذه الآية مثل قوله : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حاد الله ورسوله** ﴾ [المجادلة:٢٢] فبين سبحانه أن الإيمان له لوازم ، وله آضداد موجودة تستلزم ثبوت لوازمه وانتقاء اضداده، ومن آضداده موآدة من حاد الله ورسوله ، ومن أضداده استئذانه في ترك الجهاد ، ثم صرّح بأن استئذانه انما يصدرمن الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ودل قوله : ﴿ **والله عليم بالمتقين** ﴾ على أن المتقين هم المؤمنون . ومن هذا الباب ، قوله - ﷺ - « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** »(١) وقوله : « **لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه** »(٢) .. وقوله : «**من غشنا فليس منا**(٣)»(٤) .

---

(١) سيأتي تخريجه (ص : ١٤) من النص المحقق .

(٢) سيأتي تخريجه (ص : ١٣) من النص المحقق .

(٣) سيأتي تخريجه (ص : ٥٩) من النص المحقق .

(٤) كتاب الإيمان (ص : ٢٥٥ - ٢٥٧) من النص المحقق .

وقال أيضـا : « فلفظ الايمان إذا أطلق في القـرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ ا لبـر وبلفظ التقوى وبلفظ الدين ... فإن النبي - ﷺ - بيّن ان : « **الايمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إمـاطة الأذى عن الطـريق** »[١] فكان كل ما يحـبه الله يدخل فـي اسم الايمان ، وكذلـك لفط البر إذا أطلق دخل فيه جـميع ذلك ، وكذلـك لفظ التقـوى وكذلك الدين ودين الإسلام وكـذلك روى أنهم سألوا النبي - ﷺ - عن الايمان فـأنزل الله هذه الآية : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** ﴾ ..... ثم وصف الله على هذا الاسم ما لزمه من العـمل فقال : ﴿ **وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السـبيل - إلى قوله وأولئك هم المتقون** ﴾ [البقرة : ١٧٧] فقـد فسر البر بالإيمان ، وفسر بالتقوى وفـسر بالعمل الذي يقرب إلى الله والجميع حق ، وقد روى مرفوعاً إلى النبي - ﷺ - أنه فسر البر بالايمان »[٢] .

ولم يكن صنيع الشـيخ هنا : بجـديد بل هذا هو منهج السلف ، فـقـد فعل ذلك الإمـام البخاري - رحمه الله - حيث رتب نصوص الـكتاب والسنة ترتيباً قصـد به الرَّد على من ، أخرَّ العمل عن الايمان ، فقد وضع تراجم وأدرج تحتها مـا يدل عليها من آية أو حديث حيث قال : باب أمـور الايمان ثـم سـاق قـول الله تعـالى ﴿ **ليس البـر أن تولوا وجـوهكم قبـل المشـرق والمغرب** ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وساق بعد هذه الآية حديث شعب الايمان ، ثم عقد بعد ذلك لكل خصلة من خصال الايمان بابا فقال : باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ، وباب قيام ليلة القدرمـن الايمان ، وباب الجهاد من الايمان ، وباب تطوع قـيام رمـضان من الايمان ، وباب الصـلاة من الايمـان ، ثم سـاق قـول الله تعـالى : ﴿ **ومـا كـان الله ليـضـيـع إيمانكم** ﴾ [البقرة:١٤٣][٣] وقد عرف هذا المنهج واشـتهر بين العلماء وهو منهج قـصدوا به الرد على من لم يدخل العـمل في الإيمان[٤] ووجه الاسـتدلال بما تقـدم ذكره : أن الكتـاب والسنة أطلقت على الأعـمال اسم الايمان فـالصـلاة من الايمان والجهـاد من الايمان والحج من الايمان والزكـاة

(١) سيأتي تخريجه (ص : ٨) من النص المحقق .

(٢) كتاب الايمان (ص : ٢٨١ - ٢٨٤).

(٣) انظر : فتح الباري (١ / ٥٠ ، ٥٣ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥) .

(٤) انظر تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٧٠٦ - ٧٠٧) التمهيد لابن عبد البر (٩ / ٢٣٨) .

وجميع أعمال البر من الايمان، فكيف يصح القول : بأن الأعمال ليست من الايمان ، مع أن الشارع الحكيم أطلق عليها أنها إيمان ، فمن زعم خلاف ذلك فكلامه باطل لأنه يشتمل على مخالفة الكتاب والسنة مخالفة واضحة وصريحة .

فإذاً شيخ الإسلام تمسك بالوحي الذي يؤمن به الجميع ، ورد على مخالفيه بنصوص ذلك الوحي ، وهذ طريقة مثلى في اثبات المعتقد والرد علي الخصوم في آن واحد ، ومع ذلك لم يقف عندهذا الحد بل سلك طريقا آخر لإبطال رأي من أخّر العمل عن الايمان فسلك مسلك الإلزام - فقد ذكر شيخ الإسلام بن تيمية عن أبي ثور - أحد أئمة السلف - قوله في الرد على أصحاب هذا الرأي فقال : « ... فأما الطائفة التي ذهبت إلى أن العمل ليس من الايمان فيقال لهم : ماذا أراد الله من العباد إذ قال لهم : أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، الاقرار بذلك أو الاقرار والعمل ؟ فإن قالت : إن الله أراد الاقرار ولم يرد العمل ، فقد كفرت ... وان قالت : أراد منهم الاقرار والعمل ، قيل : فإذا كان أراد منهم الأمرين جميعا فلم زعمتم أنه يكون مؤمنا بأحدهما دون الآخر ، وقد أرادهما جميعاً؟ أرأيتم لو أن رجلاً قال: أعمل بجميع ما أمر الله به، ولا أقر به ، أيكون مؤمنا ؟ فإن قالوا : لا ، قيل لهم : فإن قال : أقر بجميع ما أمر الله به ولا أعمل به ، يكون مؤمنا ؟ فإن قالوا : نعم ، قيل : ما الفرق ؟ وقد زعمتم أن الله أراد الأمرين جميعاً ، فإن جاز أن يكون بأحدهما مؤمناً إذا ترك الآخر ، جاز أن يكون بالآخر إذا عمل به ولم يقر مؤمناً ، ولا فرق بين ذلك ، فإن احتج فقال : لو أن رجلاً أسلم فأقر بجميع ما جاء به النبي - ﷺ - أيكون مؤمناً بهذا الإقرار قبل أن يجيء وقت العمل ؟ قيل له : إنما نطلق له الاسم بتصديقه ان العمل عليه بقوله : أنه يعمله في وقته ، إذاجاء وليس عليه في هذا الوقت الاقرار بجميع ما يكون به مؤمناً ، ولو قال : اقر ولا أعمل لم نطلق عليه اسم الايمان - يعني أنه لا يكون مؤمنا إلا إذا التزم بالعمل مع الإقرار ، وإلا فلو أقر ولم يلتزم بالعمل لم يكن مؤمنا » .

يقول شيخ الإسلام مقراً لكلام أبي ثور السابق ومعلقاً عليه بقوله : « فهذا الاحتجاج الذي ذكره هو دليل على وجوب الأمرين : الاقرار والعمل ، وهو يدل على أن كلاً منهما من الدين، وأنه لا يكون مطيعاً لله ولا مستحقاً للثواب ولا ممدوحاً عند الله ورسوله إلا بالأمرين جميعاً ،

وهو حجة على من يجعل الأعمال خارجة من الدين والايمان جميعاً »[١] اذا العمل ركن في الايمان كما هو رأي شيخ الإسلام ورأي غيره من علماء أهل السنة والجماعة ، والقول باخراجه من الايمان قول غير صحيح وأئمة أهل السنة والجماعة ضد هذا الرأي .

هذا ومما ينبغي هنا ـ من باب الانصاف ـ أن نفرق بين الرأيين الذين تضمنا تأخير العمل عن الايمان ، فأحد الرأيين ـ كما سبق بيانه في موضعه ـ أباحي ينادي صراحة بما يخالف تعاليم الاسلام أمراً ونهياً ، فيبيح للانسان أن يصدق بقلبه ويكفيه ذلك ثم يفعل ما شاء من الشر والفساد ، وهو ما تضمنه قولهم: « إنه لايضر مع الايمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة » وهذا قول المرجئة ، ولا يشك أحد في خطر هذا الرأي على الاسلام .

فالخلاف مع هؤلاء هو خلاف حقيقي معنوي اما الخلاف بين مرجئة الفقهاء وأهل السنة فتحقيق الكلام فيه على النحو التالي :

من المعلوم أن أئمة السلف قد أجمعوا على ذم المرجئة الفقهاء وأمروا بهجرهم وعدم مجالستهم[٢] وذلك حين قالوا : إن الأعمال ليست من الايمان ، ولقد عظم على السلف أن تكون الصلاة والزكاة وسائر الأعمال الظاهرة ليست من الايمان وأدركوا ـ رحمهم الله ـ ما قد يترتب علي تلك البدعة من تهاون في الواجبات واشاعة للفساد ـ وهو ما قد حصل بالفعل بعد ذلك ـ فحاربوا من قال بالارجاء منهم واشتد نكيرهم عليهم .

وقد قال كثيرون قديماً وحديثاً بأن الخلاف محتمل وأن حقيقة الخلاف بين أئمة السلف ومرجئه الفقهاء أمثال حماد بن أبي سليمان وتلميذه الامام أبي حنيفة ـ قالوا ان الخلاف بين أئمة السلف وبينهم خلاف لفظي صوري ، خاصة أنهم يقولون بوجوب أعمال الجوارح ، وان لم يعتبروها جزء من الايمان ، ولقد أورد شيخ الإسلام كثير من النصوص سواء في كتابنا هذا وفي شرح حديث جبريل أو في رسالة الفرقان بين الحق والباطل وفي غيرها في تحرير هذه المسألة يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

---

(١) كتاب الايمان (ص : ٦٠١ ـ ٦٠٢) .

(٢) انظر : كتاب السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣١٠ ـ ٣٤١) كتاب الشريعة (٢/ ٢٧٦ ـ ٦٩٤) ، كتاب الابانة لابن بطة ٢ /٨٠٨ ـ ٨٢٩) .

١ ـ أن علماء السلف ـ رضي الله عنهم ـ اشتد نكيرهم على المرجئة وبالغوا في ذمهم والتنفير منهم ولاشك أن معنى كلمة المرجئة في اصطلاح هؤلاء العلماء انها كانت تشمل أرجاء الفقهاء وأرجاء المتكلمين على حدٍ سواء ، فمذهب المرجئة ـ كما سبق أن ذكرناه ـ يخرج الأعمال من مسمى الإيمان ، ويقول بعدم التفاضل في الايمان وأنه لا يزيد ولا ينقص، ويحرم الاستثناء في الايمان ويعتبر من يستثنى شاكا وقولهم بالتسوية بين الناس في الايمان سواء في ذلك الفساق أو الأتقياء ـ فمذهب المرجئة ومرجئة الفقهاء مذهب مبتدع .

٢ ـ اتفق أئمة السلف ـ رغم تبديعهم للمرجئة ـ على عدم تكفيرهم ، بل إن شيخ الاسلام يعتذر كثيرا لمرجئة الفقهاء فيما ذهبوا اليه ويذكرأن لهم شبهات إلتبس الأمر عليهم بسببها ويذكر أن منهم اناسا معروفون عند الأمة بالعلم والدين وان النزاع مع هؤلاء لفظي لكن مع اعتذاره لهم انتقدهم في عدة أمور من أهمها :

أ ـ أن بدعتهم في الايمان مخالفة للكتاب والسنة .

ب ـ ان بدعتهم صارت ذريعة إلى إرجاء المتكلمين ، من الجهمية وغيرهم .

ج ـ ان بدعتهم قد أدت إلى ظهور الفسق وصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سبباً لخطأٍ في العقائد والأعمال ، يقول رحمه بعد كلام طويل : « ... ومن قال بحصول الإيمان الواجب بدون فعل شيء من الواجبات سواء جعل تلك الواجبات لازما له أو جزءاً منه فهذا نزاع لفظي،كان مخطئاً خطأ بينا وهذه بدعة الارجاء التي أعظم السلف والأئمة الكلام في أهلها. وقالوا فيها من المقالات الغليظة ما هو معروف »[(١)] ويقول في موضع آخر : « ولهذا دخل في ارجاء الفقهاء جماعة عند الأمة أهل علم ودين ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحداً من مرجئة الفقهاء ، بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال لا من بدع العقائد ، فإن كثيراً من النزاع منها لفظي ، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب ، فليس لأحد ان يقول بخلاف قول الله ورسوله ، لا سيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الارجاء وغيرهم ، وإلى ظهور الفسق ، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سبباً لخطأ عظيم في العقائد والأعمال فلهذا عَظُمَ القول في ذم الارجاء »[(٢)] .

---

(١) شرح حديث جبريل (ص : ٥٧٧) .

(٢) كتاب الايمان (ص : ٦١٠) ، وانظر مجموع الفتاوى (١٣ / ٣٨) .

فيظهر من النصوص السابقة أن شيخ الإسلام موافق لأئمة السلف في ذمهم للمرجئة والارجاء ، ويفهم منه كذلك مع اقراره بأن النزاع لفظي في أن الأعمال لازمة للايمان أو جزء منه.

أقول يعتبرخطأ المرجئة خطأ واضحاً ويذكر أن أئمة السلف قد اشتد نكيرهم عليهم . اضافة إلى ما سبق انه يحكم عليهم بالتناقض في مذهبهم في الايمان، وأنهم إن لم يدخلوا أعمال القلوب في الايمان لزمهم قول جهم ، وإذا أدخلوها فيه لزمهم أن يدخلوا أعمال الجوارح فيه أيضا(١) .

وإذا أردنا أن نخرج برأي لشيخ الإسلام حول الخلاف بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء فإن علينا أن نرجح بين عدة احتمالات والتي منها :

١ ـ ان الخلاف بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء حقيقي وليس لفظي على الإطلاق لكن الاحتمال يضعف بسبب ترديد شيخ الإسلام لعبارة أن الخلاف لفظي(٢).

٢ ـ أن الخلاف الحاصل بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء عند شيخ الإسلام خلاف لفظي وهو ما نادى به وأثبته ابن أبي العز في شرح الطحاوية(٣) ولكن هذا الاحتمال يضعف بسبب ترديد شيخ الاسلام احيانا بأن بعض الخلاف معنوي وكثير منه لفظي .

٣ ـ ان اطلاق شيخ الاسلام لعبارة النزاع اللفظي هو من باب التنزل مع المخالف في المناظرة وليس نفيا للخلاف المتبقى بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء يقول شيخ الإسلا م: «وكثيرمن منازعات الناس في مسائل الايمان ومسائل الأسماء والأحكام هي منازعات لفظية»(٤) .

ويقول : « وقيل لمن قال : دخول الأعمال الظاهرة في اسم الايمان مجاز ، نزاعك لفظي ، فإنك اذا سلمت أن هذه لوازم الايمان الواجب الذي في القلب وموجباته ، كان عدم اللازم موجباً لعدم الملزوم ، فيلزم من عدم هذا الظاهر ، عدم الباطن فاذا اعترفت بهذا كان النزاع لفظيا »(٥) فشيخ الإسلام يريد أن يقول لهؤلاء ليس بيننا وبينكم خلاف إذا أقررتم بأن الأعمال من لوازم الايمان ، والخلاف حينئذ يكون لفظيا ، لكنكم مخالفون للكتاب والسنة لأن ما أحدثتموه في

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ٣٠٢ ـ ٣٠٣) .
(٢) انظر : كتاب الايمان (ص : ٢٨٤ ، ٣٢٥ ، ٤٥٣) .
(٣) انظر : شرح الطحاوية (٢ / ٤٦٢) بتحقيق التركي والارناؤوط .
(٤) مجموع الفتاوى (١٨ / ٢٧٩) .
(٥) شرح حديث جبريل (ص : ٤٨٩) .

الايمان من بدعة وان بدت خطئاً يسيرا في اللفظ ، إلا أنها جرّت شراً عظيماً في العقائد والأعمال وإلى ظهور الفسق ولهذا اشتد نكير السلف في ذم الأرجاء .

فالخلاف إذاً حقيقي وأن سمى لفظياً تنزلاً للخصم في المناظرة .

٤ ـ ان الخلاف الحاصل بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء جزء منه لفظي وجزء منه معنوي فالخلاف الحاصل في الاسم هوخلاف لفظي والخلاف الحاصل في الحكم معنوي .

فمرجئة الفقهاء وإن أخرجوا الأعمال من مسمى الايمان ، وقالوا : إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، إلا أنهم اتفقوا علي أن تارك ذلك مذموم ومعرّض للوعيد ، فالخلاف من هذه الجهة لفظي فهو من جهة الاسم ، أما الخلاف المعنوي معهم فلأنهم يجعلون تارك جنس العمل بالكلية مؤمناً ناجيا عند الله في الآخرة وهذا في الحكم ، وأهل السنة يقولون بعكس ذلك .

ولعل عبارات شيخ الاسلام قد تؤيد هذه الاحتمال ، فكثيراً ما كان يشير إلى أن الخلاف مع مرجئة الفقهاء كثيرمنه لفظي وذلك حين يخرجون العمل من مسمى الايمان ، ويوافقون أهل السنة على وجوب الأعمال وان تاركها معرض للذم والعقاب .

وان الخلاف معهم معنوي حين يقولون : إن من آمن بقلبه وأقر بلسانه ولم يعمل خيراً قط مؤمن ناج عند الله في الآخرة ، وأهل السنة يكفرون تارك جنس العمل بالكلية ولا يتصورون ان مثل هذا يقع إلا ان كان في اذهان المرجئة .

وبكل حال فموقف شيخ الإسلام واضح ، فقد بين أنهم أخطأوا حين أخرجوا العمل من الايمان ،لأن مسلكهم هذاكان سببا في التهاون بالأعمال وظهور الفسق وأنه كان تمهيداً لغلاة المرجئة من الجهمية وغيرهم من المتكلمين ، وأن بدعتهم فيها من الإدخال في الدين ما ليس منه فلهذا شنّع عليهم أئمة السلف وذموهم ووافقهم شيخ الإسلام على ذلك وحذّر من بدعتهم.

أما ما استدل به من ذهب الى إخراج العمل عن الايمان ولم يجعله ركنا في الايمان بالنصوص التي عطفت الأعمال على الإيمان، كقوله تعالى:﴿**الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ [البقرة : ٢٥] إذ قالوا : إن العطف يقتضي المغايرة فإن هذا ـ كما يقول شيخ

الاسلام ـ غير صحيح لأن المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه في القرآن وسائر كلام الناس على أربع مراتب :

ـ **المرتبة الأولى** : أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر ، ولاجزؤه ولا يعرف لزومه له ... كقوله تعالى : ﴿ **من كان عدواً لله وملائكته وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين** ﴾ [البقرة : ٩٨] فلا أحد ينكر أن جبريل وميكال من الملائكة ، ولو كان العطف يقتضي المغايرة في جميع أحواله ـ كما يقولون ـ لدلت هذه الآية على أن جبريل وميكال من جنس آخر غير الملائكة ، وذلك ما لا يقوله أحد[1] .

ـ **المرتبة الثانية** : أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه لزوم كقوله : ﴿ **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق** ﴾ [البقرة : ٤٢] وقوله : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين** ﴾ [النساء : ١١٥] وقوله : ﴿ **من يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله** ﴾ [النساء : ١٣٦] فإن من كفر بالله فقد كفر بهذا كله فالمعطوف لازم للمعطوف عليه ،وفي الآية التي قبلها ، المعطوف عليه لازم ، فإنه من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين .

وقوله : ﴿ **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق** ﴾ [البقرة : ٤٢] هما متلازمان فان من لبس الحق بالباطل فجعله ملبوساً به ، خفى من الحق بقدرما ظهر من الباطل ،فصار ملبوسا ومن كتم الحق ، إحتاج أن يقيم موضعه باطلاً فيلبس الحق بالباطل [2] .

ـ **المرتبة الثالثة** : عطف بعض الشيء عليه أي هو عطف الخاص على العام كقوله : ﴿ **حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى** ﴾ [البقرة : ٢٣٨] وقوله : ﴿ **واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم** ﴾ [الأحزاب : ٧] وغيرها .

المرتبة الرابعة: عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين: كقوله: ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى** ﴾ [الأعلى: ١ ـ ٤]

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ٢٧١ ـ ٢٧٢) .

(٢) كتاب الايمان (ص : ٢٧٢) .

فالله سبحانه واحد ، وعطف بعض صفاته على بعض . وقوله : ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون** ﴾ [البقرة : ٣ - ٤] فالمؤمنون بالغيب هنا ان لم يؤمنوا بما أنزل إليه وما أنزل من قبله ، لم يكونوا على هدى من ربهم ولا مفلحين ولامتقين ، وكذلك الذين آمنوا بما أنزل اليه وما أنزل من قبله ، إن لم يكونوا من الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقهم الله ينفقون ، لم يكونوا على هدى من ربهم ، ولم يكونوا مفلحين ولم يكونوا متقين . فدل علي أن الجميع صفة المهتدين المتقين الذين اهتدوا بالكتاب المنزل إلى محمد - ﷺ - فقد عطفت هذه الصفة على تلك مع أنها داخلة فيها ، لكن المقصود صفة ايمانهم وانهم يؤمنون بجميع ما أنزل الله على أنبيائه لا يفرقون بين أحد منهم ، وإلا لم يذكر إلا الايمان بالغيب(١) .

هذه هي مراتب العطف فعطف العمل على الايمان من أي تلك المراتب ؟

سبق أن رأينا أن شيخ الإسلام يبين أن لفظ الايمان اذا أطلق في الكتاب والسنة يراد به ما يراد بلفظ البر والتقوى والدين ، وشعب الايمان هي شعب البروالتقوى والدين فيقول بعد ذلك: « أما قولهم - أي المرجئة ومن قال بقولهم - ان الله فرق بين الايمان والعمل في مواضع ، فهذا صحيح ، وقد بينا أن الايمان اذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها ، وذكرنا نظائر لذلك كثيرة ، وذلك لأن أصل الايمان ، هو ما في القلب والأعمال الظاهرة لازمة لذلك لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب ، مع عدم جميع أعمال الجوارح ، بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الايمان الذي في القلب ، فصار الايمان متناولا للملزوم واللازم ، وان كان أصله ما في القلب ، وحيث عطفت عليه الأعمال ، فإنه أريد أنه لا يكتفي بايمان القلب ، بل لا بد معه من الأعمال الصالحة »(٢) .

فالذي ذكره الشيخ هنا يدل على أنه لا يكتفي بايمان القلب ، بل لا بد من الأعمال الصالحة مع ايمان القلب لأن الأعمال لا شك انها من دلائل الايمان الظاهرة ولازمة له فكلما وجد الايمان فلا بد أن يوجد معه العمل .

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ٢٧٩ ، ٢٨٠) .

(٢) كتاب الايمان (ص : ٣٠٨) .

ثم بين شيخ الإسلام أن الناس لهم في العطف قولان :

القول الأول : أن العطف هنا من باب عطف الخاص على العام ، وأن إفراد العمل بالذكر تخصيص له لأهميته لئلا يظن ظانٌّ أنه لا يدخل في الأول ثم ذكر ـ رحمه الله ـ على ذلك أمثلة كثيرة منها قوله : ﴿ **من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال** ﴾ [البقرة : ٩٨] ثم قال : وكذلك يذكر الايمان أولاً لأنه الأصل الذي لا بد منه ، ثم يذكر العمل الصالح فإنه ... من تمام الدين لا بد منه ، فلا يظن الظان اكتفاءه بمجرد ايمان ليس معه العمل الصالح(١) .

القول الثاني : قول من يقول : بل الأعمال في الأصل ليست من الايمان ، فإن أصل الايمان هو ما في القلب ولكن الأعمال لازمة له ، فمن لم يفعلها كان ايمانه منتفياً ، لأن انتفاء اللازم يتقضي انتفاء الملزوم لكن الأعمال صارت في عرف الشارع داخلة في اسم الإيمان إذا أطلق ، فإذا عطفت عليه ذكرت لئلا يظن الظان أن مجرد الإيمان بدون الأعمال الصالحة اللازمة للايمان ، يوجب الوعد ، فكان ذكرها تخصيصا وتنصيصاً ليعلم أن الثواب الموعود به في الآخرة وهو الجنة بلا عذاب لا يكون إلا لمن آمن وعمل صالحاً ، لا يكون لمن ادعى الايمان ولم يعمل (٢) .

نستنتج من ذلك أن :

من ذهب إلى أن الأعمال غير داخلة في مسمى الايمان مستدلاً بالعطف لا دليل لهم فيه إذ أنه من باب عطف الخاص على العام .

وقد سبق أن رأينا أن قول السلف إن الإسلام الذي هو الأعمال الظاهرة ، كما هومفسر في حديث جبريل اذا ذكر مقروناً بالايمان ، فإنه يراد من أحدهما غير ما يراد من الآخر في الحقيقة الشرعية ، ولكنه لا يدل علي التغاير بينهما تغايراً لا التقاء معه ، لأن أحدهما اذا ذكرمنفردا دخل الآخر فيه ، كما في حديث وفد عبد القيس ، وكذلك يقال في كل نص شرعي من آية أو حديث ورد فيه الإسلام مقروناً بالإيمان أو منفصلاً عنه .

---

(١) كتاب الايمان (ص : ٣٠٨ - ٣٠٩) .

(٢) انظر : كتاب الايمان (ص : ٣١٤) .

رد شيخ الإسلام على من يقول إن الأعمال تطلق على الإيمان مجازاً :

لقد وجد المتكلمـون في مسألة الايمان وخاصة كل من أخرج العـمل من مسمى الايمان ـ أن النصوص المستفـيضة تطلق على العمل اسم الايمان ، فلم يجدوا مخـرجا من تلك النصوص إلا بأن قالوا : دلالة لفظ الايمان على الأعمال مجاز ، وقالوا : إن الأعمال قد تدخل في الايمان ولكن على سبيل المجاز وليس على الحقيقة .

وهذا الذي ذهب إليـه المتكلمون أصل منـهجي عندهم اعـتمـدوا عليه في تقـرير مسـائل العقيدة ، فهم يقسمون الألفاظ الدالة على معانيها إلى حـقيقة ومجاز ، ويعرفون الحقيقة بأنها : اللفظ المستـعمل فيـما وضع له ، ويعرفـون المجاز بأنه : اللفظ المستـعمل في غيـر ماوضع له ، مما يحتمله اللفظ وتدل عليه القرينة ، فالمجاز عندهم إذاً هو قسيم الحقيقة .

ولقد وقف شيخ الاسـلام ابن تيمية من هذا المسلك المنهـجي عند المتكلمين ، وهو القول بأن دخول الأعـمال في الايمان مجـاز وهو عمدة المرجـئة والجهـمية والكرامـية بل وكل من لم يدخل الأعمـال في اسم الايمان ـ أقول لقد وقـف شيخ الاسلام من هذا المسلك مـوقفا صـارما وسلك في سبيل ابطال ذلك طريقين :

الطريق الأول : ابطال المجاز من اساسه وبيان انه مـصطلح بدعي محدث وأن مابنى عليه من تقسيم للألفاظ الى حقيقة ومجاز أنها قسمة محدثة لا أصل لها .

الطريق الثاني : مع التسليم بأن هناك مـجاز في اللغة والشرع فإنه لا دليل فـيه لمن أخرج العمل من مسمى الايمان .

أما الطريق الأول : فقد ابطل شيخ الإسلام ابن تيمية المجاز من أساسه ومنع القول به سداً لبابٍ دخل منه الانحراف في أمر العقيدة وتمثل ذلك الابطال في الوجوه التالية :

أولاً : من المعلوم أن المجـاز ـ كمـا يقال ـ مـذهب قـولي لساني ، ومن المعلوم كـذلك أن العلوم اللسانية كانت محط اهتمام بعض علماء المسلمين ، بداية من القرن الثاني الهجري وإلى يومنا هذا .

وكـان للفتـوحـات الإسلامـيـة ، واحتكـاك الثقـافـات والعلوم الأجنبـية بالعلـوم العربيـة والإسلامية نصيب في مجال البحث والتفكير ، وكما يقال بدت هناك ظاهرة التزاوج الفكري

تظهر على كثيرمن الدراسات العربية والإسلامية ، وأمدت هذه الظاهرة ظاهرة أخرى ، هي : ظاهرة الخلاف في كثير من الحقائق ـ خاصة من قبل أصحاب تلك الثقافات الأجنبية .

وكان مما اختلف فيه المختلفون «المجاز» والخلاف الذي وقع حول هذا المصطلح بدأ مبكرا ، ومضمون ذلك الخلاف كان على الشكل التالي :

هل المجاز واقع في اللغة العربية ؟ وإذاكان ، فهل يجوز وقوعه في الكتاب والسنة ؟ اختلفت الأنظار حول هذا الفرض إلى ثلاث مقالات :

- فريق يقول بوقوعه في اللغة العربية ، وفي الكتاب والسنة .
- فريق يرى أنه واقع في اللغة ، غير واقع في الكتاب والسنة .
- وذهب إلى القول بعدم وقوعه في اللغة العربية والكتاب والسنة أبو إسحاق الاسفرايني وأبو علي الفارسي .

وذهب الي القول بعدم وقوعه في الكتاب والسنة ، داود بن علي الأصبهاني وابنه أبو بكر أما من يقول بوقوعه في اللغة العربية وفي الكتاب والسنة ـ كما يقول الدكتور عبد العظيم المطعني ـ فهم الجمهور في كل فروع البحث والتأليف ، المتكلمون والمفسرون والمحدثون والفقهاء والأصوليون والبلاغيون والاعجازيون والبيانيون والأدباء والنقاد و ... إلخ .

وقد تبارى هؤلاء جميعا في الرد على بعضهم البعض فمن ذهب إلى وقوع المجاز في اللغة وفي الكتاب والسنة ، وضعوا المصنفات في الرد على مانعي وقوع المجاز ، ومانعيه أخذوا في الرد على مجوزيه مما أوجد حركة فكرية واسعة .

والواقع أن منشأ الخلاف بين مجوزي المجاز ومانعيه هو البحث في أسماء الله تعالى وصفاته وبعض مسائل العقيدة الأخرى ـ كما وقع من المتكلمين في مسألة الايمان ـ فقالوا بأن دلالة نصوص الكتاب والسنة على صفات الله وعلى الأعمال إنها من المجاز ـ حسب تصورهم ـ وقالوا أيضاً : إنه إذا ورد في الكتاب والسنة نصوص يوهم ظاهرها ـ حسب تصورهم ـ التشبيه والتجسيم والحدوث ... مثل اثبات اليد والعين والجنب واثبات النزول والاستواء والمعية والاتيان والمجيء وغيرها من الصفات الخبرية وصفات الفعل الاختيارية .

أقول لقد تصور مجوزا المجاز ان اثبات ذلك لله على ظاهره يؤدي الى التشبيه والتجسيم والحدوث(١) .

أما مانعوا المجاز ـ وهم أهل السنة والجماعة ـ فقد أجروا هذه الصفات على ظاهرها وأثبتوا مدولاتها لله تعالى ، لأن الله وصف بها نفسه ، وكذلك وصفه بها رسوله ـ ﷺ ـ ولن يصف الله ـ عز وجل ـ أعلم بالله من الله ورسوله ، لأنه لا ينطق عن الهوى فكلامه ﷺ وحي يوحى وان كان لا يتلى ، أقول وصفوا الله كما وصف نفسه وكما وصفه رسوله ـ ﷺ ـ من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل ولا تحريف ولعل الدافع الذي دفع شيخ الإسلام ابن تيمية ـ ومعه جميع أهل السنة والجماعة ـ لمنع المجاز وعدم وقوعه في اللغة والكتاب والسنة ، هو أنه اتخذ ذريعة لانكار كثير من العقائد ، فالمرجئة مثلا قالوا الايمان هو التصديق ، أما الأعمال فلا تدخل في حقيقة الايمان ـ كما سبق أن رأينا ـ وانما تدخل مجازا ، بينما الايمان كما في الكتاب والسنة وكما هو عند السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ قول وعمل واعتقاد ، والأعمال تدخل في حقيقة الايمان ، سواء في ذلك اعمال القلوب من التوكل والخوف والرجاء والإنابة والخشية ، أو أعمال الجوارح من الصلاة والزكاة والحج والجهاد والذكر والتلاوة وغيرها من شعب الايمان .

والواقع أن مسألة المجاز طويلة جدا ، وما كان شيخ الإسلام ومعه أهل السنة والجماعة ليعترض عليها لو أنها بقيت مثل كثيرمن مسائل الفنون والعلوم القولية والعملية التي أفردت بمؤلفات خاصة بها ، وصار لأصحاب تلك الفنون اصطلاحات خاصة بهم ، ولكن لما أخذ المتكلمون يستخدمون مصطلح المجاز ـ الذي هو مصطلح حادث ـ ليتوصلوا به الى تصحيح عقائدهم وتأييدها بما يؤلونه من النصوص بناء على إلتزامهم بمصطلح المجاز وغيره ، كان لا بد من الوقوف أمام هذا المصطلح وبيان فساده وهذا ما فعله شيخ الاسلام بالنسبة لمصطلح المجاز .

مع أنه ينبغي أن يلاحظ ان شدة النقاش زادت بسبب أمرين آخرين :

السبب الأول : أن كثيراً من المتكلمين رمواْ أئمة السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ بعدم الفهم ، حيث إنهم رأوا أن طريقة أهل السنة في العقيدة هي مجرد الايمان بألفاظ الكتاب

(١) انظر : المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم بين مجوزيه ومانعيه (المقدمة) .

والسنة من غير فقه ولا فهم لمراد الله ورسوله منهـا ـ هكذا زعموا ـ واعتقدوا ان مذهب السلف أسلم لأنه لم يتعرض للمعاني والحقائق ، وإنما هو مجرد التسليم ، وان مذهبهم الذي هو صرف اللفظ عن معناه الحـقيقي الذي هـو غيرلائق بالله ـ في تصـورهم ـ يؤدي إلى التشبيه والتجـسيم وحلول الحـوادث بذات الله تعالى ، وصـرف تلك الظواهر عن حـقيـقتهـا ـ بدعوى المجـاز ـ الى معاني أخري تتفق وتصورهم مع توحيد الله بمعناه الاصطلاحي لديهم ، فقالوا بناء على ذلك إن مذهبهم أعلم وأحكم .

السبب الآخر : وجود السيل الجارف من تأويلات الرافضة والباطنيـة والفلاسفة والصوفية والمرجئة ، لكثير من حقائق الأسماء والصفات والأسماء والإحكام من شرائع الإسلام ،كل هذه التأويلات الباطلة وهذه التهم الشنيعـة ـ مع أسباب أخرى ـ هي التي دعت شيخ الإسلام إلى أن يدافع عن التوحـيد الخالص والعبـادات التوقيفـية والنصوص الشرعـية من تأويلات المتكلمين من المرجئة والشيعة والفلاسفة والصوفـية وغيرهم . ووقف ـ رحمه الله ـ تجاه هذه التأويلات وقفات جادة وطويلة يعرفها كل من اطلع على كتبه ورسائله وفتاويه ودرس مذهبه .

ثانياً : يرى شيخ الإسـلام ابن تيمية أن القـول بتقسيم الكلام الى حـقيقة ومـجاز تقسـيماً اصطلاحياً ، هوتقـسيم مبتدع لا أصل له لا في اللغـة ولا في الكتاب ولا في السنة ، بل ولا في عرف السلف سواء كانوا من اللغويين أو الفقهاء أو الأصـوليين ، فأئمة اللغة المتقدمين ، كالخليل بن أحمد وسيبـويه وأبي عمرو بن العلاء ، لم يتكملوا به ، ولا يوجد فيمـا وصل إلينا من كتبهم أدنى إشارة إلى تقسيم الكلام هذه التقسيم الاصطلاحي المبتدع .

كما لايوجد هذا التقسيم ايضا عند أئمة الفقه والأصول المتقدمين فالشافعي ـ رحمه الله ـ أول من تكلم في أصول الفقه، وقد وصل إلينا أهم كتبه في ذلك وهوكتاب « الرسالة » لا يوجد فيه أدنـى اشارة إلى هذا التقسـيم لا من قريب ولا من بعيد ، وكـذلك الإمام محمـد بن الحسن الشيبانـي صاحب الامام أبي حنيفة في كتـابه « الجامع الكبير » لم يتكلم بلفظ الحقـيقة والمجاز ، إذاً لم ينقل هذا التقسيم عن أحد من الأئمة كمالك وأبي حنيفة والثوري والأوزاعي وغيرهم(١).

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ١٤١ ـ ١٤٥) .

ثم أن هذا التقسيم إما أن يكون عقلياً أو شرعياً أو لغوياً أو اصطلاحياً ، ومن المعلوم أن العقل لا مدخل لهه في دلالة اللفظ وتخصيصه بالمعنى المدلول عليه حقيقة كان أو مجازاً ، فإن دلالة اللفظ على معناه ، ليست كدلالة الانكسار على الكسر ... لأنها لو كانت عقلية لما اختلفت باختلاف الاسم ولما يسهل جهل معنى لفظ ابداً .

ومن المعروف أيضاً أن الشرع لم يرد بهذا التقسيم ولادل عليه ، لامن قريب ولامن بعيد.

وكذلك لم يصرح أحد من العرب أن هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز ، بل كل ما ادعاه المتكلمون أو اللغويون ، أن المجاز من أساليب العرب ،وجمال لغتهم ، ولم يوجد هذا في كلامهم ، ولا وجد في كلام من نقل لغتهم ، سواء كان بالمشافهة ولا غيرها ولهذا لا يوجد في كلام الخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء وأمثالهم ، كمالم يوجد هذا التقسيم في كلام أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا كلام أحد من الأئمة الأربعة ، وكلامهم مدون بحروفه لم يحفظ عن أحد منهم تقسيم اللغة أو الكلام إلى حقيقة ومجاز .

واذا علم أن تقسيم الألفاظ والمعاني والاستعمالات الى حقيقة أومجاز ، ليس تقسيماً شرعياً ولا عقليا ولا لغويا فهو اذاً تقسيم اصطلاحي محدث بعد القرون المفضلة ، حدث بعد عصر اللغة الأول عصر الرواية والاحتجاج .

وكان منشاؤه من جهة المتكلمين من المرجئة والمعتزلة والجهمية ثم تبعهم في ذلك التقسيم عامة المشتغلين بالكلام والفلسفة والأصول والأدب(١) .

ثالثاً : من المعلوم أن المتكلمين بالمجاز يتكلمون عن ألفاظ اللغة وألفاظ الكتاب والسنة فمن الأولى الالتزام بألفاظ الكتاب والسنة وألفاظ أئمة السلف أهل السنة والجماعة لأن إلتزام اقوالهم أولى من التزام أي مصطلح آخر، خاصة أننا نتكلم في ألفاظ شرعية أو ماله تعلق بتلك الألفاظ ، فكيف اذا استعمل مصطلح المجاز وكان فيه من المفاسد الشرعية ما قد رأينا ، وما قيل من أن النزاع في مسألة المجاز نزاع لفظي فيجيب عن ذلك شيخ الإسلام بقوله : « إنه اذا كان النزاع لفظياً ، وهذا التفريق بين الكلام اصطلاح حادث لم يتكلم به العرب ولا أمة من الأمم

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ١٥٧ - ١٦٠) .

ولا الصحابة والتابعون ولا السلف ،كان المتكلم بالألفاظ الموجودة التي تكلموا بها ونزل بها القرآن أولى من المتكلم باصطلاح حادث ـ حتى ولم لمن يكن فيه مفسدة ـ واذا كان فيه مفاسد كان ينبغي تركه لو كان الفرق غير معقول وفيه مفاسد شرعية ، وهو إحداث في اللغة ،كان باطلا عقلا وشرعا ولغة . أما العقل فإنه لا يتميز فيه هذا عن هذا .

وأما اللغة ، فلأن تغيير الأوضاع اللغوية ليس فيه مصلحة راجحة ، بل معه توجد المفسدة ومن المفاسد ، أن لفظ المجاز المقابل للحقيقة سواء جعل من عوارض الألفاظ أو من عوارض الاستعمال ، يفهم ويوهم نقص درجة المجاز عن درجة الحقيقة ، لا سيما وأن من علامات المجاز ـ كما صرح بذلك المتكلمون ـ صحه اطلاق نفيه ، فاذا قال القائل : إن الله تعالى ليس برحيم ولا برحمن لا حقيقة بل مجاز إلى غير ذلك مما يطلقونه على كثيرمن اسمائه وصفاته وقال : لا إله إلا الله مجاز لا حقيقة ... ومعلوم أن هذا الكلام من أعظم المنكرات في الشرع(١) .

رابعاً : يقول شيخ الإسلام في ابطال تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز ، وابطال التفرقة الحقيقية بينهما : « تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز لا حقيقة له ولا ضابط ، وليس لمن فرق بين الكلام حقيقته ومجازه حد صحيح يميز بين هذا وهذا فعلم أن التقسيم باطل ، لأنه تقسيم من لم يتصور ما يقول ، بل يتكلم بلا علم ... وذلك انهم قالوا : الحقيقة : اللفظ المستعمل فيما وضع له ، والمجاز : اللفظ المستعمل في غيرما وضع له ، فاحتاجوا الى اثبات الوضع السابق على الاستعمال ثم هم يقسمون الحقيقة الى عرفية ولغوية وشرعية .

فالحقيقة العرفية : هي ما صار اللفظ دالا فيها على المعنى بالعرف لا باللغة ، وذلك المعنى يكون تارة أعم من اللغوي ، وتارة أخص وتارة يكون مبايناً له ، لكن بينهما علاقة استعمل لأجلها .

وقالوا في حد الحقيقة : بأنها ما تفيد المعنى مجردا عن القرائن ، والمجاز : لا يفيد إلا مع قرينة، وقالوا في حدهما: الحقيقة: ما يفيده اللفظ المطلق ، والمجاز: ما لايفيد إلا مع التقييد، وقالوا ايضا : الحقيقة هي المعنى الذي يسبق إلى الذهن عند الاطلاق، والمجاز: ما لايسبق الى الذهن.

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٠ / ٤٥٤ ـ ٤٥٦) .

وقالوا في حدهما : الحقيقة ما لا يصح نفيها ، المجاز ، مايصح نفيه .

فيناقش من يحد الحقيقة والمجاز فيقال له : ما تعنى بالتجريد عن القرائن ، والاقتران بالقرائن ؟ ان عنى بالقرائن القرائن اللفظية مثل كون الاسم يستعمل معرفا بالاضافة أولام التعريف ، ويقيد بكونه فاعلاً أو غير ذلك ... فيقال له :لا يوجد قط في الكلام المؤلف اسم ولا فعل ولاحرف إلا مقيداً بقيود تزيل عنه الاطلاق، فإن كانت القرينة مما يمنع الاطلاق عن كل قيد ، فليس في الكلام الذي يتكلم به جميع الناس لفظ مطلق عن كل قيد ، سواء كانت الجملة اسمية أو فعلية ، .. وإذا كان كل اسم وفعل وحرف يوجد في الكلام ، فإنه مقيد لا مطلق لم يجز أن يقال : للفظ الحقيقة ما دل مع الاطلاق والتجرد عن كل قرينة تقارنه . فإن قيل اريد بعض القرائن دون بعض ، قيل له : اذكر الفصل بين القرينة التي يكون معها حقيقة والقرينة التي يكون معها مجازاً ، ولن تجد إلى ذلك سبيلاً تقدر به على تقسيم صحيح مقبول .

وأما قول من يُعَرِّف الحقيقة بأنها ما سبق إلى الذهن عند الإطلاق ، فإن هذا الحد من أفسد الأقوال ، فإنه يقال : إذا كان اللفظ لم يُنْطَق به إلا مقيداً ، فإنه يسبق إلى الذهن في كل موضع منه ما دل عليه ذلك الموضع ، وأما اذا اطلق فهو لا يستعمل في الكلام مطلقاً قط فلم يبق له حال اطلاق محض حتى يقال : إن الذهن يسبق اليه أم لا .

وايضا فأي ذهن يفهم الحقيقة عند الاطلاق بالسبق اليه ، فإن العربي الذي يفهم كلام العرب يسبق الى ذهنه من اللفظ مالا يسبق الي ذهن النبطي الذي يستعمل الألفاظ في غير معانيها ، ومن هنا غلط كثير من الناس ، فإنهم قد تعودوا ما اعتادوه إما من خطاب عامتهم ، واما من خطاب علمائهم باستعمال اللفظ في معنى ، فإذا سمعوه في القرآن والحديث ، ظنوا أنه مستعمل في ذلك المعنى ، فيحملون كلام الله ورسوله على لغتهم النبطية وعادتهم الحادثة وهذا مما دخل بالغلط على طوائف ، بل الواجب أن تعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل في القرآن والسنة وما كان الصحابة يفهمون من الرسول عند سماع تلك الألفاظ ، فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله ، لا بما حدث بعد ذلك .

والمقصود : أن الإطلاق اللفظي وهو أن يتكلم باللفظ مطلقاً عن كل قيد ، وهذا أمر لا وجود له ، فلا يتكلم أحد إلا بكلام مؤلف مقيد مرتبط بعضه ببعض ، فتكون تلك القيود

تمنعه الاطلاق فتبين بذلك انه ليس لمن فرّق بين الحقيقة والمجاز فرق معقول ، يمكن به التمييز بين نوعين ، فعلم انه تقسيم الكلام الي حقيقة ومجاز تقسيم باطل ، فكل لفظ قال المتكلمون إنه مجاز موجود في الكتاب والسنة ، فإنه مقيد بما يبين معناه ، فليس في شيء منها مجاز ،بل كله حقيقة(١) .

خامساً : يشير شيخ الإسلام إلى أنه اذا جاز تقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز حسب التقسيم الاصطلاحي الحادث للمتكلمين ، فإنه لا ينبغي لنا أن نخضع الكتاب والسنة لهذا التقسيم ، لأن في ذلك نوع من التمويه والابهام والاجمال على السامع ، وان صرف أي شيء من صفات الله تعالى عن حقيقتها أو صرف أي عمل عن دخوله في الايمان بحجة أنه من المجاز - كما يفعله المتكلمون - لا يجوز أن يكون إلا مقيدا بقيود أربعة ، لا يمكن للمتكلمين أن يقولوا إنهم التزموها في تأويلاتهم المجازية للصفات الخبرية وقولهم ان العمل يدخل في الايمان على سبيل المجاز - أقول يبين شيخ الإسلام هذه الشروط الأربعة ووجه اشتراط كل منها في هذا المقام بما ملخصه .

١ - أن يقولوا إن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازى ، لأن الكتاب والسنة جاءا باللسان العربي ولا يجوز أن يُراد بشيء منها خلاف اللسان العربي أو خلاف الألسنة كلها وإن لم يفعل ذلك فإنه يمكن لكل مبطل ان يفسر أي لفظ بأي معنى سنح له وان لم يكن له أصل في اللغة .

٢ - انه يشترط لمن يصرف شيئا من حقيقته الى مجازه - كما يدعى - أن يكون معه دليل يوجب صرف ذلك اللفظ من حقيقته الى مجازه ، وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة وفي معنى الطريق المجاز ، لم يجز حمله على المجاز بغير دليل يوجب ذلك الصرف باجماع العقلاء ، ثم إنْ ادعى وجوب صرفه عن الحقيقة ، فلا بد له من دليل قاطع عقلي أو سمعي يوجب الصرف ، وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلابد من دليل مرجح للحمل على المجاز .

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ١٥٨ - ١٧٤) .

٣ ـ ان من صرف لفظاً من حقيقته الى مجازه واقام دليلاً على ذلك ، فلا بد له أن يسلم الدليل الصارف للكلام ـ من حقيقته الى مجازه ـ عن المعارض ، وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مراده ، امتنع تركها ، ثم إن كان هذا الدليل نصا قاطعاً ، لم يلتفت الى نقيضه وان كان ظاهرا فلا بد من الترجيح .

٤ ـ من المعلوم أن الرسول ـ ﷺ ـ اذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهرة وضد حقيقته ، فإنه لا بد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته ، وأنه أراد مجازه سواء عينه أولم يعينه ، خاصة في الخطاب الذي اريد منهم فيه الاعتقاد والعمل ، فإنه سبحانه وتعالى جعل القرآن نورا وهدى للناس وشفاء لما في الصدور ، وأرسل الرسول ليبين للناس ما نُزِّلَ إليهم لئلا يكون للناس على الله حجه بعد الرسل ، ثم هذا الرسول الأمي العربي بُعِثَ بأفصح اللغات وأبين الألسنة فلا يجوز أن يتكلم هو ولا يتكلم أصحابه الذين أخذوا عنه بكلام يريدون به خلاف ظاهره وإلايكون قد نصب دليلا يمنع من حمله على ظاهره(١) .

ويطبق شيخ الإسلام هذه الشروط الأربعة على صفة « اليد » لله تعالى فيقول بعد ان تكلم عن إثبات الكتاب والسنة لهذه الصفة فقال : « المفهوم من هذاا لكلام ـ أي نصوص اليد في الكتاب والسنة ـ أن لله تعالى يدين مختصان به، ذاتيتان له، كما يليق بجلاله، فأخبر سبحانه انه خلق آدم بيده ، وانه يقبض الأرض بيده ويطوي السماوات بيمينه وان يداه مبسوطتان فصار ذلك من الحقائق العرفية اذا قيل هو مبسوط اليد ، فُهِمَ منه يد حقيقية فان زعم المتكلمون انه ليس له يد من جنس أيدي المخلوقين ، وان يده ليست جارحة فهذا حق ، وان زعموا انها مجاز فهذا باطل فيحتاج إلى تلك المقامات الأربع .

فمن يقول إن اليد بمعنى النعمة والعطية من باب تسمية الشيء باسم سببه ، كما يسمى المطر سماءا ... فإني سميت النعمة يدا مجازا .

وقد تكون اليد بمعنى القدرة ، تسمية للشيء باسم مسببه ، لأن القدرة هي التي تحرك اليد، وقد يجعلون اضافة الفعل إلى اليد من اضافة الفعل إلى الشخص نفسه ، لأن غالب الأفعال لما كانت باليد ، كان ذكر اليد اشارة إلى انه فعله بنفسه ، ومنه قولهم : « يداك اوكتا وفوك نفخ » توبيخاً لكل من جرّ على نفسه جريره ، لأن أول ما قيل هذا لمن فعل بيده وفمه.

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٦ / ٣٦٠ ـ ٣٦٢) .

فرد عليهم شيخ الإسلام هذا التأويل الذي كان المجاز سببا له فقال : « نحن لا ننكر لغة العرب التي نزل بها القرآن في هذا كله ، والمتأولون للصفات الذين حرفوا الكلم عن مواضعه وألحدوا في اسمائه وصفاته تأولوا قوله : ﴿ **بل يداه مبسوطتان** ﴾ [المائدة : ٦٤] وقوله : ﴿ **لما خلقت بيدي** ﴾ [سورة ص : ٧٥] على هذا كله فقالوا : إن المراد نعمته ، أي نعمة الدنيا ونعمة الآخره ، وقالوا : بقدرته ، وقالوا اللفظ كناية عن نفس الجود ، من غير أن يكون هناك يد حقيقية ، بل هذه اللفظة قد صارت في العطاء والجود ، وقوله : ﴿ **لماخلقت بيدي** ﴾ أي خلقته انا وان لم يكن هناك يد حقيقية »(١) .

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على المؤولين لليد بهذه التأويلات المجازية السابقة في مقامات الربعة :

- **المقام الأول** : أن لفظ اليدين بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ، ولا في القدرة ، لأن من لغة القوم استعمال الواحد في الجمع كقوله تعالى : ﴿ **ان الانسان لفي خسر** ﴾ [العصر : ٣] ، ولفظ الجمع في الواحد كقوله تعالى : ﴿ **الذين قال لهم الناس ان الناس** ﴾ [ال عمران : ١٧٣] ولفظ الجمع في الاثنين كقوله تعالى : ﴿ **صغت قلوبكما** ﴾ [التحريم: ٤] ، أما استعمال لفظ الواحد في الاثنين ، أو الاثنين في الواحد فلا أصل له ، لأن هذه الألفاظ عدد ، وهي نصوص في معناها لا يتجوّز بها ، ولا يجوز ان يقال : عندي رجل ويعني رجلين ، ولا عندي رجلان ، ويعني به الجنس لان اسم الواحد يدل على الجنس ، والجنس فيه شياع ، وكذلك اسم الجمع فيه معنى الجنس والجنس يحصل بحصول الواحد ، فقوله : ﴿ **لما خلقت بيدي** ﴾ [سورة ص : ٧٥] لا يجوز ان يراد به القدرة لأن القدرة صفة واحدة ولايجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد ولا يجوز أن يراد بها النعمة لأن نعم الله لا تحصى، فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية ، ولا يجوز ان يكون قوله ﴿ **لما خلقت بيدي** ﴾ « أنا » لأنهم اذا أرادوا ذلك اضافوا الفعل الى اليد ، فتكون اضافته الى اليد اضافة له إلى الفعل كقوله : ﴿ **بما قدمت يداك** ﴾ [الحج: ١٠] ، وقوله : ﴿ **وقدمت ايديكم** ﴾ [آل عمران : ١٨٢] ومنه قوله : ﴿ **مماعملت أيدينا انعاماً** ﴾ [سورة يس : ٧١] .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى : (٦ / ٣٦٥) .

أما اذا أُضيفَ الفعل إلى الفاعل ، وعُدِيَ الفعل إلى اليد بحرف الباء كقوله : ﴿ **لما خلقت بيدي** ﴾ [سورة ص : ٧٥] فإنه نص في أنه فعل الفعل بيديه ، ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشى أن يقال فعلت هذا بيدك ، ويقال : هذا فعلته يداك ، لأن مجرد قوله : فعلت ، كاف في الاضافة إلى الفاعل ، فلولم يرد أنه فعله باليد حقيقة ، كان ذلك زيادة محضة من غير فائدة ... وبهذا الفرق المحقق تتبين مواضع المجاز ومواضع الحقيقة ، ويتبين أن الآيات لا تقبل المجاز البتة من جهة نفس اللغة »(١) .

المقام الثاني : أن يقال لمؤول الصفة : « هب أنه يجوز أن يعنى باليد حقيقة اليد ، وأن يعنى بها القدرة أو النعمة ، أويجعل ذكرها كناية عن الفعل ، لكن ما الموجب لصرفها عن الحقيقة ؟

فإن قال المؤول : انما قلت عليها كذلك ، لأن حقيقة اليد هي الجارحة ، وذلك ممتنع على الله تعالى فيقال له: هذا ونحوه يوجب امتناع وصفه بأن له يداً من جنس ايدي المخلوقين . وهذا لا ريب فيه ، لكن لم لا يجوز أن يكون له يد تناسب ذاته تستحق من صفات الكمال ما تستحق الذات ؟ قال المؤول : ليس في العقل والسمع ما يحيل هذا . فيقال له : فإذاكان هذا ممكن وهو حقيقة اللفظ ، فلم يصرف عنه اللفظ الى مجازه ؟ وكل ما يذكره المؤول من دليل يدل على امتناع وصفه بما يسمى به ـ وصحت الدلالة ـ سُلِمَ أن المعنى الذي يستحقه المخلوق منتف عنه ، وانما حقيقة اللفظ وظاهره « يد » يستحقها الخالق كالعلم والقدرة ، بل كالذات والوجود(٢) .

المقام الثالث : ان يقال للمؤول الصفة هل تستطيع أن تثبت بالدليل العقلي أو النقلي من الكتاب والسنة أو عن أحد من السلف أو غيرهم أن وصفه تعالى « بيد » تليق بجلاله ، يعتبر نقصا أوعدم كمال ،حتى تحمل الآية على خلاف حقيقتها ؟ وهل يوجد في الكتاب والسنة ما يدل علي أن وصفه « بيد » تليق به ممتنع سواء كانت دلالاته ظاهرة أو خفية ؟

---

(١) مجموع الفتاوى (٦ / ٣٦٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (٦ / ٣٦٧) .

إن أقصي ما يحتج به المتـأولون ، آيات التنزيه العام التي تنفي التجسيم والتشبيه مثل قوله تعالى : ﴿ **قل هوالله أحـد** ﴾ [الاخـلاص : ١] وقـولـه تعـالى : ﴿ **ليس كـمـثله شيء** ﴾ [الشورى : ١١] وقوله تعالى : ﴿ **هل تعلم له سمياً** ﴾ [طه : ٦٥] وليس فـي هذه الآيات ما يـدل على انتفـاء « يد » تليق بجلاله ، ولا تـدل عليه بوجـه من الوجوه البـعيـدة. ثم هل في العقل ما يدل دلالة ظاهرة أو خفية على استـحالة وصف الله سبحانه « بيد » تليق به؟ واذا كان العقل لم ولـن يستطيع الوصول إلـى كيفـية الذات ، فلمـاذا لا يسلم بوجود « اليـد » بلا اثبات كيف لها ؟ إن الأقرب إلـى المعقول والمنقول ، التسليم بما ورد به السمع من صـفة « اليد» لله ـ والصفات كلها ـ وان يحتذى في اثباتها ، حذو إثبات الذات ، لأن الذات اثباتها اثبات وجود وليس اثبات تكييف(١) .

المقـام الرابـع : من الآيات التي اتفق على تأويلهـا أغلب المتكلمين قولـه تعـالى لإبليس ﴿ **ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي** ﴾ [سـورة ص : ٧٥] واعتـبروا ان اليـد هنا تطلق مجازا علي الله وان المراد بها النعمة أوالقدرة .

والمعنى المقـصـود الذي سيـقت له هذه الآية ، يناقـض اعتـبـارها مجـازاً ، ويأبى تأويلهـا بالقدرة أو العظمـة أو أي تأويل آخر ، وذلك لأن الآية سيـقت ـ كما جـاء في تفسيـرها وبيان سبب نزولها ـ لبيان خصوصية آدم دون غيره من الخلق ، حيث خلقه الله بيده .

فاسجد له ملائكته فسجدوا إلا إبليس فقيل : ﴿ **ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي** ﴾ [سـورة ص : ٧٥] ولـو صح تأويل الآيـة بشيء مما ذهـب اليـه المـتكلمـين لما كـان هـناك خصوصـية اختص بها آدم عن سائرالخلق ، لأنهم جـمعيا خلقوا بقـدرته حتى إبليس ، ولوكان المراد بذلك قدرته وعظمته ـ كما قال المتكلمون ـ لشارك آدم في ذلك غيره من المخلوقين(٢) .

وبناء علي مـا تقدم يظهـر أن تقسـيم الكلام إلى حـقيـقة ومـجاز تقـسيم باطل ، ومـادام كذلك فلا ينبـغي أن نخضع لغة القرآن والسنة لهذا التـقسيم ويجب حمل جمـيع صفات الله

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٦ / ٣٥٢ ، ٣٦٧ ـ ٣٦٩) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٦ / ٣٦٩ ـ ٣٧٠) .

على الحقيقة التي هي الأصل في الكلام، لا على المجاز ، من ثم فلا يجوز تأويل تلك الصفات ، لعدم صحة التأويل .

سادساً : يرى شيخ الإسلام ابن تيمية في تقسيم الألفاظ أنها نوعان .

الأول : ما معناه مفرد ، كلفظ الأسد والسيف والبحر ... وغيرها وهذه الألفاظ إذا استعملت في تركيب لغوي مثل قول النبي - ﷺ - : «**خالد سيف الله**»(١) وغيرها من أحاديث النبي فاللفظ في هذا الاستعمال فيه تجوز وتوسع ، وإن كان قد ظهر مراد صاحبه فهو محمول على هذا الظاهر في استعمال المتكلم وفي قصده . لا على ظاهر معناه المفرد عن هذا التركيب وكل من سمع هذا اللفظ في هذا التركيب علم مراد صاحبه ، وسبق إلى فهمه ان المراد هو مقصود المتكلم لا معناه المفرد ، وهذا يوجب أن يكون اللفظ نصاً في معناه لا محتملاً وليس حمل هذا اللفظ على هذاالمعنى من التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره حيث يتوهم بعض الباحثين ان شيخ الإسلام ابن تيمية يقصد من هذا النص « **خالد سيف الله** » ان المراد هنا هو حقيقة السيف المعروفة .

وما يجب ان يقرر هنا هو أنه يجب في هذا المثال وما شابهه يجب أن يفهم في ضوء ما يسمى « بالموقف اللغوي العام » وذلك يكون بقرائن الأحوال بالنسبة للمتكلم والمخاطب . وسياق الكلام والعرف اللغوي ،فكل هذه العوامل وغيرها تعطي اللفظ صفة الظهور في دلالاته على معناه الذي يريده المتكلم ، ويكون ذلك نصا في هذه الدلالة بصرف النظر عن معناه المجرد عن السياق ، ويكون هذا من باب ما يجوز أن يعبر به لغةً كما وضع على هذا المعنى أبي عبيده معمر بن المثنى كتابه « مجاز القرآن » وتحدث به الإمام أحمد بن حنبل في كتابه «الرد على الجهمية »، فشيخ الإسلام يسمى هذا مجازا لغوياً ، لكنه ليس قسيما للحقيقة ، بل يقصد ان هذا التعبير مما يجوز في اللغة ، ويكون نصا في دلالاته على مراد المتكلم ، وليس مجازا فيه ، فالتجوز ليس في دلالة اللفظ على المراد، وإنما هو في جواز التعبيربه عن المراد(٢) .

(١) سيأتي تخريجه (ص : ١٨٥) من هذا النص .

(٢) انظر : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل تأليف الدكتور محمد السيد الجليند (ص : ٣١١) .

أما النوع الثاني : من الألفاظ فيقول شيخ الإسلام عنه : « ما يكون في معناه اضافة ، إما بأن يكون المعنى اضافة محضة ، كالعلو والاستواء والفوق والتحت ، أو بأن يكون المعنى ثبوتيا فيه اضافة كالعلم والحب والبغض والسمع والبصر فهذا النوع من الألفاظ لا يمكن أن يكون له معنى مفرد بحسب موارده ، لأنه لم يستعمل مفردا قط ، بل لا بد فيه من اضافة توضح ما يراد منه وجميع افراد هذا النوع من الألفاظ لا يلزم منه الاشتراك أو المجاز ، بل هي حقيقة في القدر المشترك بين جميع مواردها ، ويعلق الدكتور الجليند على ذلك ويضرب مثلا بصفة الإستواء فيقول : والصفات الإلهية من هذاالباب ، فمثلا لفظ استوى لم تستعمله العرب في خصوص جلوس الانسان على السرير حتى يصير حقيقة في هذا المعنى فقط مجازا فيما عداه ... بل يستعمل الاستواء أحياناً مطلقاً بلا تعدية كقوله تعالى : ﴿ **ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً** ﴾[فصلت : ١١] وأحيانا بحرف الاستعلاء كقوله تعالى : ﴿ **استوى على العرش** ﴾[السجدة " ٤] وتارة صفة لله تعالى ، وتارة صفة للبشر ، ولا ينبغي أن يكون في أحد الموضعين حقيقة وفي الآخر مجازاً ، كما لا ينبغي أن يفهم منه أن الخاصية الثابتة لله تعالى هي الخاصية الثابتة للبشر ، بل يجب التفريق بين ما يدل عليه اللفظ مجرداً ، وما يدل عليه بخصوص اضافته إلى الفاعل المعين ، وبهذه التفرقة يزول الاشكال والتوهم الذي وقع فيه كثيرمن الباحثين فالاستواء مثلاً اذا أضيف إلى الله يكون حقيقة في المعنى المراد وصف الله تعالى به لا مجازاً وهذه الحقيقة لا يشركه فيها غيره لأنهاخاصة به ،كذلك إذا أضيف الاستواء للانسان يكون حقيقة فيه وخاص به وليس مجازا والحقيقة أنه مختلفان ، وذلك لاختلاف الذاتين الموصفتين بهما لأنه تعالى ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾[الشورى : ١١] .

فشيخ الإسلام إذاً يعترف بنوع من المجاز ، ولكنه لا يعده قسيما للحقيقة ولا مجازاً في الدلالة على المراد ، بل هو من قبيل التوسع في التعبير اللغوي، وهذا المجاز الذي تكلم عنه شيخ الإسلام يعترف به الواقع اللغوي العام ، لأننا وجدنا العرب يستعملون هذه الألفاظ في مثل هذا التعبير(١) .

---

(١) انظر : موقف ابن تيمية من قضية التأويل (ص : ٣١٢) .

سابعاً : لعل القول بالمجاز يصح ،لو علم أن الألفاظ العربية وضعت أولاً لمعاني ، ثم بعد ذلك استعملت فيها ، فيكون لهاوضع متقدم على الاستعمال ، وهذا انما يصح ـ كما يقول شيخ الاسلام ـ على قول من يجعل اللغات اصطلاحية وليست توقيفية ، فيدعى أن قوما من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على أن يسموا هذه بكذا وهذا بكذا ويجعل هذا عاما في جميع اللغات وهذا القول لا يعرف أحد قاله من المسلمين قبل أبي هاشم الجبائي ... والمقصود أنه لا يمكن أحداً أن ينقل عن العرب ، بل ولا عن أحد من الأمم أنه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الأسماء الموجودة في اللغة ، ثم استعملوها بعد هذا الوضع ، وانما المعروف المنقول بالتواتر استعمال هذه الألفاظ فيما عنوه بها من المعاني .. فالمولود اذا ظهرمنه التمييز سمع أبويه أومن يربيه ينطق باللفظ ويشير الى المعنى ، فصار يفهم ان ذلك اللفظ يستعمل في ذلك المعنى ، اي أراد المتكلم ذلك المعنى ثم هذا يسمع لفظا بعد لفظ حتى يعرف لغة القوم الذي نشأ بينهم ، من غير أن يكونوا قد اصطلحوا معه على وضع متقدم .(١) .

أما عن الطريق الثاني : أنه مع التسليم بأن هناك مجاز في اللغة والشرع ، فإنه لا دليل فيه لمن أخرج الأعمال من مسمى الايمان .

يقول رحمه الله : « إن لم يصح التقسيم إلى حقيقة مجاز فلا حاجة إلى هذا ، وان صح فهذا لا ينفعكم بل هو عليكم لا لكم ، لأن الحقيقة هي اللفظ الذي يدل باطلاقه بلا قرينة ، والمجاز انما يدل بقرينة وقد تبين أن لفظ الايمان حيث اطلق في الكتاب والسنة دخلت فيه الأعمال ، وانما يدعى خروجها منه عند التفسير وهذا يدل على أن الحقيقة قوله : الايمان بضع وسبعون شعبة »(٢).

ومن المعلوم أن العمل الظاهر فرع عن الباطن ، ولكن هل هو داخل في مسمى الايمان وجزء منه أم هو لازم لمسمى الايمان ؟

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ١٤٦ - ١٤٩) .

(٢) كتاب الايمان (ص : ١٨٨) .

يقول شيخ الإسلام مجيباً على هذا : وقيل لمن قال : دخول الأعمال الظاهرة في اسم الايمان مجاز ، نزاعك لفظي فإنك اذا سلمت أن هذه لوازم الايمان الواجب الذي في القلب وموجباته كان عدم اللازم موجبا لعدم الملزوم ، فيلزم من عدم هذا الظاهر عدم الباطن فان اعترفت بهذا كان نزاعك لفظيا»(١) .

ويقول أيضا : « ... فليس لفظ الايمان في دلالته على الأعمال المأمور بها بدون لفظ الصلاة والصيام والزكاة والحج في دلالته على الصلاة الشرعية والصيام الشرعي والحج الشرعي سواء قيل : إن الشارع نقله أو اراد الحكم دون الاسم ، أو أراد الاسم ، وتصرف فيه تصرف أهل العرف ، أو خاطب بالاسم مقيداً لا مطلقاً »(٢) .

فلفظ الايمان اذا ليس بأقل من لفظ الصلاة والصيام والحج في دلالاته على الصلاة الشرعية والصيام الشرعي والحج الشرعي .

المسألة الثانية :

تقدم ذكر مذاهب الناس في الايمان وبينا أن الخلاف وقع بين الفرق والطوائف في أمرين في حقيقة الايمان وفي دخول الأعمال في مسمى الايمان وبينا أنهم ينقسموا إلى قسمين :

القسم الأول هم أهل السنة و الجماعة والخوارج والمعتزلة وهم الذين يقولون : أن الايمان قول وعمل واعتقاد ، إلا أن الخوارج والمعتزلة خالفوا أهل السنة والجماعة في حكم مرتكب الكبيرة فحكمه في الدنيا عند المعتزلة أنه ليس بمؤمن ولا كافر ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ومن ثم فهو معصوم الدم والمال والعرض . أما الخوارج فهو عندهم مباح الدم والمال والعرض .

أما في حكمه في الآخرة فقد اتفق الخوارج والمعتزلة على أنه مخلد في النار مستحق للوعيد كالكفار .

القسم الثاني : وهم عموم فرق المرجئة الذين لم يدخلوا العمل في مسمى الايمان واختلفوا بعد ذلك في حقيقة الايمان فقال مرجئه الفقهاء هو الاعتقاد وقول اللسان ، وقالت الجهمية الايمان هو المعرفة فقط .

---

(١) شرح حديث جبريل (ص : ٤٩٠) .

(٢) كتاب الايمان (ص : ١٨٩ - ١٩٠) .

وما عدا ذلك من تصديق القلب واقراره وقول اللسان واعمال الجوارح فغير داخلة في حقيقة الايمان وهؤلاء هم غلاة المرجئة ، وقالت الماتريدية وبعض الأحناف الايمان هو التصديق أما قول اللسان فهو دليل عليه وليس داخلا في حقيقته ، وأعمال الجوارح لاتدخل في حقيقة الايمان ، أما الكرامية فقالوا : الايمان قول باللسان فقط وأعمال القلوب والجوارح فليست داخلة في حقيقة الايمان . وقالوا ان المنافق مخلد في النار لأنه لم يوافق قوله مافي قلبه من الاعتقاد الصحيح .

اما الأشاعرة والكلابية فلهم في الايمان قولان :

القول الأول : ان الايمان قول وعمل واعتقاد وهذا قول ابي علي الثقفي والقلانسي وابن مجاهد وهو أحد قولي ابي الحسن الأشعري ذكره في كتاب المقالات ضمن مقاله أصحاب الحديث وأهل السنة وقال انه بكل ما قالوه يقول.

القول الثاني : وهو القول الثاني لأبي الحسن الأشعري الذي ذكره في كتابه الموجز ووافقه عليه جمهور الأشاعرة والباقلاني والجويني وجمهور المتأخرين منهم وهو أن الإيمان مجرد تصديق القلب ومعرفته ، فتارة يقولون هوالمعرفة مثل قول الجهمية ، وتارة يقولون هو التصديق موافقة للماتريدية . ويتلخص موقف شيخ الإسلام في هذه المسألة في الرد على من قال بخلاف قول أهل السنة في حقيقة الايمان ممن قال بأن الايمان هو المعرفة فقط أو قول اللسان فقط أو التصديق والاقرار .

أما مناقشة الخوارج والمعتزلة فسوف ترد ـ ان شاء الله ـ في بيان موقف شيخ الإسلام منهم في حكم مرتكب الكبيرة في المبحث الرابع .

ويركز شيخ الإسلام ـ في بيان موقفه دائما ـ في الحديث عن ابتعاد فرق المبتدعة لهداية الكتاب والسنة وعدولهم عن منهج السلف الصالح، وأنهم يعتمدون على العقل وما تأولوه بفهمهم للغة وفي هذاالمعنى يقول عن المخالفين في الايمان: « .. وقد عدلت المرجئة في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم باحسان واعتمدوا على رأيهم وما تأولوه بفهمهم للغة وهذه طريقة أهل البدع... ولهذا تجدهم لا يعتمدون على

أحاديث النبي ـ ﷺ ـ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فلا يعتمدون لا على السنة ولا على اجماع السلف وآثارهم وإنما يعتمدون على العقل واللغة ... وعلى كتب الأدب والكلام التي وضعتها رؤوسهم وهذه طريقة الملاحده أيضاً إنما يأخذون من كتب الفلسفة وكتب الأدب واللغة ، وأما كتب تفسير القرآن والحديث والآثار فلا يلتفتون إليها ، هؤلاء يعرضون عن نصوص الأنبياء إذ هي عندهم لا تفيد العلم ، وأولئك يتأولون القرآن برأيهم وفهمهم بلا آثار عن النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه ، وقد ذكرنا كلام أحمد وغيره في انكار هذا وجعله هذا من طريقة أهل البدع ، واذا تدبرت حججهم وجدت دعاوى لا يقوم عليها دليل »[1] .

ويركز شيخ الاسلام أيضا على ابراز الشبهات التي أوقعت المرجئة بكل فرقها وأوقعت غيرهم في مخالفة الكتاب والسنة واجماع السلف .

الشبهة الأولى : هو اعتقادهم أن الايمان حقيقة واحدة لا يتجزأ ولا يتبعض ولا يزول منها جزء ويبقى جزء ، فأما أن يوجد كله أو يذهب كله ، يقول في ذلك : «إنهم جعلوا الايمان شيئاواحدا اذا زال بعضه زال جميعه واذا ثبت بعضه ثبت جميعه فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه »[2] .

والشبهة الثانية : اعتقادهم انه لا يجتمع في الانسان كفروا إيمان ويقول في ذلك : «ومن العجيب أن الأصل الذي أوقعهم في هذا اعتقادهم أنه لا يجتمع في الإنسان بعض الإيمان وبعض الكفر ، وما هو ايمان وما هو كفر واعتقدوا أن هذا متفق عليه بين المسلمين »[3] .

فالمرجئة بجميع طوائفهم من مرجئة الفقهاء والجهمية والكرامية والأشاعرة والماتريدية متفقون على اخراج العمل من مسمى الايمان واقاموا مذهبهم على هاتين الشبهتين فقال غلاة المرجئة والجهمية ليس الايمان الا شيئا واحد لا يتبعض فهو اما مجرد تصديق القلب كقول الجهمية أوتصديق القلب كقول المرجئة أو الاقرار فقط كقول الكرامية أو تصديق القلب والاقرار كقول مرجئة الفقهاء أوالتصديق فقط كقول الأشاعرة والماتريدية قالوا : لأنا إذا أدخلنا

---

(١) كتاب الإيمان (ص : ١٩١ ـ ١٩٣) .

(٢) انظر : شرح حدث جبريل (ص : ٣٨٣) .

(٣) كتاب الايمان (ص : ٣٠٥ ـ ٣١٣، ٥٥١) ، وانظر : شرح حديث جبريل (ص : ٣٨٥) .

فيه ـ أي الايمان ـ ، الأعمـال صارت جزءاً منه فإذا اذهبت ذهب بعضه فـيلزم اخراج مرتكب الكبيرة من الايمان كما تقوله الخوارج والمعتزلة وهو قول فاسد ، فإنه يلزم أن يكون الرجل مؤمناً بما فيه من الايمان ، كافرا بما فيه من الكفر فـيقوم به كفره وايمانه وهذا خلاف الاجماع ، فلهذا عـمدوا إلى اخـراج الأعـمال من الايمان وهذاهو المسلك الصحـيح في نظرهم ليـتـجنبوا قـول المعتزلة والخوارج من جهة ، ولموافقة الشبهة التي قادتهم إلى ذلك من جهة أخرى[١] .

مما سبق يـستنتج شيخ الإسـلام ان المرجئـة خالفـوا أهل السنة والجماعـة في الاسم لا في الحكم حيث إنهم يـجعلون المرء مؤمناً ولو لم يعـمل شيئـا قط ، فهم قـد نازعوا في اسم الايمان ومن يستحقه ، أما في الحكم فقد اجازوا أن يعذب الله أهل الكبائر ، غير أن شيخ السلام يذكر أن هناك فرقتين من المرجئة نازعوا في ذلك وهما :

ـ الواقفة : الذين توقفوا في أهل الكبائر وقالوا : لانعلم ان أحدا منهم يدخل النار .

والغلاة منهم قالوا : إن النارلا يدخلها أحد منهم أي من مرتكبي الكبائر[٢] .

أما الكراميـة فيخالفـون في الاسم لا في الحكم فهم وإن سموا المنافـقين مؤمنين ، لإثبات أنهم مؤمنين في الدنيا ،فإنهم يقولون انهم مخلدون في النار في الآخرة .

أما الجهمية فقد خالفوا أهل السنة والجماعة في الاسم والحكم جميعا[٣] .

وهذا المسلك الذي سلكه شيخ الاسلام هو مـسلك أئمة السلف قـبله فقـد سلك الامام أحمد هذا المسلك وألزم الجـهمية بكثيـر من الالزامات التي لم يستطيعوا أن ينفكوا عنهـا ، فقد ذكـر شيـخ الإسـلام ـ رحمـه اللـه ـ أن الامام احـمـد قـد بعث برسـالة إلى أبي عـبـد الرحيم الجوزجاني في خـراسان تتضمن ردوداً على المرجئـة ومن هذه الردود قوله : « وأما من زعم أن الايمان الاقرار ، فما يقول في المعرفة ؟ هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار ؟ وهل يحتاج أن يكون مصدقا بما عـرف ؟ فإن زعم أنه يحتاج إلى المعرفة مع الاقرار ، ، فـقد زعم أنه من شيئين ، وان زعم انه يحتـاج أن يكون مقـرا ومصدقـا بما عرف، فـهو من ثلاثة أشيـاء وان جحـد وقال : لا

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص ٥٥٣) .

(٢) انظر : كتاب الايمان (ص : ٢٥٤) ، شرح حديث جبريل (ص : ٤٤١) .

(٣) انظر : كتاب الايمان (ص : ٢٥٤) ، شرح حديث جبريل (ص : ٤٤١) .

يحتاج إلى المعرفة مع التصديق فقد قال قولا عظيما، ولا أحسب أحدا يدفع المعرفة والتصديق ، وكذلك العمل مع هذه الأشياء » [١] .

وكذلك فعل الامام أبي ثور ـ كما سبق نقل اطلاقه في المسألة الأولى ـ ثم يعقب شيخ الاسلام على هذين النقلين فيقول : « أحمد وأبو ثور وغيرهما من الأئمة كانوا قد عرفوا أصل قول الجهمية وهو أن الايمان لا يذهب بعضه ويبقى بعضه فلا يكون إلا شيئا واحدا فلا يكون ذا عدد اثنين أو ثلاثة ، فإنه إذا كان له عدد أمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه ... فلهذا صاروا يناظرونهم بما يدل على أنه ليس شيئا واحدا »[٢] .

الرد على الشبهه الأولى :

وبعد فقد بين شيخ الإسلام موقفه من المخالفين في حقيقة الايمان والقائلين بأنه هو التصديق أوالمعرفة أو الإقرار أو التصديق والإقرار بمسلكين بدأ في الأول منهما بتقرير عقيدة أهل السنة في بيان حقيقة الايمان والرد على بعض شبهات المخالفين في ذلك والمسلك الثاني سلك فيه الرد عليهم اجمالاً في نقاط كثيرة ثم فصل الرد عليهم في دعواهم ان الايمان هو التصديق فقط والتصديق والاقرار ، والاقرار فقط ونقض دعواهم ان التصديق مرادف للايمان .

فبدأ رحمه الله بتقرير قاعدتين نافعتين في الرد على المخالفين في حقيقة الايمان .

القاعدة الأولى : أن شعب الايمان ليست متلازمة في الانتفاء .

القاعدة الثانية : أن شعب الايمان قد تتلازم عند القوة ولا تتلازم عند الضعف .

فقال ـ رحمه الله ـ « ونحن نذكرما يتعلق بهذا الموضع فنقول ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ الكلام على طرفين .

أحدهما : أن شعب الايمان هل هي متلازمة في الانتفاء ؟

الثاني : هل هي متلازمة في الثبوت ؟

---

(١) كتاب الايمان (ص : ٦٠٨) .

(٢) كتاب الايمان (ص : ٦٠٩) .

أما الأول: فإن الحقيقة الجامعة لأمور اذا زال بعض تلك الأمور فقد يزول سائرها وقد لا يزول ولا يلزم من زوال بعض الأمور المجتمعة زوال سائرها وسواء سميت مركبة أو مؤلفة أو غير ذلك ولا يلزم من زوال بعض الأجزاء زوال سائرها وما مثلوا به من العشرة ... مطابق لذلك، فإن الواحد من العشرة اذا زال ، لم يلزم زوال التسعة بل قد تبقى التسعة ، واذا زال أحد جزئى المركب ، لم يلزم زوال الجزء الآخر ، لكن أكبر ما يقولون : زالت الصورة المجتمعة ، وزالت الهيئة الاجتماعية وزال ذلك الاسم الذي استحقته الهيئة بذلك الاجتماع والتركيب كما يزول اسم العشرة .

فيقال لهم : أما كون ذلك المجتمع المركب ما بقى على تركيبه ، فهذا لاينازع فيه عاقل ، ولا يدعى عاقل ان الايمان او الصلاة أو الحج أو غير ذلك من العبادات المتناولة لأمور ، إذا زال بعضها بقى ذلك المجتمع المركب كما كان قبل زوال بعضه ... فإن الصلاة والحج له أجزاء وشعب ولا يلزم من زوال شعبة من شعبه زوال سائر الأجزاء والشعب الأخرى فدعواهم انه اذا زال بعض المركب زال البعض الآخر ليس بصواب ونحن نسلم لهم انه ما بقى إلا بعضه ... وإن الهيئة الاجتماعية ما بقيت كما كانت(١) .

الثاني : هل يلزم زوال الاسم بزوال بعض الأجزاء :

الجواب : ان المركبات في ذلك على قسمين :

ـ قسم : ما يكون التركيب فيه شرط في اطلاق الاسم عليها ، فإذا زالت بعض أجزاء التركيب زال الاسم بزوالها مثل العشرة ومثل اسم الايمان المطلق اذا نظرنا إلى أنه مركب من قول وعمل .

ـ وقسم مالا يكون التركيب فيها شرطا في الاسم ، فهذه المركبات لا يزول الاسم عنها بزوال بعض اجزائها ، لأن التركيب فيها ، ليس شرطا في اطلاق الاسم عليها .. وجميع المركبات المتشابهة الأجزاء من هذا الباب ، وكذلك المختلفة الاجزاء مثل الطاعة والخير والبر والاحسان ... مما يدخل فيه أمور كثيرة ويتكون من اجزاء عديدة ، فإن الاسم في هذه الأشياء يطلق على القليل منها وعلى الكثير، ويطلق الاسم عليها إذا زالت بعض أجزائها وبقيت أجزاء

---

(١) انظر : شرح حديث جبريل (ص : ٣٩١ ـ ٣٩٢) .

أخرى منها .. وهكذا نرى كثيرا من المركبات اذا زالت بعض اجزائها لاتزول اجزائها الأخرى ولا يزول عنها الاسم بزوال بعض أجزائها ، وعلى ذلك فلا يصح قولهم : أن الشيء اذا زال جزء منه ، لزم أن يزول الاسم اذا أمكن أن يبقى الاسم مع بقاء الجزء الباقي .

ومعلوم أن اسم الايمان من هذا القسم التي يطلق الاسم فيها على قليله وكثيره باعتبار أن الايمان بضع وسبعون شعبة ، وان ذلك من الايمان، فعلم أن بعض الايمان يزول ويبقى بعضه ولا يلزم أن يزول الايمان كله اذا زال بعض أجزائه ، ومعلوم أن اماطة الأذى عن الطريق من الايمان فإذا زالت لم يزل اسم الايمان ، وهذا ينقض من شبهتهم الفاسدة ويبين أن اسم الايمان مثل اسم القرآن والصلاة والحج يطلق على قليله وكثيره[1] .

ثم إن الايمان له كمال واجب وكمال مستحب كالصلاة والحج ، فالحج فيه أجزاء ينقص بزوالها عن كماله الواجب ولا يبطل بتركها كرمي الجمار وغير ذلك ، وفيه أجزاء ينقص بزوالها عن كماله المستحب فالايمان كذلك يزول كماله الواجب بزوال ذلك الواجب ويزول كماله المستحب بزوال ذلك المستحب ، لأنه ليس للايمان حقيقة واحدة كالسواد والبياض بل يختلف بسبب عدة أمور، منها اختلاف حال المكلف ،واختلاف بلوغ التكليف وزوال الخطاب الذي به التكليف ، فما يجب من الايمان إذاً يختلف باختلاف نزول الوحي من السماء ، ويختلف كذلك حال المكلف في البلاغ وعدمه ، فمن المعلوم أن بعض الناس إذا أتي ببعض ما يجب عليه دون بعض،كان قد تبعض ما أتى فيه من الايمان كتبعض سائر الواجبات .

وكل هذه الأمور تدل على أن الايمان يتبعض وأنه ينقص بعضه ويبقى بعضه وأنه يزيد وينقص، فمن وجب عليه الحج والجهاد يجب عليه من الايمان أن يعلم ما أُمِرَ به وما نُهِيَ عنه ، ويؤمن بأن الله أوجب عليه مالايجب على غيره الا مجملا ، وهذا يجب عليه الايمان المفصل فلم يتساوى الناس فيما أمروا به من الايمان وهذا من أصول غلط المرجئة فانهم ظنوا ان الايمان شيء واحد وأنه يتساوى فيه جميع المكلفين ، فقالوا الملائكة والأنبياء وأفسق الناس سواء كما أنه اذا تلفظ الفاسق بالشهادتين كان لفظه كلفظ غيره من الناس ، فهذا التفاضل من جهة أمر الرب ، وهناك تفاضل من جهة فعل العبد ، وهو تفاضل الناس في الاتيان بالواجب مع

---

(١) انظر : شرح حديث جبريل (ص ٣٩٣ - ٣٩٤) .

استوائهم في الواجب ، وهذا أيضاً يتفاضلون فيه فليس ايمان السارق والزاني كايمان غيرهم ، ولا ايمان من أدى الواجبات كإيمان من أخل ببعضها كما أنه ليس دين هذا وبره وتقواه ، مثل دين هذا وبره وتقواه ، بل هذا أفضل ديناً وبراً وتقوى فهو كذلك أفضل ايمانا كما قال النبي - ﷺ - «أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقاً ... » وأصل غلط المرجئة ان الايمان عندهم لا يتفاضل ولا يتبعض بل هو شيء واحد يستوي فيه جميع العباد مما أوجبه الله من الايمان وفيما يفعله العبد من الأعمال فغلطوا في هذا وفي هذا ، ثم تفرقوا فقال علمائهم - ويقصد بهم المرجئة الفقهاء - الايمان تصديق القلب وقول الانسان ، وقال الجهمية هوتصديق القلب فقط وقالت الكرامية هو القول فقط[1] .

القاعدة الثانية : شعب الايمان قد تتلازم عند القوة ولا تتلازم عن الضعف :

من المعلوم أنه إذا قوى ما في القلب من التصديق والمحبة لله ورسوله ، اوجب ذلك بغض اعداء الله ورسوله وعدم إتخاذهم أولياء وترك مولاتهم كماقال تعالي : ﴿ **ولوكانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء** ﴾ [**المائدة : ٨١**] .

وقال تعالى : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حآد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ﴾ [المجادلة : **٢٢**] . فهذا التلازم بين شعب الايمان عند القوة .

أما عدم التلازم عند الضعف فقد يحصل للرجل بعض موآدة لأعداء الله بسبب رحم أو حاجة أو غير ذلك ، ويكون ذلك منه ذنبا ينقص به ايمانه ولا يكفر به كما وقع لحاطب بن ابي بلتعة حين كاتب المشركين ببعض اخبار النبي - ﷺ - فأنزل الله فيه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق** ﴾ [الممتحنة : ١][2] فبهذا تبين أن الشارع ينفي اسم الإيمان عن الشخص لانتفاء كماله وإن كان معه بعض أجزائه فيكون معه أصل الإيمان دون حقيقته الواجبة لذلك فقد سماه الله مؤمنا ولم يخرجه من الإيمان بفعل بعض الذنب .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١٣ / ٥١ - ٥٦) .

(٢) انظر : شرح حديث جبريل (ص : ٤٠٢ - ٤٠٣) .

الرد التفصيلي على آراء الفرق والطوائف في حقيقة الايمان :

أولاً : الرد على الكرامية :

سبق أن بينا قول الكرامية في مسألة الإيمان وأنهم يقولون : بأنه القول فقط ، فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الايمان فإن كان مقراً بقلبه كان من أهل الجنة وان كان مكذبا بقلبه كان منافقاً مؤمناً من أهل النار ، ويرى شيخ الإسلام ان هذا القول إختصت به الكرامية وابتدعته ولم يسبقهم اليه أحد ، وهو آخر ما أحدث من الأقوال في الايمان ، ويرى شيخ الاسلام أنهم قالوا هذا القول حذرا من القول بتبعض الايمان ، وذلك بسبب الشبهة التي وقعت لجميع فرق المرجئة وهي: أن الايمان اما أن يبقى كله أو يزول كله ، ولا يمكن أن يزول بعضه ويبقى بعضه كما هو قول أهل السنة .

وهذا الذي ذهب إليه الكرامية قول فاسد ، لأنه بني على شبهة فاسدة ، ولأنه يؤدي إلى القول بايمان المنافقين ، وهذا ما لا يقول به مسلم ، وليس هذا إلزاماً لهم بل قد قالوا به حقيقة، فإيمان المنافقين بألسنتهم وهم يسموهم مؤمنين كاملي الإيمان لكن إيمانهم هذا غيرنافع لهم في الآخرة لأن الحكم الأخروي يستلزم مطابقة الباطن للظاهر والمنافقين بخلاف ذلك ، فكيف يعتبرون المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار مؤمنين مع تسليمهم بأنهم مخلدون في النار .

ويلزم من قولهم أيضاً : أن يكون المؤمن الكامل الايمان معذبا في النار بل يكون مخلدا فيها وهذا مخالف للنصوص فقد تواترت عن النبي - ﷺ - أنه قال :« **يخرج منها - أي النار - من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان** » .

وان قالوا لا يخلد وهو منافق ،لزمهم أن يكون المنافقين يخرجون من النار ، وقد قال الله فيهم ﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار** ﴾ [النساء: ١٤٥] وأخبر الله انهم كفروا بالله وبرسوله فكيف يجعلونهم مؤمنين كاملي الايمان .

لكن شيخ الإسلام - رحمه الله - يرى أن خلافهم لأهل السنة رغم ذلك أنما هو في الاسم أما في الحكم فيرون أن المنافقين في الآخرة يلقون ما يوعدون ، وإيمانهم في الدنيا غيرنافع لهم في الآخرة ، لأن الحكم في الآخرة يسلتزم مطابقة الباطن للظاهر ولكنهم اخطأوا في تسمية المنافق مؤمنا وتناقضوا في ذلك .

وان كانت تُجْرَى عليه احكام الدنيا ، لكونه اتقى بقوله الايمان بلسانه فليس لنا الا الظاهر ولكن اذا عرفنا المنافق فليس له منا الا ما سماه الله به .

ويرى شيخ الإسلام كذلك أن رأي الكرامية وان كان فاسداً ، إلا أن رأي الجهمية في الايمان أفسد منه ، أما مذهبهم في مرتكبي الكبيرة فهو عين مذهب المرجئة ، إذ أن من أقر بلسانه عندهم فهو مؤمن مهما عمل بشرط أن يطابق ظاهره باطنه ومذهب الكرامية وما استدلوا به اقصى ما يدل انما يدل على القول بأن الاقرار أحد أركان الايمان الذي قال بها أئمة السلف اما الحصر في القول فقط فلا دليل لهم عليه .

يقول شيخ الاسلام : « وقد احتج الناس على فساد قول الكرامية بحجج صحيحة مثل قوله تعالى ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** ﴾ [البقرة : ٨] قالوا : فقد نفي الايمان عن المنافقين فنقول : هذا حق فإن المنافق ليس بمؤمن وقد ضل من سماه مؤمنا »[١] وقال ايضا : « بل يقولون ـ أي الكرامية ـ : إنه ـ أي المنافق المقر بلسانه ـ مؤمن كامل الايمان وأنه من أهل النار ، فيلزمهم أن يكون المؤمن الكامل الايمان معذبا في النار ، بل يكون مخلدا فيها، وقد تواتر عن النبي ـ ﷺ ـ انه قال : « **يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان** » ، وإن قالوا لا يخلد وهو منافق، لزمهم أن يكون المنافقون يخرجون من النار والمنافقون قال الله فيهم : ﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار و لن تجد لهم نصيرا** ﴾ [النساء : ١٤٥] وقد نهى الله نبيه عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم وقال له ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** ﴾ [التوبة : ٨٠] .

فإن قالوا : هؤلاء قد كانوا يتكلمون بألسنتهم سراً فكفروا بذلك ، وانما يكون مؤمنا اذا تكلم بلسانه ولم يتكلم بما ينقضه فإن ذلك ردة عن الايمان. قيل لهم : لو أضمروا النفاق ولم يتكلموا به كانوا منافقين قال تعالى : ﴿ **يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون** ﴾ [التوبة : ٦٤] »[٢].

---

(١) كتاب الايمان (ص : ٢٢٨) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٣ / ٥٦ ـ ٥٧) .

الرد على مرجئة الفقهاء :

سبق أن بينا اقوال أبي حنيفة ومرجئه الفقهاء في مسألة الايمان وأنهم يقولون : إن الإيمان تصديق واقرار وان العمل لا يدخل في حقيقة الايمان بل هو خارج عنه ومغاير له ، وأنهم رتبوا على تصورهم لحقيقة الايمان عدم القول بالتفاضل فيه ، وأنه لا يزيد ولا ينقص ، وأن أهله فيه متساوون وان مرتكب الكبيرة تحت مشيئة الله ان شاء عذبه وإن شاء عفا عنه مع بقاء إيمانه ، وإن عذبه فانه لا يخلد في النار ، وأنهم منعوا الاستثناء في الايمان بناء على ذلك . وقلنا فيما سبق أن إرجاء أبي حنيفة وبعض الفقهاء كحماد بن أبي سليمان شيخه والحسين بن فضل البجلي ليس كالارجاء المتكلمين الذين يقولون : ان الايمان هو التصديق أوالمعرفة وان الاقرار ركن زائد وغير ذلك من الأقوال الباطلة ، ومن المعلوم كذلك أن بدعة أرجاء الفقهاء هذه كانت نتيجة ظروف معينة وشبهات أوقعتهم فيما قالوا غير قاصدين لما قالوه ، وانها لم تتجاوز الجانب النظري في حياتهم أما الجانب العملي فلم يتأثر به ، حيث كانوا يُوُصون بالأعمال ويخرّجون عليها كثيراً من الاحكام اذ هم فقهاء والفقه كله عمل فكيف يفتون بترك العمل بل انهم انفسهم كانوا من أكثر الناس عملاً ولكن رغم ذلك والحق يقال كانت بدعتهم - كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية - ذريعة الي ظهور الفسق - إلى جانب بدعة المرجئة الخالصة - وكانت مسوغا لإرجاء المتكلمين من الجهمية وغيرهم ، فكان ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سببا لخطأ عظيم في العقائد والأعمال ، فلهذا ذم وشنّع أئمة السلف على المرجئة المتكلمون منهم والفقهاء لما علموا ما عندهم من الخطر العظيم وقد بيّن شيخ الاسلام أن لهم أدلة اخطأوا في فهمهم لها وغلطوا في الاستدلال بها واشتبه الأمر عليهم بسببها . يقول في ذلك : « والمرجئة الذين قالوا الايمان تصديق القلب وقول اللسان والأعمال ليست منه ،كان منهم طائفة من فقهاء الكوفة وعبّادها ولم يكن قولهم مثل قول جهم ... وهؤلاء لهم حجج شرعية بسببها اشتبه الأمرعليهم . فانهم رأوا ان الله فرّق في كتابه بين الايمان والعمل فقال في غيرموضع : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾[البقرة : ٢٧٧] فقالوا ان هذا دليل على أن العمل شيء والايمان شيء آخر .

ورأوا أن الله خاطب الإنسان قبل وجود الأعمال فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق** ﴾ [المائدة : ٦] أي أن الله خاطبهم بالإيمان قبل أن يوجد العمل منهم .. وقالوا لو أن رجلا آمن بالله ورسوله ضحوة ومات قبل أن يجب عليه شيء مات مؤمناً وكان من اهل الجنة فدل على أن الأعمال ليست من الايمان» .

ويقولون :« ان الأعمال قد تسمى مجازا لأن العمل ثمرة الإيمان ومقتضاه ، ولأنها دليل عليه »(١) ثم شرع شيخ الإسلام يرد عليهم معتذراً لهم عن بعض ما وقعوا فيه ولكن لم يمنعه ذلك من الرد عليهم وتفنيد أدلتهم وبيان وجه الخطأ والاشتباه الذي وقعوا فيه في كل ما ذهبوا إليه من أدلة . يرد شيخ الإسلام على هذه الأدلة بما ملخصه .

١ - بين شيخ الاسلام أن الأعمال مستلزمة من الايمان ، أي أنها من واجبات الايمان واذا كانت من الواجبات فمعناها ان الايمان لا يتم إلا بهذه الأعمال ، وبين أن هذا يدل عليه القرآن ، لأن الايمان المطلق مستلزم للأعمال يقول الله تعالى : ﴿ **انما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خرّوا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون** ﴾ [السجدة : ١٥] فنفي الايمان عن غير هؤلاء فمن كان إذا ذُكِر بالقرآن لا يفعل ما فرضه الله عليه من السجود ، لم يكن من المؤمنين ومثل هذه الآية آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم** ﴾ [الحجرات : ١٥] ومثل قوله : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حاد الله ورسوله** ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

ومن هذا الباب - أي أن الايمان يستلزم العمل سواء كان ذلك بفعل الواجب أو ترك محرم - قوله - ﷺ - : « **والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه** »(٢) . وقوله - ﷺ - : « **لا يومن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخيرمايحب لنفسه** »(٣) .

فقد بين الله - تعالى - ورسوله - ﷺ - ان الايمان له لوازم وله أضداد موجودة تستلزم ثبوت لوازمه وانتفاء أضداده ، ومن أضداده مواده من حآد الله ورسوله ، وأن لا يسلم الجار من بوائق جاره ، فمن آمن وعمل بما أمره الله به من الأعمال ، واجتنب ما نهى عنه وهي اضداد الايمان كان قد أتى بلوازم الايمان وانتفت اضداده كان من المؤمنين حقا .

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص :٣٠٤) .

(٢) سيأتي تخريجه (ص : ١٣) من النص المحقق .

(٣) سيأتي تخريجه (ص : ١٣) من النص المحقق .

وما سبق من أوضح الأدلة التي يرد بها على مرجئة الفقهاء الذين لا يدخلون العمل في مسمى الايمان سواء كانت تلك الأعمال أفعالٍ أو تروك .

ثم بين - رحمه الله - ما في قولهم : إن الله قد فرق بين الايمان والعمل الصالح من الخطأ فقال : هذا صحيح ولكن لا يلزمه من ذلك أنها غيرُ داخلة فيه بل الأعمال داخلة في الإيمان وتدل عليه بالتضمن وهي لازمة لمسمى الايمان .

وقد أفاض - رحمه الله - في بيان أن الإيمان اذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها وقد يقرن الله به الأعمال وذكر لذلك نظائر كثيرة ، حيث فرّق الله بين الايمان وبين لفظ البر ولفظ التقوى وبين الصبر والتقوى أيضاً وبين التقوى والقول السديد فهل اذا فرق الله بين هذه الأعمال يلزم من ذلك انها ليست من الإيمان والتقوى كما قالوا في الإيمان والعمل الصالح ؟ الجواب لا .

قال - رحمه الله - « وقد بيّنا ان الايمان اذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها ، وقد يقرن به الأعمال ... وذلك لأن أصل الإيمان هو ما في القلب ، والاعمال الظاهرة لازمة لذلك ، لا يتصور وجود ايمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح ، بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الايمان الذي في القلب ، فصار الإيمان متناولا للملزوم واللازم ، وإن كان أصله ما في القلب وحيث عطفت عليه الأعمال ، فإنه أريد أنه لا يكتفي بايمان القلب بل لا بد معه من الأعمال الصالحة »[1] . فمن لم يفعلها - أي الأعمال الصالحة - كان ايمانه منتفيا لأن إنتفاء اللازم يقتضي إنتفاء الملزوم ، لكن صارت - أي الأعمال الصالحة - بعرف الشارع داخلة في اسم الايمان إذا أطلق .. فإذا عطفت عليه ذكرت لئلا يظن الظان أن مجرد الايمان بدون الأعمال الصالحة اللازمة للايمان يوجب الوعد ، فكان ذكرها تخصيصا وتنصيصا ليعلم أن الثواب الموعود به في الآخرة .. لا يكون إلالمن آمن وعمل صالحاً ، لا يكون لمن أدعى الايمان ولم يعمل »[2] .

---

(١) كتاب الايمان (ص : ٣٠٨) .

(٢) انظر : كتاب الايمان (ص : ٣١٤) .

فتبين من كلام شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ أن ذكر الأعمال بعد الايمان هي من باب عطف الخاص ـ الأعمال ـ على العام ـ الإيمان ـ وعلى هذا فإما أن تكون الأعمال التي هي خاص داخلة في العام وهو الايمان فتكون مذكورة مرتين .

وأما أن يكون العطف لا يقتضي ذلك فليست داخلة فيها ، فإذا ذكرت مفردة دخلت في الإيمان بالتضمن فالأعمال مع الايمان من الألفاظ التي تتنوع دلالاتها بالافراد والاقتران .

٢ ـ يرد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ على شبهه مرجئة الفقهاء بأن الله خاطب المؤمنين بالعمل قبل أن يوجد العمل منهم ، فدل ذلك على أن العمل شيء والايمان شيء آخر . بأن السبب الذي أوقعهم في هذا الاشتباه هو أنهم ظنوا أن الايمان الذي فرضه الله على العباد متماثل في حق العباد وأن ما وجب على شخص يجب مثله على كل شخص . وليس الأمر كذلك ...

فإن الايمان الذي يجب قبل نزول جميع القرآن، ليس هو مثل الذي يجب بعد نزول القرآن، والايمان الذي يجب على من عرف ما أخبر به الرسول مفصلا ، ليس هو مثل الذي يجب على من عرف ما أخبر الله به مجملاً ، فإنه لا بد في الإيمان من تصديق الرسول في كل ما أخبر ، لكن من صدّق الرسول ثم مات عقب ذلك لم يجب عليه من الايمان غير ذلك ، وإما من بلغه القرآن والأحاديث وما فيهما من الأخبار والأوامر المفصلة فيجب عليه التصديق بجميع ذلك مالا يجب على من لا يجب عليه إلا الايمان المجمل لموته قبل أن يبلغه ذلك .... ثم إنه لا يجب على كل واحد من العامة أن يعرف كل ما أمر به الرسول وكل ما نهى عنه ، بل انما يجب عليه أن يعرف ما يجب عليه هو وما يحرم عليه ، فمن لا مال له لا يجب عليه أن يعرف أمره المفصل في الزكاة ... فمن هنا صار يجب من الايمان تصديقا وعملا على أشخاص مالا يجب على آخرين، فلهذا خوطبوا بالايمان قبل الأعمال لأنها قبل وجوبها لم تكن من الايمان ، ومع ذلك كانوا مؤمنين الايمان الواجب عليهم قبل أن يفرض عليهم ما خوطبوا بفرضه ، فلما نزل ما ان لم يقروا بوجوبه لم يكونوا مؤمنين ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** ﴾ [آل عمران : ٩٧] ولهذا لم يجيء ذكر الحج في أكثر الأحاديث التي فيها ذكر الاسلام والايمان .... وإنما جاء ذكره في حديث ابن عمر وحديث جبريل لأن الحج آخر ما فرض من

الخمسة فكان قبل فرضه لا يدخل في الإيمان والإسلام ، فلما فرض أدخله النبي - ﷺ - في الإيمان اذا افرد وأدخله في الإسلام اذا قرن بالإيمان[١] .

٣ - اما ما احتج به مرجئة الفقهاء بأن من آمن ومات قبل وجوب العمل عليه مات مؤمنا ، يرد عليهم شيخ الإسلام بأن ذلك صحيح لأنه أتى بالواجب عليه والعمل لم يكن وجب عليه بعد ، ولو قدر أنه عاش كان الواجب عليه أن يعرف ما يجب عليه هو وما يحرم عليه ، فصار يجب عليه من التصديق والعمل ما لا يجب على غيره ممن لا يجب عليه ذلك . وهذا ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة فالإيمان عندهم قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[٢] .

٤ - اما احتجاج مرجئة الفقهاء بالمجاز فقد سبق الرد عليه في المسألة السابقة .

الرد على مرجئة المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية :

سبق في أول هذه المسألة تلخيص آراء المتكلمين في حقيقة الايمان ورأينا أن الجهمية تقول أنه المعرفة وما عدا ذلك فغير داخل في حقيقة الايمان ، أما الماتريدية فقالوا هوالتصديق ، أما قول اللسان فهو دليل عليه ولا يدخل قول اللسان في حقيقة الايمان ، وكذلك أعمال الجوارح . أما الأشاعرة والكلابية فقالوا متابعة لأبي الحسن الأشعري في كتابه الموجز :إنه مجرد تصديق القلب ومعرفته ، وتارة يقولون : هو المعرفة وتارة يقولون : هو التصديق ، وسبق كذلك ايراد أدلتهم عند ذكر مذهبهم وذكرنا أن عمدتهم في ذلك هو ما قاله الباقلاني في كتابه التمهيد واحتج على ذلك بأن أهل اللغة لا يعرفون في اللغة ايمانا غير التصديق مستشهدا بقول اخوة يوسف ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا** ﴾ [يوسف : ١٧] وبقول الناس : فلان يؤمن بالشفاعة ، فلان لا يؤمن بعذاب القبر وفلان يصدق بذلك، فوجب أن الايمان في الشريعة هو الايمان في اللغة .

ومنهج شيخ الاسلام في الرد على هؤلاء فيما ذهبوا إليه يتلخص في طريقتين :

المناقشة الاجمالية والمناقشة التفصيلية

أما المناقشة الاجمالية فهي طريقة الجمهور من أهل السنة وغيرهم في الرد على هؤلاء وتتلخص تلك المناقشة في النقاط التالية :

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ١٨٤ - ١٨٦) .

(٢) انظر : كتاب الإيمان (ص : ٣٢٠٧) .

الأول : قول من ينازعهم في أن الايمان في اللغة مرادف للتصديق ويقول : هو بمعنى الاقرار وغيره مما فيه معنى الالتزام وليس الخبر المجرد .

الثاني : قول من يقول : الايمان وان كان في اللغة هوالتصديق ، فالتصديق قد يكون بالقلب واللسان والجوارح كما قال النبي - ﷺ - : « **والفرج يصدق ذلك أو يكذبه** »[١] .

الثالث : أن الإيمان ليس هو مطلق التصديق ، بل هو تصديق خاص مقيد بقيود اتصل اللفظ بها ، وليس هذا نقلاً للفظ ولا تغييراً له ، فإن الله لم يأمرنا بايمان مطلق ، بل بايمان خاص وَصَفَهُ وبيّنه .

الرابع : أن الإيمان وإن كان هوالتصديق فإن التصديق التام الذي يقوم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلوب والجوارح ، فإن هذه لوازم الايمان التام وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم .

الخامس : أن ا لإيمان بقى علي معناه في اللغة ولكن الشارع زاد فيه أحكاماً .

السادس : قوله من يقول : إن الشارع استعمله في معناه المجازي فهو حقيقة شرعية مجاز لغوي .

السابع : قول من يقول : إن الشارع نقل المعنى من اللغة إلى الشرع فهو اذا منقول[٢] .

فكل واحد من هذه الأقوال مشتمل على الرد على قول المرجئة المتكلمين الذين قالوا : إن الايمان هو التصديق ، وهذه الأقوال لا تنازع في أن من معاني الايمان التصديق ، أو أن معناه في اللغة هو التصديق ثم إن الشارع جعله تصديقا بأمور معينة وزاد عليه أمورا أخرى كالصلاة، فإن معناها في اللغة : الدعاء ، وفي الشرع : هذه الصلاة المعروفة المحددة بالأقوال والأفعال والأوقات ، فهلا قالت المرجئة في الصلاة مثل قولهم في الايمان فجعلوا مطلق الدعاء كاف في الاتيان بها ، كما قالوا في الايمان هو التصديق وهو كاف في حصول الايمان ؟

ثم شرع شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد التفصيلي على المرجئة المتكلمين ونقض دعواهم الاجماع في اللغة على أن الايمان هو التصديق ، وأبطل قولهم في ذلك ، وإذا كان قولهم هو

(١) سيأتي تخريجه (ص : ١٩٩) من النص المحقق .

(٢) انظر : كتاب الايمان (ص : ١٩٩ - ٢٠٠) .

التصـديق فليس لهم في ذلك حـجة في هذا الذي ذهبوا اليه ويمكن تلخيص تـلـك الأقوال في الأوجه التالية :

أولاً : نقض دعـوى المرجـئة عـلى أن الايمان في اللغـة قبل نزول الـقرآن هو التـصـديق ، وذلك بمطالبـتهم بأن يذكروا من نقل الاجـماع ومن أين يعلم هذا الاجـمـاع ، وفي أي كـتاب ذكر ، ثم من المقصود بأهل اللغة ؟ هل هم نقلتها وعلمائها ؟ أم هم المتكلمون بها ؟

فإن قـصدوا بأهل اللغـة نقلتها كـأبي عمرو بن العـلاء والأصمعي والخـليل ونحوهم ، أو المتكلمين بها .

أما علماء اللغة كـأبي عمرو بن العلاء الأصمعي والخليل ونحـوهم فهم لا ينقلون كل ما كان قـبل الاسلام بـاسناد ، وإنما ينقلون ما سـمعـوه من العرب في زمـانهم ، أومـا سمعـوه في دواوين الشعر وكلام العرب ، ولا يعلم فيما نقلوه لفظ الايمان فضلا عن أن يكون حصل منهم الاجماع عليه .

ـ وان كـان يعنون بأهل اللغة المـتكلمين بهذا اللفظ ، فـهـؤلاء لم نشهـدهم ولا نقل لنا أحد عنهم ذلك .

ـ ثم لو فـرض أنـه نقل عن واحـد أو ا ثنين أن الايمان هـو التـصـديق ، فكيـف يعـد هذا اجماعا ؟ وإن كان لم يعرف عن هؤلاء أنهم قالوا الايمان هو التصديق(١) .

ثانياً : ثم يقال هؤلاء لاينقلون عن العـرب أنهم قالوا معنى الايمان كـذا ومعنى هذا اللفظ كـذا وكذا ، وحـينئـذ فلو قُـدِّر أنهم نقلوا كـلامـاً عن العرب يفـهـم منه أنهم قـصـدوا بالإيمان التصديق فليس ذلك بأبلغ من نقل المسلمين كـافة للقرآن ، عن النبي ـ ﷺ ـ وإذا كان مع ذلك قد يظن بعضهم أنه أريد به معنى ولم يرده ، فظن هولاء ذلك فيما ينقلونه عن العرب أولى .

ـ ثم إنه على فرض أنهم قـالوا ذلك ، فهم آحاد ، لا يثبت بنقلهم التـواتر ، ثم أين التواتر الموجود عن العرب قبل نزول القرآن أنهم كانوا لا يعرفون للإيمان معنى غير التصديق ؟

فإن قـيل : هذا يقدح في العلم باللغة قـبل نزول القرآن ، قيل : فليكن فنحن لا حـاجة بنا مع بيان الرسـول لما بعثـه الله به من القرآن أن نعـرف اللغة قـبل نزول القرآن ، والقرآن نـزل بلغة قريش ، والذين خـوطبوا به ، كانوا عـربا وقد فهـموا ما أريد بـه ، وهم الصحابة ثم الصـحابة

---

(١) انظر : كتاب الإيمان (ص : ٢٠١) .

بلغوا لفظ القرآن ومعناه الى التابعين حتى انتهى إلينا فلم تبق بنا حاجة إلى أن تتواتر عندنا تلك اللغة من غير طريق تواتر القرآن ، لكن لما تواتر القرآن لفظا ومعنى ، وعرفنا أنه نزل بلغتهم عرفنا أنه كان في لغتهم لفظ السماء والأرض ... ونحو ذلك على ما هو معناها في القرآن ، وإلا فلو كلفنا نقلا متواتراً لآحاد هذه الألفاظ من غير القرآن ، لتعذر علينا ذلك في جميع الألفاظ لا سيما اذا كان المطلوب أن جميع العرب كانت تريد باللفظ هذا المعنى ، فإن هذا يتعذر العلم به، والعلم بمعاني القرآن ليس موقوفا على شيء من ذلك ، بل الصحابة بلّغوا معاني القرآن كما بلغوا لفظه(١).

ثالثاً : ـ ثم هؤلاء لم يذكروا شاهدا من كلام العرب على أن الايمان في اللغة هو التصديق وانما استدلوا من غير القرآن بقول الناس وهذا الذي ذكروه حجة عليهم وليس لهم، لأن قولهم : فلان يؤمن بالشفاعة ، وفلان يؤمن بالجنة والنار ... وفلان لا يؤمن بذلك .

ومعلوم أن هذا ليس من ألفاظ العرب قبل نزول القرآن ، بل هو مما تكلم الناس به بعد عصر الصحابة ... ثم من قال هذا ليس مراده مجرد التصديق ـ كما يدعى المرجئة ـ وانما مراده التصديق بالقلب واللسان ، لأن ايمانه لا يمكن أن يعلم حتى يخبر به عنه .

وليست معنى ذلك هو التصديق المجرد بهذه الغيبيات ، بل المقصود أنه يؤمن بالجنة ويرجوها ، ويؤمن بالنار ويخافها ، أما من صدّق بها ولم يخف ويرجو فلا يسمى مؤمنا بها كما لا يسمون إبليس مؤمنا بالله وان كان مصدقاً بوجوده وربوبيته ، وكذلك فرعون وكذلك اليهود ، فلا يوجد في كلام العرب أن من علم وجود شيء مما يخاف ويرجى ويحب ويعظم وهو مع ذلك لايحب ولا يعظم ولا يخاف ولايرجى بل يجحد ويكذب بلسانه انهم يقولون : هو مؤمن به بل لو عرفه بقلبه وكذب به بلسانه لم يقولوا هو مصدق به فلا يوجد في كلام العرب شاهد واحد يدل على ما ادعوه(٢) .

رابعاً : ـ وأما قوله تعالى : ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا** ﴾ [يوسف : ١٧] فإن هذا استدلال بالقرآن وليس في الآية ما يدل علي أن المصدق مرادف للمؤمن ، فإن صحة المعنى بأحد اللفظين لا يدل على أنه مرادف للآخر(٣) .

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ٢٠٢) .

(٢) انظر : كتاب الإيمان (ص : ٢٠٣) .

(٣) انظر : كتاب الإيمان (ص : ٢٠٤ ـ ٢٠٥) .

خامساً : أنه لو فرض أن الايمان في اللغة هو التصديق ، فإن التصديق كما يكون بالقلب يكون باللسان ويكون بعمل الجوارح كما في الحديث الصحيح : « **والفرج يصدق ذلك أو يكذبه** »(١) .

ثم هذا التصديق ليس هو التصديق بكل شيء ، بل بشيء مخصوص وهو ما أخبر به الرسول - ﷺ - وحينئذ فيكون الايمان في كلام الشارع أخص من الايمان في اللغة ومعلوم أن الخاص ينضم اليه قيود لا توجد في جميع العام .... فالتصديق الذي هو الايمان أدنى أحواله أن يكون نوعا من التصديق العام فلا يكون مطابقاً له في العموم والخصوص من غير تغيير اللسان ولا قلبه بل يكون الايمان في كلام الشارع مؤلفا من العام والخاص(٢).

سادساً : واذا ثبت أن الايمان له في الشرع معان خاصة ، فلا بد من الرجوع إلى المقصود به في الكتاب والسنة، والقرآن ليس فيه ايمان مطلق - غالبا - وانما ورد لفظ الايمان فيه ، إما مقيداً وإما مطلق مفسر .

فالمقيد كقوله تعالى : ﴿ **يؤمنون بالغيب** ﴾[البقرة : ٣] وقوله تعالى : ﴿ **فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه** ﴾[يونس : ٨٣] فقد قيد الايمان في الاية الأولى بالغيب وقيد في الآية الثانية ، بموسى .

والمطلق المفسر كقوله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾ [الأنفال : ٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون** ﴾[الحجرات : ١٥] وأمثال هذه الآيات ، وكل إيمان مطلق في القرآن فقد بيِّنَ فيه أنه لا يكون الرجل مؤمناً إلا بالعمل مع التصديق فقد بين في القرآن أن الإيمان لا بد فيه من عمل مع التصديق كما ذكر مثل ذلك في اسم الصلاة والزكاة والصيام والحج .

والحاصل أن الايمان كالصلاة قد يكون له أصل في اللغة وهو التصديق لكن حصره في ذلك تحكم وهو محل نظر لأن الشارع اضاف اليه أمورا من أعمال القلوب والجوارح ، وإذا

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ١٢١) .

(٢) انظر : كتاب الإيمان (ص : ٢٠٦) .

كان في أعمال الصلاة ما تبطل الصلاة بتركه وفيها ايضا ما تنقض الصلاة بتركه فكذلك الايمان في شعبه منها ما يبطل الايمان وفيها ما ينقص ذلك الايمان[١] .

سابعاً : أنه إذا قيل : إن الشارع خاطب الناس بلغة العرب ، فإنما خاطبهم بلغتهم المعروفة، وقد جرى عرفهم أن الاسم يكون مطلقاً وعاماً ثم يدخل فيه قيد أخص من معناه كما يقولون: ذهب إلى القاضي والوالي والأمير ، يريدون شخصاً معيناً يعرفونه دلت عليه اللام مع معرفتهم به وهذا الاسم في اللغة اسم جنس لا يدل على خصوص شخص وأمثال ذلك، فكذلك الايمان والصلاة والزكاة إنما خاطبهم بهذه الأسماء بلام التعريف ، وقد عرّفهم قبل ذلك أن المراد الايمان الذي صفته كذا وكذا ، فبتقدير أن يكون في لغتهم التصديق فإنه قد بين أنه لا يكتفي بتصديق القلب واللسان ، فضلا عن تصديق القلب وحده بل لا بد أن يعمل بموجب ذلك التصديق كما في قوله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا** ﴾ [الحجرات : ١٥] ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة كقوله - ﷺ - : « **لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه**»[٢] وأمثال ذلك ،فقد بين لهم أن التصديق الذي لايكون الرجل مؤمنا إلابه ، هو أن يكون تصديقاً على هذا الوجه وهذا واضح في القرآن والسنة من غير تغيير للغة ولا نقل لها[٣].

ثامناً : يقول المرجئة :إن لفظ الايمان لم ينقل ، ولو نقل معناه لتواتر ، فيقال لهم: بل نُقِلَ وَغَيَّر ، فقد تواتر أنه أراد بالصلاة والزكاة والصيام والحج معانيها المعروفة ، وتواتر أيضا أنه أراد بالايمان ما بيّنه في كتابه وسنة رسوله - ﷺ - من أن العبد لا يكون مؤمنا إلا به كقوله تعالى : ﴿ **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ...** ﴾ [النور : ٦٢] ، وهذا متواتر في القرآن والسنة ، ومتواتر أيضا أنه لم يكن يحكم لأحد بحكم الايمان إلا أن يؤدي الفرائض ، وقد تواتر عنه أنه أخبر أنه من مات مؤمناً دخل الجنة ، وأن الفساق لا يستحقون ذلك ، بل هم معرّضون للعذاب فقد تواتر عنه إذاً من معاني اسم الايمان وأحكامه ما لم يتواتر عنه في غيره فأى تواتر أبلغ من ذلك ؟!

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ٢٠٧ - ٢٠٨) .

(٢) سيأتي تخريجه (ص : ١٣) من النص المحقق .

(٣) انظر : كتاب الايمان (ص : ٢٠٨ - ٢٠٩) .

تاسعاً : تقول المرجئة : لا وجه للعدول بالآيات التي تدل على أنه عربي عن ظاهرها ، فيقال لهم : من المعلوم أن الآيات التي فسرت الإيمان وسلبت الإيمان عمن لم يعمل ، أصرح وأكثر من هذه الآيات ، ثم إذا دلت على أنه عربي فما ذكر لا يخرجه من كونه عربيا ولهذا لما خاطبهم بلفظ الصلاة والحج وغير ذلك لم يقولوا : هذا ليس بعربي، بل خاطبهم باسم المنافق وقد ذكر أهل اللغة ان هذا الاسم لم يكن يعرف في الجاهلية ولم يقولوا : إنه ليس بعربي لأن المنافق من نفق اذاخرج فإذا كان اللفظ من لغتهم وقد تصرف فيه المتكلم به كما جرت عادتهم في لغتهم لم يخرج عن كونه عربياً (١).

الوجه العاشر : يخصصه شيخ الاسلام لبيان أن الأشاعرة تابعوا جهم بن صفوان في قوله في الايمان وأنه المعرفة وهل هناك فرق بين المعرفة والتصديق ؟ يقول : إنه لا فرق على الحقيقة بين القولين وبالتالي لا فرق بين مذهب الأشاعرة والماتريدية وبين الجهمية ، ولهذا نجده أحياناً يطلق على الأشاعرة والماتريدية لفظ الجهمية هنا ، كما يطلق عليهم ذلك في نفيهم للصفات يقول شيخ الإسلام : « وأيضا فإن الفرق بين معرفة القلب وبين مجرد تصديق القلب الخالي عن الانقياد الذي جعل قول القلب ، أمر دقيق ، وأكثر العقلاء ينكرونه وبتقدير صحته لا يجب على كل أحد أن يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما ، وأكثر الناس لا يتصورون الفرق بين معرفة القلب وتصديقه ، ويقولون : أن ما قاله ابن كلاب والأشعري من الفرق كلام باطل لا حقيقة له وكثير من أصحابه اعترف بعدم الفرق .

والمقصود هنا ان الانسان اذا رجع الي نفسه ، عسر عليه التفريق بين علمه بأن الرسول صادق ، وبين تصديق قلبه تصديقاً مجرداً عن انقياد وغيره من أعمال القلب بأنه صادق(٢) .

ـ ثم إنه من المعلوم أن الإيمان عند الأشاعرة والماتريدية هو التصديق ـ كما قرروه سابقاً ـ فمن صدق بقلبه فهو مؤمن كامل الإيمان ولو لم يعمل شيئاً فإنه ناجٍ ، وافترضوا أنه يمكن للرجل أن يظهر من أعمال الكفر ما عنَّ له ، وهو مع ذلك مؤمن كامل الايمان.

يقول شيخ الإسلام « وأيضا فهؤلاء القائلون بقول ـ جهم والصالحي ـ يقصد ابن كلاب والأشعري في أحد قوليه الذي نصره في كتاب « الموجز » قد صرّحوا بأن سب الله ورسوله

---

(١) كتاب الايمان (ص : ٣٨٣ ـ ٣٨٤) .

(٢) كتاب الإيمان (ص : ٣٨٤) .

والتكلم بالتثليث وكل كلمة من كلام الكفر ليس هو كفرٌ في الباطن ، لكنه دليل في الظاهر على الكفر ، ويجوز - مع هذا - أن يكون هذا الساب والشاتم في الباطن عارفا بالله موحداً له مؤمنا به فإذا اقيمت عليهم حجة بنصٍ أو إجماع أن هذا كافر باطنا وظاهرا قالوا :هذا يقتضي أن ذلك مستلزم للتكذيب في الباطن ، والايمان يستلزم عدم ذلك[1] ويقول أيضا : « إن من المعلوم علما ضروريا أن من قيل : « انه صدق ولم يتكلم بلسانه مع قدرته على ذلك ولا صلى ولا صام ولا أحب الله ورسوله ولا خاف الله ، بل كان مبغضاً للرسول معاديا له يقاتله ، أن هذا ليس بمؤمن ، كما قد علمنا أن الكفار من المشركين وأهل الكتاب الذين كانوا يعلمون انه رسول الله وفعلوا ذلك معه كانوا عنده كفاراً لا مؤمنين ، فهذا معلوم عندنا بالاضطرار أكثرمن علمنا بأن القرآن كله ليس فيه لفظ غير عربي فلو قُدِّر التعارض لكان تقديم ذلك العلم الضرورى أولى .

فإن قالوا : من علم أن الرسول كفره ، علم انتقاء التصديق من قلبه .

قيل لهم : هذه مكابره ان أرادوا أنهم شاكين مرتابين ، وأما إن عنى التصديق الذي لم يحصل معه عمل فهو ناقص كالمعدوم فهذا صحيح ، ثم انما يثبت اذا ثبت ان الايمان مجرد تصديق القلب وعلمه ، وذلك إنما يثبت بعد تسليم هذه المقدمات التي منها هذا ، فلا تثبت الدعوى بالدعوى مع كفر صاحبها »[2] .

وقال أيضا : « ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بين صفوان ومن اتبعه حيث ظنوا أن الايمان مجرد تصديق القلب وعلمه ، ولم يجعلوا اعمال القلب من الايمان ، وظنوا انه قد يكون الانسان مؤمنا كامل الايمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادي الله ورسوله ... ويهدم المساجد ويهين المصحف ويُكْرِمُ الكفار غاية الكرامة ... قالوا : وهذه كلها معاصي لا تنافى الايمان الذي في قلبه ، بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله تعالى مؤمن ، قالوا : وانما ثبت له في الدنيا أحكام الكفار لأن هذه الأقوال ، أمارة على الكفر فيحكم بالظاهر كما يحكم بالإقرار والشهود ، وان كان في الباطن قد يكون بخلاف ما أقربه ، فإذا أورد عليهم الكتاب والسنة والاجماع على أن الواحد من هؤلاء كافر في نفس الأمر معذب في الآخرة ،

(١) شرح حديث جبريل (ص : ٤٤٩) .
(٢) كتاب الايمان (ص : ٢١٢) .

قالوا : فهذا دليل على انتفاء التصديق والعلم من قلبه ، فالكفر عندهم شيء واحد وهو الجهل ، والايمان عندهم شيء واحد وهو العلم ... وهذا القول مع أنه أفسد قول قيل في الايمان ، فقد ذهب اليه كثيرمن أهل الكلام المرجئة وهؤلاء غلطوا في عدة وجوه .

أحدهما : ظنهم أن الايمان مجرد تصديق وعلم فقط ، ليس معه عمل وحال وحركة وارادة ومحبة وخشية في القلب ... ولم يلتفتوا إلى أعمال القلوب وأخرجوها من الايمان ، وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقا لأن أعمال القلوب مما فرضه الله ورسوله فهو من الايمان الواجب وفيها ما أحبه الله ولم يفرضه فهو من الايمان المستحب، فالأول: لابد لكل مؤمن منه ، ومن اقتصر عليه فهومن الأبرار أصحاب اليمين ، ومن فعله وفعل الثاني كان من المقربين ، وذلك مثل حب الله ورسوله وخشية الله والتوكل عليه والانابة إليه مع خشيته ومثل الحب في الله والموالاة لله والمعاداة لله .

الوجه الثاني : ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار ، فإنما ذاك لأنه لم يكن في قلبه شيء من التصديق . وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع ، وما أجمع عليه طوائف بني آدم السليمي الفطره وجماهير النظار ، وأدلة فساد هذه الأوجه كثرة من واقع الانسان نفسه ومن حياة الأمم مع رسلها كثيرة جدا[١] .

الوجه الثالث : أنهم جعلوا ما يوجد من التكلم بالكفر من سب الله ورسوله والتثليث وغير ذلك قد يكون مجامعاً لحقيقة الايمان الذي في القلب ، ويكون صاحبه مع ذلك مؤمناً عند الله حقيقةً سعيدًا في الدنيا والآخرة وهذا يعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام[٢] .

الوجه الرابع : انهم جعلوا من لم يتكلم قط بالايمان مع قدرته علي ذلك ولا أطاع الله طاعة ظاهرة ، مع وجوب ذلك عليه وقدرته ـ يكون مؤمنا بالله تام الايمان سعيداً في الدنيا والآخرة[٣] وهذا فاسد لأنه يمتنع ويستحيل أن يكون قلب الانسان عامرا بالايمان ثم لا يتكلم به ولو مرة في حياته ولا يطيع الله طاعة ظاهرة فمن كان كذلك ، علم أنه ليس في قلبه الايمان الواجب .

وهذه الوجوه الأربعة السابقة ـ كما يقول شيخ الاسلام ـ تختص بها الجهمية دون المرجئة من الفقهاء وغيرهم، من الذين يوجبون القول مع التصديق، أما الجهمية ومن وافقهم

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ٢٩٥ ـ ٣٠٠) .

(٢) انظر : شرح حديث جبريل (ص : ٤٩٤) .

(٣) انظر : شرح حديث جبريل (ص : ٤٩٤) .

فيحصرون الايمان بالتصديق فقط ويفسرونه بالعلم والمعرفة(١) .

حادي عشر : سبق أن رأينا أن جمهور المرجئة المتكلمين يكثر احتجاجهم بقول الله تعالى على لسان أخوة يوسف : ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا** ﴾ [يوسف : ١٧] قالوا أي بمصدق لنا ، ثم قالوا إن الايمان هنا مرادف للتصديق ، والتصديق لا يكون الا بالقلب أو باللسان فالأعمال ليست من الايمان ، فأخرجوا الأعمال من الايمان ، فبين شيخ الإسلام ان هذه طريقته مبتدعة مخالفة للكتاب والسنة ثم رد دعوى الترادف بعدة وجوه يمكن تلخيصها على النحو الآتي :

١ - أن لفظ الايمان يختلف عن لفظ التصديق من جهة التعدي فالايمان من آمن يأمن والتصديق من صدق يصدق ، فإن آمن لا تتعدى الا بحرف ، إما الباء أو اللام ، كما في قوله تعالى : ﴿ **فآمن له لوط** ﴾ [العنكبوت : ٢٦] وقوله تعالى : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون** ﴾ [البقرة : ٢٨٥] فيقال آمن به وآمن له ولايقال آمنه ، بخلاف لفظ صدق فإنه يصح تعديتها بنفسها فيقال : صدقه .

٢ - انه ليس بين الايمان والتصديق ترادف في المعنى ، لأن الايمان لا يستخدم إلا في الأمور التي يؤتمن فيها المخبر ، مثل الأمور الغيبية لأنه مشتق من الأمن ، أما الأمور المشاهدة فلا يصلح أن يقال فيها آمن ، بل يقال فيها صدق ، لأن كل مخبر عن مشاهده أوغيب يقال له في اللغة : صدقت كما يقال كذبت ، أما لفظ الايمان ، فلا يستعمل الا في الخبر عن الغائب .

٣ - أن لفظ الايمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب فإذا لم يصدق المخبر في خبره يقال كذبت ، واذا صدق يقال : صدقت ، فيقال : صدقناه أوكذبناه ولا يقال لكل مخبر آمنا له أو كذبناه ولا يقال أنت مؤمن له أومكذب له ، بل المعروف في مقابلة الايمان لفظ الكفر ، يقال : مؤمن وكافر ، والكفر لا يختص بالتكذيب بل لو قال : أنا أعلم أنك صادق ولا اتبعك بل أعاديك وابغضك وأخالفك ولا أثق بك لكن كفره أعظم ، فلما كان الكفر المقابل للإيمان لاينحصر في التكذيب فقط علم أن الايمان لا ينحصر في التصديق كذلك .

٤ - ان الإيمان في اللغة مشتق من الأمن وهو الطمأنينة وهذا ضد الخوف فآمن أي صار داخلا في الأمن كما يدل على ذلك الاستعمال والاشتقاق، ولهذا قال أخوة يوسف لأبيهم :

(١) انظر : شرح حديث جبريل (ص : ٤٩٤) .

﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ [يوسف : ١٧] أي وما أنت بمقر بخبرنا ولا واثق به ولا تطمئن اليه ولو كنا صادقين ، لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك فلو صدقوا لم يأمن لهم أي يطمئن ويثق بهم ، أما لفظ التصديق فلا يتضمن شيئاً من ذلك(١) .

ثم يقول شيخ الإسلام : إنه اذا فرض ان الايمان مرادف للتصديق فقولهم إن التصديق لا يكون الا بالقلب عنه جوابان :

أحدها : المنع لأن الأعمال تسمى تصديقا كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي - ﷺ - انه قال : « **العينان تزنيان وزناهما النظر ، والاذن تزني وزناها السمع واليد تزنى وزناها البطش ، والرجل تزنى وزناها المشي ، والقلب يتمني ذلك ويشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه** »(٢) وأثبت أن الأعمال تسمى تصديقاً طوائف كثيرة من السلف والخلف فقد ذكر الجوهري أن الصديق مثل الفسيق الدائم التصديق وهو الذي يصدق قوله بالعمل ، وقال الحسن البصري : « ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال من قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله، ومن قال حسنا وعمل صالحاً رفعه العمل (٣) فقوله : ليس الايمان بالتمني ، يعني بالكلام - وقوله بالتحلي يعني أن يصير حلية ظاهرة له فيظهره من غير حقيقة من قلبه ، ومعنى الكلام : ليس هو ما يظهر من القول ولا من الحلية الظاهرة فقط ولكنه ما قر في القلب وصدقته الأعمال ، فالعمل يصدق أن في القلب ايماناً ، واذا لم يكن عمل كذّب أن في قلبه ايمانا ، لأن ما في القلب مستلزم للعمل الظاهر وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم .

الجواب الثاني : ان يقال : ان الإيمان إذا كان أصله التصديق ،فهو تصديق مخصوص كما أن الصلاة دعاء مخصوص والحج قصد مخصوص والصيام امساك مخصوص وهذا التصديق المخصوص له لوازم صارت تلك اللوازم داخله في مسماه عند الاطلاق فإن انتقاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم(٤) .

نستنتج مما سبق أن القول بأن الايمان في اللغة هو التصديق قد يكون له أصل ، وهو ما لم ينكره شيخ الإسلام ، ولكن الذي ينكره الشيخ ، هو الحصر وجعله المعنى الوحيد للإيمان

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ٤٤٢ - ٤٤٦) ، شرح حديث جبريل (ص : ٤١٣ - ٤١٧) .

(٢) الحديث مخرج (ص : ١٩٩) .

(٣) أثر الحسن مخرج (ص : ٤٤٨) من النص المحقق .

(٤) انظر : كتاب الايمان (٤٤٧ - ٤٥٣) .

خاصة وقد ورد له عدة معان منها الثقة والطمأنينة والاقرار وهي أصدق في الدلالة على معنى الإيمان في اللغة من التصديق كما تدل عليه المناقشات التي ساقها المؤلف[١] .

وعلى ذلك تندفع دعوى الترادف بين الايمان والتصديق ـ كما قال المرجئة ـ وبناء عليه فالايمان ليس هو التصديق فحسب ، وإنما هو تصديق وآمن وتصديق وطمأنينة وتصديق واقرار وهذا يتضمن معنى الالتزام بالمؤمن به سواء كان خبرا أو انشاءًا بخلاف لفظ التصديق المجرد .

ولهذا فإن شيخ الإسلام يرى أن اللفظ المطابق لأمن من جهة اللغة هو لفظ أقر لتوافقه مع لفظ آمن في الأمور المتقدمة ، فإن الإيمان مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة ، كما أن لفظ الاقرار مأخوذ من قر يقر وهو قريب من آمن يؤمن ، لكن الصادق يطمئن إلى خبره والكاذب بخلاف ذلك ، فالمؤمن دخل في الأمن كما أن المقر دخل في الإقرار ، ولفظ الاقرار يتضمن الالتزام وهو على معنيين :

أحدهما : الاخبار وهو من هذا الوجه شبيه بلفظ التصديق والشهادة ، وهذا هو معنى الاقرار .

الثاني : انشاء الالتزام كما في قوله تعالى : ﴿ **أأقررتم وأخذتم على ذلكم أصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ [آل عمران : ٨١] .

ولفظ الاقرار هنا ليس بمعنى الخبر المجرد وانما معناه : إنشاء الالتزام بالايمان بالرسول والتعهد بنصرته ، لأن الله عز وجل قال في أول الآية : ﴿ **واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنين به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا** ﴾ [آل عمران : ٨١] ، وكذلك لفظ الايمان فيه اخبار وفيه انشاء والتزام بخلاف لفظ التصديق المجرد »[٢] .

نتبين بهذا أن الإيمان لغة ـ كما يرجح ذلك شيخ الإسلام ـ لغة هو الاقرار ، لأن التصديق انما يطابق الخبر فقط ، أما الاقرار فيطابق الخبر والأمر ثم انهما ـ أي الايمان والاقرار ـ متقاربان فالايمان دخول في الأمن ، والاقرار دخول في القرار . قال رحمه الله : « ومعلوم ان الايمان هو الاقرار لا مجرد التصديق ، والاقرار ضِمنَ قول القلب الذي هوالتصديق ، وعمل القلب الذي هو الانقياد »[٣].

---

(١) انظر : ما سبق ومجموع الفتاوى (٧ / ٦٣٦) والصارم المسلول (٣ / ٩٦٥ ـ ٩٧٦) .
(٢) انظر : شرح حديث جبريل (ص : ٤١٣ ـ ٤١٤) .
(٣) شرح حديث جبريل (ص : ٤١٥) .

المبحث الثاني : موقف شيخ الإسلام من المتكلمين في زيادة الايمان ونقصانه :

سبق أن ذكرنا أن معظم المتكلمين ذهبوا الى القول بأن الايمان لا يزيد ولا ينقص سواء منهم من جعل الايمان شيئا واحدا أو جعله مركبا من شيئين فأكثر ، ما عدا المعتزلة إذ أنهم ذهبوا إلى أن الايمان يزيد وينقص من جهة التكاليف فقط ،أما الزيادة والنقصان التي قصدها أئمة السلف فلم يذهب إليها المعتزلة فمن هذا الوجه فإنهم يدخلون في جملة المتكلمين الذين قالوا بعدم زيادة الايمان نقصانه ، وكذلك رأينا الأشاعرة وهم من جملة المرجئة المتكلمين قالوا: الايمان يزيد وينقص لأن التصديق يزيد وينقص إلا أنهم لم يقولوا بمفهوم الزيادة والنقصان كما قال أئمة السلف ان زيادة الايمان ونقصه تكون بالأعمال بل الزيادة والنقصان هي في نفس التصديق لأن الأعمال عندهم ، لا تدخل في حقيقة الايمان وهؤلاء يكفي في نقاشهم ماتقدم من مناقشة شيخ الإسلام لهم في مسألة دخول العمل في مسمى الإيمان، وعلى كل حال فجميع من قال من المتكلمين بعدم زيادة الايمان ونقصانه فإن شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - وقف من أقوالهم وشبهاتهم موقف المنكر لهذه الأقوال المحلل لما فيها من اخطاء وشبهات وأصول فاسدة ، المبيّن لما فيها من مخالفة صريحة لنصوص الكتاب والسنة المثبتة لعقيدة أهل السنة والجماعة أن الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

وأهم هذه الشبهات كما سبق أن ذكروها :

ان الايمان هو التصديق والتصديق لا يزيد ولا ينقص ، لأنه إذا نقص صار شكا ، فالتصديق يتساوى الناس فيه فلا يقبل الزيادة والنقصان فهو اما أن يوجد جملة واما ان يعدم جملة ، فهو كل لا يتجزء وهذا هو عمدة المرجئة فيما ذهبوا إليه .

أما عمدة المعتزلة والخوارج : فقالوا : ان الشخص الواحد لا يكون مستحقا للثواب والعقاب والوعد والوعيد ، وقالوا الايمان هو الطاعات فيزول بزوال بعض الطاعات .

وجماع شبهات الفريقين - من المرجئة بجميع فرقهم والخوارج والمعتزلة - أنهم تصوروا أن الحقيقة المركبة - التي هي الايمان - تزول بزوال بعض أجزائها - كما يرى المعتزلة والخوارج - فلم تبق ، وقالوا ، فإذا كان الايمان مركباً من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة وهذا ما لا يقول

به المرجئة ـ لزم زواله بزوال بعضها فأخرجوا العمل ـ عمل القلب والجوارح ـ من الايمان ـ (١) .

وقد سلك شيخ الاسلام ابن تيمية مسلكا واضحا في الرد على هؤلاء ، فقرر أن ما اعتمدوا عليه في رأيهم في مسألة الايمان وهو تعلقهم بشبه عقلية احتكموا إليها في هذه المسألة ، وردوا النزاع اليها ، وهي في الحقيقة دعوى لا تقوم على دليل بل تقوم على ما تأولوه من لغة العرب على تصورهم القاصر . يقول شيخ الإسلام في ذلك : « وهذه طريقة أهل البدع ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة.. وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة . ولهذا لا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي ـ ﷺ ـ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فلا يعتمدون على السنة ولا على اجماع السلف وأثارهم وانما يعتمدون على العقل واللغة وكتب الأدب وكتب الكلام التي وضعها رؤوسهم »(٢) .

ويقول أيضاً بعد كلام طويل : « والمقصود هنا أن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والايمان ، فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرّق والاختلاف ، صار أهل التفرق شيعاً وصار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والايمان ، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والايمان .. وغير ذلك ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به وما خالفها تأولوه ، فلهذا تجدهم اذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالاتهما ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى ، إذا كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك ... إذ ليس قصدهم أن يُفْهم مراد الرسول بل يدفع منازعه عن الاحتجاج بها »(٣) .

ابطال قول المرجئة في زيادة الإيمان ونقصانه :

وقول المرجئة في هذه المسألة باطل وفاسد كما يقول شيخ الاسلام وذلك من وجوه متعددة :

أولاً : انهم أخرجوا ما في القلب من حب الله وخشيته والإنابة إليه ونحو ذلك من الأعمال القلبية من الايمان .

ثانيا : أنهم جعلوا ما ثبت أن صاحبه كافر كإبليس وفرعون وأبي طالب وغيرهم مما ثبت كفره، أنه إنما كان كافراً لأن ذلك مستلزم لعدم تصديقه في الباطن ، وما ذهب اليه المرجئة

(١) انظر : شرح حديل جبريل (ص : ٣٨٥) .

(٢) كتاب الإيمان (ص : ١٩١ - ١٩٢) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (١٣ / ٥٨ - ٥٩) .

يعد مكابرة للعقل والحس لأنهم جعلوا من يبغض الرسول ويحسده ويكره دينه مستلزم لعدم العلم بأنه صادق ونحو ذلك .

ثالثا : انهم جعلوا من يتكلم بالكفر ممن سبب الله ورسوله وقال بالتثليث وغير ذلك انه قد يكون مجامعا لحقيقة الايمان الذي في القلب ، ويكون من قال ذلك مؤمنا عند الله بل وسعيدا في الآخرة ، وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام .

رابعاً : انهم جعلوا من لا يتكلم بالايمان ولو مرة واحدة مع قدرته على ذلك ولم يطع الله طاعة ظاهرة مع وجوب ذلك عليه وقدرته على ذلك مؤمنا بالله تام الايمان .

خامساً : أنهم قالوا إن العبد قد يكون مؤمنا تام الايمان ، بل إيمانه مثل إيمان الأنبياء والصديقين ، ولو لم يعمل خيرا لا صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ، بل لم يدع كبيرة إلا فعلها وهو مُصرّ على دوام الكذب والخيانة ولا يؤدي الأمانة ولا يدع ظلم ولا فاحشة إلا ارتكبها، وهو مع ذلك تام الايمان بل وأكبر من ذلك ، إيمانه مثل ايمان الأنبياء والصديقين .

سادساً : أنه يلزمهم أن من سجد للصليب والأوثان طوعا وألقى المصحف في الحُش عمداً وقتل النفس بغير الحق ، وقتل من يصلي وسفك دم من حج البيت ، بل وفعل ما فعلته القرامطة بالمسلمين ـ أقول يلزمهم أن يكون مع ذلك مؤمناً وليا لله ، ايمانه مثل ايمان الأنبياء والمرسلين لأن الإيمان الباطن إما أن يكون منافيا لهذه الأمور ، وإما أن لا يكون منافيا ، فإن لم يكن منافياً أمكن وجوده معا فلا يكون وجوده إلا مع عدم الايمان الباطن ، وان كان منافياً للايمان الباطن ، وكان ترك هذه الأمور من موجب الايمان ولازمه ، فلا يكون مؤمنا في الباطن الايمان الواجب إلا من ترك هذه الأمور ، فمن لم يتركها دل ذلك على فساد ايمانه الباطن ، واذا كانت الأعمال والتروك الظاهرة لازمة لإيمانه الباطن كانت من موجبه ومقتضاه ، وكان من المعلوم أنها تقوى بقوته وتزيد بزيادته وتنقص بنقصانه فإنه من المعلوم أن الشيء لا يزيد الا بزيادة موجبه ومقتضاه ولا ينقص الا بنقصانه ذلك ، فإذا جعل العمل الظاهر موجب الباطن ومقتضاه لزم أن تكون زيادته لزيادة الباطن فيكون دليلا على نقص الباطن وهذا هو المطلوب(١).

---

(١) انظر : شرح حديث جبريل (ص : ٤٩٣ ـ ٤٩٦) .

أما دعواهم بأن الايمان لا يزيد ولا ينقص لان الايمان هو التصـديق والتصديق اذا بلغ حد الجزم والاذعان لا يتصور فيـه زيادة ولانقصان ، لأن ذلك يعد شكاً وبناءاً على ذلك قالوا : إنه لا يضـر مع الايمان ـ لانه هو التصـديق ـ شيء ، فسـواء أتى بالطاعات او تـرك فعل المحرمات ، فإيمانه ـ اي تصـديقه ـ باق لا يتغير وقد أجـاب شيخ الاسلام على هـذه الشبهة الـتي تعلق بها المرجئة بعدة أجوبه أهمها :

الأول : حصرهم الايمـان الشرعي في التصديق القلبي فـقط ، وعدم ادخالهم العمـل فيه قول باطل وقد تقدم بيان بطلانه في الرد عليهم في حقيقة الايمان ودخول الأعمال فيه .

الثاني : انه لو فـرض أن الايمان هو التصـديق فـانه يكون تصديقـاً ، مـخصـوصاً يشـمل تصديق الـقلب واللسان والجوارح لأن أفعـال الجوارح تسـمى تصديـقـــا فقـــد أخبـر النبي ـ ﷺ ـ أن : « **العينان تزنيان وزناهما النظر ، والأذنان تزنيان وزناهما الاستماع ... إلى أن قال الفرج يصدق ذلك ويكذبه** »(١) .

وقال الحسن البصري : « ليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الايمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال »(٢).

فالعـمل يصدق أن في القـلب إيماناً ، واذا لم يكن عمل كـذّب أن في القلب ايمانا ، لأنه من المعلوم أن ما فـي القلب مستلزم للعـمل الظاهر ، وانتفـاء اللازم يدل على انتفـاء الملزوم وقد أكد شيخ الإسلام أنه أثبت أن الأعمال تسمى تصـديقا طوائف كثيرمن السلف والخلف وأئمة اللغة(٣) .

والثالث : قولهم : إن التصـديق إذا وصل حد الاذعان لا يتصور فيـه زيادة ولانقصان ، قول باطل ، لأن الزيادة والنقصـان متصورة عقـلا وثابتة شرعا وواقعـة عرفاً ، لأنه من المعلوم أن كل مـصدق بشيء يجـد في نفسـه تفاوتا في التـصديق من وقت إلى آخـر بحسب قـوة الأدلة وكثرتها هذا من جهة تصوره عقلاً ، أما ثبوته شـرعا ووقوعه عرفا فقد سبق ايراد كثيرمن الأدلة والشواهد على ذلك في أدلة أهل السنة على زيادة الايمان ونقصانه(٤) .

---

(١) حديث سيأتي تخريجه (ص : ١٩٩) في تحقيق النص .

(٢) أثر الحسن البصري مخرج (ص : ٤٤٧) من النص المحقق .

(٣) انظر كتاب الايمان (ص : ٤٤٨ ـ ٤٥٣) .

(٤) انظر (ص : ٢١٣ ـ ٢٣٩) من هذه الدراسة .

ابطال قول الوعيدية في زيادة الإيمان ونقصانه :

وقد أجاب شيخ الإسلام على شبهة المعتزلة والخوارج محللا تلك الشبهة ورد ما فيهامن باطل وذلك من خلال الوجوه التالية :

أولاً : أن الحقيقة الجامعة لأمور سواء كانت في الأعيان أو الأعراض اذا زال بعض ذلك الأمور فإنه من الأمور المسلمة انه قد تزول سائر تلك الأمور أو قد لا تزول ، ثم إنه لا يلزم من زوال بعض الأمور المجتمعة زوال سائرها سواء سميت مركبة أو مؤلفة فلا يلزم من زوال بعض الاجزاء زوال كل الأجزاء هذه مقدمة .

ثانياً : ما مثلوه به من العشرة مطابق لذلك فإن الواحد من العشرة إذا زال لم يلزم منه زوال التسعة بل قد تبقى التسعة ، فإذا زال أحد جزئي المركب لا يلزم زوال الجزء الآخر لكن أكبر ما يقال في ذلك : إنه زالت الهيئة الاجتماعية وزال الاسم التي استحقته الهيئة بذلك الاجتماع والتركيب كما يزول اسم العشرة .

ثالثاً : من الأمور التي لا نزاع فيها أن الشيء المركب اذا زال شيء من أجزائه لم يبقى على تركيبه ولا يدعى عاقل ان الايمان أو الصلاة أو غير ذلك من العبادات المتناولة لأمور والمشتملة على أجزاء أنه إذا زال بعضها بقى ذلك المركب كما كان قبل زواله ، ولكن لا يلزم من زوال بعض الأجزاء زوال بقية الأجزاء كما ذهب الى ذلك المعتزلة والخوارج، فدعواهم انه اذا زال بعض المركب زال بقية أجزاء المركب خطأ، وان كان يسلم لهم انه مابقي الابعضه لا كله .

رابعاً : ان المركبات في هذا على وجهين :

الوجه الأول : ما يكون التركيب شرطا في اطلاق الاسم عليه .

الوجه الثاني : ما لا يكون كذلك .

مثال الأول : العشر ة فإن العشرة يزول عنهاالاسم عند زوال بعض أجزائها ولا يطلق الاسم الا على العشرة كاملة وهي مجتمعة .

مثال الثاني : بقية المركبات المتشابهة الأجزاء ، بل وكثير من الأشياء المختلفة لأجزاء مثل المكيلات والموزونات فان الحنطة وهي كمية صغيرة تسمى حنطة وهي كمية كبيرة تسمى حنطة ، وكذلك التراب يطلق على كثيره وقليله ، وكذلك لفظ العبادة والطاعة والخير ونحو ذلك ، مما يدخل فيه أمور كثيرة يطلق الاسم على قليلها وكثيرها ، وعند زوال بعض الأجزاء

وبقاء بعض الاجزاء لايزول عنها الاسم ، والايمان من هذا النوع يطلق على قليله وكثيره أنه إيمان، فإذا كانت المركبات على نوعين بل غالبها من هذا النوع لم يصح قولهم إنه إذا زال جزؤه لزم أن يزول الاسم عنه .

خامساً : ان قول المعتزلة والخوارج مخالف لنصوص الكتاب والسنة الدالة على أن للايمان أبعاض وأجزاء مثل قوله ـ ﷺ ـ : « **الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة أعلاها قول لا له إلا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان** »(١) ، ومن المعلوم أنه اذا زالت شعبة الاماطة عن الطريق ونحوها لم يزل اسم الايمان ، فقد أخبر النبي في هذا الحديث وفي غيره أن الإيمان يتبعض وانه يزول بعضه ، ويبقى بعضه ، واسم الايمان لا يزول عن المؤمن الذي يقصر في بعض شعب الايمان وهذا ينقض شبهتهم الفاسدة .

سادساً : من المعلوم ان مايجب على العباد من شرائع وأحكام يختلف باختلاف حال نزول الوحي وحال المكلف في البلاغ وعدمه ، وهذا مما يتنوع به نفس التصديق بل ويختلف حاله باختلاف القدرة والعجز وغير ذلك من أسباب الوجوب .

ومن المعلوم أيضا أن الواجب على كل هؤلاء لا يماثل الواجب على الآخرين ، فإذا كان نفس ما وجب من الايمان في الشريعة الواحدة يختلف ويتفاضل ، وإن كان بين جميع هذه الأنواع قدر مشترك موجود في الجميع ، كالاقرار بالخالق والاخلاص له والايمان بالرسل واليوم الآخرعلى وجه الاجمال ، فمن المعلوم كذلك أن بعض الناس اذا أتى ببعض ما يجب عليه دون بعض ، كان قد تبعض ما أتى فيه من الإيمان كتبعض بعض الواجبات ، لكن هذا البعض الزائل أما أن يكون شرطا في ذلك البعض وقد لا يكون شرطا فالشرط كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض وكمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعضهم كما قال تعالى : ﴿ **ان الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا** ﴾ [النساء١٥٠ ـ ١٥١] .

وقد يكون بعض المتروك ليس شرطا في وجود الاخرولا قبوله كفعل بعض الكبائر ، وترك بعض الواجبات فيما دون الكفر ، فحينئذ قد يجتمع في الانسان ايمان ونفاق، وبعض شعب الايمان وشعبة من شعب الكفر .

---

(١) حديث شعب الإيمان مخرج (ص : ٨) من النص المحقق .

سابعاً : أما كون الإنسان قد يجتمع فيه ايمان ونفاق وشعب الايمان وشعبة من شعب الكفر . فقد دلت على ذلك نصوص صريحة منها : انه صلى الله عليه وسلم قال : « **أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر** »(١) . ومنها قوله - ﷺ - « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** »(٢) .

ثامناً : من المعلوم أن أجزاء الايمان مختلفة ومتفاوتة ، فمنها ما يزول الايمان كليةً بزوالها كفعل أمر كفري ناقض للايمان ، ومنها ما يزول كمال الايمان الواجب بزوالها ،كفعل كبيرة من الكبائر ، ومنها ما يزول كمال الايمان المستحب بزوالها ، كترك اماطة الأذى عن الطريق. والايمان في ذلك مثل الصلاة فإن فيها اجزاء تنقص بزوالها عن كمال الاستحباب ، وفيها أجزاء تنقص بزوالها عن الكمال الواجب مع الصحة ، وفيها ماله اجزاء إذا زالت جُبِرَ نقصها بسجود السهو .

تاسعاً : أن شعب الإيمان قد تتلازم عند القوة ولا تتلازم عند الضعف فإنه اذا قوى ما في القلب من التصديق والمعرفة والمحبة لله ورسوله أوجب ذلك للعبد بغض أعداء الله كما قال تعالى : ﴿ **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه** ﴾ [المجادلة : ٢٢] وقد تحصل للمسلم موآدة بعض الكافرين لرحم او حاجة فيكون ذنبا ينقص به ايمانه ولا يكون به كافراً ، كما حصل من حاطب بن أبي بلتعه لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبي - ﷺ - فأنزل الله فيه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة** ﴾ [الممتحنة : ١] . فخاطبه الله باسم الايمان ولم ينفه عنه .

وبهذا يعلم فساد شبهة الخوارج والمعتزلة وتنقض دعواهم ان الايمان كل لا يتجزء اذا ذهب بعضه ذهب كله ، وانه كالعشرة اذا زال بعض أجزائها زال اسم العشرة ولكن بقى بعض أجزائها .

ويبطل قولهم كذلك انه لا يجتمع في القلب ايمان ونفاق وايمان وبعض شعب الكفر »(٣).

---

(١) الحديث مخرج (ص : ٣٣٢) من النص المحقق .

(٢) الحديث مخرج (ص : ٣٨٦) من النص المحقق .

(٣) انظر : شرح حديل جبريل (ص : ٣٩١ - ٤٠٧) .

المبحث الثالث: موقف شيخ الإسلام من المتكلمين في حكم مرتكب الكبيرة:

سبق أن بينا الخلاف فيما يتعلق بالعصاة وأنه وقع بين جمهور أهل السنة والجماعة وبين ثلاث طوائف :

الطائفة الأولى : هم الذين لا يؤاخذون بالذنب مع الايمان ، لأنهم لا يضر عندهم مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهؤلاء هم جمهور المرجئة بما فيهم الجهمية والكرامية .

الطائفة الثانية : وهم الذين سلبوا العصاه من المؤمنين اسم الايمان فيما يتعلق باحكام الدنيا وجعلوهم في منزلة بين منزلتين واجازوا معاملتهم في الأحكام الدنيوية كما يعامل بقية المسلمين وحكموا عليهم بالخلود في نار جهم في الآخرة وهؤلاء هم المعتزلة .

الطائفة الثالثة : وهم الذين حكموا بكفر العصاة من المؤمنين ابتداءاً فمن عصى الله فهو عندهم كافر في الدنيا حلال الدم والمال، وفي الآخرة خالد مخلد في النار وهؤلاء هم الخوارج.

وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من هذه الطوائف واضح وقوي فقد ذكرهم شيخ الاسلام وبين أنهم مخالفون للكتاب والسنة والاجماع ، وأنهم فوق ذلك مخالفون للعقل وبين - رحمه الله - سبب انحرافهم عن المفهوم الصحيح الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة والذي يتفق مع نصوص الكتاب والسنة ، فقال - رحمه الله - : « وطوائف أهل الأهواء من الخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة كراميتهم وغير كراميتهم يقولون : أنه لا يجتمع في العبد ايمان ونفاق ، ومنهم من يدعى الاجماع على ذلك ومن هنا غلطوا ، وخالفوا فيه الكتاب والسنة واثار الصحابة والتابعين لهم باحسان ، مع مخالفتهم صريح المعقول ، بل الخوارج والمعتزلة طردوا هذا الأصل الفاسد وقالوا : لايجتمع في الشخص الواحد طاعة يستحق بها الثواب ، ومعصية يستحق بها العقاب ، ولا يكون الشخص الواحد محمودا من وجه مذموما من وجه ولا محبوباً مدعواً من وجه مسخوطاً ملعوناً من وجه ، ولا يتصور أن الشخص الواحد يدخل الجنة والنار جميعا عندهم ، بل من دخل إحداهما لم يدخل الأخرى ، ولهذا انكروا خروج أحد من النار ، أو الشفاعة في أحد من أهل النار ، وحُكِيَ عن غالية المرجئة أنهم

وافقـوهم على هذا الأصل ، لكن هؤلاء قالوا : ان أهل الكبـائر يدخلون الجنة ولا يدخلون النار مقابلة لأولئك »[١] .

فهذه الطوئف المخالفة لأهل السنة والجمـاعة اتفقت على عـدم اجتمـاع الايمان والمعاصي ـ النفاق أو الكبائر ـ في الشخص الواحد ورتبـوا على ذلك عدم دخوله النار والخروج منها ، بل اذا دخل واحدة منها فإنه لايخرج منها أبداً ، والمرجئة تقول : أنه يدخل الجنة ابتداءا ولا يدخل النار، لأنه عندهم مؤمن كامل الايمان ، وقد تقدم تفصيل قول كل طائفة عند بيان مذهبها. أما موقف شيخ الاسـلام من المرجئة بالتفضـيل فهو على النحو التالي : لقـد أنكر شيخ الإسلام ابن تيـميـة على المرجئـة ـ بكل فـرقهـا ـ ما ذهبـوا اليه من القـول بأن المؤمن العـاصي الذي إرتكب الكبائر كـامل الايمان ، وأن عصيـانه لا يؤثر في ايمانه وأنه من أهل الجنة ، وشنّع ـ رحـمه الله ـ عليهم في ذلك تشنيعا بليـغاً ، لأن ما ذهبوا اليه مخالف للكتـاب والسنة واجماع سلف الأ مة حيث قرروا بناء ـ على أدلة الكتاب والسنة ـ أن العاصي ناقص الايمان ولولا ذلك لما عُذِبَ كما أنه ناقص البر والتقـوى باتفاق المسلمين ، وهل يطلق عليه اسم المؤمن ، فيه قـولان ، والصحيح التفصيل فإذا سئل عن أحكام الدنيا كـالعتق في الكفارة قيل : هو مؤمن، وكذلك اذا سئل عن دخوله في خـطاب المؤمنين يدخل معـهم . أما اذا سئل عـن حكمه في الآخرة قـيل : ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة ، بل معـه ايمان يمنعه الخلود في النار، ويدخل به الجنة بعد أن يعذب في النار ، إن لم يغـفر الله له ذنوبه . وبهذا قال من قـال من أهل السنة هو مؤمن بايمانه ، فاسق بكبيرته ، أو مؤمن ناقص الايمان »[٢].

ولعل ما سبق ايراده في الرد عليهم في المبحثين السـابقين ما يمكن أن نعتبره رداً عليهم في آرائهم في هذا المبحث لأن الشبهـة التي قادتهم الي قولهم واحدة وقد سبق بيـان فسادها وبيان ما يبنى عليها من عقائد فاسدة وما لزم عنها من اللوازم الباطلة .

---

(١) كتاب الإيمان (ص : ٥٥١) .

(٢) انظر : كتاب الايمان (ص : ٥٥٢) .

موقفه من الخوارج والمعتزلة (الوعيدية) :

سبق أن بينا في مسألة موقف شيخ الاسلام من المتكلمين في تصورهم لحقيقة الايمان أننا سوف نبسط مناقشة شيخ الاسلام ابن تيمية للوعيدية في بيان موقفه في المتكلمين في مسألة مرتكب الكبيرة ، ويتلخص موقفه منهم في هذه المسألة في تحرير كلام الخوارج والمعتزلة وبيان مقاصد كلامهم وذكر غلوهم وتطرفهم في حكم مرتكب الكبيرة ، وتحليل الشبهة التي قادتهم إلى القول المتطرف في هذه المسألة ، والرد عليهم فيما ذهبوا إليه ، وقد سبق بيان انحرافهم عند ذكرنا لمذاهب الفرق في الايمان ، وذكرنا شبهتهم فيما ذهبوا إليه .

ورأينا أن الخوارج يبنون مذهبهم على أن الايمان كل عمل خير فرضا كان أو نفلاً من الطاعات ، فجميع أنواع الطاعات عندهم إيمان ، يجعلونها كُلاً لا يتجزأ، حيث أنه لايمكن ذهاب بعضها وبقاء بعضها ، فالإيمان عندهم لايزيد ولا ينقص ، فبسبب معصية واحدة يخسر الانسان جميع أعمال الخير التي عملها طوال حياته ، ومن هذا التصور توصلوا إلى أخطر النتائج التي انزعج منها العالم الإسلامي وقتئذٍ ، وحصل للمسلمين بسبب هذا التصور من الخوارج - وبسبب غيرها - مفاسد عُلِم ضررها من الدين بالضرورة ألا وهو تكفير المسلمين وبسبب ذلك أيضاً تجرأ الخوارج على صحابة رسول الله - ﷺ - فقد كفروا عليا - رضي الله عنه - زاعمين أنه إرتكب كبيرة بتحكيمه الحكمين ، وحكموا بكفره وكفر معاوية وكفروا الحكمين - رضي الله عنهم أجمعين - وكفّروا كل من رضى بالتحكيم واستحلوا دماء الصحابة - رضي الله عنهم - .

ولا شك ان ما ذهبوا إليه، مسلك شنيع وسلوك خاطئ فيه جرأة وفساده وبطلانه معلوم من دين الإسلام بالضرورة وخاصة تكفيرهم لأصحاب رسول الله - ﷺ - .

يقول شيخ الاسلام : « وهم - أي الخوارج - أول من كفّر أهل القبلة بالذنوب ، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك فكانوا كما نعتهم النبي - ﷺ - : « **يقتلون أهل الاسلام ويدْعون أهل الأوثان** » وكفروا علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان ومن والاهما وقتلوا علي بن أبي طالب مستحلين لقتله ، قتله عبد الرحمن بن ملجم المرداي منهم ... وقالوا إن عثمان وعلي ونحوهما حكموا بغير ما أنزل الله وظلموا فصاروا كفارا ، ومذهب هؤلاء باطل بدلائل كثيرة من

الكتاب والسنة فإن الله ـ سبحانه ـ أمر بقطع السارق دون غيره ، ولو كان كافرا مرتدا لوجب قتله لان النبي ـ ﷺ ـ قال : « **من بدل دينه فاقتلوه** » .

وأمر سبحانه أن بجلد الزاني والزانية مائة جلدة ، ولو كانا كافرين لأمر بقتلهما ، وأمر سبحانه ان يجلد قاذف المحصنة ثمانين جلدة ولو كان كافرا لأمر بقتله ... وأيضاً فإن الله تعالى قال: ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم** ﴾ [الحجرات: ٩ ـ ١٠] فقد وصفهم بالايمان والاخوة وأمر بالاصلاح بينهم »[(١)] . هذا ما رد به عليهم في مسألة الاسم .

أما قولهم في الحكم وهو الحكم بخلود العصاة من المؤمنين في النار ، فقد بيّن ـ رحمه الله ـ أن هذا القول الذي قالوه في ذلك قول مخالف للإجماع بل هو من البدع المشهورة التي فيها جرأة على الله تعالى، وأنهم ـ أي الخوارج ـ إنما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب سوء فهمهم ، فلم يفهموا منه ما لم يدل عليه فظنوا أن القرآن يوجب تكفير أرباب الذنوب ، إذ المؤمن عندهم هو البر التقي فمن لم يكن براً تقيا فهو كافر مخلد في النار ، فكانت بدعتهم لها مقدمتان :

الأولى : أن من خالف القرآن بعمل أو رأي أخطأ فيه فهو كافر .

الثانية : أن عثمان وعلياً ومن والاهما كانوا كذلك .

وهذا باطل لأنه مخالف لنصوص الكتاب والسنة فقد تواترت الأحاديث عن النبي ـ ﷺ ـ انه يخرج أقوام من النار بعدما دخلوها ، وأن النبي ـ ﷺ ـ يشفع في أقوام دخلوا النار ، فهذه الأحاديث حجة على الخوارج الذين يقولون : ان من دخل النار لم يخرج منها[(٢)] وان مصيرهم الى الجنة مهما عذبوا ، وأما الخلود فلا يكون إلا بالكفر ، واقتراف الكبيرة ـ ما لم يكن مستحلاً ـ ليس كفرا ، أما ما استدل به الخوارج من أدلة من آيات الوعيد يرد عليهم بمثل

---

(١) شرح حديث جبريل (ص : ٣٢٥ ـ ٣٢٦) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١٣/ ٣١) ، شرح حديث جبريل (ص : ٣٣١ ـ ٣٣٢) .

فعلهم فتوضع أمامهم آيات الوعد ويحتج عليهم بالسنة كما فعل عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ معهم لم يكن يناقشهم بالقرآن ، بل إنما ناقشهم بالسنة فرجع كثير منهم .

أما المعتزلة فقد سلك رحمهم الله تعالى معهم نفس المسلك فبين ـ رحمه الله ـ مقالتهم وتاريخ نشأتهم وبيّن فسادها ورد عليهم فقال في ذلك : « فجاء بعدهم ـ أي الخوارج ـ المعتزلة الذين اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري .وهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وأتباعهما فقالوا : أهل الكبائر يخلدون في النار كما قالت الخوارج ولا نسميهم مؤمنين ولاكفار ، بل فساق ننزلهم منزلة بين منزلتين وانكروا شفاعة النبي ـ ﷺ ـ لأهل الكبائر من أمته وأن يخرج أحد من النار بعد أن دخلها ، وقالوا : ما الناس الا رجلان : سعيد لا يعذب ، أو شقي لا ينعم ، والشقي نوعان كافر وفاسق .

ـ وهؤلاء يرد عليهم بمثل ما يرد به على الخوارج فيقال لهم : كما أنهم قسموا الناس إلى مؤمن لا ذنب له ، وإلى كافر وفاسق لا حسنة له ، فلو كانت حسنات هذا ـ أي الفاسق ـ كلها حابطة وهو مخلد في النار لاستحق المعاداه المحضة بالقتل والاسترقاق كما يستحقها المرتد ، فإن هذا قد أظهر دينه بخلاف المنافق ، وقد قال الله في كتابه : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ [النساء : ٤٨] فجعل ما دون الشرك معلقا بمشيئته .

ولا يجوز أن يحمل هذا على التائب فإن التائب لافرق في حقه بين الشرك وغيره .

كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا** ﴾ [الزمر : ٥٣] . وأيضا فقد تواترت الأحاديث عن النبي ـ ﷺ ـ في أنه يخرج أقوام من النار بعدما دخلوها وانه ـ ﷺ ـ يشفع في أقوام دخلوا النار .

ـ وأيضا فإن النبي ـ ﷺ ـ قد شهد لشارب الخمر والمجلود عدة مرات بأنه يحب الله ورسوله ، ونهى عن لعنه، ومعلوم ان من أحب الله ورسوله فإن الله ورسوله يحبونه بقدر ذلك.

ـ وأيضا فإن الذين قذفوا عائشة ـ رضي الله عنها ـ كان فيهم مسطح بن اثاثه وكان من أهل بدر وقد قال الله لهم : « **اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** » .

ـ وكذلك حاطب بن أبي بلتعه لما كاتب المشركين بأخبار النبي ـ ﷺ ـ أنزل الله تعالى فيه قرآنا فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾ الآية [الممتحنة: ١] فسماه الله مؤمنا ولم يخرجه من الايمان ، ولما أراد عمر قتله وقال انه قد نافق فقال له النبي ـ ﷺ ـ : « انه قد شهد بدرا وما يدريك ان الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »(١).

ـ أما الآيات والأحاديث التي استدل بها المعتزلة على خلود مرتكب الكبيرة في النار ، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن هذه الأدلة والأحاديث اما مطلقة في حق الكافرين، وإما أن يضاف اليها آيات وأحاديث الوعد التي تقيد وتفيد ان من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وأن أحاديث الشفاعة تفيد كذلك ان النبي ـ ﷺ ـ يخرج قوما من النار بالشفاعة وذلك لأنهم لم يشركوا بالله شيئا .

وأما ماذهبوا اليه في ذهاب الايمان عن مرتكب الكبيرة بالكلية فشيخ الإسلام يقول لهم قولكم هذا ممنوع ، وهو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الايمان لأنهم ظنوا أنه متى ذهب بعض الايمان ذهب كله ولم يبق منه شيء فيخلد صاحبه في النار ، لأن نصوص الكتاب والسنة تدل على أن مرتكب الكبيرة يذهب بعض ايمانه ويبقى بعضه ، بل صرحت بعض الأحاديث بأن الايمان يعود اليه كما في حديث « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » ان الايمان يخرج منه حينئذ ثم يعود إليه بعد ذلك ، وأنه يخرج منه فيكون كالظلة فان عاد ـ أي العبد إلى الإيمان ـ عاد إليه الايمان .

واذا ثبت في الكتاب والسنة أن الايمان يذهب بعضه ويبقى بعضه كما يذهب إلى ذلك أهل السنة ، بطل قول المعتزلة بأن مرتكب الكبيرة يخرج من الايمان ويبقى في منزلة بين الايمان والكفر ، وأنه يخلد في النار بل هو مؤمن ناقص الايمان أو فاسق بكبيرته مؤمن بايمانه .

وأن أمره في الاخرة تحت مشيئة الله ، إن شاء عذبه وان شاء عفا عنه ، وقد تناله شفاعة الرسول الكريم وتناله رحمة أرحم الراحمين .

---

(١) انظر : شرح حديث جبريل (ص : ٣٢٨ ـ ٣٢٩) .

وإذا كان الخوارج غلو وأفرطوا في تكفير أصحاب الكبائر واستحلوا دمائهم وأموالهم وذراريهم في الدنيا وحكموا عليهم بالخلود في النار في الآخرة فليس لهم دليل صحيح على مذهبم ، بل سبب ذلك إما سوء الفهم كما يغلب عليهم ، أو وقوع الشبهات لديهم وتحكمهم فيما ذهبوا اليه واندفاعهم وراء الشبهات وسوء الفهم وجرأتهم على صحابة رسول الله - ﷺ - ففي ذلك ما يدل على أن قولهم باطل .

واذا كان المعتزلة تبعوهم في قولهم وآتوا بأقوال أفسد من أقوالهم كقولهم بالمنزلة بين المنزلتين رغم ضعف أدلة الخوارج فان أدلة المعتزلة أضعف منها وأفسد ، بل ومتناقضة ونظرتهم إلى أدلة الكتاب والسنة نظرة جزئية تنقصها الحكمة والشمولية لأن من يجمع بين نصوص الوعد والوعيد في هذا الشأن ويغلب رحمه الله على عذابه كما أخبر الله بذلك ان رحمته سبقت غضبه وانه يحب العفو ويحب العذر كما أخبر بذلك سبحانه وتعالى عن نفسه .

واذاكان رأى الخوارج والمعتزلة بهذا البطلان فرأي المرجئة في هذه المسألة وفي غيرها أشد بطلانا ، لأن المعتزلة والخوارج قنطوا الناس من رحمة الله ، لكن المرجئة اطمعوا الناس في معصية الله وجرأوهم على ارتكابها ما دام ايمانهم لا ينقص بفعلها ، بل واطمعوهم في دخول الجنة بلا عمل عملوه ولا توبة الى الله ، فاذا تبين بطلان هذه الأقوال كلها تبين ان قول أهل السنة والجماعة في هذه المسألة - وفي غيرها - هو أعدل الأقوال وأصوبها وأقربها الى رحمة الله تعالى وعدله ، بل وأقربها الى المعقول والمنقول من نصوص الكتاب والسنة .

المبحث الرابع : موقف شيخ الإسلام من المتكلمين في الاستثناء في الايمان :

سبق أن رأينا أن المتكلمين في الاستثناء على قولين :

الأول : من يحرم الاستثناء كليةً لأنهم يجعلون الايمان شيئا واحدا وهو ما يعلمه الانسان من نفسه وقالوا من استثنى فقد شك وسموا من قال بالاستثناء شُكَاكاً وهذا الرأي هوما ذهب اليه المرجئة والماتريدية وبعض الأحناف .

الثاني : قول من يوجب الاستثناء وأشهر من ذكر عنه هذا القول هم الأشاعرة والكلابية حيث إن الايمان عندهم : هو ما يموت عليه الانسان ، والانسان انما يكون مؤمنا أو كافراً باعتبار ما يموت عليه وهوما يسمونه بالموافاه وهي : ما سبق في علم الله أنه يموت عليه ، وما قبل ذلك

لا عبرة به ، فمـا مضى من ايمان الانسان لا يجوز له ان يستثنى فيه ، ثم لما رأوا أن المشهور عن أهل السنة الاستثناء في الايمان ، جعلوه في المستقبل لأنه هو الذي يشك فيه الانسـان فأوجبوه لهذا .

وقد سبق أن رأينا أن شـيخ الاسلام ينكر على المتكلمين من المرجئة وغيـرهم مذهبهم في الإيمان بنوا مذهبهم في الاستثناء على أن الايمان هو التصـديق القلبي أو المعرفة ، أما قول اللسان فهـو عبـارة عنه ، وأن الإستثناء فـي الايمان لا يكون الا عن شك ، وقد أثبت شـيخ الاسلام أن الإيمان قول وعمل قول القلب وعمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح وبين ـ رحمه الله ـ أن الاستثناء إذا كان عن شك وأحس الانسان ذلك من نفـسه فإنه يوافق ـ من قال بذلك على هذا المأخذ ، وبين ـ رحمه الله ـ أن من منعه من أئمة السلف منعه من هذا الوجه .

أما من يحرم الإستـثناء كليةً بدعوى أن الإيمان هو التصديق فحسب فـإن ذلك كما يقرر شيخ الاسلام غـير صحيح ، لأن الايمـان وإن كـان مقطوعـا بـه إلا أنه يرى كما ثبت ذلك عن أئمة السلف أنهم يرون جواز الاستثناء فيما هـو مقطوع به لورود الاستثناء في أمورٍ مقطوعٍ بها ـ كما سبق بيان ذلك عند بيان مذهب السلف في الاستثناء ـ من مثل قوله تعالى : ﴿ **لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين** ﴾ [الفتح : ٢٧] .

وسـبق أيضا بيـان موقـفه مـن الأشاعـرة والكلابية الذين يـحرمـون الاستـثناء في الماضي والحال ويوجبونه في المستقبل باعتبار الموافاه .

فقـد بيّن ـ رحمه اللـه ـ أن الإستثناء فـيما هو مـقطوع به جائز ـ كـما تقدم ـ أمـا وجوب الاستثناء باعتبار الموافاه فإنه لم يجـوّزه ، لأن أئمة السلف في تجويزهم الاستثناء لم يجوزه بهذا الاعتـبار ، بل جـوزوه وباعتـبار أن الأعـمال جـزء من الايمان ـ كمـا تقدم ذلك ـ والأعـمال لا يستطيع أحد أن يجزم باستكمالها فيستثنى بهذا الاعتبار .

ثم بين ـ رحمه الله ـ مـخالفة مأخـذ الأشاعرة والكلابية في جواز الاسـتثناء في الإيمان لما عليه السلف لأن من مذهبهم ـ كما سبق بيانه ـ منع حلول الحوادث بذات الله ـ هكذا زعموا ـ ومن ثم قالوا ان الحب والرضـا والسخط والغضب ونحـو ذلك صفات أزلية قـديمة فالله يحب

في ازله من كان كافرا إذا علم أنه يموت مؤمنا ، ويبغض في أزله من كان مؤمنا إذا علم أنه يموت كافرا[١] .

ثم بين رحمه الله أنهم متناقضون فيما ذهبوا إليه لأن من مذهبهم أيضا ، أن الإيمان هو التصديق ثم هنا يقولون : أن الايمان في الشرع هو ما يوافي به العبد ربه ، وعلى ذلك أوجبوا الإستثناء ، فهذا عدول منهم عن معنى الايمان في اللغة إلى معنى آخر غير التصديق ، فهلا فعلوا ذلك في دخول الأعمال في مسمى الايمان[٢] .

وبين ـ رحمه الله ـ أن مااستدلوا به بما روى عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ لما قيل له إن قوما يقولون : إنا مؤمنون ؟ فقال : أفلا سألتموهم أفي الجنة هم ؟ فلما سألوا أحدهم قال : الله أعلم ، فقال ابن مسعود : فهلا وكلت الأولى كما وكلت الثانية » أقول بيّن ـ رحمه الله ـ أن قولهم ليس فيه حجه لأنه ـ ولاشك في ذلك ـ أن قول عبد الله بن مسعود واضح فلم يكن ـ رضي الله عنه ـ يخفي عليه ان الجنة لا تكون الا لمن مات مؤمناً ، وأن الانسان لايعلم على ماذا يموت ؟ ومراد كلامه : سلوه هل هو في الجنة ان مات على هذه الحال ؟ أي أيكون من أهل الجنة ؟ فلما قال : الله أعلم قال : أفلا وكلت الأولى كما وكلت الثانية، فقد توقف السائل وهذا يدل على أنه لا يشهد لنفسه بفعل الواجبات وترك المحرمات ، فإن من شهد لنفسه بذلك شهد انه من أهل الجنة إن مات على ذلك[٣] .

ولاشك أن أئمة السلف كالامام أحمد وغيره لم يكن مقصودهم الموافاه وإنما كان مقصودهم أن الإيمان المطلق يتضمن فعل المأمورات وترك المنهيات وهذا لا يضمنه الانسان لذلك أجازوا الاستثناء .

إذاً الاستثناء جائز باعتبار الأعمال لا في قول اللسان وفي اعتقاد القلب، وعليه فإن أئمة السلف كانوا يكرهون الجواب عن سؤال الرجل لأخيه أمؤمن أنت بالاطلاق ، لأن في ذلك ادعاء استكمال الايمان وتزكية النفس وهذا ادعاء وتزكية لا تجوز لقوله تعالى : ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى** ﴾ [النجم : ٣٢] .

---

(١) انظر : كتاب الايمان (ص : ٦٥٩-٦٦٢) .

(٢) انظر : كتاب الايمان (ص : ٢٣١) .

(٣ انظر : كتاب الايمان (ص : ٤٠٠) .

صور المخطوطات

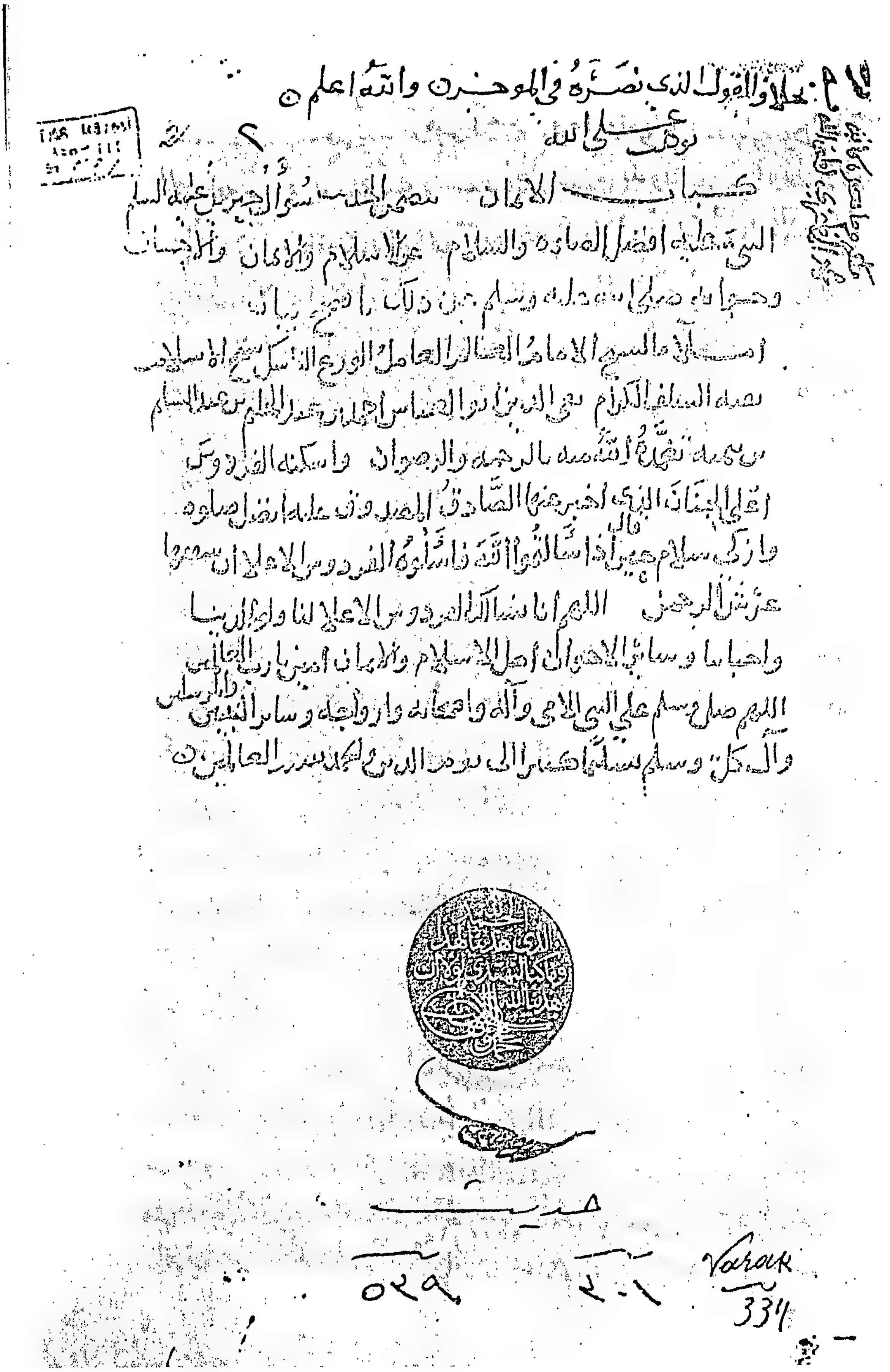

آخرها والقول الذي نصره في الموحدين والله أعلم

توكلت على الله

كتاب الإيمان تضمن الجواب عن سؤال جبريل عليه السلام

النبي عليه أفضل الصلاة والسلام عن الإسلام والإيمان والإحسان

وجوابه صلى الله عليه وسلم عن ذلك

الإمام العالم العامل الورع شيخ الإسلام

بقية السلف الكرام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام

بن تيمية تغمده الله بالرحمة والرضوان وأسكنه الفردوس

أعلى الجنان التي أخبر عنها الصادق المصدوق عليه أفضل صلاة

وأزكى سلام حيث قال إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى فإن سقفها

عرش الرحمن اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى لنا ولوالدينا

وأحبابنا وسائر الإخوان أهل الإسلام والإيمان آمين يا رب العالمين

اللهم صل وسلم على النبي الأمي وآله وأصحابه وأزواجه وسائر النبيين والمرسلين

وآل كل وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

صفحة العنوان من نسخة (أ) ويظهر فيها الختم العثماني في أسفل الصفحة

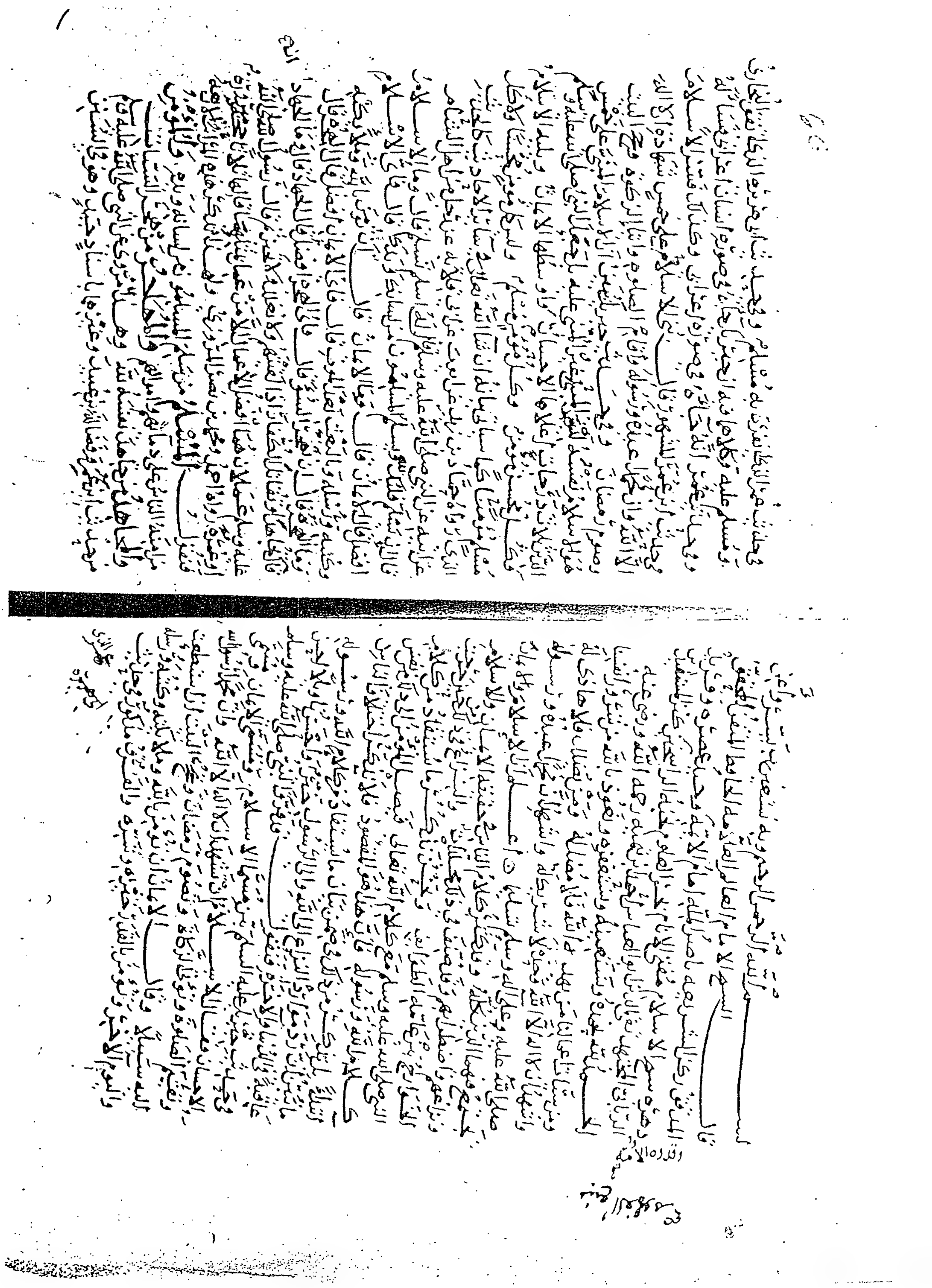

اللوحة الأولى من نسخة (أ)

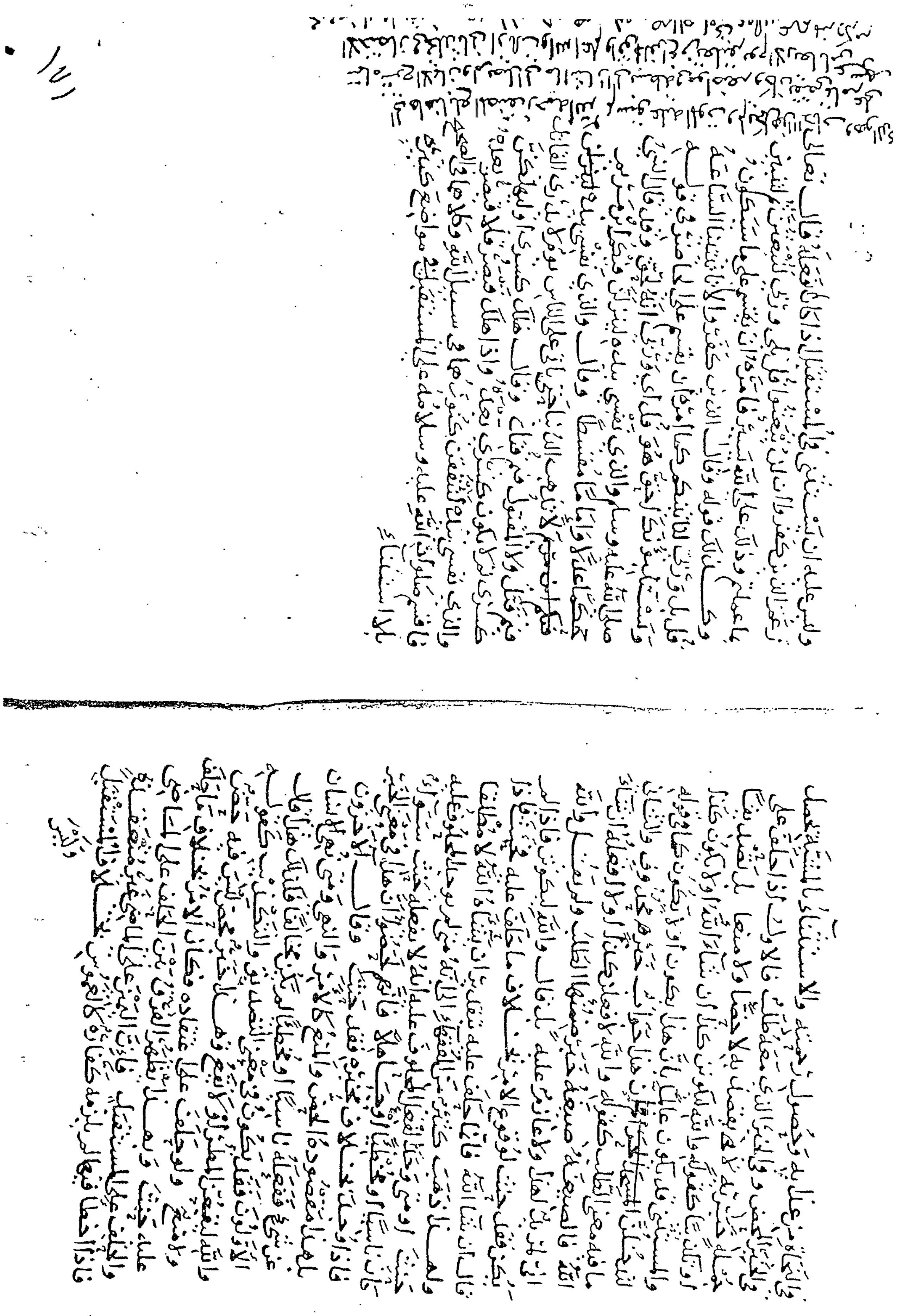

اللوحة الأخيرة من نسخة (أ)

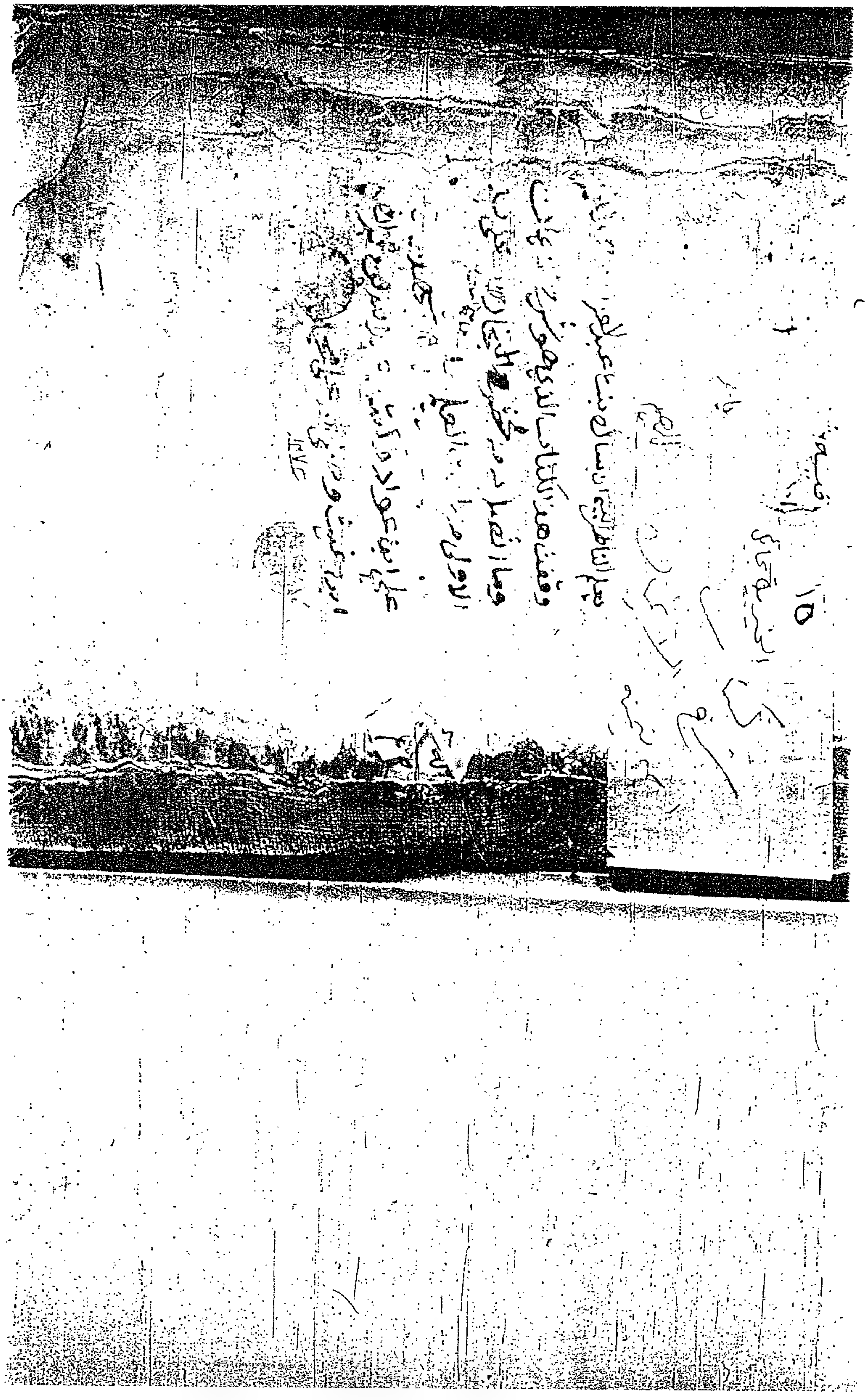

صفحة العنوان من نسخة (ح)

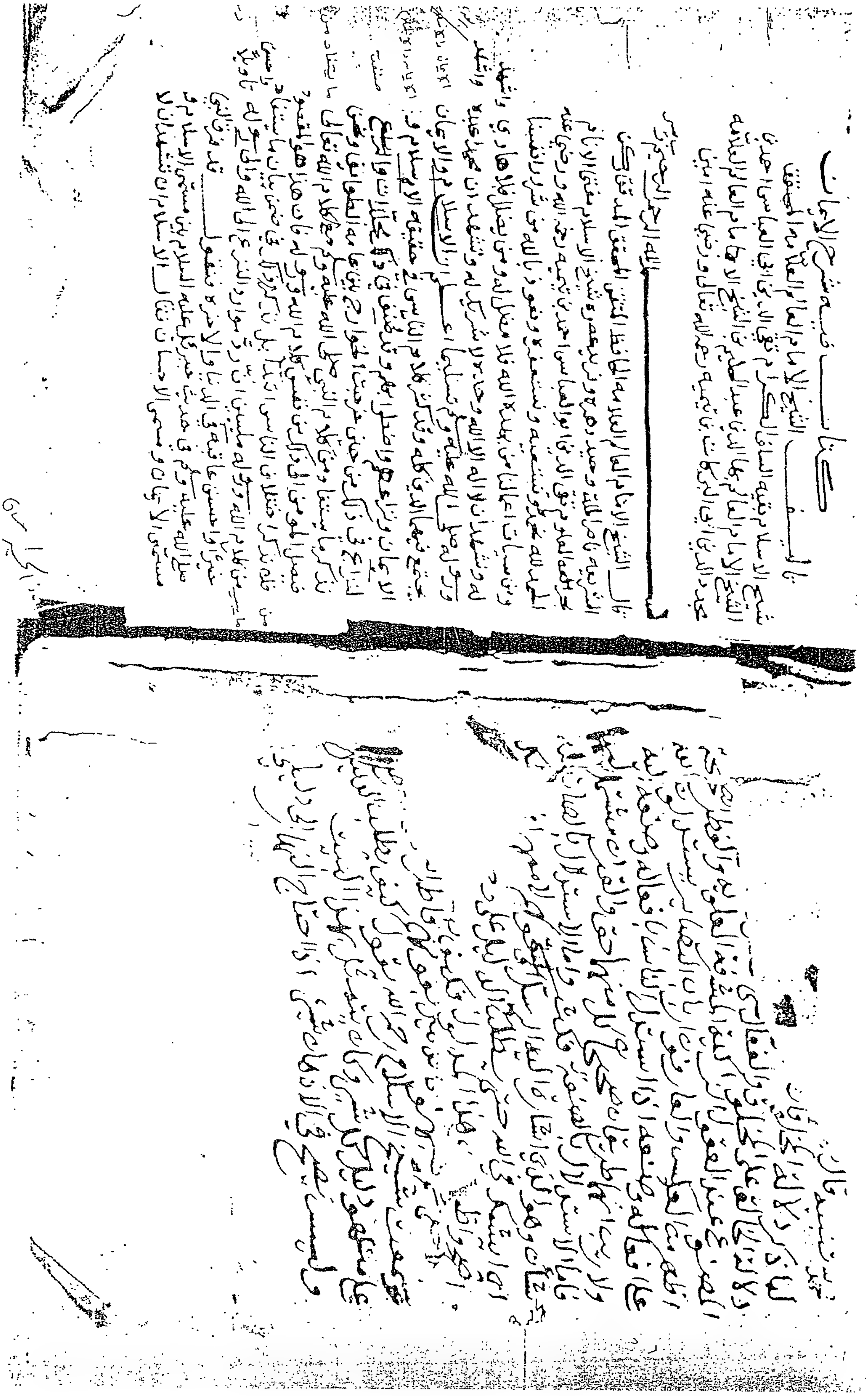

اللوحة الأولى من نسخة (ح)

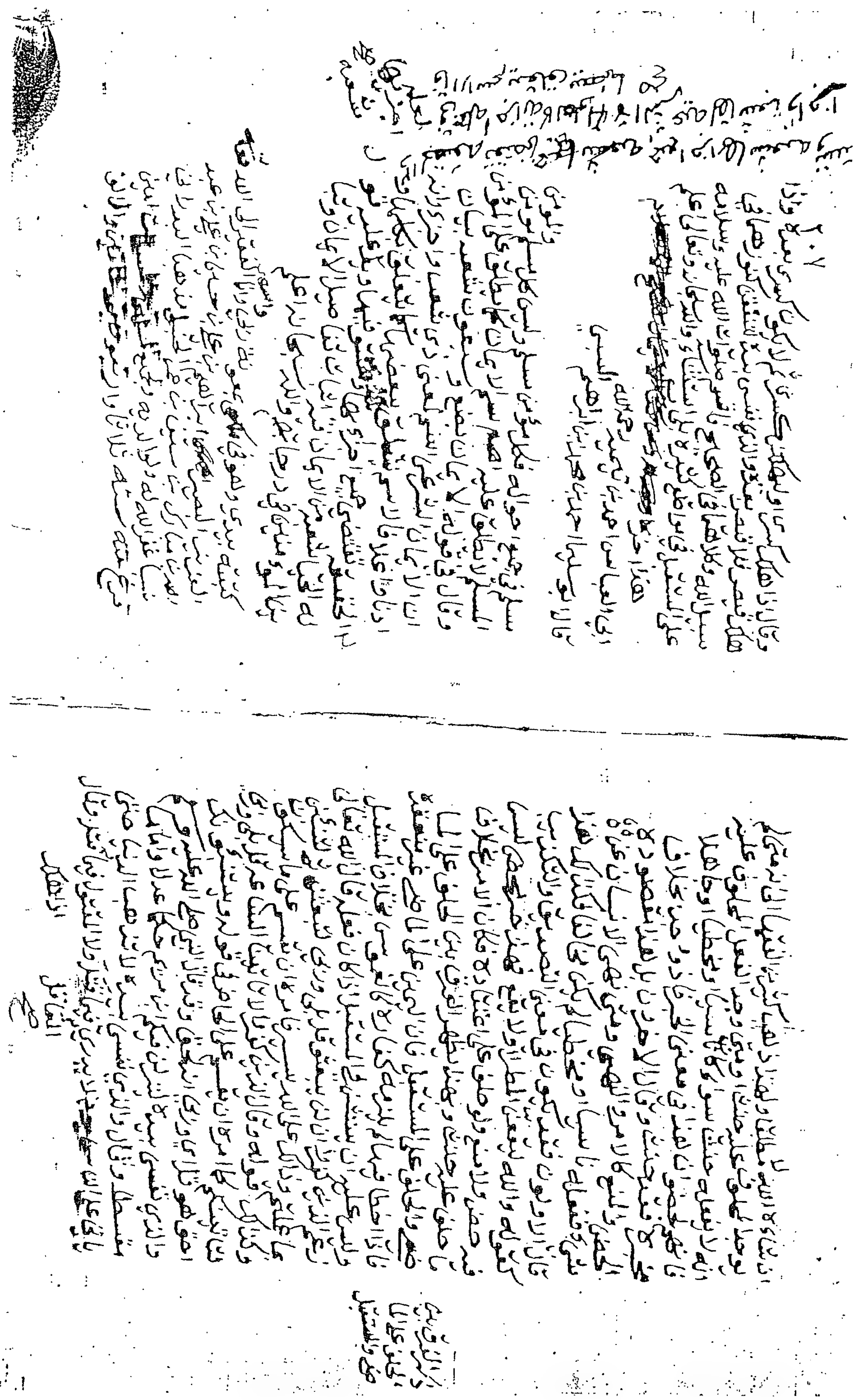

اللوحة الأخيرة من نسخة (ح)

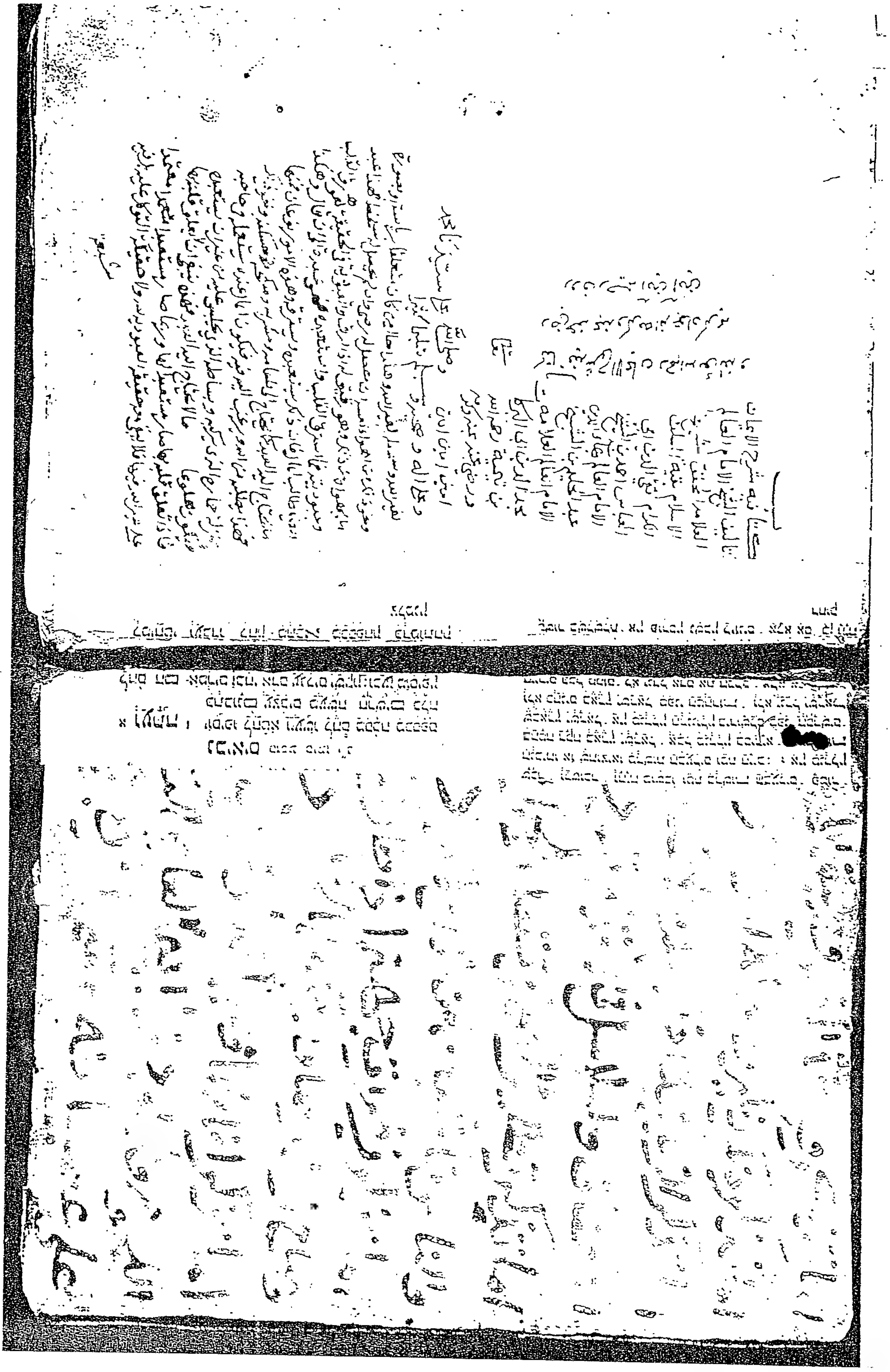

صفحة العنوان من نسخة (ق)

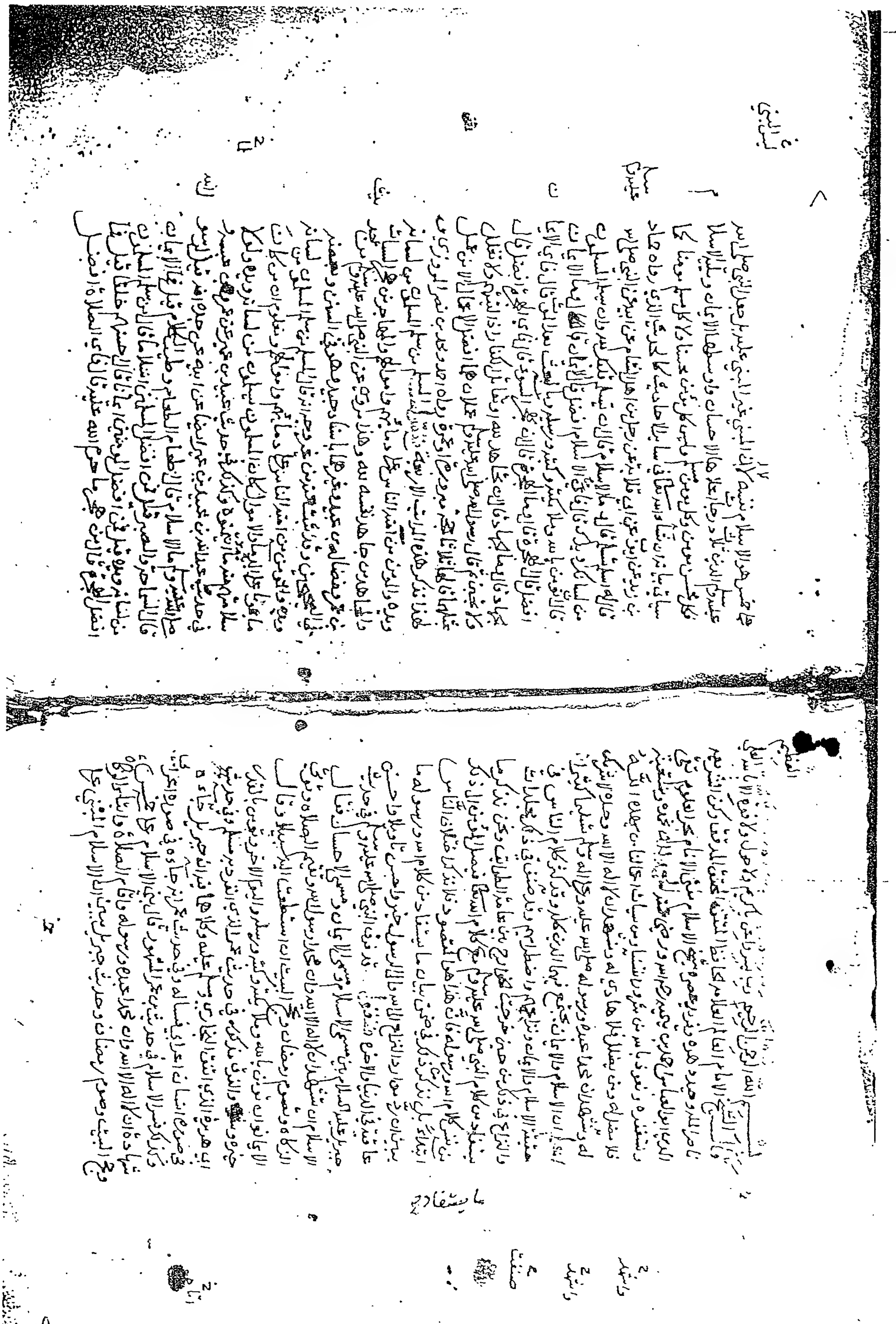

اللوحة الأولى من نسخة (ق)

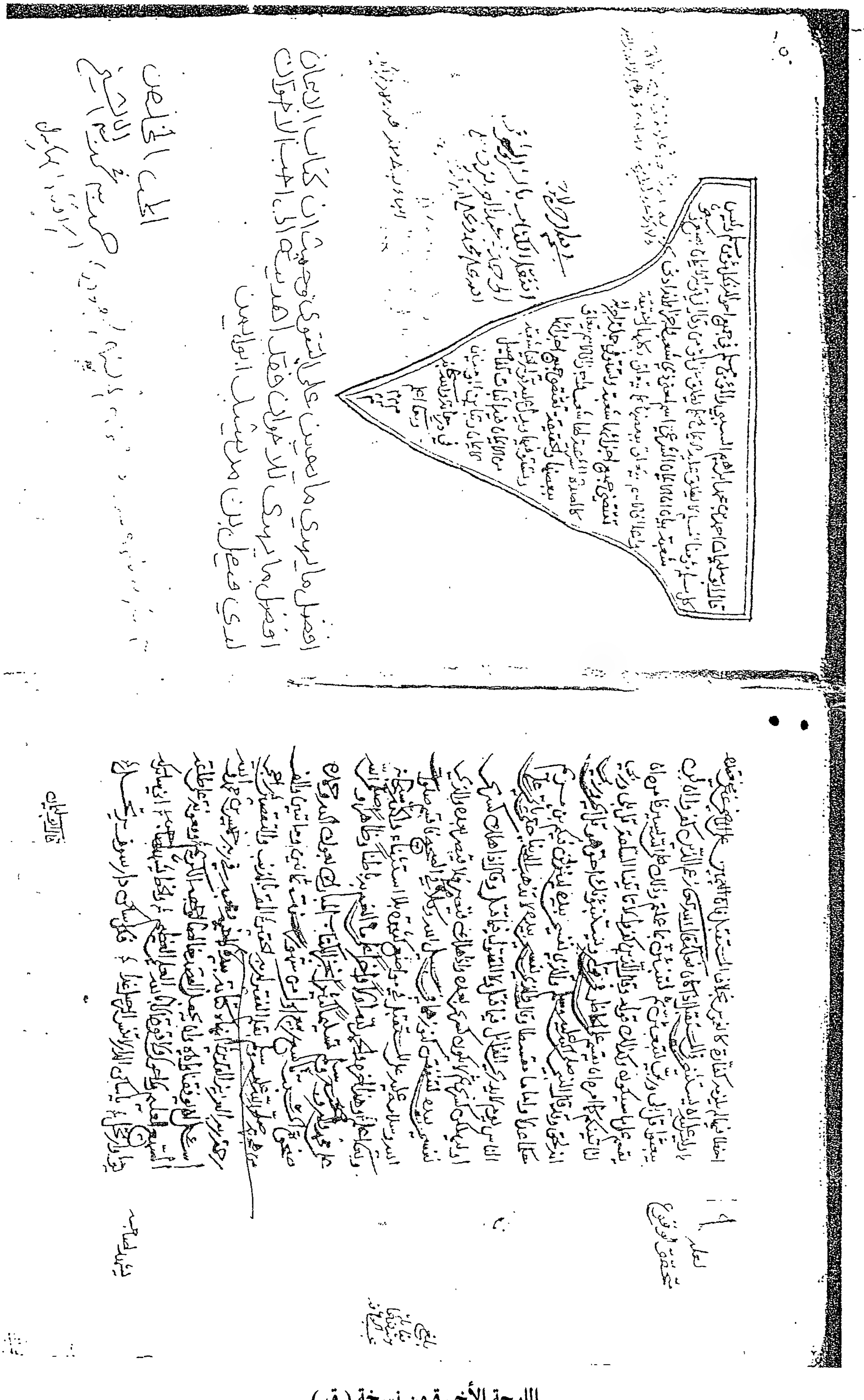

اللوحة الأخيرة من نسخة (ق)

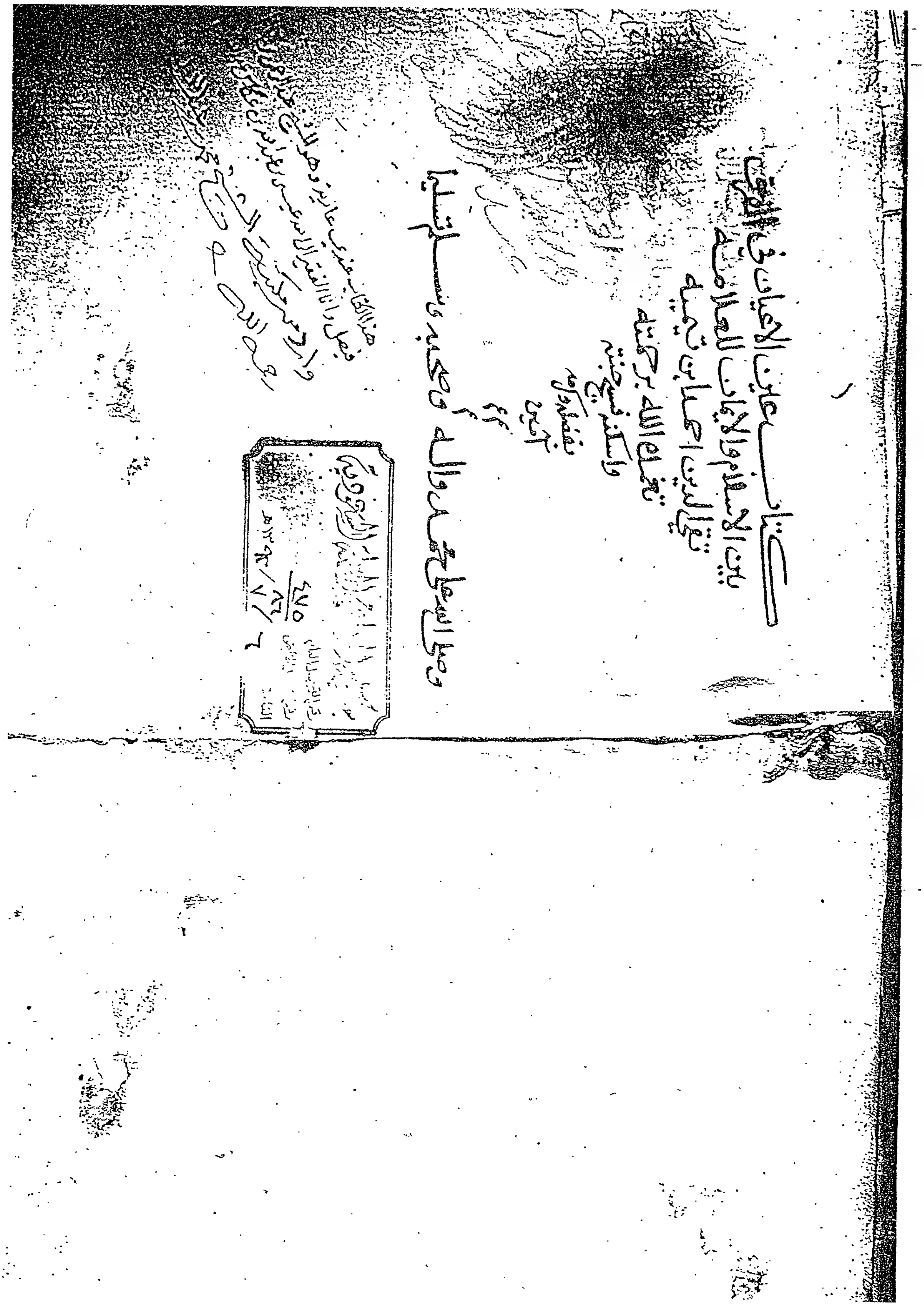

صفحة العنوان من نسخة (ف)

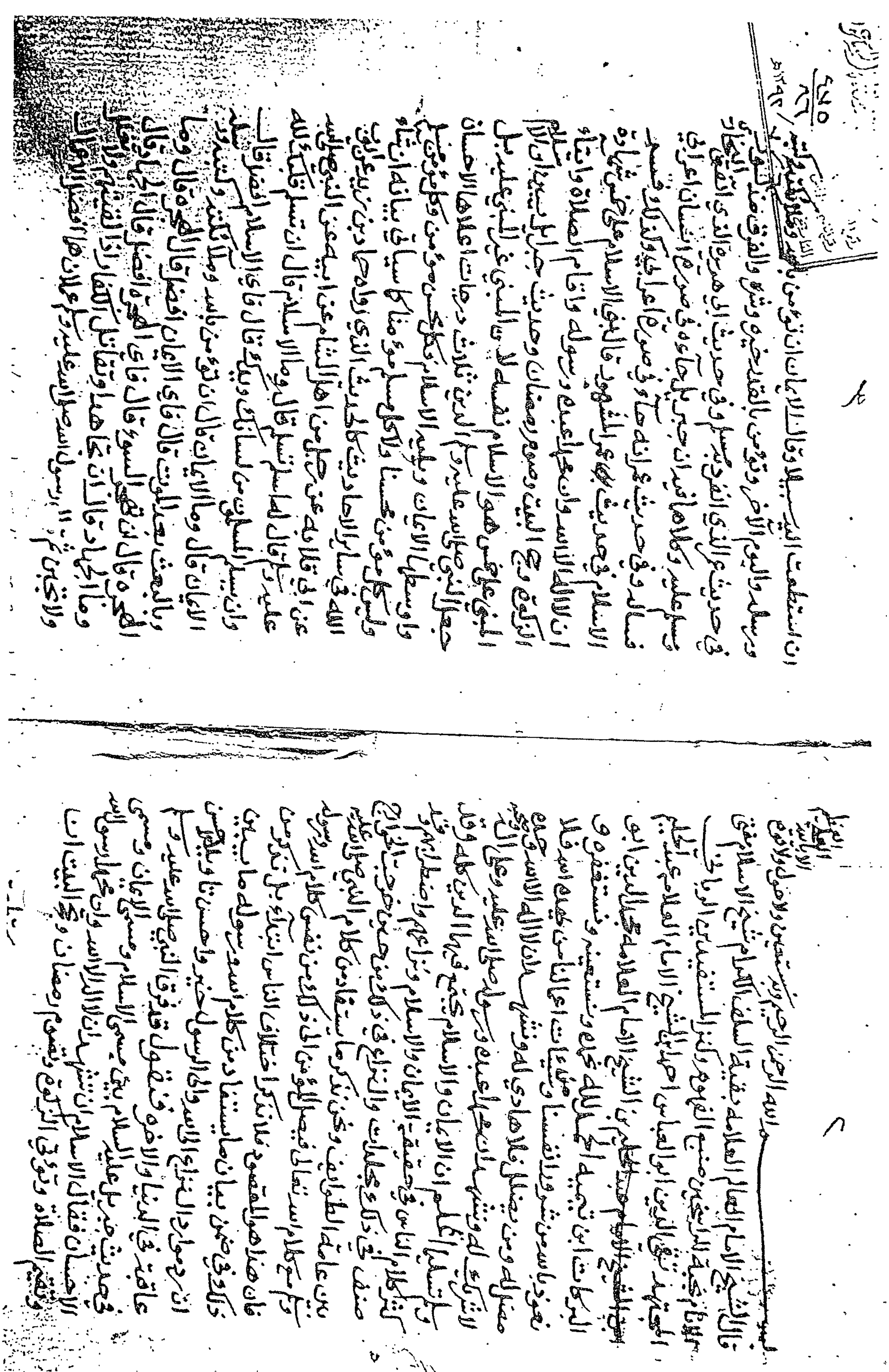

اللوحة الأولى من نسخة (ف)

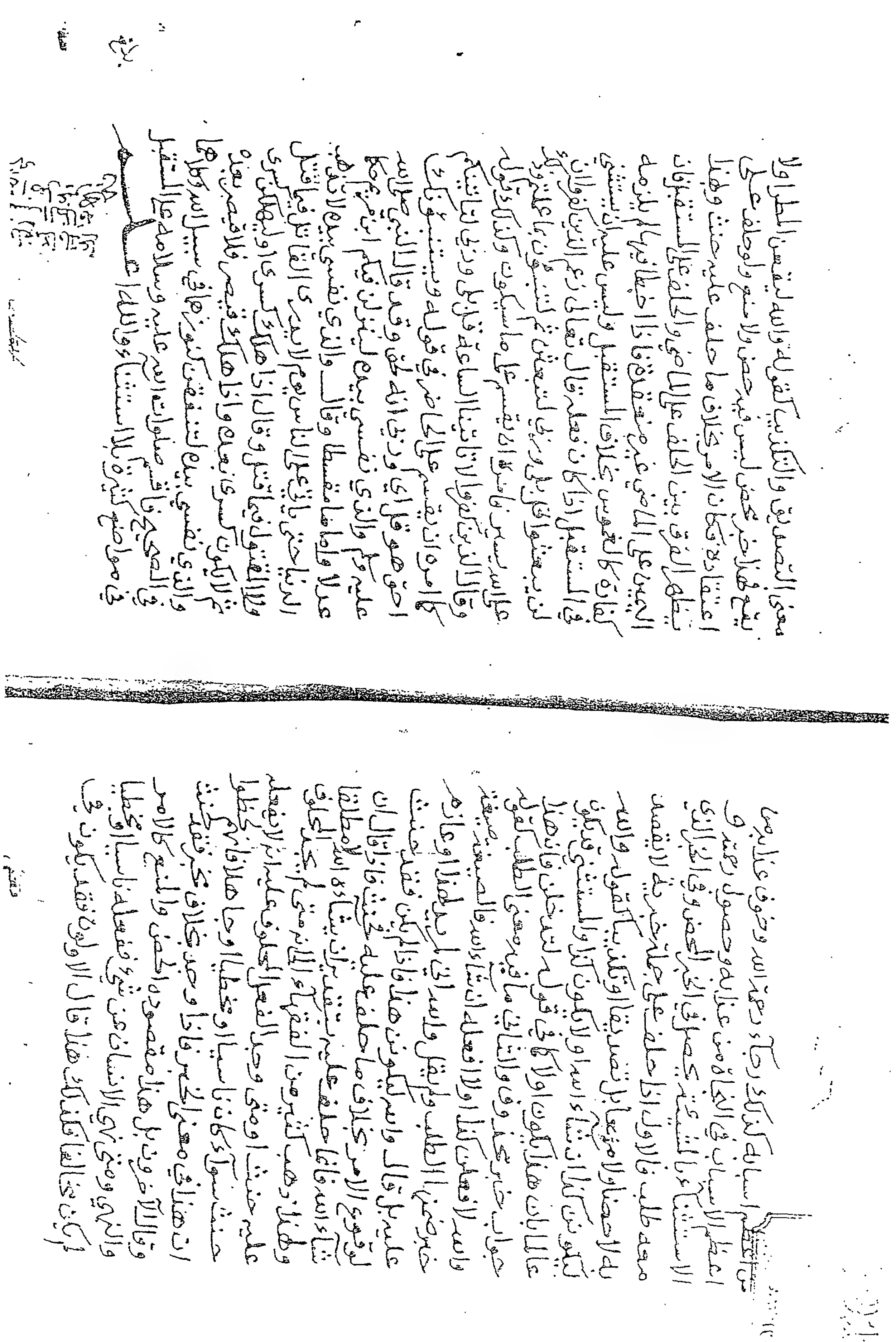

اللوحة الأخيرة من نسخة (ف)

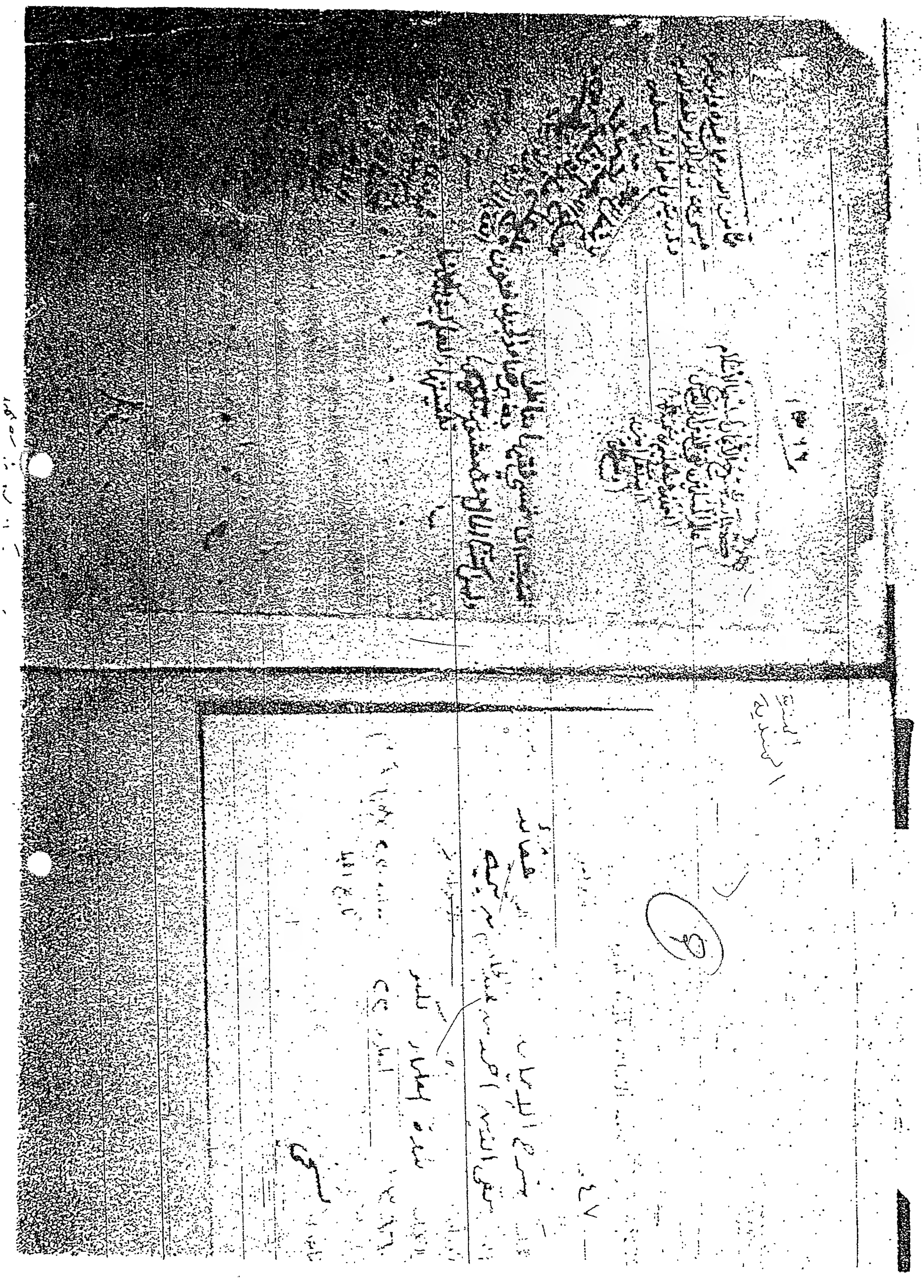

صفحة العنوان من نسخة (هـ)

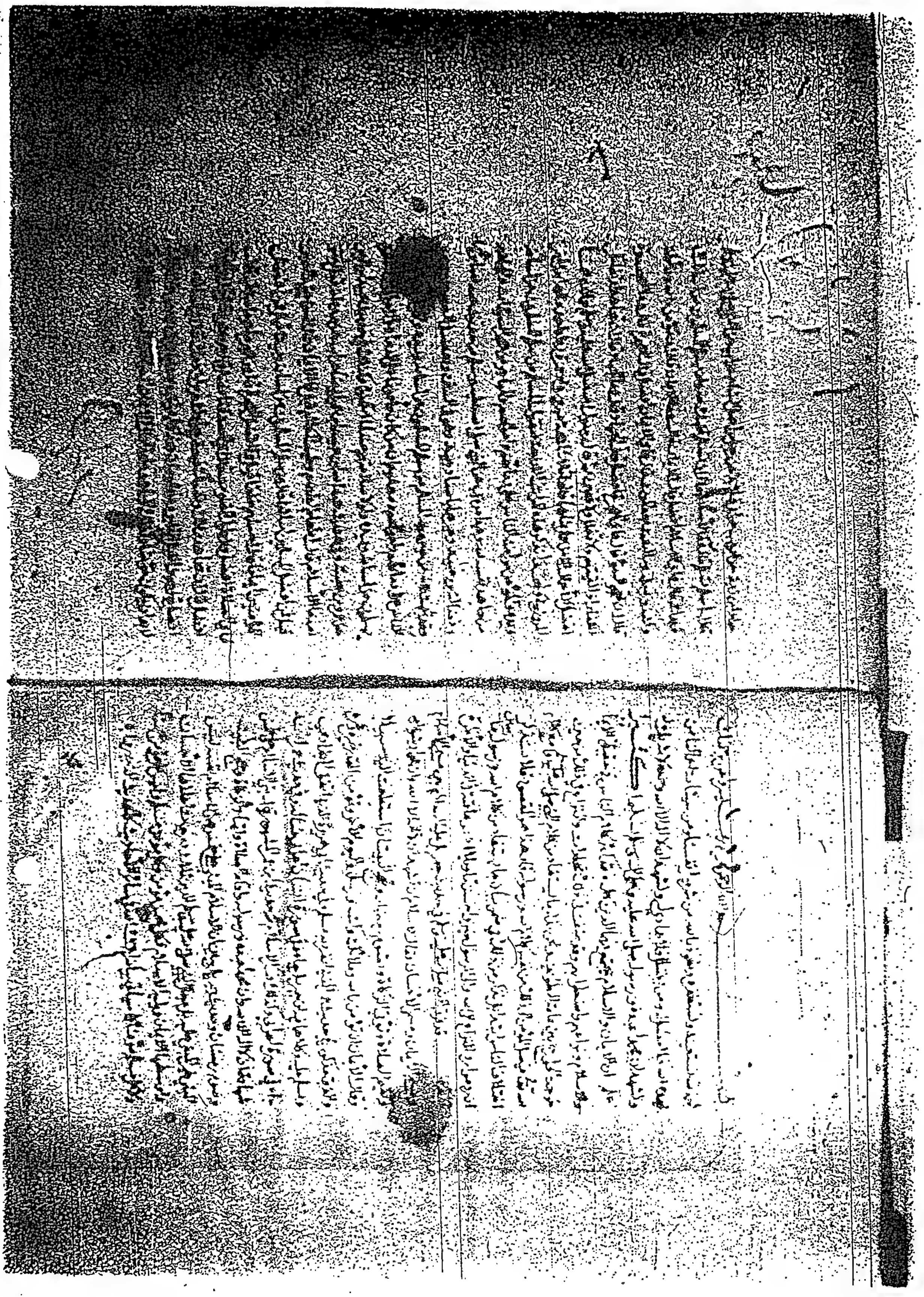

اللوحة الأولى من نسخة (هـ)

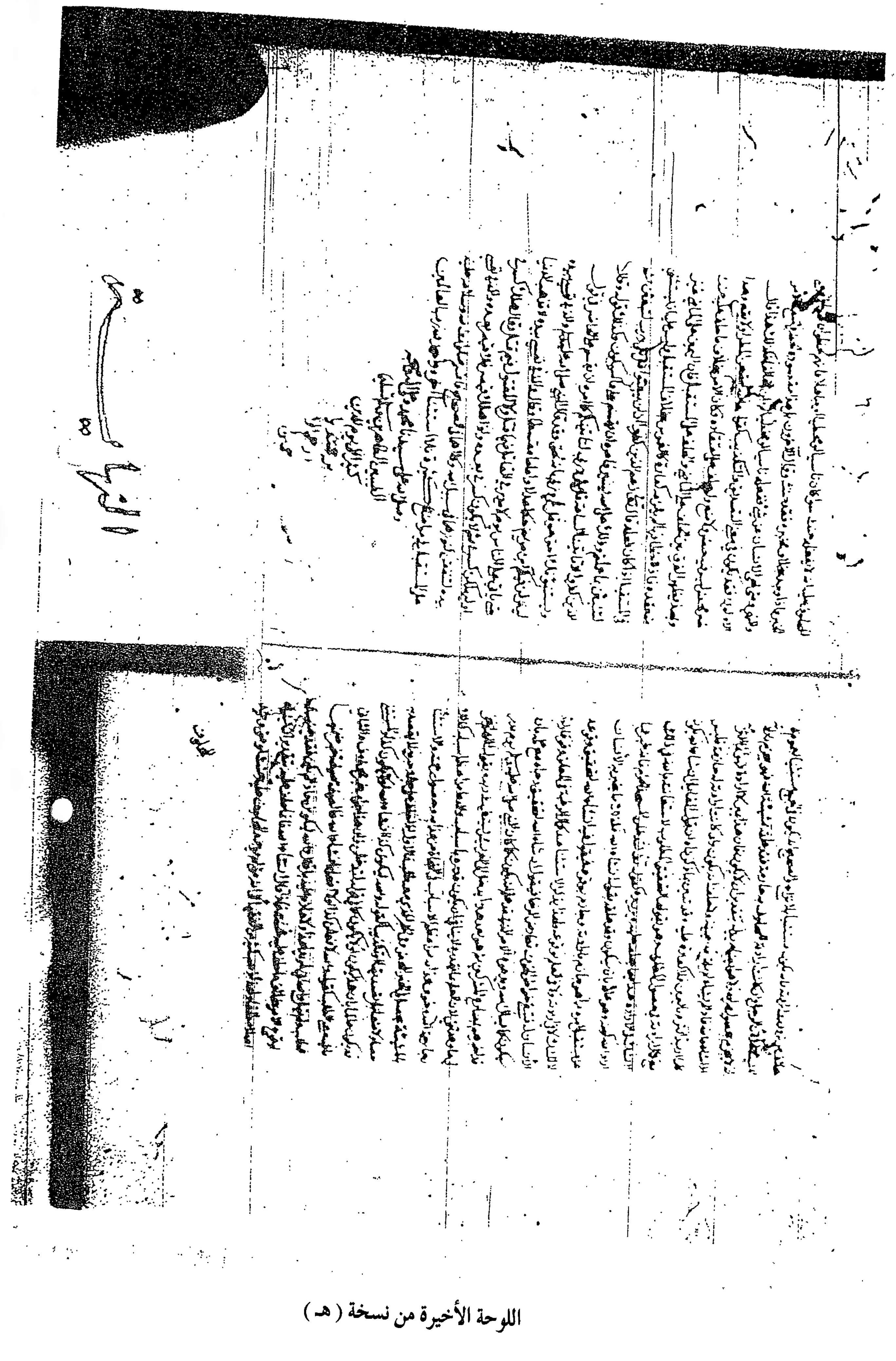

اللوحة الأخيرة من نسخة (هـ)

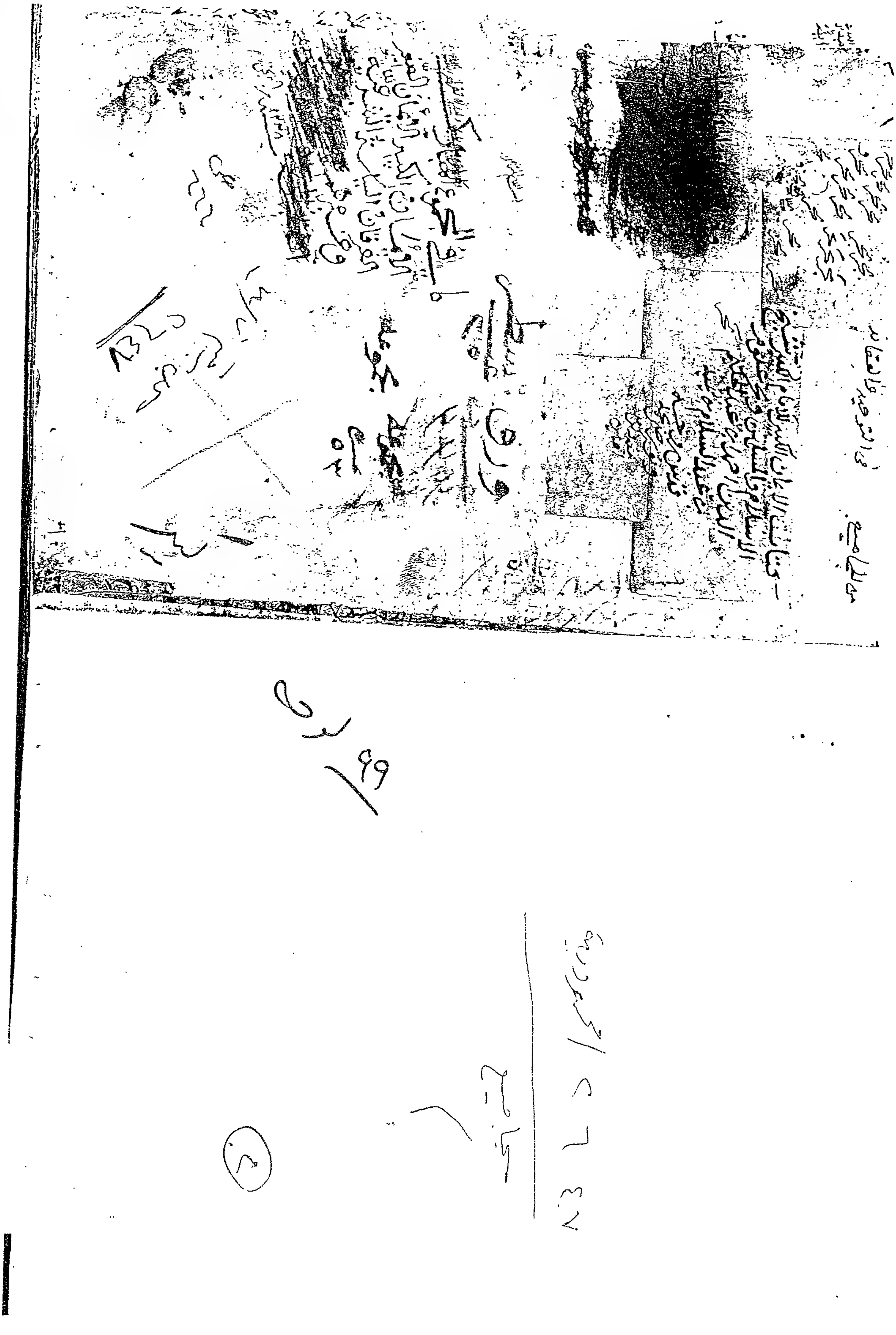

صفحة العنوان من نسخة (م)

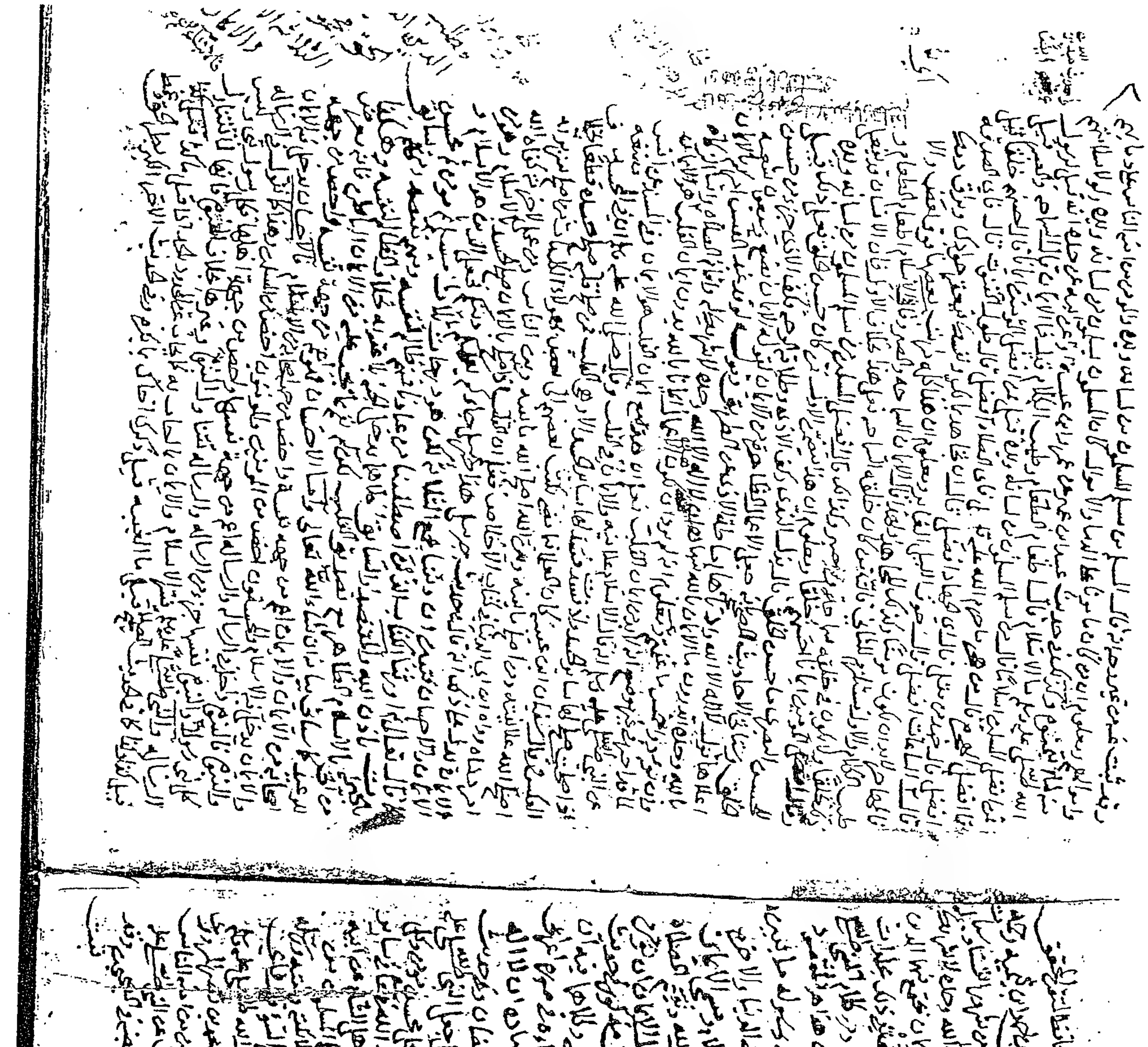

اللوحة الأولى من نسخة (م)

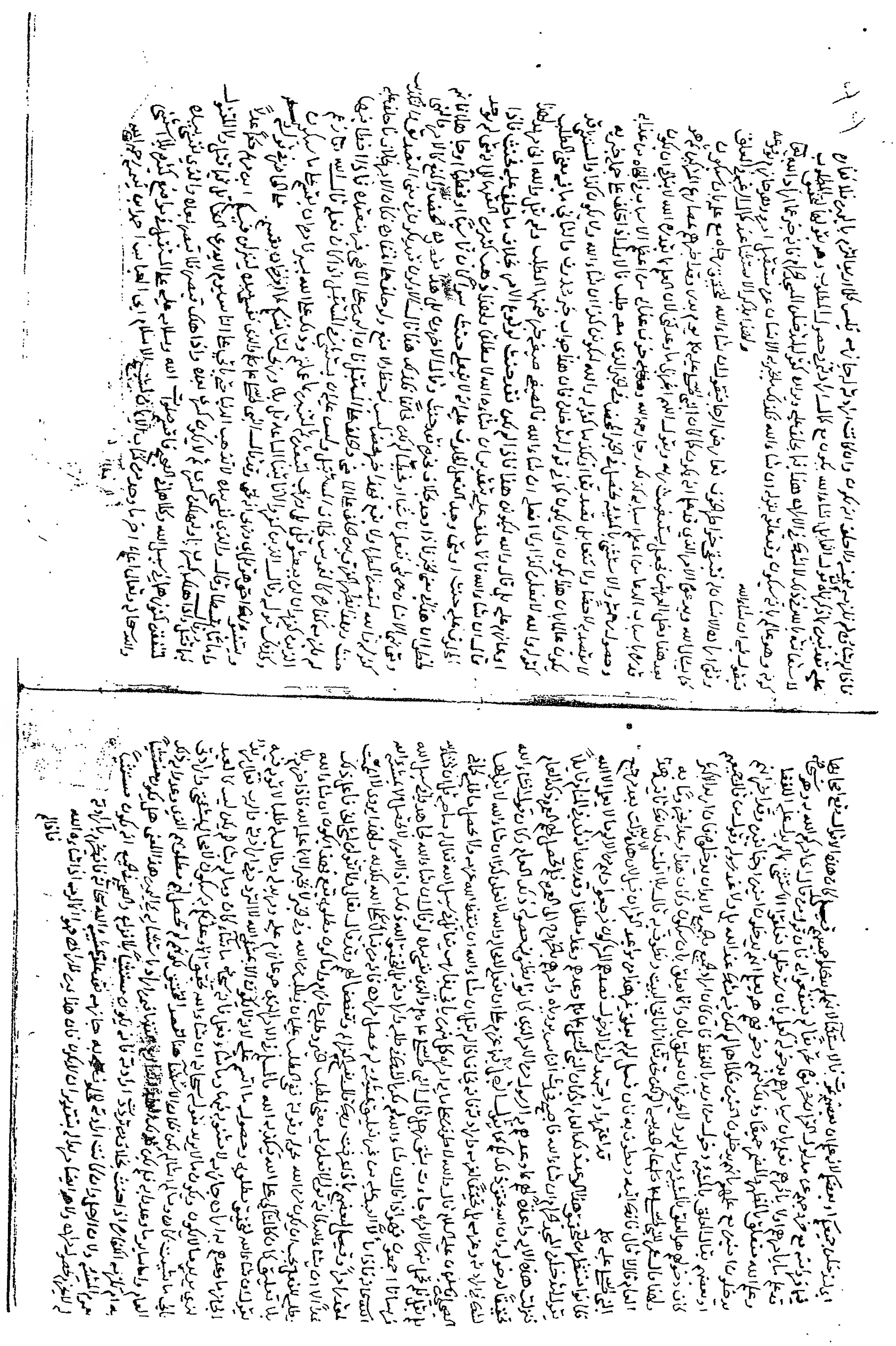

اللوحة الأخيرة من نسخة (م)

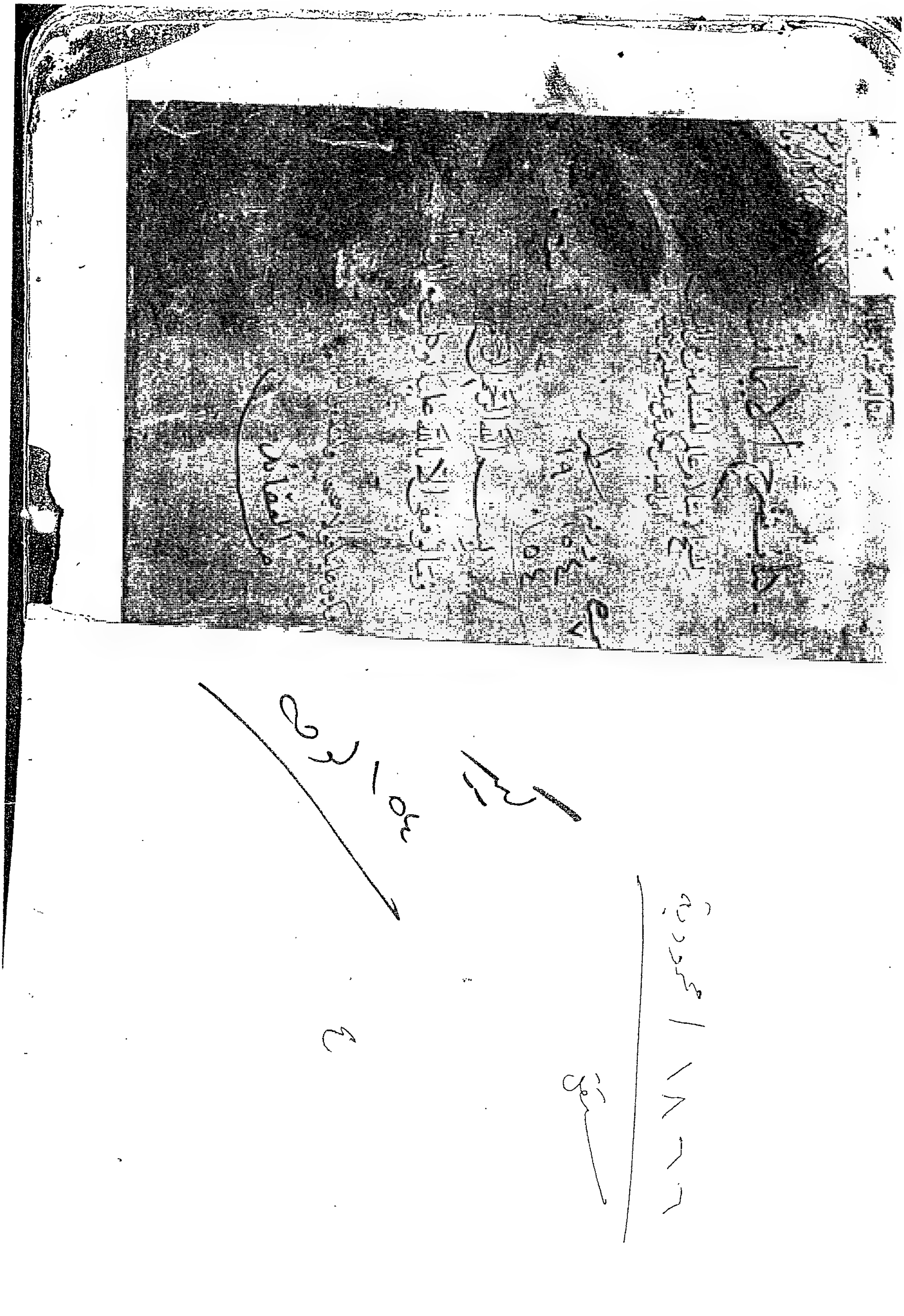

صفحة العنوان من نسخة (مح)

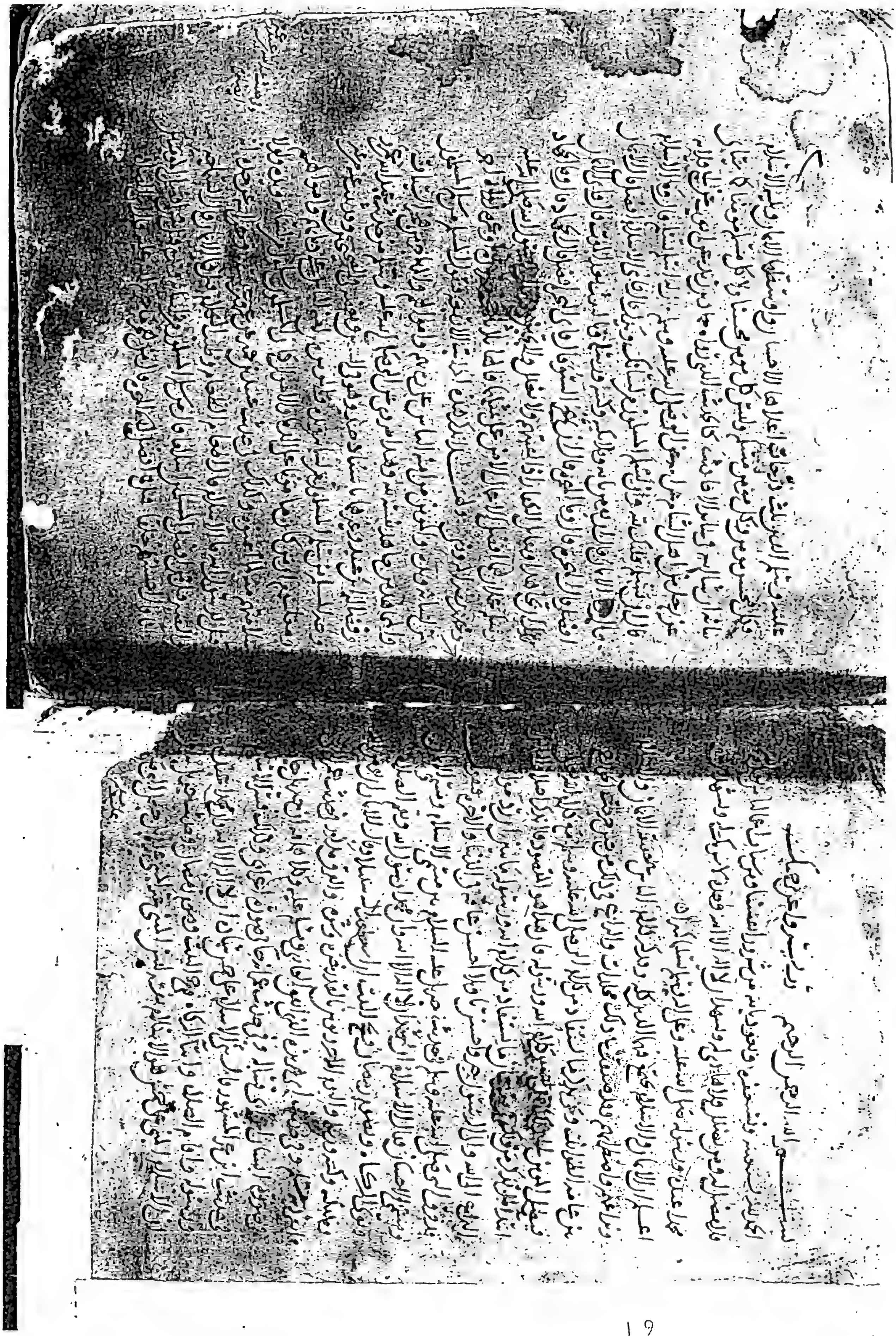

اللوحة الأولى من نسخة (مح)

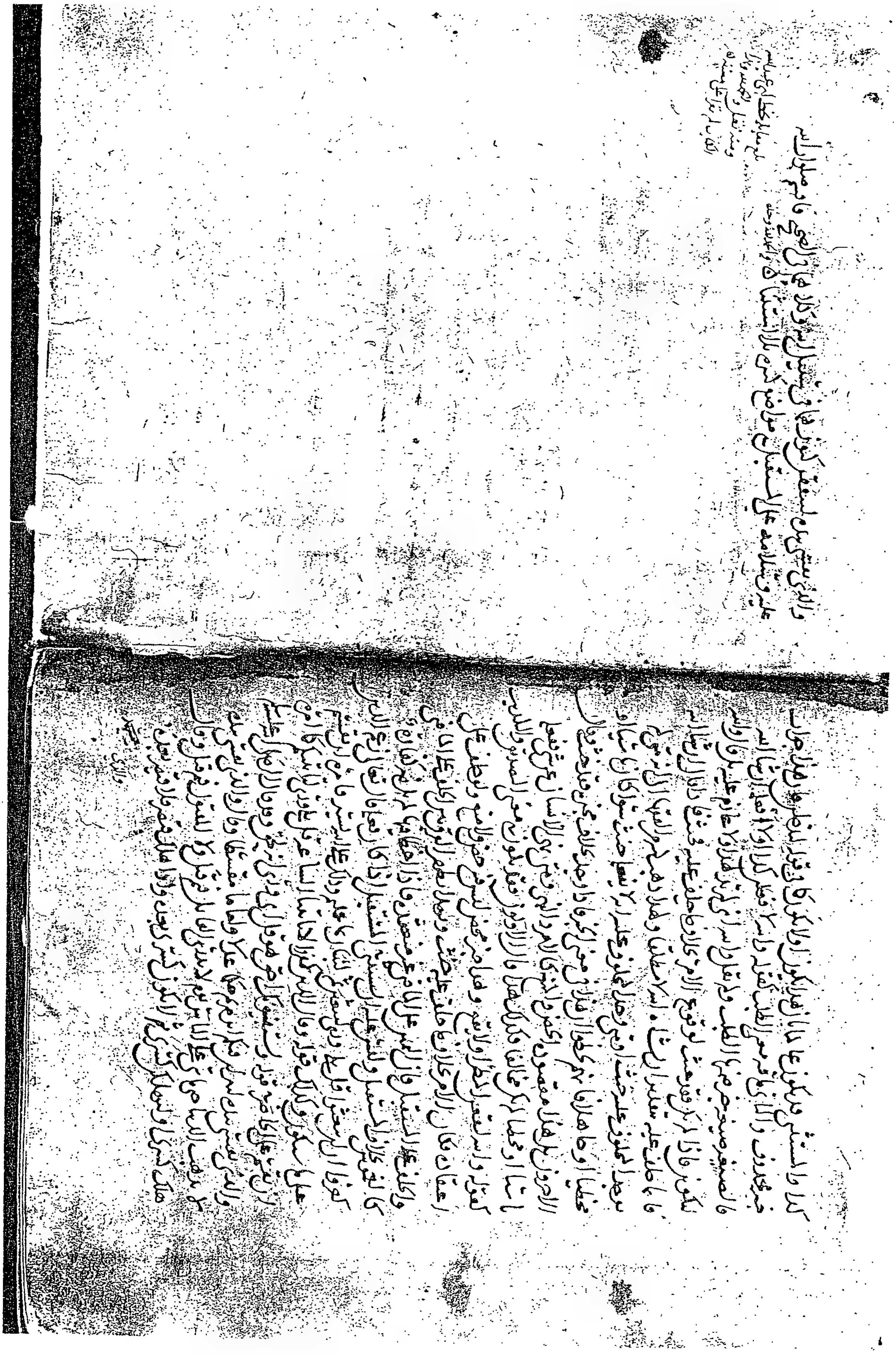

اللوحة الأخيرة من نسخة (مح)

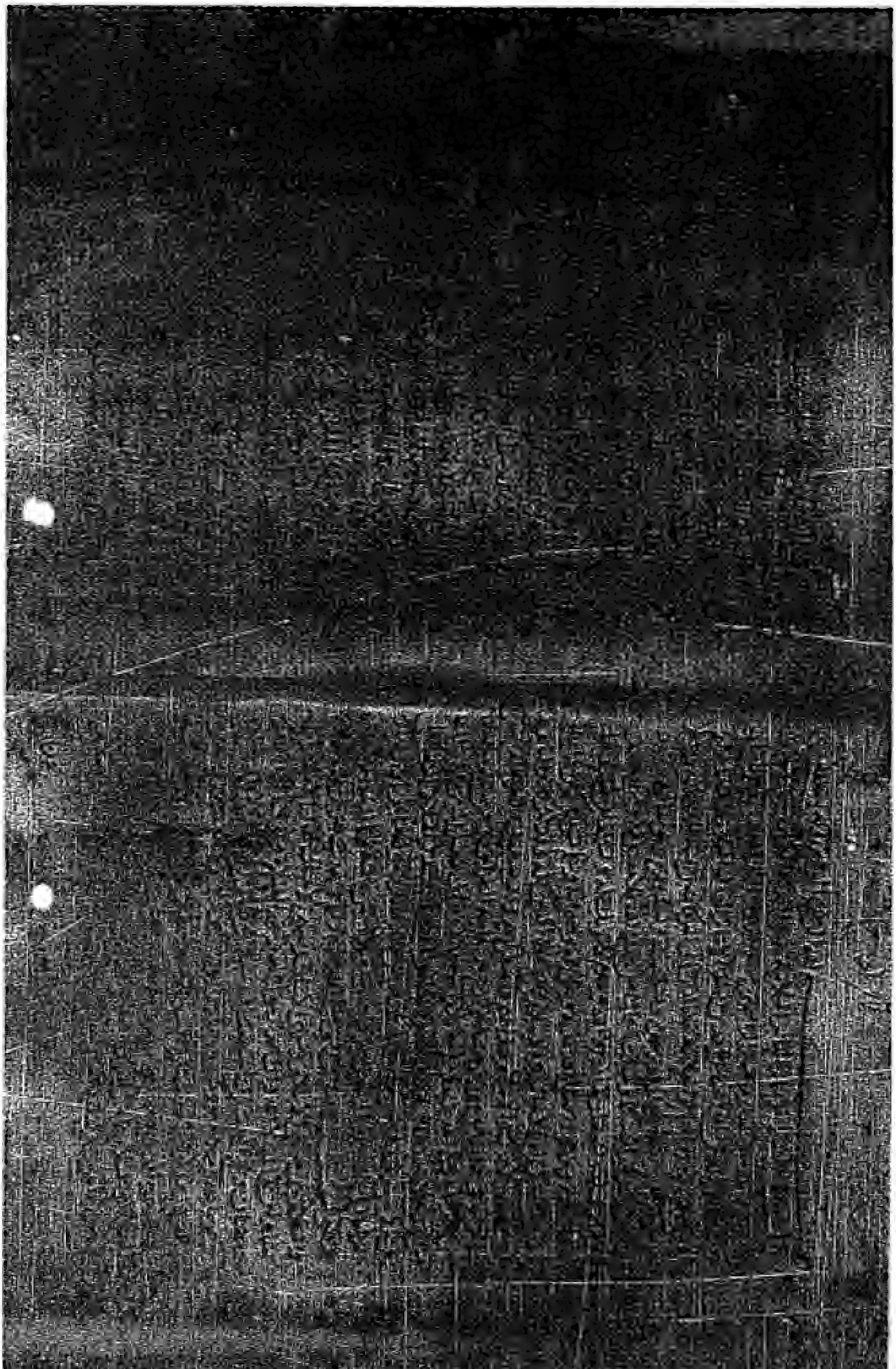

اللوحة الأولى من نسخة (س)

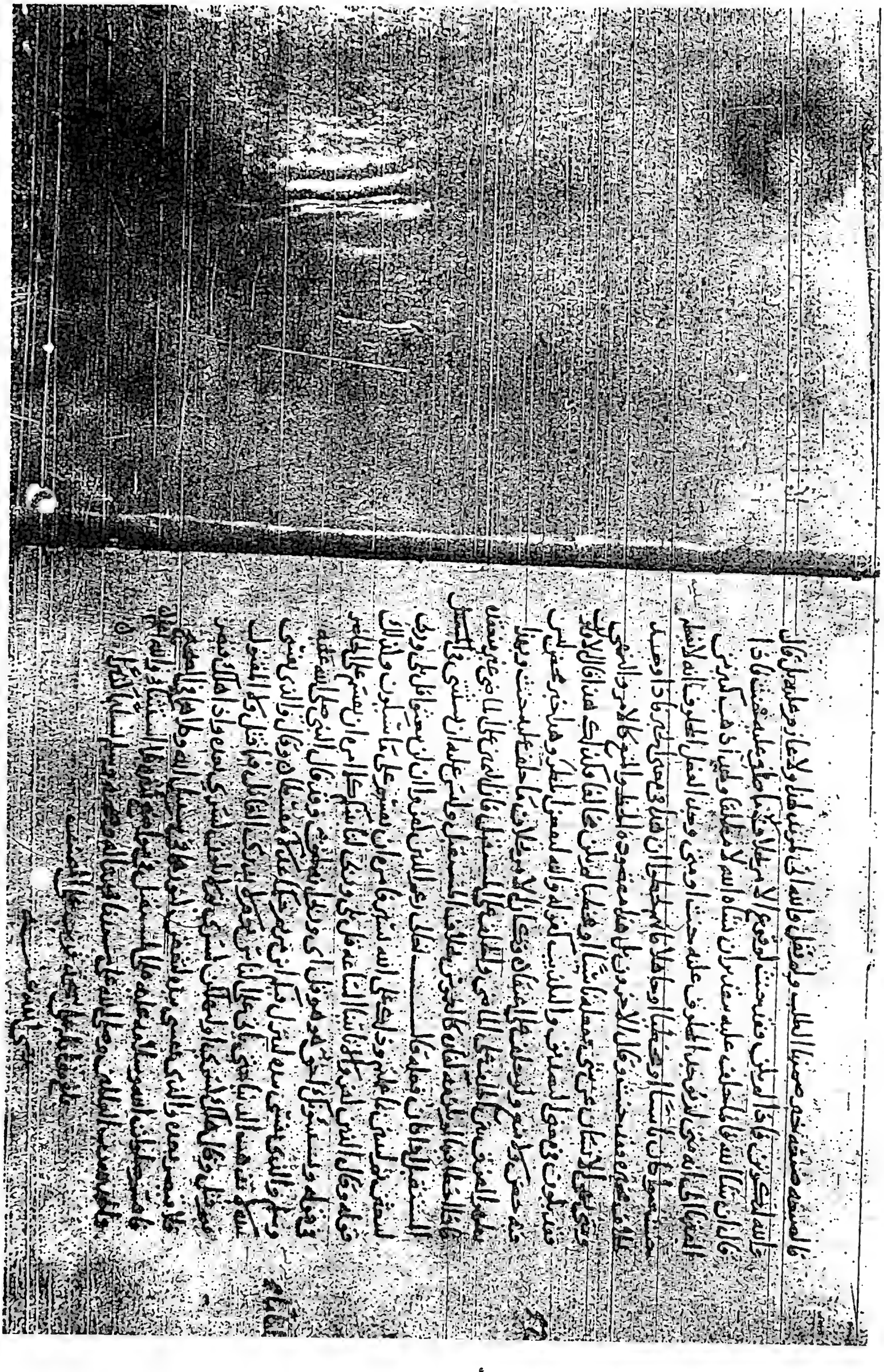

اللوحة الأخيرة من نسخة (س)

القسم الثاني

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين رب يسر واعن . قال الشيخ الإمام العلامة الحافظ المتقن المحقق المدقق ، ركن الشريعة ، ناصر الملة ، إمام الائمة ، وحيد عصره ، وفريد دهره ، شيخ الإسلام مفتي الانام ، بحر العلوم ، ومنبع الفهوم ، وقدوة الأمة، نخبة الراسخين، كنز المستفيدين ، الرباني المجتهد ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية ـ رحمه الله ـ :

خطبة المؤلف

الحمد لله [نحمده](١) [و](٢) نستعينه ونستغفره [ونتوب إليه](٣) ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن(٤) سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد(٥) أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ ﷺ ـ تسليماً [كثيراً(٦)](٧) .

بيان تاريخ النزاع في مسألة الإيمان

اعلم أن الإسلام والإيمان(٨) يجتمع فيهما الدين كله ، وقد كثر كلام الناس في حقيقة الإيمان والإسلام(٩) ونزاعهم واضطرابهم . وقد صنّف(١٠) في ذلك مجلّدات .

---

(١) ما أثبت من (ف ، س) .

(٢) زيادة من (ف ، ق) .

(٣) زيادة من (س ، ن) .

(٤) « من » ساقطة من (س) .

(٥) في (ط ، هـ ، س ، ق) « نشهد » . وفي هامش (ق) « وأشهد » .

(٦) في (ف) زيادة تسلماً كثيراً .

(٧) هذا جزء من خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يبدأ بها خطبه وكلامه ، وهي تشرع بين يدي كل حاجة ، وكان شيخ الإسلام كثيرا ما يبدأ بها كلامه في كتبه ورسائله وفتاويه ؛ اتباعا للنبي ﷺ ، وقد أخرجها كل من :
مسلم في كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة (١/٤٣٦) ، (٢/٥٩٢ ـ ٥٩٣) . ، وأحمد في المسند (٣/٣١٠ ، ٣٧١) ، والنسائي في كتاب صلاة العيدين ، باب كيف الخطبة (٣/١١٨) ، وابن ماجه في كتاب النكاح ، باب خطبة النكاح (١ / ٦٠١) .
وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ (١/٣) . وقد أفردها برسالة جمع فيها الأحاديث الواردة فيها ، وسمّاها « خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه » وهي مطبوعة .

(٨) في (هـ ، ف ، مح) تقديم الايمان على الإسلام

(٩) في (ف ، ق) تقديم الإسلام على الإيمان .

(١٠) في (هـ ، ق ، وهامش ف) « صنّفت » .

والنزاعُ في ذلك من حين خرجت الخوارج[(١)] بين عامة الطوائف[(٢)] .

منهج المؤلف في الكتاب

ونحن نذكر ما يُستفاد من كلام النبي - ﷺ - مع [ما يستفاد من][(٣)] كلام الله [سبحانه][(٤)] وتعالى فيصل المؤمن إلى ذلك من نفس كلام الله [تعالى][(٥)] ورسوله فإن هذا هو المقصود ، فلا نذكر اختلاف الناس ابتداء ، بل نذكر من ذلك - في ضمن بيان ما يستفاد من كلام الله ورسوله - مايبين[(٦)] أن ردّ موارد النزاع إلى الله وإلى الرسول خير [و][(٧)] أحسن تأويلا[(٨)]، وأحسن عاقبة في الدنيا والآخرة .

فنقول : قد فرق النبي - ﷺ - في حديث جبريل - عليه السلام[(٩)] - بين مسمى[(١٠)] الإسلام ، ومسمى[(١٠)] الإيمان ، ومسمى[(١٠)] الإحسان ، فقال :

« الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسولُ الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً » .

وقال : **« الإيمانُ : أن تؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره »**[(١١)] .

---

(١) الخوارج : لهم ألقاب متعددة ، منها : الحرورية ، والنّواصب ، والشراه ، والحكمية ، والمارقة ...
كان أوّل خروج لهم عندما خالفوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد رجوعه من صفّين إثر اقتتال المسلمين ، واتفاقهم على التحكيم ، وكان التكلم ببدعتهم قد ظهر في زمن النبي ﷺ ، حيث أخبر بخروجهم ، وذكر صفاتهم ، وحرّض على قتالهم . وهم فِرَقٌ كثيرة ، يتّفقون على: القول بالتبرؤ من عثمان وعليّ - رضي الله عنهما - ، وتكفير أصحاب الكبائر وخلودهم في النّار ، ووجوب الخروج على أئمة الجور ، ولهذا السّبب سمّوا بالخوارج .
انظر : مقالات الإسلاميين للأشعري (ص : ٨٦ - ١٣٦) ، الفصل لابن حزم (٢ / ٢٧٠ - ٢٧١) ، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٧٢) ، الملل والنّحل للشهرستاني (١/ ١١٤ - ١٣٨) .

(٢) في (س) « الطرائق » .

(٣) ليست في (أ) ومثبت من (هـ ، ج ، مح وهامش ق) .

(٤) ما أثبت من (س) .

(٥) « تعالى » ليست في (أ) ومثبتة من بقية النسخ .

(٦) في (س) « بين » .

(٧) الواو ليست في (أ) ومثبتة في بقية النسخ .

(٨) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النّساء : ٥٩) .

(٩) في (س) « عليه الصلاة والسلام » .

(١٠) في (س) (منتهى) وهو خطأ .

(١١) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النّبي ﷺ عن الإيمان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه (٣٦/١) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الإيمان والإسلام والإحسان ، عن عمر رضي الله عنه (١/ ٤٥) .

والفرق مذكور في حديث / عمر الذي انفرد به مسلم[١] ، وفي حديث أبي هريرة [١/أ]
الذي اتفق البخاري ومسلم عليه[٢] ، وكلاهما فيه : أن جبريل عليه[٣] السلام جاءه في صورة إنسان أعرابي فسأله[٤] ، وفي حديث عمر : أنه جاءه في صورة أعرابي .

وكذلك فسَّر الإسلام في حديث ابن عمر المشهور، قال: « **بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحجّ البيت ، وصوم رمضان** »[٥] .

الدين ثلاث درجات

وفي[٦] حديث جبريل يبين أن الإسلام المبني على خمس ، هو الإسلام نفسه ، ليس المبنيُّ غير المبنيِّ عليه ، بل جعل النبي - ﷺ - الدين ثلاث درجات : أعلاها الإحسان ، وأوسطها الإيمان ، ويليه الإسلام .

فكل محسن مؤمن ، وكل مؤمن مسلم ، وليس كل مؤمن محسناً ، ولا كل مسلم مؤمناً كما سيأتي بيانه - إن شاء الله [تعالى[٧]][٨] - في سائر الأحاديث ، كالحديث الذي رواه حماد بن زيد[٩] ، عن أيوب[١٠]، عن أبي قلابة[١١] ، عن رجل من أهل الشام ، عن أبيه ، عن النبي - ﷺ - قال له : « **أسلم تسلم** » .

---

(١) انظر : صحيح مسلم كتاب الايمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ووجوب الإيمان باثبات القدر (٣٦/١) .

(٢) سبق تخريجه في الصفحة السابقة .

(٣) في (س) « عليه الصلاة والسلام » .

(٤) في (س) « فنسب إليه » .

(٥) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : بني الإسلام على خمس (١/ ٤٩) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب أركان الإسلام ، (١/ ٤٥) عن ابن عمر - رضي الله عنهما - .

(٦) « في » مثبتة من (أ ، م ، ح) وساقطة من بقية النسخ .

(٧) ما أثبت من (ف و س ، ق) وساقط من بقية النسخ .

(٨) انظر تفصيل الكلام في ذلك أثناء مناقشة الشيخ لمن يسوى بين الايمان والإسلام ويقول بترادفهما (ص :٥٦٦) .

(٩) هو : حماد بن زيد بن درهم الأزدي ، مولى آل جرير بن حازم البصري الأزرق الضرير ، إمام حافظ ثقة روى عنه أصحاب الكتب الستة ولد وتوفى بالبصرة عام (١٧٩ هـ) انظر : سير أعلام النبلاء (٤٥٧/٧)، البداية والنهاية (١٧٤/١٠) ، تهذيب التهذيب (٣ / ٩ - ١١) .

(١٠) هو : أيوب بن أبي تميمة بن كيسان العنزي ، مولاهم البصري الآدمي أبو بكر ، من صغار التابعين لكنه سيدهم وحافظهم ، ثقة حافظ امام ولد بالبصرة وتوفى بها عام (١٣١هـ) انظر: طبقات ابن سعد (٧ / ٢٤٦) ، سير أعلام النبلاء (١٥/٦) ، تهذيب التهذيب (١ / ٢٩٧).

(١١) هو : عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر بن ناتل بن مالك ، أبو قلابة الجرمي البصري الامام ، شيخ الإسلام ثقة كثير الحديث ، ومن أعلم الناس بالقضاء . انظر : طبقات ابن سعد (٧ / ١٨٣) ، سير النبلاء (٤ / ٤٦٨) ، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٢٤).

قال : وما الإسلام ؟ قال : « أن يَسلْم [١] قلبك لله ، [وأن][٢] يسلم المسلمون من لسانك ويدك » .

قال : فأي الإسلام أفضل ؟ قال : « الإيمان » .

قال : وما الإيمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبالبعث بعد الموت » .

قال : فأي الإيمان أفضل ؟ قال : « الهجرة » .

قال : وما الهجرة ؟ قال : « أن تهجر السوء » .

قال : فأي الهجرة أفضل ؟ قال [٣] : « الجهاد » .

قال : وما الجهاد ؟ قال : « [أن][٤] تجاهد[٥] ، أو تقاتل الكفار إذا لقيتهم ، ولا تغلل ، ولا تجبن » .

ثم قال رسول الله ﷺ : « عملان هما أفضل الأعمال ، إلا من عمل بمثلهما »[٦] قالها ثلاثاً « حجة مبرورة ، أو عمرة »[٧] . رواه أحمد ومحمد بن نصر المرزوي [٨] .

---

(١) في (ق ، هـ ، م ، ح ، ف ، مح) (تسلم) .

(٢) ما أثبت من (ق ، ح ، هـ ، ط) .

(٣) « قال » ساقطة من (س) .

(٤) ما أثبت من (ف ، هـ ، مح ، س ، ق) وساقطة من (أ ، ح ، م) .

(٥) في (ق ، ف) زيادة (لله) والصواب حذفها

(٦) في س زديادة [قال] والصواب حذفها .

(٧) أخرجه أحمد في المسند (٤ / ١١٤) عن طريق عبد الرزاق ، قال حدثنا معمر عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن عمرو بن عبسة ، قال : قال رجل يا رسول الله ما الإسلام ؟ ... الحديث وإسناده صحيح لولا عنعنة أبي قلابة ، وهو مدلس ، ولا يوجد أحد نفي أو أثبت سماعه من عمرو بن عبسة . انظر : تهذيب التهذيب (٥/٢٢٤) ، تقريب التهذيب (٤١٧/١) ، وأخرجه من طريق عبد الرزاق ... به الخرائطي في المنتقى من مكارم الأخلاق (ص:٩١) . وأخرجه بالاسناد الذي ذكره الشيخ هنا ثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب ... إلخ . وأخرجه أيضا ـ كما قال المؤلف ـ محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٤٠١/١) من طريق محمد بن عبيد بن حسّاب حدثنا حماد بن زيد ... به . واسناده ضعيف بسبب جهالة شيخ أبي قلابة ، ثم بسبب عنعنة أبي قلابة ، لكن يعضده حديث فضالة بن عبيد الذي بعده .

(٨) محمد بن نصر بن الحجاج المرزوي أبو عبد الله الإمام ، شيخ الإسلام الحافظ، ولد ببغداد سنة(٢٠٢هـ) ونشأ بنيسابور، وسكن سمرقند كان أبوه مروزياً ، قال الحاكم إمام عصره بلا مدافعة في الحديث كان من أعلم الناس بالسنن وأدراهم بصحتها ، وأضبطتهم لها ناقشه شيخ الإسلام في كتابنا هذا في بعض مسائل الايمان مناقشة طويلة ونقل عنه وذكره كثيرا . توفى بسمرقند سنة (٢٩٤هـ) انظر : تاريخ بغداد (٣١٥/٣)، سير أعلام النبلاء (٣٣/١٤) تهذيب التهذيب (٤٨٩/٩) .

ولهذا [نذكر][١] هذه المراتب [الأربع][٢] فنقول[٣] : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم، والمهاجر من هجر السيئات، والمجاهد من جاهد نفسه لله**» وهذا مروي عن النبي - ﷺ - من حديث عبد الله بن عمرو[٤] ، وفضالة بن عبيد[٥] ، وغيرهما بإسناد جيد ، وهو في « السنن »/ وبعضه في « الصحيحين » . [١/ب]

وقد ثبت عنه من غير وجه أنه قال[٦] : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم** »[٧] ومعلوم أن من كان مأموناً على الدماء والأموال ، كان المسلمون يسلمون من لسانه ويده ، ولولا سلامتهم منه لما[٨] ائتمنوه وكذلك

---

(١) ما أثبت من (ف ، س ، ق) وفي (أ) « تذكر » وفي بقية النسخ « يذكر » .

(٢) ما أثبت من (س) وفي (أ) وبقية النسخ « الأربعة » .

(٣) في (هـ ، ط) « فيقول » .

(٤) في (ق) بن عمر أخرجه أحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - (١٦٣/٢ ، ١٩٢، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٢) .

(٥) هو فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الأوسي الأنصاري ، صحابي بايع تحت الشجرة ، وشارك مع النبي - ﷺ - في الغزوات وشارك في الفتوحات ، ولي قضاء دمشق في زمن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - وتوفى بها سنة (٥٣هـ) انظر : طبقات ابن سعد (٤٠١/٧) الاستيعاب في طبقات الأصحاب (١٩٢/٣) ، تهذيب التهذيب (٣٠٨/٥). وحديثه أخرجه : أحمد في المسند (٢١/٦) من طريق علي بن إسحاق حدثنا عبد الله قال : أخبرنا ليث قال أخبرني أبو هاني الخولاني ، عن عمرو بن مالك الجنبي قال حدثني فضالة بن عبيد ... الحديث وفيه الخطايا والذنوب بدل السيئات . وإسناده صحيح ، ورجاله ثقات كلهم ، وأخرجه أحمد في مسنده بسنده عن أبي هاني ... به (٢٢/١) . وأخرجه من طرق عن أبي هانئ كل من : ابن ماجة في السنن ، كتاب الفتن باب حرمة دم المؤمن وماله (١٢٩٨/٢) والحاكم في المستدرك (١٠/١) ، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٠٢/٢) . فهو كما قال الشيخ - رحمه الله - في السنن وبعضه في الصحيحين يقصد أن البخاري روى جزءاً منه في كتاب الايمان ، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده عن عبد الله بن عمرو (٩/١) . والنسائي في كتاب الإيمان باب صفة المؤمن (٨ / ١٠٥) .

(٦) (أنه قال) ساقطة من (س) .

(٧) أخرجه النسائي في كتاب الايمان ، باب صفة المؤمن (١٠٥/٨) والترمذي في كتاب الايمان ، باب ما جاء في أن ا لمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (٥ / ١٧) .

(٨) في (ق) « ما » .

في حديث عبيد بن عمير(١) (٢)عن عمرو بن [عبسه(٣)](٤) .

[وفي حديث عبد الله بن عبيد بن عمير(٥) أيضا](٦) عن أبيه ، عن جده ، أنه(٧) قيل لرسول الله ـ ﷺ ـ : ما الإسلام ؟ قال : « إطعام الطعام وطيب الكلام » .

قيل : فما الايمان ؟ قال : « السماحة والصبر » .

قيل : فمن أفضل المسلمين إسلاماً ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

قيل فمن أفضل المؤمنين إيماناً ؟ قال : « أحسنهم خُلقاً » .

قيل(٨) [فما(٩)] أفضل الهجرة ؟ قال : « من هجر ما حرم الله عليه » .

قيل(١٠) : أي الصلاة أفضل ؟ قال : « طول القنوت » .

---

(١) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكي الواعظ المفسر ، ولد في حياة النبي ـ ﷺ ـ ، من ثقات التابعين حدث عن أبيه وحدث عنه ابنه عبد الله . انظر : طبقات ابن سعد (٢١٤/٤) سير أعلام النبلاء (١٥٦/٤) ، تهذيب التهذيب (٧٨/٧) .

(٢) أخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٠٤/٢) من طريق علي بن حُجْر حدثنا خلف بن خليفة، عن حجاج بن دينار ، عن محمد بن ذكوان، عن عبيد بن عمير ، عن عمرو بن عبسه ـ رضي الله عنه قال : « أتى رسول الله ـ ﷺ ـ رجل فقال : ما الإسلام ... الحديث .

وإسناده ضعيف جداً، بسبب محمد بن ذكوان وهو الجهضمي البصري، قال عنه البخاري ، وأبو حاتم والنسائي : منكر الحديث، وقال الدارقطني : ضعيف، وكذلك قال الحافظ ابن حجر انظر : التاريخ الكبير (٧٩/١/١) ، الجرح والتعديل (٢٥١/٧)، الضعفاء للنسائي (ص: ٢٢٢)، الضعفاء للدارقطني (ص: ٣٤٨)، التقريب (١٦١/٢) .

وأخرجه أيضاً أحمد في المسند بسنده من طريق محمد بن ذكوان ، عن شهر بن حوشب ، عن عمرو بن عبسة ... به (٣٨٥/٤) وفي سنده شهر بن حوشب صدوق كثيرالارسال والأوهام . انظر : التهذيب (٣٦٩/٤) ، التقريب (٣٥٥/١) .

(٣) في (أ) « عبسة » ، والمثبت من (س ، ف ، مح ، م ، ح) .

(٤) عمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة السلمي البجلي أبو نجيح ، أحد الصحابة السابقين إلى الإسلام ، وأحد أمراء معركة اليرموك انظر : طبقات ابن سعد (٤ / ٢١٤) ، أسد الغابة (٢٥١/٤) ، تهذيب التهذيب (٦٩/٨) .

(٥) عبد الله بن عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكي أبا هاشم ، روى عن عائشة وابن عباس وابن عمر وعنه : جرير بن حازم ، وابن جريج ، والأوزاعي وثقّة ، أبو حاتم ، توفى سنة (١١٣) بمكة . انظر : طبقات ابن سعد (٤٧٤/٥) ، الجرح والتعديل (١٠١/٢/٢) ، سير أعلام النبلاء (١٥٧/٤) ، تهذيب التهذيب (٣٠٨/٥) .

(٦) ما أثبت من (ف ، هـ ، س ، ط) وساقط من بقية النسخ .

(٧) « أنه » توجد بهامش (أ) .

(٨) في (ف) « قال » .

(٩) في (أ) « فمن » وما أثبت من بقية النسخ .

(١٠) في (ق) « قال » .

قيل[١] أي الصدقة أفضل ؟ قال : [جهد مقل][٢] .

قيل: أي الجهاد أفضل؟ قال: «أن تجاهد بمالك ونفسك فيعقر[٣] جوادك ويراق دمك».

قيل[٤] : أي الساعات أفضل ؟ قال : « جوف الليل الغابر »[٥] .

مراتب الدين الثلاثة وما بينها من عموم وخصوص

ومعلوم أن هذا كله مراتب بعضها فوق بعض، وإلا فالمهاجر لابد أن يكون مؤمناً [٦]// وكذلك المجاهد، ولهذا قال:« الايمان السماحة والصبر»//[٦] وقال: [في][٧] الإسلام: « اطعام الطعام ، وطيب الكلام » والأول مستلزم للثاني ، فإن من كان خُلقه السماحة ، فعل هذا بخلاف الأول ، فإن الانسان قد يفعل ذلك تخلقاً ولا يكون في خُلقه سماحة وصبر . وكذلك[٨] قال:«أفضل المسلمين [إسلاماً][٩] من سلم المسلمون من لسانه ويده»[١٠]وقال

---

(١) في (ف ، ق) « قال » .

(٢) في (أ، ف ، ق ، هـ) « جهد من مقل » وفي (س) « جهد من فعل » والمثبت من (م و مح ، ح) .

(٣) في (س) « فيعضد » .

(٤) في (ف ، ق) « قال » .

(٥) أخرجه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٦٠٤/٢) من طريق محمد بن يحيى حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد حدثنا أبي صالح عن ابن شهاب عن عبد الله بن عمرو بن عبيد عن أبيه عبيد بن عمير، أن رسول الله - ﷺ - قيل له : ... الحديث . والحديث مرسل صحيح رجاله ثقات كلهم ، وعبيد بن عمير - كما سبق - هو الليثي تابعي ثقة . انظر : جامع التحصيل للعلائي (ص : ٢٨٥) الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر (٣ / ٧٩) تهذيب التهذيب (٢٦٨/٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (ح ١٤١٩) .

(٦) ما بين العلامتين // – // بهامش (أ) .

(٧) (في) مثبتة من (ف ، هـ ، س) وساقطة من بقية النسخ .

(٨) في (ق) « ولذلك » وفي الهامش « وكذلك » .

(٩) ما أثبت من (هـ ، ح) وساقط من بقية النسخ .

(١٠) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام وأي صورة أفضل؟ (٦٦/١) من حديث أبي موسى الأشعري . والترمذي في كتاب صفة القيامة باب (٦٦١/٤) وكتاب الإيمان باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١٧/٥) . وأحمد في المسند (١٩١/٢، ٣٩١/٣) . والخرائطي في المنتقى من مكارم الأخلاق (٩١) من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما مرفوعاً بلفظ : « إن أفضل المسلمين من سلم ... الحديث .

« **أفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً** »[(١)] ومعلوم أن هذا يتضمن[(٢)] الأول ، فمن كان حسن الخلق فعل ذلك .

قيل للحسن البصري[(٣)] : « ما حسن الخُلُق ؟ قال : بذل[(٤)] الندى ، وكف الأذى ، وطلاقة الوجه »[(٥)] فكف الأذى جزء من حسن الخُلُق .

وستأتي الأحاديث الصحيحة بأنه جعل الأعمال الظاهرة من الإيمان ، كقوله : « **الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق** »[(٦)] .

وقوله لوفد عبد القيس : « **آمركم بالإيمان بالله [وحده[(٧)]] ، أتدرون ما الإيمان بالله [وحده[(٧)]] ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا خُمس ما غنتم[(٨)]** » / . [٢/أ]

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب الدليل علي زيادة الايمان ونقصانه (٥/٦٠ ح ٤٨٦٢) ، والترمذي في كتاب الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (١٣٥/٤ ح ١١٦٢) كلاهما بلفظ أكمل .

(٢) في (س) « متضمن » .

(٣) الحسن بن أبي الحسن بن يسار الأنصاري مولاهم البصري أبو سعيد ، من أفاضل التابعين مشهور ، كان يرسل كثيراً ويدلس ، روى عن جماعة من الصحابة وروى عنه يونس بن عبيد ، وحميد الطويل ، وثابت البناني توفي سنة ١١٠هـ . انظر : طبقات لابن سعد (١٥٦/٧) سير أعلام النبلاء (٥٦٣/٤) تهذيب التهذيب (٢٦٣/٢) .

(٤) في (س) « ترك البذئ » .

(٥) ذكره محمد بن نصر المرزوي في تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٨٦٣) عن ابن المبارك .

(٦) متفق عليه ، أخرجه : البخاري في كتاب الايمان ، باب أمور الايمان ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه (١ / ٩) . ومسلم في كتاب الايمان ، باب بيان عدد شعب الايمان وأفضلها وأدناها ، من حديث أبي هريره - رضي الله عنه - مرفوعاً (٦٣/١) . وأبو داود في كتاب السنة ، باب في درء الأرجاء (٣١٩/٤) . والترمذي في كتاب الايمان ، باب ما جاء في استكمال الايمان وزيادته ونقصانه (٥ / ١٠) . والنسائي في كتاب الايمان وشرائعه ، باب ذكر شعب الايمان (٨ / ١١٠) . وابن ماجه في المقدمة ، باب في الايمان (١ / ٢٢) وأحمد في المسند (٣٧٩/٢،٤٤٥) .

(٧) « وحده » ساقطة من (أ) ومثبتة في بقية النسخ في الموضعين . « وحده » الثانية ساقطة من (ق) .

(٨) متفق عليه ، أخرجه : البخاري في كتاب الايمان، باب أداء الخمس من الايمان(١٩/١) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - ، وكتاب العلم ، باب تحريض النبي - ﷺ - وفد عبد القيس على أن يحفظوا الايمان والعلم (٣٠/١) ، وكتاب مواقيت الصلاة، باب قول الله تعالى : ﴿ **منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة** ﴾ (١٣٣/١) وكتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة (١٠٦/٢) . ومسلم في كتاب الايمان ، باب الأمر بالايمان بالله - تعالى - ورسوله - ﷺ - (٤٦/١ - ٤٨) . =

الإسلام هو الأعمال الظاهرة والايمان هو ما في القلب

ومعلوم أنه لم يرد أن تكون هذه[1] الأعمال إيماناً بالله بدون إيمان القلب ، لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بد من إيمان القلب ، فعلم أن هذه مع إيمان القلب ، هو الإيمان ، وفي المسند عن أنس ، عن النبي - ﷺ - أنه قال : « **الإسلام علانية والإيمان في القلب** »[2] .

وقال ﷺ : « **إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ، ألا وهي القلب** »[3] . فمن صلح قلبه صلح جسده قطعاً ، بخلاف العكس .

وقال سفيان بن عيينة[4]: « كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات : من أصلح سريرته ، أصلح الله علانيته ، ومن أصلح مابينه وبين الله ، أصلح الله ما

= وأبو داود في كتاب الأشربه ، باب في الأوعية (٣/٣٣٠) . والترمذي في كتابه الايمان ، باب ما جاء في اضافة الفرائض إلى الايمان (٥ / ٨) . والنسائي في كتاب الايمان وشرائعه ، باب أداء الخمس (٨ / ١٢٠) ، وأحمد في المسند (٣/٢٣) .

(١) « هذه » ساقطة من (ح) وما أثبت من (أ) ، وفي بقية النسخ « أن هذه الأعمال تكون » .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/١٣٤) من طريق : بهز حدثنا علي بن مسعده حدثنا قتادة عن أنس - رضي الله عنه - ... به ، وإسناده ضعيف ، فيه علي بن مسعده وهو أبو حبيب الباهلي . قال البخاري : فيه نظر ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال ابن عدي : أحاديثه غير محفوظة ، وقال ابن حبان : لا يحتج بما لا يوافق فيه الثقات .
وقال ابن معين : ليس به بأس ، وقال أبو حاتم : لا بأس به ، وقال الحافظ : صدوق له أوهام . انظر : التاريخ الكبير (٣/٢/٢٩٤) ، الكامل (٥/١٨٥٠) ، المجروحين (٢/١١١) ، الجرح والتعديل (٧/٢٠٤) ، التقريب (٢/٤٢) وذكره العقيلي في الضعفاء الكبير (٣/٢٥٠) ، وأنكر عليه رفعه لهذاالحديث . والحديث أخرجه من طرق عن علي بن مسعده كل من : ابن أبي شيبة في كتاب الايمان (ص : ٥) ، والسيوطي في الجامع الصغير (١/٧٤)، وضعّفه الألباني في ضعيف الجامع (ح ٢٢٨٠) .

(٣) متفق عليه أخرجه: البخاري في كتاب الايمان ، باب فضل من إستبرأ لدينه وعرضه ، من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - (١ / ١٩) . ومسلم في كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١١ / ٢٧) . وابن ماجه في كتاب الفتن ، باب الوقوف عند ا لشبهات (٢ / ١٣١٨) . والدارمي في كتاب البيوع (٢/ ٣١٩) ، والنسائي في كتاب البيوع (٧ / ٢٤١) . وأحمد في المسند (٤ / ٢٧٠ ، ٢٧٤) .

(٤) سفيان بن عيينه بن أبي عمران بن ميمون الهلالي الكوفي ثم المكي أبو محمد ، ثقة حافظ إمام حجة إلا أنه بآخره تغيّر حفظه ، وربما دلس ، لكن عن الثقات ، روى عن الزهري ، وعمرو بن دينار ومعمر بن راشد ، وروى عنه أحمد والأعمش والجماعة ، مات سنة ١٩٨ هـ انظر : طبقات ابن سعد (٥/٤٩٧) ، سير أعلام النبلاء (٨/٤٥٤)، تهذيب التهذيب (٤/١١٧) .

بينه وبين الناس ، ومن عمل لآخرته ، كفاه الله أمر دنياه » رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخلاص » .

فعلم أن القلب إذا صلح بالإيمان ، صلح الجسد بالإسلام ، وهو من الإيمان ، يدل على ذلك أنه قال في حديث جبريل [عليه السلام][(١)]: « **هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم** »[(٢)] فجعل الدين هو الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، فتبين[(٣)] أن ديننا يجمع الثلاثة ، لكن هو درجات ثلاث : مسلم ثم مؤمن ثم محسن ، كما قال الله[(٤)] - تعالى - ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [فاطر : ٣٢] والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا [عقوبة[(٥)]] بخلاف الظالم لنفسه ، وهكذا من أتى بالإسلام[(٦)] الظاهر مع تصديق القلب ، لكن لم يقم بما يجب عليه من الإيمان الباطن ، فإنه معرض للوعيد ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

وأما الإحسان // فهو أعم من جهة نفسه //[(٧)] وأخص من جهة أصحابه من الإيمان ، والإيمان أعم من جهة نفسه [(٨)] ، وأخص من جهة أصحابه من الإسلام ، فالإحسان يدخل فيه الإيمان ، والإيمان يدخل فيه الإسلام ، والمحسنون أخص من المؤمنين ، والمؤمنون أخص من المسلمين .

وهذا كما [يقال[(٩)]] في الرسالة والنبوة / فالنبوة داخلة في الرسالة ، والرسالة أعم من [٢/ب]
جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها ، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً //[(١٠)] فالأنبياء أعم // والنبوة نفسها جزء من الرسالة [فا[(١١)]] لرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف [النبوة ، فإنها لا تتناول الرسالة[(١٢)]][(١٣)] .

---

(١) ما أثبت من (س) وساقط من بقية النسخ .
(٢) سبق تخريجه (ص : ٢) من هذه الرسالة .
(٣) في (س) « فبين » .
(٤) لفظ الجلالة مثبت من (أ) وساقط من بقية النسخ .
(٥) في (أ) « عوقبة » ما أثبت من بقية النسخ .
(٦) في (س) « الإسلام » بدون الباء .
(٧) ما بين العلامتين // ـ// يوجد بهامش (أ) .
(٨) في (س) « أعم من جهة وأخص من جهة » .
(٩) في (أ ، س ، ق) « تقول » والمثبت من بقية النسخ .
(١٠) ما بين العلامتين // ــــ //يوجد بهامش (ق) .
(١١) في (أ) « الرسالة » والمثبت من بقية النسخ .
(١٢) في (أ ، س ، ق) « بخلاف الرسل ، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس »، والمثبت من بقية النسخ .
(١٣) انظر تحقيق هذه المسألة في كتاب النبوات للمؤلف ، بتحقيق أحمد بن عبد الرحمن الطويان (٢/ ٦٨٧ ، ٧١٤ ، ٧١٧) .

والنبي ـ ﷺ ـ فسَّر الإسلام والإيمان بما أجاب به ، كما يجاب عن المحدود بالحد[١] ، إذا قيل : ما كذا ؟ [قيل : كذا[٢] وكذا] كما[٣] في الحديث الصحيح ، لمّا قيل : **ما الغيبة ؟ قال : « ذكرك أخاك بما يكره »**[٤] .

وفي الحديث الآخر : « **الكبر بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس** »[٥] . وبطر الحق : جحده ودفعه[٦]، وغمط الناس : احتقارهم وازدراؤهم[٧] وسنذكر ـ إن شاء الله تعالى ـ سبب تنوع أجوبته ، وأنها كلها حق .

ولكن المقصود أن قوله : « **بُني الإسلام على خمس** » ، كقوله : الإسلام هو الخمس ، كما ذُكِرَ في حديث جبريل[٨]، فإن الأمر المركب[٩] من أجزاء ، تكون[١٠] الهيئة الاجتماعية فيه مبنية[١١] على تلك الأجزاء ومركبة منها ، فالإسلام مبني على هذه الأركان وسنبين ـ إن

---

(١) الحد لغة : المنع وفي الاصطلاح : قول دال على ماهية شيء . وقيل : قول يشتمل على مابه الاشتراك وعلى مابه الامتياز وهو أنواع: الحد التام ويسمى بالحد الحقيقي ، وهو ما يتركب من الجنس والفصل القريبين كتعريف الانسان بأنه : الحيوان الناطق .
الحد الناقص : وهو ما يكون بالفصل القريب وحده، أو به وبالجنس البعيد ، كتعريف الانسان بالناطق أو بالجسم الناطق . انظر المبين الآمدي (ص: ٧٤) ، التعريف للجرجاني (ص:٨٣) ، ولشيخ الاسلام نقد لنظرية الحد عند المنطقيين في كتابه الرد على المنطقيين ، واقامة نظرية شرعية للحدود تفيد التصور بما يتفق مع مفاهيم الكتاب والسنة ، وإلا لم ينكر كل ما قاله المنطقيين ، بل صوّب مااقترب من التصور الشرعي من أقوالهم . ورد ما خالف المنقول والمعقول في هذا الباب . انظر الرد على المنطقيين : (ص : ٢٩ ـ ٧٠) .

(٢) ما أثبت من (ق ، س ، هـ ، ط) وساقط في بقية النسخ .

(٣) « كما » توجد بهامش (أ) .

(٤) « لما » ساقطة من (ق) ، أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تحريم الغيبة (٢٠٠١/٤) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في الغيبة (٢٦٦/٤)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب في الغيبة (٣٢٩/٤) ، والدارمي في كتاب الرقاق، باب ما جاء في الغيبة (٢٠٩/٢) . ومالك في الموطأ في كتاب الكلام ، باب ما جاء في الغيبة (٩٨٧/٢) ، وأحمد في المسند (٣٨٤/٢ ، ٣٨٦) .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الايمان ، باب تحريم الكبر وبيانه (٩٣/١) عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وأحمد في المسند (٤ / ١٣٤) .

(٦) انظر النهاية في غريب الحديث ، مادة بطر (١/ ١٣٥) .

(٧) انظر النهاية في غريب الحديث ، مادة غمط (٣ / ٣٨٧) .

(٨) سبق تخريجه (ص : ٢) من هذه الرسالة وفي (ق) زيادة « عليه السلام » .

(٩) في (هـ ، ط) مركب بدون « ال » .

(١٠) في (س) « يكون » .

(١١) في (س) « مجتمعة ».

شاء الله - [تعالى][1] اختصاص هذه الخمس[2] بكونها هي الإسلام ، وعليها بني الإسلام ، ولم خصت بذلك دون غيرها من الواجبات ؟ .

وقد فسر الإيمان[3] في حديث وفد عبد القيس[4] بما[5] فسر به الإسلام هنا ، ولكنه[6] لم يذكر فيه الحج ، وهو متفق عليه ، فقال : « **آمركم بالإيمان بالله وحده ، هل تدرون ما الإيمان بالله وحده ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم . **قال : « شهادة أن لا إله إلا الله ، // وأن محمداً رسول الله //**[7] **وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم ، أو خمساً من المغنم** » .

وقد روي في بعض طرقه : « **الإيمان / / بالله ، وشهادة أن لا إله إلا الله** » ، **لكن الأول أشهر ، وفي رواية أبي سعيد**[8] // : « **آمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع : اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً** » .

وقد فسر - في حديث شعب الإيمان - الإيمان بهذا وبغيره ، فقال : « **الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة ، أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة / الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان** »[9] . [٣/أ]

وثبت عنه من وجوه متعددة أنه قال : « **الحياء شعبة من الإيمان** »[10] من حديث ابن عمر ، وابن مسعود ، وعمران بن حصين ، وقال أيضاً : « **و الله لا يؤمن ، و الله لا يؤمن ،**

---

(١) ما أثبت من (س) وساقط من بقية النسخ .

(٢) « هذه الخمس » ساقطة من (س) .

(٣) « الايمان » سقط من (س) .

(٤) سبق تخريج حديث وفد عبد القيس (ص : ٨) من هذه الرسالة ، لكن هذه احدى روايات الحديث ، وهي رواية أبي سعيد الخدري - كما ذكر المؤلف - وقد أخرجها مسلم في كتاب الايمان ، باب الأمر بالايمان بالله - تعالى - وبرسوله - ﷺ - (٤٨/١) . وأحمد في المسند (٢٢/٣) .

(٥) في (س) « كما » .

(٦) في (ف ، ق) (لكن) بدون الواو والهاء .

(٧) ما بين العلامتين // ——— // بهامش (أ) .

(٨) ما بين العلامتين // — // بهامش (أ) .

(٩) حديث شعب الايمان سبق تخريجه (ص : ٨) من هذه الرسالة .

(١٠) حديث الحياء شعبة من الايمان القول فيه كالآتي :

(أ) رواية ابن مسعود - رضي الله عنه - التي ذكرها المؤلف لم أجدها . =

والله لا يؤمن » قيل : من يا رسول الله ؟ قال : « الذي لا يأمن جاره بوائقه »(١) وقال : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده والناس أجمعين »(٢) .

وقال : « « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »(٣) (٤) .

وقال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »(٥) ، وقال : « ما بعث الله من نبي إلا كان في أمته

= (ب) رواية عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ باللفظ الذي ذكره المؤلف ، ولكن بلفظ مقارب : (الحياء خير كله » كما أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ص (١١٤) من طريق خالد بن رباح أبي الفضل ، حدثنا أبو السوار العدوي ، ان عمران بن حصين حدثهم أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « الحياء خير كله » ، وأخرجه من نفس الطريق كل من وكيع بن الجراح في كتاب الزهد (٢/٢٧٠) وهناد بن السرى في كتاب الزهد (٢/٦٢٥) وأحمد في المسند (٤/٤٢٦) . والحديث فيه :

خالد بن رباح وهو البصري ، فيه لين ، أخذ عليه أنه قدري . قال ابن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم : هو صالح الحديث ، ليس به بأس ، محله الصدق ، وقال الذهبي : قدري صدوق ، وقال ابن عدي : لا بأس به . انظر : التاريخ الكبير (٢/١/١٤٨) ، الجرح والتعديل (١/٣٣٠) ، الميزان (١/٦٣٠) ، لسان الميزان (٢/٣٧٥) .

(ج) أما حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ فأخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب الحياء من الايمان (٢/٢١٢)، والترمذي في كتاب الايمان ، باب ما جاء في أن الحياء من الايمان (٥/١١) ، والنسائي في كتاب الايمان وشرائعه باب الحياء (٨/٩٨) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب في الايمان (١/١٢٢) ، وأحمد في المسند (٣/٥٦ ، ٦٤٧) .

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه من حديث ابي شريح ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً به (٧/٧٨) . ومسلم في كتاب الايمان ، باب تحريم ايذاء الجار (١/٦٨) بلفظ : « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»، وأحمد في المسند من حديث أبي هريره ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً بنحوه وزاد في آخره : «قالوا يا رسول الله : وما بوائقه ؟ : قال : شره (٢/ ٢٨٨) ، وأخرجه أيضاً من حديث أبي شريح الخزاعي مرفوعا به (٤/٣١) وفي رواية أخرى عن أبي هريره ـ رضي الله عنه ـ (٦/٣٨٥) ، وابن المبارك في الزهد (٢٤٥) .

(٢) متفق عليه أخرجه: ا لبخاري في كتاب الايمان ، باب حب الرسول ـ ﷺ ـ من الايمان (١/٥٨) ومسلم في كتاب الايمان ، باب وجوب محبة الرسول ـ ﷺ ـ أكثر من الأهل والولد ، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ (١/٦٧) والنسائي في كتاب الايمان وشرائعه ، باب الحياء (٨/١١٤) وابن ماجه في المقدمة ، باب في الايمان (١/٦٧) ، وأحمد في المسند (٣/١٧٧) .

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الايمان ، باب من الايمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١/٥٦ ، ٥٧) ومسلم في كتاب الايمان ، باب الدليل على أن من خصال الايمان ، أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير (١/٦٧) .

(٤) في (ف) تأخر حديث لا يؤمن أحدكم عن الذي بعده » ، وفي (ق) تقديمه عن الذي قبله

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الايمان ، باب النهي عن المنكر من الايمان (١/٦٩) عن طارق عن ابن شهاب ، وأحمد في المسند (٣/٢٠) ، والنسائي في كتاب الايمان باب تفاضل أهل الايمان (٨/١١١ ، ١١٢) والترمذي في كتاب الفتن باب (١١) (٤/٤٠٧ ـ ٤٠٨) .

قوم يهتدون بهديه ، ويستنون بسنته ، ثم إنه [يخلف[١]] من بعدهم خُلوف ، يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو[٢] مؤمن ، [و][٣] ليس وراء ذلك من الإيمان حبةُ خردل »[٤] وهذامن أفراد مسلم .

وكذلك في أفراد مسلم قوله : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ : أفشوا السلام بينكم »[٥] .

وقال في الحديث المتفق عليه ، من رواية أبي هريرة ، ورواه البخاري من حديث ابن عباس - قال النبي ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن//[٦]ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن[٦] // ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب [نهبة][٧] ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن »[٨] .

اسم الايمان يذكر مفرداً ومقروناً

[٩]فيقال : اسم الإيمان تارة يذكر مفرداً غير مقرون باسم الإسلام ولا باسم العمل[١٠] الصالح ولا غيرهما ، وتارة يذكر مقرونا .

---

(١) ما أثبت من (ق ، هـ ، ف ، ط) وفي بقية النسخ « تخلف » .

(٢) « فهو مؤمن » ساقطة من (س) .

(٣) « الواو » مثبتة من (هـ ، ف ، ط) وساقطة من بقية النسخ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الايمان ، باب كون النهي عن المنكر من الايمان (١/٧٠) من حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - ، وأحمد في المسند (١/٤٥٨) ، وابن حبان في صحيحه بسنده (٨/٢٥) من حديث أبي رافع ، مولى رسول الله - ﷺ - مرفوعا به .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الايمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن (٢/٢١) من حديث أبي هريره - رضي الله عنه - مرفوعاً به .
وابن ماجه في المقدمة ، باب في الايمان (١/٢٦) ، وكتاب الأدب ، باب افشاء السلام (٢/٢١٧) ، وأحمد في المسند (١/١٦٧ ، ٢/٤٤٤، ٤٧٧ ، ٤٩٥) .

(٦) مابين العلامتين //ــ// يوجد بهامش (أ) .

(٧) في (أ ، ق) « النهبة » والمثبت من بقية النسخ .

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الايمان، باب نقصان الايمان بالمعاصي (١/٧٧) والبغوي في شرح السنة ، في كتاب الايمان باب الكبائر (١/٨٩) ، وابن منده في كتاب الايمان (٢/٥٩٧) وأحمد في المسند (٢/٣١٧) .

(٩) توجد في (س) كلمة « فصل » .

(١٠) « العمل » ساقط من (س) .

أما بالإسلام كقوله في حديث جبريل[١] : ما الإسلام ؟ وما الإيمان ؟ وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] ، وقوله تعالى[٢] : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: ١٤] ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الذاريات: ٣٥ ـ ٣٦] . / وكذلك ذكر الإيمان مع العمل الصالح، وذلك في مواضع من [٣/ب]
القرآن، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [البقرة : ٢٧٧] .

وإما مقروناً بالذين أوتوا العلم ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ ﴾ [الروم : ٥٦] وقوله تعالى[٣] ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] ، وحيث ذكر الذين آمنوا فقد دخل فيهم الذين أوتوا العلم ، فإنهم خيارهم[٤]وقال تعالى : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : ٧] . وقال : ﴿ لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [النساء : ١٦٢] .

ويذكر أيضاً لفظ المؤمنين مقروناً بالذين هادوا والنصارى والصائبين ، ثم يقول : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ [وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ[٥] ﴾ [البقرة : ٦٢] . فالمؤمنون في ابتداء الخطاب غير الثلاثة ، والإيمان الآخر عمهم ، كما عمهم في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة : ٧] . وسنبسط هذا إن شاء الله تعالى[٦] .

---

(١) سبق تخريجه (ص : ٢) من هذه الرسالة .
(٢) هكذا في (أ ، س) وباقي النسخ (عز وجل) وساقطة من (ف) .
(٣) « تعالى » ساقطة من (ف ، س) .
(٤) الواو ليست في (ف ، س) .
(٥) ما أثبت من (هـ ، ط) وتكملة الآية ساقطة من بقية النسخ .
(٦) (تعالى) ليست في (س) .

فالمقصود هنا العموم والخصوص بالنسبة إلى ما في الباطن والظاهر من الإيمان ، وأما العموم بالنسبة إلى الملل[1] ، فتلك مسألة أخرى ، فلما ذكر الإيمان مع الإسلام ، جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة : [الشهادتان][2]، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وجعل الايمان ما في القلب من الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وهكذا في الحديث الذي رواه أحمد، عن أنس ، عن النبي ﷺ ، أنه قال: « **الإسلام علانية ، والايمان في القلب** »[3] .

حكم الإيمان إذا ذكر مجرداً

وإذا ذكر اسم الإيمان مجرداً ، دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة ، كقوله في حديث الشُّعب : « **الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق** »[4] . وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال البر من الإيمان .

ثم إن[5] نفي الإيمان عند عدمها ، دل على أنها واجبة ، وإن [ذكر][6] فضل إيمان[7] صاحبها - ولم ينف إيمانه - دل على أنها مستحبة ، فإن الله ورسوله لا [ينفيان][8] اسم مسمى[9] أمر[10] أمر الله به / ورسوله إلا إذا ترك بعض واجباته ، [٤/أ]
كقوله[11] : « **لا صلاة إلا بأم القرآن** »[12] .

---

(١) في (س) (الملك) .
(٢) في (أ ، ق ، س) « الشهادتين » والمثبت من بقية النسخ .
(٣) انظر مسند الامام أحمد (٣ / ١٣٥) وسبق تخريجه (ص : ٨) من هذه الرسالة .
(٤) حديث شعب الايمان سبق تخريجه (ص : ٨) من هذه الرسالة .
(٥) (أن) توجد بهامش (ف) .
(٦) « ذكر » سقط من (أ ، س) ومثبتة من بقية النسخ .
(٧) في (أ ، ق ، س ، ف) (ينفى) والمثبت من بقية النسخ .
(٨) « إيمان » ساقطة من (ق) .
(٩) في (س) « منتهى » .
(١٠) (أمر) ساقطة من (س) .
(١١) في (س) « لقوله » « باللام » .
(١٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٢٩٥/١) ، من حديث عبادة ابن الصامت - رضي الله عنه - مرفوعاً بلفظه، ومن حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - بمعناه في نفس الباب. رواه البخاري في كتاب الآذان ، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم من حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - ايضاً بلفظ : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب (١٨٤/١) ، وأبو داود في كتاب الصلاة باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب (٢١٦/١) ، والترمذي في كتاب مواقيت الصلاة ، باب لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب (٢٥/٢) ، والنسائي في كتاب الافتتاح ، باب ايجاب قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة (١٣٧/٢) ، وابن ماجة في كتاب اقامة الصلاة ، باب القراءة خلف الامام (٢٧٣/١) ، وأحمد في المسند (٢٨٥/٢ ، ٢٩٠ ، ٤٦٠) .

وقوله : « **لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له** »(١) . ونحو ذلك .

فأما إذا كان الفعل مستحباً في العبادة، لم ينفها(٢) لانتفاء المستحب ، فإن هذا لو جاز ، لجاز أن ينفى(٣) عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان ، والصلاة ، والزكاة ، والحج ، لأنه ما من عمل إلا وغيره أفضل منه ، وليس أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها النبي - ﷺ - بل(٤) ولا أبو بكر ولا عمر . فلو كان من لم يأت بكمالها المستحب يجوز نفيها عنه ، لجاز أن ينفى عن جمهور المسلمين من الأولين والآخرين ، وهذا لا يقوله عاقل .

من نفى الله ورسوله عنه الإيمان يكون لترك واجب أو فعل محرم

فمن قال : إن المنفي هو الكمال ، فإن //(٥) أراد أنه نفي الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة ، فقد صدق . وإن (٥)// أراد أنه نفي الكمال المستحب ، فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله ، ولا يجوز أن يقع ، فإن من فعل الواجب كما وجب عليه [و](٦) لم ينتقص(٧) من واجبه شيئاً ، لم يجز أن يقال : ما [فعله](٨) لا حقيقة ولا مجازاً . فإذا قال للأعرابي المسيء في صلاته : « **ارجع فصل فإنك لم تصل** »(٩) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ، من طريق بهز حدثنا أبو هلال ، حدثنا قتادة ، عن أنس - رضي الله عنه - قال فذكره (٣/٢٥١) وأعاد إخراجه بسنده من طريق أبي هلال الراسبي أيضا عن قتادة به (٣/١٥٤، ٢١٠) ، وهذا الاسناد فيه أبو هلال ، وهو محمد بن سليم الراسبي ، ليّن الحديث ، قاله الحافظ في التقريب (٢/١٦٦) لكن تابعه المغيره بن زياد الثقفي عن أنس - رضي الله عنه - وذلك فيما أخرجه أحمد أيضا (٣/٢٥١) من طريق عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا المغيرة بن زياد الثقفي سمع أنس ابن مالك .... والمغيره بهذا الاسم ، مجهول لا يعرف ، كذا قال الحافظ في تعجيل المنفعة (ص :٤١٠) . والحديث أخرجه ابن حبان في موارد الظمآن (ص: ٤١) بسنده من طريق حماد بن سلمه ، عن ثابت عن أنس مرفوعاً .. به فصح الحديث بهذا ، والحمد لله رب العالمين وقال الألباني - رحمه الله - أنه صحيح . انظر : صحيح الجامع الصغير (ح ٧٠٥٦) .

(٢) في (س) (ينفعها) .

(٣) في (س) (تنفي) .

(٤) (بل) ليست في (س) .

(٥) ما بين العلامتين // ــــ // ساقط من (س) .

(٦) الواو ليست في (أ ، ف ، س) ومثبتة من بقية النسخ .

(٧) في (س) (ينقص) .

(٨) في (أ ، ف ، س) (فعلته) ، والمثبت من بقية النسخ .

(٩) حديث المسيء صلاته متفق عليه . أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب وجوب القراءة للإمام (٤/٢٣٧) ، ومسلم في كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة (١ / ٢٩٨) عن ابن هريرة - رضي الله عنه - .

وقال لمن صلى خلف الصف ـ وقد أمره بالإعادة : « **لا صلاة لفذ خلف الصف** »(١) كان لترك(٢) واجب . وكذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ [الحجرات: ١٥] [يبين](٣) أن الجهاد واجب ، وترك الارتياب واجب . والجهاد ـ وإن كان فرضا على الكفاية [فجميع](٤) المؤمنين يخاطبون(٥) به ابتداء ، فعليهم كلهم اعتقاد وجوبه ، والعزم على فعله إذا تعين ، ولهذا قال النبي ﷺ :« **من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو ، مات**

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب اقامة الصلاة ، باب صلاة الرجل خلف الصف . من طريق أبي بكر بن أبي شيبه حدثنا ملازم ابن عمرو ، عن عبد الله بن بدر ، حدثني عبد الرحمن بن علي بن شيبان عن أبيه علي بن شيبان قال ... الحديث وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ، وقد أخرجه من طرق ، عن ملازم بن عمرو به كل من : ابن حزم في المحلى (٥٣/٤) ، والبيهقي في السنن (١٠٥/٣) .

وأخرجه أيضا أبو داود في كتاب الصلاة باب الرجل يصلي وحده خلف الصف (١٨٢/١) من طريق : سليمان ابن حرب وحفص بن عمر قالا : حدثنا شعبة عن عمرو بن مره ، عن هلال بن يساف ، عن عمرو بن راشد عن وابصه أن رسول الله ـ ﷺ ـ رأى رجلاً يصلي خلف الصف وحده فأمره أن يعيد الصلاة .

وأخرجه من طرق عن هلال بن يساف ... به كل من : الترمذي في السنن في كتاب الصلاة ، باب ما جاء في الصلاة خلف الصف وحده (٤٤٨/١) ، والبيهقي في السنن (١٠٤/٣) ، ومدار الحديث عندهم ، على عمرو ابن راشد ، وهو الأشجعي ، قال الحافظ : مقبول ـ وهذا يعني عنده إذا كان له متابع ، وقد تابعه هلال بن يساف عن وابصة ، وذلك فيما أخرجه : الترمذي (٤٤٨/١) من طريق : هنّاد حدثنا أبو الأحوص ، عن حصين، عن هلال بن يساف قال : أخذ زياد بن أبي الجعد بيدي ، فقام بي على شيخ يقال له : وابصة بن معبد من بني أسد فقال زياد : حدثني هذا الشيخ أن رجلاً .... فذكر الحديث ـ ثم قال : والشيخ يسمع قال الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ تعليقا على ذلك : « قوله والشيخ يسمع جملة معترضة يريد بها أن زياداً حدّثه بالحديث عن وابصة بن معبد بحضرته وسماعه ولم ينكره عليه ، فيكون من باب القراءة على العالم ، وكأن هلالاً سمعه من وابصة ولذلك كان هلال ـ في بعض أحيانه ـ يرويه عن وابصة بدون ذكر زياد وهي رواية متصلة ليس فيها تدليس (٤٤٧/١) ، وعلى هذا فيكون هذا الاسناد أعلى من اسناد الرواية الأولى ، وأخرجه أيضاً من طرق عن حصين كل من : أحمد في المسند (٢٢٨/٤) ، الدارمي في السنن (٢٩٤/١) ، ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة ، باب صلاة الرجل خلف الصف (٣٢٢/١) البيهقي في السنن (١٠٤/٣) ، ابن الجارود في المنتقى (١٦١) ومدار الحديث عندهم على زياد بن أبي الجعد ـ واسمه ـ رافع وهو كوفي ، ذكره ابن حبان في ثقاته (٤٤٧/١) وقال الحافظ في التقريب (٢٦٦/١) : مقبول . والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن الحديث بمجموع طرقه المتقدمة من قبيل الحسن .

(٢) في (س) « كترك » .

(٣) في (أ ، س) « بيّن » والمثبت من بقية النسخ .

(٤) في (أ) لجميع باللام والمثبت من (هـ ، ف ، ق ، س ، ح) .

(٥) في (س) « مخاطبون » .

على شعبة نفاق »[١] رواه مسلم . فأخبر أنه من لم يهم به ، كان على شعبة نفاق ، وأيضا فالجهاد جنس تحته أنواع متعددة ، [فلابد[٢]] أن يجب على [المؤمن][٣] نوع من أنواعه .

وكذلك قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا / وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[٤] [الانفال : ٢ - ٣] هذا كله واجب ، فإن التوكل على الله واجب من أعظم الواجبات ، كما أن الإخلاص لله واجب ، وحب الله ورسوله واجب، وقد أمر الله بالتوكل في غير آية ، أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة ونهى عن التوكل على غير الله ، قال [تعالى][٥]: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود :١٢٣] . وقال تعالى : ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن : ١٣] وقال تعالى : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٠] وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ * فقالوا على الله توكلنا ﴾[٦] [يونس : ٨٤ - ٨٥].

[٤/ب]

وأما قوله: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [الأنفال : ٢] فيقال : من أحوال القلب وأعماله ما يكون من لوازم الإيمان الثابتة فيه ، بحيث إذا كان الإنسان مؤمناً ، لزم ذلك بغير قصد منه ولا تعمد له ، وإذا لم يوجد

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب ـ ذم من مات ، ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو (٥١٧/٢) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا ..... به . وأبو داود في كتاب الجهاد ، باب كراهية ترك الغزو (١٠/٣) ، والنسائي في كتاب الجهاد ، باب التشديد في ترك الجهاد (٨/٥) ، وأحمد في المسند (٢/ ٣٧٤) جميعهم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ .

(٢) المثبت من (س) « بالفاء » وفي بقية النسخ « ولا بد » .

(٣) والمثبت من (س ، هـ) وفي بقية النسخ « المؤمنين » .

(٤) في (ف) تكملة الآية ﴿ لهم درجات عند ربهم ﴾ .

(٥) (تعالى) ليست في (أ ، س ، ف) ومثبتة من بقية النسخ .

(٦) ﴿ فقالوا على الله توكلنا ﴾ ساقطة من (مح ، ح ، هـ ، س ، ط) .

[ذلك][(١)] دل على أن الإيمان الواجب لم يحصل في القلب . وهذا كقوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] فأخبره[(٢)] أنك لا تجد مؤمنا يوآد المحآدين لله ورسوله ، فإن نفس الإيمان ينافي[(٣)] موآدته، كما ينفي[(٤)] أحد الضدين الآخر، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده ، وهو موالاة أعداء الله [تعالى][(٥)] فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه ، كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب .

الموالاة والمعاداة لله من لوزام الايمان

ومثله قوله تعالى في الآية الأخرى : ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٨٠ ـ ٨١] / فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط [٥/أ] [وجد][(٦)] المشروط بحرف « لو » التي تقتضي[(٧)] مع الشرط انتفاء المشروط ، فقال : ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتخذوهم أولياء ﴾ [المائدة : ٨١] فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب ، [ودل][(٨)] ذلك على أن من اتخذهم أولياء ، ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي ، وما أنزل إليه ، ومثله قوله تعالى : ﴿ [يأيها الذين آمنوا][(٩)] لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة : ٥١] فإنه[(١٠)] أخبر في تلك الآيات أن متوليهم لا

(١) ما أثبت من (ف) وساقطة من بقية النسخ .
(٢) في (ح ، هـ ، م س) « فأخبر » .
(٣) في (س) « مناف » .
(٤) في (س) « نفي » .
(٥) « تعالى » زيادة من (س) .
(٦) في هامش (أ)« ووجد مشروط » وما أثبت من بقية النسخ .
(٧) في (س) زيادة « انتقاء » .
(٨) المثبت من (هـ ، ف ، ق ، س) ، وفي بقية النسخ « فدل » .
(٩) ما أثبت من (م ، ق ، ح) وليست في بقية النسخ .
(١٠) « فإنه » ساقطة من (ق) وفيها « فأخبر » .

يكون مؤمناً ، وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم ، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً ، قال [الله][١] - تعالى - ﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كتاباً مُتشابهاً مَثَّاني ﴾[٢] [الزمر :٢٣] .

وكذلك قوله : ﴿ إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءامَنُواْ باللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُواْ حَتَّى يَسْتَئْذِنُوهُ ﴾ [النور : ٦٢] دليل على أن الذهاب المذكور بدون استئذانه لا يجوز ، وأنه يجب أن لا يذهب حتى يستأذن .

فمن ذهب ولم يستأذن كان قد ترك بعض ما يجب [عليه][٣] من الإيمان ، فلهذا نفي عنه الإيمان ، فإن حرف « إنما » يدل على إثبات المذكور ونفي غيره .

ومن الأصوليين[٤] من يقول : إن « إنَّ »[٥] للإثبات و « ما » للنفي ، فإذا جمع بينهما دلت[٦] على النفي والإثبات ، وليس كذلك عند أهل العربية[٧] ، ومن يتكلم في ذلك بعلم . فإن « ما » هذه هي الكافة، التي تدخل على[٨] « إنَّ » وأخواتها فتكفها عن العمل ، لأنها إنما تعمل إذا اختصت بالجمل الإسمية ، فلما كُفَّت بطل [عملها[٩]] [١٠]واختصاصها، فصار يليها الجمل الفعلية والاسمية[١١] ، فتغير معناها وعملها جميعاً[١٢]بانضمام « ما » إليها ، وكذلك « كأنما » وغيرها[١٣] .

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (أ ، ف ، س) ومثبت من بقية النسخ .

(٢) في (هـ) زيادة : ﴿ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ﴾ .

(٣) ما أثبت من (هـ ، ط) وساقط من بقية النسخ .

(٤) انظر المحصول للرازي (١/ق١/٥٣٥) معترك الأقران للسيوطي (١/١٨٣) شرح المنهاج للبيضاوي (١/٢٢٧) ، القواعد والفوائد الأصولية لابن اللحام البعلى (ص : ١٣٩) الارشاد للباجي (ص : ٩٢) التمهيد للاسنوي (ص:٥٧) ، نهاية السول له أيضا (١/٣٠٤) ، تيسير التحرير (١/١٠٢، ١٣٢) ، شرح الكوكب المنير لابن النجار (٣/٥١٥) ، المستصفى للغزالي (٢/٢٠٦) ، المسودة لآل تيمية (ص :٣٥٤) .

(٥) « إن » ساقطة من (ف ، س) .

(٦) في (س) « دل على الاثبات والنفي » .

(٧) انظر مفتاح العلوم للسكاكي (ص : ١٢١) .

(٨) في (س) « علها » .

(٩) ما أثبت من (هـ ، ط) وساقطة من بقية النسخ .

(١٠) « الواو » ساقطة من (س) .

(١١) الجملة الفعلية هي التي تبدأ بالفعل ، وقوامها الفعل والفاعل والمفعول به ، والجملة الاسمية هي التي تبدأ بالاسم وقوامها المبتدأ والخبر.

(١٢) « جميعا » ساقطة من (هـ ، م ، مح ، ح ، ط) .

(١٣) انظر الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣/ ١٠٦ - ١٠٧) والمسودة لآل تيمية (ص : ٣٥٤) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُم مُعْرِضُونَ * / وَإِن يَكُن لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُواْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٤٧ - ٥١] . [٥/ب]

فإن قيل : إذا كان المؤمن حقاً هو الفاعل للواجبات ، التارك للمحرمات فقد قال : ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال :٤] ولم يذكر إلا خمسة أشياء[1] وكذلك قال في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات:١٥] .

وكذلك قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَئْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[النور:٦٢].

قيل : عن هذا جوابان[2]:

أحدهما : أن يكون ما ذكر[3] مستلزماً لما ترك ، فإنه ذكر وَجَلَ قلوبهم إذا ذكر[4] الله وزيادة إيمانهم إذا تليت [عليهم][5] آياته مع التوكل عليه[6] ، وإقام الصلاة على الوجه المأمور به باطناً وظاهرا ، وكذلك الإنفاق من المال والمنافع ، فكان هذا مستلزما للباقي ، فإن وَجَل القلب[7] عند ذكر الله ، يقتضي خشيته والخوف منه ، فقد[8] فسروا « وجلت قلوبهم »[9]

التلازم بين الايمان وعمل القلب

---

(١) هي قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [الأنفال : ٢ - ٣] ذكر الذكر وتلاوة الآيات والتوكل واقامة الصلاة والانفاق .

(٢) ذكر المؤلف - رحمه الله - هنا جواب واحد ، ولم أجد الجواب الثاني ، فلعله نسي أو لعله لم يراجع الكتاب بعد أن كتبه للمرة الأولى كما سبق أن بينا ذلك في الباب الثاني من الدراسة .

(٣) « ما ذكر » توجد بهامش (أ) .

(٤) « إذا ذكر الله » ساقطة من (س) .

(٥) « عليهم » ساقطة من (أ ، هـ ، مح) ومثبتة من بقية النسخ .

(٦) « التوكل عليه » ساقطة من (س) .

(٧) في (س) « القلوب » .

(٨) في (س ، ف) « وقد » بالواو .

(٩) « قلوبهم » ساقطة من (م ، مح ، ح ، هـ ، س ، ط) .

بـ « فَرِقَتْ » وفي قراءة ابن مسعود : ﴿ إذا ذكر الله فَرِقَت قلوبُهم ﴾[١] [الأنفال : ٢] وهذا صحيح ، فإن الوجل في اللغة[٢] هو الخوف ، يقال : حمرة الخجل وصفرة الوجل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قالت عائشة : يا رسول الله ! هو الرجل يزني ويسرق ويخاف أن يعاقب ؟ قال : « لا يا بنت[٣] الصديق ![٤] هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه »[٥] .

وقال السدي[٦] في قوله [تعالى][٧] : ﴿ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٢] هو الرجل يهم [٨]ويريد أن يظلم أو يهم بمعصية فينزع عنه،[٩] وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [النازعات : ٤٠-٤١]

(١) ذكر ذلك الزمخشري عنه (١٩٦/٢) ولم أجده في كتب التفسير بالمأثور وكتب القراءات .

(٢) انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ، مادة : وجل ، (ص :١٣٧٩) .

(٣) في (س) « لا يا إبنة الصديق » .

(٤) في (هـ) زيادة « واو » .

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ، باب ومن سورة المؤمنين (٣٢٧/٥) من طريق : ابن أبي عمر حدثنا سفيان حدثنا مالك بن مغول ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني ، أن عائشة ـ زوج النبي ـ ﷺ ـ قالت : سألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن هذه الآية ... فذكره . وهذا الاسناد منقطع ، لأن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني لم يسمع من عائشة. انظر : التهذيب (١٦٩/٦) . وأخرجه أيضاً بهذا الاسناد : ابن جرير ، فأخرجه في التفسير (٣٣/٨ ، ٣٤) من طريقين : عن عبد الرحمن بن سعيد عن عائشة ... به وأما الإسناد الثاني فأخرجه به: ابن جرير (٣٣/١٨ ، ٣٤) من طريقين أيضاً، الأولى : حدثنا ابن حميد قال حدثنا الحكم ابن بشير قال حدثنا عمرو بن قيس عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني ، عن أبي حازم عن أبي هريره ـ رضي الله عنه ـ قال : قالت عائشة يا رسول الله ... فذكره .

وهذا الاسناد ضعيف ، فيه : ابن حميد وهو محمد بن حميد بن حبان الرازي ، شيخ ابن جرير ، ضعيف ، وبقية رجاله رجال الصحيح . انظر التقريب (١٥٦/٢) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٥٤/٣) .

(٦) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمه السدي أبو محمد القرشي الكوفي ، صدوق يهم ورمي بالتشيع ، روى عن ابن عباس وعكرمة ، روى عنه اسرائيل بن يونس السبيعي ، وأبو بكر بن عياش ، وسفيان الثوري روى له الجماعة سوى البخاري توفى سنة ١٢٧هـ انظر : طبقات ابن سعد (٣٢٣/٦) ، الجرح والتعديل (١٨٤/٢) سير أعلام النبلاء (٢٦٤/٥) ، تهذيب التهذيب (٣١٥/١) .

(٧) « تعالى » ساقطة من (أ ، س) ومثبتة من بقية النسخ .

(٨) الواو ساقطة من (ق) .

(٩) انظر قول السدي في تفسير الطبري (١٢٠/٩) وتفسير ابن الجوزي (٣٢٠/٣) .

وقوله : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] قال مجاهد(١) وغيره من المفسرين: « هو الرجل/ يهم بالمعصية ، فيذكر مقامه بين يدي الله، فيتركها خوفا من الله »(٢). [٦/أ]

وإذا كان وجل القلب من ذكره يتضمن خشيته ومخافته ، فذلك يدعو صاحبه إلى فعل المأمور ، وترك المحظور(٣) قال سهل بن عبد الله(٤) : « **ليس بين العبد وبين الله حجاب أغلظ من الدعوى ، ولا طريق إليه أقرب(٥) من الافتقار** » قال مجاهد وابراهيم(٦) : هو الرجل يريد أن يذنب الذنب(٧) ، فيذكر مقام الله فيدع الذنب » رواه ابن أبي الدنيا عن ابن(٨) الجعد ، عن شعبه ، عن منصور عنهما في قوله ـ تعالى ـ ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾(٩) [الرحمن: ٤٦] . وأصل كل خير في الدنيا والآخرة ، الخوف من الله ، ويدل على ذلك قوله

(١) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ـ ثقة إمام في التفسير والعلم ، روى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فأكثر عنه وعن أبي هريره وعائشة وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ روى عنه عكرمة وطاووس وعطاء وخلق كثير توفى سنة ١٠٤هـ . انظر : طبقات ابن سعد (٤٦٦/٥) ، سير أعلام النبلاء (٤٤٩/٤) ، تهذيب التهذيب (٤٢/١٠) ، طبقات المفسرين للداوودي (٣٠٥/٢) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص :٣٥) من طريق سبل أخبرنا ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره ، وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ،. وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٦٥/١٣) من طريق أبي معاوية ، عن الأعمش عن مجاهد ـ فذكره بنحوه ، وابن جرير في تفسيره بسنده من طريق الأعمش ... به (٨٤/٢٧) ، وهنّاد بن السرى في الزهد (٢/ ٤٥٣) بسنده من طريق الأعمش واسناده صحيح ، ورجاله ثقات كلهم .

(٣) في (أ ، ق) زيادة « واو » وساقطة من باقي النسخ والصواب حذفها .

(٤) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري ، أبو محمد الصوفي الزاهد شيخ العارفين ، صحب خاله محمد بن سوار ولقى ذا النون المصري في الحج وصحبه ـ روى عنه الحكايات عمر بن واصل ، وأبو محمد الجربهيري ، وعباس ابن عصام ومحمد بن المنذر الهجيمي وطائفة ، له كلمات نافعة ومواعظ حسنة وَقدمٌ راسخة في الطريق . له كتاب تفسير القرآن ، ورقائق المحبين ، توفى سنة ٢٨٣هـ . انظر : حلية الأولياء (١٨٩/١٠-٢١٢) . سير أعلام النبلاء (٣٣٠/١٣) طبقات الصوفية (ص : ٢٠٦) .

(٥) في (س) « ولا طريق أقرب إليه من الافتقار » .

(٦) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي ، نسبته إلى نخع قبيلة كبيرة من مذحج باليمن أبو عمران ، من أكابر التابعين صلاحاً وحفظاً ، كان اماما مجتهدا له مذهب أجمعوا على توثيقه روى عن مسروق وعلقمة وجماعة وروى عنه الأعمش وسماك بن حرب وآخرون . مات سنة ٩٦ مختفيا من الحجاج . انظر : طبقات ابن سعد (٢٧٠/٦) ، سير أعلام النبلاء (٥٢٠/٤) ، وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٥/١) .

(٧) « الذنب » ساقطة من (ف) .

(٨) « ابن » ساقطة من (س) .

(٩) قول مجاهدو ابراهيم أخرجه كل من :
ـ هناد بن السرى في الزهد (٤٥٣/٢) من طريق أبي الأحوص عن منصور عن مجاهد ، وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ، وأخرجه عن منصور ... به كل من : ابن أبي شيبة في المصنف (٥٧٠/١٣) ابن المبارك في الزهد (٣٤) . ـ الطبري في التفسير (٢٧ / ٨٤) . ـ أبو نعيم في الحلية (٣ / ٢٨١) .
ورواية ابن أبي الدنيا التي ذكرها المؤلف لم أعثر عليها فيما بين يدي من كتبه ورسائله ، لكن ذكرها السيوطي في الدر المنثور (١٤٦/٦) وعزاها إلى كتاب التوبة له .

- تعالى ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٤] فأخبر أن الهدى والرحمة للذين يرهبون الله ، وهؤلاء هم أهل الفلاح ، المذكورون في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة:٥] .

وهم المؤمنون وهم المتقون[١] المذكورون في قوله تعالى : ﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة :١-٢] كما قال في آية البر : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧] وهؤلاء هم المتبعون للكتاب ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [طه:١٢٣] وإذا لم يَضل فهو [متبع][٢] مهتد ، وإذا لم يشق فهو مرحوم ، وهؤلاء هم أهل الصراط المستقيم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، غير المغضوب عليهم ولا الضآلين ، فإن أهل الرحمة ليسوا مغضوباً عليهم ، وأهل الهدى ليسوا ضآلين . فتبين[٣] أن أهل رهبة الله يكونون متقين لله ، مستحقين لجنته بلا عذاب ، وهؤلاء هم الذين أتوا[٤] بالإيمان الواجب .

ومما يدل على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر :٢٨] . والمعنى أنه لا يخشاه إلا عالم ، فقد أخبر الله أن كل من خشي الله فهو عالم ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا / يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٩] والخشية أبدا متضمنة [للرجاء][٥] ولولا ذلك لكانت قنوطاً ، كما أن الرجاء يستلزم الخوف ، ولولا ذلك لكان أمناً ، فأهل الخوف لله والرجاء له ، هم أهل العلم ، الذين مدحهم الله وقد روي عن أبي حيان التيمي[٦][٧] أنه قال : « العلماء ثلاثة : [٦/ب]

(١) « وهم المتقون » ساقطة من (س) ، وفي (ق) « وهم المتقون المؤمنون المذكورون » .
(٢) « متبع » ساقطة من (أ ، س ، ق) ومثبتة من بقية النسخ .
(٣) في (س) « فبين » .
(٤) في (س) « اوتو » .
(٥) ما أثبت من (س ، هـ) وفي بقية النسخ « الرجاء » .
(٦) في (هـ ، م ، مح ، ط) « التميمي » وما أثبت من (أ ، ف ، س) .
(٧) هو يحيى بن سعيد بن حيان ، أبو حيان التيمي الكوفي ، ثقة عابد توفى سنة ١٤٥هـ . انظر : التهذيب (٢١٤/١١) التقريب (٣٤٨/٢) .

فعالم بالله ليس عالماً بأمر الله[١]، وعالم بأمر الله ليس عالما بالله ، وعالم بالله عالم بأمر الله، فالعالم بالله هو الذي يخافه، والعالم بأمر [الله][٢] هو[٣] الذي يعلم أمره ونهيه[٤] » وفي « الصحيح » عن النبي - ﷺ - ، أنه قال : « والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بحدوده »[٥] وإذا كان أهل [الخشية][٦] هم العلماء الممدوحون في الكتاب والسنة، لم يكونوا مستحقين للذم ، وذلك لا يكون إلا مع فعل الواجبات ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم :١٣-١٤] وقوله : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] .

فوعد بنصر الدنيا وبثواب[٧] الآخرة لأهل[٨] الخوف ، وذلك إنما يكون لأنهم أدوا الواجب[٩] ، فدل على أن الخوف يستلزم فعل الواجب ، ولهذا يقال للفاجر : لا يخاف الله . ويدل على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [النساء:١٧] .

---

(١) في (ف) « بامره » .

(٢) ما أثبت من (ف ، ط) وفي بقية النسخ « العالم بأمره » .

(٣) « هو » ساقطة من (هـ ، مح) .

(٤) انظر قول أبي حيان عند الدارمي في السنن في المقدمة (١/١١٤) ، وأبو نعيم في الحلية (٧/٢٧٠) وابن كثير في التفسير (٣/٥٥٤) .

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٦/٢٢٦) من طريق : عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة قال : دخلت امرأةُ عثمان بن مظعون - أحسب اسمها خوله بنت حكيم - على عائشة وهي باذةُ الهيئة فسألتها ما شأنها فقالت زوجي يقوم الليل ، ويصوم النهار ، فدخل النبي - ﷺ - فذكرت عائشة ذلك له ، فلقي عثمان فقال : يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا أفما لك فيَّ اسوة ؟ فوالله إني لأخشاكم لله وأحفظكم لحدوده ... » الحديث . وإسناده صحيح رجاله ثقات كلهم .

(٦) في (أ ، س ، ق) « أهل الجنة » وما أثبت من بقية النسخ ، وهامش (ق) .

(٧) في (ف ، ق) « ثواب » بدون الباء .

(٨) في (هـ) « لاجل » .

(٩) في (س) « الواجبات » .

قال أبو العالية(١) : « سألت أصحاب محمد عن هذه الآية(٢) فقالوا لي : كل من عصى الله فهو جاهل ، وكل من تاب قبل الموت(٣) فقد تاب من قريب»(٤) ، وكذلك قال(٥) سائر المفسرين ، قال مجاهد « كل عاص فهو جاهل حين معصيته »(٦) وقال الحسن وقتادة وعطاء(٧) والسدي وغيرهم : « إنما سموا جهالاً لمعاصيهم ، لا أنهم غير مميزين »(٨) .

وقال الزجاج(٩) : « ليس معنى الآية أنهم يجهلون أنه سوء ، لأن المسلم لو أتى ما يجهله كان كمن لم يواقع سوءاً وإنما يحتمل أمرين :

أحدهما : أنهم عملوه وهم يجهلون المكروه فيه .

والثاني : أنهم أقدموا على بصيرة وعلم بأن عاقبته مكروهة ، وآثروا العاجل / على الآجل ، فسموا جهالاً لإيثارهم القليل على الراحة الكثيرة(١٠) والعافية(١١) الدائمة »(١٢) . [٧/أ]

---

(١) هو رفيع بن مهران الرياحي البصري ، اشتغل بالحديث والتفسير والاقراء ، رأى الصديق - رضي الله عنه - ثقة لكنه كثير الارسال ، روى عن: عمر وابي بن كعب ، وروى عنه : عاصم الإحول ، وداود بن أبي هند مات سنة ٩٠هـ. انظر : طبقات ابن سعد (١١٢/٧) ، سير أعلام النبلاء (٢٠٧/٤) ، تهذيب ا لتهذيب (٢٨٤/٣) .

(٢) « الآية » توجد بهامش (أ) .

(٣) « فقد » ساقطة من (س) .

(٤) أخرجه ابن جرير في التفسير (٤ / ٢٩٤) من طريق بشير بن معاذ حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد عن قتادة عن أبي العالية ... فذكره ، وإسناده حسن ، ورجاله موثقون . وذكره السيوطي في الدر المنثور (١ / ٤٥٩) وقال : أخرجه عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٥) « قال » ساقطة من (هـ) .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٩٣/٤) من طريق : محمد بن عمر حدثنا أبوعاصم ، حدثنا عيسى ، حدثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد ... فذكره .

(٧) « عطاء » يوجد بهامش (أ) .

(٨) في (ق) « مختبرين » انظر : تلك الأقوال في تفسير الطبري (٤ / ٢٩٣) ، ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٧) تفسيرابن كثير (٤٦٣/١) ، الدر المنثور (٤٢٩/٢) .

(٩) هو اسحاق بن إبراهيم بن السرى بن سهل ، من أئمة اللغة والنحو ، من أهل الفضل ، حسن الاعتقاد اشتغل باللغة والنحو له : كتاب معاني القرآن ، الاشتقاق، خلق الانسان ، شرح ابيات سيبويه . انظر : تاريخ بغداد (٩١/٦) ، بغية الوعاة (١ / ٤١٢) .

(١٠) في (س) « الكبيرة » .

(١١) في (س) « الراحة » .

(١٢) انظر قول الزجاج في : زاد المسير (٢ / ٣٧) .

فقد جعل الزجاج الجهل : إما عدم العلم بعاقبة الفعل ، وإما فساد الإرادة ، وقد يقال : هما متلازمان ، وهذا مبسوط في الكلام مع الجهمية[١] .

العلم بالله يستلزم الخشية والجهل يستلزم المعصية

والمقصود هنا أن كل عاص لله فهو جاهل ، وكل خائف ، منه[٢] فهو عالم مطيع لله ، وإنما يكون جاهلا لنقص خوفه من الله ، إذ لو تم خوفه من[٣] الله لم يعص ، ومنه قول[٤] ابن مسعود[٤] - رضي الله عنه - : « كفى بخشية الله علما ، وكفى بالاغترار بالله جهلا »[٥] وذلك لأن تصور المخوف يوجب الهرب منه ،وتصور المحبوب يوجب طلبه ، فإذا لم يهرب من هذا ، ولم يطلب[٦] هذا ، دل على أنه لم يتصوره تصوراً تاماً ، ولكن قد يُتَصَوَّر الخبر عنه ، وتصور الخبر وتصديقه وحفظ حروفه غيرتصور المخبر [عنه[٧]] وكذلك إذا لم يكن المتصور محبوباً له ولا مكروها .

فإن الإنسان يصدق بما هو مخوف على غيره ومحبوب لغيره ، ولا يورثه ذلك هرباً ولا طلباً ، وكذلك إذا أُخبر بما هو محبوب له ومكروه ، ولم يكذب المخبر بل عرف صدقه[٨] ، لكن قلبه مشغول بأمور أخرى عن تصور ما أخبر به ، فهذا لا يتحرك للهرب ولا للطلب .

---

(١) الجهمية هم : المنتسبون إلى جهم بن صفوان مولى بني راسب ، أبي محرز من أهل خراسان ، وقد تتلمذ على الجعد بن درهم ، واتصل بمقاتل بن سليمان ، من المشبهة ، وعَمِلَ كاتباً للحارث بن سريج من زعماء خراسان وخرج معه على الأمويين فقتلا بمرو سنة ١٢٨ هـ . والجهمية تطلق أحياناً بمعنى عام ويقصد بهم نفاة الصفات عموما ، سواء كانوا من المعتزلة أو الجهمية اتباع جهم نفسه . وتطلق أحيانا بمعنى خاص ، ويقصد بها اتباع جهم ابن صفوان في آرائه وأهمها : نفي الصفات ، القول بالجبر ، القول بالإرجاء ، القول بفناء ، الجنة والنار . انظر : مقالات الإسلاميين للأشعري (٣٣٨/١) ، والفصل لابن حزم (٧٣/٥) الفرق بين العراق للبغدادي (ص:٢٠٠) ، الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٨٦) .

(٢) في (س) « من الله » بدل « منه » ، « منه » ساقطة من (ق) .

(٣) « من الله » ساقطة من (س ، مح ، ف) .

(٤) في (م) « عبد الله بن مسعود » .

(٥) انظر قول ابن مسعود في سنن الدارمي (١٠٤/١) وذكره صاحب كنز العمال (٣٠٨/١٠) وعزا أخرجه لابن عساكر .

(٦) في (أ) زيادة « من » والمثبت من بقية النسخ .

(٧) في (أ ، س ، ق) « به » والمثبت من بقية النسخ .

(٨) في (ح) « ولكن » بزيادة « الواو » .

وفي الكلام المعروف عن الحسن البصري - ويروى مرسلاً عن النبي - ﷺ - : « العلم علمان فعلم[1] // في القلب ، وعلم [في][2] اللسان// فعلم القلب هو العلم[3] النافع ، وعلم اللسان حجة الله على عباده »[4] .

---

(١) في (س) « علم » بدون « فاء » ، وما بين العلامتين // ــ // بهامش (ق) .

(٢) المثبت من (س) وفي بقية النسخ « على » .

(٣) « العلم » توجد بهامش (أ) وساقطة من (ح ، م ، ق) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣٦٤/٤) بسنده من طريق : يحيى بن يمان عن هشام عن الحسن عن جابر ، قال : قال رسول الله - ﷺ - ... الحديث .

وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٧٣) بسنده عن الخطيب البغدادي ، وعن غيره من طريق : أبي الصلت الهروي قال : أخبرنا يوسف بن عطيه ، قال أخبرنا قتادة عن الحسن ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال ... الحديث . ثم قال : هذا حديث لم يصح . وفي الطريق الأولى يحيى بن يمان قال أحمد : ليس بحجة في الحديث ، وقال أبو داود : يخطىء في الأحاديث ويقلبها . وفي الطريقة الثانية : أبو الصلت ، وهو كذاب باجماعهم .

قلت : أما الطريقة الأولى ، فلا يلزم من كلام أحمد ومن بعده ، بطلان حديث يحيى بن يمان ، بل يكون ممن يكتب حديثه للمتابعة .

أما الطريقة الثانية ، فإن قوله: أبو الصلت كذاب بإجماعهم. فهو افراط من ابن الجوزي، فأبو الصلت كان متشيعاً، وله بعض الأحاديث - في آل البيت - منكرة وهو غاية ما أخذ عليه . وقد وثقه ابن معين وقال فيه مرة : ما أعرفه بالكنية ، وفي أخرى : أبو الصلت عندنا لم يكن من أهل الكذب . وعامة ما يفهم من كلام العلماء : إنه ضعيف ، لكن ليس إلى درجة من يرد حديثه مطلقاً ، ولهذا قال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به ، إذا انفرد . المجروحين (٢/ ٩٤) . وقال الحافظ في التقريب : صدوق له مناكير ، وافرط العقيلي فقال : كذاب . (٥٠٦/١) .

والأولى : أن إعلال الإسناد بيوسف بن عطيه أولى ، لأنه متروك . انظر: التاريخ الكبير (٣٨٧/٢/٤) ، تهذيب التهذيب (٤١٩/١١) ، التقريب (٣٨١/٢) . وضعّفه الألباني في ضعيف الجامع (ح ٣٨٨٢) .

لكن رفع درجته بعض العلماء . فقال المناوى : قال المنذري : إسناده صحيح ، وقال العراقي : سنده جيد ، وإعلال ابن الجوزي له : وَهمٌ . وقال السمهودي : إسناده حسن . والحديث أخرجه عن الحسن مرسلاً كل من :

الدارمي في السنن (٨٦/١) في المقدمة ، باب التوبيخ لمن طلب العلم لغير الله ، من طريق مكي بن إبراهيم حدثنا هشام عن الحسن قال قال رسول الله - ﷺ - : « العلم ... » الحديث . وإسناده صحيح ، ورجاله كلهم ثقات .

وأخرجه من طريق هشام عن الحسن: ابن أبي شيبة في المصنف (٢٣٥/١٣)، وابن المبارك في الزهد (ص:٤٠٧) ، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١٩٠/١) .

والذي يظهر في - والله أعلم - أنه مرسل صحيح ، أما مرفوع فهو ضعيف .

وقد أخرجا في « الصحيحين » عن أبي موسى ، عن النبي - ﷺ - أنه قال : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ، طعمها طيب وريحها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة ، طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذي يقرأ القران مثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مرّ ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة ، طعمها مر ولا ريح لها »[1] .وهذا المنافق الذي يقرأ القرآن يحفظه ويتصور معانيه ، وقد يصدّق أنه كلام الله / [٧/ب] وأن الرسول حق ، ولا يكون مؤمناً ، كما أن اليهود يعرفونه كما يرفون أبناءهم[2] وليسوا مؤمنين ، وكذلك أبليس[3] وفرعون[4] وغيرهما ، لكن من كان كذلك ، لم يكن حصل له العلم التام والمعرفة التامة ، فإن ذلك يستلزم العمل بموجبه لا محالة ، ولهذا صار يقال لمن لم[5] يعمل بعلمه : إنه جاهل - كما تقدم - وكذلك لفظ العقل ، وإن كان هو في الأصل : مصدر عقل يعقل [عقلاً][6] .

وكثير من النظار جعله من جنس العلوم ، فلا بد أن يعتبر مع ذلك أنه علم يعمل [بموجبه][7] فلا يسمى عاقلاً إلامن عرف[8] الخير فطلبه ، والشر فتركه ، ولهذا قال أصحاب

---

(١) متفق عليه ، أخرجه : البخاري في كتابه فضائل القرآن ، باب فضل القرآن على سائر الكلام (١٠٧/٦) وفي كتاب الأطعمة باب ذكر الطعام . (٢٠٧/٦) وفي كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق (٢١٨/٨) . ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضيلة حافظ القرآن (٥٤٩/١) . وأبو داود في كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس (٢٥٩/٤) ، والترمذي في كتاب الأمثال ، باب ما جاء في مثل المؤمن القارئ للقرآن (١٥٠/٥) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب فضل من تعلم القرآن وعلّمه (٧٧/١) . وأحمد في المسند(٣٩٧/٤، ٤٠٤، ٤٠٨) ، والدارمي في كتاب فضائل القرآن ، باب مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن (٣١٨/٢) .

(٢) اشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم ، وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعملون** ﴾ [البقرة:١٤٦] .

(٣) اشارة إلى قول الله تعالى عن ابليس : ﴿ **قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون ، قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ، قال رب بما أغويتني لأزينّ لهم في الأرض ، ولاغوينهم أجمعين** ﴾ (الحجر :٣٦-٣٩] .

(٤) اشارة إلى قول الله تعالى عن فرعون : ﴿ **وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه ، إنهم كانوا قوماً فاسقين ، فلما جاءتهم آيتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** ﴾ [النمل :١٢-١٤] .

(٥) « لم » ساقطة من (س) .

(٦) في (أ) « عقالا » والمثبت من بقية النسخ .

(٧) في (أ) « بموجوبه » والمثبت من بقية النسخ .

(٨) « عرف » توجد بهامش (ق) .

النار : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١٠] . وقال عن [اليهود][١] ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر: ١٤] [ومن][٢] فعل ما يعلم أنه يضره ، فمثل هذا ما له عقل ، فكما أن الخوف من الله [تعالى][٣] يستلزم العلم به ، فالعلم به[٤] يستلزم خشيته ، وخشيته تستلزم طاعته ، فالخائف من الله ممتثل لأوامره مجتنب لنواهيه ، وهذا هو[٥] الذي قصدنا بيانه أولا ، ويدل على ذلك أيضاً[٦] قوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الكُبْرَى ﴾ [الأعلى:٩-١٢] .

فأخبر أن من يخشاه يتذكر ، والتذكر هنا مستلزم لعبادته ، قال [الله][٧] تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ ﴾ [غافر :١٣] .

وقال : ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ [سورة ق :٨] . ولهذا قالوا في قوله : ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى ﴾[٨]: سيتعظ بالقرآن من يخشى الله[٩] وفي قوله : ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ ﴾[٨] إنما يتعظ من يرجع إلى الطاعة، وهذا لأن التذكر التام يستلزم [التأثر][١٠] بما تذكره ، فإن تذكر محبوبا طلبه ، وإن[١١] تذكر مرهوباً هرب منه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ [و][١٢] سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يس : ١٠] .

---

(١) في (ح و ط) «عن المنافقين »، وساقطة من بقية النسخ ، وما أثبت هو مايقتضيه السياق لأن الآية تتكلم عن اليهود.

(٢) ما أثبت من (ق ، س ، ط) وفي بقية النسخ « ومتى » .

(٣) [تعالى] مثبتة من (س) وساقطة من باقي النسخ .

(٤) « به » ساقطة من (س) ، وفي (ق) « وكذلك العلم به » .

(٥) « هو » ساقطة من (س ، ق) .

(٦) « أيضا » توجد بهامش (ح)

(٧) « لفظ ا لجلالة » مثبت في (م ، هـ ، ط) وليس في بقية النسخ .

(٨) في (ق) « أي سيتعظ » ، « أي انما » ، زيادة « أي » في الموضعين .

(٩) « لفظ الجلالة » ليس في (ف) .

(١٠) ما أثبت من (أ ، ق ، ط) وفي (س) التأثير وفي بقية النسخ « العمل » .

(١١) في (س) « ومن تذكر » .

(١٢) الواو ساقطة من (أ ، ف ، ق ، س) ومثبتة في بقية النسخ .

[وقال سبحانه(١)] : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾[سورة يس: ١١] فنفى الإنذار عن [غير](٢) هؤلاء مع قوله : ﴿ [و](٣) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا(٤) يُؤْمِنُونَ ﴾[سورة يس: ١٠] فأثبت لهم الإنذار من وجه، ونفاه عنهم من وجه ، فإن الإنذار هوالإعلام / بالمخوف(٥) ، فالإنذار مثل التعليم والتخويف ، فمن علمته(٦) فتعلّم ، فقد تم تعليمهم ، وآخر يقول : علمته فلم يتعلم ، وكذلك من خوفته فخاف، فهذا الذي هو(٧) تم تخويفه، وأما من خُوِّف فما خاف، فلم يتم تخويفه ، وكذلك من هديته فاهتدى ، تم هداه ، ومنه قوله [تعالى(٨)] : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢] ومن هديته فلم يهتد ، كما قال : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [فصلت:١٧] فلم يتم(٩) هداه، كما تقول : قطعته فانقطع ، وقطعته فما انقطع . [٨/أ]

فالمؤثر(١٠) التام يستلزم أثره ، فمتى لم(١١) يحصل أثره لم يكن تاما ، والفعل إذا صادف محلاً قابلاً ، تم ، وإلا لم يتم ، والعلم بالمحبوب يؤثر(١٢) في طلبه ، والعلم بالمكروه يؤثر(١٢) في تركه ، ولهذا يسمى هذا العلم : الداعي ، ويقال : الداعي مع القدرة يستلزم وجود المقدور ، وهوالعلم بالمطلوب المستلزم لإرادة المعلوم المراد .

فساد الفطرة يؤدي إلى فساد القوة العلمية والعملية

وهذا كله [إنما يحصل](١٣) مع صحة الفطرة وسلامتها ، وأما مع فسادها [فلا](١٤) . فقد يحس الإنسان باللذيذ فلا يجد له لذة ، بل يؤلمه ، وكذلك يلتذ بالمؤلم لفساد الفطرة ،

(١) و« وقال سبحانه » مثبتة من (هـ ، ح) . وفي (ق) « ومنه قوله تعالى » .
(٢) « غير » ساقطة من (أ ، و س ، ح) ومثبتة من بقية النسخ .
(٣) الواو ساقطة من (أ ، ف ، س) ومثبتة في (هـ ، م ، مح ، ح) .
(٤) « لا يؤمنون » مثبتة من (أ ، ق) .
(٥) في (س) « الخوف » وانظر القاموس المحيط مادة « نذر » (ص : ٩١٩) .
(٦) في هامش (أ) كتب في أعلى ص ٨/ب : « قال في شرح الايمان » .
(٧) « هو الذي » ساقطة من (س) .
(٨) « تعالى » مثبتة من (هـ ، ق) .
(٩) « فلم يتم هداه » ساقطة من (س) .
(١٠) الفاء من « فالمؤثر » ساقطة من (ف ، م ، مح ، ح) .
(١١) في (ف) « يقال » .
(١٢) في الموضعين في (ح ، هـ ، مح ، م ، ط) « يورث » بدل « يؤثر في » والصواب ما أثبت .
(١٣) « أنما يحصل » ساقطة من (أ ، هـ ، مح) وفي (ف ، ح) « وهذا انما يحصل كله » وما أثبت من بقية النسخ وهامش (ق) .
(١٤) « فلا » مثبتة من (ح) فقط وساقطة من باقي النسخ .

والفساد يتناول القوة العلمية[١] والقوة العملية[٢] جميعاً ، كالممرور[٣] الذي يجد العسل مراً ، فإنه فسد نفس إحساسه حتى [كأنه][٤] يحس به على خلاف ما هو عليه للمرّة التي مازجته. وكذلك من فسد باطنه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ * وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٩ - ١١٠] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف:٥] وقال تعالى[٥]: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة :٨٨] وقال في الآية الأخرى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾[٦] [النساء :١٥٥] . والغلف : جمع أغلف وهو ذو الغلاف الذي في غلاف مثل الأقلف[٧] كأنهم جعلوا المانع خِلْقَةً ، أي خلقت القلوب [و][٨]عليها أغطية ، فقال [الله][٩] تعالى : ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ و[١٠] ﴿ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[النساء :١٥٥] وقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [محمد:١٦] / . [٨/ ب]

وكذلك ﴿ قَالُواْ يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرا مِمَّا تَقُولُ ﴾ [هود : ٩١] و[١١]قال : ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٣] أي لأفهمهم[١٢]ما سمعوه [١٣]. ثم قال: ولو أفهمهم مع هذه الحال التي هم عليها ، ﴿ لَتَوَلَّواْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٣] فقد

---

(١) « العملية والقوة » توجد بهامش (أ ، ح) .

(٢) « العملية » ساقطة من (ف) .

(٣) في (س) « كالمرأ » .

(٤) « كأنه » السياق يقتضيها ، وفي باقي النسخ « كان » .

(٥) « تعالى » ساقطة من (م ، مح ، ح ، هـ) .

(٦) في جميع النسخ ما عدا (أ) تقديم آية النساء على آية البقرة .

(٧) انظر : زاد المسير لابن الجوزي (١/ ١١٣) .

(٨) « الواو » ليست في (أ ، س) ومثبتة من باقي النسخ .

(٩) لفظ الجلالة ليس في (أ ، ف ، س ، ق) ومثبت في باقي النسخ .

(١٠) في (ق) « بل » بدل « الواو » .

(١١) « الواو » ساقطة من (م ، مح ، ح ، ط) . وفي (ق) « وقال تعالى » .

(١٢) في (ف) « افهمهم » بدون اللام .

(١٣) في (ق) « ما سمعوا » .

فسدت فطرتهم فلم يفهموا ، ولو فهموا لم يعملوا[(١)] ، فنفى عنهم صحة القوة العلمية ، وصحة القوة العملية ، وقال : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان :٤٤] وقال : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ والإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩] وقال: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ[الَّذِي][(٢)] يَنْعِقُ بِمَا لاَيَسْمَعُ إِلاَدُعَاءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١] وقال عن المنافقين :﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٨] .

ومن الناس من يقول : لما لم ينتفعوا[(٣)] بالسمع والبصر والنطق ، جُعلوا صماً بكما عميا، أو لما أعرضوا عن السمع والبصر والنطق ، صاروا كالصمّ العمي البكمّ[(٤)] وليس كذلك، بل نفس قلوبهم عميت وصمّت وبَكِمَتْ ، كما قال [الله][(٥)] تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦] والقلب هو الملك ، والأعضاء جنوده ، وإذا صلح ، صلح سائر الجسد ، وإذا فسد فسد سائر الجسد فيبقى [صاحبه][(٦)] يسمع [بالأذن][(٧)] الصوت كما تسمع البهائم ، والمعنى لا يفقهه[(٨)] ، وإن فقه[(٩)] بعض الفقه[(١٠)] لم يفقه فقهاً تاماً ، فإن الفقه التام [يستلزم][(١١)] تأثيره في القلب محبة[(١٢)] المحبوب ، وبغض المكروه ، فمتى لم يحصل هذا ، لم يكن التصور التام حاصلا ، فجاز نفيه ، لأن ما لم يتم ينفى كقوله للذي أساء في صلاته : « **صل فإنك لم تصل** »[(١٣)] [فنفي][(١٤)] الإيمان حيث نفي من هذا الباب .

---

(١) في (س) « لم يعلموا » .
(٢) « الذي » ساقطة من (أ) ومثبتة من بقية النسخ .
(٣) قوله « لما لم ينتفعوا » توجد بهامش (أ) .
(٤) « البكم » ساقطة من (س) .
(٥) لفظ الجلالة ليس في « أ ، ف ، س ، ق) ومثبت من بقية النسخ
(٦) « صاحبه » مثبتة من (ف) وساقطة من بقية النسخ
(٧) في (أ ، ق) « بالبدن » . والمثبت من بقية النسخ ، وهامش (ق) .
(٨) في « ف » لا يفهمه » .
(٩) في (ف) « فهم » .
(١٠) في (ف) « الفهم » .
(١١) في (أ) « يلتزم » والمثبت من بقية النسخ .
(١٢) في (س) « بمحبة » بزيادة الباء .
(١٣) سبق تخريجه (ص : ١٧) من هذه الرسالة .
(١٤) في (أ ، ف ، ق ، س) « ونفي » بالواو والمثبت من بقية النسخ .

وقد جمع الله [تعالى][(١)] بين وصفهم بوجل القلب إذا ذُكِّروا[(٢)] ، وبزيادة الإيمان إذا سمعوا آياته ، قال الضحاك[(٣)] : « زادتهم يقينا »[(٤)] ، وقال الربيع بن أنس[(٥)] : « خشية»[(٦)] / [٩/أ] وعن ابن عباس : « تصديقا »[(٧)] ، وهكذا قد[(٨)] ذكر الله هذين الأصلين في مواضع ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد:١٦] .

الخشوع يتضمن العبودية والطمأنينة

والخشوع يتضمن معنيين : **أحدهما** : التواضع والذل ، **والثاني** : السكون والطمأنينة ، وذلك[(٩)] مستلزم للين القلب المنافي للقسوة ، فخشوع القلب يتضمن عبوديته لله وطمأنينته أيضا ، ولهذا كان الخشوع في الصلاة يتضمن هذا وهذا ، التواضع والسكون ، وعن ابن

---

(١) « تعالى » مثبتة من (م) فقط ، وساقطة من بقية النسخ .

(٢) في (هـ ، م ، مح ، س ، ط) « ذكر » .

(٣) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو محمد وقيل أبو القاسم صاحب التفسير حدّث عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري وابن عمر ، وحدث عنه عمارة بن أبي حفصة وأبو سعد البقال ومقاتل ، وثقّه أحمد بن حنبل ، ويحيى ابن معين ، وضعفه يحيى بن سعيد القطان ، توفى سنة ١٠٥ . انظر : طبقات ابن سعد (٣٠٠/٦) ، سير أعلام النبلاء (٥٩٨/٤) ، تهذيب التهذيب (٤ / ٤٥٣) .

(٤) انظر قول الضحاك في زاد المسير (٢٣٠/٣) .

(٥) في (س) « بن يونس » ، وهو الربيع بن انس البكري أو الحنفي بصري نزيل خرسان ، صدوق له أوهام رمى بالتشيع توفى سنة ١٤٠هـ ، وقيل قبلها . انظر : التهذيب (٢٣٨/٣) ، التقريب (٢٤٣/١) .

(٦) أخرجه الطبري في التفسير (١٧٩/٩) من طريق المثنى حدثنا اسحاق ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن أبيه عن الربيع بن أنس ... به ، واسناده ضعيف جدا ، فهو مسلسل بالضعفاء فالمثنى هو ابن إبراهيم الآملي ، مجهول ، واسحاق بن إبراهيم الصواف ضعيف ، وعبد الله بن جعفر وأبيه ضعيفان . انظر : الثقات لابن حبان (٣٣٥/١) ، والمجرورحين له أيضا (١٢٠/٢) والجرح والتعديل (٢٠٦/١) والميزان (٣١٩/٢) ، والتقريب (٢٥٤/١، ٤٠٦، ٤٠٧) .

(٧) أخرجه الطبري في التفسير (١٧٩) من طريق المثنى حدثنا أبو صالح ، حدثني معاوية عن علي بن طلحة ، عن بن عباس ... به وهذا الاسناد ضعيف ، لأن المثنى وهو ابن ابراهيم الآملي ـ كما سبق في الحاشية السابقة مجهول والاسناد ايضا منقطع ، لأن علي بن طلحة ، لم يسمع من ابن عباس ، وفي الاسناد ـ أيضا ـ أبو صالح وهو عبدالله ابن صالح كاتب الليث فيه ضعف . انظر : الجرح والتعديل (٨٦/٥) الميزان (١٣٤/٣، ٤٤/٤) التهذيب (٣٣٩/٧) التقريب (٣٩/٢).

(٨) « قد » ساقطة من (س) .

(٩) في (س) « وكذلك يستلزم » .

عباس في قوله: ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون:٢] قال : « مخبتون أذلاء»[(١)] وعن الحسن وقتادة : « خائفون»[(٢)] وعن مقاتل : « متواضعون »[(٣)] وعن علي : «الخشوع في القلب ، وأن تلين للمرء المسلم كنفك ، ولا تلتفت [يميناً ولا شمالا[(٤)]][(٥)] ». وقال مجاهد[(٦)] : « غض البصر وخفض الجناح . وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة هاب[(٧)] الرحمن أن يشد[(٨)] بصره إلى شيء[(٩)][أو[(١٠)]] أن يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا».

وعن عمرو بن دينار[(١١)] « ليس الخشوع الركوع والسجود، و[(١٢)] لكنه[(١٣)] السكون و[(١٤)] حسن الهيئة في الصلاة »[(١٥)] وعن ابن سيرين[(١٦)] وغيره : « كان النبي ﷺ وأصحابه

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٣/١٨) من نفس الطريق السابقة ، فهو ضعيف .

(٢) لم أجد قول قتادة ، ولكن قول الحسن أخرجه ابن جرير في التفسير (٣/١٨) من طريق عبد ا لأعلى ، حدثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن ... به ، وإسناده صحيح رجاله كلهم موثقون .

(٣) انظر قول مقاتل في تفسير البغوي (٣/ ٣٠١) .

(٤) ما بين المعكوفتين ليس في (أ) ومثبت في بقية النسخ .

(٥) أخرجه الطبري في التفسير (٢/٨) بسنده من طريق المسعودي عن أبي سنان عن رجل عن علي - رضي الله عنه - فذكره ، وإسناده ضعيف بسبب جهاله الراوي عن علي - رضي الله عنه - وقال في هامش (هـ) كلام سيدنا علي - رضي الله عنه - أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد ، وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم وصححه » وهذا الكلام بنصه في الدر المنثور للسيوطي (٦ / ٨٤) .

(٦) في (ف) « مقاتل » وما أورده المؤلف هنا عن مجاهد نسبه الطبري ، إلى الحسن البصري (٣/١٨) حيث قال: « كان خشوعهم في قلوبهم ، فغضوا بذلك البصر ، وخفضوا الجناح » وانظر تفسير ابن كثير (٣/٢٣٨) .

(٧) في (ق ، هـ) « يهاب » .

(٨) في (هـ) « يشرد » في (س) « يسند » .

(٩) « إلى شيء » مثبتة في (أ ، س ، ق) وساقطة من باقي النسخ .

(١٠) المثبت من « ف » وباقي النسخ « بالواو » .

(١١) هوعمرو بن دينار المكي الجمحي مولاهم أبو محمد الأثرم ، ثقة ثبت كان شيخ الحرم في زمانه ، وأفتى بمكة ثلاثين سنة روى عن ابن عباس وجابر وابن عمر ، روى عنه شعبة وسفيان بن عيينه وابن جريج ، مات سنة ١٢٦هـ . انظر : الثقات لابن حبان (٥/١٦٧) ، سير أعلام النبلاء (٥/٣٠٠) ، تهذيب التهذيب (٨/٢٨) .

(١٢) « الواو » ساقطة من (س) .

(١٣) في (س) « لكن » بدون الهاء .

(١٤) ما أثبت من (أ ، ق ، ف) وفي بقية النسخ « وحب حسن » .

(١٥) انظر قول عمرو بن دينار ، عند البغوي في التفسير (٣/٣٠٢) .

(١٦) هو محمد بن سيرين الانصاري مولاهم أبو بكر بن أبي عمرة البصري ، اشتهر بابن سيرين امام وقته ، ثقة ثبت عابد كبير القدر ، كان لا يرى الرواية بالمعنى من الطبقة الثالثة مات سنة ١١٠هـ . انظر : طبقات ابن سعد (٧/١٩٣) سير أعلام النبلاء (٤/٦٠٦) تهذيب التهذيب (٩/١٩٠) .

يرفعون أبصارهم في الصلاة إلى السماء ، وينظرون يميناً وشمالاً[(١)] حتى نزلت هذه [الآية][(٢)] ﴿ قد أفلح الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُون ﴾ [المؤمنون: ١-٢] فجعلوا بعد ذلك أبصارهم[(٣)] حيث يسجدون ، ومارؤي[(٤)] أحد منهم بعد ذلك ينظر[(٥)] إلا[(٦)] إلى الأرض »[(٧)] .

وعن عطاء : « هو أن لا تعبث بشيء من جسدك وأنت في الصلاة »[(٨)] وأبصر النبي - ﷺ - رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال : « **لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه** »[(٩)] . ولفظ الخشوع - إن شاء الله - يبسط في موضع آخر[(١٠)] .

---

(١) قوله « وينظرون يمينا وشمالا » ساقطة من (س) .

(٢) « الآية » مثبتة من (س) وساقطة من بقية النسخ .

(٣) في (س) « وجوههم » .

(٤) في (ف) « رأى » .

(٥) « ينظر » ساقطة من (س) .

(٦) « إلا » ساقطة من (ف) .

(٧) أخرجه الطبري في التفسير (٣/١٨) من طريق يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا ابن عليه قال أخبرنا أيوب عن محمد ابن سيرين ... به . واسناده إلى ابن سيرين صحيح ، ورجاله ثقات كلهم . وأخرجه من طرق عنه كل : من البيهقي في السنن (٢٨٣/٢) ، سعيد بن منصور كما في الدرر المنثور (٨٣/٦) وأخرجه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (١٩/١) من طريق اسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا جرير عن هشام عن ابن سيرين ... فذكر مثله ، و(١٨٧/١) من طريق اسحاق أخبرنا عيسى بن يونس ، أخبرنا ابن عون عن ابن سيرين ... به ، وهذا الاسنادان صحيحان وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨٣/٦) ، وقارن لباب النقول (ص : ٥١٩) واسباب النزول للواحدي (ص : ٢٥٩) .

(٨) انظر قول عطاء في الدر المنثور (٦/ ٨٤) .

(٩) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (ص : ٣٧ ، ٣٥٢) ولم يذكر له إسناداً . لكن المناوي في فيض القدير (٣١٩/٥) قال : رواه الحكيم الترمذي في النوادر عن صالح بن محمد ، عن سليمان بن عمرو عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريره - رضي الله عنه - وقال العراقي : سليمان بن عمرو ، هو أبو داود النخعي ، متفق على ضعفه ، وانما يعرف هذا عن ابن المسيب . وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٣٧١/٢) وعزا تخريجه إلى الحكيم الترمذي ورمز إليه بالضعف وفي الإسناد أيضا : صالح بن محمد وهو الترمذي ، متروك ، وشيخه سليمان بن عمرو ، قال ابن عدي : اجمعوا على أنه يضع الحديث . انظر : الميزان (٣٠٠/٢) ، الكامل (١١٠٠/٣) .
وأخرجه موقوفاً على سعيد بن المسيب كل من : ابن المبارك في الزهد (ص : ٢١٣) من طريق معمر عن رجل عنه فذكره ، وهذ االاسناد ضعيف ، لجهالة الرجل الذي روى عن سعيد بن المسيب . وانظر : السلسلة الضعيفة للألباني (١٤٢/١) .

(١٠) انظر توسع المؤلف في بيان معاني الخشوع مجموع الفتاوى (٢٥٤/٥ ، ٢٢ / ٥٤ - ٥٧٢) .

وخشوع الجسد تبع لخشوع القلب ، إذا لم يكن الرجل مرائياً ، يظهر ما ليس في قلبه كما روي : « [تعوذوا(١)] بالله من خشوع النفاق »(٢) وهو أن يرى الجسد خاشعاً والقلب لاهياً(٣) ، فهو سبحانه [وتعالى](٤) استبطأ المؤمنين بقوله : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد:١٦] فدعاهم إلى خشوع القلب لذكره / [٩/ب] وما نزل من كتابه ، ونهاهم أن يكونوا كالذين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وهؤلاء هم(٥) ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [الأنفال:٢] .

وكذلك قال في الآية الأخرى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر:٢٣]. والذين يخشون ربهم ، هم الذين إذا ذكر الله [تعالى](٦) وجلت قلوبهم .

فإن قيل : فخشوع القلب لذكر الله ، وما نزل من الحق واجب ، قيل : نعم ، لكن الناس فيه(٧) على قسمين: مقتصد وسابق، فالسابقون: يختصون بالمستحبات ، والمقتصدون: [الأبرار هم](٨) عموم المؤمنين المستحقين للجنة ، ومن لم يكن من هؤلاء ولا [من](٩) هؤلاء،

---

(١) في (أ ، ف ، س ، ق) « تعوذ » والمثبت من بقية النسخ .

(٢) ذكره الديلمي في فروس الأخبار (٧٢/١) عن ابن عمر - رضي الله عنهما - وذكره البرهان فوري في كنز العمال (٥٢٦/٧) وعزا إخراجه إلى الحكيم الترمذي والبيهقي، عن أبي بكر - رضي الله عنه - ، والحاكم في تاريخه عن ابن عمر ، وذكره الحكيم الترمذي في نوارد الأصول (ص :١٨٤، ٣١٧) عن مالك بن أوس - رضي الله عنه - قال خطبنا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - فقال قال : رسول الله ﷺ - تعوذوا ... فذكره .
وأخرجه كذلك ابن المبارك في كتاب الزهد (ص :٤٦) عن أبي هريرة ، وأبي الدرداء وقال السيوطي في الدر المنثور (٨٤/٦) : أخرج الحكيم الترمذي والبيهقي في شعب الايمان ، عن أبي بكر الصديق قال : قال رسول الله - ﷺ - : تعوذوا ... فذكره وأخرج ابن المبارك وابن أبي شيبة ، وأحمد في الزهد ، عن أبي الدرداء قال : استعيذوا بالله من خشوع ... فذكره .

(٣) ما أثبت من (أ ، ف ، س ، ق) وفي بقية النسخ زيادة « خالياً » .

(٤) « تعالى » مثبتة من (س) فقط .

(٥) « هم » ساقطة من (س) .

(٦) « تعالى » مثبتة من (ف ، م ، مح ، هـ) وساقطة من بقية النسخ .

(٧) في (س) « منه » بدل « فيه » .

(٨) في (أ ، ح) « والمقتصدون هم الأبرار عموم المؤمنين » والمثبت من بقية النسخ .

(٩) « من » مثبتة من (س) وساقطة من بقية النسخ .

فهو ظالم لنفسه ، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : « **اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، ونفس لا تشبع ، ودعاء لا يسمع** »(١) .

وقد ذم [الله تعالى](٢) قسوة القلوب المنافية للخشوع في غير موضع، فقال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِنْ بَعْدِ ذلكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَة ﴾ [البقرة: ٧٤] . قال الزجاج : « قست في اللغة : غلظت ويبست [وعست(٣)](٤) فقسوة القلب : ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه ، والقاسي والعاسي(٥): الشديد الصلابة ، وقال ابن قتيبة(٦) : « قست وعست وعتت ، أي يبست ، وقوة القلب المحمودة غيرة قسوته المذمومة ». قال ابن فارس(٧) « ينبغي أن يكون قوياً من غير عنف ، ولينا من غير ضعف » وفي الأثر : « القلوب آنية الله في أرضه ، فأحبها إلى الله أصلبها وأرقها وأصفاها(٨) » . وهذا كاليد فإنها قوية لينة ، بخلاف ما

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٢٠٨٨/٤) من حديث زيد بن أرقم - رضي الله عنه ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب الاستعاذة (٢/ ٩٢ ، عن ابي هريره - رضي الله عنه - والترمذي في كتاب الدعوات، باب جامع الدعوات (٥١٩/٥) عن عبد الله بن عمرو ... به ، وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، والنسائي في كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من قلب لا يخشع (٢٥٤/٨) عن عبد الله بن عمرو ، وابن ماجه في كتاب الدعاء باب فضل الدعاء (١٢٦١/٢) عن أبي هريره - رضي الله عنه - . وأحمد في المسند (٣٤٠/٢ ، ٣٦٥ ، ٤٥١) عن أبي هريره - رضي الله عنه - وفي (٢٨٣/٣) عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - ، والبغوي في شرح السنة (١٥٩/٥) عن زيد بن أرقم - وقال : هذا حديث صحيح ، وأبو خيثمة - زهير بن حرب - في كتاب العلم (ص : ١٤٨) عن أنس - رضي الله عنه - .

(٢) لفظ الجلالة مثبت من (هـ ، ف ، س) و (تعالى) مثبتة في (س) .

(٣) في (أ ، ف) « عسيت » والمثبت من باقي النسخ .

(٤) انظر قول الزجاج في كتابه معاني القرآن (١٢٨/١) وانظر أيضا : لسان العرب مادة (قسا) (١٥/ ١٨١) .

(٥) المثبت من (هـ) وفي (أ) « القاسح » وهكذا (هامش ف) وقال: وهو الشديد الصلب ، وفي (س) القاسج بالجيم .

(٦) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وقيل المرزوي الكاتب ، صاحب التصانيف ثقة دِّينٌ فاضل من تصانيفه : غريب القرآن ، وغريب الحديث وغيرها ، ولي قضاء نيسابوري وكان رأسا في علم العربية وامام الناس مات سنة ٢٧٦هـ وقيل غير ذلك . انظر : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي (ص : ١٨٣) سير أعلام النبلاء (٢٩٦/١٣) البلغة (ص : ١٢٧) .

(٧) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي كان من نحاة الكوفة وكان شافعيا وكان من كبار اللغويين أصحاب المؤلفات الكبار له كتاب الجمل ومعجم مقاييس اللغة والصاحبي في فقه اللغة توفى سنة ٣٩٥هـ انظر : بغية الوعاة (١/ ٣٥٤) معجم الأدباء لياقوت (٤ / ٩٨) .

(٨) لم أجد من أخرج هذا الأثر .

يجسو(١) من العقب(٢) فإنه يابس لا لين فيه ، وإن كان فيه قوة ، وهو سبحانه ذكر وجل القلب من ذكره ، ثم ذكر زيادة الإيمان عند تلاوة كتابه علما وعملا .

ثم لا بد من التوكل على الله فيمالا يقدر عليه(٣) ، ومن طاعته فيما يقدرعليه ، وأصل ذلك الصلاة والزكاة ، فمن قام بهذه الخمس كما أمر // لزم أن يأتي بسائر الواجبات ، بل الصلاة نفسها إذا فعلها كما أمر(٤) // فهي(٥) تنهى عن الفحشاء والمنكر ، كما روي عن ابن مسعود / وابن عباس - رضي‌الله [عنهم](٦): « **أن في الصلاة منتهى (٧) ومزدجر عن معاصي الله ، فمن لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزد بصلاته(٨) من الله إلا بعدا** »(٩) . وقوله : « لم يزدد إلا بعدا » ، إذا كان ماترك من الواجب منها أعظم مما فعله ، أبعده ترك الواجب الأكثر من الله أكثر مما قرّبه فعل الواجب الأقل، وهذا كما في « الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال : « **تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق يرقب** [١٠/أ]

---

(١) في (هـ ، ق) « يقسو » وفي (ف) « يجسر » والمثبت من (أ ، م ، مح ، س) والجسو ضد اللطف يقال : جسا الرجل جسوا وجسواً صلُبَ ويد جاسية ، يابسه العظام قليلة اللحم ، وجسيت اليد وغيرها ، جُسُوًّا وجسا ييبس انظر: اللسان مادة (جسا) (١٤٧/١٤) .

(٢) في (س) القلب بدل العقب والصواب ما أثبت وهو من (أ) وبقية النسخ والعقب كما يقول ابن فارس : العين والقاف والباء أصلان صحيحان أحدهما يدل على تأخير شيء واتيانه بعد غيره ، والأصل الآخر يدل على ارتفاع وشدة وصعوبة .. ثم قال ومن الباب عقب القدم مؤخرها ... ثم قال أيضا ومن الباب العقب ما يُعقَب به الرماح والسهام قال : وخلاف ما بينه وبين العصب ، أن العصب يضرب إلى صفره والعقب يضرب إلى البياض وهو أصلبها وامتنها والعصب لا ينتفع به ، فهذا يدل على ما قلناه ان هذا الباب قياسه الشدة .
ومن الباب : العُقَاب من الطير ، سميت بذلك لشدتها وقوتها انظر مقاييس اللغة مادة (عقب) (٨٤/٤ - ٨٥) .

(٣) أي فيما لا يقدر عليه العبد .

(٤) ما بين العلامتين // _ // يوجد بهامش (أ) و (س ، ف ، ق ، ط) وساقط من بقية النسخ .

(٥) في (س) كما تنهى .

(٦) في (ح) « عنهما » وساقطة من بقية النسخ .

(٧) ما أثبت من (أ ، س ، ط) وفي بقية النسخ « منهى ومرجرا » .

(٨) « بصلاته » ساقطة من (ف) .

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم - في التفسير - كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤١/٢) من طريق محمد بن هارون المخرمي الفلاّس ، حدثنا عبد الرحمن بن نافع أبو زياد ، حدثنا عمر بن أبي عثمان حدثنا الحسن ، عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - قال : سئل رسول الله - ﷺ - ... الحديث .
واسناده ضعيف ، فيه عمر بن أبي عثمان ، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٢٣/٦) وسكت عنه ، وهذا يعني أنه مجهول ، وفيه الحسن ، وهو البصري ، وفي روايته عن عمران بن حصين خلاف ، ثم إنه قد رواه بالعنعنة وهو مدلس . انظر المراسيل لابن أبي حاتم (ص : ٣٦) وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٧٥/٢) وعزا إخراجه إلى الطبراني ورمز لضعفه ، وانظر تفسير البغوي (٣ / ٤٦٨) والدر المنثور (٦ / ٤٦٤) .

الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان[١] ، قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا »[٢] . وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] وفي « السنن » عن عمار، عن النبي - ﷺ - أنه قال : « **إن العبد لينصرف من صلاته ولم يكتب له منها إلا نصفها ، إلا ثلثها ، حتى قال : إلا عشرها** »[٣] .

وعن ابن عباس قال : « ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها »[٤] وهذا وإن لم يؤمر بإعادة الصلاة عند أكثر العلماء لكن يؤمر بأن يأتي من التطوعات بما[٥] يجبر نقص فرضه .

الكبائر لا تذهب أصل الإيمان

ومعلوم أن من حافظ على الصلوات بخشوعها الباطن ، وأعمالها الظاهرة ، وكان يخشى الله الخشية التي أمره بها ، فإنه يأتي بالواجبات ، ولا يأتي كبيرة[٦]، ومن أتى الكبائر مثل : الزنى ، أو[٧] السرقة ، أو شرب الخمر أو[٧] غير ذلك ، فلا بد أن يذهب ما في قلبه من تلك الخشية والخشوع والنور ، وإن بقي أصل التصديق في قلبه ، وهذا من الإيمان الذي ينزع[٨] [منه][٩] عند فعل الكبيرة ، كما قال النبي - ﷺ - : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن** »[١٠]فإن المتقين كما وصفهم الله[١١]

(١) في (ف) « شيطان » بدون ال .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواقع الصلاة ، باب استحباب التبكير بالعصر (٤٣٤/١) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - مرفوعا ... به .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب ماجاء في نقصان الصلاة (٢١١/١) من طريق سعيد بن قتيبة ، عن بكر بن مضر عن ابن عجلان ، عن سعيد المقبري عن عمر بن الحكم عن عبد الله بن عَنَمَةَ المزني عن عمار بن ياسر .. به واسناده حسن ورجاله ثقات كلهم .

(٤) الواو ساقطة من (ق) والأثر ذكره البغوي في التفسير (٤٩٢/١) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ولم أجده عن غيره .

(٥) في (س) « كما » .

(٦) في (س) « كثيراً » .

(٧) في (ق) والسرقة في الأولى و في (س ، ط ، ف) بالواو في الموضع الثاني .

(٨) في « ف » (نزع) .

(٩) « منه » مثبتة من (هـ ، س ، ط) وسقطت من بقية النسخ .

(١٠) سبق تخريجه (ص : ١٤) من هذه الرسالة .

(١١) في (م ، ح ، ق) « كما وصفهم الله تعالى » .

بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُبْصِرُونَ ﴾[(١)] [الأعراف:٢٠١] [(٢)]// فإذا طاف بقلوبهم طائف[(٣)] من الشيطان تذكروا ، فيبصرون// .

قال سعيد بن جبير[(٤)] : « هو الرجل يغضب الغضبة ، فيذكر الله ، فيكظم الغيظ»[(٥)] وقال [ليث[(٦)]] عن مجاهد : « هوالرجل يهم بالذنب ، فيذكر الله فيدعه »[(٧)] والشهوة والغضب مبدأ السيئات ، فإذا أبصر رجع . ثم قال : ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٢] أي : وإخوان[(٨)] الشياطين تمدهم الشياطين في الغي ، ثم لا يقصرون قال ابن عباس - رضي الله عنهما - / « لا الإنس تقصر عن السيئات ، ولا الشياطين [١٠/ب] تمسك عنهم[(٩)] » .

فإذا لم يبصر يبقى[(١٠)] قلبه في [غي][(١١)] والشيطان يمده في غيه ، وإن كان التصديق في قلبه[و[(١٢)]] لم يكذب ، فذلك النور والإبصار ، وتلك الخشية والخوف ، تخرج[(١٣)] من

---

(١) في هامش (أ) زيادة ﴿ واخوانهم يمدهونهم في الغي ثم لا يقصرون ﴾ . [الأعراف : ٢٠١] .

(٢) ما بين العلامتين // ———— // يوجد بهامش (أ) .

(٣) في (م ، ق ، ح ، هـ) « طيف » .

(٤) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي ، أبومحمد تابعي ،ثقة ثبت فقيه تتلمذ على ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره من الصحابة ، وأرسل عن كثير منهم ، روى له الجماعة ، قتله الحجاج بن يوسف صبراً ، سنة ٩٠هـ . انظر : طبقات ابن سعد (٢٥٦/٦) ، سير أعلام النبلاء (٣٢١/٤) تهذيب التهذيب (١١/٤) .

(٥) أخرجه الطبري في التفسير (١٠٨/٩) والبغوي في التفسير (٢٢٥/٢) .

(٦) في (أ) ابن عيينه عن مجاهد ، وفي (م) وعن مجاهد ، وفي (س) الليث عن مجاهد ، والمثبت من (ح ، هـ) وليث هو ليث بن أبي سليم بن زنيم أبو بكرالقرشي ، ويقال أبو بكر مولاهم الكوفي ، صدوق اختلط جدا ، ولم يتميز حديثه فترك ، معدود من صغار التابعين ، وهو من محدثي الكوفة وعلمائها ، روى عن أبي بردة والشعبي ومجاهد وروى عنه الثوري ، وشعبة والفضيل بن عياض مات سنة ١٤٨هـ . انظر : الجرح والتعديل (١٧٧/٧) ، سير أعلام النبلاء (٦ / ١٧٩) تهذيب التهذيب (٤٦٥/٨) التقريب (ص ٢ / ٤٦٤) .

(٧) انظر : قول مجاهد عند الطبري في التفسير (١٠٧/٩ ، والبغوي في التفسير (٢٢٥/٢) .

(٨) في (س) « اخوانهم » .

(٩) لم أجد قول ابن عباس مسندا ، وانما ذكره ابن الجوزي في تفسيره (١١٣/٣) وابن كثير في تفسيره (٢٧١/٢) معلقا عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وهو عند الطبري (١٠٨/٩) كذلك معلقا .

(١٠) في (هـ) « بقى » .

(١١) المثبت من (ح ، مح ، م) وفي (أ ، ف ، س) « عمى » وفي (هـ) « غمر » .

(١٢) « الواو » مثبتة من (ق) .

(١٣) ما أثبت من (أ) وفي بقية النسخ « يخرج » .

قلبه ، وهذا ، كما أن الإنسان يغمض عينيه فلا يرى [شيئا][1] وإن لم يكن أعمى //[2]فكذلك القلب بما يغشاه من رين[3] الذنوب لا يبصر الحق ، وإن لم يكن أعمى // كعمى الكافر .

وهكذا جاء في الآثار[4] . قال أحمد بن حنبل في كتاب « الإيمان »[5] حدثنا يحيى ، عن أشعث ، عن الحسن ، عن النبي ﷺ قال: « **ينزع منه الإيمان ، فإن تاب أعيد إليه** »[6] .

وقال : حدثنا يحيى ، عن عوف قال : قال الحسن : « **يجانبه الإيمان ما دام كذلك ، فإن راجع راجعه الإيمان** ».

وقال أحمد : حدثنا معاوية[7] عن أبي إسحاق[8]، عن الأوزاعي ، قال : « وقد قلت

---

(١) « شيئاً » مثبتة من (ق ، ح ، مح ، م ، ط) وساقطة من بقية النسخ .

(٢) ما بين العلامتين //ـــــ// ساقط من (س) .

(٣) في (ف) « الآن » ، ورين الذنوب ما يغلب على القلوب ويغطيها . قال المفسرون : لماكثرت معاصيهم وذنوبهم أحاطت بقلوبهم . انظر : زاد المسير (٩ / ٥٦) .

(٤) في (ف) « الأثر » .

(٥) توجد منه نسخة في المتحف البريطاني مخطوطات شرقية برقم (٢٦٧٥) انظر تاريخ التراث لفؤاد سزكين (٢٠٦/٢) ، وذكر محقق كتاب مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى (ص : ١٦) ان الشيخ حمد الجابري بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، يقوم بتحقيقه .

(٦) والحديث لم أعثر عليه في كتاب الايمان للإمام أحمد ، لكن أخرجه في المسند (٣٨٦/٢) عن : الحسن عن عطاء عن أبي هريره ـ رضي الله عنه ـ فيه : « ينزع منه الايمان ، فإن تاب تاب الله عليه » وهو مرسل صحيح الاسناد ، وله شاهد صحيح أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه (٢٢٢/٤) من طريق اسحاق بن سويد الرملي حدثنا ابن أبي مريم ، أخبرنا نافع ـ يعني ابن يزيد الكلاعي ـ قال : حدثني ابن لهّاد ، أن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، حدثه أنه سمع أبا هريره ـ رضي الله عنه ـ يقول : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « إذا زنا الرجل ، خرج منه الإيمان ، وكان عليه كالظلة فإذا انقطع رجع إليه الإيمان » . وأخرجه الحاكم في المستدرك بسنده من طريق ابن ابي مريم ....به (٢٢/١) .

(٧) في هامش (م) « أبو معاوية » وفي (س) « ابن معاوية » والمثبت من (أ) وباقي النسخ ، ومعاوية هو معاوية بن عمرو ابن المهلب بن عمرو الأزدي المقني أبو عمرو البغدادي ، ويعرف بابن الكرماني ـ ثقة من صغار التاسعة روى عن أبي اسحاق الفزاري والمسعودي ، وروى عنه البخاري واحمد وابن أبي شيبة ، وأبو خيثمة . انظر : طبقات ابن سعد (٢٤١/٧) سير أعلام النبلاء (٢١٤/١٠) تهذيب التهذيب(٢١٥/١٠) التقريب (١١٣/١) .

(٨) هو إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حفص بن حذيفة الفزاري الشامي الإمام ، ثقة حافظ صاحب التصانيف روى عن : أبي اسحاق السبيعي ، وهشام بن عروة ، وسليمان الأعمش ، وروى عنه الأوزاعي والثوري وابن المبارك ، مات سنة ١٨٥هـ انظر : تاريخ الثقات للعجلي (ص : ٥٤) ، سير أعلام النبلاء (٥٣٩/٨) تهذيب التهذيب (٥١/١) .

للزهري - حين ذكر [هذا][(١)] الحديث : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** » - فإنهم يقولون : فإن لم [يكن[(٢)]] مؤمنا فما هو ؟ قال : فأنكر ذلك ، وكره مسألتي عنه[(٣)] » .

وقال أحمد : « حدثنا[(٤)] عبد الرحمن بن مهدي ،عن سفيان عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال لغلمانه : « من أراد منكم [الباءة][(٥)] زوجناه، و[(٦)] لا يزني منكم زان إلا نزع الله منه نور الإيمان ، فإن شاء أن يرده رده ، وإن شاء أن يمنعه منعه[(٧)] »[(٨)] .

وقال أبو داود //السجستاني[(٩)] : حدثنا عبد الوهاب بن نجدة ، حدثنا بقية بن الوليد // حدثنا صفوان ابن عمرو ، عن عبد الله بن ربيعة الحضرمي : أنه أخبره عن أبي هريرة أنه كان يقول : « إنما الإيمان كثوب أحدكم يلبسه مرة ويقلعه[(١٠)] أخرى »[(١١)] ، وكذلك رواه

---

(١) « هذا » ساقطة من (أ) ومثبتة في بقية النسخ .

(٢) في (أ) « تكن » والمثبت من بقية النسخ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحليه (٣٦٩/٣) واسناده صحيح .

(٤) « حدثنا » ساقطة من (س) .

(٥) في (أ ، س) « الباه » والمثبت من باقي النسخ .

(٦) « الواو » ساقطة من (س ، مح ، ف ، هـ) .

(٧) « منعه » توجد بهامش (أ) وتوجد زيادة في (أ ، س) « وفي الصحيح عن ... » ثم بياض ثم « قال أبو داود » .

(٨) أخرجه ابن أبي شيبه في كتاب الإيمان (ص : ٣٢) من طريق ابن مسهر عن سفيان عن ابراهيم بن المهاجر عن مجاهد، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - فذكره . واسناده فيه : إبراهيم بن المهاجر ، وهو البجلي ، صدوق لين الحفظ ،كما قال الحافظ في التقريب (٤٤/١) ، وقد احتج به مسلم ، لكن يعضده : ما رواه أيضا ابن أبي شيبه في الايمان (ص :٢٢) من طريق عبدالله بن نمير أخبرنا فضيل بن غزوان ، أخبرنا عثمان بن أبي صفية الأنصاري قال: قال عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - ... فذكره، وإسناده صحيح ، ورجاله ثقات غير عثمان بن أبي صفية - ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٥٤/٦) وقال : روى عن ابن عباس ، وروى عنه فضيل بن غزوان ، ولم يذكر فيه لا جرحاً ولا تعديلاً .

(٩) ما بين العلامتين // — // ساقط من (س) .

(١٠) في هامش (ف) و « يخلعه » وفي (س) « ويقلعه مرة أخرى » بزيادة مرة .

(١١) هذا إسناد حسن رجاله موثوقون كلهم ، وبقية بن الوليد، قد صرح بالتحديث فزال ما يخشى من تدليس ، لأن بقية - كما هو معروف - حسن الحديث ،وكان يدلس ، وقد صرح بالتحديث هنا وله شاهد بلفظ : « أن الايمان سربال يسربله الله من يشاء فإذا زنى العبد نزع منه سربال الايمان فإن تاب رُدَ عليه » ذكره الألباني في ضعيف الجامع ٣٨/٢) وذكر أن السيوطي عزا اخراجه للبيهقي ورمزا إلى ضعفه ، وذكره الديلمي في فردوس الأخبار (١٤٩/١) ولم يذكر قائله .

بإسناده عن [عمر][(١)] وروي عن الحسن عن النبي - ﷺ مرسلا[(٢)] وفي حديث عن أبي هريرة [مرفوعاً][(٣)] إلى النبي - ﷺ - : « **إذا زنى الزاني خرج منه الإيمان فكان كالظلة ، فإذا انقلع رجع إليه الإيمان** »[(٤)]. وهذا إن شاء الله يبسط في موضع آخر .

(١) في (أ ، ف ، س ، ق) عن « عمرو » والمثبت من بقية النسخ . انظر : سنن أبي داود (٣٣/٧) .

(٢) لم أجده عن الحسن .

(٣) المثبت من (ف) ، وفي بقية النسخ مرفوع بدون تنوين .

(٤) سبق تخريجه في الصفحة السابقة .

فصل

وجوب الرجوع إلى الله ورسوله عند النزاع وأن ذلك من الإيمان [١١/أ]

وقد جاءت أحاديث تنازع الناس في صحتها ، مثل قوله [ﷺ][(١)] : « لا صلاة إلا بوضوء ، ولا وضوء لمن لم يذكر / اسم الله عليه »[(٢)] .

---

(١) المثبت من (س) وساقطة من باقي النسخ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة باب التسمية على الوضوء (٢٥/١) من طريق : قتيبة ابن سعيد ، حدثنا محمد ابن موسى ، عن يعقوب بن سلمة عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعا ... به ، واسناده ضعيف ، بسبب الانقطاع بين يعقوب بن سلمة ، وأبيه وبين أبيه وبين أبي هريره . قال البخاري : لا يعرف له سماع من أبيه، ولا لأبيه من أبي هريرة . انظر : تهذيب التهذيب (٤٣/١١) .

ويعقوب بن سلمه هو الليثي روى عنه أبو داود ، وابن ماجه . قال الحافظ : مجهول الحال . وأخرجه أيضاً من طريق محمد بن موسى به ، أحمد في المسند (٤١٨/٢) .

ومن طريق أخرى عنده في المسند (٧٠/٤) من طريق الهيثم بن خارجة قال حدثنا حفص بن ميسره عن ابن حرملة عن أبي ثِغال المُري أنه قال : سمعت رباح بن عبد الرحمن بن حويطب يقول : حدثتني جدتي ، أنها سمعت أبا هريرة - رضي الله عنه - يقول : سمعت النبي - ﷺ - ... فذكره .

وأخرجه أيضا في المسند (٣٨٢/٥) بسنده من طريق أبي ثغال المري به ، وكذلك في (٣٨١/٦) ومدار الحديث كما هو واضح على أبي ثِعال المري عن رباح بن عبدالرحمن بن حويطب ، عن جدته وأبو ثغال بكسر الثاء هو ثمامة بن وائل بن حصين ، مشهور بكنيته قال البخاري : في حديثه نظر ، وقال أبو حاتم وأبو زرعة : مجهول وشيخه رباح بن عبدالرحمن قال الحافظ : مقبول ، وهذا يعني ان كان له متابع ، وإلا فهو لين الحديث ، خاصة بعد قول أبي حاتم وأبي زرعه أنه مجهول ، وعلى هذا فالحديث بهذا الاسناد ضعيف ايضا . انظر : التهذيب (٣٠/٢) ، تاريخ البخاري (١ / ٥ /١٤٢٠) ، الجرح والتعديل (٤٩٧/٢، ٤٨٩/٣) . وقد أخرج آخر الحديث : « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » كل من : الترمذي في العلل الكبير (١٠٩/١) ، وفي سننه ، كتاب الطهارة باب التسمية عند الوضوء (٢٠/١) وابن ماجة في كتاب الطهارة ، باب ما جاء في التسمية في الوضوء (١٤٠/١) ، والحاكم في المستدرك (٢٧٠/٤) ، والبيهقي في السنن (٤٣/١) والدارقطني في السنن (٧٣/١) جميعهم من طريق أبي ثغال المري عن رباح عن جدته عن أبيها وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل الصحابي المشهور، كما ذكره الحافظ في التهذيب (٣٤/٤) .

والحديث أعله ابن ابي حاتم في العلل (٥٢/١) برباح بن عبد الرحمن وقال : في حديثه ضعف ، وقال الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - حديث سعيد بن زيد اسناده جيد ، فأبو ثغال ذكره ابن حبان في ثقاته ، وقال : في القلب من حديثه هذا فإنه اختلف فيه عليه ، ورباح بن عبد الرحمن ذكره ابن حبان ايضا في ثقاته ، وذكر قول الحافظ في التلخيص الحبير عنه . والظاهر أن مجموع الأحاديث منها قوة تدل على أن له أصلاً ، وقال أبو بكر بن أبي شيبه : ثبت لنا أن النبي - ﷺ - قاله . انظر : كلامه في تعليقه على سنن الترمذي (٣٨/٨) وتلخيص الحبير للحافظ بن حجر (١/ ٢٦٥) .

أقول ما ذكره الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - من تحسينه لهذا الحديث بهذا الإسناد فيه نظر لقوة سبب الضعف وهو الجهالة وقال : قال الإمام أحمد : لا أعلم في هذا الباب حديثا له اسناد جيد ، وأما كون الحديث له أصل بسبب مجموع الطرق فهذا لا إشكال فيه .

فأما الأول : فهو[(١)] كقوله : « لا صلاة إلا بطهور »[(٢)] وهذا متفق عليه بين المسلمين ، فإن الطهور واجب في الصلاة ، فإنما نفي الصلاة لانتفاء واجب فيها ، وأما ذكر [اسم][(٣)] الله تعالى[(٤)] على الوضوء ، ففي وجوبه نزاع معروف ، وأكثر العلماء لا يوجبونه ، وهو مذهب مالك، وأبي حنيفة، والشافعي وهو إحدى الروايتين عن أحمد[(٥)]، اختارها الخرقي[(٦)] وأبو محمد[(٧)] وغيرهما . والثاني : يجب وهوقول طائفة من أهل العلم ، وهو الرواية الأخرى

= لكن ما نوع هذا الأصل من حيث القبول والرد ؟ وعلى كل حال فإن مبدأ التسمية وذكر اسم الله في الأعمال جميعها ، ومنها الوضوء قد دل عليها ما جاء في سنة النبي - ﷺ - القوليه والعملية الثابتة في غير هذا الحديث ، والطهور للصلاة ثابت بالنصوص الأخرى ومتفق عليه بين المسلمين .

(١) « فهو » توجد بهامش (ف) .

(٢) لا يوجد حديث بهذا اللفظ ، وانما جاء ما يدل على ذلك منه :
الحديث الذي أخرجه مسلم في كتاب الطهارة باب وجود الطهارة للصلاة (١/٢٠٤) عن ابن عمر - رضي الله عنهما - بلفظ : "لا تقبل صلاة بغير طهور ، ولا صدقة من غلول" وما أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة باب فرض الوضوء (١/١٦) من طريق بن ابراهيم، حدثنا شعبة ، عن قتادة، عن ابن أبي المليح ، عن أبيه عن النبي - ﷺ - قال: « لا يقبل الله - عز وجل - صدقة من غلول ، ولا صلاة بغير طهور » ، وإسناده صحيح ، ورجاله ثقات كلهم

والترمذي في كتاب الطهارة باب ما جاء : لا تقبل صلاة بغير طهور (١/٥) من طريق قتيبة بن سعيد حدثنا أبو عوانة عن سماك بن حرب ح وحدثنا هنّاد حدثنا وكيع عن اسرائيل عن سماك عن مصعب بن سعد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - قال : « لا تقبل صلاة بغير طهور »، واسناده صحيح ورجاله موثقون كلهم .

(٣) « اسم » ساقط من (أ ، ح ، هـ ، ق) ومثبت من بقية النسخ .

(٤) « تعالى » ساقطة من (ف ، س ، ق) .

(٥) انظر : المبسوط للسرخسي (١/٥٥) ، المجموع للنووي (١/٣٤٤) ، الخرشي علي خليل (١/١٨٨) ، المغني لابن قدامه (١/٨٤) .

(٦) هو : عمر بن الحسين بن عبد الله البغدادي أبو القاسم الخراقي شيخ الحنابلة صاحب المختصر المشهور في مذهب الإمام أحمد والذي شرحه موفق الدين ابن قدامه في كتابه « المغني » وله شروح كثيرة .
تفقه بوالده الحسين ، صاحب المروذي وصنف تصانيف كثيرة ولكنهااحترقت لما ترك بغداد حين ظهر فيها الرافضة وظهر بها سب الصحابة ، قدم دمشق وبها توفى سنة ٣٣٤ هـ انظر : تاريخ بغداد (١١/٢٣٤) ، طبقات الحنابلة (٢/٧٥) ، سير أعلام النبلاء (١٥/٣٦٣) .

(٧) هو موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي أبومحمد الحنبلي ولد سنة ٥٤١هـ رحل لطلب العلم ودخل بغداد هو والحافظ عبدالغني المقدسي وسمعا من الشيخ عبد القادر ومن هبه الله بن الحسن الدقاق ، وأبي الفتح بن البطي ومن أبي المكارم بن خلال ، وغيرهم وسمع منه ابن نقطة ، والضياء المقدسي وأبو شامه وغيرهم ، وكان عالم أهل الشام في زمانه من بحور العلم واذكياء العالم صنف المغني والكافي والمقنع في الفقه وغيرها كثير ، توفى سنة ٦٢٠هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٢/١٦٥) ذيل طبقات الحنابلة (٢/١٣٣) شذرات الذهب (٥/٨٨) .

عن أحمد ، اختارها أبو بكر عبدالعزيز[(١)] ، والقاضي أبو يعلى[(٢)] وأصحابه[(٣)] وكذلك قوله : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد »[(٤)] رواه الدارقطني ، فمن الناس من يضعفه مرفوعاً

(١) هو أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد يزداد البغدادي الفقيه من تلاميذ أبي بكر الخلال المعروف بغلام الخلال ولد سنة ٢٨٥هـ سمع منه : محمد بن عثمان بن أبي شيبة وموسى بن هارون والفضل بن الحباب الجمحي وقيل انه سمع من عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وحدث عنه أحمد بن جنيد الخطبي، وبشرى بن عبد الله الفاتني وغيرهم، وتفقه به ابن بطة ، وابن شاقلا وأبو عبد الله بن حامد ، له كتاب الشافي والمقنع والخلاف مع الشافعي. توفى سنة ٣٦٣هـ . انظر : تاريخ بغداد (٤٥٩/١٠) ، طبقات الحنابلة (١١٩/٢) سير أعلام النبلاء (١٤٣/١٦).

(٢) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي القاضي أبو يعلي الفراء شيخ الحنابلة، ولد سنة ٣٨٠هـ وسمع من علي بن عمر الحربي ، واسماعيل بن سويد ،وأباالقاسم بن حبابه ، وحدث عنه الخطيب البغدادي وأبو الخطب الكلواذاني وأبو الوفاء بن عقيل . انتهت اليه الإمامة في الفقه وكان عالم العراق في زمانه ومن فحول العلماء في الأصول والفروع وسائر الفنون، تولى القضاء وله مصنفات كثيرة منها: الأحكام السلطانية، شرح العدة مسائل الايمان ، توفى سنة ٤٥٨هـ . انظر : تاريخ بغداد (٢/ ٢٥٦) ، طبقات الحنابلة (٢/ ١٩٣) سير أعلام النبلاء (١٨ / ٨٩) .

(٣) انظر الروايات عن أحمد في : الانصاف في بيان الراجح من الخلاف للمرداوي (١٢٨/١) ، المغني لابن قدامة (٨٤/١) .

(٤) أخرجه الدارقطني في السنن (٤٢٠/١) من طريق أبي حامد محمد بن هارون الحضرمي ، حدثنا أبو السكين الطائي ، زكريا بن يحيى ح وحدثنا محمد بن مخلد حدثنا جنيد بن حكيم حدثنا أبو السكين الطائي حدثنا محمد بن سكين الشقري المؤذن أخبرنا عبد الله بن بكير الغنوي عن محمد بن سوقه عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعا ... به . والإسناد ضعيف ، فيه : محمد بن سكين ، قال البخاري : فيه نظر وقال الذهبي : لا يعرف وحديثه منكر . انظر : التاريخ الكبير (١١١/١/١) ، والميزان (٥٦٧/٣) .
وفيه كذلك عبد الله بن بكير الغنوي ، قال عنه الذهبي : ضعيف . انظر : الميزان (٣٩٩/٢) . وأخرجه أيضا من طريق أبي يوسف يعقوب بن عبد الرحمن المُذَكِّر ، حدثنا أبو يحيى العطار محمد بن سعيد بن غالب ، حدثنا يحيى بن اسحاق ، عن سليمان بن داود اليمامي ، عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا .... به .
واسناد هذا ضعيف أيضاً، فيه : أبي يوسف يعقوب بن عبدالرحمن المذكر المعروف بالجصاص ، قال عنه الخطيب : في حديثه وهم كثير ، وفيه سليمان بن داود اليمامي ، ضعيف جدا ، قال عنه البخاري : منكر الحديث ، وقال ابن حبان : متروك الحديث ، انظر تاريخ بغداد (٢٩٤/١٤) الميزان (٤٥٣/٢) ، التاريخ الكبير (١١/٢/٢) ، المجروحين (٣٣٤/١) .
وأخرجه من طريق يعقوب بن إبراهيم البزاز حدثنا الحسن بن عرفه ، حدثني المطلب بن زياد ، عن أبي إسحاق السبيعي عن الحارث عن علي ـ رضي الله عنه ـ موقوفاً .... به .
واسناده ضعيف جدا ، فيه الحارث وهوالأعور ، وهو ضعيف لا يحتج به .

ويقول : هو من كلام علي رضي الله عنه ، ومنهم من يثبته كعبد الحق(١) وكذلك قوله : « **لا صيام لمن لم يُبَيّت الصيام من الليل** »(٢) . قد رواه أهل السنن .

وقيل :(٣) إن رفعه لم يصح ، وإنما يصح موقوفاً(٤) على ابن عمر أو حفصة ، فليس لأحد أن يثبت لفظا عن الرسول [ﷺ](٥) مع أنه أريد به نفي الكمال المستحب(٦)، فإن [صحت(٧)] هذه الألفاظ دلت قطعا على وجوب هذه الأمور ، و(٨) إن لم تصح فلا ينقض(٩) بها أصل مستمد(١٠) من الكتاب والسنة ، وليس لأحد أن يحمل كلام الله ورسوله على //(١١) مذهبه، إن لم يتبين من كلام الله ورسوله(١٢) ما// يدل على مراد الله ورسوله ،

---

(١) هو عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبدالله بن الحسين بن سعيد الأزدي الأندلسي الاشبيلي ، أبو محمد المعروف بابن الخراط ، ثقة حافظ امام ، صاحب التصانيف البديعية منها : الأحكام الصغرى والكبرى بأسانيده توفى سنة ٥٨١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١ /١٩٨) تذكرة الحفاظ (١٣٥٠/٤)، فوات الوفيات لابن شاكر (٢٥٦/٢) .

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الصيام باب النية في الصيام (١٩٦/٤) من طريق القاسم بن زكريا بن دينار قال : حدثنا سعيد بن شرحبيل قال : أنبأنا الليث عن يحيى بن أيوب عن عبدالله بن أبي بكر ، عن سالم بن عبدالله عن عبدالله بن عمر عن حفصة عن النبي - ﷺ - قال .. فذكره ، وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات .
وأخرجه أيضا من طريق عن : سالم بن عبدالله عن أبيه عن حفصة مرفوعا به (١٩٦/٤) ، واخرجه كذلك من طريق محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا معتمر قال سمعت عبيد الله بن شهاب ، عن سالم عن عبدالله عن حفصة انها كانت تقول : من لم يجمع الصيام من الليل ... الحديث ، وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ، وابن شهاب قد سمع من سالم بن عبد الله ، وأخرجه أيضاً من طرق عن ابن شهاب عن حمزة بن عبدالله عن عبد الله بن عمر عن حفصة ... به، وحمزة بن عبد الله هو ابن عمر بن الخطاب يكنى بأبي عمارة ثقة، روى عنه الزهري وروى عن أبيه . انظر : التاريخ الكبير (٢//٤٨١١) تهذيب التهذيب (٢٧/٢) ثقة ، وأخرجه الدارمي في كتاب الصوم باب من لم يجمع الصوم من الليل (٣٣٩/١) .

(٣) في (س) « انه لم يصح رفعه ».

(٤) في (س) « مرفوعاً » .

(٥) « - ﷺ - » مثبتة من (س) .

(٦) « المستحب » ساقطة من (ف) .

(٧) في (أ) « فإن صحة » والمثبت من باقي النسخ .

(٨) المثبت من (أ ، ف) « بالواو » وفي بقية النسخ « بالفاء » .

(٩) في (س) « ينقص » .

(١٠) المثبت من (أ ، ح) وفي (س ، ق ، هـ ، هامش ف) « مستقر » وفي (ف) « متضمن » .

(١١) ما بين العلامتين //ـــ// يوجد بهامش (أ) .

(١٢) في (ح) « وكلام رسوله » .

وإلا فأقوال العلماء تابعة لقول الله [تعالى][(١)] ورسوله - ﷺ - ، ليس قول الله ورسوله تابعاً لأقوالهم.

لا ينقض كلام الله ورسوله بقول فيه نزاع بين العلماء

فإذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء ، ولفظ الشارع قد اطّرد في معنى ، لم يجز أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله ورسوله ، بقول[(٢)] فيه نزاع بين العلماء ، ولكن من الناس من لا يعرف مذاهب أهل العلم ، وقد نشأ على قول لايعرف غيره ، فيظنه إجماعا كمن[(٣)] يظن أنه إذا ترك الإنسان الجماعة وصلى وحده برئت ذمته إجماعا ، وليس الأمر كذلك ، بل للعلماء قولان معروفان في إجزاء[(٤)] هذه الصلاة .

وفي مذهب أحمد فيها[(٥)] قولان : فطائفة[(٦)] من قدماء أصحابه حكاه عنهم القاضي أبو يعلي في شرح المذهب ، ومن تأخر منهم[(٧)] كابن عقيل[(٨)] وغيره يقولون : من صلى المكتوبة / [١١/ب] وحده من غير عذر يُسَوِّغُ له ذلك ، فهو كمن صلى الظهر يوم الجمعة ، فإن أمكنه أن يؤديها في جماعة بعد ذلك فعليه ذلك ، وإلا باء بإثمه ، كما يبوء تارك الجمعة بإثمه ، والتوبة معروضة ، وهذا قول غيرواحد من أهل العلم[(٩)] ، وأكثر الآثار المروية عن السلف من

---

(١) « تعالى » ساقة من (أ ، ح ، ف ،س) ومثبتة في باقي النسخ .

(٢) في (س) « يقع فيه » .

(٣) في (م) « كما » .

(٤) في (س) « آخر » .

(٥) « فيها » ساقطة من (س) .

(٦) في (م ، ح) « وطائفة » « بالواو » .

(٧) في (س ، ط) « ومن متأخريهم » .

(٨) هو شيخ الحنابلة أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري الحنبلي المتكلم ، صاحب التصانيف ومن أشهرها كتاب الفنون في ٤٠٠ مجلد كما قاله الذهبي ، وكتاب الجدل وكتاب الواضح في أصول الفقه أخذ عليه تردده ومخالطته لأهل البدع من المعتزلة وغيرهم ، وتعظيمه لهم ثم أظهر التوبة بعد ذلك ورجع عن مخالطتهم توفى سنة ٥١٣هـ . انظر : طبقات الحنابلة (٢/٢٥٩) ، وذيلها (١/١٤٢) ، سير أعلام النبلاء (١٩/٤٤٣) لسان الميزان (٢٤٣٤) .

(٩) انظر تحقيق المسألة في الانصاف للمرداوي (١/٤٠٤) والمغني لابن قدامة (٢/١٧٧) وكشاف القناع للبهوتي (١/٥٣٢) والمجموع شرح المهذب للنووي (٤/٨٨) وبداية المجتهد لابن رشد (١/١٣٦) .

الصحابة والتابعين تدل على هذا ، وقد احتجوا بما ثبت عن [النبي][(١)] - ﷺ - أنه قال : « **من سمع النداء ثم لم يجب من غير عذر ، فلا صلاة له** »[(٢)] وأجابوا عن حديث التفضيل[(٣)] بأنه في المعذور الذي يباح[(٤)] له الصلاة وحده، كما ثبت عنه أنه[(٥)] قال: «**صلاة الرجل قاعدا على النصف من صلاة القائم، وصلاة المضطجع**[(٦)] **على النصف من صلاة القاعد** »[(٧)] والمراد به[(٨)] المعذور ، كما في الحديث أنه خرج وقد أصابهم [وعك][(٩)] وهم يصلون قعودا فقال ذلك[(١٠)] ، ولم يجوّز[(١١)] أحد من السلف صلاة التطوع مضطجعا من غير عذر ، ولا يعرف أن أحدا من السلف فعل ذلك ، وجوازه وجه في مذهب الشافعي ، وأحمد[(١٢)]، ولا يعرف لصاحبه سلف صدق، مع أن هذه المسألة مما تعم به البلوى[(١٣)] ، فلو كان يجوز لكل[(١٤)]

---

(١) المثبت من (ف) وفي (أ) وبقية النسخ «عنه » .

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب المساجد ، باب التغليظ في التخلف عن الجماعة (٢٦٠/١) من طريق عبد الحميد بن بيان الواسطي ، أنبأنا هشيم عن شعبة عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - قال .... الحديث . وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ، وأخرجه أيضا من طرق عن عبد الحميد بن بيان به : ابن حبان في موارد الظمآن (ص : ١٢٠) ، الحاكم في المستدرك (٢٤٥/١) .

(٣) لعل المؤلف - رحمه الله- يشير إلى حديث عبد الله بن عمر ، وأبي هريره - رضي الله عنهما - المشهور : « صلاة الجماعة تفضل من صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءاً » الذي أخرجه مالك في الموطأ (٩٨/١) ، والدارمي في كتاب الصلاة (٣٢٩/١) ، والبخاري في كتاب الصلاة (٦٦/١) ، ومسلم في كتاب الصلاة باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها (٤٤٩/١) .

(٤) في (ق ، هـ ، ف) « تباح » .

(٥) « أنه » ساقطة من (ف) .

(٦) في (مح) « القاعد » .

(٧) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب في صلاة القاعد (٢٥٠/١) من طريق مسدد حدثنا يحي عن حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - قال ..... الحديث . وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ، وأخرجه من طرق عن حسين بن ذكوان المعلم كل من : الترمذي في كتاب المواقيت باب ما جاء أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم (٢ / ٢٠٧) ، والنسائي في كتاب قيام الليل باب فضل صلاة القائم على صلاة القاعد (٣ / ٢٢٣) ، وابن ماجه في كتاب اقامة الصلاة باب صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم (٣٨٨/١) وأحمد في المسند (١١٢/٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٣) .

(٨) في (س) « من » بدل « به » .

(٩) المثبت من (ف ، ق ، س) وفي (أ) وفي بقية النسخ « وعل » .

(١٠) في (س) « ذالكم » .

(١١) في (س) « يُجزْ » .

(١٢) الواو مثبتة من (م ، هـ ، س) وساقطة من بقية النسخ .

(١٣) في (هـ) « بها » والمقصود بما تعم به البلوى ، هو ما يتكرر وقوعه. انظر : المنخول للغزالي (ص : ٢٨٥) فواتح الرحموت للأنصاري (١٢٨/١) .

(١٤) « لكل مسلم » توجد بهامش (ق) .

مسلم أن يصلي التطوع على جنبه وهو صحيح لا مرض به ،[كما [١] يجوز] له أن يصلي التطوع قاعدا وعلى الراحلة ، لكان هذا مما قد بيّنه الرسول ـ [ﷺ][٢] ـ لأمته وكانت[٣] الصحابة تعلم ذلك ، ثم[٤] مع قوة الداعي إلى الخير لابد أن يفعل ذلك بعضهم ، فلما لم يفعله أحد منهم دل [ذلك][٥] على أنه لم يكن مشروعا عندهم، وهذا مبسوط في موضعه[٦].

يجب حمل كلام المتكلم على مراده لا على ما يحتمله لفظه

والمقصود هنا : أنه ينبغي للمسلم أن يُقَدِّر قَدْرَ كلام الله ورسوله ، بل ليس لأحد أن يحمل كلام أحد[٧] من الناس إلا على ماعرف أنه أراده ، لاعلى ما يحتمله ذلك اللفظ في كلام كل[٨] أحد ، فإن كثيرا من الناس يتأول[٩] النصوص المخالفة لقوله ، يسلك مسلك من يجعل التأويل كأنه ذكر مايحتمله اللفظ، وقصده به، دفع ذلك المحتج عليه بذلك النص[١٠] ، وهذا خطأ ، بل جميع ما قاله الله ورسوله يجب الإيمان به ، فليس لنا أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض ، وليس الاعتناء بمراده في أحد[١١] النصين دون / الآخر بأولى من العكس ، [١٢/أ] فإذا كان النص الذي وافقه يعتقد أنه اتبع فيه مراد الرسول[١٢] فكذلك النص الآخر الذي تأوله[١٣]، فيكون أصل مقصوده معرفة ما أراده الرسول[١٢] بكلامه ، وهذا هو المقصود بكل مايجوز[١٤] من تفسيروتأويل عند من يكون اصطلاحه تغاير[١٥] معناهما ، وأما من يجعلهما

---

(١) ما أثبت من (ق) وفي بقية النسخ « لا يجوز » « وله » ساقطة من (س ، هـ ، مح) .

(٢) الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ مثبتة من (س ، ف ، هـ ، ط) .

(٣) في « م » و « كان » .

(٤) « ثم » ساقطة من « ح » .

(٥) « ذلك » مثبتة من « س » . وساقطة من بقية النسخ .

(٦) انظر مجموع الفتاوى للمؤلف ـ رحمه الله (٢٢٢/٢٣ ـ ٢٣٨) حيث بسط الكلام حول حكم صلاة الجماعة ، والخلاف فيها وثمرة ذلك الخلاف .

(٧) « الله » بدل « أحد » في (س) .

(٨) « كل » توجد بهامش (أ ، ح) .

(٩) في (س) « يتناول » .

(١٠) كما هو مسلك أهل البدع والأهواء من الشيعة والجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم .

(١١) « أحد » توجد بهامش (أ) ، وفي (ف) « احدى النصيبين » .

(١٢) في (س) زيادة ـ ﷺ ـ في الموضعين .

(١٣) في (س) « أوّله » .

(١٤) « مايجوز » توجد بهامش (ف) .

(١٥) في (س) « يغاير » .

بمعنى واحد ، كما هو الغالب على اصطلاح المفسرين ، فالتأويل عندهم هو التفسير ، وأما التأويل في كلام الله ورسوله ، فله معنى ثالث غير معناه في اصطلاح المفسرين ، وغيرمعناه في اصطلاح متأخري الفقهاء والأصوليين كما بسط في مواضعه(١) .

والمقصود هنا أن كل مانفاه الله تعالى(٢) ورسوله من مسمى أسماء الأمور الواجبة كاسم الإيمان ، والإسلام ، والدين ، والصلاة، والصيام، والطهارة، والحج وغير ذلك ، فإنما يكون لترك واجب في(٣) ذلك المسمى ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [النساء : ٦٥] فلما نفى الإيمان حتى توجدهذه الغاية ، دل على أن هذه الغاية فرض على الناس ، فمن تركها كان من أهل الوعيد ، لم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذي وعد [الله](٤) أهله بدخول(٥) الجنة بلا عذاب فإن الله تعالى(٦) إنما وعد بذلك ، من فعل ما أُمِرَ به .

يجب تحكيم الرسول في أصول الدين وفروعه وكل ماشجر بين الناس

وأما من فعل بعض الواجبات وترك بعضها ، فهو معرَّض للوعيد ، ومعلوم باتفاق المسلمين أنه يجب تحكيم الرسول في كل ما شجر بين الناس في [أمر](٧) دينهم

---

(١) لا يكاد يخلو كتاب من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية من مناقشة موضوع التأويل حيث تناول ـ رحمه الله ـ موضوع التأويل تناولاً منهجياً يرد فيه على كافة التيارات والطرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في باب التأويل ويقعِّد ويأصل لهذه المسألة سواء أكان لرد التأويل نفسه ، أو للأمور المتعلقة والمتصلة به مثل الكلام على المحكم والمتشابه والكلام على الحقيقة والمجاز، والكلام عن توهم التعارض بين المنقول والمعقول وغير ذلك . انظر في ذلك: درء تعارض العقل والنقل (١/١٤ ـ ١٥) شرح حديث النزول ضمن مجموع الفتاوى (٤/٦٨ ـ ٦٩) الإكليل في المتشابه والتأويل (١٣/٢٨٨-٢٨٩) الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز (٦/٣٦٠) الكلام على الحقيقة والمجاز (٢٠/٤٠٠) وكتابنا هذا (ص : ١٢٨ وما بعدها) وانظر الدراسة الجيدة التي قام بها د / محمد السيد الجلنيد بعنوان « الإمام ابن تيمية وقضية التأويل (ص : ٢٩) وما بعدها فهي دراسة قائمة على فهم صحيح لمنهج شيخ الإسلام وتوضيح كاف شاف لقضية التأويل عند شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ .

(٢) « تعالى » ساقطة من (س ، ط) .

(٣) في (ف ، س ، ط) « من » .

(٤) « لفظ الجلالة » مثبت من (س) وساقط من بقية النسخ .

(٥) « بدخول » ساقطة من (م) .

(٦) « تعالى » مثبت من (أ ، ف ، س ، ق) .

(٧) « أمر » مثبتة من (هـ ، ق ، ط) وساقطة من بقية النسخ .

ودنياهم ، في أصول دينهم وفروعه ، وعليهم كلهم إذا حكم بشيء أن لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما حكم(١) ويسلموا(٢) تسليما ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ [لَهُمْ](٣) تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[النساء٦٠-٦١] وقوله تعالى(٤) : ﴿ إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ وقد أنزل الله الكتاب والحكمة وهي السنة / قال تعالى : [١٢/ب] ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣١] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣] . والدعاء إلى ما أنزل [الله](٥) يستلزم الدعاء إلى الرسول ، والدعاء إلى الرسول يستلزم الدعاء إلى ما أنزل(٦) الله ، وهذا مثل طاعة الله والرسول، فإنهما متلازمان ، فـ ﴿ مَّن [يُطِعِ](٧) الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] ومن أطاع الله فقد أطاع الرسول .

وكذلك(٨) قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [وكل من اتبع(٩) غير سبيل المؤمنين] ﴿ [(١٠)نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾](١٠) [النساء : ١١٥] .

---

(١) في (هـ ، ق) زيادة « به » .

(٢) في (هـ ، س) « يسلموا له » .

(٣) « لهم » ساقطة (أ) ومثبتة من بقية النسخ .

(٤) « تعالى » ساقطة من (ح ، م ، هـ) .

(٥) « لفظ الجلالة » مثبت من (س ، م ، هـ ، ف ، ق) .

(٦) في (هـ) « أنزله » .

(٧) المثبت من « ف » وفي (أ ، م ، ح ، ق) « أطاع » .

(٨) في (مح) و « لذلك » .

(٩) المثبت من (ف) فقط وساقط من بقية النسخ .

(١٠) تكملة الآية ساقطة من (أ) وثابتة في بقية النسخ .

فإنهما متلازمان ، فكل من شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وكل من اتبع غير سبيل المؤمنين ، فقد شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى . فإن كان يظن أنه متبع سبيل المؤمنين وهو مخطئ ، فهو بمنزلة من [يظن][١] أنه متبع للرسول وهو مخطئ . وهذه الآية تدل على أن إجماع المؤمنين حجة . من جهة[٢] أن مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرسول [ﷺ][٣] وأن كل ما أجمعوا عليه ، فلا بد أن يكون فيه نص عن الرسول[٤] .

ما أجمع عليه لا بد أن يشتمل على نص من الرسول

فكل[٥] مسألة يقطع فيها بالإجماع ، وبانتفاء المنازع من المؤمنين ، فإنها مما [بين][٦] الله فيه الهدى ، ومخالف مثل هذا الإجماع يكفر ، كما يكفر مخالف النص [البين][٧] . وأما إذا كان يظن الإجماع و[٨] لا يقطع به ، [فهذا][٩] قد لا يقطع أيضا [بأنه][١٠] مما تبين فيه الهدى من جهة الرسول ، ومخالف مثل[١١] هذا الإجماع قد لا يكفر ، بل قد يكون ظن الإجماع خطأ ، والصواب في خلاف هذا القول ، وهذا هو فصل الخطاب فيما يكفر به من مخالفة الإجماع وما لا يكفر[١٢] والإجماع هل هو قطعي الدلالة أو ظني الدلالة ؟ فإن من

---

(١) ما أثبت من « م » وفي بقية النسخ « ظن » .

(٢) من (ح ، ق) « من جهته » .

(٣) « ﷺ » مثبتة من (س) وساقطة من بقية النسخ .

(٤) يلاحظ أن القول بضرورة مستند للاجماع قد آثار بعض الاعتراضات عند المخالفين من منكري الاجماع فقالوا : «لو اقتصر في كون الاجماع حجه إلى دليل لكان هذا الدليل هو الحجة في اتيان الحكم المجمع عليه » . انظر : أحكام القرآن للشافعي (٣٩/١) ، الأحكام لابن حزم (٤٩٧/١) ، أصول السرخسي (٢٩٦/١) ، المستصفى للغزالي (١١١/١) ، الإحكام للآمدي (٣٢٢/١-٣٤٤) ، المسودة لآل تيمية (٣١٥) ، شرح الكوكب المنير لإبن النجار(٢١٥/٢) .

(٥) في (س) « وكل » بالواو .

(٦) المثبت من (ف ، ، ق ، س) وفي باقي النسخ (يبين) .

(٧) ما أثبت من (ف ، هـ ، س ، ط) وفي بقية النسخ « المبين » ، وهامش (ق) .

(٨) « الواو » ساقطة من (ح) .

(٩) المثبت من (ف ، س) وفي باقي النسخ « فهنا » .

(١٠) المثبت من (م) وفي باقي النسخ « بأنها » .

(١١) « مثل » ساقطة من (س) .

(١٢) انظر حكم منكري الاجماع في: أصول السرخسي (٣١٨/١) المستصفى (١١٠/١) الإحكام للامدي(٨٢/١)، المسودة لآ تيمية (ص: ٣٤٤) ، شرح الكوكب المنير (٢٦٢/٢) ، ارشاد الفحول (ص : ٧٨) .

الناس من يطلق الإثبات بهذا(١) أوهذا ، ومنهم من يطلق النفي لهذا [و(٢)] لهذا ، والصواب التفصيل بين ما يقطع(٣) به من الإجماع / ويعلم يقيناً أنه ليس فيه منازع من المؤمنين أصلا ، [١٣/أ] فهذا يجب القطع بأنه حق ، وهذا لا بد أن يكون مما بيّن فيه الرسول الهدى ، كما قد بسط هذا في موضع آخر(٤) .

(٥)ومن [جهة](٦) أنه إذاوصف الواجب بصفات متلازمة ، دل(٧) على(٨) أن كل صفة من تلك الصفات متى ظهرت ، وجب اتباعها ، وهذا مثل الصراط المستقيم الذي امرنا الله [تعالى](٩) بسؤال هدايته(١٠) ، فإنه(١١) قد وصف بأنه اتباع القرآن ، ووصف بأنه طاعة الله ورسوله ، ووصف بأنه طريق العبودية .

ومعلوم أن كل اسم من هذه الأسماء ، يجب اتباع مسماه ، ومسماها(١٢) كلها واحد وإن تنوعت صفاته ، فأي صفة ظهرت وجب اتباع مدلولها ، فإنه مدلول الأخرى ، وكذلك أسماء الله تعالى(١٣) ، وأسماء كتابه ، وأسماء رسوله ، هي مثل أسماء دينه . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا [تَفَرَّقُو ا] ﴾(١٤) [آل عمران :١٠٣] . قيل : « حبل الله هو(١٥) دين الإسلام » ، وقيل : « [هو](١٦) القرآن » وقيل : « عهده » ، وقيل : « طاعته وأمره »، وقيل [جماعة(١٧) المسلمين] ، وكل هذا حق .

---

(١) في (م ، ط) « بالواو » و « أو » توجد بهامش (أ) .
(٢) الواو مثبتة من (ح ، هـ) وفي بقية النسخ (« أو » .
(٣) في (ح) « يقع » .
(٤) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧١/١٩) ، (١٠/٢٠، ٢٤٧) والمسودة لآل تيمية (ص :٣١٥-٣١٦) .
(٥) الواو ساقطة من « ف » .
(٦) في (أ ، ق) « من جهته » ، وما أثبت من بقية النسخ .
(٧) في (س) « دلت » .
(٨) « على » ساقطة من « س » .
(٩) المثبت من (ح ، م ، س) وساقط من باقي النسخ .
(١٠) كما في قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ [الفاتحة : ٦] .
(١١) « فإنه » ساقطة من (س) .
(١٢) « مسماها » ساقطة من (ح) .
(١٣) « تعالى » ساقطة من (ح) .
(١٤) « ولا تفرقوا » مثبتة من (هـ ، ح ، س) وسقطت من باقي النسخ .
(١٥) « هو » ساقطة من (ف) .
(١٦) المثبت من (س ، ح ، م) .
(١٧) المثبت من (هـ ، س ، ف) ، وفي (أ) « الجماعة المسلمين » و (مح) « جماعة المسلمون » .

وكذلك إذا قلنا : الكتاب والسنة والإجماع ، فمدلول [الثلاثة][1] واحد ، فإن [كل[2] ما] في الكتاب ، فالرسول موافق له ، والأمة مجمعة[3] عليه من حيث الجملة ، فليس في المؤمنين إلا من يوجب اتباع الكتاب [والسنة][4] وكذلك كل ما سنّه الرسول - ﷺ - فالقرآن يأمر باتباعه فيه ، فالمسلمون[5] مجمعون[6] على ذلك // [7]وكذلك كل ما أجمع عليه المسلمون ، فإنه لا يكون إلا حقاً موافقا [7] // لما في الكتاب والسنة ، [8]لكن المسلمون يتلقون دينهم كله عن الرسول ، وأما الرسول فينزل عليه وحي هو القرآن ، ووحي آخر [9]هو الحكمة ، كما قال ﷺ : « **ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه** »[10] .

---

(١) في (أ ، س ، ق) « الثلاث » والمثبت من باقي النسخ .

(٢) في (أ ، س) « فإن كلها » والمثبت من باقي النسخ .

(٣) في (ف ، س) « مجتمعة » .

(٤) « السنة » مثبتة من (ف) وساقطة من بقية النسخ .

(٥) في (هـ) « فالمؤمنون » ، وفي (ق) « والمسلمون » .

(٦) في (س) « يجمعون » .

(٧) ما بين العلامتين //ـــ// ساقط من (ح) .

(٨) في (هـ) « ولكن » بزيادة « واو » .

(٩) في (م) زيادة « واو » قبل « هو » والصواب بدونها .

(١٠) هذا الحديث يروى عن أبي رافع ، وعن المقدام بن معد يكرب - رضي الله عنهما - فأما رواية أبي رافع فأخرجها أبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة (٤ / ٢٠٠) من طريق أحمد بن حنبل وعبد الله بن محمد النفيلي قالا: حدثنا سفيان عن أبي النضر عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن النبي - ﷺ - قال : .... الحديث . وهذا اسناد صحيح ورجاله ثقات كلهم ، وأبو النضر قد روى عن عبيد الله بن أبي أوفى . انظر الكاشف (٣٤٣/١) . وقد أخرجه من طريق سفيان أيضا كل من : الشافعي في الرسالة (ص:٨٩) والمسند (ص:٢٠) ، والترمذي في كتاب العلم باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي - ﷺ - (٣٧/٥) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب تعظيم حديث رسول الله - ﷺ - والحاكم في المستدرك(١٠٨/١، ١٠٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
أما حديث المقدام بن معد يكرب - رضي الله عنه - فقد أخرجه كل من : أبو داود أيضا في كتاب السنة باب لزوم السنة (٢٠٠/٤) من طريق : عبد الوهاب بن نجده ، حدثنا أبو عمرو بن كثير بن دينار عن حريز بن عثمان عن عبدالرحمن بن أبي عوف عن المقدام بن معد يكرب - رضي الله عنه- قال : .... الحديث فذكره .
- وأحمد في المسند (١٣١/٤) ، والدارقطني في السنن (٢٨٦/٤) كلاهما من طريقين عن عبد الرحمن بن أبي عوف .. به ، واسناده صحيح ورجاله ثقات كلهم وأخرجه أيضا :
- الترمذي في كتاب العلم باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي - ﷺ - (٣٨/٥) ، وابن ماجة في المقدمة باب تعظيم حديث النبي - ﷺ - (٦/١) بسنديهما من طريق معاوية بن صالح ، عن الحسن ابن جابر اللخمي ، عن المقدام بن معد يكرب ، رضي الله عنه - مرفوعاً به نحوه ، وقال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه . وهو كما قال : فإن في إسناده معاوية بن صالح ، وهو أبو عمرو وقيل : أبو عبد الرحمن الحضرمي قاضي الأندلس قال عنه الحافظ : صدوق له أوهام ، ووثقه ابن حبان والعجلي ، مات سنة ١٥٧هـ والحسن بن جابر اللخمي ليّن الحديث - لكن قد تابعه عبدالرحمن بن أبي عوف - كما تقدم - . انظر الثقات لابن حبان (٢٨٤/٢، ١٢٥/٤ ، ٤٧٠/٧) التقريب (٢٥٩/٢) .

وقال حسان بن عطية[(١)]: « **كان جبريل[(٢)] ينزل على النبي[(٣)] - ﷺ - بالسنة فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن** »[(٤)]؛ فليس كل ما جاءت به السنة يجب أن[(٥)] يكون مفسراً في القرآن ، بخلاف ما يقوله[(٦)]/ أهل الإجماع ، فإنها لا بد[(٧)] أن يدل عليه الكتاب والسنة ، [١٣/ب] فإن الرسول [ﷺ[(٨)]] هو الواسطة [بينهم][(٩)] وبين الله [تعالى][(١٠)] في أمره ونهيه ، وتحليله[(١١)] وتحريمه ، والمقصود ذكر الإيمان .

ومن هذا الباب قول[(١٢)] النبي - ﷺ - : « **لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر** »[(١٣)].

---

(١) هو حسان بن عطيه المحاربي مولاهم أبو بكر الدمشقي ، تابعي من أفاضل أهل زمانه ، ثقة فقيه عابد ، روى عن أبي امامة وابن المسيب ومحمد بن أبي عائشة ، وروى عنه الأوزاعي وغيره بقى إلى حدود سنة ١٣٠ هـ انظر : تاريخ الثقات للعجلي (ص : ١١٢) ، الثقات لابن حبان (٢٢٣/٦) سير أعلام النبلاء (٤٦٦/٥) تقريب التهذيب (١٦٢/١) .

(٢) في (أ) « عليه السلام » .

(٣) في (س) « الرسول » .

(٤) أخرجه الدارمي في المقدمة ، باب السنة قاضية على كتاب الله (١١٧/١) من طريق : محمد بن كثير عن الأوزاعي عن حسان - فذكره - وهذا اسناد صحيح رجاله ثقات كلهم .
وأخرجه ايضا من طرق عن الأوزاعي ... به كل من : محمد بن نصر المروزي في كتابه تعظيم قدر الصلاة (٢٨/١،١١٦) ، ابن بطة في الابانة الكبرى (١٣٩/٢) اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ص: ٨٣١) الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقّه (٩١/١) .

(٥) في (م) « بأن » .

(٦) في (م) « يقول » .

(٧) « لا بد » ساقط من (س) وفي (م) « لايد أن » بالياء .

(٨) « ﷺ » مثبتة من (س) وساقطة من بقية النسخ .

(٩) المثبت من (ف ، ق) وفي بقية النسخ « بينه » .

(١٠) « تعالى » مثبتة من (هـ) وساقطة من بقية النسخ .

(١١) في (م ، ح) « تحريمه وتحليله » .

(١٢) في (م) « قوله » .

(١٣) أخرجه مسلم في كتاب الايمان ، باب الدليل على أن حسب الأنصار وعليٌّ - رضي الله عنهم - من الايمان (٨٦/١) من حديث أبي هريره - رضي الله عنه - مرفوعا .. به ، وفي رواية أخرى من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - مرفوعا .. به ، وأخرجه من حديث أبي سعيد أيضا :
أحمد في المسند (٤٥/٣ ، ٧٢ ، ٩٣) وفي كتاب فضائل الصحابة (٢/ ٧٩١) وأبو داود الطيالسي في المسند (١٣٩/٢) وأخرجه ايضا من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعا به كل من : أحمد في المسند (٣٠٩/١)، الترمذي في كتاب المناقب ، باب مناقب الأنصار (٧١٥/٥) ، وقال حديث صحيح .

وقوله : « آية[١] **الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار** »[٢] فإن من علم ما قامت به الأنصار من نصر[٣] الله ورسوله من أول الأمر ، وكان محباً لله ولرسوله ، أحبهم قطعاً فيكون حبه لهم ، علامة الإيمان الذي في قلبه ، ومن أبغضهم لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله [تعالى][٤] عليه[٥] .

وكذلك من لم يكن في قلبه بغض ما يبغضه الله ورسوله ، من المنكر الذي حرمه الله ورسوله[٦] من الكفر والفسوق والعصيان ، لم يكن في قلبه الإيمان الذي [أوجبه][٧] الله [تعالى][٨] عليه فإن[٩] لم يكن مبغضاً لشيء من المحرمات أصلا ، لم يكن معه إيمان أصلا ، كما سنبينه إن شاء الله [تعالى][١٠] .

وكذلك [كل][١١] من لا يحب لأخيه المؤمن ما يحبه لنفسه ، لم يكن معه ما أوجبه[١٢] الله عليه من الإيمان ، فحيث نفى الله الإيمان عن شخص ، فلا يكون إلا لنقص ما يجب عليه من الإيمان ، ويكون من المعرّضين للوعيد ، ليس من المستحقين للوعد المطلق .

وكذلك قوله ﷺ : « **من غشنا فليس منا ومن حمل علينا السلاح فليس منا** »[١٣] كله من هذا الباب ، لا يقوله إلا لمن ترك ما أوجب الله عليه ، أو فعل ما [حرم الله عليه][١٤]

---

(١) في (س) « إن من » بدل « آية » .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار من الإيمان (٨٥/١) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً بلفظ : « حب الأنصار آية الإيمان ، وبغضهم آية النفاق » وفي لفظ آخر : « آية المنافق بغض الأنصار وآية الايمان حب الأنصار » ، وأحمد في المسند (١٣٠/٣ ، ٢٤٩) عن أنس مرفوعا ايضا بلفظ « آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار » .

(٣) في (م ، ح) « من نصرة » .

(٤) « تعالى » مثبتة من (م ، ح) وساقطة من بقية النسخ .

(٥) في (ف) « عليهم » .

(٦) « الله ورسوله » ساقطة من (م، مح ،ح) ولفظ الجلالة فقط ساقط من (ح ، مح ، ف) ورسوله فقط ساقط من (م).

(٧) المثبت من (م ، ، ق ، ح) وفي باقي النسخ « يوجبه » .

(٨) « تعالى » مثبتة من (م ، ق) وساقطة من بقية النسخ .

(٩) « فإن » ساقطة من (م) .

(١٠) « تعالى » مثبتة (م ، مح ، ف ، ح ، ق) .

(١١) « كل » مثبتة من (س) وساقطة من بقية النسخ .

(١٢) في (م ، ف ، س) « ما أوجب » .

(١٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب قول النبي -ﷺ- من غشنا فليس منا (٩٨/١) عن أبي هريره ـ رضي الله عنه ـ، وأحمد في المسند(١٦/٢، ٥٣، ١٤٢، ١٥٠، ١٨٣، ١٨٥، ٢١٧، ٢٤٤، ٣٠٦، ٣٢٩، ٤١٧، ٤٨٨) .

(١٤) المثبت من (ح ، س) وعليه مؤخرة في (س) عن « رسوله » وفي بقية النسخ « حرمه الله » .

ورسوله ، فيكـون قد ترك من الإيمان المفروض عليه مـا ينفي عنه الاسم لأجله ، فلا يكون من المؤمنين المستحقين للوعد ، السالمين من الوعيد .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُم مُعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور :٤٧-٥١] فـهذا حكم / اسم الإيمان إذا أطلق في كـلام الله ورسوله ، فـإنه يتناول فعل الواجبات ، وترك المحرمات ، ومن نفى الله ورسوله عنه [اسم][1] الإيمان ، فلا بد أن يكون قد ترك واجبا أو فـعل محرما ، فـلا يدخل في الاسم الذي يستحق أهله الوعـد دون الوعيد ، بل يكون من أهل الوعيد . [١٤/أ]

حكم الايمان إذا أطلق في الكتاب والسنة

وكذلك قـوله تعالى : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [الحجرات:٧] .

قال محمد بن نصر المرزوي[2]: « لما كانت المعاصي بعضها كـفر ، وبعضها ليس بكفر فرق بينها[3] فجعلها ثلاثة أنواع : نوع منها كـفر ، ونوع منها فسوق[4] وليس بكفر ، ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق ، وأخبر أنه كرهها كلها إلى المؤمنين ، ولما كانت[5] الطاعات كلهـا داخلة في الإيمان //[6]وليس فيـها شيء خارجـاً عنه لم يفرق بينهـا // فيقـول : حبب إليكم الإيمان[7] والفـرائض وسائر الطـاعات ، بل أجـمل ذلك فقـال : حَبَّبَ إِلَيْكُم الإِيْمَانَ ، فدخل في ذلك جميع الطاعات لأنه قد حـبب إلى المؤمنين الصلاة والزكاة ، وسائر الطاعات

(١) المثبت من (س) وساقط من بقية النسخ .

(٢) المقابلة من هنا من تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٦٢) مع النسخ المخطوطة .

(٣) في (ف) « فرق بينهما فجعله » .

(٤) في (تعظيم قدر الصلاة) « ونوع فسق » .

(٥) في (ف) « كان » .

(٦) ما بين العلامتين // ـ // في « تعظيم قدر الصلاة » هكذا ، « وليس شيء منها خارجا منه لم يفرق بينهما » .

(٧) في (ق) « حبب إليكم الفرائض والإيمان » .

حب [تدين][1] لأن الله [تعالى][2] أخبر : أنه حب ذلك إليهم ، وزينه في قلوبهم ، لقوله : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُم الإيمان ﴾ ويكرهون جميع المعاصي[3] الكفر منها والفسوق ، وسائر المعاصي كراهة [تدين][1] لأن الله [تعالى][2] أخبر أنه كرّه ذلك إليهم . و [من][4] ذلك قول رسول الله ﷺ : « **من سرته حسنته ، وساءته سيئته ، فهو مؤمن** »[5] لأن الله حبب إلى المؤمنين الحسنات وكره إليهم السيئات »[6] .

التعليق على كلام ابن نصر

قلت : وتكريهه[7] جميع[8] المعاصي إليهم ، يستلزم حب جميع الطاعات ، لأن ترك الطاعات معصية ، ولأنه لا يترك[9] المعاصي كلها إن لم يتلبس بضدها ، فيكون محبا لضدها وهو الطاعات[10] إذ القلب لا بد له من إرادة ، فإذا كان يكره الشرّ كلّه ، فلا بد أن يريد[11] خيراً ، والمباح بالنية الحسنة يكون[12] خيراً ، وبالنية السيئة يكون[13] شرا .

---

(١) المثبت من (ف ، ق ، س ، هـ ، م) وتعظيم قدر الصلاة ، وفي بقية النسخ « بدين » .

(٢) « تعالى » مثبتة من (م ، ح ، ق) وساقطة من بقية النسخ .

(٣) في (أ) « والكفر منها والفسوق » بزيادة الواو والصواب حذفها .

(٤) « من » ساقطة من (أ) ومثبتة في بقية النسخ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١٨/١) من طريق علي بن إسحاق ، انبأنا عبد الله ـ يعني ابن المبارك ـ انبأنا محمد بن سوقه عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ خطب بالجابيه فقال :« قام فينا رسول الله ـ ﷺ ـ في مقامي فيكم فقال : استوصوا بأصحابي خير ... إلى أن قال : ومن سرته حسنته وساءته سيئته فذلك مؤمن » . وأخرجه من طرق عن محمد بن سوقه كل من : الترمذي في كتاب الفتن ، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٤٦٥/٤) وقال :حسن صحيح ، ابن أبي عاصم في كتاب السنة (٤٢/١) ، والحاكم في المستدرك (١١٤/١) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وهو كما قالا ، فرجاله ثقات كلهم .

(٦) انظر تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٦٢) .

(٧) في (هـ ، س ، ف ، مح) « تكريه » .

(٨) « جميع » ساقطة من (ف) .

(٩) في (ف) « يتركه العاصي » .

(١٠) في (س) « الطاعة » .

(١١) المثبت من (أ ، ح) وفي بقية النسخ « الخير » .

(١٢) في (ف) « فيكون » .

(١٣) في (ح) « تكون » .

ولا يكون فعل اختياري إلا بإرادة ، ولهذا قال النبي(١) ﷺ في الحديث الصحيح :
« أحب الأسماء / إلى الله : عبد الله وعبدالرحمن ، وأصدق الأسماء : حارث وهمام ، وأقبحها : حرب ومرة »(٢) . [١٤/ب]

---

(١) «النبي» ساقطة من (ح) .

(٢) هذا الحديث ورد مختصراً وكاملا - كما ذكر المؤلف - رحمه الله - أما المختصر فقد أخرجه : مسلم في كتاب الأدب ، باب النهي عن التكني بأبي القاسم ، وبيان ما يستحب من الأسماء (٣/ ١٦٨٢) بسنده من طريق نافع عن عبد الله ابن عمر - رضي الله عنهما ... به . وأبو داود في كتاب الأدب ، باب في تغييرالأسماء (٤ / ٢٨٧) ، والترمذي في كتاب الأدب ، باب ما يستحب من الأسماء (١٣٢/٥) وابن ماجه في كتاب الأدب باب ما يستحب من الأسماء (٢/ ١٢٢٩) ، والدارمي في السنن في كتاب الاستئذان ، باب ما يستحب من الأسماء (٢٠٤/٢) وأحمد في المسند (١٢٨/٢) .كلهم بلفظ « أحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن » .

أما الكامل كما ذكره المؤلف فقد أخرجه : أحمد في المسند (٤ / ٣٤٠) من طريق هشام بن سعد ، حدثنا محمد ابن مهاجر ، قال حدثني عقيل بن شبيب عن أبي وهب الجشمي - وكانت له صحبه - قال قال رسول الله - ﷺ - تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله ... الحديث ، وهذا الاسناد ضعيف لسببين :

أولهما : جهالة عقيل بن شبيب ، فقد قال أبو حاتم : لا أعرفه ، وقال الحافظ : مجهول : أما الذهبي فقال : وُثِّقَ ولا يعرف من وثقّه . انظر : العلل لابن أبي حاتم (٢/ ٣١٣) والتقريب (ص :٣٩٦) والكاشف (٢٧٤/٢) .

الثاني : الاختلاف في أبي وهب ، وهو عبيد الله بن عبيد الكلاعي ، فقد قال أحمد - كما مر - أنه الجشمي وله صحبه، وأنكر ذلك أبو حاتم فقال: انكرت في نفسي وكان يقع في قلبي أنه أبو وهب الكلاعي صاحب مكحول، وكان أصحابنا يستغربون فلا يمكنني أن أقول شيئا لما رواه أحمد ثم قدمت حمص فإذا قد حدثنا ابن المصفى عن أبي المغيرة قال حدثني محمد بن مهاجر قال حدثني عقيل بن سعيد ، وفي العلل قال ابن أبي حاتم : « هل هو عقيل بن سعيد ، وعقيل بن شعيب قال : لا أعرفه » عن أبي وهب الكلاعي قال: قال رسول الله - ﷺ - قال: فعلمت أن ذلك باطل وعلمت أن انكاري كان صحيحا وأبو وهب الكلاعي هو صاحب مكحول ... واسمه عبيد الله بن عبيد وهو دون التابعين ويروى عن التابعين فبقيت متعجباً من أحمد كيف قضى عليه » انظر العلل (٣١٣/٢) .

وقد عدَّ الحافظ ابا وهب هذا من الصحابة ،كما في الاصابة (٢١٤/٤) لكنه ذكر قول أبي حاتم ، ثم قال : وزعم ابن القطان الفاسي أن ابن أبي حاتم وهم في خلطه ترجمة الجشمي بالكلاعي وكنت أظن أنه كما قال ، حتى راجعت كتاب العلل فوجدته تعب عن هذا الحديث حتى ظهر له أنه عن أبي وهب الكلاعي ، وأنه مرسل وأن بعض الرواة وهم في نسبته إلى الجشمي ، وفي قوله : إن له صحبه، وبيّن ذلك بياناً شافياً ، فالحديث اذن مرسل ضعيف - والله أعلم - .

(١) في (هـ ، س ، مح ، م) « الحارث » بالألف واللام ، وفي (ف) « فأصدق الأسماء حارث وهمام » بزيادة الفاء .

وقوله : « **أصدق الأسماء حارث**[١] **وهمام** » ، لأن كل إنسان همام حارث[٢] والحارث : الكاسب العامل ، والهمام الكثير الهم[٣] ـ وهو مبدأ الإرادة ـ وهو حيوان ، وكل حيوان حساس متحرك[٤] بالإرادة ، فإذا[٥] فعل شيئا من المباحات ، فلا بد له من غاية ينتهي إليها قصده ، وكل مقصود إما أن يُقْصَد لنفسه ، وإما أن يُقْصَد لغيره .

فإن كان منتهى مقصوده[٦] ومراده عبادة الله[٧] وحده لا شريك له ، وهو إلهه[٨] الذي يعبده لا يعبد شيئا سواه ، وهو أحب إليه من كل ما سواه ، فإرادته[٩] تنتهي[١٠] إلى إرادته وجه الله[٧] ، فيثاب على مباحاته التي يقصد الاستعانة بها على الطاعة ، كما في «الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه قال : « **نفقة الرجل على أهله يحتسبها صدقة** »[١١] وفي «الصحيحين » عنه أنه[١٢] قال لسعد بن أبي وقاص لما مرض بمكة وعاده[١٣] : « **إنك لن**

والمثبت من (أ ، ح ، ط) .

(٢) في (س) « حرث » .

(٣) في (ف) « الهمة » .

(٤) في (ف) « يحرك » ، في (ق) « يتحرك » .

(٥) في (ف) « وإذا » بالواو .

(٦) في (ف) « قصده » .

(٧) في (س) زيادة « تعالى » في الموضعين .

(٨) في (س) « الله » .

(٩) في (م) « فإن ارداته » .

(١٠) في (ح) العبارة كالآتي : « وكل مقصوده ومراده عبادة الله وحده ، أما أن يقصد لغيره فإن كان منتهى مقصوده ومراده عبادة الله وحده لاشريك له وهو إلهه الذي يعبده، لا يعبد شيئا سواه وهو أحب إليه من كل ما سواه فارادته بها إلى إرادة وجه الله » .

(١١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب ما جاء أن الأعمال بالنية الحسنة (١/ ٢٠) من حديث أبي مسعود البدري الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ وأخرجه أيضا في كتاب النفقات بلفظ قريب منه (٥ /١٧) . وأخرجه النسائي في كتابه الزكاة، باب أي الصدقة أفضل (٥/٦٥) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده (ص:٦١٥).

(١٢) « أنه » ساقطة من (ف) .

(١٣) في (ف) « قال إنك » بزيادة « قال » .

تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله ، إلا ازددت بها درجة ورفعة ، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك »(١) وقال معاذ بن جبل لأبي موسى : « إني أحتسب(٢) نومتي كما(٣) أحتسب قومتي »(٤) وفي الأثر : « نوم العالم تسبيح »(٥) .

وإن كان أصل مقصوده [عبادة غير](٦) الله لم تكن الطيبات مباحة له(٧) ، فإن الله تعالى(٨) انما أباحها للمؤمنين من عباده، بل الكفار (٩)[وأهل(١٠) الجرائم والذنوب وأهل الشهوات](٩) يحاسبون يوم القيامة على نعم االله التي تنعموا بها فلم يشكروه(١١) ولم يعبدوه(١٢) بها، ويقال لهم : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِ وَبِمَا كُنتُمْ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الايمان، باب ما جاء في أن الأعمال بالنية الحسنة (٢٠/١) ، وفي كتاب الجنائز ، باب أتي النبي - ﷺ - سعد بن خوله - رضي الله عنه - من حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - (٨٢/٢) ، وفي كتاب المرض ، باب قول المريض إني وجع (٩/٧) ، وفي كتاب الدعوات باب الدعاء يرفع الوباء (١٦٠/٧) ومسلم في كتاب الوصية ، باب الوصية بالثلث (١٢٥٠/٣) ، وأحمد في المسند (١٧٦/١) .

(٢) في (م) « لا حتسب » .

(٣) « كما » ساقطة من (ح) .

(٤) لم أجد قول معاذ لأبي موسى .

(٥) لم أجد أثرا بهذا اللفظ ، لكن هناك أثر بلفظ : « نوم العالم عبادة » ذكره : الديلمي في فردوس الأخبار (٧/٥) وعزاه إلى عبدالله بن أبي أوفى ، والسيوطي في الجامع الصغير وعزا إخراجه للبيهقي عن عبد الله بن أبي اوفي ، وتعقّبه المناوي في فيض القدير (٢٩١/٦) فقال : « وصنيع المصنف - السيوطي - أن مخرجه البيهقي خرّجه واقره والأمر بخلافه ، بل إنما ذكره مقرونا ببيان علته ، فقال عقبه : معروف بن حسان - أي أحد رجال الإسناد - ضعيف، وسليمان بن عمرو النخعي « اضعف » . انظر : سنن البيهقي (٢٩١/٤) .

(٦) المثبت من (ف ، س) وباقي النسخ « غير عبادة » .

(٧) « له » ساقطة من (س) .

(٨) « تعالى » ساقطة من (ف) .

(٩) ما بين المعكوفتين ساقط من (أ ، س) ومثبت من باقي النسخ .

(١٠) في (ح ، م ، ، ق ، ف) « وأصحاب » .

(١١) في (م) و (هـ) « يذكروه » والمثبت من باقي النسخ وفي (ح) « يشكرونه » .

(١٢) « ولم يعبدوه » ساقطة من (ح) .

تَفْسُقُونَ ﴾ [الأحقاف : ٢٠] وقال تعالى : ﴿[1][ثُمَّ] لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر:٨] أي عن شكره ، والكافر لم [يشكره] [2] على [النعم][3] الذي أنعم الله عليه به فيعاقبه على ذلك ، والله[4] إنما أباحها للمؤمنين ، وأمرهم معها بالشكر ، كما قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لله [إن كنتم إياه تعبدون[5]]﴾ [البقرة:١٧٢] .

وفي « صحيح مسلم » عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة / فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها »[6] وفي « سنن ابن ماجه » [١٥/أ]
وغيره : « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر »[7] .

(١) « ثم » ساقطة من (أ ، ح) ومثبتة من بقية النسخ .

(٢) « يشكره » مثبتة من (م ، ح ، مح) وفي الباقي « يشكر » .

(٣) ما أثبت من (م ، هـ) وفي بقية النسخ « النعيم » .

(٤) في (م ، س) زيادة « تعالى » .

(٥) « ان كنتم اياه تعبدون » مثبتة من (م ، ح) وساقطة من بقية النسخ .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب (٤ / ٢٠٩٥) من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا ... به . والترمذي في كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في الحمد على الطعام اذا فرغ منه (٤ / ٢٦٥) ، وأحمد في المسند (١٠٠/٣ ، ١١٧) .

(٧) أخرجه ابن ماجه ـ كما ذكر المؤلف ـ في كتاب الصيام ، باب فيمن قال الطاعم الشاكر كالصائم الصابر (٥٦١/١) من طريق يعقوب بن حميد بن كاسب حدثنا محمد بن معن عن أبيه ، وعن عبد الله بن عبد الله الأموي عن معن ابن محمد عن حنظله بن علي الأسلمي عن أبي هريره ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا به . واسناده ضعيف فيه : عبد الله ابن عبد الله الأموي ، قال العقيلي : لا يتابع على حديثه ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال يخالف في روايته ، وقال الحافظ لين الحديث . انظر: الضعفاء الكبير (٢٧١/٢) ، الثقات (٣٣٦/٨) ، التقريب (٤٢٧/١) . وشيخه معن بن محمد بن معن بن نضلة الغفاري ، ذكره ابن حبان في ثقاته ، وقال الحافظ : مقبول. انظر : الثقات (٤٩٠/٧) التقريب (٢٦٧/٢) . وعبد الله بن عبد الله الأموي تابعه محمد بن معن عن أبيه معن ابن محمد فيما أخرجه: الترمذي في كتاب صفة القيامة باب رقم (٤٣) (٦٥٣/٤) بسنده من طريق محمد بن معن المدني الغفاري ، عن أبيه عن أبي سعيد المقبري عن ابي هريره ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال الطاعم ... الحديث . قال الترمذي : حسن غريب ، وذكره البخاري في صحيحه عنواناً لباب في كتاب الأطعمة ، باب الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر (٢١٤/٦) .

وقال : فيه عن أبي هريره ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ . وأخرجه أيضا من طرق عن معن بن محمد بن حنظلة ... به . أحمد في المسند (٢٨٣/٢) ، الحاكم في المستدرك(٤٢٢/١ ، ٤/ ١٣٦) وصححه =

وكذلك قال للرسل : ﴿ ياأيُّها الرُّسُل[١] كُلوا منَ الطيبات واعْمَلُوا صَالحا ﴾ [المؤمنون:٥١] . وقال تعالى : ﴿ أُحلّتْ لكُم بَهيمَةُ الأنْعَام إلا ما يُتْلَى عَلَيْكُم غَيْرَ مُحلّي الصَّيْد وأَنتمْ حُرُمٌ ﴾ [المائدة:٢] وقال الخليل ـ عليه السلام[٢] ـ ﴿ وَارْزق أَهْلَهُ منَ الثَّمرات مَنْ آمَنَ منْهُم بالله والْيَوْمِ الأخرقال[٣] وَمَن كَفَرَ فَأُمَتعُهُ قَليلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إلى عَذَاب النَّار وَبئْسَ الْمَصيرُ ﴾ [البقرة١٢٦] [فـا[٤] لخليل] إنما دعا بالطيبات للمؤمنين خاصة ، والله إنما أباح بهيمة الأنعام لمن حرّم ما حرّمه الله من الصيد وهو مُحْرِم ، والمؤمنون أمرهم أن يأكلوا من الطيبات ويشكروه ولهذا ميّز [الله][٥] سبحانه و[تعالى][٦] بين خطاب الناس مطلقاً وخطاب المؤمنين [فقال][٧] : ﴿ يا أَيُّها النَّاسُ كُلُوا ممَّا في الأَرْضِ حَلالاً طَيباً وَلا تَتَّبعُوا خُطوَاتِ الشَّيْطان إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبين * إنَّمَا يَأْمُرُكُم بالسُّوء وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُوا عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَإذَا قيلَ لَهُمُ اتَّبعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْه ءَابَاءَنا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لا يَعْقلُونَ شَيْئا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٦٨-١٧٠] فإنما أذن للناس أن

=وأقره الذهبي وللحديث طرق أخرى أيضا عن : سنان بن سنه عن أبيه أخرجها : الدارمي في السنن ، كتاب الأطعمة، باب في الشكر على الطعام (٢٢/٢) من طريق : نعيم بن حماد عن عبدالعزيز ابن سنه الأسلمي قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ الطاعم ... الحديث . وهذا الاسناد : فيه ضعف فيه: نعيم بن حماد وهو الخزاعي ، ضعيف، لكن تابعه عبد الله بن جعفر وهو ابن غيلان الرقى وذلك فيما أخرجه ابن ماجه في كتاب الصيام، باب فيمن قال الطاعم الشاكر ... الحديث (٥٦١/١) وعبد الله بن جعفر الرقى ثقة . انظر الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص :٢٣٤) التقريب (٣٠٥/٢).

ومما تقدم يتبين لنا أن الحديث ـ إن شاء الله ـ حسن والله أعلم ـ .

(١) « يا أيهاالرسل » ساقطة من (ف ، س) .

(٢) « عليه السلام » ساقطة من (ف ، ط) .

(٣) في (هـ) زيادة « قال الله تعالى » ، والصواب « قال » فقط ، وفي (ف ، مح) « قال تعالى » .

(٤) في (أ ، ح) « بالواو » والمثبت من باقي النسخ .

(٥) « لفظ الجلالة » مثبت من (ف) وليس في بقية النسخ .

(٦) « تعالى » مثبتة من (س ، ح ، هـ) وساقطة من بقية النسخ .

(٧) في (أ) « وقال » والمثبت من بقية النسخ .

يأكلوا مما في الأرض بشرطين : أن يكون طيباً ، وأن يكون حلالا ، ثم قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا للهِ إِن كُنْتُم إِيَّاهُ تَعْبُدُون * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِير وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ ﴾ [البقرة : ١٧٢ - ١٧٣] فأذن للمؤمنين في الأكل من الطيبات ولم يشترط الحل ، وأخبر أنه لم يحرم عليهم إلا ما ذكره فما سواه لم يكن محرما على المؤمنين ، ومع هذا فلم يكن أحلّه بخطابه ، بل كان عفواً ، كما في الحديث عن سلمان موقوفاً ومرفوعاً . « **الحلال ما أحلّه الله في كتابه ، والحرام ما حرمه الله في كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه**[1] »[2] .

---

(١) في (ق) « عفا الله عنه » .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب اللباس ، باب ما جاء في لُبس الفراء (٢٢٠/٤) من طريق : اسماعيل بن موسى الفزارى حدثنا سيف بن هارون البرجمي عن سليمان التيمي عن ابي عثمان عن سلمان قال : سئل رسول الله - ﷺ - عن السمن والجبن والفراء فقال : الحلال ما أحله الله ... الحديث قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلامن هذا الوجه، وروى سفيان وغيره عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سليمان قوله : وكأن الحديث الموقوف أصح ، وسألت البخاري عن هذا الحديث فقال ما أراه محفوظاً ، روى سفيان عن سليمان التيمي عن ابي عثمان عن سلمان موقوفاً ، قال البخاري : سيف بن هارون مقارب الحديث ، فالحديث بهذا الاسناد ضعيف فيه :

- **أولا** : اسماعيل بن موسى الفزاري قال الحافظ : صدوق يخطىء ، ورمى بالرفض . انظر التقريب (٧٥/١) .

- **ثانيا** : وشيخه سيف بن هارون البرجمي أبو الورقاء ، ضعيف ، قال ابن معين : ليس بشيء ، وقال مرةً : ليس بذاك وقال الدراقطني: ضعيف متروك ، وقال ابن حبان: يروي عن الأثبات الموضوعات ، وقال النسائي : ضعيف ، وقال الحافظ : ضعيف .انظر: تاريخ ابن معين (٢٧٨/٣ ، ٢٣٧ ، ٤٢٢) الميزان (٢٥٨/٢) ، المجروحين (٣٤٦/١) الضعفاء والمتروكين (١٢٢) تقريب التهذيب (١/ ٣٤٤) .

- **ثالثا** : سليمان التيمي هو ابن قرم أبو داود البصري ، فيه ضعف ، قال النسائي : ليس بالقوى ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، وقال أبو حاتم : ليس بالمتين ، وقال الحافظ : سيء الحفظ يتشيع .

انظر: الضعفاء والمتروكين (ص: ١٣٣) ، الميزان (٢١٩/٢)، الجرح والتعديل (١٣٦/٤) ، التقريب (٣٢٩/١) .

والحديث أخرجه من طرق عن سيف بن هارون ...به كل من : ابن ماجه في كتاب الأطعمة باب أكل الجبن والسمن (١١١٧/٢) ، البيهقي في السنن (٢/ ١٨٥) العقيلي في الضعفاء الكبير (١٧٤/٢) ابن عدي في الكامل (٣/ ١١٦٧) فالحديث إذا موقوف ضعيف بهذا الاسناد . وله شاهد بمعناه عن أبي الدرداء - رضي الله عنه أخرجه : الحاكم في المستدرك ٢ / ٣٧٥ بسنده من طريق : عاصم بن رجاء بن حيوة عن أبيه عن أبي الدرداء، مرفوعاً بلفظ : « ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو ، فاقبلوا من الله عافيته ... » وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي .

والحديث بهذا السند حسن ، فإن عاصم بين رجاء بن حيوة من رجال الحديث الحسن ، وقد حسنه : الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١/١) حيث قال : رواه البزار والطبراني في الكبير ، واسناده حسن ورجاله موثوقون وحسنه ايضا ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص : ٢٠٠) .

وفي حديث أبي ثعلبة عن النبي ﷺ «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدَّ حُدوداً فلا تعتدوها ، وحرم حرمات فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمةً بكم من[1] غير نسيان فلا تبحثوا عنها »[2] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ قُل لا أَجِدُ في مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا على طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إلا أَن[3] يَكُونَ مَيْتَةً[4] ﴾ [الأنعام:١٤٥] / نفي[5] للتحريم عن غير المذكور ، فيكون الباقي [١٥/ب] مسكوتا عن[6] تحريمه عفوا ، والتحليل إنما يكون بخطاب ، ولهذا قال في سورة المائدة التي

---

(١) المثبت من (أ ، ح) وفي بقية النسخ « رحمة لكم غير نسيان » .

(٢) أخرجه الدارقطني في السنن (٤/ ٢٩٨) والبيهقي في السنن (١٢/١٠) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٦٠/٢) جميعهم من طرق عن : داود بن أبي هند البصري ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبة الخشني ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا به . وهذا اسناد ضعيف لسببين :

الأول : أن مكحولا لم يصح له سماع عن أبي ثعلبة ، وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس .

الثاني : الاختلاف في رفعه إلى النبي ـ ﷺ ووقفه على أبي ثعلبة ، وقد ذكر الدارقطني هذا الاختلاف ثم قال : الأشبه بالصواب المرفوع ، والحديث حسّن اسناده النووي في الأربعين النووية ، وأشار إلى ذلك الحافظ بن رجب في جامع العلوم والحكم (ص : ٢٠٠) . انظر المراسيل لابن أبي حاتم (ص :١٦٥) سير أعلام النبلاء (١٥٩/٥) تهذيب التهذيب (٢٨٩/١٠) التقريب (٢٧٣/٢) والحديث له شاهدان لكن في إسناد كل منهما راو ضعيف جدا .

الأول : ما أخرجه الدارقطني في السنن (٣٠٠/٤) من طريق نهشل الخرساني وساق السند إلى أبي الدرداء مرفوعاً ... به ، ونهشل هو ابن سعيد البصري : قال عنه البخاري : أحاديثه مناكير ، وقال أبو حاتم : متروك ، وقال النسائي : متروك الحديث ، وقال الدارقطني : ضعيف . انظر : التاريخ الكبير (١١٥/٢/٤) الجرح والتعديل (٤٩٦/٨) ، الضعفاء والمتروكين للنسائي (٢٣٨) الضعفاء والمتروكين (٣٨٢) .

الثاني : ما أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٢٣٠/١) من طريق أصرم بن حوشب ، وساق الإسناد إلى أبي الدرداء أيضاً مرفوعا . وأصرم بن حوشب ، هو : أبو هشام قاضي همذان ، قال عنه ابن معين : كذاب خبيث ، وقال البخاري : متروك وقال الدارقطني : منكر الحديث . وقال ابن حبان : كان يضع الحديث عن الثقات ، وقال النسائي متروك الحديث . انظر الميزان (١٧٢/١) ، التاريخ الكبير (٥٦/٢/١) ، الضعفاء والمتروكين للدارقطني (ص :١٥٥) ، المجروحين لابن حبان (١٨١/١) ، الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص : ٥٩) .

(٣) « أن » ساقطة من (ح) .

(٤) في (ف) زيادة : ﴿ أو دما مسفوحا أو لحم خنزير ﴾ [الأنعام : ١٤٥] وفي (ق) « الآية » .

(٥) ما أثبت من (أ ، س ، ح) وفي (م) « فنفى التحريم » وفي بقية النسخ « نفي التحريم » .

(٦) في (س) « عنه » .

أنزلت بعد هذا : ﴿ يسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِنَ الْجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * [الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ [(١)] ﴾ [المائدة: ٤ـ ٥] ففي ذلك اليوم أحل لهم الطيبات، وقبل هذا لم يكن حرم(٢) عليهم إلا ما استثناه(٣) .

وقد حرم النبي - ﷺ - كل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير(٤) ، ولم يكن هذا نسخا للكتاب ، لأن الكتاب لم يحل ذلك ، ولكن(٥) سكت عن تحريمه ، (٦)فكان تحريمه ابتداء شرع ، ولهذا قال النبي - ﷺ - في الحديث المروي من طرق من حديث أبي رافع، وأبي ثعلبة ، وأبي هريرة ، وغيرهم : « **لا ألفين(٧) أحدكم متكئا على أريكته ، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به ، أونهيت عنه ، فيقول : بيننا وبينكم هذا القرآن ، فما وجدنا فيه من حلال أحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه ، ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه** »(٨) . وفي لفظ : « **ألا وإنه مثل القرآن أو أكثر ، ألا وإني حرمت كل ذي ناب من السباع**(٤) » فبيّن [ﷺ](٩) انه أُنزِلَ عليه وحي آخر ، وهو الحكمة غير الكتاب ، وأن الله حرم عليه في هذا الوحي ما أخبر بتحريمه ولم يكن ذلك نسخا للكتاب ، فإن الكتاب لم

---

(١) تكملة الآية مثبتة من (ف) وساقطة من باقي النسخ .

(٢) في (هـ ، ط) « محرما عليهم » .

(٣) انظر : أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٢٢) ، والدر المنثور (٣ / ٢٠) .

(٤) اشارة إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في كتاب الصيد ، باب نهي النبي - ﷺ - عن كل ذي ناب من السباع ، وعن كل ذي مخلب من الطير (٣ / ٨٣) ، وأحمد في المسند (٤/ ١٣١) .

(٥) في (ح ، م) « ولكنه » .

(٦) في (م ، س) « وكان » .

(٧) الفين : أي لا أجد وألقى ، يقال ألفيت الشيء ألفيه الفاءً ، إذا وجدته وصادفته ولقيته » انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/٢٦٢) .

(٨) سبق تخريجه (ص : ٥٧) من هذ الرسالة .

(٩) - ﷺ - مثبتة من (م) وساقطة من بقية النسخ .

يحل هذه قط ، إنما[١] أحل الطيبات ، وهذه[٢] ليست من الطيبات، وقال [تعالى][٣] : ﴿ يَا أَيُّها الَّذينَ ءامَنُوا كُلُوا من طَيِّبَاتِ مَا رَزَقناكُمُ ﴾ [البقرة : ١٧٢] فلم[٤] تدخل[٥] هذه[٦] في العموم ، لكنه لم يكن حرمها ، فكانت[٧] معفوا عن تحريمها ، لا مأذونا في أكلها . وأما الكفار ، فلم يأذن الله لهم في أكل شيء، ولا أحل لهم شيئا، ولا عفا لهم عن شيء يأكلونه ، بل قال : ﴿ يَا أَيُّها النَّاسُ كُلُوا مِمَّا في الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً ﴾ [البقرة:١٦٨] فشرط [لهم][٨] فيما يأكلونه أن يكون حلالا ، وهو المأذون فيه من جهة الله ورسوله ، والله [تعالى][٩] لم يأذن في الأكل إلا [للمؤمنين][١٠] به، فلم يأذن لهم في أكل شيء[١١] إلا إذا آمنوا. ولهذا لم تكن/ أموالهم مملوكة لهم ملكا شرعيا ، لأن الملك الشرعي هو القدرة على التصرف الذي أباحه الشارع[١٢] ، و [الشارع][١٣] لم يبح لهم[١٤] تصرفا في الأموال ، إلا بشرط الإيمان ، فكانت[١٥] أموالهم على الإباحة ، فإذا قهر طائفة منهم طائفة [قهرا][١٦] يستحلونه في دينهم، وأخذوها منهم ، [صار][١٧] هؤلاء فيها كما كان[١٨] أولئك ، والمسلمون إذا إستولوا

الطيبات .. أبيحت للإستعانة بها على الطاعة

[١٦/أ]

(١) في (م) زيادة « واو » « وإنما » .
(٢) أي كل ذي ناب من السباع ، ومخلب من الطير .
(٣) « تعالى » مثبتة من (س) .
(٤) في (م) « ولم » .
(٥) المثبت من (س ، أ) وفي بقية النسخ « يدخل » .
(٦) في (هـ) زيادة « الآية » .
(٧) في (م) « بالواو » « وكانت » .
(٨) « لهم » مثبتة من (ح ، ق ، م) وساقطة من بقية النسخ .
(٩) « تعالى » مثبتة من (س) وساقطة من بقية النسخ .
(١٠) ما أثبت من (س ، ف) وفي بقية النسخ « المؤمن » .
(١١) في (ف) « شيء » .
(١٢) في (ف ، هـ ، ط) زيادة . « صلى الله عليه وسلم » .
(١٣) « الشارع » ساقطة من (أ) ومثبتة في بقية النسخ .
(١٤) « لهم » ساقطة من (م ، ح) .
(١٥) في (ف) « وكانت » بالواو .
(١٦) « قهرا » ساقطة من (أ) ومثبتة في بقية النسخ .
(١٧) في (أ) « صاروا » وما أثبت من بقية النسخ .
(١٨) في (س) « كانوا » .

عليها ، فغنموها ، ملوكها شرعا ، لأن الله [تعالى][(١)] أباح لهم [الغنائم][(٢)]، ولم يبحها لغيرهم ، ويجوز لهم أن يعاملوا الكفار فيما أخذه بعضهم من بعض بالقهر الذي يستحلونه في دينهم ، ويجوز[(٣)]أن يشتري من بعضهم ما سباه من [غيره][(٤)] ، لأن هذا بمنزلة استيلائه على المباحات ، ولهذا سمى الله [تعالى][(٥)] ما عاد من أموالهم إلى [(٦)]المسلمين فيئاً[(٧)] لأن الله [تعالى][(٥)] أفاءه إلى [مستحقيه][(٨)] أي : رده إلى المؤمنين به [الذين][(٩)] يعبدونه ، ويستعينون برزقه على عبادته فإنه [تعالى][(٥)] إنما[(١٠)] خلق الخلق ليعبدوه ، وانما خلق الرزق لهم ليستعينوا به على عبادته ، ولفظ الفيء قد يتناول الغنيمة ، كقول النبي ﷺ في غنائم حنين : « **ليس لي مما أفاء[(١١)] الله عليكم إلا الخمس، والخمس مردودٌ عليكم** »[(١٢)] . لكنه لما قال تعالى :﴿ **وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ** ﴾ [الحشر :٦] صار لفظ

---

(١) « تعالى » مثبتة من (م ، ح ، ق) .

(٢) ما أثبت من (هـ ، ف) وفي بقية النسخ « المغانم » والغنائم :جمع غنيمة وهي في اللغة الفوز بالشيء بلا مشقة ، وشرعا ما أخذ من أموال أهل الحرب عنوة بطريق القهر والغلبة .

(٣) في (م) « ويجوز لهم أن يشتري » بزيادة « لهم » .

(٤) ما أثبت من (س ، ق ، هـ) وفي بقية النسخ « غيرهم » .

(٥) « تعالى » مثبتة من (س ، ح) وساقطة من بقية النسخ .

(٦) « إلى المسلمين » ساقطة من (ح) .

(٧) الفيء في اللغة : الرجوع ، وشرعا : هو المال الذي يؤخذ من الحربيين من غير قتال ، أي بطريق الصلح كالجزية والخراج ، وقد كان لرسول الله - ﷺ - خاصة وأما بعده فيكون لجماعة المسلمين . انظر : عن الغنيمة والفيء : تبيين الحقائق للزيلعي (٢/٢٥١)، الفروق للقرافي (٣/٧) ، بداية المجتهد (١/٣٨٤) المغني لابن قدامه (٨/٣٨٨).

(٨) ما أثبت من (ف) وفي بقية النسخ « مستحقه » .

(٩) في (أ ، س) « الذي » وما أثبت من بقية النسخ .

(١٠) « إنما » ساقطة من (س) .

(١١) في (م) « افاءه » .

(١٢) أخرجه أحمد في المسند (٤ / ١٢٨) من طريق ابي عاصم حدثنا وهب أبو خالد ، قال : حدثتني أم حبيبة بنت العرباض ، عن أبيها أن رسول الله - ﷺ - كان يأخذ الوبرة من قصه من فيء الله - عز وجل - فيقول ليس لي مما أفاء الله عليكم ... الحديث ، وإسناده فيه : أم حبيبه بنت العرباض ، ذكرها الحافظ في التقريب وقال : مقبوله ، وبقية رجال الاسناد ثقات » انظر : التقريب (٢ /٦٢٠) ، وقد جاء الحديث من طرق أخرى وذلك فيما أخرجه : أحمد في المسند (٥/٣١٦) من طريق أبي اليمان وإسحاق بن عيسى قالا : حدثنا اسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن عبد الله ابن أبي مريم ، عن أبي سلمه قال إسحاق بن عيسى قال : إسحاق: الاعرج عن المقدام بن معدي يكرب الكندي أنه جلس مع عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال أقام فينا رسول الله - ﷺ - فتناولا وبره - دويبة على قدر السنور غبراء أو بيضاء حسنةُ العينين شديد الحياء حجازية - انظر غريب الحديث (٥ / ١٤٥) . فقال انه ليس =

الفيء إذا أطلق في عرف الفقهاء ، فهو ما أخذ من [أموال][(١)] الكفار بغير إيجاف خيل ولا ركاب ، والإيجاف نوع من التحريك[(٢)] .

وأما إذا فعل المؤمن ما أبيح له قاصداً للعدول عن الحرام إلى الحلال[(٣)] لحاجته [إليه][(٤)] فإنه يثاب على ذلك كما قال النبي ﷺ : « **وفي بضع أحدكم صدقة ، قالوا : يا رسول الله يأتي[(٥)] أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر؟ قال : « أريتم لو وضعها في [حرام][(٦)] كان عليه فيها وزر؟ فكذلك إن[(٧)] وضعها في الحلال ، كان له أجر** »[(٨)]. و[هذا كقوله][(٩)] في

= لي فيها إلا نصيبي معكم إلا الخمس ، والخمس مردود علكيم ... الحديث . وهذا الإسناد ضعيف فيه : أبو بكر بن عبدالله بن أبي مريم ، وهو ضعيف ، وشيخه أبو سلمة مجهول . انظر تعجيل المنفعة (ص:٤٩٠) ، والمجروحين (١٤٦/٣) والميزان (٤٩٧/٤) ، التقريب (٦٢٣/٢) . وأخرجه أيضا في المسند (٣٢٦/٥) بسنده من طريق أبي بكر بن عبدالله (٣١٩/٥) ومن طريق : معاوية عن أبي امامه عن عبادة بن الصامت مرفوعا بلفظ : « لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدرهذه إلا الخمس ... وإسناده فيه : عبدالرحمن بن عياش وهو المسمعى ، لين الحديث ، لكن يعضده ما تقدم . انظر الثقات لابن حبان (٧١/٧) ، والتقريب (٤٩٤/١) . وأخرجه كذلك : مالك في الموطأ في كتاب الجهاد باب ما جاء في : الغلول (٤٥٧/٢) مرسلا من طريق عبدالرحمن بن سعيد عن عمرو بن شعيب أن رسول الله - ﷺ - قال : والذي نفسي بيده مالي فيما افاء .. الحديث.

وأخرجه موصولا : النسائي في كتاب قسم الفيء ، باب ما جاء في الغلول (١٣٢/٧) بسنده من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا ... به فالحديث بمجموع طرقه حسن - ان شاء الله - .

(١) المثبت من (ف) وفي باقي النسخ « مال » .

(٢) انظر لسان العرب (٣٥٢/٦) مادة وجف .

(٣) « إلى الحلال » ساقطة من (س) .

(٤) « إليه » سقطت من (أ ، ح) ومثبتة من بقية النسخ .

(٥) في (س ، ح ، ق ، م) « أيأتي ؟ » .

(٦) في (أ) « حرم » وفي (هـ ، ق) « الحرام » ، وما أثبت من بقية النسخ .

(٧) في (أ) « إن » وفي (صحيح مسلم ،ق ، س) « إذا » .

(٨) جزء من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - أن ناسا من أصحاب رسول الله - ﷺ - قالوا للنبي - ﷺ - : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور ... الحديث . أخرجه مسلم في كتابه الزكاة باب أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٢ / ٦٩٧) ، وأحمد في المسند (١٥٤/٥، ١٦٧، ١٦٩) .

(٩) المثبت من (ف ، س ، هـ) وهامش (ق) ، وفي (أ) « وهكذا قوله » وفي (ح ، ق ، م) « وكذلك » .

حديث ابن عمر عن النبي ﷺ [قال][(١)]: « إن الله[(٢)] يحب أن يؤخذ برخصه ، كما يكره أن [تؤتى][(٣)] معصيته »[(٤)] رواه أحمد ، وابن خزيمة في « صحيحه » وغيرهما ، فأخبر أن الله يحب إتيان رخصه كما يكره فعل معصيته / . وبعض الفقهاء يرويه : « كما[(٥)] يحب أن [تؤتى][(٣)] عزائمه »[(٦)] . وليس هذا لفظ الحديث ، وذلك لأن الرخص إنما[(٧)] أباحها الله لحاجة العباد إليها ، والمؤمنون يستعينون بها//[(٨)] على عبادته و[طاعته][(٩)] فهو يحب الأخذ بها[(٨)]// لأن الكريم يحب قبول إحسانه[(١٠)] و[فضله][(١١)] [كما][(١٢)]قال في حديث: «القصر [١٦/ب]

(١) « قال » ساقطة من (أ ، ح ، م) ومثبتة من باقي النسخ .

(٢) في (س) زيادة « تعالى » .

(٣) ما أثبت من (س) وفي بقية النسخ « يؤتى » .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٠٨ من طريق علي بن عبد الله بن المديني ، حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عبادة ابن غزية عن حرب عن قيس عن نافع عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعا به ، واسناده حسن ورجاله موثقون كلهم ، وأخرجه من طرق عن عبد العزيز بن محمد كل من : ابن خزيمة في صحيحه (٧٣/٢) ، وابن حبان في موارد الظمآن (ص : ٤٤) والبيهقي في السنن (١٤٠/٣) .

(٥) (كما) ساقطة من (س) .

(٦) هذه الرواية اخرجها ابن حبان في موارد الظمآن (ص : ٢٢٨) من طريق محمد بن إسحاق بن إبراهيم حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد به ، وذكر الإسناد كما سبق في حاشية (٤) وأخرجه ايضا من طريق أخرى ، عن ابن عباس موارد الظمآن (ص :٢٨٨) فقال : أخبرنا عبدالله بن أحمد بن موسى حدثنا الحسين بن محمد الذراع حدثنا أبو محصن حصين بن نمير حدثنا هشام بن حسان عن عكرمه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعا ... به ، وإسناده صحيح ، ورجاله ثقات كلهم . وأخرجه من طريق عن أبي محصن .. به أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٧٦/٦) .

(٧) « إنما » ساقطة من (س) .

(٨) ما بين العلامتين // ــــــ // بهامش (أ) .

(٩) « وطاعته » مثبتة من (ف) وساقطة في بقية النسخ .

(١٠) في (ف) « الاحسان » .

(١١) « فضله » ساقطة من (أ ، مح) ومثبتة من بقية النسخ .

(١٢) « كما » ساقطة من (أ ، ح) ومثبتة في بقية النسخ .

صدقة تصدق الله بها عليكم ، فاقبلوا صدقته »[١]، ولأنه بها [تتم][٢] عبادته وطاعته وأما[٣] ما لا يحتاج إليه الإنسان من قول وعمل، بل يفعله عبثاً ، فهذا عليه لا له ، كما في الحديث : « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمراً بمعروف ، أو نهياً عن منكر أو[٤] ذكراً الله »[٥] .

وفي « الصحيحين » عن النبي ﷺ ، أنه قال[٦] : « من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا أو ليصمت »[٧] فأمر المؤمن[٨] بأحد أمرين : إما قول الخير[٩] وإما[١٠] الصمات،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب صلاة المسافرين وقصرها (٤٧٨/١) من حديث يعلي بن أميه بن أبي عبيدة قال: قلت لعمر بن الخطاب : ﴿ فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ﴾ [النساء : ١٠١] فقد أمن الناس . فقال : عجبتُ مما عجبتَ منه فسألت رسول الله - ﷺ - عن ذلك فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم .... الحديث . وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب صلاة المسافر (٣/٢) ، والترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة النساء (٢٤٢/٥) ، والنسائي في كتاب صلاة الخوف (١٧٦/٣) ، وابن ماجة في كتاب اقامة الصلاة ، باب تقصير الصلاة في السفر (٣٣٩/١) ، وأحمد في المسند (٢٥/١، ٣٦) .

(٢) في (أ) « يتم » والمثبت من بقية النسخ .

(٣) في (س) « وما » .

(٤) في (س) « وذكر » بالواو .

(٥) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن ، باب كف اللسان في الفتنة (١٣١٥/٢) من طريق : محمد بن بشار حدثنا محمد ابن يزيد بن خنيس المكي قال : سمعت : سعيد بن حسان المخزومي قال : حدثتني أم صالح ، عن صفيه بنت شيبة ، عن أم حبيبه ، زوج النبي - ﷺ - عن النبي - ﷺ - قال: ... الحديث. واسناده ضعيف ، فيه : محمد بن يزيد ابن خنيس ، ذكره ابن حبان في ثقاته ، وقال : ربما أخطأ ، يجب أن يعتبر حديثه إذا كان بيِّن السماع ، وقال الحافظ مقبول . انظر الثقات (٦١/٩) التقريب (٢١٩/٢) ، وفيه أيضا ام صالح ، وهي بنت صالح قال الحافظ لا يعرف حالها. انظر: التقريب (٦٢٢/٢) . ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وأدب اللسان (ص :١٨٢) بسنده من طريق : محمد بن يزيد بن خنيس به.

(٦) « أنه قال » ساقطة من (س) .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - (٩٧/٧)، وفي باب إكرام الضيف (١٠٤/٧)، وفي كتاب الرقاق باب حفظ اللسان (١٨٤/٧) ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف (٦٨/١)، وكتاب اللقطة ، باب الضيافة ونحوها (١٣٥٢/٣) من حديث أبي شريح العدوي ، ورواه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه كل من: أبو داود في كتاب الآداب، باب حق الجوار (٣٣٩/٤) ، والترمذي في كتاب صفة الجنة ، باب رقم (٥٠) (٦٥٩/٤) ومالك في الموطأ كتاب صفة النبي - ﷺ - باب جامع في الطعام والشراب(٩٢٩/٢)، وأحمد في المسند (٢٦٧/٢، ٤٣٣).

(٨) في (ف ، س) « المؤمنين » .

(٩) في ف « خيرا » .

(١٠) في (س ، هـ) « او » .

ولهذا كان قول الخير خيراً من السكوت عنه ، والسكوت عن الشر خيراً من قوله ، ولهذا قال [الله][(١)] تعالى : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [سورة ق : ١٨].

وقد اختلف أهل التفسير[(٢)] : هل يكتب[(٣)] جميع أقواله ؟ فقال مجاهد وغيره : «يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه »[(٤)] وقال عكرمة : « لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يوزر »[(٥)] والقرآن يدل على أنهما يكتبان الجميع ، فإنه قال : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾ نكرة في [سياق[(٦)]] الشرط مؤكدة بحرف « من » ، فهذا يعم[(٧)] كل قول[(٨)] ، وأيضا فكونه[(٩)] يؤجر على قول معين أو يؤزر ، يحتاج إلى أن يعرف الكاتب[(١٠)] ما أمر به وما نهي عنه ، فلا بد [من][(١١)] إثبات معرفة الكاتب[(١٠)] به إلى نقل ، وأيضا فهو مأمور ، إما بقول الخير ، [وإما][(١٢)] بالصمات . فإذا عدل عما أمر [الله][(١٣)] به من الصمات إلى فضول القول الذي ليس بخير ، كان هذا عليه فإنه يكون مكروهاً ، والمكروه ينقصه ، ولهذا قال النبي ﷺ : «**من حسن الإسلام المرء تركه ما لايعنيه** »[(١٤)] .

---

(١) لفظ الجلالة مثبت من (م ، ح ، هـ ، ق ، ط) ، وساقط من باقي النسخ .

(٢) « أهل التفسير » توجد بهامش (أ) .

(٣) في (م ، ح) « تكتب » .

(٤) قول مجاهد أخرجه ابن المنذر ، وابن أبي شيبة ، كما في الدر المنثور للسيوطي (٥٩٦/٧) .

(٥) قول عكرمه أخرجه ابن المنذر ، كما في الدر المنثور للسيوطي (٧ /٥٩٣) .

(٦) « سياق » زيادة يقتضيها الكلام ، « والشرط » يوجدبهامش (أ) .

(٧) انظر بحث عموم النكرة في سياق الشرط في كتب الأصوليين عند إمام الحرمين في البرهان (٣٣٧/١) نهاية السول (٨١/٢) وكذلك التمهيد للأسنوي (ص: ٩٢٠) ، المسودة لآل تيمية (ص : ١٠٣) المحلى على جمع الجوامع للسبكي (٤١٤/١) ، والإحكام للآمدي (٢/ ٢٥١) والقواعد والفوائد الأصولية لابن البعلى (ص:٢٠٤) وشرح الكوكب المنير لابن النجار (١٤١/٣) .

(٨) في (هـ ، س) « قوله » .

(٩) في (س) « يكون » .

(١٠) في (ح) « الكتاب » .

(١١) « من » مثبتة من (ف) وفي بقية النسخ « في » .

(١٢) « اما » مثبتة من (هـ ، ط) وفي بقية النسخ « او » .

(١٣) لفظ الجلالة مثبت من (م) وليس في بقية النسخ .

(١٤) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب فيمن تكلم بكلمة يضحك منها الناس (٥٥٨/٤) من طريق : أحمد بن نصر المروزي حدثنا أبو مسهر عن اسماعيل بن عبد الله بن سماعه عن الأوزاعي عن قرة عن الزهري عن =

فإذا خاض فيما لا يعنيه ، نقص من حسن إسلامه، فكان[١] هذا عليه ، إذ ليس من شرط ما هو عليه أن يكون [مستحقاً لـ[٢]] عذاب جهنم وغضب الله ، بل نقص قدره ودرجته عليه، ولهذا قال تعالى[٣]: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[البقرة:٢٨٦] / [١٧/أ] فما يعمل أحد إلاعليه أو له، فإن[٤] كان [العمل مما][٥] أمر [الله][٦] به كان له ، وإلا كان عليه ، ولو أنه ينقص قدره ، والنفس طبعها الحركة لا تسكن قط ، لكن قد[٧] عفا الله عما [حدث][٨] به المؤمنون أنفسهم ، ما لم يتكلموا به ، أو يعملوا به [٩] فإذا عملوا به

= أبي سلمة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً ... به ، وقال الترمذي : حديث غريب لا نعرفه من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ، وفي الإسناد قره وهو بن عبدالرحمن بن حوئيل وهو ضعيف إذا انفرد ، وفيه عنعنة الزهري وهو مدلس . وأخرجه من طريق الأوزاعي ... به أيضا : ابن ماجه في كتاب الفتن ، باب حفظ اللسان في الفتنة (٢ / ١٣١٥) ، وأخرجه مرسلا : مالك في الموطأ في كتاب حسن الخلق ، باب ما جاء في حسن الخلق (٢/ ٩٠٣) من طريق: ابن شهاب عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أن رسول الله - ﷺ - قال : ... الحديث ، وأخرجه من طريق مالك ... به كل من الترمذي في كتاب الزهد ، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك منها الناس (٥٥٨/٤) وقال : هذا عندنا أصح من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة . وأحمد في المسند (٢٠١/١) وابن أبي الدنيا في الصمت (ص:٢٥٩) وأخرجه من طريق أخرى ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً (ص:٢٠) من طريق أسعد بن زنبور الهمداني حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله العُمَري عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ - : « إن من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » لكن في إسناده عبد الرحمن العمرى وهو متروك . انظر : الجرح والتعديل:(٢٣٥/٥) ، الميزان (٢٧١/٢) التهذيب (٦١٣/٦) التقريب (٤٨٧/١) ، وقال ابن عبد البر : « هذا الحديث محفوظ عن الزهري بهذا الاسناد ، من رواية الثقات » وقد حسَّن الحافظ بن رجب الحديث وقال أكثر الأئمة : ليس هو بمحفوظ بهذا الاسناد ، وانما هو محفوظ عن الزهري عن علي بن الحسين عن النبي - ﷺ - مرسلا . كذلك رواه الثقات عن الزهري ، منهم مالك في الموطأ ويونس ومعمر وابراهيم بن سعد إلا أنه قال : « من ايمان المرء تركه ما لايعنيه » ، وممن قال إنه لا صح إلا عن علي بن الحسين مرسلاً : الإمام أحمد ، ويحيى بن معين ، والبخاري والدارقطني ، وقد خلط الضعفاء في إسناده عن الزهري تخليطا فاحشا والصحيح فيه انه مرسل » انظر جامع العلوم والحكم . (٢٨٧/١ - ٢٨٨) .

(١) في (س) « كان » بدون الفاء .

(٢) « مستحقا لـ » مثبتة من (هـ ، ق ، م) وساقطة في (أ) وبقية النسخ .

(٣) « تعالى » ساقطة من (م) .

(٤) المثبت من (أ ، ف) وفي باقي النسخ (فما كان » .

(٥) المثبت من (ح ، ق ، م) وساقطة في بقية النسخ .

(٦) « لفظ ا لجلالة » مثبت من (س) ، وليس في بقية النسخ .

(٧) « قد » ساقطة من (م) .

(٨) في (أ ، ق ، ح) « حدثَّت » وما أثبت من بقية النسخ .

(٩) اشارة إلى الحديث الذي أخرجه : البخاري في كتاب العتق ، باب الخطأ والنسيان في العتاق والطلاق (١١٩/٣) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تجاوز عن أمتي عما وسوَّست به صدورها ما لم تتكلم أو تعمل به ... »

[دخلوا][1] في الأمر والنهي. فإذا كان الله[2] قد كرّه إلى المؤمنين[3] جميع المعاصي ، وهو قد حبب اليهم الإيمان الذي يقتضي جميع الطاعات، إذا لم يعارضه ضد باتفاق الناس، فإن المرجئة[4]

= وأعاد إخراجه باللفظ الذي ذكره الشيخ هنا : « عما حدثت به أنفسها » من حديث أبي هريرة أيضاً ، وذلك في كتاب الطلاق ، باب الطلاق في إغلاق (١٩٦/٦) ، وكتاب الأيمان والنذور ، باب إذا حنث ناسياً في الإيمان (٢٢٠/٧) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب تجاوز الله عن حديث النفس (١ / ١١٧) .

(١) ما أثبت من (ف) وفي بقية النسخ « دخل » .

(٢) في (ح) زيادة « تعالى » .

(٣) في (س) « المؤمن » .

(٤) المرجئة هم فرقة من فرق الإسلام وهم الذين يؤخرون العمل عن الايمان ، بمعنى : أنهم يجعلون مدار الإيمان على المعرفة بالله والمحبة له والاقرار بوحدانيته ولا يجعلون الايمان متوقفا على العمل وأكثرهم يرون ان الإيمان لا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص وبعضهم يقول : إن أهل القبلة لن يدخلوا النار مهما ارتكبوا من المعاصي والمرجئة من الإرجاء والإرجاء لغة : التأخير يقال : أرجأت الأمر وارجيته إذا أخرته : ومنه قوله تعالى : ﴿ قالوا ارجه وأخاه ﴾ [الأحزاب : ١١١] وارجئه قراءاتان وقوله ﴿ ترجى من تشاء منهن ﴾ [الأحزاب : ٥١٠] وقُرِئَ ترجى بغير همز قال الزجاج والهمز أجود قال : وأري ترجى مخففا من ترجئ لمكان تؤوي .

والارجاء في الاصطلاح: من كان قوله : الإيمان قول بلا عمل ، ومن كان من مذهبه ان الشرائع ليست من الايمان، وإنما الإيمان هو التصديق بالقول دون العمل المصدق بوجوده .

انظر النهاية في غريب الحديث (٢٠٦/٢) لسان العرب (٨٤/١) مادة « أرجأ » ، تهذيب الآثار للطبري (١٨٢/٢) الملل والنحل (١٣٩/١) ، التعريفات للجرجاني (٢٠٨) ، والمرجئة ثلاثة أقسام .

١ ـ المرجئة الأولى وهم الذين كانوا يرجئون أمرعثمان وعلي ـ رضي الله عنهما ـ فلا يتولونهما ولا يتبرؤن منهما فهم مضادون لمن يكفرهما أو يغلوا فيهما أو أحدهما . وكذلك لمن يرى تقدمهما وفضلهما ووجوب موالتهما.

ويظهرمن ذلك ، أن مفهوم الارجاء عند هؤلاء ليس في مسألة الكفر والايمان وعلاقته بالعمل ، وانما في الموقف من الصحابة المختلفين في الفتنة فقط ، ولذلك فهؤلاء ينطبق عليهم التعريف اللغوي للإرجاء دون الإصطلاحي كما أنهم غير داخلين في مراد المؤلف هنا .

٢ ـ المرجئة الفقهاء : وهم الذين يقولون : إن الايمان يشمل ركنين : التصديق بالقلب والاقرار باللسان ، وانه لا يزيد ولا ينقص ولا يستثنى فيه . وأشهر من يمثل هذا القسم هم فقهاء الحنفية المتمسكين بعقيدة السلف ـ في غير هذه المسألة ـ منهم قليل من المتأخرين من الحنفية وصاحب الطحاوية وغيرهم .

٣ ـ المرجئة الغلاة : وهم مرجئة الجهمية ـ كما سبق التعريف بهم فإنهم في هذه المسألة مرجئة ـ وهم الذين يقولون ان الايمان يكون بالقلب فقط ، وهو التصديق ، وجهم بين صفوان يقول هو المعرفة ، والفرق بين القولين يكاد يكون متعذر ويمثل هؤلاء ـ كما يرى المؤلف هنا ـ الأشاعرة والماتريدية . انظر المقالات للأشعري (٢١٣/١ ـ ٢٣٤) الفصل لابن حزم (٧٣/٥ ـ ٧٥) تهذيب الآثار للطبري (١٨٨/٢) كشاف اصطلاحات الفنون (٥٢٥/٢ ـ ٥٢٦) رسالة ظاهر . الارجاء في الفكر الإسلامي لسفر الحوالي (٢٢٥-٢٩٠) مع الملاحظة أن للمرجئة فرق كثيرة مذكورة في كتب الفرق والمقالات لكننا هنا نذكر أنواعهم التي تجمعهم .

لا تنازع[(١)] في أن الإيمان الذي في القلب يدعو إلى فعل الطاعة[(٢)] ويقتضي ذلك ، والطاعة من ثمراته ونتائجه ، لكنها تنازع[(١)] : هل يستلزم[(٣)] الطاعة؟ فإنه وإن[(٤)] كان يدعو إلى الطاعة ، فله معارض من النفس والشيطان ، فإذا كان قد كرّه إلى المؤمنين [المعاصي][(٥)] كان المقتضي للطاعة سالما عن هذا المعارض .

وأيضا فإذا[(٦)] كرهوا جميع السيئات لم[(٧)] يبق إلا حسنات أو مباحات ، والمباحات لم تبح إلا لأهل الإيمان [الذين][(٨)] يستعينون بها على الطاعات ، وإلا فالله[(٩)] لم يبح قط لأحد شيئا أن يستعين به على كفر ، ولا فسوق ، ولا عصيان ، ولهذا لعن النبي - ﷺ - عاصر الخمر ومعتصرها ، كما لعن شاربها[(١٠)] . والعاصر يعصر عنباً يصير عصيراً ، يمكن أن ينتفع به في المباح، لكن لما علم أن قصد العاصر أن يجعلها خمراً، لم يكن له أن يعينه بما جنسه[(١١)]

---

(١) في (س) « تتنازع » ، و « في » توجد بهامش (ق) .

(٢) في (م ، ف) « الطاعات » .

(٣) في (س ، م ، مح) « تستلزم » .

(٤) « إن » ساقطة من (س) .

(٥) المثبت من (ح) وفي بقية النسخ « المعارض » .

(٦) في (س) « إذا » بدون الفاء .

(٧) في (هـ) « فلم » .

(٨) سقطت « الذين » من (أ ، ح) ومثبتة في بقية النسخ و في (ف) « الذي » .

(٩) في (ح ، م ، س) زيادة « تعالى » .

(١٠) إشارة إلي الحديث الذي أخرجه الترمذي في كتاب البيوع ، باب النهي أن يتخذ الخمر خلاً (٥٨٩/٣) . من طريق : عبدالله بن منير قال سمعت أبا عاصم عن شبيب بن بشر عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : لعن رسول الله - ﷺ - في الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمول إليه أو ساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراه له ». واسناد هذا الحديث لين بسبب شبيب بن بشر، ويقال ابن عبد الله أبو بشر الحلي ، قال أبوحاتم : لين الحديث، وذكره ابن حبان في ثقاته ، وقال : يخطيء كثيرا ، وقال الحافظ : صدوق يخطىء . انظر التهذيب (٤ / ٣٦٩) الثقات (٣٥٩/٤) التقريب (٣٧٦/١) . وأخرجه من طرق عن أبي عاصم ... به ابن ماجه في كتاب الأشربة باب لعنت الخمر على عشرة أوجه (١١٤٢/٢) .

(١١) في (س) « جناه » .

مباح على معصية الله [تعالى][(١)] بل لعنه النبي ﷺ على ذلك ، لأن الله لم يبح إعانة العاصي على معصيته ، ولا أباح له ما يستعين به [على][(٢)] المعصية ، فلا تكون[(٣)] مباحات لهم إلا إذا استعانوا بها على الطاعات ، فيلزم من انتفاء السيئات أنهم لا يفعلون إلاالحسنات، ولهذا[(٤)] كان من ترك المعاصي كلها ، فلا بد أن يشتغل بطاعة الله . وفي الحديث الصحيح : « **كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها** »[(٥)] . فالمؤمن لا بد أن يحب الحسنات ، ولا بد أن يبغض السيئات ، ولا بد أن[(٦)] يسره فعل الحسنة ، ويسوؤه فعل السيئة ، ومتى قُدِّرَ أنه في[(٧)] بعض الأمور ليس كذلك كان ناقص الإيمان .

والمؤمن / قد تصدر منه السيئة فيتوب منها ، أو يأتي بحسنات تمحوها[(٨)] ، أو يبتلى [١٧/ب] ببلاء يكفرها عنه[(٩)] ولكن لا بد أن يكون كارها لها فإن الله [تعالى][(١٠)] أخبر أنه حبب إلى

---

(١) « تعالى » زيادة من (س) .

(٢) « على » مثبتة من (ح ، ق ، م) وبقية النسخ « في » .

(٣) في (م) « يكون » .

(٤) في (ح ، ق) « فلهذا » .

(٥) جزء من حديث الطهور شطر الايمان ، الذي أخرجه مسلم في كتاب الطهارة (١/ ١٠٠) من حديث أبي مالك الأشعري . قال: قال رسول الله - ﷺ - « الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان والصبر ضياء ، والقرآن حجه لك أو عليك كل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » . والترمذي في كتاب الدعوات باب رقم (٨٦) (٥/ ٥٣٥) وابن ماجه في كتاب الطهارة ، باب الوضوء شطر الإيمان (١/ ١٠٣) والدارمي في السنن في كتاب الطهارة باب ما جاء في الطهور (١/ ١٣٢) وأحمد في المسند (٥/ ٣٤٢، ٣٤٣) والبغوي في شرح السنة (١/ ٣١٩) .

(٦) « أن » توجد بهامش (أ) .

(٧) في (ف ، هـ ، ط) « أن » بدل « في » .

(٨) في (م) « تمحها » .

(٩) انظر مسقطات العقوبة عن العبد بنحو عشرة أسباب ذكرها المؤلف في كتابه شرح حديث جبريل « الإيمان الأوسط » (ص ٣٣٦ - ٣٦٠) ولخصها شارح الطحاوية (ص : ٣٢٧) ط المكتب الإسلامي ، وذكرها مختصرة وهي : التوبة ، والاستغفار ، والحسنات ، والمصائب الدنيوية المكفرة ، وعذاب القبر ، ودعاء المؤمنين بعضهم لبعض ، وما يصل من الثواب للميت بعد موته ، وأهوال يوم القيامة والاقتصاص بعد الصراط ، وشفاعة الشافعين ، وعفو أرحم الراحمين » .

(١٠) « تعالى » (مثبتة) من (أ ، ح) .

المؤمنين الإيمان وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان[١] فمن لم يكره الثلاثة لم يكن منهم.

ولكن محمد بن نصر يقول[٢] : الفاسق يكرهها تدينا . فيقال : إن أريد[٣] بذلك أنه[٤] يعتقد أن دينه حرمها ، وهو يحب دينه ، وهذه من جملته ، فهو يكرهها[٥] ، وإن كان يحب دينه مجملاً ، وليس في قلبه كراهة لها ، كان قد عدم من الإيمان بقدر ذلك ، كما في الحديث الصحيح : « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** »[٦] .

وفي الحديث الآخر الذي في الصحيح أيضاً[٧] « صحيح مسلم » : « **فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن[٨] جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، [و][٩] ليس وراء ذلك من الإيمان حب خردلة** »[١٠] .

---

(١) اشارة إلى قوله تعالى : ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزّينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾ [الحجرات:٧] .

(٢) انظر قول محمد بن نصر المروزي في كتابه « تعظيم قدر الصلاة » (١/ ٣٦٢ - ٣٦٣) حيث نقل المؤلف هنا كلامه مختصرا .

(٣) في (هـ) « يريد » .

(٤) في (س) « أن » .

(٥) توجد زيادة من (س) بعد كلام السابق مباشرة : « من الذي يستحق به الثواب وقوله من الايمان أي من هذا الإيمان وهو الايمان المطلق أي ليس وراء هذه الثلاث ما هو من الايمان » .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الايمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان (١/ ٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - مرفوعا وفيه : وذلك أضعف الإيمان بدل قوله « وليس وراء ذلك مثقال ذرة من الإيمان » فقد أخرجه بهذا اللفظة : أبوداود في كتاب الصلاة ، باب الخطبة يوم العيد(١/ ١٩٧) ، وكتاب الملاحم باب الأمر والنهي (٤/ ١٢٣) والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه ، باب تفاضل أهل الإيمان (٨/ ١١١) والترمذي في كتاب الفتن ، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب (٤/ ٤٧٠) وابن ماجه في كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢/ ١٣٣٠) ، وأحمد في المسند (٣/ ٢٠، ٤٩) .

(٧) « الصحيح أيضا » ساقطة من (م) .

(٨) « من » ساقطة من (ح) .

(٩) الواو ساقطة من (أ ، س ، ح) ومثبتة من بقية النسخ .

(١٠) سبق تخريجه (ص : ١٤) من هذه الرسالة .

فعلم أن القلب إذا لم يكن فيه كراهة ما يكرهه الله ، لم يكن فيه من الإيمان الذي //[١] يستحق به الثواب . وقوله : من الإيمان أي : من هذا الإيمان ، وهو الإيمان المطلق ، [أي][٢] ليس وراء هذه الثلاث ما هو[١] // من الإيمان ولا قدر حبة خردل ، والمعنى أن[٣] هذا آخر حدود الإيمان ما بقي بعد هذا من الإيمان شيء ، ليس مراده أنه من لم يفعل ذلك ، لم يبق معه من الايمان شيء ، بل لفظ الحديث[٤] يدل على المعنى الأول .

(١) ما بين العلامتين // ـــ // ساقط من (س) ، ويوجد قبل ٧ أسطر في (س) .
(٢) « أي » ساقطة من (أ) ومثبتة في بقية النسخ .
(٣) « أن » مثبتة من (أ ، م ، ح) وساقطة من باقي النسخ .
(٤) المثبت من (أ ، ح) وفي بقية النسخ بزيادة لفظ « إنما » .

فصل

اسم الكفر والنفاق ومعانيهما في الكتاب والسنة

ومن هذا الباب لفظ الكفر والنفاق . فالكفر إذا [ذكر][1] مفرداً في وعيد الآخرة ، دخل فيه المنافقون كقوله [تعالى][2] : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بالإيمان فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥] . وقوله : ﴿ وَمَن[3] يَكْفُرُ بالله وملائكته وَكُتُبِه وَرُسُلِه واليَوْمِ الآخر فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيداً ﴾ [النساء:١٣٦] . وقوله : ﴿ لا يَصْلاها إلا الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وتَوَلَّى ﴾ [الليل :١٥-١٦] وقوله : ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُم نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ من شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ ﴾ [الملك : ٨-٩] وقوله : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ / رُسُلٌ مِنكُم يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُم لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ[4] فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٧١-٧٢] وقوله [تعالى][5] : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالحق لَمَّا جَاءَهُ أَلَيسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٨] ، وقوله [تعالى][5] ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ [طه:١٢٤-١٢٧] وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة :٦] وأمثال هذه النصوص [كثيرة][6] في القرآن . [١٨/أ]

فهذه كلها يدخل فيها المنافقون الذين هم في الباطن كفار ليس[7] معهم من الإيمان شيء ، كما يدخل فيها الكفار المظهرون للكفر ، بل المنافقون في الدرك الأسفل من النار ،

---

(١) في (أ) « ذكره » والمثبت من بقية النسخ .

(٢) « تعالى » مثبتة من (م ، ح) .

(٣) في (ف) « فمن » .

(٤) « خالدين فيها » توجد بهامش (أ) ، و « فيها » ساقطة من (ق) .

(٥) « تعالى » مثبتة من (س) .

(٦) « كثيرة » مثبتة من (م ، ق ، ح) ، وفي بقية النسخ « كثير » .

(٧) في (م ، ق ، ح) زيادة « واو » و « ليس » .

كما أخبر [الله][(١)] بذلك في كتابه[(٢)] ثم قد يقرن الكفر بالنفاق في مواضع - ففي أول البقرة ذكر أربع آيات في صفة المؤمنين[(٣)] ، وآيتين في صفة الكافرين[(٤)] ، وبضع[(٥)] عشرة آية في صفة المنافقين[(٦)] - فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ﴾ [النساء: ١٤٠]، وقال [تعالى][(٧)] ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً [فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَعَكُمْ قَالُواْ بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ[(٨)]] * فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الحديد:١٣-١٥] وقال [تعالى][(٧)]: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : ٧٣] في سورتين[(٩)] وقال [تعالى][(٧)] : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى

(١) « لفظ الجلالة » ليس في (أ ، ق ، ح) ومثبت من بقية النسخ .

(٢) اشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ﴾ [النساء:١٤٥] .

(٣) اشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ [البقرة ٢ - ٥] .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ [البقرة : ٦-٧] .

(٥) في (هـ) « بضعة عشرة » .

(٦) اشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون * وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألاإنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون * وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قال أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون * وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون * الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون * أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين * مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون * صم بكم عمي فهم لا يرجعون * أو كصيب من السماء فيه ظلمات وبرق ورعد يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين * يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير ﴾ [البقرة:٧-٢٠] .

(٧) لعل الصواب (قال تعالى) .

(٨) ما بين المعكوفتين مثبت من (م ، مح ، ح) وساقط من بقية النسخ

(٩) الموضع الثاني في (سورة التحريم : ٩) ، وفي « ف » تكملة الآية ﴿ ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ .

الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا من أهل الكتاب ﴾ [الحشر : ١١] الآية .

يقرن الكفر بالنفاق كما يقرن المشركين باهل الكتاب

وكذلك لفظ المشركين قد(١) يقرن بأهل الكتاب فقط ، وقد يقرن بالملل(٢) الخمس ، كما في قوله [تعالى](٣) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ [وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئِينَ(٤) وَالنَّصَارَى] وَالْمَجُوسَ(٥) وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج:١٧] ، والأول كقوله : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ / حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة :١] وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة :٦] . [١٨/ب]

وقوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ ﴾ [آل عمران :٢٠] . وليس أحد بعد مبعث(٦) [النبي](٧) محمد ﷺ إلا من الذين أوتوا الكتاب أو(٨) الأميين(٩) ، وكل أمة لم تكن من الذين أوتوا الكتاب ،

---

(١) في (ف ، س) « فقد ».

(٢) في (ف) « بالملك » .

(٣) « ما أثبت » من (هـ ، م ، مح ، ح) .

(٤) في (أ) « والنصارى والصابئين » وما أثبت من بقية النسخ . والصائبين جمع صابئ وهو في اللغة : الذي يترك دينه إلى دين آخر ، وهي كلمة آرامية الأصل ، تدل على التطهير، والصابئة قوم قوم فارقوا دين التوحيد وعبدوا الكواكب والنجوم وعظّموها يقول الشهرستاني الصبوة : مقابل الحنيفية . فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة ، وهم نوعان كما يقول شيخ الإسلام في كتاب الرد على المنطقيين (ص٢٨٨) - حنفاء موحدون ، وصابئة مشركون ولم يبق منهم إلى اليوم إلا صابئة البطائح المنتشرون على ضفاف الأنهار الكبيرة جنوب العراق وايران ، والصابئة المندائية وهي الطائفة الباقية أيضا الي اليوم ، وهي تعتقد أن «يحيى» عليه السلام نبي لها . انظر : الملل والنحل (٥/٢) ، الفصل لابن حزم (٨٨/١) ، الموسوعة العربية الميسرة (ص:٣١٥) .

(٥) المجوس : قوم يعبدون النور والنار والظلمة ويزعمون أن للكون إلهين وينكرون نبوة آدم ونوح عليهما السلام وتدور عقائد المجوس على مبدئين الأول بيان سبب امتزاج النور بالظلمة . الثاني : بيان سبب خلاص النور من الظلمة ، وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معاداً . انظر: الملل والنحل (٢٣٣/١) ، والفصل (٨٦/١) .

(٦) في (س) « بعث » .

(٧) « النبي » مثبت من (ح ، م) ، وليس في بقية النسخ .

(٨) في (ح ، م) « بالواو » بدل « أو » .

(٩) الأميون هم : مشركو العرب ، كأنهم نسبوا إلى الأم ، لأنهم بمنزلة المولود في أنهم لا يكتبون وسمى العرب أميين لانتشار الأمية فيهم وهي عدم معرفة القراءة والكتابة ، كأن الانسان بقى على الحالة التي ولدته أمه عليها ، فالأمي نسبة إلى الأم . انظر : معاني القرآن لأبي جعفر النحاس (٣٧٤/١) .

فهم من الأميين كالأميين من العرب والخزر[(١)] والصقالبة[(٢)] والهند[(٣)] والسودان[(٤)] وغيرهم من الأمم الذين لا كتاب لهم فهؤلاء كلهم أميون ، والرسول مبعوث إليهم كما بعث إلى الأميين من العرب .

وقوله : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ ﴾[(٥)] [آل عمران: ٢٠] - وهو إنما يخاطب الموجودين في زمانه بعد النسخ والتبديل[(٦)] فدل على أن من [دان][(٧)] بدين اليهود والنصارى، فهو من الذين أوتوا الكتاب [و][(٨)] لا يختص هذا اللفظ بمن كانوا متمسكين به قبل التبديل والنسخ[(٩)]، ولا فرق بين أولادهم وأولاد غيرهم ، فإن أولادهم إذا كانوا بعد النسخ والتبديل ممن أوتوا الكتاب ،

فكذلك غيرهم إذ[(١٠)] كانوا[(١١)] كلهم كفارا وقد جعلهم [من][(١٢)] الذين أوتوا الكتاب بقوله [تعالى][(١٣)] ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ ﴾ [آل عمران: ٢٠] . وهو لا يخاطب بذلك[(١٤)] إلا من[(١٥)] بلغته رسالته ، لا من مات ، فدل ذلك على أن قوله : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ

---

(١) في (أ ، م) « الخزرج » والمثبت من باقي النسخ وهم : جيل من الناس كانت مساكنهم إلى الشمال من بلاد شرق آسيا شمال الصين وافغانستان وأهم صفاتهم الخلقية : ضيق جفون أعينهم حتى كأنهما خيطان . انظر المعجم الوسيط (ص : ٢٣١) .

(٢) في (ح ، م) « السقالب » والمثبت من باقي النسخ وهم : جيل من الناس كانت مساكنهم إلى الشمال من بلاد البلغار وانتشروا الآن في كثير من شرقي أوربا وهم المسمّون الآن بالجنس السّلافي نسبة إلى سلوفيينيا . انظر : المعجم الوسيط (ص : ٥١٩) .

(٣) الهند: اسم جماعة يسكنون بلاد الهند وهي شبه قارة تقع في جنوبي آسيا تضم الآن الهند وباكستان وبنجلاديش. انظر : المعجم الوسيط (ص : ٩٩٧) .

(٤) السودان: جمع اسود وهم جيل من الناس سُودُ البشرة واحده والنسبة إليه: سوادني. انظر: المعجم الوسيط (ص:٤٦١) .

(٥) في (هـ) زيادة « والأميين » .

(٦) توجد زيادة في (س) « ولا فرق بين أولادهم فدل » .

(٧) المثبت من (ف) وفي (أ) وبقية النسخ « كان » .

(٨) الواو مثبتة من (ف) .

(٩) في (ف ، مح ، هـ ، س) « الفسخ والتبديل » .

(١٠) في (س ، هـ) « إذا » .

(١١) « كانوا » توجد من هامش (أ) .

(١٢) « من » مثبتة من « م » وفي (أ ، ف) « جعلوهم الذين » ، وفي (س) « جُعلُوا هم الذين » .

(١٣) « تعالى » مثبتة من (م) .

(١٤) « بذلك » سقطت من (م) .

(١٥) في (ف) « لمن » .

أُوتُواْ الْكِتَابِ﴾ [المائدة : ٥] يتناول هؤلاء كلهم[١]، كما هو مذهب الجمهور من السلف والخلف ، وهو مذهب مالك ، وأبي حنيفة ، وهو المنصوص عن أحمد في عامة أجوبته ، لم يختلف كلامه إلا في نصارى بني تغلب[٢] ، وآخر الروايتين عنه : أنهم تباح نساؤهم وذبائحهم ، كما هو قول جمهور الصحابة . وقوله في الرواية الأخرى : لا تباح ـ متابعة لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه[٣] ـ لم يكن لأجل النسب ، بل لكونهم لم يدخلوا في دين أهل الكتاب إلا فيما يشتهونه من شرب الخمر ونحوه ، ولكن بعض التابعين ظن أن[٤] ذلك لأجل النسب ، كما نقل عن عطاء ، وقال به الشافعي ومن وافقه من[٥] أصحاب أحمد ، وفرّعوا على ذلك / فروعاً ، كمن كان أحد أبويه [كتابيا][٦] والآخر ليس بكتابي ونحو ذلك ، حتى [١٩/أ] لا يوجد في طائفة من كتب أصحاب أحمد إلا هذا القول ،وهو خطأ على مذهبه ، مخالف لنصوصه[٧] ، لم يعلق الحكم بالنسب في مثل[٨] هذا[٩] البتة، كما قد بسط في موضعه[١٠] .

لفظ المشركين إذا افرد قد يتناول أهل الكتاب

ولفظ «المشركين» يذكر مفرداً في مثل قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١] وهل يتناول أهل الكتاب؟ فيه قولان مشهوران للسف والخلف، والذين قالوا :

---

(١) «كلهم» ساقطة من (م) .

(٣) هم بنو تغلب بن وائل بن ربيعة بن نزار من صميم العرب، انتقلوا في الجاهلية الى النصرانية وكانوا قبيلة عظيمة ، لهم شوكة قوية ، واستمروا على ذلك حتى جاء الإسلام فصولحوا على مضاعفة الصدقة عليهم ، عوضاًعن الجزية. انظر : أحكام أهل الذمة لابن القيم (١ / ٧٥) .

(٣) انظر: المغني لابن قدامة (٥٩٣/١٠) . احكام أهل الذمة لابن القيم (٨٣/١) .

(٤) « أن » توجد في هامش (أ) .

(٥) في (مح) ، (س) بزيادة « الواو » .

(٦) في (أ ، هـ ، ح) « كتابي » والمثبت من بقية النسخ .

(٧) في (ف ، ح) « النصوص ».

(٨) « مثل » ساقطة من (س) .

(٩) في (م ، ح ، ف) « هذه » .

(١٠) انظر : تحرير القول في هذه المسألة عند المؤلف في مجموع الفتاوى (٣٥ / ٢٢٤ ـ ٢٣٣) حيث أفاض ـ رحمه الله ـ القول فيها إفاضةً مفيدة محررةً . وانظر : أحكام أهل الذمة لابن القيم (١/ ٧٥ ـ ٩١) .

بأنها تعم ، منهم من قال : هي[(١)] محكمة ، كابن عمر ، والجمهور الذين يبيحون نكاح الكتابيات[(٢)] ، كما ذكر[(٣)] الله في آية المائدة ، وهي متأخرة عن هذه .

ومنهم من يقول : نُسِخَ[(٤)] منها تحريم نكاح الكتابيات . ومنهم من يقول : بل هو مخصوص ، لم يرد باللفظ العام ، وقد أنزل الله تعالى[(٥)] بعد صلح الحديبية قوله : ﴿ وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ الكَوَافِرِ ﴾ [الممتحنة: ١٠] وقد[(٦)] يقال : إنما نهى عن التمسك بالعصمة من كان [متزوجا][(٧)] كافرة ، ولم يكونوا حينئذ [متزوجين][(٨)] إلا بمشركة وثنية فلم تدخل[(٩)] في ذلك الكتابيات[(١٠)] .

فصل

اسم الصالح والشهيد والصديق يتناول النبيين ومن دونهم

وكذلك لفظ الصالح والشهيد والصديق ، يذكر مفرداً ، فيتناول[(١١)] النبيين ، قال [الله][(١٢)] تعالى في حق الخليل: ﴿ وَءَاتَيْنَاه أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت :٢٧] //[(١٣)] وقال : ﴿ وَءَاتَيْنَاه فِي الدُّنْيَا حَسَنَة وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾]النحل:١٢٢]// .

وقال الخليل : ﴿ رَبِّ هَبْ لي حُكْماً وَأَلْحِقْني بِالصَّالِحِينَ ﴾ [الشعراء:٨٣] [[(١٤)]وقال يوسف : : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالْصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف:١٠١]][(١٤)]

(١) في (ح ، ق) « أنها » .
(٢) في (ف) « الذميات » .
(٣) في (مح ، م ، هـ) « ذكره » .
(٤) في (س) « ينسخ » .
(٥) « تعالى » ساقطة من (م) .
(٦) في (هـ) « وهذا القول يقال » وفي (س ، ف) « وهذا قد يقال » .
(٧) في (أ) « مزوجا » والمثبت من بقية النسخ .
(٨) في (أ ، س ، ف ، ق) « مزوجين » .
(٩) في (س ، م) « فلم يدخل » .
(١٠) انظر : تفسير الطبري (٢٧/ ٢٢١) ، وأحكام القرآن لابن العربي المالكي (١/١٥٦) .
(١١) في (ح) « يتناول » .
(١٢) لفظ الجلالة مثبت من (ح) .
(١٣) ما بين العلامتين // ـــ // يوجد بهامش (أ ، ف) .
(١٤) ما بين المعكوفتين ساقط من (أ ، هـ ، ق) ومثبت من بقية النسخ .

وقال سليمان(١) : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾[النمل:١٩] . وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح(٢) المتفق على صحته لما كانوا يقولون في آخر [التشهد(٣) في] صلاتهم : « السلام على الله قبل عباده ، [السلام(٤) على جبريل ، السلام على ميكائيل(٤)] السلام على فلان ، فقال لنا رسول الله ﷺ ذات يوم : « **إن الله هو السلام ، فإذا قعد أحدكم في الصلاة ، فليقل : التحيات لله ، والصلوات ، والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فإذا قالها [أصابت(٥)] كل عبد صالح لله في السماء والأرض** »(٦)... الحديث .

وقد يذكر الصالح مع غيره ، كقوله تعالى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النساء:٦٩] قال(٧) الزجاج وغيره: « الصالح : القائم بحقوق الله وحقوق عباده »(٨) ولفظ الصالح/ خلاف الفاسد ، فإذا أطلق فهو الذي [١٩/ب] صلح جميع أمره ، فلم يكن فيه شيء من [الفساد](٩) فاستوت سريرته وعلانيته ، وأقواله وأعماله على ما يُرضِي ربه ، وهذا يتناول النبيين ومن دونهم .

---

(١) في هامش (أ ، ق) زيادة وقال عن سليمان عليه السلام : ﴿ فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه ﴾ [النمل : ١٩] .

(٢) « الصحيح » ساقطة من (س ، ق) .

(٣) « التشهد في » مثبتة من (ف) وساقطة في بقية النسخ .

(٤) ما بين المعكوفتين ساقط من (أ ، ف ، س) ومثبت من بقية النسخ .

(٥) في (أ) « صاب » والمثبت من بقية النسخ .

(٦) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤١٣) من طريق أبي سعيد حدثنا زائدة حدثنا منصور ، عن شقيق عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً به ، وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ، وأخرجه أيضا من طريق أبي سعيد حدثنا زائدة حدثنا الأعمش عن شقيق ... به . (١/ ٤٢٨) ومن طريق أبي معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلمه .. به ، و (١/ ٤٣١) من طريق يحيى عن الأعمش حدثني شقيق ... به وهذه الأسانيد صحيحة ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في التشهد (١/ ٢٩٠) بسنده من طريقين عن الأعمش عن شقيق .. به .

(٧) توجد في (أ ، ق) « واو » وليست في بقية النسخ والأولى حذفها .

(٨) انظر قول الزجاج في كتابه معاني القرآن (٢/ ٧٧) .

(٩) في (أ ، ق) « المفاسد » والمثبت من بقية النسخ .

ولفظ الصديق قد جُعِلَ هنا معطوفاً على النّبيّين ، وقد وصف به النَّبيّن في مثل قوله [تعالى][(١)] ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنَّهُ كَانَ صِديقا نبيا ﴾ [مريم : ٤١] [﴿واذْكُرْ في الكِتاب إِدْريسَ إِنَّهُ كَانَ صِديقا نَّبيا ﴾ [مريم : ٥٦]][(٢)].

وكذلك الشهيد قد جعل هنا قرين الصِّدِّيق والصالح ، وقد قال : ﴿ وجآءَ بالنَّبيِّينَ والشُّهَدآءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بالْحَقِّ ﴾ [الزمر:٦٩] ، ولما قُيِّدت الشهادة على الناس ، وصفت به الأمة كلها[(٣)] في قوله [تعالى][(١)] ﴿ وَكَذَلكَ جعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُواْ شُهَدآءَ عَلَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ [البقرة:١٤٣] . فهذه شهادةٌ مقيدة بالشهادة على الناس ، كالشهادة المذكورة في قوله [تعالى][(٤)] ﴿ لَوْلاَ جاءَوا عَلِيه بأَرْبَعَةِ شُهَداءَ ﴾ [النور:١٣] .

وقوله : ﴿ وَاستَشْهِدُواْ شَهِيْدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] . وليست هذه الشهادة المطلقة في الآيتين ، بل ذلك كقول : ﴿ [ويَتَّخِذَ][(٥)] مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ [آل عمران:١٤٠]

فصل

[و][(٦)] كذلك لفظ ا لمعصية والفسوق والكفر ، فإذا أطلقت المعصية لله ورسوله ، دخل فيها[(٧)] الكفر والفسوق ، كقوله : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ ويَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالداً فِيهَا ولَهُ عَذَابٌ مُهِّينٌ ﴾ [النساء :١٤][(٨)] . المعصية إذا أطلقت دخل فيها الكفر والفسوق

(١) تعالى مثبتة من (ح ، ق) .

(٢) ما بين المعكوفتين ساقط من (أ ، ح) ومثبت من بقية النسخ .

(٣) « كلها » توجد بهامش (أ) .

(٤) « تعالى » مثبتة من (م ، ح) .

(٥) في (أ) « وتتخذ » والمثبت من بقية النسخ .

(٦) الواو ساقطة من (أ ، ح) ومثبتة من بقية النسخ .

(٧) في (ف) « فيه » .

(٨) المثبت من (أ ، ف) وفي بقية النسخ ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ .

وقال [تعالى](١) : ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَه واتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيد ﴾ [هود: ٥٩] فأطلق(٢) معصيتهم [للرسل](٣) بأنهم عصوا هوداً معصية تكذيب [لجنس(٤)] الرسل ، فكانت المعصية [لجنس(٤)] الرسل كمعصية من قال : ﴿ فَكَذَّبْنا وَقُلْنا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْء ﴾ [الملك : ٩] . ومعصية من كذب وتولى ، قال تعالى(٥) : //(٦) ﴿ لا يَصْلاها إِلاَّ الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ [الليل: ١٥-١٦] //(٦) .

أي كذب بالخبر(٧) وتولى عن طاعة الأمر ، وإنما على الخلق أن يصدقوا الرسل فيما أخبروا ، ويطيعونهم(٨) فيما أمروا ، وكذلك قال في فرعون : ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴾ [النازعات: ٢١] وقال عن جنس الكافر : ﴿ فَلا صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى * وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ [القيامة : ٣١-٣٢] فالتكذيب للخبر ، والتولي عن الأمر . وإنما الإيمان تصديق الرسل فيما أخبروا ، وطاعتهم فيما أمروا ، ومنه قوله [تعالى](٩) : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ [المزمل : ١٥ - ١٦] / . [٢٠/أ]

ولفظ التولي بمعنى التولي عن الطاعة مذكور في مواضع من القرآن ، كقوله : ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُم عَذَاباً أَلِيماً ﴾ [الفتح: ١٦] . وذمه في غير(١٠) موضع من القرآن من تولي ، دليل على وجوب طاعة الله ورسوله ، وأن الأمر المطلق

---

(١) « تعالى » ساقطة من (أ ، ف) ومثبتة من باقي النسخ .
(٢) المثبت من (أ ، ق ، س) وفي (ف) « فأطلقت » وباقي النسخ « وأطلق » .
(٣) « للرسل » ساقطة من (أ) ومثبتة من بقية النسخ .
(٤) في (أ ، ح) « بجنس » في الموضعين والمثبت من بقية النسخ .
(٥) « تعالى » ساقطة من (م ، ح) .
(٦) ما بين // ـــ // يوجد بهامش (أ) .
(٧) في (ح ، ف) « بالخير » .
(٨) في (س ، ف) « يطيعوهم » .
(٩) « تعالى » مثبتة من (س ، ح ، ق ، م) .
(١٠) « غير » ساقطة من (ف) .

يقتضي وجوب الطاعة ، وذم المتولي[(١)] عن الطاعة ، كما علق الذم بمطلق المعصية في مثل قوله : ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ [المزمل:١٦] .

وقد قيل : إن التأبيد لم يذكر في القرآن إلاَّ في وعيد الكفار ، ولهذا قال : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣] . وقال فيمن يجور في المواريث : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء :١٤] فهنا [قيد][(٢)] المعصية بتعدي حدوده ، فلم يذكرها مطلقة ، وقال : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١] . فهي معصية خاصة ، وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران :١٥٢] . فأخبر عن [معصية][(٣)] واقعة معينة ، وهي معصية الرماة[(٤)] للنبي - ﷺ - حيث أمرهم بلزوم ثغرهم ، وإن رأوا المسلمين قد انتصروا ، فعصى منهم من عصا[(٥)] هذا الأمر ، وجعل أميرهم يأمرهم [بلزوم الثغر وامتثال الأمر][(٦)] لما رأوا الكفار منهزمين ، وأقبل منهم من[(٧)] أقبل على المغانم ، وكذلك قوله : ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات:٧] جعل ذلك[(٨)] ثلاث مراتب ، وقد قال : ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ [الممتحنة : ١٢] . فقيد المعصية ، ولهذا فسرت بالنياحة ، قاله[(٩)] ابن عباس[(١٠)] .

(١) المثبت من (أ ، س) وفي بقية النسخ « التولى » .

(٢) في (أ ، ح) « فيه » والمثبت من بقية النسخ .

(٣) في (أ) « معصيته » وما أثبت من بقية النسخ .

(٤) في (ف) « الرسالة » .

(٥) المثبت من (أ) وفي بقية النسخ « فعصى من عصى منهم هذا الأمر » .

(٦) المثبت من « ف » وساقط في بقية النسخ .

(٧) المثبت من (أ) وفي باقي النسخ (واقبل من أقبل منهم) .

(٨) « ذلك » ساقطة من (ح) .

(٩) في (ح ، س) « قال » .

(١٠) أخرجه ابن جرير في التفسير (٥١/٢٨) من طريق : علي بن سهل الرملى قال ، حدثنا أبو صالح ، قال حدثنا معاوية عن علي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - فذكره واسناده ضعيف فيه : أبو صالح وهو عبد الله بن صالح =

وروى ذلك[(١)] مرفوعا[(٢)] ، وكذلك قال زيد بن أسلم : « [(٣)] لا يَدْعُونَّ ويلاً ، ولا يخدشنَّ وجها ، ولا يَنْشُرنَّ شعراً ، ولا يَشْقُقنَّ ثوباً »[(٤)] . وقد قال بعضهم : « هو جميع ما يأمرهم به الرسول من شرائع الإسلام وأدلته ، كما قاله ـ أبو سليمان الدمشقي[(٥)] . ولفظ الآية عام / أنهن لا يعصينه في معروف ، ومعصيته لا تكون إلا في معروف ، فإنه لا يأمر بمنكر، لكن هذا ـ كما قيل ـ فيه دلالة على أن طاعة أولي[(٦)] الأمر إنما تلزم في المعروف كما ثبت في «الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال : « **إنما الطاعة في المعروف** »[(٧)] ونظير هذا قوله [٢٠/ب]

= كاتب الليث وهو ضعيف والإسناد أيضا منقطع ، فإن على وهو ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس ، وأخرجه ايضا ابن مردوية ، كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٤٠/٨) انظر : الميزان (٤٤/٤) ، (١٣٤/٣) الجرح والتعديل (٨٦/٥) ، والتهذيب (٣٣٩/٧) ، والتقريب (٣٩/٢) ، والمراسيل (ص : ١١٨) حيث قال ابن أبي حاتم: على ابن أبي طلحة انما يروى عن مجاهد .

(١) في (س) « وروى ذلك « عمر » مرفوعا » .

(٢) المرفوع أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ، باب من سورة الممتحنة (٤١١/٥) من طريق : عبد بن حميد ، حدثنا أبو نعيم حدثنا يزيد بن عبد الله الشيباني قال : سمعت شهر بن حوشب قال : حدثتنا أم سلمة الأنصارية قالت امرأة من النسوة : « ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا أن لا نعصيك فيه ؟ قال : لا تَنُحن » الحديث وإسناده حسن رجاله كلهم ثقات . وأخرجه أيضا ، ابن ماجه في كتاب الجنائز ، باب في النهي عن النياحة (٥٠٣/١) بسنده من طريق يزيد بن عبد الله ... بنحوه ، وأخرجه أيضا ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردوية ـ كما في الدر المنثور ـ (١٤١/٨) .

(٣) قول زيد بن أسلم أخرجه ابن أبي شيبة ـ كما ذكره في الدرر المنثور (٨ / ١٤٣) .

(٤) في (هـ ، ف ، مح) « تَدْعُنَّ وتخدشنَّ تنشرنَّ وتشققنَّ » بالتاء والمثبت من (أ) ، وفي بقية النسخ « بالياء » .

(٥) انظر قول أبي سليمان الدمشقي عند ابن الجوزي في زاد المسير (٨ / ٢٤٧) .

(٦) في (ف ، س ، مح) « ولى الأمر » .

(٧) جزء من حديث عبدالله بن عمر ، وأبي هريره ، وعبادة بن الصامت الذي أخرجه : البخاري في كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (١٠٥/٨) من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ومسلم في كتاب الإمارة ، باب طاعة الأمراء في غير معصية الله (١٤٦٩/٣) من حديث عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ ومالك في الموطأ ، في كتاب الجهاد ، باب الترغيب في الجهاد (٢ / ٤٤٠) ، وابن ماجه في كتاب الجهاد، باب البيعة عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ (٩٥٦/٢)، وأحمد في المسند (٣٨١/٢) عن أبي هريره ـ رضي الله عنه ـ وفي (٣١٤/٥ ، ٣١٩) من حديث عباده بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ .

[تعالى](١) : ﴿ اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال :٢٤] . وهو لا يدعو إلاّ(٢) إلى ذلك ، والتقييد هنا لا مفهوم له ، فإنه لا يقع دعاء لغير ذلك ، ولا أمر بغير معروف ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [النور:٣٣] . فإنهنَّ إذا لم يُرِدْنَ تحصُّناً ، امتنع الإكراه ، ولكن في هذا بيان الوصف المناسب للحكم ، ومنه قوله تعالى(٣) : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٧] ، وقوله تعالى(٤) : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [البقرة: ٦١] .

فالتقييد في جميع هذا [للبيان](٥) والإيضاح ، لا لإخراج وصف آخر ، ولهذا يقول من يقول من النحاة : الصفات في المعارف للتوضيح لا للتخصيص ، وفي النكرات للتخصيص ، يعني في المعارف التي لا تحتاج إلى تخصيص(٦) ، كقوله : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴾ [الأعلى : ١-٢] وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ(٧) النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] وقوله : ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة : ١-٢] .

والصفات في النكرات إذا تميزت تكون للتوضيح أيضا ، ومع هذا فقد عطف المعصية على الكفر والفسوق في قوله [تعالى](٨) : ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات:٧] ومعلوم أن الفاسق عاصٍ أيضا .

---

(١) « تعالى » مثبتة من (ح ، م ، ق) .

(٢) « إلا » ساقطة من (س) .

(٣) « تعالى » ساقطة من (أ ، ح ، ف) ومثبتة من باقي النسخ .

(٤) « تعالى » توجد بهامش (أ ، ح) فقط، ساقطة من بقية النسخ .

(٥) في (أ) « البيان » والمثبت من بقية النسخ .

(٦) انظر تفصيل قول النحاة في كتاب سيبويه (٢٢٢/١) ، والتبصرة والتذكرة للصيمري (١٦٩/١) .

(٧) « الرسول » ساقطة من (ح) .

(٨) « تعالى » مثبتة من (ق) .

فصل

ظلم النفس إذا أطلق تناول جميع الذنوب

ومن هذا الباب ظلم النفس ، فإنه إذا أطلق ، تناول جميع الذنوب ، فإنها ظلم العبد نفسه ، قال تعالى(١) : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [هود: ١٠٠- ١٠١] و[قال تعالى(٢)] : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا / إِلَى بَارِئِكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٤] .وقال في قتل النفس : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ﴾(٣) [القصص: ١٦] وقالت بلقيس : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل: ٤٥] . وقال آدم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] . ثم قد يقرن ببعض الذنوب ، كقوله تعالى(٤) : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾(٥) [آل عمران: ١٣٥]. وقوله : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ [النساء: ١١٠].

[٢١/أ]

الظلم المطلق يدخل فيه الكفر وسائر الذنوب

وأما لفظ الظلم المطلق ، فيدخل فيه الكفر وسائر الذنوب ، قال [الله](٦) تعالى ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ

---

(١) في (م ، ح) « قال الله تعالى » .

(٢) في (أ ، ف)« وقال موسى لقومه » والمثبت من (س ، هـ ، ق) .

(٣) « فغفر له » ساقطة من (ح ، م) .

(٤) « تعالى » ساقطة من (ف) .

(٥) ﴿ ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ﴾ مثبتة من (أ ، ح ، ق) وساقطة من بقية النسخ .

(٦) « لفظ الجلالة » مثبت من (ف ، ق) .

الجَحِيمِ * وَقِفُوهُمۡ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴾ [الصافات:٢٢-٢٤] قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه[١] ـ « وضربائهم»[٢] وهذا ثابت عن عمر[٣] وروى ذلك عنه مرفوعاً[٤] ، وكذلك قال ابن عباس[٥] : « وأشباههم »، وكذلك قال قتادة والكلبي[٦] : « كل[٧] من عمل بمثل عملهم[٨] ، فأهل الخمر مع أهل الخمر ، وأهلى الزنى مع أهل الزنى » وعن الضحاك ومقاتل[٩] : «قرناءهم[١٠] من الشياطين ، كل كافر معه شيطانه في سلسلة. وهذا كقوله[١١] [تعالى][١٢]

---

(١) « رضي الله عنه » مثبتة من (أ ، ح ، ق) .

(٢) المثبت من (أ ، ف ، س) وفي الباقي « ونظرائهم » .

(٣) أخرج ذلك ابن جرير في التفسير (٢٣ / ٣١) من طريق سفيان حدثنا سماكُ بن حرب ،عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ « فاحشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال : ضربائهم » واسناده حسن ورجاله كلهم موثقون . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٠) بسنده من طريق : سماك بن حرب ... به وقال : « أمثالهم الذين هم مثلهم » ، وقال حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ووافقه ا لذهبي .

(٤) « وروى ذلك عنه مرفوعا » مثبت من (أ ، ف ، س) وساقط من الباقي ، وهذه الرواية لم أجدها .

(٥) أخرج رواية ابن عباس « وأشباههم » ، الفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبدُ بن حميّد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث كما ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور (٨٤/٧) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال :« أشباههم » وفي لفظ : « نظارائهم » .. ورواية « ونظرائهم » أخرجها : ابن جرير في التفسير (٣١/٢٣) من طريق علي قال حدثنا أبو صالح قال حدثنا معاوية عن علي عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ فذكره واسناده ضعيف لسببين: الأول : ما قيل في أبي صالح من الضعف وهو عبدالله بن صالح كاتب الليث وهو ضعيف الثاني : الانقطاع بين علي وهو ابن أبي طلحة وبين ابن عباس ، فعليّ لم يسمع من ابن عباس ـ كما سبق بيان ذلك (ص :٣٥) .

(٦) قول قتادة والكلبي أخرجه : الطبري في التفسير (٣١/٢٣) والبغوي في التفسير (٢٥/٤) وذكره السيوطي في الدرر المنثور (٨٤/٧) .

(٧) « كل » ساقطة من (ح ، ق) .

(٨) في (م) « أعمالهم » .

(٩) قول مقاتل والضحاك أخرجه : الطبري في التفسير (٣١/٢٣) والبغوي في التفسير (٤ / ٢٥) .

(١٠) في (ف) زيادة « واو » « وقرناءهم » .

(١١) في (س) « وهذا القول » .

(١٢) « تعالى » مثبتة من (ح ، ق) .

﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير : ٧] . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه - : الفاجر مع الفاجر ، والصالح مع الصالح»[(١)] . قال ابن عباس : « وذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة [(٢)] » . وقال الحسن وقتادة[(٣)] : « ألحقَ كلُ امرئٍ بشيعته ، اليهودي مع اليهود ، والنصراني مع النصارى » . وقال الربيع بن خيثم[(٥)] : « يحشر المرء مع صاحب عمله »[(٤)] وهذا كما [ثبت][(٦)] في « الصحيح » عن النبي ﷺ لما قيل له : الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ؟ قال : « المرء مع من أحب »[(٧)] . وقال : « **الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف**

(١) أخرجها ابن جرير في التفسير (٤٤/٣٠) من طريق هنّاد قال حدثنا أبو الأحوص عن سماك عن النعمان بن بشير قال : سئل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن قول الله تعالى : ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ قال : « يقرن بين الرجل الصالح مع رجل الصالح في الجنة ، وبين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار »، واسناده حسن . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٥١٦/٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) قول ابن عباس أخرجه: الطبري في التفسير (٤٠/٣٠) عن طريق محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - فذكره . وهذا الإسناد مسلسل بالضعفاء فمحمد هو ابن سعد بن محمد بن الحسن بن عطيه العوفي، لين الحديث ، وأبيه سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي ضعيف جدا ، كما ذكر ذلك الخطيب في تاريخ بغداد (١٢٦/٩) ، وكما في الميزان (٥٦٠/٣) ، وتاريخ بغداد (٥/ ٣٢٢) . وعمه الحسين بن الحسن بن عطية العوفي ، ضعيف ، ذكره العقيلي في الضعفاء (٢٥٠/١) وابن حبان في المجروحين(٢٤٦/١) ، والحسن بن عطية ابن سعد بن جنادة ، ضعيف قال الحافظ في التقريب : عطية ابن سعد بن جنادة العوفي ، صدوق يخطئ كثيراً ، كان شيعياً مدلساً . (٢/ ٢٤) .

(٣) قول الحسن أخرجه ابن جرير في التفسير (٣٠/ ٤٥) من طريق محمد بن بشار قال : حدثنا هوذه قال : حدثنا عوف عن الحسن - فذكره . وقول قتادة أخرجه من طريق : بشر قال حدثنايزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة ... فذكره ، والاسنادين حسنيين رجالهم موثوقون كلهم .

(٤) أخرجه ابن جرير في التفسير (٤٥/٣٠) من طريق : أبي كريب قال حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلى عن الربيع بن خيثم فذكره ، وهذا الاسناد صحيح ورجاله موثوقون كلهم .

(٥) الربيع بن خثيم بن عائذ أبو يزيد الثوري الكوفي الإمام القدوة أدرك زمن النبي - ﷺ - وارسل عنه روى عن عبد الله ابن مسعود ، وأبي أيوب الأنصاري ، وعمرو بن ميمون ، وهو قليل الرواية كبير الشأن روى عنه الشعبي وابراهيم النخعي وهلال بن يساف وآخرون، قال له ابن مسعود مرة : « لو رأك رسول الله - ﷺ - لا حبك وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين » توفى سنة ٦٣هـ انظر: طبقات ابن سعد (٦ / ١٨٢) ، حلية الأولياء (١٠٦/٢) ، سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٨) تهذيب التهذيب (٣ / ٢٤٢) .

(٦) « ثبت » ساقطة من (أ) ومثبتة في باقي النسخ .

(٧) ورد هذا الحديث من طريق عدد من الصحابة - رضي الله عنهم - وهم : عبد الله بن مسعود ، وأنس وأبوموسى الأشعري، وصفوان بن عسال، فأما حديث عبدالله مسعود فأخرجه: البخاري في كتاب الآدب ، باب علامة حب الله عز وجل(١١٢/٧) بلفظين ، الأول: كما ذكره الشيخ هنا، والثاني: أن رجلا جاء إلى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول اللهكيف تقول في رجل أحب قوما ولما يلحق بهم؟ فقال رسول الله - ﷺ -: « المرء مع من أحب».

منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف »(١) . وقال : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل »(٢) .

وزوج الشيء نظيره ، [ويسمى](٣) [الصنف](٤)زوجا ، لتشابه أفراده ، كقوله : ﴿ وأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ [الشعراء :٧] وقال: ﴿ وَمِن كُلِ شَيء خَلَقْنَا زَوْجَين / لَعَلَّكُمْ تذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات :٤٩](٥) ، قال غير واحد من المفسرين(٦) : « صنفين ونوعين مختلفين : السماء والأرض ،والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والبر والبحر ، والسهل [٢١/ب]

= وحديث أنس - رضي الله عنه ، أخرجه: البخاري في كتاب الأدب أيضا ، باب علامة حب الله عز وجل (١١٢/٧) بلفظ : أن رجلا سأل النبي - ﷺ - متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كثير من صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله ، قال : أنت مع من أحببت » ، والترمذي في كتاب الزهد ، باب ماجاء ان المرء مع من أحب (٤ / ٥٩٥) . وحديث أبي موسى ، أخرجه: البخاري ايضا في نفس الموضعين السابقين ، ومسلم في كتاب البر والصلة ، باب المرء مع من أحب (٢٠٣٤/٤) وحديث صفوان ابن عسال أخرجه الترمذي في نفس الموقع السابق .

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب الأرواح جنود مجندة (٢٠٣١/٤) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعا ... به ، وأخرجه عنه أيضا : البخاري في كتاب الأدب المفرد (٩٠١/٢) ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس (٢٦٠/٤) ، وأحمد في المسند (٢/ ٢٩٥ ، ٥٢٧) ، والبغوي في شرح السنة (٥٧/١٣) وذكره البخاري تعليقا في كتاب الأنبياء ، باب الأرواح جنود مجنده (١٠٤/٤) عن عائشة - رضي الله عنها - ووصله في الأدب المفرد (٩٠٠/٢) .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس (٤ / ٢٥٩) من طريق ابن بشار حدثنا أبوعامر وأبو داود قالا حدثنا زهير بن محمد حدثني موسى بن وردان عن أبي هريره - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ - : « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » وهذا الإسناد صحيح ورجاله موثوقون . وأخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب رقم (٤٥) (٥٨٦/٤) من طريق محمد بن بشار ... به ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل فيما - فيما زاد على المسند - (٣٠٣/٢) بسنده من طريق زهير (٣٣٤/٢) ومن طريق أبي عامر ... به .

(٣) المثبت من (م) وفي بقية النسخ « وسمى » بدون الياء .

(٤) المثبت من (ف ، س ، ق) وفي (أ) « الضيف » وفي بقية النسخ « النصف » .

(٥) توجد في جميع النسخ ما عدا (أ ، س) زيادة « واو » .

(٦) انظر : زاد المسير لابن الجوزي (٧ / ٥٢) تفسير القرطبي (٢٧ / ٦) الكشاف للزمخشري (٤٠٦/٤) ، الدر المنثور للسيوطي (٧ / ٦٢٣) .

والجبل ، والشتاء والصيف ، والجن[١] والإنس ، والكفر والإيمان ، والسعادة والشقاوة ، والحق والباطل ، والذكروالأنثى ، والنور والظلمة [والهدى والضلال[٢]] والحلو والمر ، وأشباه ذلك ، لعلكم تذكرون [أي][٣] فتعلمون أن خالق الأزواج[٤] واحد ، وليس المراد أنه يحشر معهم زوجاتهم مطلقا[٥] ، فإن المرأة الصالحة قد يكون زوجها فاجرا ، بل كافرا ، كامرأة فرعون[٦] . وكذلك الرجل الصالح ، قد تكون امرأته[٧] فاجرة ، بل كافرة ، كامرأة نوح ولوط[٨] .

لكن إن[٩] كانت المرأة على دين زوجها ، دخلت في عموم الأزواج ، ولهذا قال الحسن البصري : ﴿ وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ : المشركات[١٠] .

فلا ريب أن هذه الآية تناولت الكفار[١١] ، كما دل عليه سياق الآية . وقد تقدم كلام المفسرين[١٢] : أنه يدخل فيها الزناة مع الزناة ، وأهل الخمر مع أهل الخمر . وكذلك الأثر

---

(١) في (م ، ح) « الانس والجن » .

(٢) « الهدى ، الضلال » مثبت من (ف) وساقطة من باقي النسخ .

(٣) « أي » مثبتة من (م) .

(٤) في (ف) زيادة كلمة « مطلقا » والصواب بدونها .

(٥) « مطلقا » ساقطة من (ح) وتوجد بهامش (أ) .

(٦) اشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ [التحريم :١١] .

(٧) في (م) « زوجته » .

(٨) اشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا إمرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيهما عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ [التحريم: ٩] .

(٩) في (هـ) « إذا » .

(١٠) انظر : قول الحسن عند ابن الجوزي في زاد المسير (٧ / ٥٢) .

(١١) في (ح) « الكافر » .

(١٢) سبق (ص: ٩٥ - ٩٦) من هذه الرسالة .

المروي : « إذا كان يوم القيامة قيل : أين الظلمة وأعوانهم؟ ـ أو قال : و[١] أشباههم ـ فيجمعون في توابيت من نار ثم يقذف بهم في النار »[٢] وقد قال غير واحد من السلف : « أعوان الظلمة من أعانهم، ولو أنه لاق[٣] لهم دواة، أو برى لهم قلماً» ومنهم من كان يقول: « بل من[٤] يغسل ثيابهم من أعوانهم ، وأعوانهم : هم[٥] من أزواجهم المذكورين في الآية ، فإن المعين على البر والتقوى من أهل ذاك ، والمعين على الإثم والعدوان من أهل ذلك[٦] . قال تعالى : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء : ٨٥] . والشافع الذي يعين غيره ، [يصير][٧] معه شفعا بعد أن كان وترا ، ولهذا فسرت الشفاعة الحسنة بإعانة المؤمنين على الجهاد ، والشفاعة السيئة بإعانة الكفار على قتال المؤمنين ، كما ذكر ذلك ابن جرير[٨] ، وأبو سليمان[٩] .

وفسرت الشفاعة الحسنة بشفاعة الإنسان / للإنسان ليجتلب[١٠] له نفعا ، أو يخلصه [٢٢/أ]

---

(١) الواو ساقطة من (هـ ، مح ، م) .

(٢) ذكره الديلمي في فردوس الأخبار (٣١٦/١) عن أبي هريره ـ رضي الله عنه ـ ولم يذكر من أخرجه .

(٣) قال في القاموس المحيط : لاق : الدواة يليقها ليقة وليقاً وألاقها : جعل لها ليقةً أو أصلح مدادها، فلاقت الدواة لصق المداد بصوفها ، والليق بالكسر شيء أسود يجعل في الكحل . وألاقة بنفسه ألزقه » انظر القاموس مادة «لاق» (ص : ١١٩١) .

(٤) في (ف) زيادة « كان » .

(٥) « هم » ساقطة من (ح ، م ، ف) .

(٦) في (س) « ذاك » .

(٧) المثبت من (ف) وفي بقية النسخ « فيصير » .

(٨) انظر قول ابن جرير في التفسير (٥ / ١١٧) .

(٩) انظر قول أبي سليمان وهو الدمشقي في تفسير ابن الجوزي (١٥٠/٢) .

(١٠) في (ف ، ق) « ليجلب » .

من بلاء ، كما قال الحسن[١] ، ومجاهد[٢] ، وقتادة[٣] ، وابن زيد[٤] ، فالشفاعة الحسنة أعانته[٥] على خير يحبه الله ورسوله، من نفع من يستحق النفع ، ودفع الضرر[٦] عنه ، والشفاعة السيئة إعانته على ما يكرهه الله ورسوله ، كالشفاعة التي فيها ظلم الإنسان [أو][٧] منع الإحسان الذي يستحقه ، [[٨]وفسرت الشفاعة الحسنة « بالدعاء للمؤمنين ، والسيئة بالدعاء عليهم» [٨]] وفسرت الشفاعة الحسنة « بالإصلاح بين اثنين »[٩] ، وكل هذا صحيح ، فالشافع زوج المشفوع له، [إذ][١٠] المشفوع [عنده][١١] من الخلق ، إما أن يعينه على بر وتقوى، وإما أن يعينه على إثم وعدوان ، وكان النبي - ﷺ - إذا أتاه طالب حاجة [يقول][١٢] لأصحابه : «**اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء**»[١٣] .

---

(١) قوله الحسن أخرجه ابن جرير في التفسير (٥ / ١١٨) من طريق ابن مهدي عن حماد بن سلمه عن حميد عن الحسن ، وإسناده صحيح ورجاله موثوقون كلهم . حميد ابن أبي الطويل ثقة يدلس لكنه قد سمع من الحسن. انظر : تهذيب الكمال (٧ / ٣٥٥) . والتقريب (٢١٦/١) .

(٢) قول مجاهد أخرجه أيضا ابن جرير في التفسير (١١٨/٥) من طريق : محمد بن عمرو حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد ... فذكره وإسناده صحيح ورجاله موثوقون كلهم .

(٣) قول قتاده أخرجه أيضا ابن جرير في التفسير (١١٨/٥) من طريق : بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة ... فذكره بمعناه وإسناده صحيح رجاله موثوقون كلهم .

(٤) قول ابن زيد أخرجه أيضاً ابن جرير في التفسير (٥ / ١١٨) من طريق : يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : سئل ابن زيد عن قول الله تعالى : ﴿ **من يشفع شفاعة حسنة** ﴾ الآية قال :... فذكره بنحو ما تقدم ، وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان صالحا لكنه ضعيف في الحديث . انظر : الضعفاء للعقيلي (٢٣١/٢) ، الجرح والتعديل (٢٣٣/٥) ميزان الاعتدال (٥٦٥/٢) .

(٥) المثبت من (أ ، س) وباقي النسخ « اعانة » .

(٦) « الضرر » في الموضعين من (أ ، ف ، ق ، س) وفي باقي النسخ « الضر » في الموضع الأول ، في (ق) « ودفع الضرر عمن يستحق الضرر عنه » وفي الهامش « ودفع الضرر عمن يستحق دفع الضرر عنه » .

(٧) المثبت من (ح ، هـ ، س ، ق) وفي البقية « بالواو » .

(٨) ما بين المعكوفتين ساقط من (أ) ومثبت من باقي النسخ .

(٩) في (م ، ف) « الاثنين » .

(١٠) في (أ) « او » وفي (ف) « بالواو » وما أثبت من بقية النسخ .

(١١) « عنده » ساقطة من (أ ، ق) ومثبتة من بقية النسخ .

(١٢) في (أ) « قال » وما أثبت من بقية النسخ .

(١٣) أخرجه من حديث أبي موسى الأشعري كل من : البخاري في كتاب الزكاة ، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها (١١٨/٢) .

وتمام الكلام[١] يبين أن الآية - وإن تناولت الظالم الذي ظلم بكفره - فهي أيضا متناولة ما دون ذلك - وإن قيل فيها : « وما كانوا[٢] يعبدون [من[٣] دون الله] » فقد[٤] ثبت في «الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال: « **تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم تعس عبدالقطيفة، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش** »[٥].

وثبت عنه في « الصحيح » أنه قال : « **ما من صاحب كنز إلا جعل له كنزه يوم القيامة شجاعاً أقرع يأخذ بلهزمتيه[٦] : أنا مالك ، أنا كنزك** »[٧] وفي لفظ : « **إلا مثل له**

= وأعاد إخراجه في كتاب الأدب ، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعض (٦/٨٠) ، وباب قول الله ﴿ ومن يشفع شفاعة حسنة ﴾ وكتاب التوحيد باب المشيئة والارادة (٨/١٩٣) ، ومسلم في كتاب البر والصلة ، باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام (٤ / ٢٠٢٦) ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب الشفاعة (٤ / ٣٣٤) ، والترمذي في كتاب العلم ، باب ما جاء في الدال على الخير كفاعله (٥ / ٤٢) ، والنسائي في كتاب الزكاة ، باب الشفاعة في الصدقة (٥ / ٧٧) وأحمد في المسند (٤ / ٤٠٠ ، ٤٠٩) .

(١) في (س) « الآية » بدل « الكلام » .

(٢) « كانوا » ساقطة من (ح ، هـ ، ق) .

(٣) « من دون الله » مثبتة من (ف ، ق) .

(٤) في « ح ، هـ » « وقد » .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب الحراسة والغزو في سبيل الله(٦/٦١) عن أبي هريره رضي الله عنه - (٦/٦١) وكتاب الرقاق باب ما يتقي من فتنة المال (١١/٢١٦) ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب في المكثرين (٢/١٣٥٦) عن أبي هريره ، والبغوي في شرح السنة (١٤/٣٦١) .

(٦) اللهزمتين : قال في غريب الحديث « يعني شدقيه وقيل : هما عظمتان ناتئتان تحت الأذنين ، وقيل هما مضغتان عُليتان تحتهما » . (٤ / ٢٨١) .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب اثم مانع الزكاة (٢/١١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي كتاب التفسير ، باب قوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله (٥ / ١٧٢) . ومسلم في كتاب الزكاة ، باب اثم مانع الزكاة (٢/٦٨١) من حديث جابر ابن عبد الله - رضي الله عنهما - ، وأحمد في المسند (٢/٩٨ ، ١٣٧ ، ١٥٦) عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - وفي (٢/٣١٦، ٣٥٥، ٣٧٦، ٤٨٩) عن أبي هريره - رضي الله عنه ، وفي (٣/٣٢١) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما » . والنسائي في كتاب الزكاة ، باب مانع زكاة ماله (٥/٣٨) ، وابن ماجه في كتاب الزكاة ، باب ما جاء في منع الزكاة (١/٥٦٨) ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، ومالك في الموطأ في كتاب الزكاة ، باب ما جاء في الكنز (١/٢٥٦) موقوفاً عن أبي هريرة وجاء موصولا فيما تقدم .

يوم القيامة شجاعاً أقرع يفر منه وهو يتبعه ، حتى يطوقه في عنقه » ، وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية[(١)] : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ »[(٢)] [آل عمران : ١٨٠] . وفي حديث آخر : « [مثل][(٣)] له يوم القيامة شجاعا أقرع يتبع صاحبه حيثما ذهب ، وهو يفر منه : هذا مالك الذي كنت تبخل به ، فإذا رأى أنه لا بد له منه ، أدخل يده في فيه ، فيقضمها كما يقضم الفحل »[(٤)]. وفي رواية: « فلا يزال يتبعه فيلقمه يده فيقضمها ، ثم يلقمه سائر جسده»[(٥)]. وقد قال[(٦)] تعالى في الآية الأخرى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَاكُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة : ٣٤-٣٥] .

وقد ثبت في[(٧)] « الصحيح » وغيره، عن النبي ﷺ أنه[(٨)] قال : « ما من صاحب كنز / لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليها[(٩)] في نار جهنم فتجعل[(١٠)] صفائح فيكوى بها جبينه[(١١)] وجنباه حتى يحكم الله بين عباده ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »[(١٢)] . [٢٢/ب]

---

(١) « هذه الآية » ساقطة من (ف) .

(٢) هذه الرواية أخرجها : ابن ماجة في كتاب الزكاة ، باب ما جاء في مانع الزكاة (٥٦٨/١) من طريق محمد بن عمر العدني حدثنا سفيان بن عيينه عن عبد الملك بن أعين ، وجامع بن راشد سمعا شقيق بن سلمه يخبر عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ فذكره ، وإسناده صحيح ورجال ثقات كلهم .

(٣) في (أ ، ق ، ح ، م) « يمثل » والمثبت من باقي النسخ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب اثم مانع الزكاة من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما مرفوعاً (٦٨٥/٢)، وفيه « حَوِّلَ » بدل « مُثِّل » ، والنسائي في كتاب الزكاة باب مانع زكاة ماله (٣٨/٥) وأحمد في المسند (٣٢١/٣) .

(٥) لم أجده بهذا اللفظ .

(٦) في (ح ، ق ، م) بزيادة « لفظ الجلالة » .

(٧) توجد في (ف) زيادة « عنه » .

(٨) « أنه قال » توجد بهامش (أ ، ف) .

(٩) في (ف) « عليه » .

(١٠) ما أثبت من (ح ، م) وفي بقية النسخ « فيجعل » .

(١١) في (ف) « جبهته » .

(١٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب اثم مانع الزكاة (٢/ ٦٨٠) ، وأحمد في المسند (٢/ ٢٧٦ ، ٣٨٣) .

وفي حديث أبي ذر : « **بشر الكانزين برضف**[١] **يُحمى [عليها]**[٢] **في نار جهنم ، فتوضع**[٣] **على حَلَمَة ثدي أحدهم حتى يخرج من نُغْض**[٤] **كتفيه ، ويوضع على نُغض كتفيه ، حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل ، وتكوى الجباه والجنوب والظهور ، حتى يلتقي الحر في أجوافهم** »[٥] . وهذا كما في القرآن[٦] ، ويدل على أنه بعد دخول النار ، فيكون هذا لمن دخل النار ممن فعل به ذلك أولا في الموقف ، فهذا[٧] الظالم [المانع][٨] الزكاة [يحشر][٩] مع أشباهه، وماله الذي صار عبداً له من دون الله ، فيعذب به وإن لم يكن هذا[١٠] من أهل الشرك الأكبر الذين يخلدون في النار . ولهذا قال في آخر الحديث : « **ثم يرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار**»[١١] فهذا بعد تعذيبه خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يدخل الجنة [أو النار][١٢] .

---

(١) قال في غريب الحديث « الرضف الحجارة المحماة على النار ، واحدتها رضفة » مادة « رضف » (٢/٢٣١) .

(٢) المثبت من (ف) وفي (أ) وباقي النسخ « عليه » .

(٣) في (ف ، ح) « فيوضع » .

(٤) النغض والنعص الناعص : أعلى الكتف ، وقيل هو العظم الرقائق الذي على طرفه ، وأصل النغض : الحركة يقال : نغض رأسه اذا تحرك ، والغضه اذا حركه » . انظر غريب الحديث مادة نغض (٥ / ٨٧) .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب ما أُدّيَ زكاته فليس يكنز (٢/١١٢) ، ومسلم في كتاب الايمان ، باب في الكانزين للأموال والتغليظ عليهم (٢ / ٦٨٩) .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمي عيها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** ﴾ [التوبة : ٣٤ - ٣٥] .

(٧) في (ف) « وهذا » .

(٨) ما أثبت من (ف) وفي بقية النسخ « لما منع » .

(٩) في « ح ، ق » « حشر » .

(١٠) « هذا » توجد في هامش (أ) .

(١١) سبق تخريجه في الصفحة السابقة .

(١٢) لعل الصواب بدونها كما هو في بقية النسخ .

وقد قال النبي - ﷺ - : « **الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل** »(١) قال ابن عباس وأصحابه : « كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفِسقٌ دون فسق »(٢)

وكذلك قال أهل السنة كأحمد بن حنبل وغيره ، كما سنذكره - إن شاء الله(٣) - وقد قال الله تعالى : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة : ٣١] وفي حديث عدي بن حاتم - وهوحديث طويل حسن(٤) رواه أحمد والترمذي وغيرهما(٥) - وكان قد قدم على النبي - ﷺ - وهو نصراني ، فسمعه يقرأ هذه الآية ، قال : فقلت له إنّا لسنا نعبدهم ، قال : « **أليس يُحَرِمُونَ ما أحل الله ، فَتُحَرِمُونَه ، ويحلون ما حَرَّمَ الله فتحلونَّه ؟! قال: فقلت(٦) : بلى . قال : « فتلك عبادتهم »(٧)** .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٤٠٣) من طريق عبد الله بن نمير حدثنا عبد الملك يعني بن أبي سليمان العزرمي عن أبي علي - رجل من بني كاهل - قال خطبنا أبو موسى الأشعري فقال : يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل .. الحديث . وهذا الاسناد : لين ، لجهالة حال أبي علي الكاهلي ، ذكره أبو حاتم في الجرح والتعديل (٩ / ٤٠٩) ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا ، وقال المنذري : رواته إلى أبي علي محتج بهم في الصحيح ، وأبو علي ، وثقّة ابن حبان ولم أرى أحداً أخرجه : الترغيب والترهيب (٣٩/١) ، وهو في ثقات ابن حبان (٥ /٥٦٢) وقال الهيثمي رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي علي . والذي يظهر - والله أعلم - ان الحديث حسن لغيره .

(٢) قول ابن عباس ترجمه البخاري في كتاب الإيمان بباب مستقل من صحيحه (١٣/١) وقال الحافظ في الفتح : (٨٣/١) قوله كفر دون كفر وظلم دون ظلم ... الحديث ، اشارة إلى أثر رواه الإمام أحمد في كتاب الإيمان من طريق عطاء بن أبي رباح وغيره ، ورواه أيضا من طريق طاوس عن ابن عباس بمعناه . وانظر هذه الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما - عند الطبري في التفسير (١٠/٣٥٥- ٣٥٧) وتعظيم قدر الصلاة (٥٢١/٢) والدر المنثور (٨٧/٣-٨٨) .

(٣) في (م ، ح) زيادة « تعالى » .

(٤) في (س ، هـ) « حسن طويل » .

(٥) « وغيرهما » ساقطة من (ف) .

(٦) في (ف) « قلت » .

(٧) روى هذا الحديث مرفوعا ، وموقوفا ، فأما المرفوع فقد أخرجه : الترمذي في كتاب التفسير ، باب ومن سورة براءة من طريق عبد السلام بن حرب عن عطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال : أتيت النبي =

وكذلك قال أبو البختري(1) : « أما إنهم لم يصلوا لهم ، ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ، ما أطاعوهم / ولكن أمروهم ، فجعلوا حلال الله حرامه ، وحرامه(2) حلاله ، فأطاعوهم ، فكانت تلك الربوبية ». [٢٣/أ]

وقال الربيع بن أنس(3) قلت لأبي العالية : كيف كانت(4) تلك الربوبية في بني إسرائيل؟(5) قال : « كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به وما(6) نهوا عنه

= - ﷺ - وفي عنقي صليب من ذهب فقال : يا عدي أخْرِجْ عَنْكَ هذا الوثن ... » إلخ الحديث قال الترمذي : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب ، وعطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. والبيهقي في السنن (١١٦/١٠) وابن جرير في التفسير (٨٠/١ ، ٨١) وكلاهما روياه من طريق عطيف بن أعين ... به والحديث بهذا الاسناد مداره على عطيف بن أعين وهو الشيباني الجزري الكوفي ، ضعّفه الدارقطني والحافظ بن حجر . انظر : الضعفاء والمتروكين (ص :٣٢٤) ، الميزان (٣٣٦/٣) ، التقريب (٥٠٥/١) وقد رواه موقوفاً عن حذيفة - رضي الله عنه - بمعناه كل من : ابن جرير في التفسير (٨١/١٠-٨٢) من طريق حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي البختري عن حذيفة - رضي الله عنه - ، والبيهقي في السنن (١١٦/١٠) بسنده من طريق حبيب ... به . وهذا إسناد ضعيف ، لسببين : الأول : عنعنه حبيب ، وهو ابن أبي ثابت الأسدي الكوفي ، تابعي ثقة إلا أنه كثير الارسال والتدليس . الثاني : انقطاع السند بين أبي البختري وهو سعيد بن فيروز الطائي الكوفي ، ثقة ثبت كثير الارسال ، توفي سنة ٨٣هـ وبين حذيفة ، لان أبا البختري لم يسمع من حذيفة كذا في جامع التحصيل (ص:١٨٣) . انظر : الثقات لابن حبان (١٣٧/٤) التهذيب ٢ / ١٧٩ ، ٧٢/٤) .

والحديث حسّنه الشيخ الألباني في كتابه غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (ص : ٢٠) .

(1) قول المؤلف عن أبي البختري ، انما هو عنه رواه عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - فقد سأله رجل فقال أرأيت قوله تعالى ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾[التوبة : ٣٣] أكانوا يعبدونهم ؟ قال : لا ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا ، استحلوه ، وإذا حرموا شيئا حرموه » وقد أخرجه ابن جرير في التفسير (٨١/١٠) من طريق محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري عن حذيفة ... فذكره واسناده صحيح رجاله ثقات كلهم ، وأخرجه أيضاً بسنده من طريق أبي البختري ... به البيهقي في السنن (٧ / ٩٧) .

(2) في (م) « وحزم الله حلاله) بزيادة لفظ الجلالة .

(3) هو الربيع بن أنس بن زياد البكري الحنفي البصري الخرساني المروزي سمع من أنس بن مالك وأبو العالية وأكثر عنه وعن الحسن ، وسمع منه سليمان التيمي والأعمشي والحسين بن واقد : كان عالم مرو في زمانه لقيه سفيان الثوري ، قال أبو حاتم : صدوق وقال أبو داود : سجن بمرو ثلاثين سنة . توفي سنة ١٣٩ . انظر : طبقات ابن سعد (١٠٢/٧) ، الجرح والتعديل (٤٠٤/٣) سير أعلام النبلاء ١٦٩/٦ ، التقريب (٢٤٣/١) .

(4) في (ف) « كان » .

(5) في (ف) زيادة « فإن » .

(6) « ما » ساقطة من « هـ ، م » .

فقالوا: لن نسبق أحبارنا بشيء ، فما أمرونا به ائتمرنا ، وما نهونا عنه انتهينا [لقولهم][(١)] فاستنصحوا الرجال ، ونبذوا كتاب[(٢)] الله وراء ظهورهم »[(٣)] ، فقد[(٤)] بيّن النبي - ﷺ - أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام ، وتحريم الحلال ، لا[(٥)] أنهم صلُّوا لهم ، وصامُوا لهم ، ودعوهم من دون الله ، فهذه عبادة للرجال ، وتلك عبادة [للأموال][(٦)] ، [و][(٧)] قد بيّنها النبي - ﷺ - وقد ذكر [الله تعالى][(٨)] أن] ذلك شرك بقوله : ﴿ **لا إله إلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة : ٣١] . فهذا من الظلم الذي يدخل في قوله : ﴿ **احْشُرُواْ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُون * مِن دُونِ اللهِ** ﴾ [الصافات : ٢٢-٢٣] فإن هؤلاء [و][(٩)] الذين أمروهم بهذا [هم][(١٠)] جميعا معذبون ، وقال : ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٩٨] .

وإنما يخرج من هذا ، من عُبِدَ مع كراهته ، لأن يُعْبَدَ ويُطاع في معصية الله ، فهم الذين سبقت لهم الحسنى ، كالمسيح [وعزير][(١١)] وغيرهما ، فأولئك [عنها][(١٢)] مبعدون[(١٣)] .

---

(١) في (أ) « لقوهم » والمثبت من باقي النسخ .

(٢) في (س) « الكتاب وراء ظهورهم » .

(٣) أخرجه بن جرير في التفسير (١٠/٨١) من طريق ابن وكيع قال حدثنا ابن نمير عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ... به فذكره ، وإسناده : ضعيف ، فيه ابن وكيع وهو سفيان بن وكيع بن الجراح ضعيف ، قال أبو زرعة : يتهم بالكذب ، وقال الذهبي : ضعيف انظر : الميزان (٢/١٧٣) ، الكاشف (١/٣٧٩) وفيه أيضا أبو جعفر الرازي وهو عيسى بن ما هان ، ضعيف . قال عنه الحافظ : صدوق سيء الحفظ . انظر : الميزان (٢/ ٣١٩) التقريب (١/ ٤٠٦) المجروحين لابن حبان (٢/ ١٢٠) .

(٤) في (م ، ح ، ف) « وقد » .

(٥) في (س) « إلا » .

(٦) في (أ) « الأموال » وما أثبت من بقية النسخ .

(٧) الواو ساقطة من (أ ، هـ ، س) ومثبتة من باقي النسخ .

(٨) « تعالى أن » مثبتة من (ف) وأن فقط مثبتة من (هـ ، ف) .

(٩) الواو مثبتة من (هـ ، س ، ط) .

(١٠) « هم » ساقطة من (أ) ومثبتة من باقي النسخ .

(١١) ما أثبت من (ف ، ق) وفي بقية النسخ « العزيز » .

(١٢) « عنها » مثبتة من (س) .

(١٣) اشارة إلى قوله تعالى ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ [الأنبياء : ١١٠] .

وأما من رضي بأن يعبد ويطاع في معصية الله ، فهو مستحق للوعيد ، ولو لم يأمر بذلك[(١)] ، فكيف إذا أمَرَ ؟! وكذلك من أمر [غيره[(٢)] بأن] يعبد غير الله ، [فهذا][(٣)] من أزواجهم فإن أزواجهم[(٤)] قد يكونون[(٥)] رؤساء لهم ، وقد يكونون[(٥)] اتباعاً وهم أزواج وأشباه لتشابههم في الدين ، وسياق الآية يدل[(٦)] على ذلك ، فإنه سبحانه قال : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٢٢-٢٣] قال ابن عباس[(٧)] : « دلولهم » ، وقال الضحاك مثله[(٨)] ، وقال ابن كيسان[(٩)]: « قدِّموهم »[(١٠)]. والمعنى : قودوهم كما يقود الهادي لمن يهديه ، ولهذاتسمى الأعناق الهوادي لأنها تقود سائرالبدن ، وتسمى أوائل الوحش الهوادي[(١١)] / ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ ﴾ [الصافات :٢٤-٢٥] أي : كما كنتم تتناصرون[(١٢)] في الدنيا على الباطل . ﴿ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى [٢٣/ب]

---

(١) « بذلك » توجد في هامش (أ) .

(٢) في (أ) « أمر عبده بأنه » والمثبت من باقي النسخ .

(٣) ما أثبت من (ف) وفي بقية النسخ « وهذا » .

(٤) « قد يكونون رؤساء لهم » مثبتة من (أ ، س ، ف) وساقطة من بقية النسخ .

(٥) « يكونوا » في (س) في الموضعين .

(٦) في (ف) « تدل » .

(٧) انظر قوله في تفسير الطبري (٢٣ / ٣١) .

(٨) في (ف) « مثله دلوهم » .

(٩) ابن كيسان الحسن بن محمد بن أحمد بن كيسان أبو محمد الحربي ، سمع اسماعيل القاضي وابراهيم الحربي. وروى عنه أبو علي بن شاذان وأبو نعيم الحافظ ، اشتغل باللغة والتفسير والحديث ،من تصانيفه : المهذب في النحو، غريب الحديث ، ومعاني القرآن . انظر : تاريخ بغداد (٤٢٢/٧) ، المنتظم (٤٩/٧) ، شذرات الذهب (٢٧/٣) .

(١٠) انظر قول ابن كيسان في زاد المسير لابن الجوزي (٧ / ٥٢) .

(١١) انظر لسان العرب مادة (هدى) (٣٥٦/١٥) .

(١٢) في (ح ، م) « تناصرون » .

بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قالوا إِنَّكُمْ كُنتُم تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ * قَالُواْ بَل لَّمْ تكونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُم قَوْماً طَاغِينَ * فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبنا إِنَّا لَذَائِقُون * فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ * فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَه إِلا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجنون * بَلْ جَاءَ بِالحق[(١)] وصدق المرسلين ﴾[الصافات : ٢٦ - ٣٧] وقال تعالى : ﴿ قَالَ[(٢)] ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُم مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ[(٣)] [لأُولاَهُمْ][(٤)] رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِم عَذَاباً ضِعْفاً مِنْ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لا تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أُولاهم لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٨-٣٩] وقال [تعالى][(٥)] : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِين اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قدحكم بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [غافر : ٤٧-٤٨] وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُون مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِم يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ الْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِين اسْتَكْبَرُواْ لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِين اسْتُضْعِفُواْ أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِين اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنا أَن نَّكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِين كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ : ٣١ - ٣٣] .

---

(١) « بل جاء بالحق وصدق المرسلين » مثبتة من (أ) فقط .

(٢) « قال » ساقطة من (ح ، س) .

(٣) « أخراهم » توجد في هامش (أ) .

(٤) في (أ) « لاخراهم » والمثبت من باقي النسخ .

(٥) « تعالى » ساقطة من (أ) ومثبتة من (ف ، س) وفي بقية النسخ « عز وجل » .

وقوله [تعالى][1] في سياق الآية : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِله إلا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات : ٣٥] .

ولا ريب أنها تتناول[2] الشركين : الأكبر والأصغر[3] ، وتتناول أيضا من استكبر عما أمره الله به من طاعته ، فإن ذلك[4] من تحقيق قول / لا إله إلا الله ، فإن الإله[5] [سبحانه][6] هو المستحق للعبادة ، فكل ما يعبد به الله ، فهو من تمام تأله العباد له ، فمن استكبر عن بعض عبادته ، سامعا مطيعا في ذلك لغيره[7] لم يحقق قوله : لا إله إلا الله في هذا المقام . [٢٤/أ]

---

(١) « تعالى » مثبتة من (م) .

(٢) في (ح ، م) « تناول » .

(٣) المثبت من (أ ، س) وفي بقية النسخ « الأصغر والأكبر » .

(٤) « ذلك من » توجد في هامش (أ) و (س ، ف ، هـ) وساقطة من باقي النسخ .

(٥) قال ابن الأثير : « هو مـأخوذ من إله وتقديرها فُعْلا نية بالضم ، تقـول إله بيّنُ الإلهية والألهانية ، وأصله من أَلِهَ يأله إذَا تحيّر ، يريد إذا وقع العبد في عظمة الله وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبية وصرّف همه إليها ابغض الناس حتى لا يميل قلبه إلى أحد » وقال أبو الهيثم : « فالله أصله من إله قال الله عز وجل : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ﴾ [المؤمنون : ٩١] قال : ولا يكون إلهاً حتى يكون معبوداً ، وحتى يكون لعابده خالقا ورازقا ومدبرا وعليه مقتدرا ، فمن لم يكن كذلك فليس باله وان عُبِدَ ظلماً بل هو مخلوق ومتعبد وأصل إله ولاه فقلبت الواو همزة كما قالوا للوشاح إشاح وللوجاح إجاح ومعنى ولاه أن الخلق يولهون إليه في حوائجهم الآهة وقد ضعّف الزجّاج هذ القول وهو أن أصل إله ولاه وقال ابن سيده : ويضرعون إليه فيما يصيبهم ويفزعون إليه في كل ما يصيبهم . كما يوله كل طفل إلى أمه . وقد سمّت العرب الشمس لما عبدوها إلاهةً ، والألوهية العبادة وقد قرئ : ﴿ ويذرك وآلهتك ﴾ [الأعراف : ١٢٧] وقرأ ابن عباس : « ويذرك وإلهتك» بكسر الهمزة أي وعبادتك ، لان فرعون كان يُعبد ولا يَعْبُد فهو على هذا ذو إلاهة ولا ذو آلهة والقراءة الأولى ، أكثر ، والقراء عليها لكن ابن بري : يقوى ما ذهب اليه ابن عباس في قرائته ويذرك وإلهتك » قال : وكانت العرب في الجاهلية يدعون معبوداتهم من الأوثان والأصنام آلهةً وهي جمع إلاهه قال الله عز وجل : ﴿ ويذرك وآلهتك ﴾ [الأعراف : ١٢٧]] وهي أصنام عبدها قوم فرعون معه ، والله أصله إلاه على فِعَال بمعنى مفعول لأنه مألوه أي : معبود ، كقولنا إمام فِعَال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به ، فلما ادخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفا لكثرته في الكلام » . وقال ابن القيم : القول الصحيح إن الله أصله الاله كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم . انظر : النهاية لابن الأثير (١/ ٦٢) تفسير أسماء الله للزجاج (ص:٢٥) ، لسان العرب (١/ ١١٤) ، مدارج السالكين (١/ ٣٤) .

(٦) « سبحانه » مثبتة من (م) .

(٧) (م) « بغير الله » .

وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون[1] الله ، حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله ، وتحريم ما أحل الله ، يكونوا[2] على وجهين :

أحدهما : [أن][3] يعلموا[4] أنهم بدّلوا دين الله فيتبعونهم[5] على التبديل ، فيعتقدوا تحليل ما حرم الله ، وتحريم ما أحل الله إتباعا لرؤسائهم ، مع علمهم أنهم خالفوا دين [الرسول][6] فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله شركا ، وإن لم يكونوا يُصَلُّونَ لهم ويسجدون لهم . فكان من اتبع غيره في خلاف الدين ، مع علمه أنه خلاف[7] الدين ، واعتقد ما قاله ذلك [الغير][8] دون ماقاله الله ورسوله مشركا مثل هؤلاء .

الثاني[9] : أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً ، لكنهم أطاعوهم في معصية الله ، كما يفعل المسلم ما يفعله[10] من المعاصي ، التي يعتقد أنهامعاص ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب ، كما ثبت في « ا لصحيح » عن النبي - ﷺ - أنه قال : « **إنما الطاعة في المعروف** »[11] وقال : « **على المرء**[12] **المسلم السمع والطاعة فيما**

---

(١) « من دون الله » توجد في هامش (أ ، ح ، م) وساقطة من باقي النسخ .

(٢) في (م ، ح) « فيكونوا » وفي (ط) « يكونون » وفي (س ، ف) « يكون » والمثبت من (أ ، هـ) .

(٣) في (أ) « انهم » والمثبت من باقي النسخ .

(٤) في (م ، ق) « يعلمون » .

(٥) في (هـ ، مح ، ح) « فيتبعوهم » .

(٦) « الرسول » مثبت من (ف) وفي بقية النسخ « الرسل » .

(٧) في (ح) « خالف » .

(٨) « الغير » مثبتة من « ف » وساقطة من بقية النسخ .

(٩) في (هـ ، ح) زيادة « الواو » .

(١٠) في (ف) « فعله » ، وفي (ق) « مما يفعله » .

(١١) سبق تخريجه (ص : ٩٢) من هذه الرسالة .

(١٢) « المرء » ساقط من (ح) .

أحب أوكره ، ما لم يؤمر بمعصية »[(١)] . وقال - [ﷺ] -[(٢)] : « **لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**[(٣)] » وقال [ﷺ [(٢)]] « **من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه** »[(٤)] .

ثم ذلك المحرم[(٥)] للحلال ، والمحلل للحرام إن كان مجتهداً ، قصده اتباع الرسول ، لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر ، وقد اتقى الله مااستطاع ، فهذالا يؤاخذه الله بخطئه[(٦)] بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه .

ولكن من علم أن هذا أخطأ[(٧)] فيما جاءه به الرسول ، ثم اتبعه على خطئه ، وعدل عن قول الرسول [ﷺ] [(٨)] فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله [تعالى][(٩)] لا سيما [أنه][(١٠)] اتبع في ذلك هواه ، ونصره باللسان واليد ، مع علمه بأنه [مخالف][(١١)] للرسول ، فهذا [شرك[(١٢)]] يستحق صاحبه العقوبة عليه . ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لايجوز [له][(١٣)] تقليد أحد في خلافه / وانما تنازعوا في جواز التقليد للقادر على الاستدلال ، [٢٤/ب]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (١٠٥/٨) من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - ، ومسلم في كتاب الإمارة ، باب طاعة الأمراء في غير معصية (٣/ ١٤٦٩) من حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - ، ومالك في الموطأ في كتاب الجهاد ، باب الترغيب في الجهاد (٤٤٥/٢) ، وابن ماجه في كتاب الجهاد ، باب البيعة (٢/ ٩٥٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وأحمد في المسند (٣٨١/٢) عن أبي هريره - رضي الله عنه - و (٣١٤/٥، ٣١٩) من حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - .

(٢) « ﷺ » مثبتة من (م) .

(٣) لم أجده بهذا اللفظ إلا في مجمع الزوائد للهيثمي (٢٢٦/٥) حيث قال : بعد أن ذكره ، رواه أحمد بألفاظ والطبراني باختصار ، وفي بعض طرقه : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

(٤) أخرجه ابن ماجة في كتاب الجهاد ، باب لا طاعة في معصية الله (٩٥٦/٢) من طريق : أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن عمرو عن عمر بن الحكم بن ثوبان عن أبي سعيد الخدري مرفوعا ... به وإسناده حسن ، ورجاله موثقون كلهم . وأخرجه أحمد في المسند (٣/ ٦٧) من طريق يزيد بن هارون ... به .

(٥) في (ح) « ثم نقول اتباع هذا المحرم » زيادة .

(٦) في (م) « بخطأ » .

(٧) في (هـ ، م ، مح) « الخطأ فيما جاء » ، وفي (ق) « خطأ » .

(٨) « ﷺ » مثبتة من (م) .

(٩) « تعالى » مثبتة من (س) .

(١٠) المثبت من (م) وفي بقية النسخ « إن » .

(١١) المثبت من (س ، ف) وفي (أ) « خالف » وبقية النسخ « يخالف » .

(١٢) في (أ ، ح ، مح ، ف) « مشرك » ، وما أثبت من بقية النسخ .

(١٣) « له » ساقطة من (أ ، هـ ، ح) .

وإن كان عاجزا عن إظهار الحق الذي يعلمه ، فهذا يكون كمن عرف أن دين الإسلام حق[(١)] وهو بين النصارى ، فإذا فعل ما يقدر عليه من الحق ، لا يؤاخذ بماعجز عنه ، وهؤلاء[(٢)] كالنجاشي[(٣)] [وغيره][(٤)] وقد أنزل الله [تعالى][(٥)] في هؤلاء آيات من كتابه كقوله تعالى[(٦)] ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾[(٧)] [آل عمران :١٩٩] . وقوله [تعالى[(٦)]] ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٩] وقوله [تعالى][(٥)] ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة :٨٦] .

وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل، وقد[(٨)] فعل ما يقدر عليه[(٩)] مثله من الاجتهاد في[(١٠)] التقليد ، فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ ، كما في القبلة ، وأما إن

---

(١) « حق » ساقطة من (س) .

(٢) في (ف) « وهو » .

(٣) النجاشي : أصحمة ملك الحبشة ، أسلم ولم يهاجر وليس له رؤية ، معدود من الصحابة ، وهو من التابعين من وجه ، صاحب من وجه آخر ، وقد توفى في حياة النبي - ﷺ - فصلى عليه بالناس صلاة الغائب ، وسبب ذلك أنه مات بين قوم نصارى ، ولم يكن عنده من يصلي عليه ، لأن الصحابة الذين كانوا مهاجرين عنده خرجوا من عنده مهاجرين إلى المدينة عام خيبر. انظر أخباره في : أسد الغابة (١/ ١١٩) ، سير أعلام النبلاء (١/ ٤٢٩) ، الاصابة (١/ ١٧٧) .

(٤) في (أ) « وغيرهم » والمثبت من باقي النسخ .

(٥) « تعالى » مثبتة من (ح ، م) .

(٦) « تعالى » ساقطة من (س ، م) .

(٧) في (ح ، ق ، م) تكملة الآية ﴿ خاشعين لله لا يشترون بآيات ثمنا قليلا ﴾ والزيادة في (ف) إلى قوله « خاشعين لله » فقط .

(٨) في (ح) وهامش (ق) « او » .

(٩) في (ح ، ق) « على » .

(١٠) في (ح) « وفي التقليد » بالواو . وانظر حكم التقليد وآراء العلماء فيه مع أدلتهم ومناقشتها في مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٠٥، ٢٠٣) ، الاستقامة له أيضاً (١ / ٣٨)، إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ١٦٨، ١٧٨) المسوده لآل تيمية (ص ٤٥٣ - ٤٥٨) .

قلد شخصا دون نظيره بمجرد هواه ، ونصره بيده ولسانه من غير علم أن[١] معه الحق ، فهذامن أهل الجاهلية ، وإن كان متبوعه [مصيبا][٢] لم يكن عمله صالحا ، وإن كان [متبوعه مخطئا[٣]] ، كان آثما ، كـ « **من قال في القرآن برأيه ، فإن أصاب فقد أخطأ ، وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار** »[٤] وهؤلاء من جنس مانعي [٥] الزكاة ، الذي تقدم فيه الوعيد [و][٦] من جنس عبد الدينار والدرهم والقطيعة والخميصة ، فإن ذلك لما[٧] أحب المال حباً منعه عن عبادة الله وطاعته ، صار عبداً له ، وكذلك هؤلاء ، فيكون فيهم[٨] شرك أصغر ، ولهم من الوعيد[٩] بحسب ذلك .

---

(١) في (س) « أنه » .

(٢) « مصيبا » ساقطة من « أ » ومثبتة من بقية النسخ .

(٣) في (أ) « وإن كان مصيبا متبوعا مخطئاً » والمثبت من بقية النسخ .

(٤) اشارة إلى الحديث الذي جاء مرفوعاً وموقوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما . أما المرفوع : فقد أخرجه الطبري في التفسير (٣٤/١) من طريق عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ مرفوعا ... به ، وهذا الاسناد ضعيف فيه عبد الأعلى ، وهو ابن عامر الثعلبي الكوفي ، ضعفه أحمد وأبو زرعة وقال ابن معين : ليس بذاك القوى ، وكذا قال أبو حاتم وقال النسائي مثلهما وزاد: يكتب حديثه ، وقال ابن عدي : يحدث بأشياء لايتابع عليها وقد حدّث عن الثقات . وقال الحافظ صدوق يهم . انظر التهذيب (٨٦/٦) ، الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص : ١٦٥) ، الميزان (٥٣٠/٢) ، التقريب (٤٦٤/١).
أما الموقوف فقد أخرجه ابن جرير في التفسير (٣٥/١) أيضاً من طريق محمد بن حميد عن الحكم بن بشير عن عمرو ابن قيس الملائي عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . والإسناد ضعيف لضعف محمد بن حميد وهو ابن حبان الرازي ، ضعيف ، وفيه كذلك عبد الأعلى وهو ضعيف ايضا وقد سبق . انظر : التقريب (١٥٦/٢) ، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٥٤/٣) . وأخرجه الطبري أيضا (٣٤/١) من طريق :محمد بن حميد عن جرير بن عبد الحميد عن ليث بن أبي سليم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - . وسنده ضعيف ، فيه محمد بن حميد وهو ضعيف ، وقد سبق بيان حاله ، وفيه ليث وهو ابن أبي سُليم أبو بكر القرشي ضعيف . انظر : التهذيب (٤٦٥/٨) ، الميزان (٤٢٠/٣) الضعفاء الكبير (١٤/٤) .

(٥) ما أثبت من (أ ، ح) وفي بقية النسخ « مانع » .

(٦) « الواو » مثبتة من (مح ، س ، هـ) ، وساقطة في بقية النسخ .

(٧) في (س) « كمن » .

(٨) في (مح ، هـ) « فيه » .

(٩) في (س) « ولهم منه » وسقط « الوعيد » .

وفي الحديث : « **إن يسير الرياء شرك** »[١] وهذا مبسوط عند النصوص التي فيها اطلاق الكفر والشرك على كثير من الذنوب[٢] .

الظلم المطلق يتناول الكفر ولا يختص به بل يتناول ما دونه

والمقصود هنا : أن الظلم المطلق يتناول الكفر ولا يختص بالكفر ، بل يتناول ما دونه أيضا[٣]، وكلٌ[٤] بحسبه كلفظ الذنب والخطيئة والمعصية، فإن هذا يتناول الكفر والفسوق والعصيان، كما في « الصحيحين » عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -[٥] قال: «**قلت يا**[٦] **رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال**: «**أن تجعل لله ندا / وهو خلقك**». **قلت: ثم أي ؟ قال** : «**ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**». **قلت: ثم أي؟ قال**: « **ثم أن [تزنى]**[٧] **بحليلة**[٨] [٢٥/أ]

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن ، باب من ترجى له السلامة من الفتن (٢٠/٣٢٠) من طريق حرملة بن يحيى حدثنا عبدالله بن وهب أخبرني ابن لهيعة ، عن عيسى بن عبد الرحمن عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه خرج يوما إلى مسجد رسول الله - ﷺ - فوجد معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قاعدا عند قبر النبي - ﷺ - يبكي ، فقال: ما يبكيك ؟ قال يبكيني شيء سمعته من رسول الله - ﷺ - : إن يسير الرياء شرك» وإسناده فيه عبد الله بن لهيعة ، وهو ابن عقبة الحضرمي روى عنه مسلم والأربعة مقروناً . احترقت كتبه في آخر حياته فساء حفظه واختلط ، واختلف العلماء في قبول روايته فقال ابن معين - في رواية عنه - : هو ضعيف قبل احتراق كتبه وبعد احتراقها ، وقال الجوزجاني : لا يوقف على حديثه ولا ينبغي أن يحتج به ولا يعتني بروايته ، وقال الذهبي : العمل على تضعيف حديثه ، وقال الفلاس : من كتب عنه قبل احتراقها مثل ابن المبارك والمقري فسماعه صحيح ، وقال الأمام أحمد : من كان بمثل ابن لهيعة بمصر ، في كثرة حديثه وضبطه واتقانه ؟! وقال ابن حبان كان شيخا صالحا ولكنه كان يدلس عن الضعفاء قبل احتراق كتبه، ثم احترقت كتبه في سنة سبعين ومائة قبل موته بأربع سنين وكان أصحابنا يقولون : من سمع منه قبل احتراق كتبه مثل العبادله - عبدالله بن المبارك ، وعبدالله بن وهب وعبدالله بن يزيد المقري - فسماعه صحيح ، ومن سمع منه بعد احتراق كتبه فسماعه ليس بشيء. انظر : الضعفاء الصغير (ص : ١٩٠) ، الجرح والتعديل (٦٨٢/٥) ، المجروحين (١١/٢) ، التاريخ الكبير (٥٧٤/٥) ، الميزان (٤٧٥/٢) ، الكاشف (١٢٣/٢) أحوال الرجال للجوزجاني (ص : ١٥٥) .
لكن شيخه عيسى بن عبد الرحمن ، وهو ابن عروة أبو عبادة الزرقي الأنصاري، ضعيف جدا، قال أبو زرعة : ليس بالقوي، وقال أبو حاتم : منكر الحديث ، ضعيف الحديث شبيه بالمتروك ، وقال البخاري : منكر الحديث وكذا قال النسائي . انظر: الجرح والتعديل (٢٨١/٦)، التاريخ الكبير(٣٩١/٢/٣) ، الضعفاء والمتروكين للنسائي(ص١٧٦).

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٣٧٢/١٠، ٢٠/٨٧-٩٣، ٣٤٦/٢٣) ، وانظر : (ص : ٨٢) من هذه الرسالة .

(٣) « أيضا » توجد في هامش (أ) .

(٤) في (ح) « فكل » .

(٥) « رضي الله عنه » مثبتة من (أ ، ح ، ق ، م) وساقطة من باقي النسخ .

(٦) « يا » ساقطة من (ح) .

(٧) في (أ ، ق) « تزاني » والمثبت من بقية النسخ .

(٨) في (ق) « حليلة » بدون « باء » .

جارك » . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَق وَلا يَزْنُون وَمَن يَفْعَلْ ذَلكَ يَلْقَ أَثَاما * يُضَاعَف لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَة وَيَخْلُدْ فِيه مُهَانا * إِلا مَن تَابَ وَءَامن وَعَمِلَ عَمَلاً صَالحًا فَأُولَئكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيمًا * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابا ﴾»[١] [الفرقان : ٦٨-٧١] .

فهذا الوعيد [بتمامه][٢] على الثلاثة ، ولكل[٣] عملٍ قسطٌ [منه][٤] ، فلو أشرك ولم يقتل ولم يزن ، كان عذابه دون ذلك ، ولو زنى وقتل ولم يشرك ، كان له من هذا[٥] العذاب نصيب ، كما في قوله [تعالى][٦] ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ [النساء: ٩٣] ، ولم يذكر أبدا[٧] [[٧] وقد قيل : إن لفظ التأبيد لم يذكر[٨] إلا مع الكفر ، وقال الله[٩] تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتخذت مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَاوَيلتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَخِذْ فُلانَاً

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، تفسير سورة البقرة ، باب قول الله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ (١٤٨/٥) وباب تفسير سورة الفرقان (١٤/٦) ، وباب قوله : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إله آخر ﴾ الآية وفي كتاب الأدب ، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه (٧٥/٧) ، وفي كتاب الديات باب قول الله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم ﴾ (٣٤/٨) وكتاب الحدود باب اثم الزناة (٢٨/٨) . وكتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله اندادا وأنتم تعلمون ﴾ (٢٠٦/٨) وباب قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ (٨ / ٢٧) . ومسلم في كتاب الايمان ، باب كون الشرك أقبح الذنوب (٩٠/١)، وأحمد في المسند (٣٠٨/١ ، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٦٤) ، وأبو داود في كتاب الطلاق باب في تعظيم الزنا (٢٩٤/٢) ، والنسائي في كتاب تحريم الدم باب ذكر اعظم الذنب (٨٩/٧) .

(٢) في (أ) « تمامه » والمثبت من باقي النسخ .

(٣) في (ح) « فهذا الوعيد بتمامه على قلته قسط منه » .

(٤) « منه » مثبتة من هامش (أ) ، و (ف) .

(٥) « هذا » ساقطة من (س) .

(٦) « تعالى » مثبتة من (ح) .

(٧) ما بين المعكوفتين ساقط من (أ ، ح) ، ومثبت من باقي النسخ .

(٨) « لم يذكر » مثبتة من (أ ، م ، ح) وفي باقي النسخ وهامش (أ) « لم يجيء » .

(٩) « لفظ الجلالة » لا يوجد في (م ، ح ، هـ ، مح) .

خَلِيلاً* لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩] فلا ريب أن هذا يتناول الكافر الذي لم يؤمن [بالله][١] وبالرسول، وسبب نزول [هذه][٢] الآية كان في ذلك[٣] . فإن [الظلم][٤] المطلق يتناول ذلك ويتناول مادونه بحسبه، فمن خَالّ[٥] مخلوقا في خلاف أمر الله ورسوله، كان له من[٦] هذا الوعيد نصيب ، كما قال تعالى: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧] . وقال تعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ [البقرة : ١٦٦] .

قال[٧] الفضيل[٨] بن عياض[٩] : حدثنا « ليث[١٠] عن مجاهد : هي المودَّات التي كانت بينهم لغير الله ، فإن المخالة[١١] تحاب[١٢] وتواد »[١٣] ولهذا قال : « المرء على دين

(١) لفظ الجلالة مثبت من (ف) .

(٢) « هذه » مثبتة من (ف) .

(٣) انظر : أسباب النزول للواحدي (ص : ٢٧٦) .

(٤) في (أ) « الظالم » وما أثبت من بقية النسخ .

(٥) خالَّ أي اتخذه خليلاً وصديقاً ، وفي (ف) « خالل » .

(٦) في (ح ، ق) « كان له نصيب من هذا الوعيد » .

(٧) في (أ) « وقال الفضيل » بزيادة الواو ، والصواب بدونها وساقطة من باقي النسخ .

(٨) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر ، أبو علي التميمي اليربوعي الخرساني الزاهد المجاور بمكة ، امام قُدوة ثَبت ، ولد بسمرقند ونشأ بابيورد وارتحل وطلب العلم، كتب عن منصور والأعمش وليث بن أبي سليم وعطاء بن السائب وجعفر الصادق، وحدث عنه : ابن المبارك ويحيي القطان وعبدالرحمن بن مهدي وسفيان بن عيينه والشافعي. انظر : حلية الأولياء (٨/٨٤) ، سير أعلام النبلاء (٨/٤٢١) ، تهذيب التهذيب(٨/٢٩٤) .

(٩) في « ح » زيادة « رضي الله عنه ».

(١٠) المثبت من (أ ، ح ، م) وفي بقية النسخ « الليث » والصواب ما أثبت والدليل عليه ان الليث بن سعد لم يثبت سماعه من مجاهد وانما الذي ثبت سماعه منه هو ليث بن أبي سُليم أبو بكر القرشي » وهو أيضا من شيوخ الفضيل. انظر : التهذيب (٨/٤٦٥) الجرح والتعديل (٧/١٧٧) ، سير أعلام النبلاء (٦/١٧٩) .

(١١) في (ف) « المخاللة » .

(١٢) في (ف ، س) و « توادد » .

(١٣) انظر قول الفضيل في تفسيرالطبري (٢/ ٤٢) .

خليله»[(١)] فإن المتحابين يحب أحدهما [(٢)] ما [يحبه][(٣)] للآخر[(٤)] بحسب الحب ، فإذا اتبع أحدهما صاحبه على [محبة[(٥)]] ما يبغضه[(٦)] الله ورسوله[(٧)] ، نقص من دينهما بحسب ذلك إلى أن ينتهي إلى الشرك الأكبر / وقال[(٨)] تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٦٥] . [٢٥/ب]

والذين قدموا محبة المال [الذي][(٩)] كنزوه ، والمخلوق [الذي[(٩)]] اتبعوه ، على محبة الله ورسوله ، كان فيهم من الظلم والشرك بحسب ذلك ، فلهذا ألزمهم [محبوبهم][(١٠)] كما في الحديث ، يقول الله تعالى : « **أليس عدلا مني أن أولي كل رجل ما كان يتولاه في الدنيا** »[(١١)] .

---

(١) سبق تخريجه (ص ٩٧) من هذه الرسالة .

(٢) في (ح) « أحدهم » .

(٣) المثبت من (م ، س ، ق ، مح) وفي بقية النسخ « ما يحب » .

(٤) المثبت من (أ ، ف) وفي بقية النسخ « الآخر » ، وفي (ق) زيادة « بحسب الحب إلى أن ينتهي إلى الشرك الأكبر مما يبغضه الله ورسوله نقص من دينهما » .

(٥) المثبت من (م ، ف) وفي بقية النسخ « محبته » .

(٦) في (ح) « ما يبغض » .

(٧) « ورسوله » ساقطة من (س) .

(٨) في (م ، ق ، ح) زيادة « لفظ الجلالة » .

(٩) في (أ) « الذين » والمثبت من باقي النسخ في الموضعين .

(١٠) في (أ) « تحبونهم » والمثبت من باقي النسخ .

(١١) هذا جزء من حديث طويل أخرجه : عبدالله بن أحمد في كتاب السنة (٥٢٠/٢) - الطبعة المحققة - من طريق اسماعيل بن عبيدالله بن أبي كريمة الحراني أبو أحمد قال : حدثني محمد بن سلمه عن أبي عبدالرحيم خالد بن أبي يزيد ، حدثني زيد بن أبي أنيسه ، عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبدالله ، عن مسروق بن الأجدع حدثنا عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال : « يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينظرون فصل القضاء قال : وينزل الله في ظُلَلٍ من الغمام من العرش إلى الكرسي ثم ينادي مناد أيها الناس لم ترضوا من ربكم الذي رزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا أن يولى كل انسان منكم من كان يتولى ويعبد في الدنيا أليس ذلك عدلا من ربكم قالوا : بلى .. الحديث وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات كلهم ، وأخرجه من طريق عبدالله بن أحمد كل من : الطبراني في الكبير (٤١٧/٩) ، والحاكم في المستدرك (٥٨٩/٤) وقال صحيح .

وقد ثبت في الصحيح يقول الله [تعالى](١) : « **ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون [فيتبع](٢) من كان يعبد الشمس الشمس ، ومن كان يعبد القمر القمر ، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، ويتمثل(٣) للنصارى المسيح ، و [لليهود](٤) عزير ، فيتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ، وتبقى(٥) هذه الأمة فيها منافقوها** »(٦) ، كما سيأتي هذا الحديث - إن شاء الله - فهؤلاء أهل الشرك الأكبر .

وأما عبيد المال الذين(٧) كنزوه ، وعبيد الرجال الذين أطاعوهم في معاصي الله ، فأولئك يعذبون عذابا دون عذاب أولئك المشركين ، إما في [عرصات](٨) القيامة ، وإما في جهنم ، ومن أحب شيئا دون الله [تعالى](٩) عذب به ، قال [الله](١٠) تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ، فالكفر المطلق هو الظلم المطلق ، ولهذا لا شفيع لأهله يوم القيامة، كما نفي الشفاعة [عن أهله](١١) في هذه الآية ، [و](١٢) في قوله(١٣): ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ**

(١) « لفظ الجلالة » مثبت من (أ ، ح ، م) وفي (ح ، م) بزيادة « تعالى » .
(٢) « فيتبع » مثبتة من (س ، ف) .
(٣) « يتمثل » في (أ ، ح) والباقي « يمثل » .
(٤) في (أ ، ح) « اليهود » والمبثت من باقي النسخ .
(٥) في (ح) « ويبقى » .
(٦) متفق عليه أخرجه: البخاري في كتاب الآذان ، باب فضل السجود (١/١٩٥) من حديث أبي هريره - رضي الله عنه - قال : إن الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ... الحديث ، وأعاد إخراجه في كتاب التفسير ، باب إن الله لا يظلم مثقال ذرة (٥/١٧٩) من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - ، وفي كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم (٧/٢٠٥) من حديث أبي هريره - رضي الله عنه -، وفي كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى :﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ [القيامة : ٢٢ - ٢٣] (٨/١٧٩) . ومسلم في كتاب الإيمان باب طريق معرفة الرؤية (١/١٦٣) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه (١/١٦٧) ، من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - وأعاد اخراجه في كتاب الزهد باب رقم (١٦) (٤/٢٢٧٩) من حديث أبي هريرة ، والدارمي في السنن في كتاب الرقاق باب هل نرى الله تعالى ؟ (٢/٣٣) . وأحمد في المسند (٢/٢٧٥ ٢٩٣، ٣٨٩، ٥٣٤) .
(٧) في (هـ) « الذي » .
(٨) في (أ ، م ، ح) « عُرِصِ » ، وفي (ف ، ق) « عرصة » والمثبت من باقي النسخ .
(٩) « تعالى » مثبتة من (س) .
(١٠) لفظ « الجلالة » مثبت من (م ، ح) ، وفي (ق) « وقال الله تعالى » .
(١١) « عن أهله » مثبتة من (ح ، ف ، ق) .
(١٢) « الواو » ساقطة من (أ ، ح ، م) ومثبتة من باقي النسخ .
(١٣) « وفي قوله » ساقطة من (س) .

يَوْمَ الأَزِفَةِ إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ * يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٨-١٩] . وقال : ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلا الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلاصَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٩٤- ١٠٢].

وقوله : « إذ نسويكم برب العالمين »[(١)] لم يريدوا به أنهم جعلوهم مساوين لله من كل وجه ، فإن هذا لم يقله أحد / من بني آدم ، و[لا][(٢)] نقل [قط[(٣)] عن قوم] من الكفار أنهم [٢٦/أ] قالوا : أن هذا العالم له خالقان متماثلان ، حتى المجوس[(٤)] القائلين بالأصلين : النور والظلمة متفقون على أن النور خير [من الظلمة[(٥)] وأنه] يستحق أن يعبد ويحمد ، وأن الظلمة شريرة تستحق أن تذم [وتلعن][(٦)] واختلفوا هل الظُلْمَة [محدثة][(٧)] أو قديمة؟ على قولين ، وبكل حال لم يجعلوها مثل النور من كل وجه . وكذلك مشركوا العرب ،كانوا متفقين على أن أربابهم لم يشاركوا[(٨)] الله في خلق السماوات والأرض ، بل كانوا مقرين بأن الله وحده خلق السماوات والأرض وما بينهما ، كما أخبر الله[(٩)] عنهم بذلك في غير آية[(١٠)] كقوله تعالى :

---

(١) « إذ » ساقطة من (هـ ، مح) و « برب العالمين » ساقطة من (مح ، هـ ، م ، س) ومثبتة من الباقي .

(٢) في (أ ، ق) « وما » والمثبت من باقي النسخ .

(٣) المثبت من (ف) وفي بقية النسخ « ولا نقل عن قوم قط من الكفار » .

(٤) المجوس : هم قوم يعبدون النور والنار والظلمة ويزعمون أن للكون الهيين ، وينكرون نبوة آدم ونوح عليهما السلام، وتدور عقائد المجوس على أمرين : احداهما : بيان سبب امتزاج النور بالظلمة ، الثاني : بيان سبب خلاص النور من الظلمة . وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معادا . انظر : الفصل لابن حزم (٨٦/١) ، الملل والنحل للشهرستاني (٢٣٣/١) .

(٥) « من الظلمة وانه » مثبتة من (ف) وساقطة من بقية النسخ .

(٦) « وتلعن » ساقطة من (أ) ومثبتة من باقي النسخ .

(٧) في (أ ، ق ، ح) « حديثة » والمثبت من باقي النسخ .

(٨) في (هـ ، مح ، م) « تشارك » .

(٩) سقط « لفظ الجلالة » من (م) .

(١٠) في (م ، ق ، ح) « موضع » .

﴿ ولَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السمواتِ والأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦١ - ٦٣] وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ [مَهْدًا](١) وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [الزخرف : ٩ - ١٤] .

وهذه الصفات من كلام الله [تعالى](٢) ليست من تمام [أجوبتهم](٣) وقال تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ(٤) أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ * بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ//(٥) * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ // [المؤمنون : ٨٤ - ٩٢] .

---

(١) في (أ ، هـ) « مهادا » والمثبت من باقي النسخ .

(٢) « لفظ الجلالة » ليس في (هـ) و « تعالى » ساقطة من (أ ، س) ومثبتة من باقي النسخ .

(٣) ما أثبت من (أ ، ق) ، وفي بقية النسخ « جوابهم » .

(٤) من قوله تعالى : ﴿ قل أفلا تتقون ﴾ إلى قوله « عما يشركون » بعد ٥ أسطر مثبت من (أ) فقط وساقط من باقي النسخ .

(٥) ما بين العلامتين // ـــــ // ليست في (ق) .

وقال[1] تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٠ - ٤١] ، وكذلك قوله : ﴿ آللهُ خَيْرٌ أَمَّا [يُشْرِكُونَ][2] * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم[3] مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَهٌ مَّعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَءِلَهٌ مَّعَ اللهِ ﴾ [النمل : ٥٩ - ٦١] [أي أإله مع الله][4] فعل هذا ؟! وهذا استفهام انكار ، وهم مقرون بأنه لم يفعل هذا إله آخر مع الله .

ومن قال من المفسرين : أن المراد : هل مع الله إله آخر ؟ فقد غلط ، فإنهم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى ، كما قال تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ ﴾[5] [الأنعام : ١٩] وقال تعالى : ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [هود : ١٠١] . وقال تعالى عنهم : ﴿ أَجَعَلَ الأَلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [سورة ص : ٥][6] وكانوا معترفين بأن آلهتهم لم تشارك الله في خلق السماوات والأرض، ولا خلق شيء، بل كانوا يتخذونهم شفعاء ووسائط . كما قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ ﴾ [يونس: ١٨]. وقال عن[7] صاحب يس: ﴿ وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *

---

(١) « الواو » ساقطة من (ح) .

(٢) في (أ) « تشركون » والمثبت من باقي النسخ .

(٣) « لكم » ساقطة من (ح) .

(٤) « أي أإله مع الله » ساقطة من (أ) ومثبتة من بقية النسخ وفي (ف) « أي إله فعل هذا » .

(٥) لعل الصواب اثباتها لمقتضى السياق .

(٦) الواو ساقطة من (ح) .

(٧) « عن » ساقطة من (هـ) .

ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ(١) آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنقِذُونِ ﴾ [سورة يس : ٢٢-٢٣] وقال تعالى : ﴿ وأنذر بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام : ٥١] وقال [تعالى](٢) ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَامٍ ثُمَّ إِسْتَوَى عَلَى العَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة : ٤] .

وقال [تعالى](٣) ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السموات وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ : ٢٠-٢٣] فنفى عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن / يكون لغيره ملكٌ أو قسط من الملك، أو أن(٤) يكون عونا لله(٥) ولم [٢٧/أ] يبق إلا الشفاعة ، فبيّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال [تعالى](٦): ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وقال [تعالى](٧) عن الملائكة : ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء : ٢٨] وقال : ﴿ وَكَم مِن مَلَك فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شيئاً إِلا مِن بَعْدِ أَنَ يأذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم : ٢٦] فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون [نافعة(٨) لهم] هي منتفية يوم القيامة ، كما نفاها القرآن. وأما ما أخبر به النبي - ﷺ - أنه يكون [شفيعا(٩) لامته] فأخبر: أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولا، فإذا سجد وحمد ربه بمحامد يفتحها عليه ، يقال له : « أي محمد ! ارفع رأسك ، وقل

---

(١) « من دونه » ساقطة من « هـ » .

(٢) تعالى ساقطة من (أ ، مح ، هـ ، ق) ومثبتة من باقي النسخ .

(٣) « تعالى » مثبتة من (ف ، ق) .

(٤) « أن » ساقطة من (هـ ، ح) .

(٥) في (س) « له ».

(٦) تعالى ساقطة من (أ ، ح ، ف ق) ومثبتة من باقي النسخ .

(٧) تعالى ساقطة من (أ ، ح ، مح ، ق ، ف) ومثبتة من باقي النسخ .

(٨) « نافعة لهم » مثبتة من (ف) فقط وساقطة من بقية النسخ .

(٩) « شفيعا لأمته » زيادة يقتضيها السياق غير موجودة في جميع النسخ .

تسمع ، وسل تعطه[١] **واشفع تشفع »**. **فيقول : « أي رب أمتي » ! فيحد له حدا فيدخلهم الجنة**[٢] **»** . وكذلك في الثانية ، وكذلك في الثالثة ، قال أبو هريرة : **« من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : «من قال : لا إله إلا الله خالصا من قلبه »**[٣]. فتلك الشفاعة [هي[٤]] لأهل الإخلاص بإذن الله ، [٥]وليست لمن أشرك بالله ، ولا تكون إلا بإذن الله[٦] ، وحقيقته أن الله سبحانه [وتعالى][٧] هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص والتوحيد، فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذي أذن له أن يشفع، ليكرمه بذلك وينال به[٨] المقام المحمود ، الذي يغبطه به الأولون والآخرون[٩] - ﷺ - كما كان في الدنيا يستسقي لهم ويدعو لهم ، وتلك شفاعة [منه][١٠] لهم فكان الله تعالى يجيب دعاءه وشفاعته[١١] .

---

(١) المثبت من (س) وهامش (أ) وفي بقية النسخ (تعط) .

(٢) هذا حديث الشفاعة المتفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكورا (٢٢٥/٥) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ، ومسلم في كتاب الايمان ، باب رقم (٣٢٧) (١٨٤/١) والترمذي في كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في الشفاعة (٢٦٢/٤) وأحمد في المسند (٢٣٥/٢)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٥٩٣/٢) وأبو عوانه في مسنده (ص : ١٧١) باب صفة الشفاعة

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث (٣٣/١) ، وكتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار (٢٠٤/٧) من حديث أبي هريره - رضي الله عنه - أنه قال : قلت : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ... الحديث . وأخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٧٣) والأجرى في الشريعة (١٢١٩/٣) وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٣٩٤/٢) .

(٤) « هي » ساقطة (أ ، م ، ح) ومثبتة من بقية النسخ .

(٥) « الواو » مثبتة من (أ ، م) وساقطة من باقي النسخ .

(٦) إشارة إلى قول الله تعالي ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وقوله تعالى : ﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** ﴾ [سبأ : ٢٢] .

(٧) « تعالى » مثبتة من (ح ، ق) .

(٨) « به » مثبتة من (أ ، ف) وساقطة من باقي النسخ .

(٩) حديث سؤال المقام المحمود مخرج (ص : ٥٤٨) من هذه الرسالة .

(١٠) « منه » ساقطة من (أ ، ح) ومثبتة من باقي النسخ .

(١١) في (ف) زيادة « في الدنيا » والصواب بدونها .

وإذا كان كذلك ، فالظلم ثلاثة أنواع :

أنواع الظلم

فالظلم(١) الذي هو شرك لا شفاعة فيه ، ـ وظلم الناس بعضهم بعضا ، لا بد فيه من إعطاء المظلوم حقه [و](٢) لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا [بغيرها](٣) ، ولكن قد يعطي المظلوم من الظالم(٤) ، كما قد يغفر لظالم(٥) نفسه بالشفاعة ، فالظالم المطلق ما له من شفيع مطاع(٦)، وأما الموحد فلم يكن ظالما مطلقا ، بل هو موحد مع ظلمه لنفسه . وهذا إنما نفعه(٧) في الحقيقة إخلاصه لله ، فبه(٨) صار من أهل الشفاعة / ومقصود القرآن بنفي الشفاعة نفي [٢٧/ب] الشرك ، وهو : أن أحداً لا يعبد إلا الله ، ولايدعو غيره(٩) ، ولا يسأل غيره(٩) ، ولا يتوكل على غيره ، لا في شفاعة ولا غيرها ، فليس له أن يتوكل على أحد في أن يرزقه ، وإن كان الله يأتيه برزقه بأسباب .

الكفر المطلق لا شفاعة فيه

كذلك ليس له أن يتوكل على غير الله في أن يغفر له ويرحمه في الاخرة ، وإن كان الله يغفر(١٠) له ويرحمه بأسباب من شفاعة وغيرها . فالشفاعة التي نفاها القرآن مطلقا ، ما كان فيها شرك، وتلك(١١) منتفية(١٢) مطلقا ، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع(١٣) ، وتلك قد بيّن الرسول ـ ﷺ ـ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص ، فهي من التوحيد ومستحقها أهل التوحيد(١٤) .

---

(١) « فالظلم » ساقطة من (ح) .
(٢) « الواو » مثبتة من (م) .
(٣) ما أثبت من (ح) وفي بقية النسخ « ولا غيرها » .
(٤) في (ف) « من دون الظالم » .
(٥) المثبت من (أ ، س ، ف) وفي بقية النسخ « للظالم » ، ولعل هذا هو النوع الثالث من أنواع الظلم .
(٦) في (ف) « يطاع » .
(٧) في (س) « ينفعه » .
(٨) في (م) « فبه فصار » وفي (س) « فيه صار » .
(٩) « غيره » ساقطة من (هـ) وفي الموضعين .
(١٠) في (هـ) « يغفره » ، وفي (ق) « يغفر له ويرحمه بإذنه » .
(١١) « وتلك » ساقطة من (ح) .
(١٢) ما أثبت من (ح) وفي بقية النسخ « منفية » .
(١٣) سبق ايراد هذه المواضع في الصفحة السابقة .
(١٤) اشارة إلى الحديث الوارد في الشفاعة والذي سبق تخريجه وانها تكون (أي الشفاعة) لمن مات موحدا لا يشرك بالله شيئا مخلصا في ذلك لله . انظر : (ص :١٢٣) من هذه الرسالة .

وأما [الظلم][(١)] المقيد ، فقد يختص بظلم الإنسان نفسه ، وظلم الناس بعضهم بعضا ، كقول آدم [عليه السلام][(٢)] وحواء : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ [الأعراف:٢٣] . وقول موسى : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ [القصص : ١٦] وقوله [تعالى][(٣)] : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] . لكن[(٤)] قول آدم وموسى إخبار عن واقع لاعموم فيه ،وذلك قد عرف ـ ولله الحمد ـ أنه ليس كفراً[(٥)] .

وأما قوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] فهونكرة في سياق الشرط ، يعم كل ما فيه ظلم الإنسان نفسه [فهو[(٦)]] إذا أشرك ثم تاب ، تاب الله عليه . وقد تقدم أن ظلم الإنسان لنفسه يدخل فيه كل ذنب كبير أو صغير[(٧)] مع الإطلاق وقال تعالى[(٨)] : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾[(٩)] [فاطر :٣٢] فهذا ظلم لنفسه[(١٠)] مقرون بغيره ، فلا يدخل فيه الشرك الأكبر . وفي الصحيحين عن [عبدالله][(١١)] ابن مسعود أنه لما [نزلت][(١٢)] هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٢]

---

(١) في (أ) « الظالم » والمثبت من بقية النسخ .

(٢) « عليه السلام » مثبتة من (مح ، هـ) وفي (م) « كقول آدم وحواء عليه السلام » وساقط من باقي النسخ .

(٣) « تعالى » سقطت من (أ ، م ، ق ، ح) ومثبتة من باقي النسخ .

(٤) في « أ ، م ، ح ، مح ، هـ) توجد « واو » والصواب من (ف ، س) بدونها .

(٥) في (ح) « كفر »

(٦) في (أ ، س ، ق) « وهو » بالواو والمثبت من بقية النسخ .

(٧) في (أ ، س ، ف) « كبيراً أو صغيراً » بالتنوين على النصب وهو خطأ والصواب ما أثبت من بقية النسخ .

(٨) في (م ، ق) زيادة لفظ « الجلالة ».

(٩) في (ف) زيادة « بأذن الله » .

(١٠) في (أ ، س) « ظلم لنفسه » باللام . وفي (ف) « لنفسه » ساقطة وفي بقية النسخ « ظلم نفسه » بدون اللام .

(١١) « عبد الله » مثبتة من (م) .

(١٢) المثبت من (م ، ق) وفي باقي النسخ « أنزلت » .

« شق ذلك على أصحاب رسول الله [١] - ﷺ - وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال[٢] النبي ﷺ : « إنما هو الشرك / ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾»[٣] [لقمان : ١٣] والذين شق ذلك[٤] عليهم ، ظنوا أن الظلم[٥] المشروط هو ظلم العبد [لنفسه][٦] ، وأنه لا يكون الأمن والاهتداء إلا[٧] لمن لم يظلم نفسه ، فشق ذلك عليهم ، فبيّن النبي - ﷺ - لهم مادلهم على أن الشرك ظلم[٨] في كتاب الله تعالى،وحينئذ فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم، ومن لم يلبس إيمانه به، كان من أهل الأمن والاهتداء . كما كان من أهل [الاصطفاء][٩] في قوله تعالى[١٠] ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا [١١]// فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ//جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [فاطر: ٣٢ - ٣٣] [٢٨/أ]

---

(١) في (أ ، ح) « رسول الله » وبقية النسخ « النبي » .

(٢) في (ف) « قال » بدون « فاء » .

(٣) متفق عليه أخرجه من طريق عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : البخاري في كتاب الإيمان ، باب ظلم دون ظلم (٨١/١-٨٢) وفي كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ [لقمان:١٣] (١١٢/٤) وفي كتاب التفسير تفسير سورة لقمان، باب قول الله تعالى : ﴿ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ (٢٠/٦) وأعاده في كتاب استتابه المرتدين ، باب ما جاء في المتأولين (٤٨/٦) ، ومسلم في كتاب الايمان ، باب صدق الايمان وإخلاصه (١٤/١) والترمذي في كتاب التفسير ، باب ومن سورة الأنعام (٢٦٢/٥) والبغوي في شرح السنة (٧٩/١) .

(٤) « ذلك » ساقطة من (م ، ح) .

(٥) في (س) « الشرك» .

(٦) المثبت من (م ، ح ، ق) وفي بقية النسخ : « نفسه » بدون اللام .

(٧) في (ح) « لمن لا يظلم » وفي (س) « لمن يظلم نفسه » والمثبت من (أ) وباقي النسخ .

(٨) في (ف) زيادة « عظيم » .

(٩) في (أ ، ف) « الاصفا » والمثبت من باقي النسخ .

(١٠) « تعالى » مثبتة من (أ ، ح ، م) وساقطة من باقي النسخ .

(١١) ما بين العلامتين //ـــــ// مثبت من (أ ، م ، ق) وساقط من باقي النسخ .

وهذا لا ينفي أن يؤاخذ أحدهم بظلمه(١) لنفسه إذا لم يتب(٢) ، كما قال [الله](٣) تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧ - ٨] وقال [تعالى](٤) : (٥)﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ﴾ [النساء : ١٢٣] وقد سأل أبو بكر النبي - ﷺ - عن ذلك فقال : يا رسول الله ! وايّنا لم يعمل سوءا ؟ فقال : « يا أبا(٦) **بكر ألست تنصب ، ألست تحزن ، ألست تصيبك اللأواء(٧) . فذلك [ما](٨) تجزون به »**(٩) فبين أن المؤمن الذي إذا تاب دخل الجنة ، قد يجزى بسيئاته في الدنيا بالمصائب التي تصيبه(١٠) ، كما في « الصحيحين » عنه ﷺ أنه قال : « **مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيّئها(١١) الرياح ، تقيمها تارة وتميلها أخرى ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز ، لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها(١٢) مرة واحدة** »(١٣) .

---

(١) المثبت من (أ) وفي (مح) « بظلمه نفسه » وفي (م) « بظلمه بنفسه » .

(٢) في (س) « يثبت » .

(٣) « لفظ الجلالة » مثبت من (ح) .

(٤) « تعالى » ساقطة من (أ ، ف) ومثبتة من باقي النسخ .

(٥) في (ف) زيادة « واو » وهي خطأ .

(٦) في (ف) « أبو » .

(٧) اللأواء : الشدة وضيق المعيشة . انظر : غريب الحديث (٢٢١/٤) .

(٨) في (أ ، ح) « مما » والمثبت من باقي النسخ .

(٩) أخرجه أحمد في المسند (١١/١) من طريق عبد الله بن نمير قال أخبرنا اسماعيل عن أبي بكر بن أبي زهير قال : أُخْبِرْتُ أن أبا بكر قال : يا رسول الله كيف صلاح هذه الآمة بعد هذه الآية ؟ ﴿ ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ﴾ فقال رسول الله - ﷺ - غفر الله لك يا أبا بكر الست تمرض ... الحديث . وهذا مرسل صحيح رجاله ثقات كلهم ، وأبو بكر بن أبي زهير لم يسمع من أبي بكر الصديق . انظر المراسيل لابن أبي حاتم (ص : ١٩٧) والتهذيب (٢٩/١٢) ، وأخرجه ايضا من طريق أبي بكر بن أبي زهير كل من : هنّاد بن السرى في الزهد (٢٤٨/١) ، ابن جرير في التفسير (١٨٩/٥) ابن السنى في عمل اليوم والليلة (ص: ١٥١) ابن حبان في موارد الظمآن (ص :٢٤٩) .

(١٠) سبقت الاشارة إلى ذكر مسقطات العقوبة عن العبد وتوسع المؤلف فيها . (ص : ٧٩) .

(١١) تفيئها : أي تحركها وتميلها يميناً وشمالاً. انظر : النهاية في غريب الحديث (٢٧٦/١) .

(١٢) انجعافها : أي انقلاعها وذهابها مرة واحدة . انظر النهاية في غريب الحديث (٢٧٦/١) .

(١٣) متفق عليه أخرجه: البخاري في كتاب المرض والطب من حديث كعب بن مالك - رضي الله عنه - مرفوعا به (٢/٧) ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، باب مثل المؤمن كالزرع ، ومثل الكافر كشجر الارز (٢١٦٣/٤)، وأحمد في المسند (٣٨٦/٦) ، وابن أبي شيبة في الإيمان (ص : ٨٧) .

وفي « الصحيحين » عنه ﷺ أنه قال : « **ما يصيب المؤمن من وصب**[١] **ولا نصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا غم ولا أذى ، حتى الشوكة يشاكها**[٢] **، إلا كفّر الله بها من خطاياه**»[٣]، وفي حديث سعد بن أبي وقاص [قال]:[٤] قلت يا رسول الله ! أي الناس أشد بلاءً ؟ قال : « **الأنبياء ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة ، زِيد في بلائه ، وإن كان في دينه رقة ، خُفِّفَ عنه / ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة**» رواه أحمد والترمذي[٥] وغيرهما. وقال: « **المرض حُطة**[٦] **يحط**[٧] [**الله به**[٨]] **الخطايا عن صاحبه ، كما تحط الشجرة اليابسة**[٩] **ورقها** »[١٠] والأحاديث في هذا الباب كثيرة . [٢٨/ب]

---

(١) الوصب : دوام الوجع ولزومه ، وقد يطلق على التعب والفتور في البدن . انظر النهاية في غريب الحديث (١٩٠/٥) .

(٢) في (ف) « يشتاكها » .

(٣) متفق عليه أخرجه : البخاري في كتاب المرض والطب ، باب ما جاء في كفارة المرض (٢/٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ـ ، وفي رواية عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وأخرجه عنهما ايضا مسلم في كتاب البر والصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه (١٩٩٢/٤) وأحمد في المسند (٤/٣، ٣٨، ٦١) من حديث أبي سعيد وفيه « سيئات » بدل « خطايا » .

(٤) « قال » مثبتة من (ف) .

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٧٢) من طريق وكيع حدثنا سفيان عن عاصم ابن أبي النجود ، عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاءًا الحديث . وفي (١٧٤/١، ١٨٠، ١٨٥) من طرق عن عاصم بن بهدله ... به ، وإسناده حسن ورجاله موثقون كلهم . وأخرجه ايضا من طريق عاصم بن بهدلة ... به كل من : الترمذي في كتاب الزهد ، باب في الصبر على البلاء (٦٠١/٤) ، وابن ماجه في كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء (١٣٣٤/٢) والدارمي في كتاب الرقاق ، باب في أشد الناس بلاء (٢٢٨/٢) .

(٦) الحُطة : هي فعلة من حط الشيء يحطه إذا أنزله وألقاه . انظر النهاية في غريب الحديث (٤٠٢/١) .

(٧) « يحط » ساقطة من (ح) .

(٨) المثبت من (س) ، وفي (ف) « يحط الله بها » وسقطت من باقي النسخ .

(٩) في (م) « تحط اليابسة ورقها » .

(١٠) متفق عليه أخرجه: البخاري في كتاب المرض ، باب أشد الناس بلاء (٣/٧) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ـ مرفوعا بلفظ: «ما من مسلم يصيبه إذى شوكة فما فوقها كفّر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها» =

فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة ، كان له الأمن التام ، والاهتداء التام ، ومن لم يسلم من ظلمه[١] نفسه كان له الأمن والاهتداء مطلقا ، بمعنى أنه لا بد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك في الآية الأخرى[٢] وقد هداه الله [٣] إلى الصراط المستقيم الذي [تكون][٤] عاقبته فيه إلى الجنة ، ويحصل له من[٥] نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من ايمانه بظلمه نفسه [و][٦] ليس مراد النبي - ﷺ - بقوله : « **إنما هو الشرك** » [أن من لم يشرك [الشرك [٧]] الأكبر] يكون له الأمن التام ، والاهتداء التام .

فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر مُعرّضونَ للخوف ، لم يحصل لهم الأمن التام ، ولا[٨] الاهتداء التام [الذي][٩] يكونون به مهتدين إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله[١٠] عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين ، من غير عذاب يحصل لهم[١١] ، بل معهم أصل الاهتداء إلى [هذا][١٢] الصراط [المستقيم][١٣] ، ومعهم أصل نعمة الله عليهم ، ولا بد لهم من دخول الجنة . وقول

= وأعاد إخراجه في باب قول المريض أني وجع (٩/٧) ، ومسلم في كتاب البر والصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن (١٩٩١/٤) ، وأحمد في المسند (٣٨١/١، ٤٤١، ٤٥٥) والدارمي في السنن في كتاب الرقاق باب في ثواب أجر المريض (٢٢٤/٢) .

(١) المثبت من (أ ، س) وفي بقية النسخ « ظلم نفسه » . لعل الصواب « ومن سلم من ظلمه نفسه » .

(٢) اشارة إلى قوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ [الأنعام:٨٢].

(٣) « لفظ الجلالة » مثبت من (أ ، م ، ف) وليس في بقية النسخ .

(٤) في (أ ، س ، ق) « يكون » والمثبت من بقية النسخ .

(٥) « من » ساقطة من (ح) .

(٦) « الواو » مثبتة من (هـ ، س) وساقطة من باقي النسخ .

(٧) ما بين المعكوفتين ساقط من (أ ، ح) ومثبت من باقي النسخ و [الشرك] مثبت من (ف ، ق) .

(٨) « اللام » ساقطة من (ف) .

(٩) في (أ ، س) « الذين » والمثبت من باقي النسخ .

(١٠) في (ف ، س) بدون « لفظ الجلالة » .

(١١) في (ف) توجد زيادة : « من غير عذاب يحصل لهم ، إما في الدنيا وإما في الآخرة وإن كان معهم » .

(١٢) « هذا » ساقطة من (أ) ومثبتة من باقي النسخ .

(١٣) « المستقيم » مثبت من (ف) وساقطة من باقي النسخ .

[النبي](١) ﷺ : « إنما هو الشرك » إن(٢) أراد به الشرك الأكبر ، فمقصوده أن [من](٣) لم يكن من أهله ، فهو آمن ، مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة ، وهو مهتد إلى ذلك . وإن كان مراده جنس الشرك ، فيقال : ظلم العبد نفسه [كبخله](٤) لحب المال ببعض الواجب هو شرك أصغر ، وحبه [ما](٥) يبغضه الله حتى يكون مقدما(٦) هواه على محبة الله ، شرك أصغر ، ونحو ذلك . فهذا صاحبه [قد](٧) فاته من الأمن والاهتداء بحسبه ، ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار .

فصل

اسم الصلاح [٢٩/أ] يتناول جميع الخير واسم الفساد يتناول جميع الشر

ومن هذا الباب لفظ الصلاح والفساد ، فإذا أطلق الصلاح(٨) تناول جميع الخير وكذلك الفساد / يتناول جميع الشر ، كما تقدم(٩) في اسم الصالح ، وكذلك اسم المصلح(١٠) والمفسد قال [الله](١١) تعالى في قصة موسى : ﴿ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص : ١٩] .

(١) « النبي » ليس في من (أ ، م ، س ، ف ، ق) ومثبت من بقية النسخ .
(٢) « ان » ساقطة من (س) .
(٣) (من) » ساقطة من (أ) ومثبتة من بقية النسخ .
(٤) « كبخله » ساقطة من (أ) ومثبتة من بقية النسخ .
(٥) في (أ) « من » وما أثبت من بقية النسخ .
(٦) في (هـ) « يقدم هواه » وفي (ف) « هواه مقدما » وفي (س) « هواه يقدم » ، وفي (ق) « حتى يكون هو يقدم هواه » .
(٧) « قد فاته » ساقطة من (س) « وقد » ساقطة من (أ ، ف ، مح) ومثبتة من بقية النسخ .
(٨) في (ح) « بلغ » بدل « تناول » .
(٩) في (س) « يتقدم » ، وسبق (ص : ٨٧) من هذه الرسالة .
(١٠) في (ف ، س) تقديم « المفسد على المصلح » .
(١١) « لفظ الجلالة » مثبت من (ح) .

﴿ وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤١] وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هم المفسدون وَلَكِن لا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ١١ - ١٢] .

والضمير عائد على المنافقين في قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٨] [وهذا](١) مطلق يتناول من كان على عهد(٢) رسول الله - ﷺ - ومن سيكون بعدهم ، ولهذا قال سلمان الفارسي : إنه عنى بهذه الآية قوما(٣) لم يكونوا خلقوا حين نزولها(٤) ، وكذا قال السدي(٥) عن أشياخه : « الفساد : الكفر والمعاصي » ، وعن مجاهد [هو](٦) « ترك امتثال الأوامر واجتناب النواهي »(٧) والقولان

(١) في (أ) « ولهذا » والمثبت من بقية النسخ .

(٢) المثبت من (أ ، ح) وفي بقية النسخ « عهد النبي » .

(٣) في (ح ، هـ ، ف) بدون تنوين « قوم » والمثبت من باقي النسخ .

(٤) قول سلمان أخرجه الطبري في التفسير (١/٩٧) من طريق أحمد بن عثمان بن حكيم قال حدثنا عبد الرحمن بن شريك قال حدثنا أبي قال حدثني الأعمش عن زيد بن وهب وغيره عن سلمان ... فذكره . وهذاالاسناد ضعيف فيه عبدالرحمن بن شريك وهو ابن عبد الله النخعي قال أبو حاتم: واهي الحديث ، وقال الحافظ : صدوق يخطىء . وأبوه شريك بن عبد الله النخعي القاضي ، وثقّه ابن حبان والعجلي وابن شاهين وابن معين وقال الحافظ : صدوق يخطئ كثيرا تغيّر حفظه منذ ولى القضاء بالكوفة ، وكان عادلا فاضلا روى عنه مسلم والأربعة . انظر : ثقات ابن حبان (٦/٤٤٤) ، ثقات العجلي (ص :٢١٧) ، ثقات ابن شاهين (ص :١١٤) ، تاريخ ابن معين (٢/٣٥١) ، التقريب (١/٣٥١) التهذيب (٤/٣٣٣) . وأخرجه أيضا من طريق أبي كريب ، قال حدثنا عثام بن علي قال حدثنا الأعمش قال سمعت المنهال بن عمرو يحدّث عن عباد بن عبد الله عن سلمان .. فذكره بمعناه ، وهذا الإسناد فيه : عباد بن عبد الله وهو الأسدي ، قال ابن المديني : ضعيف الحديث . وقال البخاري : فيه نظر ، وقال الحافظ : ضعيف لكن يعضده ما تقدم . انظر : التهذيب (٤/٨٦) ، التاريخ الكبير (٣/٢/٣٢) التقريب (١/٣٩٢) .

(٥) انظر قول السدى عند الطبري في التفسير (١/٩٧) .

(٦) « هو » مثبتة من (ح ، م ، هـ) .

(٧) لم أجد قول مجاهد .

معناهما واحد . وعن ابن عباس [هو[٢]] الكفر[١] وهذا معني قول من قال : [هو][٢] النفاق الذي صآفوا به الكفار وأطلعوهم على أسرار المؤمنين . وعن أبي العالية ومقاتل[٣] : « العمل بالمعاصي »، وهذا أيضاً عام كالأوَّلَيْن . وقولهم : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ١١] فُسِّرَ بإنكار[٤] ما [أقروا [٥] به] أي : إنَّا إنما نفعل ما أمرنا به الرسول ، وفُسِّرَ : بأن الذي نفعله[٦] صلاح ، [ونقصد][٧] به الصلاح، وكلا القولين يروى عن ابن عباس[٨] ، وكلاهما حق ، فإنهم يقولون هذا وهذا ، يقولون الأول لمن لم يطلع على بواطنهم[٩] ، ويقولون الثاني لأنفسهم ولمن اطلع على بواطنهم . لكن الثاني يتناول الأول ، فإن من جملة أفعالهم إسرار

---

(١) قول ابن عباس أخرجه ابن جرير في التفسير (٩٧/١) من طريق :موسى بن هارون قال : حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا اسباط عن السدى وعن أبي صالح عن ابن عباس ... فذكره - وزاد فيه - والعلم بالمعصية وهذا الإسناد فيه : اسباط وهو ابن نصر الهمداني ، فيه لين ، وفيه أبو صالح وهو مولى أم هانئ باذم الكلبي . ضعيف .انظر : الجرح والتعديل (٤٣١/٢) ، الميزان (٢٥٦/١) ، التهذيب (٤١٦/٦) .

(٢) « هو » مثبتة من (م) وساقطة من بقية النسخ .

(٣) انظر قول أبي العاليه ومقاتل عند ابن الجوزي في زاد المسير (٣٢/١) .

(٤) في (هـ) « بانكاره » والمثبت من بقية النسخ .

(٥) في (أ) « ما فرقوا به » وفي (ح) « ما أقر به » والمثبت من باقي النسخ .

(٦) في (س) « يفعله » .

(٧) في (أ ، س) « ويقصد » والمثبت من باقي النسخ .

(٨) قول ابن عباس أخرجه الطبري في التفسير (٩٨/١) من طريق : محمد بن حميد حدثنا سلمه بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره واسناده ضعيف ، فيه محمد بن حميد الرازي ، وفيه محمد بن إسحاق وهو المطلبي صاحب المغازي وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة ، وفيه أيضا محمد بن أبي محمد وهو مجهول. انظر : تاريخ ابن معين (٣٠٥/٢) ، التاريخ الكبير ٤٠/١/١) ثقات ابن حبان (٣٨٠/٧) التهذيب (٣٨/٩) وعن ابن إسحاق وعن محمد بن محمد انظر الثقات لابن حبان (٣٩٢/٧) والميزان (٢٦/٤) والكاشف (٩٤/٣) والتقريب (٥٠٥/١) .

(٩) في (م ، مح) « باطنهم » .

خلاف ما يظهرون ، وهم يرون هذا صلاحا[١] . قال مجاهد : « أرادوا أن[٢] مصافاة الكفار صلاح لا فساد[٣] » . وعن السدي : « إن فعلنا هذا هو الصلاح ، وتصديق محمد [هو الفساد[٤]][٥] وقيل : أرادوا أن هذ صلاح في الدنيا ، فإن الدولة إن كانت للنبي - ﷺ -[٦] / فقد أمنوا بمتابعته ، وإن كانت للكفار ، فقد أمنوهم بمصافاتهم ، ولأجل القولين [٢٩/ب] قيل في قوله : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة :١٢] أي[٧] : لا يشعرون أن ما فعلوه[٨] فساد لا صلاح. [٩]وقيل : لا يشعرون أن الله يُطْلِعُ نبيه على فسادهم . والقول الأول يتناول الثاني ، فهو المراد ، كما يدل عليه لفظ الآية . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٦] .

وقال تعالي[١٠] : ﴿ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : ٨١] . [وقال][١١] يوسف : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] .

وقد يقرن أحدهما بما هو أخص منه ، كقوله [تعالى][١٢] ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة : ٢٠٥] قيل

---

(١) في (س) « إصلاحا » .
(٢) « أن » ساقطة من (ح) .
(٣) لم أجد قول مجاهد .
(٤) ما أثبت من (ق) وفي (م) « صلى الله عليه وسلم الفساد » وفي بقية النسخ « تصديق محمد فساد » .
(٥) انظر قود السدى في زاد المسير (١/ ٣٢) .
(٦) الصلاة على النبي ساقطة من (هـ ، س) .
(٧) « أي » ساقطة من (ح) .
(٨) في (ف) « فعلوا » .
(٩) « الواو » ساقطة من (م) .
(١٠) « تعالى » مثبتة من (أ ، ح ، م) وساقطة من باقي النسخ .
(١١) ما أثبت من (ق) وفي بقية النسخ « قول » .
(١٢) « تعالى » مثبتة من (م) .

بالكفر ، وقيل بالظلم ، وكلاهم صحيح قال [الله][1] تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا في الأَرْضِ وَلا فَسَادًا ﴾ [القصص : ٨٣] . وقد تقدم قوله[2] [تعالى][3] ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِى الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحِي نِسَاءَهُمْ إِنَّه كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِين ﴾ [القصص : ٤] وقال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي اسرائيل أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ٣٥] . وقتل النفس الأول من جملة[4] الفساد ، لكن الحق في القتل لولي المقتول ، وفي الردة والمحاربة والزنى الحق فيها لعموم الناس ، [ولهذا][5] يقال : هو حق لله [تعالى][6] [ولهذا[7] لا يعفى] عن هذا ، كما يعفى عن الأولى[8] لأن فساده عام، قال [الله][9] تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهم مِن خِلافٍ [أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ[10]] ﴾ [الآية][11] [المائدة : ٣٣] .

---

(١) « لفظ الجلالة » مثبت من (م ، ق ، ح) .

(٢) في (ف) زيادة هي : « وقد تقدم قوله »« وأن فرعون لعال في الأرض وانه لمن المفسدين » وقوله : « إن فرعون علا في الأرض » .

(٣) « تعالى » ساقطة من (أ ، س ، ق مح) ومثبتة من باقي النسخ . ولعل الشيخ هنا يقصد وسوف يأتي وإلا فلم ترد هذه الآية إلا بعد ٨٠ صفحة (   ) .

(٤) « جملة » ساقطة من (س) .

(٥) في (أ ، ف) « وهذا يقال » والمثبت من باقي النسخ .

(٦) « تعالى » مثبتة من « هـ » .

(٧) في (أ) « لهذا ولا يعفى عن هذا » والمثبت من باقي النسخ .

(٨) ما أثبت من (ح ، ق ، ط) ، وفي بقية النسخ « الأول » وانظر الصارم المسلول (٣ / ٧٠٩ - ٧٢٥) .

(٩) « لفظ الجلالة » مثبت من (ق) .

(١٠) مابين المعكوفتين مثبت من (س ، ف) وبدلا عنها الآية في (أ) وباقي النسخ .

(١١) ما أثبت من (ق) .

قيل[١] سبب نزول هذه الآية « العرنيون[٢] الذين ارتدوا وقتلوا وأخذوا [المال] [٣] » وقيل : «سببه ناس[٤] معاهدون نقضوا العهد وحاربوا [٥] » وقيل : « المشركون »[٦] فقد قرن

(١) في جميع النسخ ما عدا (ف) توجد واو والصواب حذفها كما في (ف) ، وفي (ق) « وقيل سبب نزول الآية هذه » .

(٢) العرنيون نسبة إلى عرينة - بالتصغير - حي من قضاعة بجيلة والمراد بهم هنا الذين من بجيلة وهم من قحطان وقصتهم كما رواها البخاري بسنده عن أنس - رضي الله عنه - قال : قدم أناس من عكل أوعرينة فاجتووا المدينة فأمرهم النبي - ﷺ - بلقاح وأن يشربوا من أبوالها وألبانها ، فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي النبي - ﷺ - واستاقوا النعم فجاء الخبر في أول النهار فبعث النبي - ﷺ - في أثرهم فلما ارتفع النهار جيئ بهم ، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم والقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون . قال أبو قلابة : فهؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله . انظر صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري كتاب الوضوء باب أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها (٣٣٥/١) .

(٣) ما أثبت من (ق) وليس في بقية النسخ .

أخرجه أبو، داود في كتاب الحدود باب ما جاء في المحاربة (١٣١/٤) من طريق محمد بن الصباح بن سفيان قال أخبرنا [ح [أ]] وحدثنا عمرو بن عثمان حدثنا الوليد ، عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابه عن أنس ابن مالك بهذا الحديث - يعني حديث العرنيون قال فبعث رسول الله - ﷺ - في طلبهم كافة فأتى بهم قال : فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك إنما جزاء ... الآية ، وإسناده صحيح ورجاله موثقون كلهم والوليد وهو ابن مسلم أبو العباس ثقة كان يدلس وصرّح بالتحديث كما سيأتي في رواية الطبري ، وأخرجه من طرق عن الوليد بن مسلم... به ايضا كل من : النسائي في كتاب تحريم الدم ، باب تأويل قول الله تعالى : إنما جزاء الذين يحابرون الله ورسوله الآية (٩٤/٧) . وابن جرير في التفسير (٢٠٨/٦) وفيه تصريح الوليد بن مسلم بالتحديث انظر : التهذيب (١٢١/١١) .

(٤) في (ف) « قوم » .

(٥) هذه الرواية أخرجه ابن جرير في التفسير (١٣٣/٦) من طريق المثنى قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ... قال كان قوم من أهل الكتاب بينهم وبين النبي - ﷺ - عهد وميثاق فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض فخير الله رسوله إن شاء يقتل وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . وإسناده فيه المثنى وهو مجهول ، وفيه أيضا عبد الله ابن صالح كاتب الليث، فيه ضعف وقد مر وعلي هو ابن أبي طلحة، وقد سبق أيضا، لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنه -. وأخرجه أيضا من طريق المثنى قال :حدثنا عمرو بن عون ، قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال : فذكره نحو ما تقدم ، واسناده فيه المثنى وهو مجهول، وفيه جويبر وهو ابن سعيد الأزدي وهو ضعيف . انظر التهذيب (١٠٦/٢) والتقريب (١٣٦/١) .

(٦) أخرج هذه الرواية ابن جرير في التفسير (١٣٣/٦) من طريق ابن حميد قال حدثنا يحيى بن وضاح قال حدثنا الحسين بن واقد ، عن زيد عن عكرمة والحسن البصري قالا : نزلت هذه الآية في المشركين . وإسناد هذه الرواية ضعيف ، فيها ابن حميد وهو محمد بن حميد بن حبان الرازي - سبق بيان حاله (ص : ٢٣) من هذه الرسالة ضعيف ، وفيه الراوي عن عكرمة والحسن - زيد لم يعرف - .

(أ) الحاء المفردة رمز يستعمله المحدثون للدلالة على تحول السند من طريق إلى أخرى وقد وردت في أحاديث وآثار الكتاب مرتين هذه هي المرة الأولى منها .

بالمرتدين المحاربين[(١)] وناقضي العهد المحاربين/ بالمشركين المحاربين[(٢)] وجمهور السلف والخلف [٣٠/أ] على[(٣)] أنها تتناول قُطَّاعَ الطريق من المسلمين ، والآية تتناول ذلك كله . ولهذا[(٤)] كان من [تاب[(٥)]] قبل القدرة عليه من جميع هؤلاء، فإنه يسقط[(٦)] عنه حد[(٧)] الله تعالى[(٨)(٩)].

[وكذلك][(١٠)] قرن الصلاح والإصلاح بالإيمان في مواضع كثيرة ، كقوله [تعالى][(١١)] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [البقرة : ٢٧٧] و[قوله][(١٢)] ﴿ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٨] . ومعلوم أن الإيمان أفضل الإصلاح ، وأفضل العمل الصالح، كما جاء في الحديث الصحيح أنه قيل :« يا رسول الله ! أي الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله »[(١٣)] . وقال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا [ثُمَّ اهْتَدَى][(١٤)] ﴾ [طه : ٨٢] وقال [تعالى][(١٥)] ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾ [مريم : ٦٠] وقال [تعالى[(١٥)]] ﴿ إِلَّا مَن

(١) « المحاربين » ساقطة من (هـ) .

(٢) « بالمشركين المحاربين » مثبتة من (أ) وساقطة من بقية النسخ .

(٣) « على » ساقطة من (هـ) .

(٤) « الواو » ساقطة من (س) وفي (م) بدل « ولهذا » « لذلك » .

(٥) « تاب » ساقطة من (أ) ومثبتة من بقية النسخ ، وفي (ق) « من قبل القدرة عليه » .

(٦) في (م) « فإنه سقط عنه » .

(٧) ما أثبت من (أ ، س ، ف ح) وفي بقية النسخ « حق الله » .

(٨) « تعالى » مثبتة من (أ) وساقطة من بقية النسخ .

(٩) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول للمؤلف (٣ / ٧٠٩ - ٧٢٥) .

(١٠) « وكذلك » مثبتة من (هـ) وساقطة من بقية النسخ .

(١١) « تعالى » ساقطة من (أ) ومثبتة من بقية النسخ .

(١٢) « وقوله » مثبتة من (م ، ق ، ح) .

(١٣) متفق عليه أخرجه : البخاري في كتاب الإيمان ، باب من قال : إن الإيمان هو العمل من حديث أبي هريره - رضي الله عنه - مرفوعا ... به (١٢/١) . وأعاد إخراجه في كتاب الحج ، باب فضل الحج المبرور (١٤١/١) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٨٨/١) ، والنسائي في كتاب مناسك الحج ، باب فضل الحج (١١٣/٥) وأحمد في المسند (٢٦٤/٢، ٢٨٧، ٣٨٨) .

(١٤) « ثم اهتدى » ساقطة من (أ) ومثبتة من بقية النسخ .

(١٥) « تعالى » مثبتة من (م ، ح ، ق ، ف) .

تَاب وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ [الفرقان : ٧٠][١] وقال [تعالى[٣]] في القـذف: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمـران: ٨٩] وقال في السارق: ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾[٢] [المائدة : ٣٩] . وقـال [تعـالى][٣] ﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَئَاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ﴾ [النساء : ١٦] ولهذا شرط الفقهاء في أحد قوليهم[٤] في قبول شهادة القاذف أن يصلح[٥]، [وقدروا][٦] ذلك بسنة[٧] . كما فعل عمر بصبيغ بن عسل[٨] لما أجلّه سنة ، وبذلك أخذ أحمـد في توبة الداعي إلى البدعة أنه[٩] يؤجل سنة ، كما أجّل عمر صبيغ ابن عسل .

---

(١) « اية الفرقان » ساقطة من (ف) .

(٢) في (م) تكملة الآية ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ [المائدة : ٤٢] .

(٣) في (م) « ولهذا قال تعالى » « وتعالى » مثبتة من (ق ، م) .

(٤) في (ف) « قولهم » .

(٥) « يصلح » مكررة في (هـ) مرتين .

(٦) في (أ ، هـ) « وقد روى » المثبت من باقي النسخ .

(٧) انظر تفصيل قول الفقهاء في المغني لابن قدامه (٨١/١٢-٨٢) الانصاف للمرداوي (١٦٣/١٠) روضة الطالبين للنووي (١٥٨/١٠) الصارم المسلول على شاتم الرسول للمؤلف (٩٤٧/٣ - ٩٤٨) .

(٨) هو صبيغ - بوزن عظيم ، ويقال بالتصغير - بن شريك بن المنذر بن قشع بن عسل التميمي، ويقال صبيع بن عسل نسبة إلى جده . قدم المدينة في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يسأل عن متشابه القران فضربه عمر وشهّر به ونفاه إلى البصرة ، قصته مروية بطرق متعددة في بعضها طول وأخرى مختصرة ، فقد روى البزار من طريق : سعيد بن المسيب ما خلاصته : ان صبيغ التميمي جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وسأله عن قوله تعالى : ﴿والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا ﴾ [الذاريات : ١ - ٢ - ٣] فأجاب عن ذلك وقال : لولا إني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول ما قلته ، ثم أمر به فضرب مائة وجعله في بيت ، فلما برئ دعا به فضرب مائة أخرى وحمله على قتب وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن امنع الناس مجالسته فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى فحلف له بالايمان المغلظة ما يجد في نفسه مماكان يجد شيئا فكتب في ذلك إلى عمر ، فكتب عمر ما أخاله إلا قد صدق فخل بينه وبين الناس!! وروى اللالكائي عن سليمان بن يسار نحوه . وأورده ابن كثير في تفسير سورة الذاريات من طريق البزار وقال : فهذا حديث ضعيف رفعه وأقرب ما فيه انه موقوف على عمر - رضي اللهعنه - فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر - رضي الله عنه - وانما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتا وعنادا . وأورده الهيثمي في كشف الأستار في تفسير سورة الذاريات ممن أمره يسأل تعنتاً وعناداً ، وقال في مجمع الزوائد رواه البزار ، وفيه أبو بكر بن أبي سبرة ، متروك . انظر : البحر الزخار (٤٢٣/١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٦٣٥/٤) تفسير ابن كثير (٢٣١/٤) كشف الأستار للهيثمي (٦٩/٣) مجمع الزوائد (٢٢/٧) الاصابة (٤٥٨/٣) .

(٩) في (ف) « أن » ، قال ابن قدامة معقبا على قصة صبيغ : « ما ورد عن عمر في حق صبيغ انما كان لأنه تاب عن بدعة ، وكانت توبته بسبب الضرب والهجران ، فيحتمل أنه أظهر التوبة تسترا ». انظر المغنى (٨٢/١٢) .

فصل

فإن قيل : ما ذكر من تنوع دلالة اللفظ بالإطلاق[(١)] والتقييد في[(٢)] كلام الله [تعالى][(٣)] ورسوله [ﷺ][(٤)] وكلام كل أحد [بيِّنٌ][(٥)] ظاهر لا يمكن دفعه ، لكن نقول : دلالة لفظ الإيمان على الأعمال مجاز[(٦)]، فقوله ﷺ : « **الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول[(٧)] لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق** »[(٨)] مجاز ، وقوله : « **الإيمان : أن تومن بالله وملائكته وكتبه و [رسله]**[(٩)] »[(١٠)] . إلى آخره / حقيقة[(١١)] وهذا عمدة المرجئة، والجهمية ، والكرامية[(١٢)] ، وكل من لم يدخل الأعمال في اسم الايمان .

تنوع دلالة اللفظ بالاطلاق والتقييد

[٣٠/ب]

القول بالمجاز عمدة من لم يدخل الأعمال في اسم الإيمان

---

(١) في (ح) « لإطلاق » ، وفي (ق) « والاطلاق » .

(٢) في (ح ، ق) « من كلام » .

(٣) « تعالى » مثبتة من (م) .

(٤) « صلى الله عليه وسلم » مثبتة من (م) .

(٥) في (أ) « من » وفي بقية النسخ « بيِّنٌ » كما هو مثبت .

(٦) المجاز قال في المعجم الوسيط : تجوز في الكلام تكلم بالمجاز أو الدرهم قبلها على ما فيها من زيف » وقال في موضع أخر منه » المجاز : المعبرُ ومن الكلام ما تجاوز ما وضع له من المعنى » . مادة جوز (ص ١٤٦) .

(٧) « قول » توجد في هامش (أ) .

(٨) سبق تخريجه (ص : ٨) من هذه الرسالة .

(٩) « رسله » ساقطة من (أ) ومثبتة من بقية النسخ ، ما عدا (ق) .

(١٠) سبق تخريجه (ص :٢) من هذه الرسالة .

(١١) الحقيقة :« الشيء الثابت يقينا ، وعند اللغويين : ما استعمل في معناه الأصلي ، وحقيقة الشيء خالصة وكنهه والجمع حقائق . انظر المعجم الوسيط مادة « حق » (ص : ١٨٨) .

(١٢) الكرامية : احدى فرق المتكلمين ، وهم ، أتباع أبي عبدالله محمد بن كرام بن عراق السجستاني (٠٠٠-٢٢٥) لهم كلام في الإسماء والصفات والقدروالإيمان ، وهم يوافقون السلف في اثبات الصفات لله ولكنهم يبالغون في ذلك إلى حد التشبيه والتجسيم ، وكذلك يوافقون السلف في إثبات القدر والقول بالحكمة والتعليل ولكنهم يوافقون المعتزلة في ايجابهم معرفة الله بالعقل ، وفي القول بأن الحسن والقبح يعرفان بالعقل لا بالشرع ، وهم في باب الايمان يُعَدُّونَ من المرجئة لقولهم بأن الايمان هو الاقرار فقط دون العمل . انظر : الفصل لابن حزم (٧٣/٥)، الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٠٢) الملل والنحل للشهرستاني (١٠٨/١) الخطط للمقريزي (٣٤٥/٢) .

ونحن نجيب بجوابين : **أحدهما** : كلام عام في لفظ الحقيقة والمجاز[(١)] **والثاني** : ما

(١) استغرق المؤلف ـ رحمه الله ـ الكلام على الحقيقة والمجاز حتى (ص :١٩٥ من كتابنا هذا) واستكمل القول في الكلام عليهما في الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز في ٢٣ صفحة (٣٥١/٦-٣٧٤) ضمن مجموع الفتاوي وكذلك في رسالته في الرد على الآمدي في نحو مائة صفحة (٤٠٠/٢٠ ـ ٤٩٧) ضمن مجموع الفتاوى . ويشبه هجوم المؤلف هنا على المجاز هجومه على المنطق اليوناني من حيث الدوافع والأسباب وقوة الهجوم ، واذا كان أي باحث في المنطق لا يمكن أن يغفل أثر ما كتبه الشيخ ـ رحمه الله ـ في ذلك دفاعا عن منهج السلف فكذلك أي باحث في باب المجاز ، وما يتعلق به ، لا يمكنه إلا أن يشير إلى منهجه ومذهبه وموقفه من المجاز ، وقد أشار إلى هذا أحد الباحثين ممن أفرد للمجاز كتابا مطولا بلغ جزئين كبيرين فقال في مقدمة كتابه بعد أن عرض مختصر لتاريخ القول بالمجاز بين مثبتيه ونفاته قال : « والمتابع لسير النزاع بين الفريقين يرى الخلاف بينهما كان هادئاً طوال القرون الأولى حتى النصف الثاني من القرن السابع والربع الأول من القرن الثامن فقد اتجه الخلاف إلى الشدة والعنف ـ ولكن من جانب منكريه وحدهم دون مجوزيه ـ فقد برز في الساحة الإمام أبو العباس أحمد بن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨) وقد وهبه الله ذاكرة واعية وقلبا ذكيا ولسانا فصيحا وقلما جريئا وتبنى مذهب السلف من حيث الجملة ـ هذا بحسب رأي المؤلف لا بحسب الواقع ـ وتصدى لأقاويل كثيرٍ من الفرق ولم يترك مجالا من مجالات الفكر الإسلامي إلا وكان له فيه قصب السبق ، وكان مما أدلى فيه بدلوه موضوع المجاز فاختار مذهب المنع ومن يقرأ كتابه « الايمان » يجد نفسه أمام صخرة عاتية لا تعمل فيها المعاول إذا أريد النيل منها ... » انظر المجاز في اللغة والقرآن بين الإجازة والمنع للدكتور عبدالعظيم ابراهيم المطعني (١/ ح ـ ط) وعلى الرغم من رده على شيخ الإسلام إلا أنه ذكر السبب الصحيح لموقف شيخ الإسلام من المجاز فقال : « إن الظروف والضرورات التي جعلت الإمام يقف تلك الوقفة في كتابه الإيمان وفي رسالته المدنية هي في الواقع جد خطيرة، ومن يقف على خطورتها يسوغ للشيخ وقوفه ضدهما والعمل بكل طاقة على دفعهاوكف شرها ، ولو أدى ذلك إلى انكار المجاز إذ ليس هو عقيدة أو أمراً معلوما من الدين بالضرورة، وانما هو مذهب قولي وهو فن من فنون البيان لايفسق منكره ولا يذم. ومجمل ما يمكن تصوره هوكثرة التأويلات التي تعدى بها قائلوها على النصوص الشرعية وتجاوزوا بها مرحلة المعقول المقبول إلى المنحول المدخول الذي يكاد يذهب بكل الحقائق التي جاء بها الإسلام وأقرها، فلم تكن المسألة مسألة تأويل مجازي وإلا لهان الخطب، وانما طم شرهاوعم وأغرب قائلوها كل الاغراب حتى صارت بعض الألفاظ ليس لها مدلول محقق في خضم تلك التأويلات العمياء .. ومنشأ تلك التأويلات هو الفرق الكلامية والاعتقادية والفلسفية وغلاة الصوفية وقد وقف الإمام ـ رحمه الله ـ من تحريفات الفرق والمتكلمين وقفات جادة وطويلة ... انظر المرجع السابق (٨٩٠/٢) وقد رد د/ المطعني على شيخ الإسلام خصوصا في كتابه الإيمان في نحو من (٢٥٠) صفحة (٦٣٩/٢-٩٠٣) لكن يلاحظ عليه في نقاشه لشيخ الإسلام أمران : الأول : أنه كثيرا ما يصادر على المطلوب فيحتج ببعض النصوص وينقل كلام السابقين فيها وانهم قصدوا بذلك المجاز ويرى شيخ الإسلام أن هذه النصوص حجة له وكلام السابقين فيها يدل على سعة اللغة ومرونتها لا على المجاز، فشيخ الإسلام مثلا لايشك في أن المقصود بسؤال القرية في قوله تعالى : ﴿ واسأل القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] =

يختص بهذا الموضع[١] . فبتقدير أن يكون أحدهما مجازاً[٢] ، ما هو الحقيقة من ذلك من المجاز ؟ هل الحقيقة هوالمطلق ، أو المقيد ، [أو][٣] كلاهما حقيقة حتى [يعرف][٤] أن لفظ الإيمان إذا أطلق على ماذا يحمل[٥] ؟

تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع حادث

فيقال **أولاً**: تقسيم الألفاظ الدالة على معانيها إلى حقيقة ومجاز، أو[٦] تقسيم دلالتها ، أو المعاني المدلول عليها ، إن استعمل لفظ الحقيقة والمجاز في المدلول أو في الدلالة ، فإن هذا كله قد[٧] يقع في كلام المتأخرين .

ولكن المشهور أن الحقيقة والمجاز من عوارض الألفاظ ، وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة ، لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم

= هم أهلها وليس البنيان ولكن من قال ان هذا مجاز ؟ بل القرية تطلق على هذا وهذا فإذا جاء المؤلف أو غيره ليحتج على شيخ الإسلام بأن من السلف من قال المقصود : أهل القرية وهذا مجاز كان هذا مصادرة عن المطلوب لأنه موضع الخلاف .

الثاني : أن المؤلف مع أنه رجع إلى كتاب « الايمان » و « الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز » إلا أنه غفل عن أطول بحوث الشيخ وأهمها في موضوع المجاز وهورسالته في الرد على الآمدي « في الحقيقة والمجاز » في نحو مائة صفحة ضمن مجمع الفتاوى (٢٠/٤٠٠-٤٩٧) .

ولا شك أن شيخ الإسلام ما كان ليعترض على المجاز أو غيره من العلوم والمصطلحات الحادثة لو أنها بقيت مثل كثير من الفنون والعلوم التي أفردت بمؤلفات خاصة بها ، وصار لأصحاب كل فن اصطلاح خاص بهم ولكن لما أخذ المتكلمون وغيرهم ـ وخاصة من عنى منهم باللغة وعلومها ـ يتدعون هذا المصطلح ليتوصلوا بها إلى تصحيح عقائدهم الفاسدة وتأيدها بما يدّعونه من الأدلة ، بناءا على مصطلح المجاز أو غيره ـ أقول كان لا بد من الوقوف أمام هذه المصطلحات وبيان فسادها وهذا ما فعله شيخ الإسلام بالنسبة لمصطلح المجاز ، انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (٣/١١٧٠ - ١١٧٦) .

(١) استغرق المؤلف ـ رحمه الله ـ في الرد على من قال بأن الأعمال غيرداخلة في مسمى الايمان أو أن دلالة الأعمال على الايمان مجاز أكثر (٦٠ صفحة) .

(٢) في (ف) زيادة « واو » .

(٣) في (أ) « وكلاهما » « بالواو » وساقطة من (ح) وفي بقية النسخ « أو » كما هو مثبت .

(٤) في (أ ، س) « تعرف » والمثبت من باقي النسخ .

(٥) في (ح) « يحتمل » .

(٦) في (أ ، م ، ف ، س) « أو » وباقي النسخ « بالواو » والصواب ما أثبت .

(٧) « قد » ساقطة من (س) .

بإحسان ، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم ، كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي[١] ،بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو،كالخليل[٢] وسيبويه[٣] وأبي عمرو بن العلاء[٤] ونحوهم. وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز، أبو عبيدة معمر بن المثنى[٥] في كتابه[٦]، ولكن لم يعن بالمجاز ماهو قسيم[٧] الحقيقة، وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية[٨]، ولهذا[٩] من

أول من تكلم بالمجاز

(١) في (ف) زيادة « رضي الله عنهم » .

(٢) في هامش (ق) « الخليل بن أحمد » وهو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري الإمام صاحب العربية ومنشئ علم العروض . كان رأساً في لسان العرب ، ديّناً ورعاً ، قانعاً متواضعاً كبير الشأن وكان مفرط الذكاء ألف كتاب « العين » وغيره ، توفي سنة بضع وستين ومائة ، وقيل غير ذلك انظر : طبقات النحويين للزبيدي (ص :٧٤) ، سير أعلام النبلاء (٤٢٩/٧) ، البلغة في تراجم ائمة اللغة (ص :٩٩) .

(٣) هوعمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر الملقب بسيبويه إمام النحو وحجّة العربية ، طلب الفقه والحديث مدة ثم أقبل على العربية فصارا أعلم المتقدمين والمتأخيرن بالنحو توفى سنة ١٨٠ هـ . انظر: تاريخ بغداد (١٣٣/٣) ، سير أعلام النبلاء (٣٥١/٨) ، بغية الوعاة (٢٢٩/٢) .

(٤) هو أبوعمر بن العلاء بن عمّار التميمي المازني البصري(٧٠- ١٥٤هـ) اختلف في اسمه على أقوال أشهرها : زيان وقيل العريان ، أحد القراء السبعة شيخ القراءة والعربية ، النحوي المقرئ كان فصيحاً واسع العلم ، روى عن أنس بن مالك، ويحيى بن يعمر ومجاهد وغيرهم ، وروى عنه شعبة وحماد بن زيد ، والأصمعي وغيرهم ، توفي بالاسكندرية ، قال عنه الحافظ : ثقة . انظر : طبقات القراء لابن الجوزي (٢٨٨/١) ، وفيات الأعيان (٤٦٦/٣) ، بغية الوعاة للسيوطي (٢٣١/٢) ، التقريب (٤٥٤/٢) .

(٥) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (١١٠ - ٢٠٩هـ) من أئمة اللغة والأدب ، ولد بالبصرة روى عن هشام بن عروة ورؤبة بن العجاج وأبي عمر بن العلاء وغيرهم ، وروى عنه علي بن المديني وأبوعبيد القاسم بن سلام وأبو عثمان المازني وغيرهم ، استقدمه الرشيد إلى بغداد فقرأ عليه أشياء من كتبه منها « مجاز القرآن » «ومعاني القرآن » و« غريب الحديث » توفى بالبصرة . انظر : تاريخ بغداد (٢٥٢/١٣) ، وفيات الأعيان (٢٣٥/٥) ، بغية الوعاة (٢٩٤) ، وسير أعلام النبلاء (٤٤٥/٩) .

(٦) لعل المؤلف يقصد كتابه « مجاز القرآن » لأبي عبيدة .

(٧) في (ف) « قيم » .

(٨) قال محقق المجاز وهو الدكتور فؤاد سزكين : « ومعنى هذا أن كلمة المجاز عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته ، وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة المجاز فيما بعد ... » (١٩/١) .

(٩) توجد كلمة « قال » (في مح ، هـ ، س ، م) وساقطة من باقي النسخ ولعل الصواب بدونها .

قال من الأصوليين ، كأبي الحسين[١] البصري[٢] وأمثاله : « أنه[٣] تُعْرَفُ[٤] الحقيقة من المجاز بطرق ، منها : نص أهل[٥] اللغة على ذلك بأن [قالوا[٦]] : هذا حقيقة ، وهذا مجاز[٧] ». فقد تكلم بلا علم ، فإنه ظن أن أهل اللغة قالوا [هذا][٨] ولم يقل ذلك أحد من أهل اللغة ، ولا من سلف [الأمة][٩] وعلمائها ، وإنما هذا اصطلاح حادث والغالب أنه كان من جهة المعتزلة[١٠] ونحوهم من المتكلمين، فإنه لم يوجد هذا في كلام أحد من أهل[١١] الفقه والأصول والتفسير[١٢] والحديث ونحوهم من السلف/ وهذا الشافعي هو أول من جرّد [٣١/أ]

---

(١) في (ف ، س) « أبي الحسن » .

(٢) هو محمد بن علي بن الطيب البصري أبو الحسين شيخ المعتزلة والمنتصر لهم والمحامي عنهم ، دعمهم بالتصانيف المتعددة ،كان فيصحاً بليغاً أحد أئمة علم الكلام في وقته ، توفي ببغداد سنة ٤٣٦ هـ وله تصانيف منها المعتمد في أصول الفقه ، تصفح الأدلة ، غرر الأدلة . انظر : تاريخ بغداد (١٠٠/٣) ، سير أعلام النبلاء (٥٨٧/١٧) ، البداية والنهاية (٥٣/١٢) .

(٣) المثبت من (أ ، ح ، م ، مح) وبقية النسخ « أنها » .

(٤) في (س) « يعرف » .

(٥) « أهل » توجد بهامش (أ) .

(٦) ما أثبت من (أ ، ح ، ق) وفي بقية النسخ « يقولوا » .

(٧) قال أبو الحسين البصري في كتابه المعتمد في أصول الفقه (١٦/١) « أما اثباتها - يعني الحقيقة والمجاز - فظاهر في الجملة لقول أهل اللغة ، هذا الاسم حقيقة وهذا الاسم مجاز » .

(٨) « هذا » ساقطة من (أ ، ح) ومثبتة من بقية النسخ .

(٩) في (أ) « الأئمة » والمثبت من باقي النسخ .

(١٠) المعتزلة : إحدى الفرق التي نشأت مبكرا بعد الخوارج والشيعة ورئيسهم هو واصل بن عطاء الغزّال وهو أول من تكلم بأصولهم ، وسموا بالمعتزلة لأن واصلا كان تلميذ للحسن البصري ، وخالف الحسن فأطلق عليه وعلى جماعته المعتزلة . وقيل غير ذلك ويجمع المعتزلة القول بالأصول الخمسة وهي التوحيد ويعنون به: القول بنفي صفات الله تعالى ، وأن القرآن مخلوق ، والعدل ويعنون به : القول بنفي القدر وأن العبد يخلق أفعال نفسه ، والقول بالمنزلة بين المنزلتين ويعنون به: أن مرتكب الكبير لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين ، والوعد والوعيد ويعنون به أن مرتكب الكبيرة إذا لم يتب من ذنبه فهو مخلد في النار ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويعنون به : وجوب الخروج على الأئمة إذا جاروا وظلموا ودعوه الناس إلى ما ذهبو اليه بالقوة .انظر التنبيه والرد للملطي (ص : ٣٥) المقالات للأشعري (٢٣٥/١) الفرق بين الفرق(ص : ٩٣) الملل والنحل (٥٦/١) تلبيس ابليس (ص :٨٣) .

(١١) « أهل الفقه » توجد في هامش (أ) .

(١٢) في (م ، ق) « الحديث والتفسير » .

الكلام في أصول الفقه لم[١] يقسم هذا التقسيم، ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز، وكذلك محمد بن الحسن [٢] له[٣] في المسائل المبنية[٤] على العربية كلام معروف في «الجامع الكبير» وغيره ، ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والمجاز ، وكذلك سائر الأئمة ، لم يوجد لفظ المجاز في كلام أحد منهم، إلا في كلام أحمد بن حنبل فإنه قال في كتاب « الرد على الجهمية »[٥] في قوله « إنا ونحن ونحو ذلك في القرآن : هذا من مجاز اللغة ، يقول الرجل : إنا سنعطيك ، إنا سنفعل ، فذكر أن هذا من[٦] مجاز اللغة » ، وبهذا احتج على مذهبه من أصحابه من قال : إن في القرآن مجازا ، كالقاضي أبي يعلى ، وابن عقيل ، وأبي الخطاب[٧] وغيرهم .

---

(١) توجد « واو » زيادة من (هـ) .

(٢) هو محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني الكوفي ، فقيه العراق صاحب أبي حنيفة ، ولي القضاء للرشيد بعد أبي يوسف ، كان ذكيا يضرب به المثل ، قيل للإمام أحمد : من أين لك هذه المسائل الدقاق ؟ قال : من كتب محمد بن الحسن . توفى سنة ١٨٩ هـ . انظر : تاريخ بغداد(١٧٢/٢) ، وفيات الأعيان (١٨٤/٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣٤/٩) .

(٣) « له » ساقطة من (هـ ، مح) .

(٤) في (س) « المسائل المنفية » ، وفي (ف) « المتنية » » .

(٥) قال في كتاب الرد على الجهمية بتحقيق عبد الرحمن عميرة في تفسير قوله تعالى : ﴿ إنا معكم مستمعون ﴾ [الشعراء : ١٥] « أما قوله إنا معكم » فهذا من مجاز اللغة ، يقول الرجل للرجل أنا سنجري عليك رزقك ، انا سنفعل بك كذا » . انظر : (ص : ١٠١) .

(٦) « من » مثبتة من (أ ، ح ، مح ، س ، ف) وساقطة من الباقي و موافقة كذلك للرد على الجهمية .

(٧) هو شيخ الحنابلة أبو الخطاب بن محفوظ بن أحمد بن حسن العراقي الكلواذاني ، ثم البغدادي الأزجي تلميذ القاضي أبي يعلى سمع أبا محمد الجوهري ، وأبا علي محمد بن الحسين الجازري ، وأبا طالب العشاري ، روى عنه ابن ناصر الدين والحافظ السلفي وأبو المعمر الأنصاري قال عنه السلفي : هو ثقة رضيٌ . له كتب كثيرة منها الهداية في الفقه والانتصار وهو الخلاف الكبير ، والتمهيد في أصول الفقه . توفى سنة ٥١٠هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٣٤٨/١٩) ، الذيل على طبقات الحنابلة (١١٦/١) ، المقصد الأرشد (٢٠/٣) .

وآخرون من أكـابر(١) أصـحـابه منعـوا أن يكون في القـرآن مـجـاز ، كـأبي الحـسن(٢) الجزري(٣) ، وأبي عبد الله بن حامد(٤)، وأبي الفضل التميمي(٥) ابن أبي الحسن(٦) التميمي ، وكذلك منع أن يكون في القرآن مجاز، محمد [بن](٧) خويز منداد(٨)، وغيره من المالكية ،

(١) « أكابر » مثبتة من (أ ، م ، س) وساقطة من باقي النسخ ، وفي (ف) « وآخرون كانوا من أكابر » بزيادة « كانوا»

(٢) في (هـ ، م ، مح) « أبي الحسين » .

(٣) هو أبوالحسن الجزري البغدادي صـحب جماعة من الشيوخ وتخصص بصحبـة أبي علي النجاد ، وكانت له حلقة بجامع القصر ومن تلامـذته أبو ظاهر بن الغبارى ومن جملة اختياراته انه لا مجـاز في القرآن وغير ذلك . انظر عنه طبقات الحنابلة (١٦٧/٢) .

(٤) هو أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي البغدادي (... ـ٤٠٣) امام الحنابلة في زمانه ومفتيهم ومدرسهم ، وكان يسمى (ابن حـامد الوراق) لأنه كان ينسخ ويقتـات من أجرته . أخذ العلم عن أبي بكر الشـافعي ، وأبي بكر بن مالك، وأبي بكر النجاد ومن أجل تلاميذه ، القاضي أبو يعلى، ومن مصنفاته « الجـامع في المذهـب » في أربعمائة جزء ، و « تهذيب الأجوبة » وشرح « الخرقي » و « أصول الدين » وقد نقل عنه المؤلف في كتاب الايمان هنا وأشار اليه (ص: ٥٧٢) كـان كثيـر الحجج توفى بالقـرب من « واقصـة » راجعا من مكة بعـد أداء مناسك الحج . انظر : تاريخ بغداد (٣٠٣/٧) ، طبقات الحنابلة (١٧١/٢) ، المنهج الأحمد (٩٨/٢) .

(٥) هو عبد الواحد بن عبـد العزيز بن الحارث بن أسد أبو الفضل التميمي البـغـدادي من أعيان الحنابلة ، حدث عن أبيه وعن أبي بكر النجـاد وأحمد بن كامـل ، وكانت له بجامع المدينة للوعظ والـفتوي سارية ، وكـانت بينه وبين أبي حـامد الاسـفرايني مـفارقـة توفى سنة ٤١٠ هـ انظر : تاريخ بغـداد (٢٤/١) ، طبقـات الحنابلة (١٧٩/٢) ، سيـر أعلام النبلاء (٢٧٣/١٧) .

(٦) « الحسن » ساقطة من (ح) ، « وابن أبي الحسن التميمي » ساقطة من (ق) .

(٧) « ابن » ساقطة من (أ) ومثبتة من بقية النسخ .

(٨) هو محـمد بن أحمد بن عـبد الله ، وقيل مـحمد بن أحمـد بن علي بن إسحاق أبو بكر بن خـويز منداد من علماء المالكية تفقه على الأبهري وله كتاب في الخـلاف وأصول الفقه وأحكام القرآن الكريم ، قد منع أن يكون في القران مجاز وقـال بأن خبر الواحـد يوجب العلم وكان يحارب أهل الكلام ويقـول انهم من أهل الأهواء . انظر : الديباج المذهب (٢٢٩/٢) .

[وكذلك][1] منع منه، داود بن علي[2] ، وابنه أبو بكر ، ومنذر بن سعيد البلوطي[3] وصنَّف فيه مصنفا[4] . وحكى بعض الناس عن أحمد في ذلك روايتين[5] . وأما سائر الأئمة فلم يقل أحد منهم، ولا من قدماء أصحاب أحمد : إن في القرآن[6]// مجازا[7] ، لا مالك ، ولا الشافعي ولا أبو حنيفة . فإن تقسيم// الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ، إنما اشتهر في المائة الرابعة ، وظهرت أوائله في المائة الثالثة، وماعلمته موجوداً في المائة الثانية ، اللهم إلا أن يكون في أواخرها .

معنى قول أحمد من مجاز اللغة

والذين أنكروا أن يكون أحمد [و][8] غيره نطقوا[9] بهذا التقسيم . قالوا : إن معني قول أحمد : من مجاز اللغة - أي : [مما][10] يجوز في اللغة ، أي : يجوز في اللغة أن يقول الواحد العظيم الذي له أعوان: نحن فعلنا كذا ، [أو][11] نفعل كذا ، ونحو ذلك. قالوا: ولم يُردْ أحمد بذلك : أن اللفظ استعمل[12] في غير ما وضع له .

---

(١) (وكذلك) مثبتة من (م) وهي الصواب .

(٢) هو داود بن علي بن خلف المعروف بالأصبهاني الملقب بالظاهري أبو سليمان البغدادي مولى أمير المؤمنين المهدي ورئيس أهل الظاهر (٢٠٠- ٢٧٠) سمع سليمان بن حرب وعمرو بن مرزوق والقعنبي ، حدث عنه ابنه أبو بكر محمد بن داود ، وزكريا الساجي ويوسف بن يعقوب الداوودي وغيرهم انتقده الإمام أحمد في قوله ان قوله بالقرآن محدث ، وانتقدوا عليه أشياء أخر قال عنه الذهبي : وفي الجملة فداود بن علي بصير بالفقه عالم بالقرآن حافظ للأثر ، رأس في معرفة الخلاف من أوعية العلم فيه ذكاء خارق ودين متين . انظر : تاريخ بغداد (٣٦٩/٨) ، سير أعلام النبلاء (٩٧/١٣) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢٨٤/٢) .

(٣) هو منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي أبو الحكم الأندلسي ينسب إلى قبيلة يقال لها « كُزْنة » ، كبير قضاة الأندلس في عصره وخطيبها وأديبها (٢٦٥ - ٣٥٥هـ) كان من أعلم الناس بخلاف العلماء ، ومال إلى مذهب داود بن علي الأصبهاني ، من تصانيفه كتاب « الانباه عن الأحكام في كتاب الله » و « الابانة عن حقائق أصول الديانة » . انظر : تاريخ علماء الأندلس (١٤٤/٢) .

(٤) لم أجد اسم هذا المصنف فيما بحثت في المراجع التي تكلمت عنه وعن مؤلفاته .

(٥) انظر شرح الكوكب المنير لابن النجار (١/ ١٩١) .

(٦) ما بين العلامتين //ـــ// موجود بهامش (أ) .

(٧) توجد في (م) زيادة « واو » والصواب بدونها .

(٨) في (أ ، ف ، س) « أو » وفي بقية النسخ « بالواو » .

(٩) في (م) « نطق » .

(١٠) في (أ ، ح ، ق) « ما » والمثبت من بقية النسخ وفي (هـ) « أن » .

(١١) المثبت من (س) وبقية النسخ « بالواو » .

(١٢) في (ف ، ق) « المستعمل » .

وقد أنكر طائفة أن يكون في ا للغة مجاز ، لا في القرآن ولا [في[1]]غيره ، كأبي إسحاق الإسفراييني[2] . وقال / المنازعون له : النزاع معه لفظي ، فإنه إذا سلم أن[3] في اللغة [٣١/ب] لفظا مستعملاً في غير ما وضع له ، لا يدل على معناه إلا بقرينة[4]. فهذا هو المجاز ، وإن لم يسمه مجازا . فيقول من ينصره : إن الذين قسموا اللفظ إلى[5] حقيقة ومجاز قالوا : الحقيقة[6] هو اللفظ المستعمل فيما وضع له ، والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له ، كلفظ الأسد والحمار ، إذا أريد بهما البهيمة ، [أو][7] أريد [بهما][8] الشجاع[9] والبليد .

وهذا التقسيم[10] والتحديد ، يستلزم أن يكون اللفظ قد وضع أولاً لمعنى ، ثم بعد ذلك قد يستعمل في موضعه[11]وقد يستعمل في غير موضعه[11] ولهذا كان المشهور عند أهل التقسيم أن كل مجاز [لا][12] بد له من حقيقة ، وليس لكل حقيقة مجاز ، فاعترض عليهم بعض متأخريهم وقال[13] : اللفظ الموضوع[14] قبل الاستعمال لا حقيقةً ولا مجازاً ، فإذا استعمل في غير موضعه[11] فهو مجاز لا حقيقة له .

---

(١) ما أثبت من (ق) وليس في بقية النسخ .

(٢) هو الاستاذ أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران الاسفراييني الشافعي الملقب بركن الدين ، الأصولي المتكلم أحد أئمة الاشاعرة سمع الحديث من دعلج السجزي وعبد الخالق بن أبي زوْبا وابي بكرالاسماعيلي وحدث عنه أبوبكر البيهقي وأبو القاسم القشيري وأبو الطيب الطبري . نشأ بالعراق واشتهر بخراسان كان معاصرا للباقلاني وابن فورك ، من تصانيفه « جامع الخلي في أصول الدين والرد على الملحدين » ، توفي سنة ٤٠٨ هـ انظر : وفيات الأعيان (٨/١) ، سير أعلام النبلاء (٣٥٣/١٧) طبقات الشافعية للسبكي (٢٥٦/٤) .

(٣) في (ف) « تكون » زيادة .

(٤) في (س) « بنيه » .

(٥) « إلى » ساقطة من (مح) .

(٦) في (أ) زيادة « والمجاز » ولعلها زيادة مقحمة .

(٧) في (أ) « بالواو » والصواب ما أثبت من بقية النسخ .

(٨) « بهما » ساقطة من (أ ، ح) ومثبتة من بقية النسخ .

(٩) في (م) « أو » .

(١٠) « التقسيم » ساقط من (م) .

(١١) في (ف ، هـ ، س) « موضوعه » وما أثبت من (أ) وبقية النسخ .

(١٢) المثبت من (م ، ح) وفي بقية النسخ « فلا » .

(١٣) في (ق) « فقال » .

(١٤) « الموضوع » ساقط من (ح) .

وهذا كله إنما يصح لو علم أن الألفاظ العربية وضعت أولاً لمعان ، ثم بعد ذلك استعملت فيها ؛ فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال . وهذا إنما يصح[١] على قول[٢] من يجعل اللغات اصطلاحية[٣] ، فيدعي أن قوماً من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على أن يسموا هذا بكذا ، //[٤] وهذا بكذا ، ويجعل هذا عاما // في جميع اللغات . وهذا القول لا نعرف أحدا من المسلمين قاله قبل أبي هاشم الجبائي[٥] ، فإنه وأبا الحسن الأشعري[٦] كلاهما قرأ

---

(١) في (هـ) « صح » والمثبت من (أ) وباقي النسخ .

(٢) « قول » توجد بهامش (أ) .

(٣) انظر الخصائص لابن جني (٢/ ٤٤) فإنه ممن يقول بذلك .

(٤) ما بين العلامتين // ـــــ // ساقط من (س) .

(٥) في (ق) ابن الجبائي وهو عبد السلام بن أبي على محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي المعتزلي نسبه إلى «جبي» بلد من أعمال حوزستان (الأهواز) قريبة من البصرة . إليه تنتسب فرقة البهشمية من فرق المعتزلة (٢٧٧- ٣٢١هـ) أخذ علم الكلام عن والده وصار اماما للمعتزلة بعده . من تصانيفه « الجامع الكبير » « المسائل العسكرية » انظر عنه تاريخ بغداد (١١/٥٥) وفيات الأعيان (٢/١٨٣) ، سير أعلام النبلاء (١٥/٦٣) طبقات المعتزلة لابن المرتضى (ص:٩٤) .

(٦) هو علي بن اسماعيل بن أبي بشر بن سالم الأشعري البصري اشتهر بأبي الحسن (٢٦٠ - ٣٢٠هـ) نشأ الأشعري على مذهب المعتزلة ، وأقام على ذلك فترة من الزمن وتتلمذ على أبي علي الجبائي - كما ذكر المؤلف - ثم أعلن رجوعه عن الاعتزال وأعلن ذلك . مر بأطوار بعد أن تخلى عن مذهب الاعتزال واختلف في تلك الأطوار هل هو واحد أو اثنين فقيل: انه بعد أن تحول بقي على طور واحد توسط فيه بين المعتزلة والمثبتة تمخض عنه ما يعرف بالمذهب الأشعري ، وهذارأي جمهور الأشاعرة وقيل : انه مر بطورين بعد تحوله من مذهب الاعتزال واختلف القائلون بذلك على قولين :

الأول : أنه انتقل الى طريقة ابن كلاب فيما ذهب اليه ثم تحول إلى مذهب السلف .

الثاني : انه انتقل إلى طريقة السلف ، ثم تحول إلى التوسط بين السلف والمعتزلة وما يعرف بمذهب وطريقة ابن كلاب يقول شيخ الاسلام : « وأبو الحسن الأشعري لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقه ابن كلاب ومال إلى السنة والحديث وانتسب الى الإمام أحمد ، كما ذكر ذلك في كتبه كلها في الإبانة والموجز والمقالات .. . وقال ايضا : والأشعري وأمثاله في برزخ بين السلف والجهمية أخذوا من هؤلاء كلاما صحيحا ، ومن هؤلاء أصولا عقلية ظنوها صحيحة وهي فاسدة ، فمن الناس من مال إليه من الجهة السلفية ، ومن الناس من مال اليه من الجهة البدعية الجهمية كأبي المعالي واتباعه ... والمطلع على كتبه كالمقالات والابانة واللمع والموجز ، يرى أنه وان قرب كثيرا من أهل السنة إلاأنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب » . انظر تاريخ بغداد (١١/٣٤٦) ، سير أعلام النبلاء (٢٨٤/٣)، وفيات الأعيان (٣ / ٢٨٤) وانظر : درء تعارض العقل والنقل (١٦/٢) ، مجموع الفتاوى (٣٨٦/٥، ٤٧١/١٦) ، منهاج السنة النبوية (٢ - ٢٢٧ - ٢٢٩) ، وانظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة د/عبدالرحمن محمود (٣٢٩/٢-٣٣٤) .

على أبي علي الجبائي[(١)] ، لكن الأشعري رجع عن مذهب المعتزلة ، وخالفهم في القدر والوعيد وفي الأسماء والأحكام[(٢)]. وفي صفات الله تعالى[(٣)] ، وبيّن من تناقضهم وفساد قولهم[(٤)] ما هو معروف عنه . فتنازع الأشعري وأبو هاشم في مبدأ اللغات ، فقال أبو هاشم : هي اصطلاحية ، وقال الأشعري : هي توقيفية . ثم خاض الناس بعدهما[(٥)] في هذه المسألة ، فقال آخرون[(٦)] : بعضها توقيفي ، وبعضها اصطلاحي ، وقال فريق رابع بالوقف[(٧)] .

والمقصود هنا أنه لا يمكن [لأحد][(٨)] أن ينقل عن [العرب][(٩)] ، بل ولا عن أمة من[(١٠)] الأمم / أنه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الأسماء الموجودة في اللغة ، ثم استعملوها بعد الوضع ، وإنما المعروف المنقول بالتواتر ، استعمال هذه الألفاظ فيما عنوه بها من المعاني ، فإن [٣٢/أ]

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بين سلام بن خالد بن حمدان بن أبان مولى عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ الجبائي البصري (٢٣٤ ـ٣٠٣هـ) أخذ الاعتزال عن شيخ المعتزلة أبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ولما توفى الشحام تبوأ منزلته في رئاسة المعتزلة ، وهو علي رأس الطبقة الثامنة من طبقات المعتزلة ، ومن أبرز تلاميذه ابنه أبوهاشم وأبو الحسن الأشعري الذي ترك الاعتزال. انظر : الأنساب للسمعاني (١٧٦/٣)، سير أعلام النبلاء (١٨٣/١٤) طبقات المعتزلة (ص: ٨٠) .

(٢) المراد بالأسماء هنا أسماء الدين مثل المؤمن المسلم ، والكافر والفاسق ، والصالح والمنافق والمدح والذم والمراد بالأحكام أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة ، ومسألة الأسماء والأحكام هي التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الآخرة وتتعلق بها الموالاة والمعاداة ، والقتل وعصمة الدم والمال وغير ذلك في الدنيا . يقول شيخ الإسلام حول تعليل تسمية مسألة الايمان باسم الأسماء والإحكام : « وكلام الناس في هذا الاسم ومسماه كثير ، لأنه قطب الدين الذي يدور عليه ، وليس في القول اسم علق به السعادة والشقاوة والمدح والذم والثواب والعقاب أعظم من اسم الايمان والكفر ، ولهذا سمى هذا الأصل ، مسائل الأسماء والأحكام » . انظر : مجموع الفتاوى (٤٦٨/١٢) ، (٥٨/١٣) ، شرح الواسطية للدكتور محمد خليل هراس (ص : ١٩٠) .

(٣) « تعالى » ساقطة من (م) .

(٤) في (س) « مذهبهم » .

(٥) في (س) « بعدهم » .

(٦) في (س) « الآخرون » .

(٧) انظر : تنازع الناس في مبدأ اللغات في : الخصائص لابن جني (٤٠/١) ، المخصص لابن سيده (٣/١) ، المستصفى للغزالي (٣١٨/١) ، نهاية السول للاسنوي (٢١١/١) ، الإحكام في أصول الإحكام للآمدي (٧٣/١) ، المسودة لآل تيمية (ص : ٥٦٢) مجموع الفتاوى (٤٤٥/١٤-٤٥٤) ، المزهر للسيوطي (١٦/١) ، ارشاد الفحول للشوكاني (ص : ١٢) .

(٨) ما أثبت من (س) وفي بقية النسخ « أحد » .

(٩) في (أ) « عن العربية » وما أثبت من بقية النسخ .

(١٠) في (مح) « ممن ».

ادعى مدع أنه يعلم وضعاً [تقدم][(١)] ذلك ، فهو مبطل ، فإن هذا لم ينقله[(٢)] أحد من الناس . ولا يقال : نحن نعلم ذلك[(٣)] بالدليل ، فإنه إن لم يكن اصطلاح متقدم ، لم يمكن[(٤)] الاستعمال. قيل : ليس الأمر كذلك ، بل نحن نجد أن الله [تعالى][(٥)] يلهم الحيوان من الأصوات ما به يعرف بعضها مراد بعض ، وقد سمى ذلك منطقًا وقولا في قول سليمان ـ عليه السلام ـ[(٦)] : ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ﴾ [النمل :١٦] . وفي قوله : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ ﴾ [النمل: ١٨]. وفي قوله: ﴿ يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [سبأ : ١٠] [(٧)] . أما الآدميون ، فالمولود[(٨)] منهم[(٩)] اذا ظهر منه التمييز ، سمع أبويه أومن يربيه ينطق باللفظ [و][(١٠)] يشير إلى المعنى ، فصار يفهم أن ذلك اللفظ يستعمل في ذلك المعنى ، أي أراد المتكلم به ذلك المعنى ، ثم هذا يسمع لفظاً بعد لفظ حتى يعرف لغة القوم الذين نشأ بينهم من غير أن يكونوا[(١١)] قد اصطلحوا معه على وضع متقدم ، بل ولا [أوقفوه][(١٢)] على معاني الأسماء ، وإن كان أحيانا قد يسأل عن مسمى بعض الأشياء ، فيوقف عليها ، كما يترجم للرجل اللغة التي لا يعرفها فيقف[(١٣)] على معاني ألفاظها ، وإن[(١٤)] باشر أهلها مدة ، علم ذلك[(١٥)] بلا[(١٦)] توقيف من أحد .

---

(١) في (أ ، س ، ق) « يتقدم » وما أثبت من بقية النسخ .

(٢) في (س) « يعلمه » .

(٣) في (ح ، ق) « بذلك » .

(٤) في (س ، ف) « يكن » .

(٥) « تعالى » مثبتة من (س) .

(٦) « عليه السلام » مثبتة من (أ) فقط .

(٧) ما أثبت من (أ) وفي بقية النسخ « وكذلك » .

(٨) « فالمولود » ساقطة من (ف) .

(٩) « منهم » مثبتة من (أ) فقط .

(١٠) في (أ) « أو » والمثبت من بقية النسخ .

(١١) في (ف) « يكون » .

(١٢) المثبت من (هـ ، ح) وفي بقية النسخ « وقّفوه » .

(١٣) ما أثبت من (أ) وفي بقية النسخ « فيوقف » .

(١٤) في (ح ، م ، ف) زيادة « كان » بعد « أن » .

(١٥) في هامش (أ) « بذلك » .

(١٦) في (ح ، هـ) « بدون » .

نعم قد يضع[١] الناس الاسم لما يحدث[٢] مما لم يكن مَنْ قَبْلَهم يعرفه[٣] فيسميه ، كما يولد لأحدهم ولد فيسميه اسما إما منقولا وإما مرتجلا ، وقد يكون المسمى واحدا لم يصطلح [معه][٤] غيره، وقد يستوون فيما يسمونه به[٥] وكذلك قد يحدث الرجل[٦] آلةً من صناعة ، أو يصنف[٧] كتابا ، أو يبني مدينة ونحو ذلك ، فيسميه[٨] باسم ، لأنه ليس من الأجناس المعروفة حتى يكون له اسم في اللغة العامة ، وقد قال [الله][٩] تعالى : ﴿ **الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيان** ﴾ / [الرحمن : ٤-٥] [وقال[١٠]] ﴿ **وقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذي أَنطَقَ كُلَّ شَيء** ﴾ [فصلت : ٢١:] وقال : ﴿ **الَّذي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذي قَدَّرَ فَهَدَى** ﴾[١١] [الأعلى : ٢-٣] فهو سبحانه يُلهم الإنسان النطق[١٢]، كما يلهم غيره، وهو[١٣] سبحانه إذا كان قد علّم آدم الأسماء كلها ، وعرض المسميات على الملائكة ، كما أخبر بذلك في كتابه[١٤]، فنحن نعلم أنه لم يعلّم آدم جميع [٣٢/ب]

(١) في (ف) « يوضع » .
(٢) في (م) « ما » .
(٣) في م ، ح) « يعرف » .
(٤) « معه » مثبتة من (م) وفي بقية النسخ « مع » ، وفي (ق) « لم يصلح مع غيره » .
(٥) « به » ساقطة من (هـ) .
(٦) « الرجل » مثبت من (أ) وفي بقية النسخ « للرجل » .
(٧) في (ف) « نصنف » .
(٨) في (هـ) « فيسمى ذلك باسم » .
(٩) « لفظ الجلالة » ليس في (أ ، ح ، س) ومثبت من باقي النسخ .
(١٠) « قال » مثبتة من (هـ ، م ، ح ، س) .
(١١) في (ف) زيادة « **والذي أخرج المرعى** » .
(١٢) المثبت من (أ ، س ، ف) وفي بقية النسخ « المنطق » .
(١٣) في (ف) « فهو » .
(١٤) اشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبئهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾ [البقرة:٣١-٣٣] .

اللغات التي يتكلـم بها جميع النـاس إلى يوم القيامة ، وأن تـلك اللغات اتصلت إلى أولاده ، فلا يتكلمون إلا بهـا فإن دعوى[١] هذا كذب ظـاهر ، فإن آدم عليـه السلام[٢] إنما ينقـل عنه بنوه، وقـد أغرق الله عام الـطوفان جمـيع ذريتـه إلا مَنْ في السفـينة ، وأهل السفـينة انقطعت ذريتهم إلا أولاد نوح ، ولم يكونوا يـتكلمون بجمـيع ما تكلمت به الأمم بعدهم . فـإن اللغة الواحدة كالفارسية والعربية والرومية والتركية ، فيها[٣] من الاختلاف والأنواع مـا لا يحصيه إلا الله، والعرب أنفسهم لكل قوم منهم لغات لا يفهـمها غيرهم ، فكيف يتصور أن ينقل هذا جميعه عن أولئك الذين كانوا في السـفينة ، وأولئك جميعهم لم يكن لهم نسل ، وإنما النسل لنوح وجمـيع الناس من أولاده ، وهم ثلاثة : سام وحام ويافث ، كـما قال [الله][٤] تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [الصـافات : ٧٧] فلم يجـعل باقيـا إلا ذريته ، وكـما روي ذلك عن النبي ﷺ : « **أن أولاده ثلاثـة** » . رواه أحمد وغيره[٥] . ومعلوم أن الثلاثة لا يمكن أن ينطقوا بهذا كله ، ويمتنع[٦] نقل ذلك عنهم ، فإن الذين يعرفون هذه اللغة لايعرفون هذه ، وإذا كان الناقل ثلاثة ، فهم قد علـموا أولادهم ، وأولادهم علموا أولادهم ، ولو كان كذلك لاتصل . ونحن نجد [بني][٧] الأب الواحد يتكلم كل قبيلة منهم بلغة لا تعرفها[٨] الأخرى ،

---

(١) « دعوى » ساقطة من (س) .

(٢) « عليه السلام » ساقطة من (ح ، ق) .

(٣) « فيها » توجد بهامش (ح) .

(٤) « لفظ الجلالة » مثبت من (هـ ، ح) .

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٥/٩) من طريق عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمره أن نبي الله - ﷺ - قال : « سام أبوالعرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم » وإسناده منقطع فيما بين الحسن - وهو البصري ، وبين سمرة وهو ابن حندب الصحابي ، فـالحسن لم يـسمع من سـمره ، وإنما كـان يحدث من كـتب سمـرة . انظر : المراسيل لابن حاتم (ص :١٩٦) وفي رواية أخرى من طريق : حسين حدثنا شيبان عن قتادة قال : « حدث الحسن عن سمرة ... فذكره ». وفي (٥/١١) رواية ثالثة من طريقة روح حـدثنا سعيد بن أبي عروبة ... به وأخرجه ايضا من طريق سعيد بن أبي عروبه ... به الترمذي في كتاب التفسير ، باب من سورة الصافات (٥/٣٦٥) .

(٦) في (س) « ويمنع تقدم » .

(٧) في (أ ، مح ، ف) « بنو » والمثبت من بقية النسخ لأنها مفعول أول لنجد .

(٨) في (ف) « يعرفها » .

والأب [واحد][١] لا[٢] يقال : إنه علّم أحد أبنيه[٣] لغة ، وابنه[٤] الآخر لغة ، فإن الأب قد لا يكون له إلا[٥] ابنان ، واللغات في أولاده أضعاف ذلك .

والذي أجرى الله عليه عادة بني آدم، أنهم إنما يعلمون أولادهم لغتهم ، التي يخاطبونهم بها، أو يخاطبهم بها غيرهم ، [أما][٦] لغات لم يخلق الله من يتكلم بها فلا / يعلمونها أولادهم،وأيضا فإنه قد[٧] يوجد بنو آدم يتكلمون بألفاظ ما سمعوها قط من غيرهم. والعلماء من المفسرين وغيرهم لهم في الأسماء التي علمها [الله][٨] آدم قولان معروفان عن السلف . [٣٣/أ]

أحدهما : أنه إنما علمه أسماء من يعقل ، واحتجوا بقوله : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى[٩] الْمَلائِكَةِ ﴾ [البقرة: ٣١] . قالوا : وهذا الضمير لا يكون[١٠] إلا لمن يعقل ، وما[١١] لا يعقل لا[١٢] يقال فيها :عرضها [١٣] ، ولهذا قال أبو العالية : « علّمه أسماء الملائكة ، لأنه لم يكن حيئنذ من يعقل إلا الملائكة[١٤] ، ولا كان إبليس قد انفصل عن الملائكة ، ولا كان له

(١) في (أ ، هـ ، س) « الواحد » والمثبت من باقي النسخ .

(٢) توجد في (هـ ، ف ، ح) زيادة « واو » والصواب حذفها وليست في باقي النسخ .

(٣) في (م ، ف ، هـ) « بنيه » .

(٤) « ابنه » ساقطة من (ف) .

(٥) « إلا » ساقطة من (ف ، س) .

(٦) « أما » مثبتة من (ف) وفي باقي النسخ « فأما » .

(٧) « قد » مثبتة من (أ) وساقطة من باقي النسخ .

(٨) « لفظ الجلالة » مثبت من (ح ، م ، س ، ف ، ق) .

(٩) « على » ساقطة من (مح) .

(١٠) « لايكون » ساقطة من (ف) .

(١١) في (ف) « وأما من لا يعقل يقال فيها علمها » وفي (س) « ولا يعقل يقال فيها علمها » و (هـ) « وما لا يعقل يقال فيها عرضها » .

(١٢) توجد في (أ) زيادة « لا » والصواب بدونها .

(١٣) في (س ، م ، مح ، ف) « علمها » والمثبت من باقي النسخ .

(١٤) في (هـ ، ف ، س ، ق) « بعد الملائكة ولم يكن له ذرية ولا كان ابليس قد انفصل عن الملائكة لأنه لم يكن حيئنذ من يعقل إلا الملائكة ولم يكن له ذرية » توجد في (أ ، س) قبل (ولا كان ابليس قد انفصل) .

ذرية »[١] وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « علمه أسماء ذريته »[٢] وهذا يناسب الحديث الذي رواه الترمذي وصححه عن النبي ﷺ : « **أن آدم سأل ربه أن يريه[٣] صور الأنبياء من ذريته ، فرآهم[٤] ، فرأى فيهم من يبص[٥] فقال[٦] : يا رب من هذا : قال : ابنك داود** »[٧] فيكون قد أراه صور ذريته ، أو بعضهم وأسماءهم[٨] ، وهذه أسماء أعلام لا أجناس[٩] .

والثاني : أن الله علّمه أسماء كل شيء ، وهذا هو[١٠] قول الأكثرين ، كابن عباس وأصحابه ، قال ابن عباس : « علمه حتى الفَسْوة والفُسَيَّة، والقَصْعَة و [القصيعة][١١] »[١٢] .

---

(١) انظر قول أبي العالية في زاد المسير (١/ ٦٣) .

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٧١/١) من طريق : يونس بن عبد الأعلى قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ... فذكره . واسناده صحيح ويونس وابن وهب ثقتان .

(٣) في (ف) « يرويه » .

(٤) « فرآهم » ساقطة من (م) .

(٥) « يبص » اي به بريق ويتلألأ ضوءه ، والوبيص : البريق وقد وبص الشيء بيص وبيصاً . انظر: النهاية في غريب الحديث (١٣٢/١، ١٤٦/٥) ، وفي الترمذي « فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه » ، وقد جاء في (ف) « بيضاء » وفي (س) « بيض » .

(٦) في (س ، م ، ف ، ح) « قال » بدون الفاء .

(٧) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب تفسير سورة الأعراف عن أبي هريره - رضي الله عنه - والهيثمي في مجمع الزوائد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - (٨ / ٢٠٦) .

(٨) في (ف ، هـ ، ح) « أسماهم » .

(٩) في (ح ، س ، ق) « أعلام الأجنا س » .

(١٠) « هو » مثبتة من (أ ، م) وساقطة من باقي النسخ ، وفي (ق) « الأكثر » .

(١١) المثبت من (س ، هـ ، ق ، م ، مح) وفي (أ ، ف) « القصية » .

(١٢) أخرجه أبن جرير في التفسير (١٧٠/١) من طريق القاسم قال : حدثنا الحسين قال حدثني علي بن مسهر عن عاصم بن كليب قال : قال ابن عباس - رضي الله عنهما - .... فذكره ، وهذا الاسناد فيه القاسم وشيخه الحسين ، مجهولين ، وعاصم بن كليب ، وهو ابن شهاب الجرمي الكوفي لم يسمع من ابن عباس فإن ابن عباس مات سنة ٦٨ هـ وعاصم بن كليب من الخامسة وهم الذين رأوا الواحد والاثنين من الصحابة ولم يثبت لبعضهم السماع من الصحابة ،وتوفى سنة ١٣٧هـ ، ولم أجد لابن عباس فيمن سمع منه علي بن كليب . انظر : التقريب (٥/١) .

أراد أسماء الأعراض والأعيان مكبرها[١] ومصغرها . والدليل على ذلك ، ما ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال في حديث الشفاعة : « **إن الناس[٢] يقولون : يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وعلمك أسماء كل شيء** »[٣] وأيضا [فقوله][٤]: الأَسْمَاءَ كُلَّهَا لفظ عام مؤكد ، لا[٥] يجوز تخصيصه بالدعوى ، وقوله : ثُمَّ[٦] عَرَضَهُمْ [عَلَى الْمَلائِكَةِ][٧]، لأنه اجتمع من يعقل ومن لا يعقل ، فغلَّب[٨] من يعقل . كما قال : ﴿ **فَمِنْهُم من يَمْشِي عَلي بَطْنِه / /[٩] وَمِنْهُم من يَمْشِي عَلَى رِجْلَين / / وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَى أَرْبعٍ** ﴾ [النور : ٤٥][١٠] قال عكرمة : « علّمه أسماء الأجناس دون أنواعها ، كقولك : إنسان وجن وملك وطائر »[١١] وقال مقاتل ، وابن السائب ، وابن قتيبة : « علمه أسماء ما خلق في الأرض من الدواب والهوام والطير »[١٢] .

ومما يدل على أن هذه اللغات ليست متلقاة عن آدم / أن أكثراللغات ناقصة عن اللغة العربية، ليس عندهم أسماء خاصة [للأولاد[١٣]]والبيوت والأصوات وغير ذلك، ممايضاف إلى الحيوان، بل إنما يستعملون في ذلك الإضافة. فلو كان آدم ـ عليه السلام ـ[١٤] عَلَّم الجميع[١٥] [٣٣/ب]

---

(١) في (ف ، ق) زيادة « واو » قبل « مكبرها » .

(٢) في (م) زيادة « كلهم » بعد الناس .

(٣) سبق تخريجه (ص : ١٢٣) من هذه الرسالة .

(٤) في (أ ، ح) « قوله » والمثبت من باقي النسخ .

(٥) المثبت من (أ) وفي باقي النسخ « فلا » .

(٦) « ثم » ساقطة من (ح) .

(٧) « على الملائكة » مثبتة من (مح) وساقطة من باقي النسخ .

(٨) في (س) « فغلبه » .

(٩) ما بين العلامتين // ــــ // يوجد بهامش (أ) .

(١٠) توجد في (ح ، ف) « واو » زيادة ، وفي (ق) « وكما قال عكرمه » .

(١١) انظر قول عكرمة عند ابن الجوزي في التفسير (١ / ٦٣) .

(١٢) انظر أقوالهم عند ابن الجوزي في التفسير (١/ ٦٣)

(١٣) في (أ) « الأولاد » و « اللام » مثبتة من بقية النسخ .

(١٤) « عليه السلام » مثبتة من (أ ، مح) وساقطة من باقي النسخ .

(١٥) المثبت من (أ ، ح ، ف ، س) وفي (هـ) « علمها » وباقي النسخ « علمه » .

لعلّمها [متشابهة][١] ، وأيضا فكل أمة ليس لها كتاب ، ليس في لغتها أيام الأسبوع ، وإنما يوجد في لغتها اسم اليوم والشهر والسنة ، لأن [ذلك][٢] عرف بالحس والعقل ؛ فوضعت له الأمم الأسماء ، لأن التعبير[٣] يتبع التصور . وأما الأسبوع فلم يعرف إلا بالسمع ، لم يعرف أن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش[٤] إلا بأخبار الأنبياء الذين شرع لهم[٥] أن يجتمعوا في الأسبوع يوما يعبدون الله فيه، ويحفظون به[٦] الأسبوع الأول الذي بدأ الله فيه خلق هذا العالم ، ففي لغة العرب والعبرانيين ومن تلقى عنهم، أيام الأسبوع ، بخلاف الترك ونحوهم ، فإنه[٧] ليس في لغتهم أيام الأسبوع ، لأنهم لم يعرفوا ذلك ، فلم يعبروا عنه . فَعُلِمَ أن الله ألهم النوع الإنساني أن يعبر عما يتصوره ويريده[٨] بلفظه[٩] ، وأن أول من عَلِمَ ذلك[١٠] أبوهم آدم ، وهم عَلِمُوا كما عَلِمَ، وإن

---

(١) ما أثبت من (ق ، ح ، وهامش هـ) وفي بقية النسخ « متناسبة » .

(٢) في (أ) « لانه » والمثبت من باقي النسخ .

(٣) في (ف) « التغيير » وفي (س) « لان التعبير يبيح » .

(٤) أخبر الله تعالى انه استوى على العرش في سبع مواضع في القرآن في قوله تعالى : ﴿ **ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار** ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، وقوله تعالى : ﴿ **ثم استوى على العرش يدبر الأمر** ﴾ [يونس : ٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر** ﴾ [الرعد : ٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ [طه : ٥] وقوله تعالى : ﴿ **ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا** ﴾ [الفرقان : ٥٩] ، وقوله تعالى : ﴿ **ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع** ﴾ [السجدة : ٤] ، وقوله تعالى : ﴿ **ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها** ﴾ [الحديد : ٤] .

(٥) « لهم » ساقطة من (ح) .

(٦) « به » ساقطة من (س) .

(٧) في (م) « فإنهم » .

(٨) في (ف ، هـ) يريده ويتصوره .

(٩) في (س) « بلفظ » .

(١٠) في (ف) « بذلك » .

اختلفت اللغات [فقد][١] أوحى الله [تعالى][٢] إلى موسى بالعبرية[٣] وإلى محمد[ﷺ][٤] بالعربية ، والجميع كلام الله ، وقد بيّن الله بذلك ما أراد من خلقه وأمره ، وإن كانت هذه اللغة ليست الأخرى ، مع أن العبرية[٣] من أقرب اللغات إلى العربية[٥] ، حتى أنها أقرب إليهامن لغة بعض العجم إلى بعض .

وبالجملة[٦] نحن ليس غرضنا إقامة الدليل على ذلك[٧]؛ بل يكفينا أن يقال[٨]: هذا غيرمعلوم وجوده ، بل الإلهام[٩] كاف في النطق باللغات من غير مواضعة متقدمة ، وإذا سُمِّي هذا توقيفا[١٠] ، [فليسمَّ توقيفا[١١]] ، وحينئذ فمن ادعى وضعا متقدما على استعمال جميع الأجناس ، فقد قال ما[١٢] لا علم له به ، وإنما المعلوم بلا ريب هو الاستعمال ، ثم هؤلاء يقولون : تتميز[١٣] الحقيقة من المجاز بالاكتفاء باللفظ ، فإذا دل اللفظ بمجرده فهو حقيقة ، وإذا لم يدل إلا مع القرينة ، فهو مجاز . وهذا أمر[١٤] يتعلق/[١٥] باستعمال اللفظ [٣٤/أ] في المعنى لا بوضع متقدم .

(١) « فقد » مثبتة من (م) ، وفي بقية النسخ « وقد » .

(٢) « تعالى » مثبتة من (ح) .

(٣) « العبرية » في (أ ، س ، مح) وفي بقية النسخ « بالعبرانية » .

(٤) « صلى الله عليه وسلم » مثبتة من (أ) فقط .

(٥) جاء في المعجم العبري : « حمور بمعنى حمار ، عبور بمعنى عبر ، جيشر بمعنى جسر ، هلخ بمعنى ذهب » وهذا يدل على تشابه كبير في الألفاظ كما أشار المؤلف ـ رحمه الله ـ .

(٦) في (هـ ، مح) « فبالجملة » .

(٧) في (أ ، م) « على ذلك » وفي بقية النسخ « على عدم ذلك » .

(٨) في (س) « نقول » .

(٩) في (ح) « إلهام » .

(١٠) في (ح) « توفيقاً » .

(١١) في (أ) سقطت « فليسمى توقيفاً » ومثبتة من بقية النسخ .

(١٢) في (س) « مما » .

(١٣) في (ف) « بتميز » ، وفي (س) « التميز » .

(١٤) « أمر » توجد بهامش (أ) .

(١٥) المثبت من (أ ، ف) وفي بقية النسخ « متعلق » .

بطلان تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز

ثم يقال **ثانياً** : هذا التقسيم//[١] لا حقيقة له ، وليس لمن فرّق بينهما حد صحيح يميز به بين هذا وهذا ، فعلم أن هذا التقسيم // باطل ، وهو تقسيم مَنْ [٢] لم يتصور ما [يقوله][٣] بل تكلم[٤] بلا علم ، فهم مبتدعة في الشرع ، مخالفون للعقل. و[٥]ذلك أنهم إن[٦] قالوا : الحقيقة : اللفظ المستعمل فيما وضع له . والمجاز : هو المستعمل في غير ما وضع له . احتاجوا[٧] إلى إثبات[٨] الوضع السابق على الاستعمال[٩]، وهذا يتعذر ، ثم [همّ][١٠] يقسمون الحقيقة إلى لغوية، وعرفية، وأكثرهم يقسمها إلى ثلاث: لغوية ، وشرعية ، وعرفية .

فالحقيقة العرفية : هي ما صار اللفظ دالاً فيها على المعنى بالعرف لا باللغة ، وذلك [أن][١١] المعنى يكون[١٢] تارة أعم من [المعنى][١٣] اللغوي وتارة أخص ، وتارة يكون مباينا له وتارة لا يكون[١٤] لكن بينهما علاقة استعمل لأجلها ، فالأول : مثل لفظ[١٥] الرقبة والرأس ونحوهما، كان يستعمل في العضو المخصوص ، ثم صار يستعمل في جميع البدن .

---

(١) مابين العلامتين // ـــــ // ساقط من (ح ، مح) .

(٢) في (ف) « لمن » .

(٣) المثبت من (س) وفي بقية النسخ « يقول » .

(٤) في (هـ) « يتكلم » .

(٥) « الواو » ساقطة من (س) .

(٦) « ان » ساقطة من (ح ، س ، هـ) .

(٧) في (هـ) « فاحتاجوا » .

(٨) في (س) زيادة « ذلك » والصواب بدونها .

(٩) « على الاستعمال » توجد بهامش (أ) .

(١٠) « هم » مثبتة من (ف ، م ، ق ، مح) .

(١١) « ان » مثبتة من (س) .

(١٢) « يكون » ساقطة من (ح) .

(١٣) « المعنى » زيادة يقتضيها السياق .

(١٤) « وتارة لا يكون » مثبت من (أ ، س) وساقط من باقي النسخ .

(١٥) « لفظ » ساقطة من (س) .

والثاني : مثل لفظ الدابة[(١)] ونحوها ، كان يستعمل في // كل[(٢)] ما دب ، ثم صار يستعمل في عرف بعض الناس في ذوات // الأربع ، و[(٣)]في عرف بعض الناس في الفرس ، وفي عرف بعضهم في الحمار . والثالث : مثل لفظ الغائط والظعينة والراوية[(٤)] والمزادة ، فإن الغائط في اللغة هوالمكان المنخفض من الأرض ، فلما كانوا[(٥)] ينتابونه لقضاء حوائجهم سموا[(٦)] ما يخرج من الإنسان باسم محله[(٧)] والظعينة اسم للدابة[(٨)] ، ثم سموا المرأة التي تركبها باسمها[(٩)] ، ونظائر ذلك .

والمقصود أن هذه الحقيقة[(١٠)] العرفية لم تصر حقيقة [لجماعة][(١١)] تواطؤوا على نقلها ، ولكن تكلم بها بعض الناس وأراد بها[(١٢)] ذلك المعنى العرفي ، ثم شاع الاستعمال // فصارت حقيقة عرفية بهذا الاستعمال[(١٣)] // ولهذا زاد من زاد منهم في حد الحقيقة في اللغة

---

(١) قال في المعجم الوسيط : « الدابة : كل ما يدب على الأرض ، وقد غَلَبَ على ما يُرْكب من الحيوان للمذكر والمؤنث والجمع دوآب وتصغيره دويبه » (ص : ٢٦٨) مادة « دب » .

(٢) ما بين العلامتين // ـــــ // مثبت من هامش (أ) و (هـ) وساقط من الباقي .

(٣) « الواو » ساقطة من (س) .

(٤) في (هـ) و « الرواية » .

(٥) في (م) « فكانوا » وفي (ف) « فكلما كانوا » .

(٦) في (م) « وسموا » .

(٧) قال في لسان العرب : « الغوط والغائط المتسع من الأرض مع طمئنينة ، وجمعه أغواط وغُوَطٌ وغياطٌ ، صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها .. والغَوْط عمق الأرض الأبعد ، ومنه قيل للمطمئن من الأرض غائط ، ولموضع قضاء الحاجة غائط ، لأن العادة أن يقضي في المنخفض من الأرض ، حيث هو استر له ثم اتسع فيه حتى صار يطلق على النجوْ نفسه » . (٣٦٥/٧) مادة « غوط » .

(٨) المثبت من (أ ، ف ، س) وفي بقية النسخ « الدابة » .

(٩) قال ابن فارس في مقاييس اللغة : « الظاء والعين والنون أصل واحد صحيح يدل على الشخوص من مكان إلى مكان ، تقول ظعن يظعن ضعنا اذا شخص . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم** ﴾ [النحل : ٨٠] . والظعينة مما يقال فيها ، فقال قوم هي المرأة ، وقال آخرون : الظعائن الهوادج كان فيها نساء أو لم يكن ، وهذا أصح القولين لأنه من أدوات الرحيل ، والظعون : البعير الذي يعد للظعن ومن الباب الظِعان وهو الحبل الذي يشد به القتب على البعير » . (٤٦٥/٣) .

(١٠) في (ح ، ق) « اللغة » .

(١١) المثبت من (مح ، هـ ، م) وفي بقية النسخ « بجماعة » .

(١٢) المثبت من (أ ، ف ، س) وفي بقية النسخ « منها » .

(١٣) ما بين // ـــــ // ساقط من (هـ) .

التي بها التخاطب ، ثم هم يعلمون[١] ، ويقولون : إنه قد يغلب الاستعمال على بعض الألفاظ ، فيصير المعنى العرفي أشهر فيه ، ولا يدل عند الإطلاق إلا[٢] عليه ، فتصير الحقيقة[٣] العرفية ناسخة للحقيقة اللغوية ، واللفظ مستعمل[٤] في هذا الاستعمال الحادث [العرفي][٥]، وهو حقيقة من غير أن يكون / لما استعمل فيه ذلك تقدم وضع ، فعلم أن تفسيرالحقيقة بهذا لا يصح . [٣٤/ب]

وإن قالوا : نعني[٦] بما وضع له ، ما[٧] استعملت فيه أولا ، فيقال : من أين [يعلم][٨] أن [هذه][٩] الألفاظ التي كانت العرب تتخاطب بهاعند نزول القرآن وقبله ، لم [تستعمل][١٠] قبل ذلك في معنى شي[١١] آخر . وإذا لم يعلموا هذا النفي [فلم][١٢] [يعلموا][١٣] أنها[١٤] حقيقة ، وهذا خلاف ما اتفقوا عليه . وأيضا فيلزم من هذا أن[١٥] لا يقطع بشيء من الألفاظ أنه[١٦] حقيقة ، وهذا لا يقوله عاقل . ثم هؤلاء الذين يقولون هذا ، نجد[١٧] أحدهم يأتي إلى

---

(١) في (م) « يعملون » .
(٢) في (ف) « لا » .
(٣) في (ح) « حقيقة » بدون « أل » .
(٤) في (ف) « يستعمل » .
(٥) ما أثبت من (ف ، ق) وفي بقية النسخ « للعرفى » .
(٦) في (س ، ف) « يعني » .
(٧) في (س) « كما » .
(٨) في (أ ، س) « تعلم » والمثبت من باقي النسخ وفي (س) زيادة « من أين نعلم ذلك ومن اين نعلم ان هذه الألفاظ » .
(٩) « هذه » مثبت من (ف) وفي بقية النسخ « ذلك » .
(١٠) في (أ) « يستعمل » والمثبت من باقي النسخ .
(١١) « شيء » ساقطة من (ف) .
(١٢) « فلم » مثبتة من (هـ) وفي بقية النسخ « فلا » .
(١٣) « يعلموا » مثبتة من (ح) وساقطة من بقية النسخ ، وفي (ق) « يعلمون » .
(١٤) في (هـ) « أنه » .
(١٥) في (م) « أنه » ، و « أن » ساقطة من (ف ، ق) .
(١٦) في (ف) « فإنها » .
(١٧) في (س ، ق) « تجد » .

ألفاظ لم يعلم أنها استعملت إلا مقيدة ، فينطق بها مجردة عن جميع القيود ، ثم يدعي أن ذلك هو حقيقتها ، من غير أن يعلم [أنه](١) نطق بها مجردة ، ولا وضعت مجردة ، مثل أن يقول : حقيقة العين هو العضو المبصر ، ثم سميت به عين الشمس ، والعين النابعة ، وعين الذهب ، للمشابهة ، لكن أكثرهم [يقول](٢) : إن هذا من باب المشترك(٣) ، لا من باب الحقيقة والمجاز ، فيمثل بغيره ، مثل لفظ الرأس ، يقولون : هو حقيقة في رأس الإنسان ، ثم قالوا : رأس الدرب [لأوله](٤) [ورأس](٥) العين لمنبعها ، ورأس القوم لسيدهم ، ورأس الأمر لأوله ، ورأس الشهر ، ورأس الحول ، وأمثال ذلك على طريق المجاز . وهم لا يجدون قط أن لفظ الرأس استعمل //(٦) مجردا ، بل يجدون أنه استعمل // بالقيود في رأس الإنسان ، كقوله تعالى : ﴿ (٧)وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى(٨) الكَعْبَيْنِ ﴾[المائدة :٦] ونحوه وهذا القيد يمنع أن تدخل(٩) فيه تلك المعاني .

فإذا قيل : رأس العين ، ورأس الدرب ، ورأس الناس ، ورأس الأمر ، فهذا القيد(١٠) غير [ذاك](١١) القيد(١٢) ومجموع اللفظ ، الدال هنا ، غير مجموع اللفظ الدال هناك ، لكن اشتراكا في بعض اللفظ ، كاشتراك كل الأسماء المعرّفه في لام التعريف ، ولو قُدِّرَ أن الناطق باللغة نطق بلفظ رأس الإنسان أولا(١٣) ، لأن الإنسان يتصور رأسه قبل غيره ،

---

(١) في جميع النسخ « أنها » والمثبت يقتضيه السياق .
(٢) المثبت من (ف ، ق) وفي بقية النسخ « يقولون » .
(٣) المشترك : هو اللفظ الواحد الذي يطلق على أشياء مختلفة بالحد والحقيقة اطلاقا متساويا كالعين تطلق على آلة البصر ، والينبوع والجاسوس . انظر : المعجم الفلسفي لصليبا (٣٧٦/٢) ، المعجم الفلسفي لمجمع اللغة (ص:١٨٣) المبين للآمدي (ص :٧١) ط الشافعي .
(٤) « لأوله » ساقط من (أ) ومثبتة من بقية النسخ .
(٥) في (أ) « ذا الرأس » والمثبت من بقية النسخ .
(٦) ما بين العلامتين //ــــ// ساقط من (ف) .
(٧) في (ف) « فامسحوا » .
(٨) « إلى » ساقطة من (ح) .
(٩) في (ف ، س) « يدخل » .
(١٠) المثبت من (أ) وفي بقية النسخ « المقيد » .
(١١) في (أ ، ف) « ذلك » والمثبت من بقية النسخ .
(١٢) في (أ ، م ، ط) توجد كلمة « الدال » وساقطة من بقية النسخ وهو الصواب .
(١٣) « أولا » ساقطة من (م) .

والتعبير(١) أولا هو عما يتصوره(٢) أولا ، فالنطق بهذا المضاف أولا ، لا يمنع أن ينطق [به مضافا](٣) إلى غيره ثانيا ، ولا يكون هذا من المجاز / كما في سائر المضافات ، فإذا قيل : ابن [٣٥/أ] آدم أولا ، لم يكن قولنا : ابن الفرس ، وابن الحمار مجازا ، وكذلك إذا(٤) قيل : [بيت](٥) الإنسان ، لم يكن قولنا : [بيت](٥) الفرس ، مجازا //(٦) وكذلك إذا قيل : رأس الإنسان أولا ، لم يكن قولنا : رأس الفرس مجازا // وكذلك في(٧) سائر المضافات إذاقيل : يده أورجله .

فإذا قيل : هو حقيقة فيما أضيف إلى الحيوان(٨) ، قيل : ليس جعل هذا هو الحقيقة بأولى من أن يجعل ما أضيف إلى الإنسان (٩) ، ثم قد يضاف إلى ما لا يتصوره أكثر الناس من الحيوانات الصغار التي لم تخطر ببال عامة الناطقين باللغة . فإذا قيل : إنه(١٠) حقيقة في هذا ، فلماذا لايكون [حقيقة](١١) في رأس الجبل والطريق والعين ؟! وكذلك سائرما يضاف إلى الإنسان من أعضائه ، وأولاده ، ومساكنه ، [فيضاف](١٢) مثله إلى غيره ويضاف ذلك إلى الجمادات ، فيقال : رأس(١٣) الجبل ، ورأس العين ، وخطم الجبل أي أنفه وفم الوادي ، وبطن الوادي ،وظهر الجبل ، وبطن الأرض وظهرها ، ويستعمل مع الألف وهو لفظ الظاهر

---

(١) في (ف) و « العبير » .

(٢) في (ف ، م ، هـ) « يتصور ».

(٣) المثبت من (مح ، هـ) وفي بقية النسخ « بمضاف إلى غيره » .

(٤) في (ح ، ق) « قولنا » بدل « إذا » .

(٥) ما أثبت من (ق) وفي (ف ، ح ، م) « بين » وفي بقية النسخ « بنت » .

(٦) مابين العلامتين //ـــــ// ساقط من (ح) .

(٧) « في » ساقطة من (ف) .

(٨) في (ح) « الجواز » .

(٩) في (م ، ح) زيادة « رأس » بعد الإنسان وقبله في (ق) والصواب بدونها .

(١٠) في (م) « له » .

(١١) في (أ) « حقيقته » والمثبت من باقي النسخ .

(١٢) ما أثبت من (ح ، س ، ق) وفي باقي النسخ « يضاف » .

(١٣) « رأس » توجد بهامش (ف) .

والباطن في أمور كثيرة، والمعنى في الجميع أن الظاهر لما ظهر فتبين ، والباطن لما بطن فخفي ، وسمي ظهر الإنسان ظهرا لظهوره ، وبطنه[١] بطنا لبطونه . فإذا قيل : إن هذا[٢] حقيقة ، وذاك مجاز ، لم يكن هذا أولى من العكس . وأيضا من الأسماء ما تكلم به أهل اللغة مفردا، كلفظ الإنسان ونحوه ، ثم قد يستعمل مقيدا بالإضافة ، كقولهم : إنسان العين ، وإبرة[٣] الذراع ، ونحو ذلك ، [وبتقدير][٤] أن يكون في اللغة حقيقة ومجاز ، فقد ادعى بعضهم أن هذا من المجاز ، وهو[٥] غلط ، فإن المجاز : هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أولا ، و[هنا][٦] لم يستعمل اللفظ ، بل ركب مع لفظ آخر ، فصار وضعا آخر بالإضافة . فلو اسْتُعمِل[٧] مضافاً في معنى ، ثم استعمل بتلك الإضافة في غيره كان مجازا ، بل إذاكان بعلبك وحضرموت ونحوهما مما رُكب[٨] تركيب مزج ، بعد أن كان الأصل فيه الإضافة ، لا يقال : إنه مجاز / فما لم ينطق به إلامضافا أولى أن لا[٩] يكون مجازا . [٣٥/ب]

وأما مَنْ فَرّقَ بين الحقيقة والمجاز بأن [قال][١٠] : الحقيقة :ما تفيد[١١] المعنى مجردا عن القرائن ، والمجاز : مالا يفيد ذلك المعنى إلامع قرينة ، أوقال : الحقيقة : ما يفيده[١٢] اللفظ

(١) ما أثبت من (أ ، ق ، س) وفي بقية النسخ « بطن الإنسان » .
(٢) في (ف ، ق) « هذه » .
(٣) في (ح) « إبردة الذراع » .
(٤) في (أ) « وتقدير » والمثبت من بقية النسخ .
(٥) « هو » ساقطة من (ح) .
(٦) المثبت من (م ، مح ، هـ) وفي بقية النسخ « هذا » .
(٧) في (ف) زيادة « المعنى » .
(٨) في (س ، ح ، هـ) « يركب » .
(٩) « لا » ساقطة من (هـ ، مح) .
(١٠) « قال » السياق يقتضيها وليست في جميع النسخ .
(١١) في (مح ، س ، ف) « يفيد » .
(١٢) في (س) « يفيد » .

المطلق ، والمجاز : مـالا يفيد إلامع القـيد[١] ، أوقـال : الحقـيقـة : هي المعنى الذي يسـبق إلى الذهن عند الاطلاق ، والمجـاز: مـالا يسـبق إلى الذهن ، أو قـال : المجـاز : مـا صح[٢] نفـيه ، والحقيقة ما [لا][٣] يصح نفـيها ، فـإنه يقال : مـا تعني بالتجـريد عن القرائن ، أو مـا تعني[٤] بالإقتران بالقرائن ؟

إن عنى بذلك القـرائن اللفظيـة ، مثل كـون الاسم يسـتعـمل مقـرونا بالإضافـة ، أولام التعريف ، ويقيد بكونه فاعلا ومفعولا ومبتدأ وخبر ا، فلا يوجد قط[٥] في الكلام المؤلف اسم إلا مقـيداً . وكذلك الفـعل ، إن عنى بتقـييده أنه لا بد له مـن فاعل وقد يقـيد[٦] بالمفعول به وظرفي الزمان والمكان ، والمفـعول له ومعه والحـال ، فالفعل لا يسـتـعمل قط إلا مقـيدا ، وأما الحرف فأبلـغ ، فإن الحرف أُتِيَ به لمعنى في غـيره . فـفي الجـملة ، لا يوجد قط في كـلام تام اسم ولا فعل ولا حـرف إلا مقيدا بقـيود تزيل عنه الإطلاق . فإن كـانت القرينة [مما][٧] يمنع الإطلاق عن[٨] كل قـيد ، فليس في الكلام الذي يتكلـم به جمـيع الناس لفظ مطلق عن كل قيد، سواء كانت الجملة اسمية أو فعلية ، ولهذا [كان][٩] لفظ [الكلمة[١٠] والكلام] في لغة العرب ، بل وفـي لغة غيـرهم ، لا يستـعمل[١١] إلا في المقـيد، وهو[١٢] الجملة التامـة اسمية كانت أو فعلية أو ندائية ، إن قيل : إنها قسم ثالث .

---

(١) في (هـ) « مع التقييد » .
(٢) في (مح ، ح ، ق) « يصح » .
(٣) في (أ ، ف ، س ، ق) « لم » والمثبت من بقية النسخ .
(٤) « أو ما تعنى » مثبتة من (أ ، س) وساقطة من بقية النسخ .
(٥) في (س) « قسط » .
(٦) في (ح) « تقيد » .
(٧) في (أ ، س ، مح) « ما » والمثبت من باقي النسخ .
(٨) في (م) « من » .
(٩) « كان » مثبتة من (س ، هـ ، ف ، ق) .
(١٠) في (أ ، م ، مح) تقديم « الكلمة وتأخير الكلام » والكلمة توجد بهامش (س) .
(١١) في (مح ، هـ ، م) « تستعمل » .
(١٢) في (م) « وهي » .

ما يسمى كلاماً في الكتاب والسنة ولغة العرب

فأما مجرد الاسم أو الفعل أو الحرف الذي جاء لمعنى ، ليس باسم ولا فعل فهذا[(١)] لا يسمى في كلام [العرب][(٢)] قط كلمة ، وإنما تسمية هذا كلمة ، اصطلاح نحوي[(٣)] .

كما سموا بعض الألفاظ فعلا ، وقسموه إلى فعل ماض ومضارع وأمر ، والعرب لم تسم قط اللفظ فعلا[(٤)] ، بل النحاة اصطلحوا على هذا ، فسمَّوا اللفظ باسم مدلوله ، فاللفظ الدال على حدوث فعل في زمن ماض سمَّوه فعلاً ماضياً / وكذلك سائرها ، وكذلك [٣٦/أ] حيث[(٥)] وجد في الكتاب والسنة ، بل [(٦)]وفي كلام العرب نظمه ونثره لفظ « كلمة » ، فإنما يراد به [المفيد][(٧)] التي [تسميها][(٨)] النحاة جملة تامة ، كقوله تعالى : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف : ٤ - ٥] وقوله [تعالى][(٩)] ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ [التوبة : ٤٠] . وقوله [تعالى][(٩)] : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [الفتح : ٢٦] وقوله [تعالى][(٩)] : ﴿ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٦٤] وقوله : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ[(١٠)] يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٨] وقول النبي ﷺ : « أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل »[(١١)]

---

(١) في (ف) « وهذا » .

(٢) « العرب » ساقطة من (أ) ومثبتة من بقية النسخ .

(٣) انظر التبصرة والتذكرة للصيمري (١/٧٣-٧٤) ، شرح ابن عقيل (١/١٣-٢٣) .

(٤) « فعلا » ساقطة من (ح) .

(٥) في (ح) « حديث » .

(٦) « الواو » ساقطة من (ف) .

(٧) في (أ ، ف) « المقيد » والمثبت من بقية النسخ .

(٨) في (أ) « تسمية » والمثبت من باقي النسخ .

(٩) « تعالى » ساقطة من (أ ، ح ، ق) ومثبتة من باقي النسخ .

(١٠) « لعلهم يرجعون » مثبتة من (أ) وساقطة من بقية النسخ .

(١١) أخرجه من طريق أبي هريرة - رضي الله عنه - البخاري في كتاب مناقب الأنصار ، باب أيام الجاهلية (٤/٢٣٦) وفي كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الشعر (٧/١٠٧) ، وفي كتاب الرقاق ، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله » ، وفيه « بيت » بدل « كلمة » (٧/١٨٧) .

وقوله : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »(١) ، وقوله : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به(٢) ما بلغت ، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها سخطه إلى يوم القيامة(٣) ». وقوله : « لقد قلت بعدك أربع(٤) كلمات لو [وزنْت](٥) بما [قلت](٦)

= وأخرجه مسلم في كتاب الشعر في أوله (١٧٦٨/٤) بنفس لفظ البخاري وفي بعض الألفاظ (أشهر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد) و « أصدق بيت قالته الشعراء : ألا كل شيء ... » ، و (أصدق كلمة قالهاشاعر كلمة لبيد ... » . وأخرجه ابن ماجة في كتاب الأدب ، باب الشعر (١٢٣٦/٢) وأحمد في المسند (٢٤٨/٢، ٣٩٣) وفيه بيت بدل كلمة ، وفي (٣٥٨/٢) ، وفيه أصدق كلمة قالته الشعراء ... » . وفي (٢٧٠/٢) وفيها : «شاعر بدل الشاعر » .

ولبيد هو : لبيد بن ربيعه العامري فحل من أصحاب المعلقات وهو من المخضرمين - الذين عاشوا فترة في الجاهلية وفترة في الاسلام - وأسلم وحسن إسلامه ، عاش مائة وثلاثين عاما وقيل مائة وأربعين والبيت بتمامه كما في مراجع اللغة :

ألا كل شيء ماخلا الله باطل وكل نعيم لا محاله زائل

انظر الديوان للبيد (ص :١٣٢) ، الإصابة لابن حجر (٣٢٦/٣) ، الشعروالشعراء لابن قتيبة (٢٧٤/١) ، الأغاني لأبي الفرج (٤٥١/١٥) .

(١) أخرجه عن ابي هريرة - رضي الله عنه - البخاري في كتاب الدعوات ، باب فضل التسبيح (١٨٦/٧) وفي كتاب التوحيد باب قوله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ (٢١٩/٨) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٠٧٢/٤) ، والترمذي في كتاب الدعوات ، باب رقم (٦٠) (٥١١/٥) وابن ماجه في كتاب الأدب ، باب فضل التسبيح (١٢٥١/٢) ، وأحمد في المسند (٢٣٢/٢) .

(٢) « به » ساقطة من (ف ، ح) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان (١٨٤/٧) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - والترمذي في كتاب الزهد ، باب في قلة الكلام (٥٥٩/٤) . وابن ماجه في كتاب الفتن ، باب كف اللسان في الفتنة (١٣١٣/٢) ، ومالك في الموطأ في كتاب الكلام ، باب ما يؤمر به من التحفظ في الكلام (٩٨٥/٢) ، وأحمد في المسند (٣٣٤/٢ ، ٤٦٩/٣) .

(٤) « أربع » توجد بهامش (س) .

(٥) المثبت من (هـ ، ح ، ق) وفي بقية النسخ « لو وُزِنَّ » .

(٦) المثبت من (ح ، ق) وفي (أ ، س ، ف) « قلتينه » وفي (هـ) « قلته » .

منذ اليوم لوزنتهن : **سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله رضا**[١] **نفسه ، سبحان الله مداد كلماته** »[٢] . وإذا كان كل اسم و[٣]فعل و[٣]حرف يوجد في الكلام ، فإنه مقيد لا مطلق ، لم يجز أن يقال [للفظ][٤] الحقيقة : ما دل مع الإطلاق والتجرد عن كل قرينة تقارنه[٥] .

فإن قيل : أريد بعض القرائن دون بعض ، قيل [له][٦] : اذكر الفصل [بين][٧] القرينة التي تكون[٨] معها حقيقة ، والقرينة التي تكون معها مجازاً[٩] ، ولن تجد إلى ذلك سبيلا تقدر[١٠] به على تقسيم صحيح معقول . ومما يدل على ذلك ، أن الناس اختلفوا في العام إذا خُصَّ هل يكون استعماله فيما بقي[١١] حقيقة أو مجازا ؟ وكذلك لفظ الأمر إذا أريد به الندب هل يكون حقيقة أو مجازا ؟ وفي ذلك قولان / لأكثر الطوائف : لأصحاب أحمد [٣٦/ب] قولان ، ولأصحاب[١٢] الشافعي قولان ، ولأصحاب[١٢] مالك قولان .

---

(١) في (أ ، ح ، ق) تقديم « رضا نفسه على زنة عرشه » .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب التسبيح أول النهار ، وعند النوم (٤/٢٠٩٠) وأبو داود في كتاب الوتر ، باب التسبيح بالحصى (٢/٨١) والترمذي في كتاب الدعوات ، باب في دعاء النبي - ﷺ - (٥/٥٥٦) والنسائي في كتاب السهو ، باب عدد التسبيح (١/٧٧) وأحمد في المسند (١/٢٥٨، ٣٥٣) من حديث جويرية بنت الحارث - رضي الله عنها - .

(٣) في (ح) « أو » بدل « الواو » .

(٤) المثبت من (هـ) وفي بقية النسخ « اللفظ » .

(٥) في (س) « مقارنة » .

(٦) « له » ساقطة من (أ ، ح ، ق) ومثبتة من باقي النسخ .

(٧) في (أ) « من » والمثبت من باقي النسخ .

(٨) المثبت من (أ ، س ، ح) وفي بقية النسخ « يكون » .

(٩) في (أ) « مجاز » وفي بقية النسخ بالتنوين .

(١٠) في (ف) « يقدر » .

(١١) في (ح) « نفى » .

(١٢) في (ف ، ح) « أصحاب » بدون « الواو واللام » في الموضعين .

ومن الناس من ظن أن هذا الخلاف يَطَّرِدُ في التخصيص المتصل ، كالصفة والشرط والغاية والبدل ،وجعل يحكي في ذلك أقوال من يفصل ، كما يوجد في كلام طائفة من المصنفين في أصول الفقه[١] ، وهذا مما لم يعرف أن أحدا قاله ، فجعل اللفظ العام المقيد بالصفات[٢] والغايات والشروط مجازا ، بل لما أطلق بعض المصنفين أن اللفظ العام إذا خُصَّ يصير مجازا ، ظن هذا الناقل أنه [عني[٣] بالتخصيص] المتصل ، وأولئك لم يكن في اصطلاحهم عام مخصوص إلا إذا خص بمنفصل ، وأما المتصل ، فلا يسمون اللفظ عاما مخصوصا البتة[٤]، فإنه لم يدل إلا [متصلا][٥] والاتصال منعه العموم ، وهذا اصطلاح كثيرمن الأصوليين ، وهو الصواب . لا يقال لما [قيد][٦] بالشرط والصفة ونحوهما : إنه داخل فيما خُصَّ من العموم ، ولا في العام المخصوص ، لكن يقيد فيقال : تخصيص متصل ، وهذا المقيد لا يدخل في التخصيص المطلق .

وبالجملة فيقال : إذا كان هذا مجازا ، فيكون تقييد الفعل المطلق بالمفعول به [مجازاً][٧] وبظرف الزمان والمكان ، مجازا ، وكذلك[٨] الحال، وكذلك كل ما[٩] قيد بقيد، فيلزم أن يكون الكلام كله مجازا ، فأين الحقيقة ؟

---

(١) انظر لفظ الأمر اذا اريد به الندب هل يكون حقيقة أو مجازاً : الإحكام للامدي (١/١٢٠) ، المسودة لآل تيمية (ص: ٦) ، القواعد والفوائد الأصولية (ص : ١٦٤) ، المستصفى (١/٧٥) ، حاشية التفتازاني على العضد (٢/٤) ، اصول السرخسي (١/١٤) .

(٢) في (م ، هـ) « في الصفات » .

(٣) المثبت من (ف ، ق) وفي (أ) « عيّن التخصيص » وفي (هـ) « على التخصيص » .

(٤) « البتة » ساقطة من (هـ) .

(٥) المثبت من (س ، ف ، هـ) وفي بقية النسخ « منفصلا » .

(٦) المثبت من (س ، ف ، هـ ، ق) وفي (أ) « لما فيه » .

(٧) ما أثبت من (ق ، ح ، ق) وساقط من بقية النسخ .

(٨) في (ح) « فكذلك » .

(٩) « ما » ساقطة من « ف » .

فإن قيل : يفرّق بين القرائن المتصلة والمنفصلة ، فما كان مع القرينة المتصلة فهوحقيقة ، وما كان[١] مع المنفصلة كان مجازا ، قيل : تعني [بالمتصلة][٢] ما كان في اللفظ أو ماكان موجودا حين الخطاب ؟ فإن عنيت الأول ، لزم أن يكون ما علم من حال المتكلم [و][٣] المستمع أولا قرينة منفصلة ، فما استعمل بلام[٤] التعريف [لما يعرفانه[٥]] كما يقول : قال النبي - [ﷺ[٦]] - وهو عند المسلمين رسول الله ، أو[٧] قال الصديق ، وهو عندهم [أبو[٨]] بكر ، وإذا قال الرجل لصاحبه: اذهب إلى الأمير أو القاضي أو الوالي[٩] يريد ما يعرفانه[١٠] ، [أنه][١١] يكون مجازا ، وكذلك الضمير يعود إلى معلوم غير مذكور كقوله :﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي [لَيْلَةِ الْقَدْرِ[١٢]]** ﴾ [القدر : ١] وقوله : ﴿ **حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ** ﴾ [سورة ص : ٣٢] وأمثال ذلك أن يكون هذا مجازا ، [وهذا][١٣] لا يقوله أحد ، وأيضا / فإذا قال [٣٧/أ]
لشجاع[١٤] : هذا الأسد فعل اليوم[١٥] كذا ، ولبليد[١٦]: هذا الحمار قال اليوم كذا ، أو لعالم أو جواد[١٧].

---

(١) « كان » مكررة في (أ) « مرتين » .

(٢) المثبت من (ح) وفي (ف) « بالمنفصل » ، وفي (هـ ، ق) « بالمتصل » .

(٣) المثبت من (ف) وفي بقية النسخ « أو » .

(٤) في (ف) « بلازم » .

(٥) « لما » ساقطة من (ح) وفي (ف ، ق) « لما يعرف أنه » وفي (أ) « لم يعرف أنه » والمثبت من بقية النسخ .

(٦) « صلى الله عليه وسلم » مثبتة من (ف ، هـ ، ق ،م) .

(٧) في (م) « بالواو » .

(٨) في (أ) « أبا » والمثبت من باقي النسخ .

(٩) في (ح) « الولى » .

(١٠) في (ف) « يعرفه أنه » .

(١١) في (أ ، ف ، مح) « أن » وساقطة من (م) وتوجد في (س ، ح) « أنه أن » والمثبت من بقية النسخ .

(١٢) « في ليلة القدر » مثبتة من (م ، ح ، ق) .

(١٣) في (أ) « وهو » والمثبت من بقية النسخ .

(١٤) في (هـ ، مح) « الشجاع » ، وفي (ح ، ق) « للشجاع » .

(١٥) « اليوم » ساقطة من (هـ) .

(١٦) وفي (ف ، ح ، ق) « البليد » .

(١٧) في (هـ ، ف) « العالم » وفي (ح) « وهذا العالم وهذا البحر ، والجواد » وفي (ق) « وهذا العالم جواداً » .

هذا البحر جرى منه اليوم كذا ، أن يكون حقيقة ، لأن قوله هذا قرينة لفظية ، فلايبقى قط مجازاً .

لا يجوز تأخير البيان عن مورد الخطاب إلى وقت الحاجة

وإن قال : المتصل أعم من ذلك ، وهو ما كان موجودا [حين][1] الخطاب ، قيل له : فهذا أشد عليك من الأول ، فإن [2] كل متكلم بالمجاز لا بد أن يقترن به حال الخطاب ما يبين مراده ، وإلا لم يجز التكلم به .

فإن قيل : أنا أجوز[3] تأخير البيان عن مورد [الخطاب][4] إلى وقت الحاجة ، قيل : أكثر الناس لا يجوزون[5] [[6] أن يُتَكَلَّمَ بلفظ يدل على معنى وهو لا يريد ذلك المعنى إلا إذا بُيِّن ، وإنما يجوزون [6]] تأخير بيان ما لم يدل اللفظ عليه ، كالمجملات . ثم [نقول][7] : إذا جوزت تأخير البيان ، فالبيان[8] قد يحصل بجملة تامة ، وبأفعال من الرسول ، وبغير ذلك ، ولا يكون البيان المتأخر إلامستقلاً بنفسه ، لا[9] يكون مما[10] يجب اقترانه[11] بغيره ، فإن جعلت هذا مجازاً ، لزم أن يكون ما يحتاج في العمل به[12] إلى بيان مجازا[13] ، كقوله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

---

(١) في (أ) « قبل » والمثبت من بقية النسخ .

(٢) في (أ) توجد زيادة (كان) والصواب بدونها كما في بقية النسخ .

(٣) في (ح) « إنا نجوز » .

(٤) في (أ) « خطاب » والمثبت من بقية النسخ .

(٥) في (م) « لا يجوز » .

(٦) ما بين المعكوفتين ساقط من (أ) ومثبت من بقية النسخ .

(٧) في (أ ، ف ، س) « يقول » والمثبت من باقي النسخ .

(٨) « البيان » ساقطة من (ح) .

(٩) في هامش (ف) « ولا يجب أن يكون اقترانه بغيره » .

(١٠) المثبت ممن (أ ، ف ، ح ، س) وفي بقية النسخ « بما » .

(١١) في (س) « إقرانه » .

(١٢) « به » مثبتة من (أ ، ح ، س) وساقطة من بقية النسخ .

(١٣) في (م) بدون تنوين .

ثم يقال[١] : هب أن هذا جائز عقلا ، لكن ليس واقعا في الشريعة أصلا ، وجميع ما يذكر من ذلك باطل ، كما [قد][٢] بسط في موضعه[٣]، فإن الذين قالوا : الظاهر الذي لم يرد به ما يدل عليه ظاهره قد يؤخر بيانه ، احتجوا بقوله [تعالى][٤] : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [البقرة:٦٧]، وادّعوا أنها كانت معيّنة ، وأخّر بيان التعيين ، وهذا خلاف ما استفاض عن السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، من أنهم أُمِرُوا ببقرة مطلقة فلو أخذوا بقرة من البقر فذبحوها ، أجزأ عنهم [ولكنهم][٥] شددوا فشدد الله عليهم ، والآية نكرة في سياق الإثبات ، فهي مطلقة ، والقرآن يدل سياقه على أن الله ذمهم على السؤال [بـ « ما هي ؟ »][٦] ، فهي مطلقة[٧] [ولو][٨] كان المأمور به معيّنا ، لما كانوا ملومين . ثم إن مثل هذا لم يقع قط[٩] في أمر الله ورسوله أن يأمر عباده[١٠] بشيء معين، ويبهمه عنيهم مرة بعد مرة ، ولا يذكره بصفات تختص به ابتداء . واحتجوا بأن الله أخّر بيان[١١] لفظ الصلاة والزكاة والحج / وأن هذه [الألفاظ][١٢] لها معان في اللغة بخلاف الشرع ، وهذا غلط ، فإن الله إنما أمرهم بالصلاة بعد أن عرفوا ما[١٣] المأمور به وكذلك الصيام والحج[١٤] ولم يؤخر الله قط[١٥] بيان شيء من هذه المأمورات ، ولبسط هذه المسألة موضع آخر[١٦] . [٣٧/ب]

---

(١) في (س) « قال » .

(٢) « قد » ساقطة من (أ) ومثبتة من بقية النسخ .

(٣) انظرمجموع الفتاوى (٢٠/٤٠٤ - ٤٢٣، ٤٨٨ - ٤٩٠) . حيث بسط المؤلف الكلام في هذا الأمر في رده على الآمدي .

(٤) « تعالى » مثبتة من (ح ، ق) .

(٥) المثبت من (ف) ورواية عكرمة كما في الدر المنثور (١/ ١٨٨) ، وفي بقية النسخ « لكن » .

(٦) في (أ) « بها » والمثبت من بقية النسخ .

(٧) « فهي مطلقة » مثبتة من (أ) وساقطة في باقي النسخ .

(٨) « ولو » مثبتة من (س) .

(٩) قط مثبتة من (أ) وساقطة من باقي النسخ .

(١٠) في (ف) « أن يأمر الله ورسوله بأمر » .

(١١) « بيان » ساقطة من (ق) .

(١٢) في (أ ، س ، هـ ، مح) « ألفاظ » والمثبت من باقي النسخ .

(١٣) « ما » مثبتة من (أ ، ح ، س ، ف ، ق) وساقطة في باقي النسخ .

(١٤) في (أ) « وكذلك الصيام والحج » و (ف، ق) « وكذلك الصيام وكذلك الحج » وسقط الصيام من بقية النسخ.

(١٥) « قط » توجد بهامش (أ) .

(١٦) انظرمجموع الفتاوى (٦/٣٦٠ - ٣٧٢) .

وأما قول من قال[(١)] : « أن الحقيقة ما يسبق إلى الذهن عند الإطلاق » ، فمن أفسد الأقوال . فإنه يقال[(٢)] : إذا كان اللفظ لم ينطق به إلا مقيدا ، فإنه يسبق إلى الذهن في كل موضع منه[(٣)] ما دل عليه ذلك الموضع ، وأما إذا أطلق ، فهو لا يستعمل في الكلام مطلقا قط، فلم يبق له حال إطلاق محض[(٤)] حتى يقال : أن الذهن يسبق[(٥)] إليه أم لا .

فهم اللغة والعرف والعادة التي جاء بها الخطاب مما يعين على فهم الكتاب والسنة

وأيضا ، فأي ذهن ؟! فإن العربي الذي يفهم كلام العرب ، يسبق[(٦)] إلى ذهنه من اللفظ ما لا يسبق إلى ذهن ذلك[(٧)] النبطي[(٨)] الذي[(٩)] يستعمل الألفاظ في غير معانيها ، ومن هنا غلط كثير من الناس ، فإنهم قد تعودوا ما [اعتادوه][(١٠)] إما من خطاب عامتهم ، وإما[(١١)] من خطاب علمائهم ، باستعمال اللفظ في معنى ، فإذا سمعوه في القرآن والحديث ظنوا أنه مستعمل في ذلك المعنى ، فيحملون كلام الله ورسوله على لغتهم النبطية ، وعادتهم الحادثة . وهذا مما دخل به الغلط على طوائف ، بل الواجب أن يعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل به[(١٢)] القرآن [وجاءت[(١٣)] به] السنة ، وما كان الصحابة[(١٤)] يفهمون من

---

(١) المثبت من (أ) وفي بقية النسخ « يقول » .

(٢) في (هـ) « لا يقال » .

(٣) في (ف ، س) « من » .

(٤) في (ف) « مختص » .

(٥) في (ف) « سبق » .

(٦) في (ف) « سبق » .

(٧) « ذلك » ساقطة من (س) .

(٨) النبطي نسبة إلى الأنباط وهم شعب سامي كانت لهم دولة في شمال الجزيرة العربية ، وعاصمتها « سلع » وتعرف اليوم بالبتراء ، وقيل هم المشتغلون بالزراعة وتستعمل كلمة النبطي اليوم في اخلاط الناس من غير العرب ، وانما سمي النبط نبطاً لأنهم استخرجوا ما ينبت من الأرض وقال في اللسان قال عمر : تمعددوا ولا تستنبطوا أي لا تشبهوا بالنبط . انظر المعجم الوسيط مادة (نبط) (ص : ٨٩٨) .

(٩) في (ف) « الذي لا يفهم كلام العرب » . وفي (ق) « الذي صار » .

(١٠) في (أ) « اعتادوا » والمثبت من بقية النسخ .

(١١) في (ف) « أو » .

(١٢) في (هـ ، م) « في » .

(١٣) ما أثبت زيادة يقتضيها السياق .

(١٤) في (ح) « أصحابه » .

الرسول [صلى الله عليه وسلم][1] عند سماع تلك الألفاظ ، فبتلك اللغة والعادة والعرف[2] خاطبهم الله ورسوله لا بما حدث بعد ذلك .

وأيضاً ، فقد بيّنا في غير هذا الموضع[3] : أن الله ورسوله لم يدع شيئا من القرآن والحديث، إلا بيّن معناه للمخاطبين ، ولم يحوجهم إلى شيء آخر ، كما قد بسطنا القول فيه في غير هذا الموضع . فقد تبين[4] أن ما يدعيه هؤلاء من اللفظ المطلق من جميع القيود، لا يوجد إلا مقدراً في [الأذهان[5]] لا موجوداً في الكلام المستعمل[6] ، كما أن ما يدعيه المنطقيون من المعنى المطلق من جميع القيود لا يوجد إلا مقدراً في الذهن ، لا يوجد في الخارج شيء موجود خارج[7] عن كل قيد. ولهذا كان ما يدّعونه من تقسيم العلم إلى تصور وتصديق ، وأن التصور هو تصور المعنى / الساذج الخالي عن كل قيد لا يوجد[8] . وكذلك ما يدعونه من البسائط التي تتركب[9] منها الأنواع ، وأنها أمور مطلقة عن كل قيد لا توجد[10] . وما يدّعونه من أن وجود[11] واجب الوجود هو وجود مطلق عن[12] كل أمر ثبوتي ، لا يوجد . فهذه[13] المطلقات عن جميع القيود ينبغي معرفتها لمن ينظر في هذه

المطلق عن كل قيد لا يوجد إلا في الذهن

[٣٨/أ]

(١) « صلى الله عليه وسلم » مثبتة من (م) .

(٢) « العرف » توجد في هامش (أ) .

(٣) انظر تفصيل ذلك البيان للمؤلف في درء تعارض العقل والنقل . (١/٢٦ - ٢٨، ٥٤ - ٥٩ ، ٧٣ - ٧٥) ، مجموع الفتاوى (١٩/٢٣٥-٥٩) ، (٢٤/٤٠-٤١) .

(٤) في (ف) « بيّن » .

(٥) المثبت من (هـ ، ح ، ط) وفي بقية النسخ « اللسان » .

(٦) « المستعمل » يوجد بهامش (أ) .

(٧) « خارج » توجد في هامش (أ) .

(٨) انظر توسع المؤلف في هذه القضايا في كتابه الرد على المنطقيين (٥٢ - ٩٥) .

(٩) المثبت من (أ ، ف ، س) وفي باقي النسخ « تتركب » .

(١٠) « لا توجد » ساقطة من (ف) وفي (أ ، ح ، ق) « يوجد » وما أثبت من بقية النسخ .

(١١) « وجود » توجد في هامش (أ) وفي (ح) «وجوده » .

(١٢) في (ح) « عند » .

(١٣) في (هـ ، ف ، س) توجد كلمة « الصفات » والصواب بدونها كما في (أ) .

العلوم، فإنه بسبب ظن وجودها، ضل طوائف في العقليات والسمعيات، بل إذا قال العلماء : مطلق ومقيد، إنما يعنون به مطلقا[١] عن ذلك القيد، ومقيد بذلك القيد ، كما يقولون : الرقبة مطلقة في آية كفارة اليمين[٢] ومقيدة في آية القتل[٣] ، كما يقولون : الرقبة مطلقة عن قيد الإيمان ، وإلا فقد قيل : ﴿ فَتَحرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [النساء : ٩٢] ، فقيدت بأنها رقبة واحدة ، وأنها موجودة ، وأنها تقبل التحرير . والذين يقولون بالمطلق المحض يقولون : هو الذي لا يتصف بوحدة[٤] ولا كثرة ، ولا وجود ولا عدم ، ولا غير ذلك ، بل هو الحقيقة من حيث هي هي، كما يذكره الرازي[٥] تلقياً له عن ابن سينا[٦] وأمثاله من المتفلسفة . وقد بسطنا الكلام في هذا الإطلاق والتقييد ، والكليات والجزئيات في مواضع[٧] غير هذا وبينا من غلط هؤلاء في ذلك[٨] ما ليس هذا موضعه .

---

(١) في (ف ، س) « مطلق » بدون تنوين .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **من أوسط ما تطعمون أهليكم أو تحرير رقبة** ﴾ [المائدة:٨٩] ، وقوله تعالى : ﴿**فتحريررقبة من قبل أن يتمآسا**﴾ [المجادلة : ٣] .

(٣) اشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كا من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة** ﴾ [النساء : ٩٢] .

(٤) في (م) « بواحدة » .

(٥) هو : محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني الرازي أبو عبد الله المشهور بفخر الدين الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ) درس الفقه والأصول وعلم الكلام والفلسفة والمنطق ،كان كثير الترحال له مناظرات عديدة مع المعتزلة والكرامية ، كما كان ذا صلة قوية مع الملوك والأمراء في عصره ، يعد من أهم أحد مقرري المتأخرين للمذهب الأشعري ، شافعي قيل انه رجع إلى مذهب السلف آخر حياته وأنه توفى على طريقة حميدة . له نحوا من مئتي مصنف انظر : وفيات الأعيان (٢٤٨/٤) ، سير أعلام النبلاء (٥٠٠/٢١) البداية والنهاية (٥٥/١٣) .

(٦) هو : أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ثم البخاري الملقب بالشيخ الرئيس صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) كان من يقول بقدم العالم ونفي المعاد الجسماني وعدم علم الله - تعالى - بالجزئيات ، من أهم مصنفاته « الشفاء » والنجاة والاشارات والتنبيهات في الفلسفة والمنطق . انظر : لسان الميزان (٢٩١/٢) ، الإعلام للزركلي (٢٤١/١) .

(٧) في (م) « موقع » .

(٨) انظر : مناقشة شيخ الإسلام لابن سينا والرازي في كتابه درء تعارض العقل والنقل : (١٢٢/١، ٤٣٨/٣، ٢٥٤/٤ - ٢٥٦، ٢٠/٥ - ٥٧ ، ١٧٨ - ٣١٣ ، ٧٠/٦ - ٩٧ ، ٩ / ٣٣٩) . وهذا يدل على أن كتاب الايمان متأخر في التأليف عن درء التعارض كما سبق أن بينا في الدراسة .

وإنما المقصود هنا الإطلاق اللفظي ، وهو أن يتكلم باللفظ مطلقاً عن كل قيد ، وهذا لا وجود له ، وحينئذ فلا يتكلم أحد إلا بكلام مؤلف مقيد مرتبط بعضه ببعض ، فتكون[١] تلك القيود[٢] تمنعه[٣] الإطلاق . فتبين أنه ليس لمن فرّق بين الحقيقة والمجاز فرق معقول يمكن به[٤] التمييز بين نوعين ، فعلم أن هذا التقسيم باطل[٥] وحينئذ فكل لفظ موجود في كتاب الله وسنة[٦] رسوله فإنه مقيد بما يبيّن معناه ، فليس في [شيء[٧] من] ذلك مجاز، بل كله حقيقة. ولهذا لما[٨] أدعى كثير من المتأخرين أن في القرآن مجازا وذكروا ما يشهد لهم ، رد عليهم المنازعون [لهم][٩] جميع ما ذكروه .

كل لفظ في الكتاب والسنة مقيد بما يبين معناه

فمن أشهر ما ذكروه[١٠] ، قوله تعالى : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [الكهف: ٧٨] . قالوا[١١]: والجدار ليس بحيوان ، والإرادة إنما تكون للحيوان ، فاستعمالها[١٢] في ميل[١٣] الجدار مجاز . فقيل لهم / : لفظ الإرادة قد استعمل في [الميل[١٤]] الذي يكون معه شعور [٣٨/ب]

(١) ف (م ح) « فيكون » .
(٢) في (هـ ، ط) « قيود » .
(٣) المثبت من (أ ، س ، ح) وفي بقية النسخ « ممتنعة » .
(٤) « به » توجد بهامش (س) .
(٥) « باطل » توجد بهامش (أ) .
(٦) « سنة » ساقطة من (م ، هـ ، ط) .
(٧) « شيء من » ساقطة من (أ) ومثبتة من باقي النسخ .
(٨) « لما » ساقطة من (م) وتوجد بهامش (س) .
(٩) ما أثبت من (ق ، ف ، ح) وساقطة في بقية النسخ .
(١٠) « من أشهر ما ذكروه » توجد بهامش (أ) .
(١١) « قالوا » ساقطة من (م) .
(١٢) في (م) « فاستعملها » .
(١٣) في (ف) « فاستعمالها في مثل هذا مجاز » .
(١٤) في(أ) « مثل » وما أثبت من بقية النسخ .

وهو [ميل[1]] الحي ، وفي [الميل[1]] الذي لا شعور فيه ، وهو [ميل[1]] الجماد[2] ، وهو من مشهور اللغة ، يقال : هذا السقف[3] يريد أن يقع ، وهذه[4] الأرض تريد أن تُحْرَثَ ، وهذا الزرع يريد أن يسقى، وهذا الثمر يريد أن يقطف، وهذا الثوب يريد أن يغسل، وأمثال ذلك .

واللفظ إذا استعمل في معنيين فصاعدا ، فإما أن يجعل حقيقة في أحدهما ، مجازاً[5] في الآخر ، أو حقيقة فيما يختص به كل منهما ، فيكون مشتركاً اشتراكاً لفظياً[6] ، أو حقيقة في القدر المشترك بينهما ، وهي الأسماء المتواطئة[7]، وهي الأسماء العامة كلها ، وعلى الأول يلزم المجاز ، وعلى الثاني يلزم الاشتراك ، وكلاهما خلاف الأصل ، فوجب أن يجعل من المتواطئة ، وبهذا يعرف عموم الأسماء العامة كلها ، وإلا فلو قال قائل[8]: هو في [ميل[1]] الجماد حقيقة ، وفي [ميل[1]] الحيوان مجاز ، لم يكن بين الدعوتين[9] فرق إلاكثرة الاستعمال في [ميل][1] الحيوان، لكن يستعمل مقيداً بما يبين[10] أنه أريد[به][11][ميل[1]] الحيوان وهنا استعمل مقيداً بما يبين أنه أريد [به[11]][ميل[1]] الجماد. والقدر المشترك [بين[12]] مسميات

---

(١) في (أ) « مثل » وما أثبت من بقية النسخ في المواضع كلها .

(٢) في (ف) « مثل الجماد » .

(٣) في (م) زيادة « في » وفي (ف) زيادة « يريد » والعبارة كالآتي : « يقال يريد هذا السقف يريد أن يقع وهذا » .

(٤) في (ف) « وهذا » .

(٥) في (ح) بدون تنوين .

(٦) سبق بيان معني المشترك (ص : ١٦٠) من هذه الرسالة .

(٧) الأسماء المتواطئة هي : ما تدل على أعيان متعددة بمعنى مشترك بينها ، كدلالة الإنسان على زيد وعمرو أو هي الكلى الذي يكون حصول معناه وصدقه على افراده الذهنية والخارجية بالسوية كالإنسان والشمس ، فالانسان له افراد في الخارج ، والشمس لهاافراد في الذهن . انظر : معيار العلم (ص : ٨١) ، التعريفات للجرجاني (ص:١٠٦) ، المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٣٣٤/٢) .

(٨) في (ف) « القائل » .

(٩) المثبت من (أ ، ح) وفي بقية النسخ « الدعويين » .

(١٠) في (ح) « يتبين » .

(١١) « به » اضافة يقتضيها السياق في الموضعين .

(١٢) في (أ) « من » وما أثبت من بقية النسخ .

الأسمـاء المتواطئة أمر كلي عـام ، لا يوجد كلياً عـاماً إلا في الذهن ، وهو مورد التقسيم بين الأنواع، لكن ذلك المعنى العام الكلي كـان أهل اللغة لا يحتاجون إلى التعبير عنه، لأنهم إنما يحتـاجون إلى ما يوجد في الخـارج ، وإلى ما يوجد في القلوب في العـادة ، وما لا يكون في الخارج إلا مضافاً إلى غيره ، لا يوجد في الذهن مجردا ، بخلاف لفظ الإنسان والفرس، فإنه لما كان يوجـد في الخارج غيرمـضاف ، تعودت الأذهان تصـور مسـمى الإنسان ، ومـسمى الفرس ، بخـلاف تصور مسمـى الإرادة ومسمى العلم ، ومسـمى القدرة ، ومسـمى الوجود المطلق العـام ، فإن هذا لا يوجد له في اللغـة لفظ مطلق يدل عليه ، بـل لا يوجد لفظ الإرادة إلامقيدا بالمريد ، ولا لفظ العلم إلا مقيدا بالعالم ، ولا لفظ القدرة إلا مقيدا[1] بالقادر[2] ، بل وهكذا / سائر الأعـراض ، لما لم توجد إلا[3] في محالّها مقيدة[4] بها ، لم يـكن [لها][5] في [٣٩/أ]
اللغة لفظ إلا كذلك .

فـلا يوجـد في اللغـة لفظ السـواد والبيـاض ، والطول والقـصـر ، إلا مقـيـدا بالأسـود والأبيض، والطويل والقصير ونحو ذلك ، لا[6] مجردا عن كل قيد ، وإنما يوجد مجردا[7] في كلام المصنِّفين في اللغة ، لأنهم فهموا من كلام أهل اللغة ما يريدون به من القدر المشترك .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ [النحل : ١١٢] . فـإن من الناس من يقول : الذوق حقيقة في الذوق[8] بالفم ، واللباس [بما][9] يلبس على البدن ، وإنما استـعيـر هذا وهذا ، وليس كـذلك ، بل قال الخليل : الذوق في لغـة العرب [هـو وجود[10]

(١) في (ف) « إلا مقيدا بلفظ القادر » .

(٢) « القادر » ساقطة من (س) .

(٣) في (ح) « لا » و « إلا » توجد بهامش (أ) .

(٤) « مقيدة » توجد بهامش (أ) .

(٥) « لها » ساقطة من (أ ، هـ ، مح) ومثبتة من بقية النسخ .

(٦) « لا » ساقطة من (ح) وفي (م ، هـ ، مح) « إلا » .

(٧) « مجرداً » ساقطة من (ح) .

(٨) « في الذوق بالفم » توجد بهـامش (أ) ، وفي (ح) « المذاق بالفم » وفي (ق) « في المذوق » وفي باقي النسخ «الذوق » كما هو مثبت .

(٩) في (أ ، ف ، س) « مما » وفي (م ، ح) « ما » والمثبت من (هـ ، مح ، ق) .

(١٠) ما بين المعكوفتين ساقط من (أ ، س ، ق) ومثبتة من بقية النسخ ، وهامش (ق) .

طعم الشيء] والاستعمال يدل[١] على ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ ﴾ [السجدة : ٢١] وقال [تعالى][٢] ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان : ٤٩] . وقال : ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾[٣] [الطلاق : ٩] . وقال : ﴿ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُم تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٦] [وقال][٤] ﴿ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر : ٣٩] . ﴿ لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى ﴾ [الدخان : ٥٦] . ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَاباً * إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [النبأ : ٢٤ ـ ٢٥] و[٥] قال النبي ﷺ : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا ، وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً[٦] »[٧] . وفي بعض الأدعية : « أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك »[٨] .

فلفظ[٩] الذوق يستعمل في كل ما يحس به ، ويو جد[١٠] ألمه أو لذته ، فدعوى المدعي اختصاص لفظ الذوق بما يكون بالفم تحكم منه، لكن ذاك مقيد فيقال: ذقتُ الطعَام ، وذقت هذا الشراب ، فيكون معه من القيود[١١] ما يدل على أنه ذوق[١٢] بالفم ، وإذا كان

---

(١) « يدل » ساقطة من (م) .

(٢) « تعالى » مثبتة من (ف) .

(٣) الآية كاملة ساقطة من (س) .

(٤) « وقال » ساقطة من (أ ، ف ، س ، ق) ومثبتة من بقية النسخ .

(٥) « الواو » ساقطة من (ح) .

(٦) المثبت من (أ) وفي باقي النسخ « رسولاً » .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الايمان باب الدليل على أن من رضي بالله ربا ، وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا (٦٢/١) . من حدث العباس ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً به ، والترمذي في كتاب الايمان ، باب رقم (١٠) (١٤/٥) ، وأحمد في المسند (٢٠٨/١) ، وأبو نعيم في الحلية (١٥٦/٩) .

(٨) لم أجده فيما بين يدي من كتب الحديث والآثار .

(٩) في (ف) « ولفظ » بالواو .

(١٠) المثبت من (أ ، ح ، م) وفي بقية النسخ « ويجد » .

(١١) « من القيود » ساقطة من (ح ، س) .

(١٢) « ذوق » ساقطة من (س ، ح) .

الذوق مستعملا فيما يحسه الإنسان بباطنه ، أو[1] بظاهره ، حتى الماء الحميم يقال : ذاقه ، [فالشراب][2] إذا كان باردًا أو حارا يقال : ذقت حره وبرده .

وأما لفظ اللباس : فهو مستعمل في كل ما يغشى الإنسان، ويلتبس[3] به ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ [النبأ : ١٠] وقال : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف : ٢٥] وقال : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة : ١٨٧] / ومنه يقال : لَبَّسَ الحق [٣٩/ب] بالباطل ، إذا [إختلط][4] به حتى غشاه[5] فلم يتميز[6]. فالجوع الذي يشمل ألمه جميع الجائع: نفسه وبدنه ، وكذلك الخوف الذي يَلْبَسُ البدن . فلو[7] قيل : فأذاقها الله الجوع[8] والخوف ، لم يدل ذلك على أنه شامل لجميع أجزاء الجائع ، بخلاف ما إذا قيل : لباس الجوع والخوف[9]، ولو قال: فألبسهم لم يكن فيه ما يدل على أنهم ذاقوا ما يؤلهم إلا بالعقل من[10] حيث إنه يعرف أن الجائع الخائف يألم، بخلاف لفظ ذوق الجوع والخوف، فإن هذا اللفظ يدل على الإحساس بالمؤلم، وإذا أضيف إلى [الملذوذ][11] دل على الإحساس به، كقوله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ[12] نبياً»[13] .

---

(١) في (م ، ح ، ق) « بالواو » .

(٢) في (أ ، ح ، م) « فالثوب » . وفي (س ، ق) « فبالشرب » والمثبت من بقية النسخ .

(٣) في (هـ ، مح) « فيلتبس » .

(٤) ما أثبت من (ق ، ح) وفي (س) « خلط به » وفي بقية النسخ « خلطه » .

(٥) في (هـ) « غشيه » .

(٦) في (ح) « تميز » .

(٧) المثبت من (أ ، هـ) وفي بقية النسخ « ولو » بالواو .

(٨) في (ف ، هـ) « لباس الجوع » وهو خطأ واضح .

(٩) « الخوف » ساقطة من (م) .

(١٠) في (س) زيادة « واو قبل « من » .

(١١) المثبت من (م) وفي (هـ ، ق ، مح) « المذ » وفي بقية النسخ « الملذ » .

(١٢) « الصلاة على النبي » ساقطة من (م ، ح ، ف ، س) ومثبتة من باقي النسخ .

(١٣) سبق تخريجه في الصفحة السابقة .

فإن قيل : فَلِم لم يوصف[(١)] نعيم الجنة بالذوق ؟ قيل : لأن الذوق يدل على جنس[(٢)] الإحساس [فيقال][(٣)] : ذاق الطعام ، لمن وجد طعمه وإن لم يأكله[(٤)] ، وأهل الجنة نعيمهم كامل تام لا يقتصر فيه على الذوق ، بل استعمل لفظ الذوق في النفي ، كما قال [تعالى][(٥)] عن أهل النار : ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلاَ شَرَابًا ﴾ [النبأ : ٢٤] أي لا يحصل لهم من ذلك ولا ذوق ، وقال عن أهل الجنة : ﴿ لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى ﴾ [الدخان : ٥٦] .

وكذلك ما ادعوا أنه مجاز في القرآن كلفظ[(٦)] المكر والاستهزاء والسخرية ، المضاف إلى الله [تعالى][(٧)] وزعموا أنه يسمى[(٨)] باسم ما يقابله على طريق المجاز ، وليس كذلك ، بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق [هذه][(٩)] العقوبة كانت ظلماً له ، وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجني عليه[(١٠)] عقوبة له بمثل فعله ، كانت عدلا ، كما[(١١)] قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ [يوسف : ٧٦] . فكاد له كما كاده[(١٢)] إخوانه [لما][(١٣)] قال[(١٤)] له أبوه : ﴿ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً ﴾ [يوسف : ٥] .

---

(١) في (هـ ، ف ، ط) « يصف » .
(٢) « جنس » مكررة في (م) مرتين .
(٣) المثبت من (م ، ح ، ق) وفي بقية النسخ « ويقال » .
(٤) في (ح) زيادة « يكن » قبل « يأكله » .
(٥) « تعالي » مثبتة من (م) .
(٦) المثبت من (أ ، ح ، مح ، ف ، ق) وفي بقية النسخ « لفظ » .
(٧) « تعالى » مثبتة من (س) .
(٨) المثبت من (أ) وفي بقية النسخ « مسمى » .
(٩) « هذه » مثبتة من (ح ، ق) وساقطة من بقية النسخ .
(١٠) « عليه » ساقطة من (س) وبدلا عنها « من » .
(١١) « كما » توجد بهامش (ف) .
(١٢) في (هـ) « كادت » .
(١٣) المثبت من (هـ ، مح) وفي بقية النسخ (كما) .
(١٤) في (ف) « قاله أبوه » .

وقال [تعالى][(١)] : [﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ [الطارق : ١٥-١٦]][(٢)] وقال [تعالى][(١)] ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ ﴾[(٣)] [النمل : ٥٠ - ٥١] وقال [تعالى][(٤)] ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ المؤمنين في الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ / سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾[(٥)] [التوبة : ٧٩] ولهذا كان الاستهزاء بهم فعلا يستحق هذا الاسم ، كما روي عن [٤٠/أ]
ابن عباس : « أنه يفتح[(٦)] لهم باب من[(٧)] الجنة وهم في النار فيسرعون إليه، فيغلق ثم يفتح لهم باب آخر فيسرعون إليه فيغلق ، فيضحك منهم المؤمنون[(٨)] » قال [الله][(٩)] تعالى ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين : ٣٤ - ٣٦] .

وعن الحسن البصري : « إذا كان يوم القيامة ، خمدت[(١٠)] النار لهم كما تخمد الإهالة من القدر فيمشون فيخسف بهم »[(١١)] وعن مقاتل : « إذا ضرب بَيْنَهُم وبين المؤمنين بسور له باب ، باطِنُهُ فيه الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِه الْعَذَابُ ، فيبقون في الظلمة فيقال لهم : ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورا »[(١٢)] وقال بعضهم :استهزاؤه استدراجه لهم ، وقيل : إيقاع

---

(١) « تعالى » مثبتة من (هـ ، مح ، س) وساقطة من باقي النسخ في الموضعين .
(٢) مثبتة من هامش (أ) وبقية النسخ .
(٣) في (ح ، ق) زيادة ﴿ أنَّا دمرناهم وقومهم أجمعين ﴾ [النمل : ٥١] .
(٤) تعالى مثبتة من (هـ) .
(٥) في (س) زيادة « ولهم عذاب أليم » .
(٦) في (م) « انهم يفتح لهم بابا » .
(٧) « م » توجد بهامش (س) .
(٨) انظر قول ابن عباس في تفسير ابن الجوزي (٦١/٩) وتفسير البغوي (٤٦٢/٤) .
(٩) « لفظ الجلالة » مثبت من (م) فقط .
(١٠) في (هـ ، س) « جمدت النار لهم كما تجمد الإهالة من القدر » .
(١١) انظر قول الحسن في الدر المنثور (٨ / ٥٥) .
(١٢) انظر قول مقاتل في تفسير الطبري (١٢٩/٢٧) والدر المنثور للسيوطي (٥٥/٨) .

استهزائهم ورد خداعهم ومكرهم عليهم[١] . وقيل إنه يظهر لهم في الدنيا خلاف ما أبطن [لهم][٢] في الآخرة ، وقيل : هو تجهيلهم وتخطئتهم فيما فعلوه[٣]، وهذا كله حق وهو استهزاء بهم حقيقة.

ومن الأمثلة المشهورة لمن يثبت[٤] المجاز في القرآن[٥] قوله : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ التي كُنَّا فِيهَا والعِيْر [الَّتِي[٦] أَقْبَلْنَا فِيهَا] ﴾ [يوسف :٨٢] قالوا[٧] : المراد[٨] به أهلها ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه[٩] ، فقيل[١٠] لهم : لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب ، وأمثال هذه الأمور التي فيها الحال //[١١] والمحل[١٢] وكلاهما[١٣] داخل[١٤] في الاسم ، ثم

---

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير البغوي (٢/ ١٤) ، والدر المنثور للسيوطي (٨/ ٥٥) ، وفي (م) « عليه » .

(٢) « لهم » مثبتة من (م) .

(٣) توجد زيادة في (ق وهامش هـ) ما نصه :« وفي بعض الآثار أن الله سبحانه يأمر الناس إلى الجنة حتى إذا رأوها وشاهدوا ما فيها من الكرامة قال الله لملائكته اصرفوهم عنها ، لاحظ لهم فيها قالوا : يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أرتينا كان أهون من عذابنا ، قال الله : ذلك أردت بكم ، اذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين متواضعين ، واذا خلوتم بارزتموني بالعظائم ، اجللتم الناس ولم تُجِلُّوني ، وعظّمتم الناس ولم تعظموني ، وخفتم الناس ولم تخافوني ، فاليوم أذيقكم أليم عذابي ، كما حرمتكم جزيل ثوابي » ذكره ابن أبي الدنيا وغيره » ولا شك أنها زيادة مقحمة غير مفيدة .

(٤) في (ح ، ق) « ثبت » .

(٥) « القرآن » ساقطة من (ح) .

(٦) ما بين المعكوفتين ليس في (أ ، ق) ومثبت من بقية النسخ .

(٧) في (م ، مح ، ق) توجد « واو » قبل « قالوا » .

(٨) في (ح ، ف) زيادة « واو » قبل المراد .

(٩) انظر الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٩٦) وتفسير الرازي (١٣ / ١٩٤) .

(١٠) في (ف) « قيل » بدون الفاء .

(١١) ما بين العلامتين //ـــ// ساقط من (س) .

(١٢) في (هـ ، ح) « المحال » .

(١٣) (ف ، ق) « فكلاهما » .

(١٤) في (م) « دخل » .

قد يعود الحكم على الحال //وهو السكان ، وتارة على المحل وهو المكان ، وكذلك [في][1] النهر يقال : حفرت النهر ، وهو المحل وجرى النهر وهو الماء ، ووضعت الميزاب وهو المحل ، وجرى الميزاب ، وهو الماء ، وكذلك القرية ، قال [الله][2] تعالى : ﴿ [و][3] ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾ [النحل : ١١٢] . وقوله : ﴿ وَكَم من قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاها فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٤ ـ ٥] .

وقال في آية أخرى[4] : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٧] / فجعل القرى هم [السكان][5] فقال[6]: ﴿ وَكَأَيِّن مِن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ [محمد : ١٣] وهم السكان . [٤٠/ب]

وكذلك قوله [تعالى][7] ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَوْعِدًا ﴾ [الكهف:٥٩] وقال تعالى[8] : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ [البقرة ٢٥٩] . [فهذا][9] المكان لا السكان[10] ، لكن لا بد أن يلحظ أنه كان مسكونا ، فلا يسمى قرية إلا إذا كان قد عُمِرَ للسكنى ، مأخوذ من القري وهو الجمع ، ومنه قولهم : قريت الماء في الحوض إذا جمعته فيه[11] .

---

(١) « في » ساقطة من (أ) ومثبتة في بقية النسخ .

(٢) « لفظ الجلالة » مثبت من (س ، ق) .

(٣) الواو ساقطة من (أ ، ق) ومثبتة في بقية النسخ .

(٤) المثبت من (أ) وفي بقية النسخ « آية » وسقطت الآية من (ح) ، وفي (ق) سقطت « وقال في آية أخرى » .

(٥) « السكان » مثبتة من (هـ) ، وفي « (ح ، ق) « الساكن » وفي بقية النسخ « المساكن » .

(٦) « فقال » مثبتة من (أ) وفي بقية النسخ « وقال » .

(٧) « تعالى » مثبتة من (هـ ، مح) .

(٨) « تعالى » ساقطة من (م ، ق ، ح) .

(٩) في (أ) « فهذه » والمثبت من باقي النسخ .

(١٠) في (ف) « الساكن » .

(١١) قال ابن فارس في مقاييس اللغة : « القاف والراء والحرف المعتل ، أصل صحيح يدل على جمع واجتماع ، من ذلك القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها ، ويقولون : قريت الماء في المقراة جمعته ، وذلك الماء المجموع قريٌ ، والمقراة الجفنة سميت لاجتماع الضيف أو لما جُمِعَ فيها من الطعام « (٥/ ٧٨) .

ونظير ذلك لفظ الإنسان يتناول الجسد والروح ، ثم الأحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما ، فكذلك القرية إذا عُذِّب أهلها خربت ، وإذا خربت كان عذابا لأهلها ، فما يصيب أحدهما من الشر ، ينال الآخر ، كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما ، فقوله : ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ التي كُنَّا فيها والعِيْرَ ﴾ [يوسف : ٨٢] مثل قوله : ﴿ قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّة ﴾ [النحل : ١١٢] . فاللفظ هنا يراد[١] به السكان من غير إضمار ولا حذف فهذا بتقدير أن يكون في اللغة مجاز[٢] ، فلا مجاز في القرآن ، بل[٣] وتقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث[٤] لم ينطق به السلف . والخلف فيه على قولين ، وليس النزاع فيه لفظيا ، بل[٥] يقال : نفس هذا التقسيم باطل ، لا يتميز هذا عن هذا ، ولهذا كان كل[٦] ما يذكرونه من[٧] الفروق، تبين[٨] أنها فروق باطلة[٩] ، وكلما ذكر بعضهم فرقاً ، أبطله الثاني ، كما يدّعي المنطقيون أن الصفات القائمة بالموصوفات [اللازمة[١٠] لها ، تنقسم] إلى داخل في ماهيتها الثابتة[١١] في الخارج ، وإلى خارج عنها لازم للماهية ، ولازم خارج للوجود[١٢] . وذكروا ثلاثة فروق كلها باطلة //[١٣] لأن هذا التقسيم باطل // لا حقيقة له ، بل ما يجعلونه داخلا يمكن جعله خارجا ، وبالعكس كما قد بسط في موضعه[١٤] .

---

(١) في (هـ ، مح) « مراد » .
(٢) في (هـ ، ف) « مجازا » بالتنوين .
(٣) « بل » توجد بهامش (س) .
(٤) « محدث » ساقطة من (م) .
(٥) « بل » ساقطة من (ف) .
(٦) كل مثبتة من (أ) وفي (ف) « كلما » وساقطة في بقية النسخ .
(٧) في (هـ) « مثل » بدل « من » .
(٨) في (س) « يتبين » ، وفي (ف) « يبين » .
(٩) « الواو » ساقطة من (ف) .
(١٠) المثبت من (ح) وفي بقية النسخ « بالموصوفات تنقسم اللازمة لها إلى داخل) .
(١١) في (ف) « الثانية » .
(١٢) في هامش (هـ ، ح ، س ، ف ، ق) « للموجود » .
(١٣) ما بين العلامتين // ــــ // يوجد بهامش (ح) .
(١٤) انظر تفصيل القول في ذلك للمؤلف في كتابه الرد على المنطقيين (ص : ٧٩ وما بعدها) .

وقولهم : اللفظ إن دل بلا قرينة فهو حقيقة ، وإن لم يدل إلا معها فهو مجاز ، قد تبين بطلانه ، وأنه ليس في الألفاظ الدالة ما يدل مجردًا عن جميع / القرائن ، ولا فيها ما يحتاج [٤١/أ] إلى جميع القرائن . وأشهر أمثلة المجاز : لفظ الأسد والحمار[(١)] والبحر ، ونحو ذلك مما يقولون : إنه استعير للشجاع والبليد والجواد . وهذه لا تستعمل إلا مؤلفة مركبة مقيدة بقيود لفظية ، كما تستعمل الحقيقة ، كقول أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -[(٢)] عن أبي قتادة لما طلب غيره سلب القتيل[(٣)]: « **لاها[(٤)] الله إذا لا[(٥)] يعمد[(٦)] إلى أسد من أُسْد الله / /[(٧)] يقاتل عن الله ورسوله / / يعطيك[(٨)] سلبه[(٩)]** » . فقوله : يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله ، وصف له بالقوة [في الجهاد][(١٠)] في سبيله[(١١)] ، وقد عيَّنه تعيينا

---

(١) كلمة « الحمار » توجد بهامش (س) .

(٢) « رضي الله عنه » مثبتة من (أ) وساقطة في بقية النسخ .

(٣) سلب القتيل : ما معه من ثياب وسلاح ودابة » . انظر : المعجم الوسيط مادة (سلب) (٤٤١) .

(٤) قال النووي : « هكذا في جميع الروايات في الصحيحين وغيرها . « لاها الله إذا » بالألف ، وانكر الخطابي هذا وأهل العربية وقالوا : هو تغيير من الرواية وصوابه : لاها الله إذ بغير ألف في أوله وقالوا : ها بمعنى الواو التي يقسم بها وقالوا : لا يجوز الجمع بينهما فلا يقال : لاها والله . انظر شرح النووي لصحيح مسلم (١٠ / ١٧٦) .

(٥) (لا) ساقطة من (ف) .

(٦) في (ح) « نعمد » بالنون .

(٧) ما بين العلامتين //ـــــ// ساقطة من (ح) .

(٨) في (ف) « فيعطيك » .

(٩) متفق عليه أخرجه :البخاري في كتاب فرض الخمس ، باب من لم يخمس من الإسلاب (٥٨/٥) من حديث ابي قتادة - رضي الله عنه - ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب استحقاق القاتل سلب القتيل (١٣٧١/٣) ، وأبوداود في كتاب الجهاد ، باب في السلب يعطي القاتل (٧٠/٣) ، ومالك في الموطأ كتاب الجهاد باب ما جاء في سلب القتيل (٤٥٤/٢) ، وأحمد في المسند (٣٠٦/٥) .

(١٠) المثبت من هامش (هـ) وفي (م) « بالقوة والجهاد » ، وفي (ح ، ق) « بالقوة بالجهاد» وفي (أ ، ف ، س) «بالقوة بالجهاد » .

(١١) في(ح ، ق) « في سبيل الله » .

أزال ، اللبس عنه[(١)] وكذلك قول النبي ﷺ : « **إن خالداً سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين** »[(٢)]، وأمثال ذلك .

وإن قال القائل : القرائن اللفظية موضوعة ، ودلالاتها على المعنى حقيقة ، لكن القرائن [الحالية][(٣)] مجاز ، قيل : اللفظ لا يستعمل قط[(٤)] إلا مقيداً بقيود لفظية موضوعة ، والحال حال المتكلم ، والمستمع لا بد من اعتباره في جميع الكلام ، فإنه إذا عُرِفَ المتكلم ، فُهِمَ من معني[(٥)] كلامه، ما[(٦)] لا يفهم إذا لم يُعْرَف ، لأنه بذلك [تعرف][(٧)] عادته في خطابه[(٨)] . واللفظ إنما يدل إذا عُرِفَ لغة المتكلم [التي][(٩)] بها يتكلم ، وهي عادته وعُرْفُه [الذي يعتاده[(١٠)]] في خطابه ، ودلالة اللفظ على المعنى دلالة قَصْدِيَّة إرادية اختيارية ، فالمتكلم يريد دلالة اللفظ على المعنى ، فإذا اعتاد أن يعبر باللفظ عن المعنى كانت تلك لغته ، ولهذا كل من كان له عناية بألفاظ الرسول ومراده بها ، عَرَفَ عادته في خطابه و[(١١)]تبين[(١٢)] له [من][(١٣)] مراده ما لا يتبين لغيره .

---

(١) « عنه » مثبتة من (أ) وساقطة في بقية النسخ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب أصحاب النبي - ﷺ - ، باب مناقب خالد بن الوليد - رضي الله عنه - (٣١٨/٤) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - وأعاد إخراجه في كتاب المغازي باب في غزوة مؤته (٨٧/٥) .

(٣) في (أ ، ح ، ف) « الخالية » والمثبت من بقية النسخ .

(٤) « قط » ساقطة من (ف) .

(٥) « معنى » توجد بهامش (ف) .

(٦) في (ف) زيادة « واو » والصواب بدونها .

(٧) « تعرف » بالتاء مثبتة من (ف) وفي بقية النسخ « يعرف ».

(٨) في « هـ » زيادة « ودلالة اللفظ على المعنى » وهي زيادة مقحمة .

(٩) « التي » ساقطة من (أ) ومثبتة في بقية النسخ .

(١٠) في (أ ، س ، ق ، ح) « التي يعتادها » والمثبت من بقية النسخ .

(١١) « الواو » ساقطة من (ف) .

(١٢) في (ح) « يتبين » .

(١٣) « من » ساقطة من (أ) ومثبتة من بقية النسخ .

ولهذا ينبغي أن يقصد إذا ذكر لفظ من القرآن والحديث ، أن يذكر [من][(١)] نظائر ذلك اللفظ، ماذا [يعني][(٢)] بها الله ورسوله //[(٣)] فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث ، وسنة الله ورسوله// التي يخاطب بها عباده ، وهي العادة المعروفة من كلامه ، ثم إذا كان لذلك نظائر في كلام غيره ، وكانت النظائر كثيرة ، عرف أن تلك العادة واللغة مشتركة عامة ، لا يختص بها هو - ﷺ - بل هي لغة قومه ، ولا يجوز أن يحمل كلامه على عادات[(٤)] حدثت بعده في الخطاب لم تكن معروفة في خطابه / ولا[(٥)]خطاب أصحابه ، كما يفعله كثيرٌ من [٤١/ب] الناس ، وقد [لا][(٦)] يعرفون انتفاء ذلك في زمانه ، ولهذا كان استعمال[(٧)] القياس في اللغة ، وإن جاز في الاستعمال ، فإنه لا يجوز في الاستدلال ، فإنه قد يجوز للإنسان أن يستعمل اللفظ[(٨)] في نظير المعنى الذي استعملوه فيه مع بيان ذلك على ما فيه من النزاع ، لكن لا يجوز أن يعمد إلى ألفاظٍ قد عُرِفَ استعمالها في معاني فيحملها على غير تلك المعاني ، [ويقول][(٩)]: إنهم أرادوا [ذلك][(١٠)] ، بالقياس على تلك، بل هذا تبديل وتحريف. فإذا قال : « **الجار أحق بسقبه** »[(١١)] [(١٢)] فالجار هو الجار، ليس هو الشريك ، فإن هذا لا يعرف في

(١) « من » مثبتة من هامش (هـ) و (ح) .
(٢) المثبت من (ف) وفي (أ) وبقية النسخ « عني » .
(٣) ما بين العلامتين //ـــ// بهامش (أ) .
(٤) في (م) « عادة » .
(٥) « ولا » مثبتة من (أ) وساقطة من بقية النسخ .
(٦) « لا » ساقطة من (أ) ومثبتة في بقية النسخ .
(٧) في (ف) « استعمل » .
(٨) في (ح ، ق) زيادة « هو » والصواب بدونها .
(٩) المثبت من (ح ، ف ، هـ ، ق) وفي بقية النسخ « ويقولوا » .
(١٠) في جميع النسخ « تلك » والصواب ما أثبت لان السياق يقتضيها .
(١١) السقب : القرب يقال : سقبت الدار واسقبت أي قربت . ويحتج من يوجب الشفعة للجار بهذا الحديث وان لم يكن مقاسما، ومعناه أن الجار أحق بالشفعة من الذي ليس بجار » . انظر : النهاية في غريب الحديث (٣٧٧/٢) .
(١٢) أخرجه البخاري في كتاب الشفعة باب عرض الشفعة على صاحبها (٤٧/٣) من حديث أبي رافع - رضي الله عنه - مرفوعا به - وأبو داود في كتاب البيوع ، باب في الشفعة (٢٨٦/٣) وابن ماجه في كتاب، الشفعة باب الشفعة للجار (٨٣٣/٢١) وأحمد في المسند (١٠/٦) .

لغتهم ، لكن ليس في اللفظ ما يقتضي أنه يستحق الشفعة(١)، لكن يدل علي أن البيع له أولاً(٢) .

وأما الخمر(٣) ، فقد ثبت بالنصوص الكثيرة والنقول الصحيحة أنها كانت اسماً لكل مسكر ، لم يسم النبيذ خمراً بالقياس ، وكذلك النبّاش(٤) كانوا يسمونه سارقا ، كما قالت عائشة « سارق موتانا كسارق أحيائنا»(٥) واللائط(٦) كان عندهم(٧) أغلظ من الزاني بالمرأ ة، ولا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه ، فمعرفة العربية التي بها خوطبنا(٨) مما يعين على أن يفقه(٩) [الإنسان](١٠) مراد الله رسوله بكلامه ، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني ، فإن عامة(١١) ضلال أهل البدع كان بهذا السبب ، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدّعون أنه دال عليه ، ولا يكون الأمر كذلك ، ويجعلون هذه الدلالة حقيقة ، وهذه

---

(١) الشفعة : هي تملك البقعة جبرا بما قام على المشترى بالشركة والجوار » انظر التعريفات للجرجاني (ص : ٨٧)، وشرعت الشفعة لدفع ضرر الجار وتكملة منفعة الملك له جبراً . انظر : المبسوط للسرخسي (٩٠/١٤) المغني لابن قدامه (٢٢٩/٥) .

(٢) المثبت من (أ ، ف) وفي بقية النسخ « أولى » .

(٣) الخَمْر : ما سكر من عصير العنب وغيره وسميت الخمر خمراً لأنها تغطي العقل وتطلق على كل مسكر من الشراب والجمع : خمور . انظر : المعجم الوسيط (ص : ٢٥٤) .

(٤) قال في المعجم الوسيط : النباش : هو من يفتش القبور عن الموتى ليسرق أكفانهم وحليهم . (ص : ٨٩٧) .

(٥) لم أجده فيما بحثت .

(٦) اللائط : هو من يعمل عمل قوم لوط وكانوا يأتون الرجال ويتركون النساء نوع من الشذوذ الجنسي قال تعالى : ﴿ أتأتون الذكران من العالمين ﴾ [الشعراء : ١٦٥] انظر المعجم الوسيط (ص : ٨٤٦) .

(٧) المثبت من (أ) وفي بقية النسخ « عندهم كان » .

(٨) في (هـ) « خوطبنا بها » .

(٩) في (هـ) « تفقه » .

(١٠) المثبت من (ح ، ق) وساقطة من بقية النسخ .

(١١) في (ح) « غاية » .

مجازا[١] ، كما [أخطأ][٢] المرجئة في اسم الإيمان جعلوا لفظ الإيمان حقيقة في مجرد التصديق ، وتناوله[٣] للأعمال مجازاً .

فيقال : إن لم يصح التقسيم إلى حقيقة ومجاز ، فلا حاجة إلى هذا ، وإن صح فهذا[٤] لا ينفعكم ، بل هو عليكم لا لكم ، لأن الحقيقة هي اللفظ الذي يدل بإطلاقه بلا قرينة . والمجاز إنما يدل بالقرينة[٥] ، وقد تبين[٦] أن لفظ الإيمان حيث أطلق في الكتاب والسنة ، دخلت فيه الأعمال ، وإنما يُدَعَى خروجها منه عند التقييد ، وهذا[٧] يدل على أن / الحقيقة قوله : « **الإيمان بضع وسبعون شعبة** »[٨] . وأما حديث جبريل[٩] ، فإن كان أراد بالإيمان ما ذكر مع الإسلام ، فهو[١٠] كذلك . وهذا المعنى[١١] [هو][١٢] الذي أراده[١٣] النبي - ﷺ - قطعاً ، كما أنه لما ذكر الإحسان أراد الإحسان[١٤] مع الإيمان والإسلام ، لم يرد أن الإحسان مجرد //[١٥] عن إيمان

---

(١) في « ف » بدون تنوين .

(٢) المثبت من (هـ ، ق ، ح) وفي بقية النسخ « أصاب » .

(٣) في (ف) » وتتناوله للأعمال » .

(٤) في (م) « وهذا » ، وفي (ح) « هذا » بدون « الفاء والواو » .

(٥) في (هـ ، مح) « بقرينة » .

(٦) في (م ، ح) « بيّن » .

(٧) في (ف) « وهو » .

(٨) سبق تخريجه (ص : ٨) من هذه الرسالة .

(٩) سبق تخريجه (ص : ٢) من هذه الرسالة .

(١٠) في (ف) « وهو » .

(١١) « المعنى » ساقطة من (م ، مح) .

(١٢) « هو » ساقطة من (مح) ومقدمة في بقية النسخ على « المعنى » والمثبت من (ف) .

(١٣) في (م ، هـ) « أراد » .

(١٤) في(ف) « بالاحسان » .

(١٥) ما بين العلامتين //ـــــ// يوجد بهامش (ف) .

وإسلام ولو(١) قُدِّرَ أنه أريد بلفظ الإيمان مجرد // التصديق ، فلم يقع ذلك إلامع قرينة ، فيلزم أن يكون مجازاً ، وهذا معلوم بالضرورة لا يمكننا المنازعة(٢) فيه بعد تدبر القرآن والحديث ، بخلاف كون لفظ الإيمان في اللغة مرادفاً للتصديق ، ودعوى أن الشارع لم يغيره(٣) ولم ينقله ، بل أراد به ما كان يريده أهل اللغة بلا تخصيص ولا تقييد ، فإن هاتين المقدمتين لا يمكن الجزم بواحدة منهما ، فلا يعارض اليقين [بأمر محتمل](٤) كيف(٥) وقد عرف(٦) فساد كل واحدة من المقدمتين ، وأنها من أفسد الكلام .

الإيمان كالصلاة والزكاة والصيام والحج يدل على الأعمال الشرعية

وأيضا فليس لفظ الإيمان في دلالاته على الأعمال(٧) المأمور بها ، [دون](٨) لفظ الصلاة والصيام والزكاة والحج ، في دلالته(٩) على الصلاة الشرعية [والزكاة الشرعية](١٠) والصيام الشرعي والحج(١١) الشرعي ، سواء قيل : إن الشارع نقله ، أو [أراد](١٢) الحكم دون الإسم ، أو [أراد(١٢)] الاسم وتصرف فيه تصرف أهل العرف(١٣)، أو خاطب بالاسم مقيدا لامطلقا .

---

(١) في (هـ) « وإذا قدر » .

(٢) في (هـ) « المنازع » .

(٣) في (ح) « يعرفه » ، وفي (ف) « لم يغيره يعرفه » .

(٤) المثبت من (س) وساقطة في بقية النسخ .

(٥) « كيف » ساقطة من (ف) .

(٦) في (ح ، م) « عرفنا » .

(٧) « الاعمال » توجد بهامش (أ) .

(٨) المثبت من (ف) وفي بقية النسخ « بدون » .

(٩) في (ف) « دلالة » .

(١٠) « الزكاة الشرعية » مثبتة من (ف) وساقطة في بقية النسخ .

(١١) « الحج الشرعي » ساقطة من (ح) .

(١٢) في (أ ، مح ، س) « زاد » والمثبت من بقية النسخ في الموضعين .

(١٣) في(ف) « اللغة » .

فإن قيل : الصلاة والحج ونحوهما ، لو ترك بعضها[١] بطلت[٢] ، بخلاف الإيمان ، فإنه لا يبطل عند الصحابة وأهل السنة والجماعة بمجرد الذنب[٣] ، قيل : إن أريد[٤] بالبطلان أنه لا تبرأ الذمة منها كلها، فكذلك الإيمان الواجب [إذا][٥] ترك منه شيئا لم تبرأ الذمة منه كله، وإن أريد[٦] به وجوب الإعادة ، فهذا ليس على الإطلاق ، فإن في الحج واجبات إذا تركها لم [تعد[٧] ، بل] تجبر بدم ، وكذلك في الصلاة عند أكثر العلماء إذا تركها سهوا أو مطلقا وحيث [وجبت الاعادة [٨]] [فإنما][٩] تجب[١٠] إذا أمكنت الإعادة ، وإلاّ فما تعذرت إعادته يبقى مطالبا به كالجمعة[١١] ونحوها ، وإن أريد بذلك أنه لا يثاب على ما فعله ، فليس كذلك ، بل قد بيّن النبي ﷺ في حديث المسيء في صلاته[١٢] أنه إذا لم[١٣] يتمها يثاب على ما فعل ، ولا يكون بمنزلة[١٤] من لم يصل ، وفي عدة أحاديث / أن الفرائض تكمل يوم [٤٢/ب]

---

(١) في (ف) « بعضهما » .

(٢) انظر بدائع الصنائع للكاساني (٢٣٣/١) ، القوانين الفقهية لابن جزي الكلبي (ص:٥١) ، مغنى المحتاج (١٩٤/١-٢٠٠) المغنى لابن قدامة (٤٤/٢) .

(٣) على عكس مذهب الخوارج الذين يرون خروج المذنب من الملة وعلى عكس مذهب المعتزلة الذين يرون أنه في منزلة بين المنزلين ، ويرون خلوده في النار هم والخوارج ، وعلى عكس مذهب المرجئة الذين يرون أنه لا يضر مع الايمان ذنب كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة .

(٤) في (مح ، ف) « أراد » .

(٥) في (أ) « لو » وما أثبت من بقية النسخ .

(٦) في (ح) « أراد » .

(٧) في (ف ، س ، ق) « لم يعد بل » والصواب ما أثبت وهو تعديل يتقضيه السياق ، و « يعدبل » ساقطة من (أ).

(٨) « حيث » ساقطة من (ح ، م ، ق ، هـ) ومثبتة في باقي النسخ . وفي (ق) « وجبت ووجبت الاعادة » (وجبت الاعادة) زيادة يقتضيها السياق .

(٩) في (أ) « فإنها » والمثبت من بقية النسخ .

(١٠) في (ف ، ح) « يجب » .

(١١) في (ف) « كالجمعة وغيرها » و « غيرها » زيادة .

(١٢) سبق تخريجه (ص : ١٧) من هذه الرسالة .

(١٣) « لم » بهامش (ف) .

(١٤) في (ح) « بمنزلته بمنزلة » .

القيامة من النوافل[١] ، فإذا كانت الفرائض مجبورة بثواب النوافل دل على أنه يعتد له بما فعل منها ، فكذلك الإيمان . فإنه[٢] إذا ترك منه شيئا كان عليه فعله [و][٣] إن كان مُحَرَّماً تاب منه ، وإن كان واجباً فعله ، فإذا لم يفعله ، لم تبرأ ذمته منه ، وأثيب على ما فعله كسائر العبادات ، وقد دلت النصوص على أنه يخرج من النار من [كانّ][٤] في قلبه مثقال ذرة من [إيمان][٥] .

وقد عدلت[٦] المرجئة في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، واعتمدوا على رأيهم ، وعلى ما تأولوه بفهمهم [للغة][٧] .

وهذه طريقة أهل البدع ، ولهذا كان الإمام أحمد يقول : « أكثر ما يخطىء الناس من جهة التأويل والقياس » .

---

(١) إشارة إلي حديث أول ما يحاسب به العبد من عمله الذي أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/١٣٣) من طريق عفان حدثنا حماد قال أخبرني الأزرق بن قيس عن يحيى بن يعمر عن رجل من أصحاب رسول الله - ﷺ - ان النبي - ﷺ - قال :« **أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فإن أتمها كتبت له تامة ، وان لم تكن تامة قال : انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع فأكملوه من فريضته** » ، وأحمد في المسند (٥/٧٢) من طريق عفان حدثنا حماد ابن أبي سلمه به و (٥/٣٧٧) من طريق حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمه ... به وهذا الإسناد صحيح رجاله ثقات كلهم والرجل المبهم في الإسناد هو أبو هريرة - رضي الله عنه - والدليل على ذلك ما أخرجه النسائي في كتاب الصلاة ، باب المحاسبة على الصلاة بسنده من طريق حماد بن سلمه عن الأزرق بن قيس عن يحيى بن يعمر عن أبي هريره مرفوعا .. به (١/٤٣) .

(٢) « فإنه » مثبتة من (أ) وساقطة في بقية النسخ .

(٣) « الواو » زيادة يقتضيها السياق وساقطة من جميع النسخ .

(٤) « كان » مثبتة من (ف) وساقطة في بقية النسخ .

(٥) المثبت من (ف) وفي بقية النسخ « الإيمان » .

(٦) أي انحرفت .

(٧) المثبت من (هـ ، ح ، س ، ف ، ق) وفي بقية النسخ « اللغة » .

ولهذا تجد(١) المعتزلة(٢) والمرجئة والرافضة(٣) وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم ، وما تأولوه من اللغة ، ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي ﷺ والصحابة(٤) والتابعين وأئمة المسلمين(٥) فلا يعتمدون لا على السنة(٦) ، ولا على إجماع السلف وآثارهم ، وإنما يعتمدون على العقل واللغة ، [وتجدهم](٧) لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف ، وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعها(٨) رؤوسهم ، وهذه طريقة الملاحدة أيضا ، إنما يأخذون [من](٩) كتب الفلسفة ، وكتب الأدب واللغة ، وأما(١٠) كتب [تفسير](١١) القرآن والحديث والآثار ، فلا يلتفتون(١٢) إليها . هؤلاء(١٣) يعرضون عن نصوص الأنبياء ، إذ هي عندهم لا تفيد العلم ،

---

(١) في (هـ ، مح ، م ، ط) « نجد » بالنون .

(٢) في (م) « المرجئة والمعتزلة والرافضة » .

(٣) الرافضة : في اللغة من الرفض وهي ترك الشيء تقول رفضني فرفضته والروافض جنود تركو قائدهم وانصرفوا فكل طائفة منهم رافضة والنسبة اليهم رافضي وفي الاصطلاح : فرقة من فرق الشيعة بايعوا زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب - رضي الله عنهم - ثم طلبوا منه البراءة من الشيخين أبي بكر وعمر ، فأبى وقال : ﴿ معاذا الله كانا وزيريْ جدي » وقال ايضا: رحمهما الله ما سمعت أحدا من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلاّخيراً ». فتركوه ورفضوه فسموا رافضة . وقال الأشعري : « إنما سموا رافضة لرفضهم امامة أبي بكر وعمر وهم مجمعون على أن النبي - ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - باسمه وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي - ﷺ - وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف وانها قرابه ... » ثم اطلقت الرافضة بعد ذلك على الشيعة عموما وعلى الاثني عشرية خصوصا منهم.انظر : مقالات الإسلاميين (ص:١٧) المعتمد في أصول الدين (ص:٢١١) تاريخ الطبري (١٨٠/٧) تاريخ ابن كثير ، البداية والنهاية (٣٢٩/٩) تهذيب اللغة للأزهري (١٥/١٢) مادة رفض .

(٤) في (م) زيادة « رضي الله عنهم » .

(٥) في (م) زيادة « رضي الله عنهم أجمعين » .

(٦) في (هـ ، م ، ح) « سنه » .

(٧) في (أ ، ف) « نجدهم » والمثبت من بقية النسخ .

(٨) المثبت من (أ ، ح) وفي بقية النسخ « وضعتها » .

(٩) « من » مثبتة من (ف) وفي بقية النسخ « ما في كتب » .

(١٠) في (ح ، م) « فأما » .

(١١) في جميع النسخ « القرآن » و « تفسير » زيادة يقتضيها السياق .

(١٢) في (مح ، هـ) « فلا يلتقون » .

(١٣) في (ف) زيادة « بل » .

وأولئك يتأولون القرآن برأيهم وفهمهم بلا[١] آثار عن النبي ﷺ وأصحابه ، وقد ذكرنا كلام[٢] أحمد وغيره في إنكار هذا وجعله [هذا من][٣] طريقة أهل البدع[٤] .

وإذا تدبرت حججهم ، وجدت دعاوي لا يقوم عليها دليل ، والقاضي أبو بكر[٥] الباقلاني[٦] نصر قول جهم[٧] في مسألة الإيمان ، متابعة[٨] لأبي الحسن الأشعري[٩] وكذلك أكثر أصحابه ، فأما أبو[١٠] العباس القلانسي[١١] ، وأبو علي الثقفي[١٢] ، وأبو

---

(١) في (ف) « بالآثار » .

(٢) في (م) « الإمام » .

(٣) « هذا من » زيادة يقتضيها السياق وليست في جميع النسخ .

(٤) انظر مقدمة كتابه في « الرد على الزنادقة والجهمية » .

(٥) في (س ، ف) « ابن الباقلاني » .

(٦) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري البغدادي المشهور بالباقلاني كان غاية في الفهم والذكاء حتى قال عنه شيخ الإسلام هو أفضل المتكلمين المنتسبين للأشعري ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده يعد المؤسس الثاني لمذهب الأشاعرة تتلمذ على أبو عبد الله بن مجاهد وأبو الحسن الباهلي وأبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي وكلهم تلامذة الأشعري ، وتتلمذ على يديه أبو ذر الهروي وأبو جعفر السمناني وأبو عبدالرحمن السلمي الصوفي توفي (٤٠٣هـ) ناقشه المؤلف هنا فيما ذهب اليه في الايمان .انظر : تاريخ بغداد (٣٧٩/٥) سير أعلام النبلاء (١٩٠/١٧) ، ترتيب المدارك (٤٤/٧) .

(٧) انظر قوله في المقالات (٢١٤/١) .

(٨) انظر قول الباقلاني في التمهيد (ص :٣٤٦) ، ط محي الدين عبد الحميد رسالة الحرة (ص : ٤٨) .

(٩) انظر قول الأشعري في اللمع (ص : ١٢٣) ، والمقالات (ص :٣٤٧) رسالة إلى أهل الثغر (ص :٩١) .

(١٠) « أبو » بهامش (ف) .

(١١) هو أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي معاصر لأبي الحسن الأشعري وهو من كبار علماء الكلابية أسلاف الأشاعرة ، لا يذكرابن كلاب إلا والقلانسي والمحاسبي معه ، لا يعرف له تاريخ ولادة ولاوفاة لكن من المرجح انه عاش وتوفى في القرن الثالث ولا تسعفنا المصادر عنه كثيراً ، وأغلب ما نقل عنه ، نقله شيخ الإسلام في كتبه ويعتبره من متكملة الاثبات ، انظر: تبيين كذب المفترى (ص :٣٩٨) أصول الدين للبغدادي (ص :٣١٠) منهاج السنة (٢١٧/١) ط دار الكتب العلمية ، مجموع الفتاوى (١٠٣/٣) ، النبوات ط الطويان (٢٦٨/١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للنشار (٢٧٩/١) .

(١٢) هو محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب النيسابوري أبو علي الثقفي من تلاميذ الامام محمد ابن اسحاق ابن خزيمة هو وأبوبكر الصبغي وكانا من الكلابية ، فوقعت بينهما وبين ابن خزيمة خصومة حتى =

عبد الله بن مجاهد(١) شيخ القاضي أبي بكر وصاحب أبي الحسن ، فإنهم نصروا مذاهب السلف. وابن كلاب(٢) / نفسه ، والحسين بن الفضل البجلي(٣) ونحوهما ، كانوا يقولون : [٤٣/أ] هو التصديق والقول جميعاً موافقة لمن قاله من فقهاء الكوفيين ، كحماد ابن أبي سليمان(٤) ، ومن اتبعه مثل أبي حنيفة وغيره .

= اظهروا له موافقتهم فيما لا نزاع فيه . انظر : سير أعلام النبلاء ٣٧٧/١٤ ، شذرات الذهب (٣١٠/٣) طبقات ابن قاضي شهبة (١١٨/١) .

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي البصري صاحب أبي الحسن الأشعري ، قدم بغداد ودرس علم الكلام وتتلمذ عليه القاضي أبو بكر الباقلاني قال الخطيب : ذكر لنا غير واحد أنه كان ثخين الستر حسن التدين جميل الطريقة - رحمه الله - انظر : تاريخ بغداد (٣٤٣/١) تبين كذب المفترى (ص :١٧٧) ، سير أعلام النبلاء (٣٠٥/١٦) .

(٢) هو عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري أبومحمد ويلقب كلاّباً مثل خطاف وزنا ومعناً لأنه كان لقوته في المناظرة يجتذب من يناظره ويجرّه إليه كما يجتذب الكلاّب الشيء ، رئيس طائفة الكلابية واليه ينتسبون ، لم تشر المصادر إلى شيوخ ابن كلاب ولكن اشارت إلى تلاميذه ومنهم . داود الظاهري ، والحارث المحاسبي والحسين ابن فضل البجلي وغيرهم ، ناقش المعتزلة ورد عليهم قولهم ويعتبر ابن كلاّب من متكلمة الاثبات وهو من أقربهم إلى أهل السنة والجماعة توفى سنة ٢٤١هـ انظر : الفهرست لابن النديم (ص ٢٣٠) ط طهران ، سير أعلام النبلاء (١٧٤/١١) طبقات الشافعية للسبكي (٢٩٩/٢) هداية العارفين (ص :٤٤٠) .

(٣) هو المفسر اللغوي أبو علي الحسين بن الفضل بن عمير الكوفي ثم النيساوبي ولد قبل (١٨٠هـ) وسمع يزيد بن هارون وعبد الله بن بكر السهمي وشبّابة بن سوار وحدث عنه محمد بن صالح بن هانئ ومحمد بن القاسم العتكي وأحمد بن شعيب الفقيه قال الحاكم : الحسين بن الفضل بن عمير البجلي أمام عصره في معاني القرآن توفى سنة ٢٨٢هـ وهو ابن مئة وأربع سنين انظر : سير أعلام النبلاء (٤١٤/١٣) ، طبقات المفسرين (١٥٦/١) شذرات الذهب (١٧٨/٢) .

(٤) هوحماد بن أبي سليمان بن مسلم الكوفي أبو إسماعيل مولى الأشعريين ، أصله من أصبهان روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وعامر الشعبي ، وتفقه على ابراهيم النخعي وهو أنبل أصحابه ، روى عنه تلميذه الإمام أبو حنيفة ، وابنه إسماعيل بن حماد والحكم بن عتيبة وهوأكبر منه ، وسفيان الثوري وشعبه بن الحجاج قال عنه النسائي: ثقة مرجيء ، وذكر معمر أنه كان رأساً في الأرجاء والإرجاء المذكور هنا هو ارجاء فقهاء الكوفة وهم لا يعدون الصلاة والزكاة من الإيمان ويقولون : الايمان اقرار باللسان ويقين في القلب . انظر : طبقات ابن سعد (٣٣٢/٦) ، الجرح والتعديل (١٤٦/٣) ، سير أعلام النبلاء (٢٣١/٥) ، تهذيب التهذيب (١٦/٣) .

فصل

الأشعري وأكثر أصحابه نصروا قول جهم في مسألة الإيمان

وأبو الحسن الأشعري نصر قول جهم في الإيمان(١) مع أنه نصر المشهور عن أهل السنة من أنه يُستثنى في الإيمان ، فيقول : أنا مؤمن إن شاء الله ، لأنه نصر مذهب أهل السنة في أنه لا يُكَفَّرُ أحد من أهل القبلة ، ولا يخلدون في النار ، وتقبل فيهم الشفاعة ونحو ذلك(٢) ، وهو دائما ينصر - في المسائل التي(٣) اشتهر(٤) فيها النزاع بين أهل الحديث وغيرهم [ينصرفيها](٥) قول أهل الحديث ، لكنه لم يكن خبيراً بمآخذهم ، فينصره(٦) على ما يراه هو(٧) من الأصول التي تلقاها عن غيرهم(٨)، فيقع في(٩) ذلك من التناقض ما ينكره هؤلاء وهؤلاء ،

(١) يقول الأشعري في اللمع : « إن قال قائل ما الايمان عندكم بالله تعالى ؟ قيل له : هو التصديق بالله ، وعلى ذلك اجتماع أهل اللغة - فلماكان الايمان في اللغة التي أنزل الله - تعالى بها القرآن هو التصديق قال الله تعالى : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ [يوسف :١٧] أي بمصدق لنا » (ص :١٢٣) وجاء في مجرد المقالات لابن فورك : « وكان يقول - أي أبو الحسن الأشعري - أن الايمان هو تصديق القلب وهو اعتقاد المعتقد صدق من يؤمن به وكان لا يجعل اقرار اللسان مع انكار القلب ايمانا على الحقيقة .. وكان يقول أيضا : إن الأعمال شرائع الايمان مثل الصلاة والزكاة والطهارة وما يظهر من الأركان وان شريعة الشيء غير الشيء وانه يجوز على طريق التوسع للشرائع أنها ايمان» أي انه يقول بأن دلالة الأعمال على الايمان مجاز فهي - امارات وعلامات - (ص:١٥٠-١٥٢).

(٢) انظر المقالات (ص ٢٩٣ - ٢٩٤)ط ريتر ، ورسالته إلى أهل الثغر (ص ٩١ - ٩٢) ت الجليند . وانظر الفصل لابن حزم (٧٣/٥) حيث أشار إلى ذلك ايضا ، واعتبر الأشعري من المرجئة .

(٣) في (ح ، ف) « الذي » .

(٤) « اشتهر » ساقطة من (هـ) .

(٥) ما أثبت من (ح) وليس في بقية النسخ .

(٦) في (س) زيادة « هو على » .

(٧) « هو » ساقة من (ح) .

(٨) في (م ، ح) « عن غيره » وفي ف « تلقاها هو من غيره » .

(٩) « في » ساقطة من (هـ) .

كما فعل في مسألة الإيمان ، ونصر [فيها][(١)] قول جهم مع نصره للاستثناء ، [[(٢)]ولهذا خالفه كثير من أصحابه في الاستثناء][(٣)]كما سنذكر مأخذه في ذلك[(٤)] ، واتبعه أكثر أصحابه على [نصرة][(٥)] قول جهم في ذلك ، ومن لم يقف إلا[(٦)]على كتب[(٧)]الكلام ، ولم يعرف ما قاله السلف وأئمة السنة في هذا الباب ، يظن[(٨)] أن ما ذكروه[(٩)] هو قول أهل السنة ، وهو قول لم يقله أحد من أئمة السنة ، بل قد كفّر وكيع وأحمد بن حنبل[(١٠)] وغيرهما من قال بقول جهم في الإيمان الذي نصره أبو الحسن[(١١)] ، وهو[(١٢)] عندهم شر من قول المرجئة ، ولهذا صار من يُعَظِّمُ الشافعي من الزيدية والمعتزلة ونحوهم[(١٣)] يطعن[(١٤)] في كثير ممن ينتسب إليه، يقولون : الشافعي لم يكن فيلسوفاً ولا مرجئا ، وهؤلاء أشعرية وفلاسفة[(١٥)] مرجئة ،

(١) المثبت من (هـ ، ح) وفي بقية النسخ « فيه » .

(٢) ما بين المعكوفتين ساقط من (أ) ومثبت من بقية النسخ .

(٣) انظر في ذلك المجرد لابن فورك (١٥٢) التمهيد للباقلاني (ص: ٣٦٣) ورسالة الحرة المعروفة باسم « الانصاف » (ص : ٤٨) ، أصول الدين للبغدادي (ص :٢٤٧) الارشاد للجويني (٣٩٧) المحصل للرازي (ص:٣٤٧) احياء علوم الدين للغزالي (١/١٢٠) غاية المرام للآمدي (ص : ٣٠٩) نهاية الاقدام للشهرستاني (ص :٤٣٢) المواقف للايجي (ص :٣٨٤) .

(٤) انظر : (ص : ٢٣١ ، ٦٥٨) من هذه الرسالة .

(٥) المثبت من (ف) وفي بقية النسخ « نصر » .

(٦) « إلا » ساقطة من (ف) .

(٧) في (ف) « على لب كتب » بزيادة (لب) .

(٨) المثبت من (أ ، س ، ف ، ح) وفي باقي النسخ « فيظن » .

(٩) ما هو مثبت في (أ ، ح ، ف ، س ، ق) « ذكره » ، وفي بقية النسخ « ذكروه » .

(١٠) المثبت من (أ، مح ، م) وفي بقية النسخ « أحمد بن حنبل ووكيع » وفي (ح) « بل كفر وكيع بن الجراح وأحمد».

(١١) انظر ذلك في كتاب السنة لعبد الله بن أحمد (١/١٠٤ - ١٣١) ت د / محمد سعيد القحطاني .

(١٢) « وهو » توجد بهامش (ح) .

(١٣) في (أ ، ح ، س) توجد « واو » والصواب بدونها كما في باقي النسخ .

(١٤) في (ف ، ق) « يظن » .

(١٥) المثبت من (أ ، ح ، ف) وفي بقية النسخ « فلاسفة أشعرية مرجئة » .

وغرضهم ذم الإرجاء ، ونحن نذكر عمدتهم لكونه مشهوراً عند كثير من المتأخرين المنتسبين إلى السنة.

كلام الباقلاني في الايمان

قال القاضي أبو بكر في « التمهيد »[١]«[٢] فإن قالوا : فخبرونا ما الإيمان عندكم ؟ قيل[٣] :الإيمان هو التصديق بالله وهو العلم ، والتصديق[٤] يوجد[٥] بالقلب ، فإن قالوا[٦] : فما الدليل على ما قلتم ؟ قيل : إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان[٧] قبل نزول القرآن وبعثة النبي ﷺ[٨]/ هو التصديق ، لا يعرفون في اللغة[٩] إيمانا غير ذلك ، ويدل على ذلك [٤٣/ب] قوله[تعالى][١٠] : ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف:١٧]. أي : بمصدق[١١] لنا ، ومنه

---

(١) الباقلاني يعد المؤسس الثاني لمذهب الأشاعرة ، بعد الأشعري ، وكتابه التمهيد من أهم كتب الأشاعرة وقد ركّز فيه الباقلاني على الحِجاجِ العقلي ولذلك تضمن الكتاب الردود الطويلة على المنجمين والثنوية والديصانية والمجوس، والبراهمة واليهود والنصارى وغيرهم مع أبواب اخرى في تفصيل مسائل الصفات والقدر والايمان ، وغيرها على وفق مذهب الأشاعرة ، والكتاب طبع بالقاهرة بتحقيق د / محمد عبد الهادي أبو ريدة ومحمود الخضيري ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٦ - ١٣٦٦هـ ، وطبع في بيروت بتحقيق يوسف مكارثي اليسوعي ط المكتبة المشرقية سنة ١٩٥٧ - ١٣٧٦هـ وكلتا الطبعتين ناقصة وإحداهما تكمل الأخرى ، وقد طبع أخيرا في بيروت طبعة تجمع بين الطبعتين ولكن الذي سمى نفسه محققا لهذه الطبعة وهو الشيخ عماد الدين حيدر ارتكب خطأ شنيعا حين حذف من متن الكتاب نصا للباقلاني يتعلق باثبات العلو والاستواء والرد على من أوّله بالاستيلاء ولا شك أنه خطأ مقصود لأنه لايناسب اعتقاده والذي يدل على ذلك رده على من يثبت الصفات انظر التمهيد (ص:٤٠ - ٤٢) ، (ص : ٢٩٦ ، ٣٠٢) أما النص الذي حذفه فمكانه (ص : ٢٩٨) من طبعته وهوموجود في ط مكارثي (ص : ٢٦٠ - ٢٦٢) ، وانظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢ / ٥٣٩) .

(٢) المقابلة هنا بين النسخ المخطوطة وبين التمهيد (ص : ٣٨٨) ط عماد حيدر ، و(ص : ٣٤٦) من ط يوسف مكارثي .

(٣) في التمهيد : « قلنا » .

(٤) في (هـ) « الصديق » .

(٥) في (ف) « القلب » .

(٦) المثبت من (أ) وفي التمهيد وبقية النسخ « قال » .

(٧) في التمهيد زيادة « في اللغة » .

(٨) « صلى الله عليه وسلم » توجد بهامش (أ) .

(٩) في التمهيد: « في لغتهم ايمانا » .

(١٠) « تعالى » مثبتة من (هـ ، ح والتمهيد) وساقطة من بقية النسخ .

(١١) في التمهيد : « أي وما أنت بمصدق » .

قولهم : فلان يؤمن بالشفاعة ، وفلان لا يؤمن بعذاب القبر ، أي لا يصدق بذلك ، فوجب أن [يكون](١) الإيمان في الشريعة ، هو الإيمان المعروف في اللغة ، لأن الله ما غير اللسان [العربي](٢) ولا قلبه ، ولو فعل ذلك لتواترت الأخبار بفعله، وتوفرت دواعي الأمة على نقله، ولغلب إظهاره على كتمانه(٣) ، وفي علمنا بأنه لم يفعل ذلك ، بل اقرّ(٤) أسماء الأشياء والتخاطب بأسره علي ما كان [فيها](٥) دليل(٦) على الإيمان في الشريعة(٧) هو الإيمان اللغوي، ومما يبين(٨) ذلك قوله [تعالي](٩) : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [ابراهيم : ٣] . وقوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرآنا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف :٣]. فأخبر(١٠) أنه أنزل القرآن بلغة العرب(١١) ، وسمى الأسماء بتسمياتهم(١٢)، ولا وجه للعدول بهذه الآيات عن ظواهرها بغير حجة لا(١٣) سيما مع القول بالعموم ، وحصول التوقيف على أن القرآن(١٤) نزل بلغتهم ، فدل [على](١٥) ما قلناه من أن الإيمان ما وصفناه(١٦) دون ما سواه من سائر الطاعات من النوافل والمفروضات »(١٧) هذا لفظه .

---

(١) « يكون » مثبتة من التمهيد وساقطة في جميع النسخ ، في (ق) « فواجب أن الإيمان » .
(٢) « العربي » مثبتة من (ف ، هـ) وساقطة في بقية النسخ ، وفي التمهيد « لسان العرب » .
(٣) في التمهيد « طيه وكتمانه » بزيادة « طيه » .
(٤) في هـ « اقرار » وفي بقية النسخ والتمهيد « أقرّ » .
(٥) « فيها » مثبتة من التمهيد وساقطة في بقية النسخ .
(٦) في (ف) « دليلا » .
(٧) في التمهيد « الشرع » .
(٨) في التمهيد : « ومما يدل على ذلك ويبينه قول الله تعالى » .
(٩) « تعالى » ساقطة من (أ ، س ، ف) ومثبتة في بقية النسخ والتمهيد .
(١٠) في التمهيد « فخبر » وفي مخطوط آيا صوفيا « فأخبر » كما هو مثبت هنا .
(١١) في التمهيد « وبلغة القوم » .
(١٢) المثبت من (أ ، ف ، س) والتمهيد ، وفي بقية النسخ « بمسمياتهم » .
(١٣) في التمهيد « لا » ساقطة والمثبت من (هـ ، س) ، وفي بقية النسخ « ولا سيما » .
(١٤) في التمهيد « الخطاب » .
(١٥) « على » ساقطة من (أ ، ح) ومثبتة في بقية النسخ « والتمهيد » .
(١٦) في (ف) « وصفنا » بدون هاء .
(١٧) انظر التمهيد (ص : ٣٨٨ - ٣٩٠) ط حيدر و (ص : ٣٤٦ - ٣٤٩) ط مكارثي .

أجوبة الجمهور على قول الجهمية والأشاعرة في مسألة الإيمان

وهذا عمدة من نصر قول الجهمية في مسألة الإيمان ، وللجمهور من أهل السنة وغيرهم عن هذا أجوبة .

أحدها : قول من ينازعه في أن الإيمان في اللغة مرادف للتصديق(١)، ويقول : هو بمعنى الإقرار وغيره .

والثاني : قول من يقول : وإن كان(٢) في اللغة هو التصديق ، فالتصديق [قد](٣) يكون بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما قال النبي ﷺ: « **والفرج يصدق ذلك أو(٤) يكذبه**»(٥).

والثالث : أن يقال : ليس هو مطلق التصديق ، بل هو(٦) تصديق خاص [مقيد](٧) بقيود اتصل اللفظ بها ، وليس هذا نقلاً للفظ ولا تغييراً له ، فإن الله لم يأمرنا بإيمان مطلق ، بل بإيمان خاصٍ وَصَفَهُ وبيّنهُ .

[و](٨) **الرابع** : أن يقال : وإن كان هو التصديق ، فالتصديق التام القائم بالقلب(٩) مستلزم لماوجب من أعمال القلب والجوارح ، فإن هذه لو ازم الإيمان التام ، وانتفاء اللازم

---

(١) في (ح) « التصديق » .

(٢) « أي الايمان » .

(٣) « قد » مثبتة من (ف ، ح) وساقطة في بقية النسخ .

(٤) في (ح) « بالواو » .

(٥) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح (٦٧/٨) ، وكتاب القدر باب وحرام على قرية أهلكناها (١٥٦/٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب ما قدر على ابن ادم حظه من الزنى (٢٠٤٧/٤) من حديث أبي هريره ـ رضي الله عنه ـ بروايتين ، وأحمد في المسند (٣٤٣/٢ ، ٣٤٤ ، ٣٧٢) ويلاحط أن لفظ (أويكذبه لم ترد في جميع طبعات البخاري التي مع فتح الباري وطبعه استانبول والحلبي والمنيرية) لكنها وردت في حاشية طبعة الحلبي (٦٧/٨، ١٥٦) والمنيرية (٩٨/٨، ٢٥٥) وهي المذكورة في نفسي شرح فتح الباري (٥٠٤/١١) كما أنها وردت في إحدى روايتي مسلم ، أما اللفظ الآخر الوارد في طبعات البخاري وفي الرواية الأخرى لمسلم فهو « ويكذبه » بدون الألف كما وردت في نسخة (ح) .

(٦) « هو » ساقطة من (س ، ق ، ف ، م ، ح) .

(٧) في (أ) « يقيد » والمثبت من بقية النسخ .

(٨) « الواو » ساقطة من (أ ، ح ، ف ، س ، ق) ومثبتة من بقية النسخ .

(٩) « بالقلب » مثبتة من (أ ، ح ، ف ، س) وساقطة في بقية النسخ .

دليل على انتفاء الملزوم ، [ونقول][(١)] : إن [هذه اللزوم[(٢)] يدخل] في مسمى اللفظ / تارة [٤٤/أ]
[ويخرج][(٣)] عنه أخرى .

الخامس : قول من يقول : إن اللفظ باق على معناه في[(٤)] اللغة ، ولكن الشارع زاد فيه أحكاماً .

السادس : قول من يقول : إن الشارع استعمله[(٥)] في معناه[(٦)] المجازي ، فهو حقيقة شرعية ، مجاز لغوي .

السابع : قول من يقول : إنه منقول .

المنازعة في أن معناه التصديق

فهذه سبعة أقوال : **الأول**[(٧)] : قول من ينازع[(٨)] في أن معناه في اللغة التصديق ، [ويقول][(٩)]: ليس هو التصديق[(١٠)]، بل بمعنى الإقرار وغيره .

قوله : إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن هو التصديق . فيقال له : من نقل هذا الإجماع ؟ //ومن[(١١)] أين يعلم[(١٢)] هذا الإجماع // وفي أي كتاب ذكر هذا الإجماع ؟

---

(١) في (أ) « ويقول » والمثبت من باقي النسخ .

(٢) في (ف) « هذه اللوازم تدخل » .

(٣) ما أثبت من (ف) وفي بقية النسخ تخرج .

(٤) « في » ساقطة من (ف) .

(٥) في (س) « استعمل ».

(٦) في (ف) « معنى » .

(٧) « الأول » توجد بهامش (س) .

(٨) في (ف) « تنازع » .

(٩) « ويقول » ساقطة من (أ ، ق) ومثبتة في بقية النسخ .

(١٠) في (س) العبارة كالآتي » قول من ينازع في أن معناه في اللغة ليس هو التصديق بل بمعنى الاقرار وغيره » وساقطة من (ح) .

(١١) ما بين العلامتين //ـــــ// ساقطة من (ف) .

(١٢) في (س) « تعلم » بالتاء .

أهل اللغة لم ينقلوا معانيها بإسناد

الثاني : أن يقال : أتعني بأهل اللغة نقلتها ، كأبي عمرو ، والأصمعي[(١)]، والخليل ، ونحوهم ، أو[(٢)] المتكلمين بها ؟ فإن عنيت الأول ، فهؤلاء لا ينقلون[(٣)] كل ما كان قبل الإسلام بإسناد ، وإنما ينقلون ما سمعوه من العرب في زمانهم ، وما سمعوه[من][(٤)] دواوين الشعر وكلام العرب وغير ذلك بالإسناد ، ولا [نعلم][(٥)] فيما نقلوه لفظ الإيمان ، فضلاً عن أن يكونوا أجمعوا عليه، وإن عنيت المتكلمين بهذا اللفظ قبل الإسلام ، فهؤلاء لم نشهدهم ، ولا نقل لنا أحد عنهم ذلك .

أهل اللغة لم يقولوا أن معنى الإيمان هو التصديق

الثالث: أنه لا يعرف عن هؤلاء جميعهم أنهم قالوا : الإيمان[(٦)] في اللغة: هو التصديق ، بل ولا عن بعضهم ، وإن قُدِّرَ أنه قاله واحد أو اثنان ، فليس هذا إجماعا .

الرابع : أن يقال : هؤلاء //[(٧)] لا ينقلون عن العرب أنهم قالوا : معنى هذا اللفظ كذا وكذا // وإنما ينقلون الكلام المسموع من العرب ، وأنه يفهم منه كذا وكذا ، وحينئذ فلو قُدِّر أنهم نقلوا كلاما عن العرب يفهم منه أن الإيمان هو التصديق ، لم يكن ذلك أبلغ من نقل المسلمين كافة[(٨)] للقرآن عن النبي - ﷺ - ، وإذا كان مع ذلك قد يظن بعضهم أنه أريد به معنى ولم [يرده][(٩)] فظن هؤلاء ذلك فيما[(١٠)] ينقلونه عن العرب أولى .

---

(١) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي البصري (١٢٢ - ٢١٦ هـ) الإمام اللغوي الإخباري راويه العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان ولد بالبصرة أخذ العلم عن سليمان التيمي وأبي عمرو بن العلاء وعمر بن أبي زائدة وغيرهم ، روى عنه أبو عبيد ويحيى بن معين وأبو حاتم الرازي وغيرهم كان كثير التطواف في البوادي يقتبس علومها ويتلقى أخبارها ، له كتاب الإبل والأضداد والانسان والخيل توفى بالبصرة قال الحافظ : صدوق سني . انظر : تاريخ بغداد (٤١٠/١٠) وفيات الأعيان (١٧٠/٣) التقريب (٥٢٢/١) .

(٢) في (ح) « بالواو » .

(٣) في (س) زيادة « لا ينقلون عن العرب انهم قالوا معنى هذا اللفظ كذا وكذا وانما ينقلون » وهذه الزيادة وردت بعد سبعة أسطر كجملة مستقلة مرة ثانية في بقية النسخ .

(٤) المثبت من (ح) وفي بقية النسخ « في » .

(٥) في (أ ، ف ، م ، ق ، ح) « يُعْلَمُ » والمثبت من بقية النسخ .

(٦) في (ف) « أن الايمان » بزيادة « أن » .

(٧) ما بين // ـــــ // العلامتين بهامش (س) .

(٨) « كافة » ساقطة من (هـ ، مح) .

(٩) المثبت من (هـ) وفي بقية النسخ « لم يرد » .

(١٠) في (ف) « مما » .

الخامس : أنه لو قدر أنهم قالوا هذا ، فهم آحاد لا يثبت بنقلهم التواتر ، والتواتر من شرطه استواء الطرفين والواسطة ، وأين التواتر الموجود عن العرب / قاطبة قبل نزول القرآن أنهم [٤٤/ب] كانوا لا يعرفون للإيمان معنى غير التصديق ؟

الصحابة بلغوا لفظ القرآن ومعناه

فإن قيل: هذا يقدح في العلم باللغة قبل نزول القرآن، قيل: فليكن،[و][١] نحن لاحاجة بنا مع بيان الرسول [صلى الله عليه وسلم][٢] لما بعثه الله به من القرآن أن[٣] نعرف اللغة قبل نزول القرآن ، والقرآن نزل بلغة قريش ، والذين خوطبوا به كانوا عربا، وقد فهموا ما أريد به وهم الصحابة،//ثم الصحابة[٤] // بلّغوا لفظ القرآن ومعناه إلى التابعين حتى انتهى إلينا، فلم يبق بنا حاجة إلى أن تتواتر[٥] عندنا تلك اللغة، من غير طريق تواتر القرآن، لكن لما تواتر القرآن لفظاً ومعنى، وعرفنا أنه نزل بلغتهم عرفنا أنه[٦] كان في لغتهم لفظ السماء والأرض ، والليل والنهار، والشمس والقمر، ونحو ذلك على ماهو معناها في القرآن، وإلا فلو كلفنا نقلاً[٧] متواتراً لآحاد هذه الألفاظ من غير القرآن، لتعذر علينا ذلك في جميع الألفاظ، لاسيما إذا كان المطلوب أن جميع العرب كانت تريد باللفظ هذا المعنى ، فإن هذا يتعذر العلم به، والعلم بمعاني القرآن ليس موقوفاً على شي[٨] من ذلك، بل الصحابة بلّغوا معاني القرآن،كما بلغوا

---

(١) في (أ) « نحن ولا حاجة » والمثبت من باقي النسخ تقديم الواو على نحن » .

(٢) « صلى الله عليه وسلم » مثبتة من (س) .

(٣) « أن » ساقطة من (م) .

(٤) ما بين العلامتين // ـــ // ساقطة من (ح) .

(٥) في (ح) « يتواتر » .

(٦) في (م) « وعرفنا أن الله أنزل بلغتهم لفظ السماء والأرض » .

(٧) « نقلا » توجد بهامش (س) .

(٨) « شيء من » ساقطة من (ف) .

لفظه . ولو قدّرنا أن قوما سمعواً كلاما [عجميا][١] وترجموه لنا بلغتهم ، لم [نحتج][٢] إلى معرفة اللغة التي خوطبوا بها أولاً .

ما ذكروه شاهداً ينقض دعواهم أن الإيمان هو التصديق

السادس : أنه لم يذكر[٣] شاهدا من كلام العرب على ما ادّعاه عليهم ، وإنما استدل من غير القرآن بقول الناس : فلان يؤمن[٤] بالشفاعة ، وفلان يؤمن بالجنة والنار ، [و][٥] فلان يؤمن بعذاب القبر ، وفلان لا يؤمن بذلك[٦]. ومعلوم أن هذا ليس من ألفاظ العرب قبل نزول القرآن ، بل هو مما تكلموا به[٧] بعد عصر الصحابة ، لما صار[٨] أهل البدع يكذبون بالشفاعة وعذاب القبر ، ومرادهم بذلك هو مرادهم بقوله : فلان يؤمن[٩] بالجنة والنار ، وفلان لا يؤمن بذلك ، والقائل لذلك وإن كان تصديق القلب داخلا في مراده ، [فليس مراده[١٠]] ذلك وحده ، بل مراده التصديق بالقلب واللسان ، فإن مجرد[١١] تصديق القلب بدون اللسان لا يعلم حتى يُخَبَّر به عنه .

لا يتم التصديق إلا بالرجاء والخوف

السابع : أن يقال : من قال ذلك ، فليس مراده التصديق بما يرجى[١٢] ويخاف/ [٤٥/أ] بدون خوف ، ولا رجاء ، بل يصدق بعذاب القبر ويخافه ، ويصدق بالشفاعة ويرجوها[١٣] ، وإلا

---

(١) في (أ) « عجيبا » والمثبت من باقي النسخ .

(٢) في (أ) « لم يحتج » بالياء وفي بقية النسخ « بالنون » كما هو مثبت .

(٣) في (ح) « أنهم لم يذكروا » .

(٤) في (م) « فلان لا يؤمن » بزيادة « لا » .

(٥) الواو مثبتة من (هـ ، م ، ح ، ق) .

(٦) في (س) « به » .

(٧) المثبت من (أ) وفي بقية النسخ « مما تكلم الناس به » .

(٨) المثبت من (من ، ح ، س ، هـ) ، وفي (أ) « من الناس » والصواب بدونها كما أثبت .

(٩) في (هـ ، م ، مح) « مؤمن » .

(١٠) « فليس مرده » ساقطة من (أ) ومثبتة في بقية النسخ .

(١١) « فإن مجرد » ساقطة من (ح) .

(١٢) في (م) زيادة « بل » والصواب بدونها .

(١٣) في (ف) « ويترجيها » .

فلو صدق بأنه يعذب في قبره ، ولم يكن في قلبه خوف من ذلك أصلا ، لم يسموه مؤمنا به[١] ، كما أنهم لا يسمون مؤمناً بالجنة والنار إلا من رجا الجنة وخاف [من][٢] النار دون المُعْرِضِ عن ذلك بالكلية ، مع علمه بأنه حق ، كما لا يسمون إبليس مؤمنا بالله ، وإن كان مصدقاً بوجوده وربوبيته ، ولا يسمون فرعون[٣] مؤمنا ، وإن كان عالماً بأن الله بعث موسى[٤] [وأن الله [٥] تعالى] هو الذي[٦] أنزل الآيات ، وقد استقينت بها أنفسهم مع جحدهم لها بألسنتهم[٧] ، ولا يسمون اليهود مؤمنين بالقرآن والرسول ، وإن كانوا يعرفون أنه[٨] حق ، كما يعرفون أبناءهم[٩] . فلا يوجد قط في كلام العرب أن من علم وجود[١٠] شيء مما يخاف ويرجى ، ويجب حبه وتعظيمه ، وهو مع ذلك لا يحبه ولا يعظمه ، ولا يخافه ولا يرجوه ، بل يجحد به ويكذب بلسانه ، أنهم يقولون : هو مؤمن به ، بل لو عرفه بقلبه وكذب به[١١] بلسانه ، لم يقولوا : هو مصدق به، ولو صدق به مع العمل[١٢] بخلاف مقتضاه ، لم يقولوا : [هو][١٣] مؤمن به ، فلايوجد في كلام العرب شاهد واحد يدل على ما ادعوه . وقوله : ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف : ١٧] - وقد تكلمنا عليها في غير هذا

---

(١) « به » ساقطة من (ف) .

(٢) « من » مثبتة من (ف) .

(٣) « فرعون مؤمنا » توجد بهامش (س) .

(٤) « موسى » بهامش (ف) .

(٥) « الله تعالى » مثبتة من (م) .

(٦) « الذي » ساقطة من (ح) .

(٧) اشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلوا** ﴾ [النمل : ١٤] .

(٨) في (م) « بأنه » بزيادة الباء .

(٩) اشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كمايعرفون أبنائهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

(١٠) « وجود » ساقطة من (ف) .

(١١) « به » ساقطة من (ح) .

(١٢) في (هـ) « مع العلم » .

(١٣) « هو » ساقطة من (أ ، هـ ، مح) ومثبتة في باقي النسخ .

الموضع[١] ـ فإن هذا استدلال بالقرآن ، وليس في الآية ما يدل على أن المصدق مرادف للمؤمن ، فإن صحة[٢] المعنى بأحد اللفظين لا يدل على أنه مرادف للآخر كما قد[٣] بسطناه في موضعه .

الوجه الثامن : قوله : لا يعرفون في اللغة إيمانا غير ذلك . من أين له هذا النفي الذي لا يمكن[٤] الإحاطة به ؟ بل هو قول بلا علم .

التاسع : قول من يقول : أصل الإيمان مأخوذ من الأمن ، كما ستأتي أقوالهم إن شاء الله [تعالى][٥] وقد نقلوا في اللغة الإيمان بغير[٦] هذا المعنى ، كما قاله الشيخ أبو البيان[٧] في قول[٨]........

الإيمان هو تصديق مخصوص وهو ما أخبر به النبي - ﷺ -

الوجه العاشر : أنه لو فرض أن الإيمان //[٩] في اللغة التصديق ، فمعلوم أن الإيمان // ليس هو التصديق بكل شيء ، بل بشيء مخصوص ، وهو ما أخبر به الرسول - ﷺ - وحينئذ

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٧/٢٨٩ ، ٢٩٣ - ٣٣٦ ، ٦٣٦ - ٦٣٩)

(٢) في (مح ، ح ، هـ) « هذا المعنى » والصواب بدونها كما في بقية النسخ .

(٣) « قد » ساقطة من (ح ، ف ، س) .

(٤) في (ط ، مح ، أ ، هـ) « تمكن » .

(٥) « تعالى » مثبتة من (م) .

(٦) في (م) « بعين » ، و « المعنى » في هامش (ق) .

(٧) هونبأ بن محمد بن محفوظ القرشي الحوراني ثم الدمشقي الشافعي القدوة الكبير شيخ الطريقة البيانية ، وصاحب الإذكار المسجوعة من أئمة اللغة والزهد والأثر سمع من أبي الحسن الموازيني وأبي الحسن بن قبيس المالكي وروى عنه يوسف بن وفاء السلمي وعبدالرحمن بن الحسين بن عبدان والقاضي أسعد بن المنجا كان حسن الطريقة ديّناً تقياً محباً للسنة والعلم والأدب ، انشأ له الملك نور الدين محمود بعد موته رباطا كبيراً توفي سنة ٥٥١ هـ . انظر : معجم الأدباء (١٩/٢١٣) ، سير أعلام النبلاء (٢٠/٣٢٦) ، طبقات الشافعية للسبكي (٧/٣١٨) .

(٨) بياض بالأصول كلها ، وهذا إن دل فإنما يدل على أن الشيخ لم يكمل الكتاب أو أنه لم يراجعه بعد أن أملاه على ناسخه ، وقد سبق أن ذكرنا أنه من الكتب التي لم يبيضها الشيخ .

(٩) ما بين العلامتين // ــــــ // يوجد بهامش (أ) .

/ فيكون الإيمان في كلام الشارع ، أخص من الإيمان في اللغة ، ومعلوم أن الخاص[١] ينضم [٤٥/ب] إليه قيود لا توجد في جميع العام[٢] ، كالحيوان إذا أخذ بعض أنواعه وهو الإنسان ، كان فيه المعنى العام ، ومعنى اختص به ، وذلك المجموع ليس هو المعنى العام ، فالتصديق[٣] الذي هو الإيمان ، أدنى أحواله ، أن يكون نوعا من التصديق العام[٤] ، فلا يكون مطابقا له في العموم والخصوص من غير تغيير اللسان[٥] ولاقلبه ، بل يكون الإيمان في كلام الشارع مؤلفا من العام والخاص[٦] ،كالإنسان الموصوف بأنه حيوان وأنه ناطق .

الحادي عشر : أن القرآن ليس فيه ذكر[٧] إيمان مطلق غير مفسر[٨] ، بل لفظ الإيمان

الصَّادِقُون ﴾ [الحجرات:١٥] ونحو ذلك[١] . وقوله : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ [وَيُسَلِّمُوا[٢] تَسْلِيمًا] ﴾ [النساء:٦٥] وأمثال هذه الآيات ، [فكل][٣] إيمان مطلق في القرآن فقد[٤] بُيِّنَ فيه أنه لا يكون الرجل مؤمنا إلا بالعمل مع التصديق ، فقد بُيِّنَ في[٥] القرآن أن الإيمان لا بد فيه من عمل مع التصديق ، كما ذكر مثل ذلك في اسم الصلاة والزكاة[٦] والصيام[٧] والحج[٨] .

فإن قيل : تلك الأسماء باقية ، ولكن ضم إلى المسمى أعمالا[٩] في الحكم لا في الاسم ، كما يقول القاضي أبو يعلى[١٠] وغيره . قيل : إن كان هذا صحيحاً ، قيل مثله في الإيمان ، وقد أورد[١١] هذا السؤال بعضهم[١٢] ، ثم لم يجب عنه بجواب صحيح ، بل زعم أن القرآن[١٣] لم يذكر فيه ذلك ، وليس كذلك ، بل القرآن والسنة [مملوءان][١٤]

---

(١) « نحو ذلك » ساقطة من (م) .

(٢) ما بين المعكوفتين ساقط من (أ ، س) ومثبت من باقي النسخ .

(٣) المثبت من (ف ، س) وفي بقية النسخ « وكل » .

(٤) في (ف) « يتبين » وفي (هـ) « بيِّن » .

(٥) « في » ساقطة من (هـ ، مح ، ف ، س ، ق) .

(٦) اشارة إلى قول تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤمنون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [التوبة:٧١] .

(٧) اشارة إلى قوله تعالى: ﴿ يا أيهاالذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

(٨) اشارة إلى قوله تعالى : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

(٩) في (ف ، ح) « اعمال » .

(١٠) انظر مسائل الايمان للقاضي أبي يعلي (ص : ٢٤٥) بتحقيق سعود الخلف والمعتمد في أصول الدين (ص:١٨٦)، والعدة في أصول الفقه (١٨٧/١) .

(١١) في (م) « ورد » .

(١٢) المثبت من (أ ، س ، ف) وفي بقية النسخ « لبعضهم » .

(١٣) في (ح ، ف) « الايمان » .

(١٤) في (أ ، س) « مملوء » والمثبت من بقية النسخ .

بما[١] يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق . وهذا في القرآن أكثر بكثير من معنى الصلاة والزكاة ، فإن تلك إنما فسرتها السنة ، والإيمان بيّن معناه[٢] الكتاب والسنة ، وإجماع السلف .

[٤٦/أ]

إن التصديق مبين في الكتاب والسنة من غير تغيير للغة

الثاني عشر : أنه إذا قيل : إن الشارع خاطب الناس بلغة العرب ، فإنما خاطبهم بلغتهم المعروفة ، وقد جرى عرفهم أن الاسم يكون مطلقا وعاما / ثم يدخل فيه[٣] قيد ، أخص من معناه ، كما يقولون : أذهب[٤] إلى القاضي والوالي والأمير ، يريدون شخصا معيّنا معرّفا[٥] به ، دلت عليه اللام مع معرفتهم[٦] به . وهذا الاسم في اللغة اسم جنس ، لا يدل على خصوص شخص وأمثال ذلك ، فكذلك الإيمان والصلاة والزكاة[٧] ، إنما خاطبهم بهذه الأسماء بلام التعريف ، وقد عرّفهم قبل ذلك أن المراد الإيمان الذي صفته كذا وكذا ، والدعاء الذي صفته كذا وكذا ، فبتقدير أن يكون في لغتهم التصديق، فإنه قد بيّن[٨] أنه[٩] لا يكتفي بتصديق القلب واللسان ، فضلا عن تصديق القلب وحده، بل لا بد أن يعمل بموجب ذلك التصديق ، كما في قوله[تعالى][١٠]: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا** ﴾[١١] [الحجرات:١٥] . ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ**

---

(١) في (ف) « مما » .

(٢) في (ف) « زيادة « في » والصواب بدونها .

(٣) « فيه » ساقطة من (ف) .

(٤) في (هـ) « ذهب » وفي (م) « اذهبا » ، والمثبت من (أ) وباقي النسخ .

(٥) في هامش (أ ، مح) « معروفاً » (هـ) « يعرفونه » .

(٦) في (ح ، ف) « معرفتها به » في (س ، ق) « معرفتهما به » ، وما أثبت من بقية النسخ .

(٧) في (ح ، ف) زيادة « واو » والصواب بدونها كما هو مثبت .

(٨) في (هـ) « تبين » .

(٩) في (ف ، س ، ح ، ق) « إني لا اكتفي » .

(١٠) [تعالى] مثبتة من (هـ) .

(١١) في (م) تكملة الآية : ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾ وفي (ف) الآية .

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ[١] قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢] . وفي قوله[٢] : « لا تؤمنوا[٣] حتى [تكونوا][٤] كذا وكذا » . وفي قوله تعالى[٥]: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] . وفي قوله : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [المائدة : ٨١] . ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة ، كقوله[٦] عليه السلام : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** [٧]» وقوله : « **لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه** »[٨] . وأمثال ذلك .

فقد بيّن لهم أن التصديق الذي لا يكون الرجل مؤمنا إلا به[٩] ، هو أن يكون تصديقا على هذا الوجه ، وهذا [مبين[١٠]] في القرآن والسنة من غير تغيير للغة[١١] ولا نقل لها .

الثالث عشر : أن يقال : بل نُقِلَ وغُيِّرَ[١٢] قوله : لو [نقل][١٣] لتواتر ، قيل : نعم وقد تواتر أنه أراد بالصلاة والزكاة والصيام والحج معانيها المعروفة ، وأراد بالإيمان ما بيّنه بكتابه وسنة رسوله ، من أن العبد لا يكون مؤمنا إلا به ، كقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾[الأنفال:٢] . وهذا متواتر في القرآن والسنن ، ومتواتر أيضا أنه لم يكن يحكم لأحد بحكم الإيمان إلا أن

---

(١) « وجلت قلوبهم » ساقطة من (هـ ، مح) ، و« الذين » ساقطة من (ق) .

(٢) في (ح ، م ، ق) « قول رسول الله » .

(٣) في (مح ، م) « تؤمنون » .

(٤) في (أ) « يكونوا » والمثبت من بقية النسخ .

(٥) « تعالى » ساقطة من (م ، ح ، س ، ق) .

(٦) في (م) « مثل قوله صلى الله عليه وسلم » ى وعليه السلام » ساقطة من (ح ، ف ، س ، ق) .

(٧) سبق تخريجه (ص : ١٤) من هذه الرسالة .

(٨) سبق تخريجه (ص : ١٣) من هذه الرسالة .

(٩) في (ف) زيادة « واو » والصواب بدونها .

(١٠) المثبت من (ف) وفي (أ) بقية النسخ وهامش (ف) « بينّ » .

(١١) في (ح ، هـ ، ف) « اللغة » .

(١٢) في (ف) « أو غيّره » .

(١٣) ف (أ ، ف ، ح ، س) « فعل » والمثبت من باقي النسخ .

يؤدي الفرائض . ومتواتر(١) عنه أنه أخبر [أن](٢) : من مات مؤمناً دخل الجنة ولم يعذب ، وأن الفساق لا يستحقون ذلك ، بل هم مُعَرَّضُونَ للعذاب . فقد تواتر(٣) عنه من معاني اسم الإيمان وأحكامه / ما لم يتواتر عنه في غيره ، فأي تواتر أبلغ من هذا ؟! وقد توفّرت(٤) الدواعي على نقل(٥) ذلك وإظهاره ، ولله الحمد . فلا(٦) يقدر أحد أن ينقل عن النبي - ﷺ - نقلا يناقض هذا ، لكن أخبر أنه يخرج منها(٧) من كان معه شيء من الإيمان ، ولم يقل : أن المؤمن يدخلها ، ولا قال : إن الفساق مؤمنون ، لكن أدخلهم في مسمى الإيمان في مواضع ، [(٨)كما أدخل المنافقين في اسم الإيمان في مواضع] مع القيود ، وأما الاسم المطلق الذي وُعِدَ أهله بالجنة ، فلم يدخل فيه لا هؤلاء ولا هؤلاء . [٤٦/ب]

الرابع عشر: قوله: ولا وجه للعدول بالآيات - التي تدل على أنه عربي - عن ظاهرها ، فيقال له : الآيات التي فسرت المؤمن ، وسلبت الإيمان عمن لم يعمل ، أصرح(٩) وأكثر(١٠) من هذه الآيات ، ثم إذا دلت علي(١١) أنه عربي ، فما ذكر لا يخرجه عن كونه عربيا ، ولهذا لما خاطبهم بلفظ الصلاة والحج وغير ذلك ، لم يقولوا : هذا ليس بعربي ، بل خاطبهم باسم المنافقين(١٢) ، وقد ذكر أهل اللغة أن هذا الاسم لم يكن يعرف في الجاهلية ، ولم يقولوا : إنه

---

(١) في (ح) « متواتر أيضاً » .

(٢) « أن » مثبتة من (ح ، ف ، س) .

(٣) في (ح) « توافرت » .

(٤) في (ف) « توافرت » .

(٥) « نقل » توجد بهامش (س) .

(٦) في (أ) « فلا » وفي بقية النسخ « ولا » .

(٧) أي من النار .

(٨) ما بين المعكوفتين ساقطة من (أ ، هـ) ومثبت من بقية النسخ .

(٩) في (هـ ، ح ، ف) توجد كلمة « وأبين » زيادة .

(١٠) « أكثر » ساقطة من (ف ، ح) ، وفي (ق) « وأبين » .

(١١) « على » ساقطة من (ح ، ف ، س) .

(١٢) المنافقين جمع منافق، والمنافق فاعل من النفاق والنفاق مأخوذ من النفق وهو السرب الذي في الأرض الذي يستتر فيه ، سمى النفاق بذلك لأن المنافق يستر كفره وقيل : أنه مأخوذ من نافقاء اليربوع وهو باب جحره لأن =

ليس بعربي ، لأن المنافق مشتق من نفق إذا خرج ، فإذا كان اللفظ مشتقاً من لغتهم ، وقد تصرف فيه المتكلم به كما جرت عادتهم في لغتهم ، لم يخرج ذلك عن كونه عربيا .

الخامس عشر[١] : [أنه][٢] لو فرض أن هذه الألفاظ ليست عربية ، فليس تخصيص[٣] عموم هذه الألفاظ بأعظم[٤] من إخراج لفظ الإيمان عما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف ، فإن النصوص التي تنفي الإيمان عمن لا يحب ورسوله ، ولا يخاف الله ولا يتقيه ولا يعمل شيئا من الواجب ، ولا يترك شيئا من المحرم ، كثيرة صريحة ، فإذا قدر أنها عارضها آية، كان[٥] تخصيص اللفظ القليل العام أولى من رد النصوص الكثيرة الصريحة[٦] .

السادس عشر[٧] : أن هؤلاء واقفة[٨] في ألفاظ العموم لا يقولون بعمومها ، والسلف يقولون : الرسول[٩] وقّفنا على معاني الإيمان ، وبيّنه لنا[١٠] //[١١] وعلّمنا مراده منه

= اليربوع يحفر لـه جحرا ثم يسد بابه بترابه ويسمى هذا المدخل « القاصعاء » ثم يحفر له مخرجا آخر حتى إذا بقي من التراب قشره رقيقة تركها حتى لا يعرف مكان هذا المخرج أحد ويسمى هذا المخرج بالنافقاء ، فإذا أتى من قبل القاصعاء عدا فضرب النافقاء برأسه ، وخرج منها وهرب فكذلك المنافق يظهر خلاف ما يبطن . وأكثر علماء اللغة على أنه مأخوذ من نافقهاء اليربوع لا من النفق وهوالراجح لان النفق ليس فيه اظهار شيء واخفاء شيء كما هو الحال في نافقاء اليربوع . والنفاق في الإصطلاح الشرعي هو اظهار الإسلام وابطان الكفر ، وهو اسم لم تعرفه العرب بهذا المعنى الخاص ، وان كان أصله الذي أخذ منه معروف مشهور . انظر لسان لعرب مادة « نفق » (١٠/٣٧٥) مقاييس اللغة مادة « نفق » (٥ / ٤٥٤) المزهر للسيوطي (١/٣٠١) ، النهاية في غريب الحديث مادة « نفق » (٥/٩٨) .

(١) في (أ) زيادة « الوجه » والصواب بدونها وذلك لمقتضى السياق .

(٢) « أنه » مثبتة من (ف ، ق ، س) وساقطة من (أ) وبقية النسخ .

(٣) في (ف) « تخصيصهم » .

(٤) في (ف) « باعمّ » .

(٥) في (ف) « كانت » .

(٦) في (ف) « الصحيحة » بناء على القاعدة الأصولية التي تقول : إعمال النص خيرمن إهماله ، فإذا كان صحيحاً كان أولى بالإعمال من غيره » .

(٧) في (ح) « السادسة » .

(٨) في (ف) « وافقه » .

(٩) « الرسول » بهامش (س) .

(١٠) « لنا » ساقطة من (ف) .

(١١) ما بين العلامتين // ـــــ // مكرر في (ف) مرتين .

بالاضطرار // وَعَلِمْنَا من[١] مراده عِلْمَاً ضرورياً أن من قيل : إنه صدّق ،ولم يتكلم بلسانه بالإيمان مع قدرته على ذلك ، ولا صلى ولا صام / ولا أحب الله ورسوله ، ولا خاف الله ، بل كان مبغضاً للرسول[٢] ، معادياً له يقاتله[٣]، أن هذا ليس بمؤمن ، كما عَلِمنَا أن الكفار[٤] من المشركين وأهل الكتاب الذين كانوا يعلمون أنه رسول الله ، وفعلوا ذلك معه ، كانوا عنده كفاراً لا [مؤمنين][٥] فهذا معلوم[٦] عندنا بالاضطرار ، أكثر من علمنا بأن القرآن كله ليس فيه لفظ غير عربي ، فلو قُدِّرَ التعارض ، لكان تقديم ذلك العلم الضروري أولى . [٤٧/أ]

فإن قالوا : من علم أن الرسول كَفَّرَهُ ، عُلِمَ انتفاء [إيمانه وعلم انتفاء [٧]] التصديق من قلبه. قيل لهم : هذه مكابرة ، إن أرادوا أنهم كانوا شاكّين مرتابين ، وأما إن عنى[٨] التصديق الذي لم يحصل [معه عمل[٩]] ، فهو ناقص كالمعدوم ، فهذا صحيح . ثم إنما يثبت ، إذا ثبت أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه[١٠] ، وذاك إنما يثبت[١١] //[١٢] بعد تسليم هذه المقدمات التي منها هذا ، فلا تثبت الدعوى // بالدعوى مع كفر صاحبها . ثم يقال : قد علمنا بالأضرار أن اليهود وغيرهم كانوا يعرفون أن محمداً رسول الله ، وكان يحكم

---

(١) « من » ساقطة من (ف) .

(٢) في (ف) زيادة « واو » والصواب بدونها .

(٣) في (ف) « مقابلة » .

(٤) في (ح) « الكافر » .

(٥) في (أ) « مؤمنون » والمثبت من باقي النسخ .

(٦) « معلوم » توجد بهامش (س) .

(٧) ما بين المعكوفتين مثبت من (م ، ح ، ق وهامش (هـ) وساقط من باقي النسخ .

(٨) في (ف) « ايمانه عليه » وفي هامش (ف) « ايمان غير » ، وهي زيادة مقحمة .

(٩) « معه عمل » ساقطة من (أ ، ح) ومثبتة في بقية النسخ .

(١٠) في (ح) « وعمله » .

(١١) في (س) « ثبت » .

(١٢) ما بين العلامتين // ــــ // بهامش (ف) .

بكفرهم ، فقد علمنا من دينه ضرورة أنه يكفر الشخص مع ثبوت التصديق بنبوته في القلب[١] ، إذا لم يعمل بهذا التصديق ، بحيث يحبه ويعظمه ، ويسلم لما جاء به .

ومما يعارضون به أن يقال : هذا الذي ذكرتموه ، إن كان صحيحا[٢] ، فهو أدل على قول المرجئة ، بل على قول الكرامية[٣] منه على قولكم ، وذلك أن الايمان إذا[٤] كان هو[٥] التصديق كما ذكرتم ، فالتصديق نوع من أنواع الكلام ، فاستعمال[٦] لفظ الكلام والقول ونحو ذلك في المعنى واللفظ ، بل في اللفظ الدال على المعنى أكثر في اللغة من استعماله في المعنى المجرد عن اللفظ ، بل لا يوجد قط إطلاق اسم الكلام ولا أنواعه ـ كالخبر والتصديق[٧] والتكذيب والأمر والنهي ـ على مجرد المعنى من غير شيء يقترن به ، من عبارة[٨] ولا إشارة ولا غيرهما[٩] ، وإنما يستعمل[١٠] مقيدا . وإذا[١١] كان الله إنما أنزل القرآن بلغة العرب ، فهي لا تعرف التصديق والتكذيب وغيرهما من الأقوال، إلا ما كان معنى[١٢] ولفظا ، أو لفظاً يدل على معنى ، ولهذا لم يجعل الله أحدا مصدقا للرسل بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم / حتى يصدقوهم بألسنتهم ، ولا يوجد في كلام العرب أن يقال [أن فلاناً][١٣] [٤٧/ب]

(١) في (ح) « قلبه » .

(٢) « صحيحا » توجد بهامش (ف) .

(٣) الكرامية يقولون : « كل من قال لا إله الله وأن محمد رسول الله فهو مؤمن والإيمان لا يتجزأ ولا يتبعض » .

(٤) في (م ، ، ق ، ح) « إن » بدل « إذا » .

(٥) « هو التصديق » ساقطة من (مح ، م) ومثبتة من باقي النسخ .

(٦) في (ف) « فاستعمل » .

(٧) في (هـ) « أو » .

(٨) في (ف) « من عبادة » .

(٩) في (ح ، ق) « وغيرها » .

(١٠) في (ف) « استعمل » .

(١١) في (م) « فإذا » .

(١٢) في (ف) « بمعنى ولفظ » وهامش (ف) « لفظا ومعنى » .

(١٣) المثبت من (ف) وفي بقية النسخ « فلان » .

صدق[١] فلانا أو كذبه، إذا كان يعلم بـقلبه أنه صادق أوكاذب ولم[٢] يتكلم بذلك ، كما لا يقال : امره [أو[٣]] نهاه ، إذا[٤] قام بقلبه طلب مجـرد عما يقترن به من[٥] لفظ أو إشارة أو نحوهما . ولما قال النبي - ﷺ - : « **إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس** »[٦] وقال:« **إن الله يحدث من أمره ما[يشاء]**[٧] **وإن مما أحدث**[٨] **أن لا تكلموا في الصلاة**[٩] » اتفق[١٠] العلمـاء على أنه إذا تكلم في الصلاة عـامداً لغير مـصلحتـها ، بطلت صـلاته[١١] ، واتفقوا كلهم على أن ما[١٢] يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب ، لا يبطل الصلاة ، وإنما يبطلها التكلم بذلك ، فَعُلِمَ اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام .

---

(١) في (س) « أصدق » .

(٢) في (م ، ح) « ولا » .

(٣) « أو » مثبتة من (هـ ، م ، مح) ، في (ق) « و » بدل « او » .

(٤) في (ف) « فإذا » بالفاء .

(٥) « من » ساقطة من (ح) .

(٦) متفق عليـه أخرجه : البخاري فـي كتاب العمل في الصلاة ، باب مـا ينهى عن الكلام في الصلاة (٢ / ٥٩) من حـديث زيد بن ارقم - رضي الله عنه - ، وأخرجـه أيضاً في كتـاب التفسير ، باب وحافظوا على الصـلاة والصلاة الوسطى من سورة البقرة (٥ / ١٦٢) ، ومـسلم في كتاب المسـاجد باب تحريم الكلام في الصلاة (٣٨٣/١) ، والنسائي في كتاب السهو ، باب الكلام في الصلاة (١٨/٣) وأحمد في المسند (٣٦٦/٤) .

(٧) المثبت من (م ، ح ، ق ، ف) وفي بقية النسخ « شاء » .

(٨) « أحدث » توجد بهامش (ح) .

(٩) أخرجـه البخاري تعليـقا بصيغة الجزم ، في كتـاب التوحيـد ، باب قول الله تعـالى : ﴿ **كل يوم هو في شـأن** ﴾ (٢٠٧/٨) عن ابن مسـعود - رضي الله عنه - ، قال البـخاري : قال ابن مسـعود عن النبي - صلى الله عليه وسلم أن الله - عز وجل - يحـدث من أمره مـا يشاء » وأخرجـه موصولا : أبو داود في كـتاب الصـلاة ، باب رد السلام في الصلاة (٢٤٣/١) من طريـق موسى ابن اسمـاعيل حـدثنا ابان حدثنا عـاصم عن أبي وائل عن عبد الـله قال : كنا نسلم في الصلاة ونأمر بحاجتنا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يصلي فـسلمت فلم يرد عليَّ السلام فأخذني ما قدم وما صرت (أي أخذته همومه وأفكاره القديمة « النهاية (٣٥١/١) . فلما قضى رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - الصلاة قال : إن الله يحدث من أمره ما يشاء ... الحديث واسناده حسن ورجاله موثقون كلهـم . وأخرجه من طرق عن عاصم ... به كل من : النسائي في كتاب السهو ، باب كلام في الصلاة (١٩/٣) وأحمد في المسند (٣٧٧/١، ٤٣٠، ٤٦٣) .

(١٠) في (ف) زيادة « واو » والصواب بدونها .

(١١) انظر : اتفـاق العلمـاء على بطلان قـول المتكلم في الصـلاة ،في بدائع الصـنائع للكاسـاني (٢٣٣/١) المهـذب للشيرازي (٨٦/١) ، المغنى لابن قدامه (٥١/٢ ، ٤٤) ، القوانين الفقهية لابن جزي (ص : ٥١) .

(١٢) في (ف) « انما » .

وأيضا [في](1) « الصحيحين » عن النبي - ﷺ - أنه قال : « **إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم(2) به(3) أو تعمل به** »(4) فقد أخبر أن الله [تجاوز و(5)] عفا عن حديث النفس(6) إلى أن تتكلم(7) ، ففرق بين حديث النفس وبين الكلام ، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به [المرأ](8) ، والمراد حتى ينطق به اللسان باتفاق العلماء ، فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة ، لأن الشارع كما قرر ، إنما خاطبنا بلغة العرب .

وأيضاً ففي « السنن » أن معاذا قال :(9)يا رسول الله [أو إنا](10) لمؤاخذون بماتتكلم به ؟ فقال : « **وهل يكب الناس في النار على [وجوههم أو على](11) مناخرهم إلا حصائد**

---

(١) المثبت من (ح ، س) وفي بقية النسخ « ففي » .

(٢) في (ح) « تكلم » .

(٣) « به » ساقطة من (هـ) .

(٤) متفق عليه أخرجه : البخاري في كتاب العتق ، باب الخطأ والنسيان في العتاق والطلاق (١١٩/٣) من حديث أبي هريره - رضي الله عنه - مرفوعاً . فذكره ، وفيه: ما وسوست به صدورها بدل : « ما حدثت به نفسها » والمعنى واحد . واعاد اخراجه بنفس اللفظ هنا من حديث أبي هريره ايضا في كتاب الطلاق ، باب الطلاق في الاغلاق (١٩٦/٦) ، وكتاب الايمان والنذور ، باب اذا حنث ناسياً في الأيمان (٢٢٥/٧) وأخرجه من حديث أبي هريره - رضي الله عنه - أيضا كل من : مسلم في كتاب الإيمان، باب ما تجاوز الله عن حديث النفس (١١٧/١) ، وأبو داود في كتاب الطلاق ، باب الوسوسة في الطلاق (٢٦٥/٢) والنسائي في كتاب الطلاق ، باب من طلق في نفسه (١٥٦/٦) والترمذي في كتاب الطلاق ، باب ما جاء فيمن يحدث نفسه بطلاق امرأته (٤٨٩/٣) ، وابن ماجه في كتاب الطلاق ، باب طلاق المكره والناسي (٥٦٨/١)، وأحمد في المسند (٤٢٥/٢) وليس فيه: « وتعمل به » وأعاد إخراجه في (٤٧٤/٢ ، ٤٨١ ، ٤٩١) .

(٥) المثبت من (ف ، س ، ح) وفي بقية النسخ « عفا عن » .

(٦) في (ف ، م) « إلا » .

(٧) في (م ، ح) « يتكلم » .

(٨) « المرأ » مثبت من (ف) وساقط في بقية النسخ .

(٩) في جميع النسخ زيادة « له » ما عدا (ح) وهي الصواب .

(١٠) في (ح) « أو إنا » كما هو مثبت ، وفي بقية النسخ « وإنا » .

(١١) ما بين المعكوفتين مثبت من (ح ، ف ، ق ، م) وساقط في بقية النسخ ، وفي (م) زيادة: « وقال على » بزيادة « قال» .

ألسنتهم »[١]. فبين أن الكلام إنما هو ما يكون باللسان ، وفي [الصحيحين][٢] عن النبي - ﷺ - أنه قال: «أصدق كلمة قالها الشاعر[٣] كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[٤].

وفي « الصحيحين »[٥] أنه قال : «كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم[٦] » .

وقد قال الله[٧] تعالى : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف : ٤-٥] .

وفي « الصحيح »، عن النبي - ﷺ - أنه قال[٨]: « أفضل الكلام بعد القرآن أربع [كلمات][٩] وهن في[١٠] القرآن : سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، و الله أكبر ».رواه مسلم[١١] .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في حرمة الصلاة (١/٥) من طريق ابن أبي عمر حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعاني عن معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ - رضي الله عنه - قال : فذكره وهو حديث « رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح والذي يظهر والله أعلم أن الحديث حسن لأن عاصم بن أبي النجود لا يعد من رجال الصحيح المجرد وقد أخرجه من طرق عن معمر ... به ، ابن ماجه في كتاب الفتن ، باب كف اللسان في الفتنة (٢ / ١٣١٤) ، وأحمد في المسند (٥/٢٣١) ولهذا الإسناد - أي الذي أخرجه الترمذي - شاهد آخر يتقوى به فيرتقي إلى درجة الصحيح لغيره ، وهو ما أخرجه أحمد في المسند أيضا (٥/٢٣٧) من طريق محمد بن جعفرحدثنا شعبة عن الحكم قال سمعت عروة بن النزال يحدث عن معاذ ابن جبل قال : أقبلنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غزوة تبوك فلما رأيته خاليا قلت يا رسول الله » .وهذا الإسناد صحيح ، رجاله ثقات ، غير عروة بن النزال وهو التميمي ، ذكره ابن حبان في ثقاته ، وقال الحافظ : مقبول وقد تابعه أبو وائل وهوشقيق بن سلمه ، ثقة ، في الحديث السابق عن معاذ ، فيعتضد به ، وبهذا يرتقي الحديث إلى درجة الصحيح لغيره ، والله أعلم . انظر : الثقات لابن حبان (٥/١٩٦) التهذيب (٤/ ٣٦٢) ، التقريب (٢/ ٢٠) .

(٢) المثبت من (ح) وفي بقية النسخ « الصحيح » .

(٣) « الشاعر » ساقطة من (ح) .

(٤) سبق تخريجه (ص :١٦٤) من هذه الرسالة .

(٥) في (ح ، ق) زيادة « عنه » .

(٦) سبق تخريجه (ص : ١٦٥) من هذه الرسالة .

(٧) « لفظ الجلالة » ليس في (ف ، ق ، س) .

(٨) « أنه » ساقطة من (ح) .

(٩) « كلمات » مثبتة من (هـ ، ح) ونص الحديث .

(١٠) في (ح ، س ، ق ، ف) « من » .

(١١) أخرجه مسلم في كتاب الأدب ، باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة (١٦٨٥/٣) من حديث سمرة بن جندب، وابن ماجة في كتاب الأدب ، باب فضل التسبيح (٢ / ١٢٥٣) ، وأحمد في المسند (٥/٢٠)، والبغوي في شرح السنة (٥/٩٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ / وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : ١٠] . [٤٨/أ]
ومثل هذا كثير .

وفي الجملة ، حيث ذكر الله في كتابه عن أحد من الخلق من الأنبياء ، أو أتباعهم ، أو [مكذبيهم][(١)] أنهم قالوا ، ويقولون ، وذلك قولهم ، وأمثال ذلك ، [فإنه إنما[(٢)]] يعني به المعنى مع اللفظ ، فهذا اللفظ وما تصرف منه من فعل ماض ومضارع وأمر ، ومصدر واسم فاعل ، من لفظ القول والكلام ونحوهما، إنما يعرف في القرآن والسنة ، وسائر كلام العرب ، إذا كان [لفظاً][(٣)] ومعنى ، وكذلك أنواعه ، كالتصديق والتكذيب ، والأمر والنهي ، وغير ذلك . وهذا مما لا يمكن أحداً جحده ، فإنه أكثر من أن يحصى . ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم لا من أهل السنة ، ولا من أهل البدعة ، بل أول من عُرِفَ في الإسلام أنه جعل مسمى الكلام المعنى فقط[(٤)] ، هو عبد الله بن سعيد بن كُلاَّب[(٥)] ، وهو متأخر في زمن محنة أحمد بن حنبل [- رضي الله عنه -][(٦)] وقد أنكر ذلك عليه علماء السنة، وعلماء البدعة ، فيمتنع أن يكون الكلام - الذي هو أظهر صفات بني آدم ، كما قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٣] ولفظه لا [تحصى][(٧)] وجوهه كثرة[(٨)] - لم يعرفه أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاء من قال فيه قولا لم يسبقه [إليه أحد[(٩)]] من المسلمين ولا غيرهم .

---

(١) في (أ) « تكذيبهم » والمثبت من بقية النسخ .

(٢) ما بين المعكوفتين مثبت من (ح ، م ، ق) وفي بقية النسخ « فإنما يعني » .

(٣) في (أ ، س ، مح) « اللفظ » والمثبت من بقية النسخ .

(٤) انظر قول ابن كلاب عند الأشعري في المقالات (ص ٥٨٤ - ٥٨٥) ، ط ريتر ، والمجرد لابن فواك (ص :٣٢٨) وأصول الدين للبغدادي (ص : ١٠٨) .

(٥) توفى ابن كلاب على الأرجح سنة ٢٤١هـ . انظر : هداية العارفين للبغدادي (ص : ٤٤٠) ، وتوفى الامام أحمد سنة ٢٤١هـ انظر : سير أعلام النبلاء (١١/٣٣٢) ، فهو معاصر له .

(٦) ما بين المعكوفتين مثبتة من (م) .

(٧) في (أ ، س) « لا يحصى » والمثبت من باقي النسخ .

(٨) في (ح ، ق ، ف) « كثيرة » وفي هامش (ف) « كثرة » .

(٩) المثبت من (م ، مح) وفي بقية النسخ « أحد إليه » .

فإن قالوا : فقد قال [الله][1] تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ [المجادلة: ٨] وقال : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] .

قيل : إن كان المراد أنهم[2] قالوه بألسنتهم سراً ، فلا حجة فيه ، وهذا الذي ذكره المفسرون[3] ، قالوا : كانوا يقولون : سام عليك ، فإذا خرجوا يقولون في أنفسهم ، أي : يقول بعضهم لبعض : لو كان نبياً عذبنا بقولنا له ما نقول . وإن قدر أنه أريد بذلك أنهم قالوه في قلوبهم ، فهذا قول مقيد بالنفس ، مثل قوله : « عما حدثت بها أنفسها »[4] ولهذا قالوا : ﴿ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا[5] اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾[6] [المجادلة : ٨] فأطلقوا لفظ القول هنا ، والمراد به ما قالوه بألسنتهم ، لأنه النجوى والتحية التي نهوا عنها[7] كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى / ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ [٤٨/ب]
وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ[8] اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [المجادلة : ٨] مع أن الأول هو الذي عليه [أكثر المفسرين][9] وعليه تدل[10] نظائره ، فإن النبي ﷺ : قال : « يقول الله [11] : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ،

---

(١) « لفظ الجلالة » مثبت من (مح ، هـ).

(٢) في (ف) « بأنهم » .

(٣) انظر تفسير ابن جرير (٢٨/١٠-١٢) ، زاد المسير لابن الجوزي (٨/١٨٩ - ١٩٠) تفسير ابن كثير (٤/٣٢٣) الدر المنثور للسيوطي (٨/٧٩ - ٨٠) وانظر أسباب النزول (ص : ٤٧٤) .

(٤) جزء من حديث "إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به نفسها" سبق تخريجه (ص : ٧٦) من هذه الرسالة .

(٥) في (مح ، هـ) « يؤاخذنا » .

(٦) الجملة قبل سطر مكررة في (س) من قوله : « وأن قدر أنه أريد بذلك أنهم قالوه في قلوبهم فهذا قول مقيد » .

(٧) « نهو عنها » ساقطة من (هـ ، مح) .

(٨) « به » ساقطة من (مح) .

(٩) « أكثر » مثبتة من (م ، ف ، ق ، ح) وساقطة من باقي النسخ .

(١٠) في (ف) « يدل » .

(١١) « يقول الله » ساقطة من (ح) .

ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه »[(١)] ، ليس المراد أنه لا يتكلم //[(٢)] به بلسانه ، بل المراد أنه ذكر الله // بلسانه .

وكذلك قوله[(٣)]: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] هو الذكر باللسان والذي يقيد بالنفس لفظ الحديث [كما][(٤)] يقال حديث النفس .

ولم[(٥)] يوجد عنهم[(٦)] أنهم قالوا : كلام النفس [وقول النفس][(٧)] كما قالوا : حديث النفس ، ولهذا يعبر بلفظ الحديث عن الأحلام التي ترى في المنام ، كقول يعقوب عليه السلام[(٨)] : ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف : ٦] وقول[(٩)] يوسف : ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف : ١٠١] وتلك في النفس ،لا تكون[(١٠)] باللسان. فلفظ[(١١)] الحديث قد يقيد بما في النفس ، بخلاف لفظ الكلام ، فإنه لم يعرف أنه أريد[(١٢)] به ما في النفس قط[(١٣)] .

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ (١٧١/٨) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعا بلفظ : « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه اذا ذكرني ... الخ الحديث ومسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب الحث على ذكر الله تعالى ، وفي باب فضل الذكر (١٠٦١/٤) ، والترمذي في كتاب الدعوات ، باب في حسن الظن بالله عز وجل (٥ / ١٨١) ، وابن ماجه في كتاب الأدب ،باب فضل العمل (٢ / ١٢٥٥) ، وأحمد في المسند (١/ ٢٥١ ، ٤٠٥ ، ٤١٣ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢) .

(٢) ما بين العلامتين // ــــ // ساقطة من (م) .

(٣) في (ح) « قول » .

(٤) « كما » مثبتة من (ح) وساقطة في بقية النسخ .

(٥) في (ف) « ولو يوجد » .

(٦) أي عن المفسرين .

(٧) « وقول النفس » مثبت من (ف ، ح ، س) .

(٨) « عليه السلام » ساقطة من (م ، ح ، ق) وفي (س) « صلى الله عليه وسلم » .

(٩) « وقول يوسف » ساقطة من (ح ، م ، ق) وبدلا عنها **﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين ﴾** [يوسف : ١٠١] .

(١٠) في (ف ، س) « لايكون » .

(١١) في (ف) « ولفظ » بالواو .

(١٢) في (ف) « يريد » .

(١٣) في (ق) « فقط » .

وأما قوله تعالى: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الملك: ١٣] . فالمراد به القول الذي تارة يسر به[١] فلا يسمعه الإنسان // وتارة يجهر به فيسمعونه[٢]// كما يقال: أسرَّ القراءة وجهر بها، وصلاة السرّ وصلاة الجهر، ولهذا لم يقل : قوله[٣] بألسنتكم أو بقلوبكم ، وما في النفس لا يتصور[٤] الجهر به ، وإنما يجهر بما في اللسان .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الملك : ١٣] //[٥] من باب التنبيه ، يقول : إنه يعلم ما في الصدور // فكيف لا يعلم القول ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه : ٧] فنبه بذلك على أنه يعلم الجهر . ويدل على ذلك أنه قال: ﴿[٦] وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الملك :١٣] فلو[٧] أراد بالقول ما في النفس لكونه ذكر علمه بذات الصدور ، لم يكن قد ذكر علمه بالنوع الآخر وهو الجهر، وإن قيل : نبَّه[٨] ، قيل بل[٩] نبه على القسمين . وقوله تعالى[١٠] / [٤٩/أ] ﴿آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا ﴾ [آل عمران :٤١] قد ذكر هذا في قوله : ﴿ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾[مريم:١٠] وهناك لم يستثنِ شيئاً، والقصة واحدة، وهذا يدل على أن

---

(١) في (ح) « يسره العبد » ، وفي (ق) « يسر به العبد »

(٢) مابين العلامتين // ـــــ // يوجد بهامش (أ) .

(٣) في (م) « قوله » .

(٤) في (ح) « نتصوره » .

(٥) ما بين العلامتين // ـــــ // يوجد بهامش (أ) .

(٦) « الواو » ساقطة من (مح ، ح ، ف ، س) .

(٧) في (ح) « قالوا » بدل « فلو » .

(٨) في (ح) زيادة « به » .

(٩) « بل » ساقطة من (ف ، ق ، ح) .

(١٠) « تعالى » ساقطة من (س) .

الاستثناء منقطع[١]، والمعنى : آيتك ألا تكلم الناس[٢] ، لكن ترمز، لهم رمزاً ، كنظائره[٣] في القرآن، وقوله[٤]، ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ﴾ [مريم: ١١] هو الرمز ، ولو قدر أن الرمز استثناء متصل لكان قد دخل في الكلام المقيد بالاستثناء ، كما في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى : ٥١] .

لا يسمى حديث النفس كلاماً

ولا يلزم من ذلك أن يدخل في لفظ الكلام المطلق //[٥] فليس في لغة القوم أصلا ، ما يدل على أن ما[٦] في النفس يتناوله لفظ الكلام[٧] والقول المطلق // فضلا عن التصديق والتكذيب ، فعلم أن من لم يُصَدِّق بلسانه مع القدرة ، لا يسمى في لغة [القوم[٨]مؤمنا] كمااتفق على ذلك سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

وقول عمر - رضي الله عنه - : « زورت في نفسي مقالة أردت أن أقولها[٩] » ، حجة عليهم[١٠] ، قال أبو عبيد[١١] : « التزوير : إصلاح الكلام[١٢] وتهيئته[١٣] » قال : وقال أبو

---

(١) انظر تفسير ا لبحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٤٥٢) .
(٢) في (ح ، ق ، م) بزيادة : « ثلاثة أيام إلا رمزا » والصواب بدونها .
(٣) في (س) « لنظائره » .
(٤) « الواو » ساقطة من (ف) .
(٥) مابين العلامتين // ــــ // ساقط من (ح) ويوجد بهامش (أ) .
(٦) في (ف) « إنما » .
(٧) في (م) « أو القول » والواو « القول » ساقط من (ف) .
(٨) في جميع النسخ [مصدقا فليس بمؤمن] والصواب ما أثبت وهو مقتضى الكلام .
(٩) قول عمر - رضي الله عنه - زوّرت جزء من حديث السقيفة الذي أخرجه البخاري في كتاب الحدود ، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت (٢٠٨/٨) ، وأحمد في المسند (١/٥٥ - ٥٦) .
(١٠) في (ف) زيادة « واو » والصواب بدونها .
(١١) هو القاسم بن سلام البغدادي الهروي أبو عبيد أمام لغوي ثقة فاضل ، كان أبوه سلاّم مملوكا لرجل هروي فنسب إليه ، روى عن اسماعيل بن جعفر ، وشريك بن عبد الله وهشيم ، وروى عنه نصر بن داود ، وأبو بكر الصاغاني وابن أبي الدنيا ، صنف كتبا كثيرا منها « غريب الحديث » ، و« الأموال » توفي سنة ٢٢٤هـ . انظر : طبقات ابن سعد (٣٥٥/٧) سير أعلام النبلاء (٤٩٠/١٠) ، تهذيب التهذيب (٣١٥/٨) .
(١٢) في (ف) « الكلم » .
(١٣) انظر قول أبي عبيد في غريب الحديث (٣ /٢٤٢) .

زيد[١] : المزور من الكلام والمزوق واحد ، وهو المصلح [الحسن][٢] وقال غيره : زورت في نفسي مقالة ، أي : هيأتها لأقولها ، [فلفظه][٣] يدل على أنه قدَّر في نفسه ما يريد أن [يقوله][٤] ولم يقله ، فعلم أنه لا يكون قولاً إلا إذا قيل باللسان ، وقبل[٥] ذلك لم يكن قولا ، لكن كان مقدراً في النفس ، يراد أن يقال ، كما يُقَدِّرُ الإنسان في نفسه أنه يحج وأنه يصلي، وأنه يسافر إلى غير ذلك، فيكون لما[٦] يريده من القول والعمل ، صورة ذهنية مقدرة في النفس، ولكن لا يسمى قولا وعملا إلا[٧] إذا [وجد][٨] في الخارج ، كما أنه لا يكون حاجاً ومصلياً إلا إذا وجدت هذه الأفعال في الخارج ، ولهذا كان ما يَهِمُ به المرء من الأقوال المُحّرَمَة والأفعال المحرَّمة لا يكتب[٩] عليه حتى يقوله ويفعله[١٠] ، وماهمّ به من القول الحسن والعمل الحسن إنما يكتب له به حسنة واحدة ، فإذا صار قولا وفعلا كُتِّبَ له به[١١] عشر حسنات إلى سبعمائة[١٢] .

---

(١) هو سعيد بن أوس بن ثابت ابن بشير بن صاحب رسول الله ﷺ أبي زيد الأنصاري البصري النحوي (نيف وعشرين ومائة - ٢١٥هـ) حدث عن سليمان التيمي وعوف الأعرابي ورؤبة بن العجاج وعدة ، وحدث عنه خلف بن هشام البزار ، وابي عبيد القاسم ، وأبو حاتم الرازي . قال أبي ابي حاتم : « سمعت أبي يُحَمِّل القول فيه ويرفع شأنه ويقول : هو صدوق ، وعن ابي عثمان المازني قال : كنا عند ابي زيد فجاء الإصمعي فأكب على رأسه وجلس وقال : هذا عالمنا ومعلمنا منذ ثلاثين سنة . انظر : تاريخ بغداد (٧٧/٩) ، سير أعلام النبلاء (٤٩٤/٩) ، بغية الوعاة (٥٨٢/١) .

(٢) في (أ ، ح ، ق ، م) « المُحَسَّنُ » وفي بقية النسخ « الحسن » ، وفي غريب الحديث « الحسن » انظر : (٢٤٢/٣) من غريب الحديث .

(٣) في (هـ) « فلفظها » ، وفي (ح) « فلفظه بذلك » .

(٤) في (مح ، هـ ، م) « يقول » ، وفي (ق) « فلم يقله » .

(٥) في (هـ ، ح ، ف ، س) « وقيل » .

(٦) في (ف) « مما » وهامش « ف » كما هومثبت .

(٧) « إلا » ساقطة من (س) .

(٨) ما أثبت من (ح ، مح ، س) وفي بقية النسخ « وجدت » .

(٩) المثبت من (أ) وفي بقية النسخ « تكتب » .

(١٠) في (م) « ويفعل » .

(١١) « به » ساقطة من (م) .

(١٢) اشارة إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب إذا هم العبد بحسنه كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب (١٤٨/٢) .

//(١) وما هم به من القول والعمل السيء فلم يتركه // عوقب به(٢) كما قال النبي ﷺ / « إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم(٣) به أو تعمل »(٤) . وأما البيت [٤٩/ب] الذي يُحكى عن الأخطل(٥) أنه قال :

إن الكلام لفي الفؤاد وانما   جعل اللسان على الفؤاد دليلاً(٦)

فمن الناس من أنكر أن يكون هذا من شعره ، وقالوا : إنهم فتشوا دواوينه فلم يجدوه ، وهذا يروى عن أبي محمد ابن الخشاب(٧) ، وقال بعضهم : لفظه : إن البيان لفي الفؤاد ...

---

(١) مابين العلامتين // ـــــ // يوجد في هامش (أ) وساقط من بقية النسخ .

(٢) في (ق وهامش هـ) « إذا قال أو فعل » .

(٣) في (م ، ح) « تكلم » .

(٤) سبق تخريجه (ص : ٧٦ ، ٢١٥) من هذه الرسالة .

(٥) هو غوث بن غيـاث وقيل غياث بن عـوث بن الصلت بن طارقة ابن عمرو التـغلبي النصراني ، الشاعـر المشهور في زمن بني أمية وكان يُشبَّه من شعراء الجاهلية بالنابغة الذبياني ، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل زمانهم ، الفرزدق وجرير والأخطل ، قـيل للفرزدق : من أشعر الناس ؟ قـال : كفاك بي إذا افتخـرت وبجرير إذا هجا وبابن النصرانية إذا مـدح ، كان حسن الديباجـة ، في شعره ابداع وكان كثـيرالمدح لأمراء بني أميـة فأجازوا له العطاء . مات سنة ٩٠هـ قـال عنه الذهبي : قيل إن الأسـقف قيده وأهانه فـلامه الناس في صبـره عليه فـقال : إنه الدِّين انه الدِّين . انظر: الشعر والشعراء (ص : ٤٥٥) طبقات فحول الشعراء لابن السلام الجمحي (ص : ٤٥١ ـ ٤٩٠ ، سير أعلام النبلاء (٥٨٩/٤) .

(٦) هذا البيت لا يوجد في ديوان الأخطل ـ الذي جـمعه السكري من شعره عام ١٨٩١م ـ لكن يـورده أئمة الأشاعرة كثيرا في كتبهم . انظر : التمهيد للباقلاني (ص: ٢٥١) ط مكارثي ، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص : ٧٥) الآمدي في غاية المرام (ص : ٩٧) وقال محقق الكتـاب في الحاشية: ان بعض طابعي ديوان الأخطل ، اضافوا هذا البيت إلى ما نُسِبَ إليه ؟ وهذا يقوي كلام شيخ الإسلام هنا وفي مـجموع الفتاوى (٢٩٧/٦) حيث ذكر كلاماً شبيهاً بذلك . وانظر المجرد لابن فورك (ص : ٩٨) حيث نسبه إلى الحطيئة .

(٧) هو عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله البغدادي المعروف بأبي مـحمد بن الخشاب (٤٩٢-٥٦٧)هـ امام النحو والعربية والأدب يضرب به المثل في العربيـة حتى قيل أنه بلغ رتبة أبي علي الفارس سمع من أبي القاسم علي بن الحسين الرَّبعي ، ويحيى بن عبد الـوهاب بن منده ، وهبة الله بن الحصين حـدث عنه السمعـاني والحافظ عبد الغني المقدسي وابو البقاء العكبري ، والشيخ الموفق بن قدامة : قال السمعاني : هوشاب كامل فاضل له معرفة تامة بالأدب واللغة والنحو والحديث . توفى ببغـداد . انظر : معجم الأدباء (٤٧/١٢) ، أنباء الرواه (٩٩/٢)، سير أعلام النبلاء (٥٢٣/٢٠) .

ولو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في «الصحيحين» عن النبي - ﷺ - لقالوا : هذا خبر واحد[(١)] ، ويكون [مما][(٢)] اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول[(٣)] ، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد[(٤)] لا واحد ولا أكثر من واحد ، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول ، فكيف يثبت [به][(٥)] أدنى شيء من اللغة ، فضلا عن مسمى الكلام ، ثم[(٦)] يقال : مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يُحْتَاجُ فيه إلى قول شاعر[(٧)] ، فإن هذا مما تكلم[(٨)] به الأولون والآخرون من أهل اللغة ، وعرفوا معناه في لغتهم ، كماعرفوا مسمى الرأس واليد والرجل .

وأيضاً فالناطقون باللغة ، يحتج باستعمالهم للألفاظ في معانيها ، لا بما يذكرونه من الحدود ، فإن أهل اللغة الناطقين [بها][(٩)] لا يقول أحد منهم : إن الرأس كذا ، واليد كذا ، والكلام كذا ، واللون كذا ، بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها ، فتعرف[(١٠)] لغتهم من استعمالهم .

---

(١) انظر مشكل الحديث لابن فورك (ص: ٢٢) التمهيد للباقلاني (ص: ٣٨١) ، أصول الدين للبغدادي (ص:١٢، ١٨) الارشاد للجويني (ص: ١٦١، ٣٥٩، ٤١٦) أساس التقديس للرازي (ص :١٦٨) .

(٢) في (أ) « ما » والمثبت من بقية النسخ .

(٣) في (م) « ويكون العلماء اتفقوا على تصحيحه وتلقيه بالقبول » .

(٤) في (مح ، هـ) زيادة « صحيح » .

(٥) في (أ) « فيه » والمثبت من باقي النسخ .

(٦) في (ف) « بما » بدل « ثم » .

(٧) المثبت من (أ ، ح ، ف) وفي باقي النسخ « الشاعر » .

(٨) يقول ابن حزم عن هذا البيت : « ليس من باب اللغة التي يحتج فيها بالعربي وان كان كافرا وانما هي قضية عقلية فالعقل والحس يكذبان هذا البيت وقضية شرعية فالله عز وجل أصدق من النصراني اللعين اذ يقول عز وجل : ﴿ **يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم** ﴾ [الفتح : ١١] » الفصل (٢٦١/٣) .

(٩) « بها » مثبتة من (م) .

(١٠) في (ف) « فيعرف » .

فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى الكلام ، ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة ، وإنما أراد - إن كان قال[(١)] ذلك - [ما][(٢)] فسره به[(٣)] المفسرون للشعر ، أي : أصل الكلام من الفؤاد، وهو المعنى ، فإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه ، فلا [تثق][(٤)] به، وهذا كالأقوال التي ذكرها الله [تعالى][(٥)] عن المنافقين و[(٦)]ذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، ولهذا قال الشاعر[(٧)] :

لا[يعجبنك][(٨)] من أثير[(٩)] خطبة[(١٠)] حتى يكون مع الكلام أصيلا

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعِلَ اللِسانُ على الفؤادِ دَليلا

نهاه أن يعجب بقوله الظاهر ، حتى يعلم ما في قلبه من الأصل ، ولهذا قال / : حتى [٥٠/أ] يكون مع الكلام أصيلا . وقوله : مع الكلام دليل على أن [اللفظ][(١١)] الظاهر قد سماه كلاما، وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه ، وهذا حجة عليهم ، فقد اشتمل شعره على هذا وهذا ، بل قوله : مع الكلام مطلق ، وقوله : إن الكلام لفي الفؤاد ، أراد به أصله ومعناه[(١٢)] المقصود به ،واللسان دليل[(١٣)] على ذلك .

---

(١) « قال » ساقطة من (ح) .

(٢) في (أ ، ق) « مما » والمثبت من بقية النسخ .

(٣) « به » ساقطة من (ح ، ف) .

(٤) في (أ) « يثق » والمثبت من بقية النسخ .

(٥) « تعالى » مثبتة من (س) .

(٦) الواو ساقطة من (ف ، مح ، هـ) .

(٧) « الشاعر » توجد بهامش (أ) وساقطة في بقية النسخ .

(٨) في (أ ، ق) « تعجنك » .

(٩) المثبت من (أ) وفي الديوان وبقية النسخ « خطيب » .

(١٠) في (مح ، ح) « خطة » وفي (م) « خطبته » والمثبت من بقية النسخ والديوان .

(١١) المثبت من (ف ، س ، ق ، ح) وفي بقية النسخ « للفظ » .

(١٢) في (أ ، م ، ح) زيادة « واو » والصواب بدونها .

(١٣) في (ح) « دليلا » .

وبالجملة فمن احتاج إلى أن يعرف مسمى الكلام في لغة العرب ، والفرس ، والروم ، والترك ، وسائر أجناس بني آدم بقول الشاعر ، فإنه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم ، ثم هو من [المولدين](١) ليس(٢) من الشعراء القدماء //(٣) وهو نصراني كافر مثلّث ، واسمه الأخطل ، والخطل فساد في الكلام // وهو نصراني ، والنصارى قد أخطؤوا في مسمى الكلام ، فجعلوا المسيح القائم بنفسه هو نفس كلمة الله(٤) .

فتبين أنه إن(٥)كان الإيمان في اللغة هو التصديق ، والقرآن إنما أراد به مجرد التصديق الذي هو قول، ولم يسم العمل تصديقا، فليس الصواب إلا قول المرجئة : إنه اللفظ والمعنى ، أو قول الكرامية : إنه قول باللسان فقط ،فإن تسمية قول اللسان قولا أشهر في اللغة من تسمية معنى في القلب قولا(٦) ، كقوله(٧) تعالى: ﴿ **يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**﴾ [الفتح : ١١] ، وقوله تعالى(٨) : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة : ٨] وأمثال ذلك بخلاف ما في النفس ، فإنه إنما [يسمى](٩)حديثا .

---

(١) في (أ) « التوالدين » والمثبت من بقية النسخ ، والمولدين جمع مولد وهو المحدث من كل شيء ، ومنه المولدون من الشعراء سمو بذلك لحدوثهم وقيل المولد : العربي غير المحض ، أو هو : مَنْ وُلِدَ عند العرب ونشأ مع أولادهم وتأدب بآدابهم . وقيل المولد هم الذين يستعملون اللفظ العربي الذي يستعمله الناس بعد عصر الرواية . انظر : المعجم الوسيط مادة « ولد » (ص١٠٥٦) .

(٢) توجد « واو » في (ف ، هـ ، مح) .

(٣) ما بين العلامتين // ـــــ // ساقطة من مح .

(٤) انظر مناقشة المؤلف ورده على النصاري فيما أخطأوا فيه ، في مسمى الكلام في كتابه الرائع الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/٥-٢٦) في تسعة عشر ووجها . وانظر كذلك الفصل لابن حزم (٣/٢٦١) .

(٥) « أن » توجد بهامش (س) .

(٦) « قولا » ساقطة من (ف) .

(٧) في (س) « لقوله » .

(٨) « تعالى » ساقطة من (م ، ح) .

(٩) المثبت من (ح ، ق ، هـ) وفي بقية النسخ « سُمِّي » .

والكرامية يقولون : المنافق مؤمن ، وهو مخلد في النار ، لأنه آمن ظاهرا لا باطنا ، وانما يدخل الجنة من آمن [ظاهراً وباطناً][1] .

قالوا : والدليل على شمول الإيمان له ، أنه يدخل في الأحكام الدنيوية[2] [المتعلقة][3] باسم الإيمان كقوله تعالى : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء : ٩٢] ، ويخاطب في الظاهر بالجمعة ، والطهارة ، وغير ذلك مما خوطب به الذين آمنوا .

وأما من صدّق بقلبه ولم يتكلم بلسانه ، فإنه [لا يتعلق][4] به شيء من أحكام الإيمان ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [البقرة : ١٠٤] فعلم أن قول / الكرامية في الإيمان وإن كان باطلاً مبتدعاً لم يسبقهم إليه [٥٠/ب] أحد ، فقول الجهمية أبطل منه ، وأولئك أقرب إلى الاستدلال باللغة والقرآن والعقل من الجهمية .

موافقة الكرامية للمرجئة والجهمية

والكرامية توافق المرجئة والجهمية في أن[5] إيمان الناس كلهم سواء ولا يستثنون في الإيمان ، بل يقولون : هو مؤمن حقا لمن أظهر الإيمان ، وإذا[6] كان منافقا فهو مخلد في النار عندهم ، فإنه إنما يدخل الجنة من آمن باطنا[7] وظاهرا ، ومن حكى عنهم أنهم يقولون :

---

(١) المثبت من (هـ ، مح) وفي بقية النسخ باطنا وظاهرا ، وانظر قول الكرامية في الفصل لابن حزم (٥ / ٧٣ - ٧٥) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص :٢٠٢ - ٢١٤)، الملل والنحل للشهرستاني (١/١٠٨ - ١١٣) الخطط للمقريزي (٢/٣٤٩ - ٣٥٧) ، والرد عليهم في المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلي (ص : ١٨٧) ، شرح العقيدة الطحاوية (ص:٣٨٣) .

(٢) في (هـ) « الدينية » .

(٣) المثبت من (ف) وفي بقية النسخ « المعلقة » .

(٤) المثبت من (م ، ح) ، وفي (أ) « تتعلق » وفي (هـ ، ف ، س ، مح) « يعلق ».

(٥) « أن » ساقطة من « ح » .

(٦) في (م) « فإذا » .

(٧) في (ف) « ظاهراً وباطناً » .

المنافق يدخل الجنة ، فقد كذب عليهم[١] ، بل يقولون : المنافق مؤمن [لا أن][٢] الإيمان هو القول الظاهر ، كما يسميه غيرهم مسلما[٣] ، إذ الإسلام : هو الاستسلام الظاهر ، ولا ريب أن قول الجهمية أفسد من قولهم ، من وجوه متعددة شرعاً ولغة وعقلاً .

وإذا قيل : قول الكرامية قول خارج عن إجماع المسلمين[٤] ، قيل: [[٥] وقول جهم[٦] في الإيمان قول خارج عن إجماع المسلمين] بل السلف كفّروا من يقول بقول جهم في الإيمان ، وقد احتج الناس على فساد قول الكرامية بحجج صحيحة ، والحجج من جنسها على فساد قول الجهمية أكثر[٧] ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٨] قالوا : فقد نفى الله الإيمان عن المنافقين .

فنقول[٨] : هذا حق . فإن المنافق ليس بمؤمن ، وقد[٩] ضل من سماه مؤمناً ، كذلك[١٠] من قام بقلبه علم وتصديق وهو يجحد الرسول ويعاديه ، كاليهود وغيرهم ، سماهم الله[١١] كفارا [و[١٢]] لم يسمهم مؤمنين قط ، ولا دخلوا في شيء من أحكام الإيمان ، بخلاف المنافق فإنه يدخل في أحكام الإيمان [الظاهرة][١٣] في الدنيا ، بل قد نفى

---

(١) انظر الفصل لابن حزم (٥/٧٤ - ٧٥) والفرق بين الفرق (ص :٢٠٢) ، والملل والنحل (١/١٠٨) وانظر الكرامية لسهير مختار (ص ٢٩٧ - ٢٩٨) .

(٢) المثبت من (م ، هـ) وفي بقية النسخ « لأن » .

(٣) في (س) « مسلم » .

(٤) في (هـ ، م ، ح ، ف ، س) زيادة « فيهم » والصواب بدونها ، وفي (ق) « قبلهم » .

(٥) ما بين المعكوفتين ساقط من (أ) ومثبت في بقية النسخ .

(٦) في (س) « الجهمية » .

(٧) انظر الفصل لابن حزم (٥/٧٤ - ٨٠) .

(٨) في (ف) « فيقول » .

(٩) في (م ، ح) و « لقد » .

(١٠) في (ح ، ف ، ق ، س) زيادة « واو » قبل كذلك .

(١١) « لفظ الجلالة » ساقط من (هـ) .

(١٢) « الواو » مثبتة من (ف) .

(١٣) في(أ) « الظاهر » والمثبت من بقية النسخ .

الله الإيمان عمن قال بقلبه ولسانه(١) إذا لم يعمل ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا [وَلَمَّا(٢) يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُو اللهَ وَرَسُولَه لاَ يَلِتكُم مِنْ أَعْمَالِكُم شَيْئاً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِه ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِم فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات : ١٤ - ١٥] فنفى الإيمان [عن](٣) سوى هؤلاء وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ آمنا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُم مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ٤٧] والمتولي(٤) هو المتولي(٤) عن الطاعة / كما قال [تعالى](٥) : [٥١/أ]
﴿(٦) سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْراً حَسَناً وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيماً ﴾ [الفتح : ١٦] وقال تعالى : ﴿ فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾(٧) ﴾[القيامة : ٣١ - ٣٢] وقد قال تعالى(٨) ﴿ لاَ يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾[الليل : ١٥ - ١٦] //(٩) وكذلك [قول](١٠) موسى وهارون: ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه : ٤٨] // [فعلم](١١) أن التولي ليس هو التكذيب، بل هو التولي عن الطاعة ، فإن

---

(١) في (م ، مح ، هـ) « بلسانه وقلبه » .

(٢) تكملة الآية ساقطة من (أ ، س ، ق ، ح) ومثبتة في بقية النسخ كما هو مثبت بين معكوفتين وبدلا عن بقية الآية إلى قوله ﴿ إنما المؤمنون ﴾ .

(٣) المثبت من (م ، ح) وفي بقية النسخ « عمن » .

(٤) ما أثبت من (أ ، ف) وفي بقية النسخ « التولي » .

(٥) « تعالى » ساقطة من (أ ، ف ، س) ومثبتة في باقي النسخ .

(٦) في (ح) زيادة : ﴿ قل للمخلفين من الأعراب ﴾ .

(٧) في (أ ، ح ، س ، ف ، ح) زيادة « فعلم ان التولي ليس هوالتكذيب » وفي (ف) زيادة : « بل هو التولي عن الطاعة » ومكررة بعد سطرين في نفس النسخ .

(٨) « تعالى » ساقطة من (ف) .

(٩) مابين العلامتين // ـــــ // ساقطة من (هـ) .

(١٠) ما أثبت من (ف) وفي بقية النسخ « وقال » .

(١١) المثبت من (مح ، هـ) وفي (أ) « فدلت على » . وفي (ف ، م ، س) « فدل على » .

الناس عليهم أن يصدقوا الرسول فيما[(١)] أخبر ، ويطيعوه فيما أمر ، وضد التصديق التكذيب، وضد الطاعة التولي ، [فلهذا][(٢)] قال : ﴿ فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ [القيامة ٣١- ٣٢] وقد[(٣)] قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُم مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالمؤمنين ﴾ [النور : ٤٧] ، فنفى الايمان عمن تولى عن العمل ، وإن كان قد أتى بالقول ، و[(٤)]قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَى يستئذنوه ﴾ [النور : ٦٢] . وقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٢][(٥)] .

ففي القرآن والسنة من نفى الإيمان عمن لم يأت بالعمل[(٦)] مواضع كثيرة ، كما فيهما[(٧)] نفي الإيمان عن المنافقين[(٨)] ، وأما [العالم][(٩)] بقلبه مع المعاداة والمخالفة الظاهرة ، فهذا لم يسم قَطُّ مؤمناً ، [إلاّ][(١٠)] عند الجهمية ، إذا كان العلم في قلبه فهو مؤمن كامل الإيمان ، إيمانه كإيمان النبيين ، ولو قال وعمل ، ماذا [عساه][(١١)] أن يقول ويعمل ؟! ولا يتصور عندهم أن ينتفي عنه الإيمان إلا إذا زال ذلك العلم من قلبه[(١٢)] .

---

(١) في (ف) « بما » .

(٢) في (أ) « لهذا » ، وفي « م » « ولهذا » والمثبت من بقية النسخ .

(٣) « قد » ساقطة من (م) .

(٤) « الواو » ساقطة من (ف) .

(٥) في (م ، ح ، ق) زيادة : ﴿ **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** ﴾ [الأنفال ٢ - ٤] .

(٦) في (ف) زيادة « الصالح » .

(٧) في (ف) « فيها نفي » وفي (هـ) « كما نفي فيها » .

(٨) في (هـ) « المنافق » .

(٩) في (أ) « العلم » والمثبت من بقية النسخ .

(١٠) ما أثبت من (ح ، ف ، ق) ، وفي بقية النسخ « بالواو » .

(١١) المثبت من (م ، ح ، ق) وفي بقية النسخ « عسى » .

(١٢) انظر مقالات الإسلاميين (١٣٢) ط ريتر .

تناقض الأشاعرة في معنى الاستثناء في الإيمان لأنه عندهم هو الموافاة

ثم [إن](١) أكثر المتأخرين(٢) الذين نصروا قول جهم يقولون : بالاستثناء في الإيمان ، ويقولون(٣) : الإيمان في الشرع : هو ما يوافي به العبد ربه ، وإن كان في اللغة أعم من ذلك ، فجعلوا في مسألة الاستثناء مسمى الإيمان ما ادعوا أنه مسماه في الشرع ، وعدلوا عن اللغة ، فهلا فعلوا هذا في الأعمال ؟(٤) ودلالة الشرع على أن الأعمال الواجبة من تمام الإيمان لا(٥) تحصى كثرة ، بخلاف دلالته على أنه [لا](٦) يسمى إيمانا ، إلا / ما مات الرجل عليه(٧) ، [٥١/ب] فإنه ليس في الشرع ما يدل على هذا ، وهو قول محدث لم يقله أحد من السلف(٨) ، لكن هؤلاء ظنوا أن الذين استثنوا في الإيمان من السلف كان هذا مأخذهم ، لأن هؤلاء وأمثالهم لم يكونوا خبيرين بكلام السلف ، بل ينصرون(٩) ما يظهر من أقوالهم بما تلقوه عن المتكلمين من الجهمية ونحوهم من أهل البدع ، فيبقى(١٠) الظاهر(١١) قول السلف ، والباطن قول الجهمية ، الذين هم أفسد الناس مقالةً في الإيمان ، وسنذكر - إن شاء الله(١٢) - أقوال

---

(١) « أن » مثبتة من (ف ، س) .

(٢) الشيخ هنا يقصد متأخري الكلابية والأشاعرة .

(٣) في (ف) « تقول » .

(٤) هذا إلزامٌ قوي جداً للأشاعرة والكلابية فيما ذهبوا اليه . لأنه يدل على تناقضهم في هذا لأنهم يقولون : أن الإيمان هو التصديق ، ثم يقولون إن الإيمان في الشرع هو ما يوافي به العبد ربه ، وأوجبوا الاستثناء لذلك فهذا عدول منهم عن الإيمان في اللغة إلى معنى آخر فهلا فعلوا ذلك في الأعمال .

(٥) في (ن) « زيادة « واو » والصواب بدونها .

(٦) « لا » مثبتة من (س ، ق) وساقطة في بقية النسخ .

(٧) هذا هو معنى الموافاة عند الأشاعرة ، وهو معنى آخر للايمان في الشرع بخلاف التصديق فهلا قالوا ذلك في الإعمال ايضا ؟ .

(٨) أي القول بالموافاة .

(٩) في (ف) « يبصرون » .

(١٠) في (ح ، ق) « فبقى » .

(١١) عند الأشاعرة الذين نصروا قول جهم .

(١٢) « إن شاء الله » ساقطة من (م) وفي (س) زيادة « تعالى » .

السلف في الاستثناء[(١)] [في الإيمان][(٢)] ولهذا لما صار يظهر لبعض أتباع أبي الحسن فساد قول جهم في الإيمان ، خالفه كثيرٌ منهم ، فمنهم من تبع السلف .

قال أبو القاسم الأنصاري[(٣)] شيخ الشهرستاني في شرح « الإرشاد »[(٤)] لأبي المعالي[(٥)]، بعد أن ذكر قول أصحابه قال : « وذهب أهل الأثر إلى أن الإيمان جميع الطاعات ، فرضها ونفلها ، وعبروا عنه بأنه اتيان[(٦)] ، ما أمر به [(٧)] فرضا ونفلا ، والانتهاء عما نهى [الله][(٨)]

---

(١) انظر (ص : ٦٥٨ وما بعدها) من هذه الرسالة .

(٢) « في الايمان » ساقطة من (أ ، هـ ، مح) ومثبتة في باقي النسخ .

(٣) هو سلمان بن ناصر بن عمران بن محمد الأنصاري النيسابوري الشافعي الصوفي ، تلميذ امام الحرمين الجويني روى عن فضل الله الميهني وعبد الغافر الفارسي كان يتوقد ذكاءً له تصانيف وشهرة وتزهد وتعبد ، شرح كتاب الإرشاد للجويني وغير ذلك ، توفى سنة ٥١١هـ . انظر : تهذيب تاريخ ابن عساكر (٢١٣/٦). شذرات الذهب (٣٤/٤) ، سير أعلام النبلاء (٤١٢/١٩) .

(٤) كتاب « شرح الارشاد » لأبي القاسم الأنصاري مازال مخطوطاً ، توجد منه نسخة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة . انظر : فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية (١ / ١٣٠) .

(٥) هو امام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن أبي محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني ثم النيسابوري ضياء الدين (٤٠٩-٤٧٨هـ) من أئمة الأشاعرة وشيخ الشافعية في زمانه اشتهر الجويني - خاصة بعد فتنة الأشاعرة بنيسابور والتي جاور بسببها في الحرمين ، وسُمِّيَ امام الحرمين - كأحد أعلام الشافعية والأشعرية بعد تدريسه في النظامية بنيسابور لمدة ثلاثين سنة إلى أن توفى (٤٧٨هـ) سمع من أبيه ، ابي محمد الجويني وأبي القاسم الاسفرايني والحافظ أبو نعيم الأصبهاني وأبي حسن محمد بن أحمد بن المزكى، وتتلمذ على يديه أبو حامد الغزالي وأبو القاسم الأنصاري شارح الارشاد وعبد الرحيم بن عبد الكريم أبو نصر القشيري ، وعلى بن محمد الطبري المعروف بالكيالهراسي وغيرهم ، من تصانيفه المشهوره « البرهان في أصول الفقه » ، « والشامل في أصول الدين » والرسالة النظامية » والارشاد في أصول الدين » وله شروح كثيرة من أهمها شرح ابي القاسم الأنصاري « ونكت الارشاد في الاعتقاد » لأبي اسحاق ابراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق بن أوس المالكي المشتهر بإبن المرأة المالكي المتوفى سنة ٦١٦ . وغيرها من مصنفاته الأخرى انظر : تبيين كذب المفترى (ص : ٧٨) وفيات الأعيان (١٦٧/٣) ، سير أعلام النبلاء (٤٦٨/١٨) .

(٦) في (ف) « اثبات » .

(٧) « به » ساقطة من (ف) .

(٨) « لفظ الجلالة » مثبت من (ح ، ف ، ق) وليس في بقية النسخ .

عنه تحريما وأدبا(١) قال(٢) : وبهذا كان يقول أبو علي الثقفي من متقدمي أصحابنا ، وأبو العباس القلانسي . وقد مال إلى هذا المذهب أبو عبد الله بن مجاهد(٣) . [قال(٤) وهذا قول مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، ومعظم أئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين . وكانوا يقولون : الإيمان معرفة بالقلب ، وإقرار باللسان // (٥)وعمل بالأركان ومنهم من قال(٦) بقول المرجئة : إنه التصديق بالقلب واللسان (٥)// ومنهم من قال : إذا ترك التصديق باللسان عنادا كان كافرا بالشرع ، وإن كان في قلبه التصديق والعلم(٤)] وكذلك قال(٧) أبو إسحاق الإسفراييني .

قال [أبوالقاسم](٨) الأنصاري : « رأيت في تصانيفه أن المؤمن إنما(٩) يكون مؤمنا حقا(١٠) إذا حقق إيمانه بالأعمال الصالحة، كما أن العالم إنما يكون عالما حقا ، إذا عَمِلَ بما عَلِمَ، واستشهد بقول الله [تعالى](١١) : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * //(١٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾// [الأنفال: ٢ - ٣] وقال أيضا(١٣)

---

(١) في (ق ، هـ) « اذنا » .

(٢) في (ح) زيادة واو .

(٣) انظر : (ص : ١٩٣ - ١٩٤) من هذه الرسالة حيث سبق تقرير هذا الكلام وترجمة هؤلاء الاعلام .

(٤) مابين المعكوفتين ساقط من (أ ، م ، ح ، ق ، ف) وورد بعد اربعة عشر سطرا بعد نهاية كلام أبي إسحاق الإسفرايني في كتاب الأسماء والصفات ومثبت في بقية النسخ .

(٥) ما بين العلامتين // ـــــ // يوجد بهامش (أ) .

(٦) في (ح ، ف ، هـ) « يقول » .

(٧) « قال » ساقطة من (م) .

(٨) « أبو القاسم » مثبتة من (م) .

(٩) في (م) « لا » بدل « انما » في الموقعين والصواب ما أثبت .

(١٠) « حقا » ساقطة من (ف) .

(١١) « تعالى » مثبتة من (هـ ، ح ، م) .

(١٢) ما بين العلامتين // ـــــ // ساقطة من (س ، ق) وفيها إلى قوله ﴿ أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ .

(١٣) « أيضاً » مؤخرة بعد أبي اسحاق في (م ، ح) في الموضعين .

أبو إسحاق : « حقيقة الإيمان في اللغة : التصديق ، ولا يتحقق ذلك إلا بالمعرفة والائتمار ، وتقوم الإشارة والانقياد مقام [العبارة][1] .

وقال أيضاً أبو إسحاق في كتاب « الأسماء والصفات »[2] : « اتفقوا على أن ما[3] يستحق به المكلف اسم الإيمان في الشريعة أوصاف كثيرة ، وعقائد مختلفة ، وإن اختلفوا فيها على تفصيل ذكروه ، واختلفوا في إضافة ما لا يدخل في جملة التصديق[4] إليه لصحة[5] الاسم ، فمنها ترك [قتال][6] الرسول / وترك [إيذائه][7] وترك تعظيم الأصنام ، [٥٢/أ] فهذا من التروك ، ومن الأفعال نصرة الرسول ، والذب عنه ، فقالوا[8] : إن جميعه يضاف إلى التصديق شرعا ، //[9] وقال آخرون : إنه من الكبائر ، لا يخرج المرء بالمخالفة فيه عن الإيمان[9] // .

قلت : وهذان القولان ليسا[10] قول[11] جهم ، لكن من قال ذلك، فقد اعترف بأنه ليس مجرد تصديق القلب[12]، وليس هو شيئا[13] واحدا ، وقال : إن الشرع تصرف فيه ،

(١) في (أ ، ق) « العبادة » والمثبت من باقي النسخ .

(٢) كتاب الأسماء والصفات لأبي إسحاق من الكتب المفقودة ، وفي الجملة فإن جميع أقواله مأخوذة عن تلاميذه واتباع مذهبه ، كالجويني والغزالي والآمدي والبغدادي والشهرستاني . وغيرهم .

(٣) في (ف) « إنما » .

(٤) في (ف) زيادة « ما » والصواب بدونها .

(٥) في (ف) « كصحة » .

(٦) المثبت من (ح ، م ، ق) وفي بقية النسخ « قتل » .

(٧) « ايذائه » مثبتة من (هـ) وفي بقية النسخ « تعظيمه » .

(٨) المثبت من (أ ، س ، مح ، م) وفي بقية النسخ « وقالوا » بالواو .

(٩) ما بين العلامتين // ——— // يوجد بهامش (س) .

(١٠) « ليسا » ساقطة من (ف) .

(١١) « قول » مكررة في (س) .

(١٢) في (ف ، ح ، ق) « التصديق بالقلب » .

(١٣) في (م ، ح ، س ، ق) و« هو ليس شيئا واحدا » .

وهذا يهدم أصلهم ، ولهذا كان حذاق هؤلاء ، كجهم(١) ، [والصالحي](٢) وأبي الحسن ، والقاضي أبي بكر ، على أنه لا يزول عنه اسم الإيمان إلا بزوال العلم من قلبه(٣) .

قال أبو المعالي : « باب(٤) في ذكر الأسماء والأحكام » : « اعلم أن غرضنا في هذا الباب يستدعي تقديم ذكر حقيقة الإيمان ، قال : وهذامما تباينت فيه مذاهب الإسلاميين ،ثم ذكر قول الخوارج ، والمعتزلة ، والكرامية ، ثم قال : وأما مذاهب أصحابنا فصار أهل التحقيق من أصحاب(٥) الحديث(٦)والنظار منهم ، إلى أن الإيمان هو التصديق ، وبه قال شيخنا أبوالحسن - رحمة الله عليه(٧) - واختلف رأيه في معنى التصديق ، فقال(٨) مرة [هو](٩) المعرفة بوجوده وقدمه وإلاهيته ، وقال مرة : التصديق(١٠) قول في النفس ، غير أنه يتضمن المعرفة ، ولا يصح أن يوجد دونها(١١) ، وهذا [مقتضاه](١٢) فإن التصديق والتكذيب والصدق والكذب بالأقوال أجدر ، فالتصديق(١٣) إذا قول في النفس يعبرعنه باللسان [فتوصف](١٤)

---

(١) في (أ) « الصنابحي » والمثبت من بقية النسخ .

(٢) هو محمد بن مسلم أبو الحسن من رجال الطبقة السابعة من المعتزلة . كان يميل في قوله في الايمان الي مذهب الأرجاء ، الذي قال به جهم بن صفوان . انظر المقالات للأشعري (١٣٢/١) ط عبد الحميد ، وطبقات المعتزلة لابن المرتضى (ص:٧٢) .

(٣) في (م) « قبله » .

(٤) لعل الشيخ هنا ينقل من كتاب « شرح الارشاد » للأنصاري لأنه بالرجوع للإرشاد لانجد هذا الكلام .

(٥) في (م) « أهل الحديث » وفي (ح ، ق) « أصحاب أهل الحديث » .

(٦) في (س) زيادة « منهم » .

(٧) « رحمة الله عليه » ساقطة من (م) .

(٨) في (هـ ، مح) « وقال مره » .

(٩) « هو » مثبتة من (م ، ق) وساقطة في باقي النسخ .

(١٠) في (م) زيادة « هو » والصواب بدونها .

(١١) في (ف) « دونه » .

(١٢) المثبت من (مح ، هـ ، م ، ق) وفي (أ) بما « قضاه » ، وفي (س) ما « ارتضاه » ، في (ف) « ما قضاه » وفي (ح) من « مقتضاه » .

(١٣) في (ف) « فإن التصديق » .

(١٤) في (أ) « فيوصف » والمثبت من باقي النسخ .

العبارة[١] بأنها تصديق ، لأنها عبارة عن التصديق وقال[٢] بعض أصحابنا : التصديق لا يتحقق إلا[٣] بالقول والمعرفة[٤] جميعا / [فإذا][٥] اجتمعا كانا تصديقا واحدا . [٥٢/ب]

ومنهم من اكتفى بترك العناد ، فلم يجعل الإقرار أحد ركني الإيمان فيقول : الإيمان : هو التصديق بالقلب ، وأوجب ترك العناد بالشرع ، وعلى //[٦] هذا الأصل يجوز أن يَعْرِفَ الكافر الله ، وانما يكفر بالعناد ، لا لأنه ترك ما هو [الأهم][٧] في الإيمان وعلى هذا الأصل[٦] // . يقال : إن اليهود كانوا عالمين بالله وبنبوة[٨] محمد - ﷺ - إلا أنهم كفروا عناداً[٩] وبغيا [وحسدا][١٠] قال : وعلى قول شيخنا أبي الحسن : كل من حكمنا بكفره فنقول : إنه لا يعرف الله أصلا ، ولا عرف[١١] رسوله ولا دينه .

قال[١٢] أبو القاسم الأنصاري تلميذه[١٣] : كأن المعنى : [[١٤] لا يحكم لا بإيمانه ولا بمعرفته] شرعا .

---

(١) في (هـ) « العبادة » .

(٢) « قال » ساقطة (ف ، ح ، س) ، في (ق) « قال وقال » .

(٣) « إلا » ساقطة من (ح) .

(٤) المثبت من (أ ، ح) وفي بقية النسخ « والصدق » وفي (م) « والتصديق » .

(٥) المثبت من (س ، هـ) وفي بقية النسخ « وإذا » .

(٦) ما بين العلامتين // ــــ // بهامش (ح) .

(٧) المثبت من (هـ ، م) وفي بقية النسخ « الاسم » .

(٨) في (ف ، هـ ، س) « ونبوة » والمثبت من بقية النسخ .

(٩) « الواو » ساقطة من (ف) .

(١٠) المثبت من (ح ، ف ، س ، ق) وساقطة في بقية النسخ .

(١١) في (ف) « يعرف » .

(١٢) توجد « واو » زيادة في (أ) قبل « أبو » ، والصواب ما أثبت

(١٣) لعل هذاالكلام يؤكد ويقوى ما ذهبنا إليه في الصفحة السابقة من أن الكلام السابق لأبي القاسم الأنصاري وليس لأبي المعالي الجويني . وانظر : المجرد لابن فورك (ص : ١٥٢) .

(١٤) المثبت من (ف) وفي (أ) « لا يحكم بايمانه ولا لمعرفته » وفي (هـ) « لا يحكم لايمانه ولا لمعرفته » وفي (س) « لا يحكم بايمانه ولا لمعرفته » وفي (ح) « لا يحكم بإيمانه وبمعرفته » .

قلت : وليس الأمر على هذا القول كما قاله الأنصاري هذا ، ولكن على قولهم : المعاند كافر[١] شرعاً ، فيجعل[٢] الكفر تارة بانتفاء الإيمان الذي في القلب ، وتارة بالعناد ، ويجعل هذا كافراً[٣] في[٤] الشرع ، وإن كان معه حقيقة الإيمان الذي هو التصديق ، ويلزمه أن يكون كافرا في الشرع ، مع[٥] أن معه الإيمان الذي هو مثل إيمان الأنبياء والملائكة ، والحذاق في هذا المذهب ، كأبي الحسن ، والقاضي ، ومن قبلهم من أتباع جهم ، عرفوا أن هذا تناقض يفسد الأصل فقالوا : لا يكون أحد[٦] كافرا إلا إذا ذهب ما في قلبه من التصديق ، والتزموا أن كلَ مَنْ حكَمَ الشرع بكفره ، فإنه[٧] ليس في قلبه شيء من معرفة[٨] الله تعالى ولا معرفة رسوله ، ولهذا أنكر هذا[٩] عليهم جماهير العقلاء[١٠] ، وقالوا : هذا مكابرة وسفسطة[١١] .

---

(١) « كافر » توجد بهامش (س) .

(٢) في (س) « فنجعل » .

(٣) في (م) بدون تنوين .

(٤) في (ف) « كافرا بالشرع » .

(٥) في (م) « لأنه مع » وفي (س) « من أن معه » .

(٦) في (هـ ، ف ، م) « واحد » .

(٧) في (م ، ح) « أنه » بدون الفاء .

(٨) « تعالى » مثبتة من (أ) وساقطة في باقي النسخ .

(٩) « هذا » ساقطة من (م ، ف) .

(١٠) في (هـ) « العلماء » .

(١١) السفسطة : الحكمة المموهة ويقصد بها الخداع والتمويه والمغالطة في الكلام وجحد الحقائق ، وهي كلمة معربة من اليونانية مركبة من سوفيا وهي الحكمة ومن اسطس وهو المموه ، ومعناها الحكمة المموهة يقول الجرجاني : السفسطة : قياس مركب من الوهميات ، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته كقولنا : الجوهر موجود في الذهن ، وكل موجود في الذهن قائم بالذهن عرض ، لينتج الجوهر عرض .

والسوفسطائيون جماعة من الفلاسفة اليونانيين وزعيمهم بروتاجوراس ، ونظريتهم تقوم على أنه : ليس هناك وجود خارجي مستقل عما في أذهاننا ، فما يظهر للشخص أنه الحقيقة ، يكون هو الحقيقة له فإذا رأى السراب ماءاً فهوعنده حقيقة ماء .

يقول شيخ الإسلام السوفسطائية هي كلمة معربة وأصلها باليونانية سوفسيطا ، أي حكمة مموهة فان سوفيا باليونانية هي الحكمة ، ولهذا يقال فيلسوف أي محب الحكمة ، واما هذه المموهة فهي تشبه الحق البرهاني ونحوه مما ينبغي قبوله وهي في الحقيقة باطلة ، يجب ردها ولكن موهت كما يموه الحق بالباطل فسموها سوفسيطا أي كلمة مموهة» انظرالتعريفات (ص :١٦٣) كشاف اصطلاحات الفنون ١٧٣/٣) المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٦٥٨/١)، وانظر ايضا منهاج السنة للمؤلف (٤١٩/١) والصفدية (٩٧/١١) .

وقد احتجوا على [(١)] قولهم بقوله تعالى : ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ [وَلَوْ[(٢)] كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَائَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُم أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ][(٢)] ﴾ [المجادلة : ٢٢] . قالوا : ومفهوم هذا أن من لم يعمل[(٣)] بمقتضاه لم يكتب في [قلبه][(٤)] الإيمان[(٥)] .

قالوا : فإن قيل :معناه[(٦)]: لا يؤمنون[(٧)] إيمانا مجزئا[(٨)] معتداً به أو[(٩)] يكون المعنى : لا يؤدون حقوق الإيمان ، ولا يعملون بمقتضاه. قلنا : هذا عام / لا يخصص[(١٠)] إلا بدليل . [٥٣/أ]

فيقال لهم : هذه الآية فيها نفي الإيمان عمن يوآد المحآدين لله ورسوله ، [وفيها][(١١)] أن من لم[(١٢)] يوآد المحآدين لله ورسوله فإن الله كتب في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ، وهذا يدل[(١٣)] على مذهب السلف ، أنه لا بد في الإيمان ، من محبة القلب لله ولرسوله ،

---

(١) « على » مكررة في (أ) مرتين .

(٢) ما بين المعكوفتين مثبت من (هـ) وفي (ح ، ق ، س) إلى قوله : « في قلوبهم الإيمان » وفي (ف) إلى قوله « بروح منه » وفي (م) إلى قوله « ورضوانه » .

(٣) في (ح) « يعلم » .

(٤) المثبت من (ح) وفي بقية النسخ « قلوبهم » .

(٥) انظر المجرد لابن فورك (ص : ١٥٤) .

(٦) في (ف) « قال قيل إن معناه لا يؤمنون » .

(٧) في (م) « لا يؤمن » .

(٨) في (ف) « مجرداً » .

(٩) في (ف) « بالواو » .

(١٠) « يخصص » توجد بهامش (ف) .

(١١) المثبت من (ف ، ح ، هـ ، م) وفي بقية النسخ « وفيه » .

(١٢) المثبت من (أ) وفي بقية النسخ « لا » .

(١٣) في (ح) « دليل » .

ومن بغض من يحـآد الله ورسـوله ، ثم لم تدل[١] الآية على أن الـعلم الذي[٢] في قلوبـهم بأن محمداً رسول الله يرتفع لا يبـقي منه شيء ، والإيمان الذي كـتـب [في القلب[٣]] ليس هو مجرد العلم والتصديق ، بل هو تصديق القلب وعمل القلب ، ولهذا قال : ﴿ [و][٤] أَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا // [٥] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٥] // [المجادلة: ٢٢] فـقد وعدهم بالجنة ، وقد اتفق الجميع على أن الوعد بالجنة لا يكون إلا مع الإتيان بالمأمور به وترك المحظور ، فـعلم أن هـؤلاء [الذين][٦] كُـتِـبَ في قلـوبهم الإيمان وأيديهـم بروح منه، قـد أدّوا الواجبـات التي بها يستـحقون مـا وعد الله به الأبرار المتـقين ، ودل هذا على أن الفـسـاق لم يدخلوا في هذا الوعـد ، ودلت هذه الآية على أنه لا يوجد مـؤمن يوآد الكفار[٧] . ومعلوم أن خلقاً [كثيرا][٨] من الناس يعرف مـن نفسه أن التـصديق في قلبه، لـم يكذب الرسول، وهو[٩] مع هذا ، يوآد بعض الكفار [و][١٠] السلف يقولون [إن][١١] ترك الواجبات الظاهرة دليل على انتفـاء الإيمان الواجب من القلب ، لكن قد يكون ذلك بزوال عـمل القلب الذي هو حب الله ورسوله، و[١٢]خشية الله ونحو ذلك. لا يستـلزم أن لايكون في القلب شيء من التـصديق[١٣]

(١) في (ف ، س) « يدل » بالياء .

(٢) « الذي » ساقطة من (هـ ، مح ، م ، ق) .

(٣) مابين المعكوفتين مثبت من (ح ، ف ، م ، ق) وساقطة من باقي النسخ .

(٤) « الواو » ساقطة في (أ ، مح ، س) ومثبتة في باقي النسخ .

(٥) ما بين العلامتين //ــــ// ساقط في (ف) .

(٦) في (أ ، س) « الذي » والمثبت من باقي النسخ .

(٧) في (ح) « الفساق » ، وفي (ق) « الكفار والفساق » .

(٨) « كثيرا » مثبتة من (مح ، هـ ، ف) وساقطة في باقي النسخ .

(٩) « وهو » ساقطة من (ف) .

(١٠) « الواو » مثبتة من (ف) وفي باقي النسخ « فالسلف » بالفاء .

(١١) « ان » مثبتة من (ف) وساقطة من باقي النسخ .

(١٢) « الواو » ساقطة من (م) .

(١٣) في (هـ) « في القلب من التصديق شيء » .

وعند[1] هؤلاء[كل][2] من نفى الشرع إيمانه دل على أنه ليس في قلبه شيء من التصديق أصلا ، وهذا سفسطة عند جماهير العقلاء .

وكذلك حكى ابن فورك[3] عن أبي الحسن [الأشعري][4] قال : //[5] الإيمان هو اعتقاد صدق المخبر فيما يخبر به اعتقاداً[6] هو علم ، ومنه [اعتقاد][7] ليس بعلم ، والإيمان بالله وهو اعتقاد صدقه إنما[8] يصح إذا كان عالماً بصدقه في إخباره ، وإنما يكون كذلك / إذا [٥٣/ب] كان عالماً بأنه يتكلم ، والعلم بأنه متكلم[9] بعد العلم بأنه حي ، والعلم بأنه حي ، بعد العلم بأنه فاعل ، والعلم بأنه فاعل بعد العلم بالفعل ، ، وهو كون العالم فعلا له ، قال[10]: كذلك يتضمن العلم بكونه قادرا وله قدرة ، وعالما وله علم ، ومريدا وله إرادة ، وسائر ما لا يصح العلم بالله إلا بعد العلم به من شرائط الإيمان [11] .

---

(١) « الواو » ساقطة من (ف) .

(٢) في (أ ، س) « بل » بدل « كل » والمثبت من بقية النسخ .

(٣) هو محمد بن الحسن بن فورك أبو بكر الأنصاري الأصبهاني الشافعي الأشعري سمع من عبد الله بن جعفر بن فارس ومن ابن حرزاذ الأهوازي ودرس على يد أبي الحسن الباهلي تلميذ الأشعري وأخذ عنه أبو بكر البيهقي ، وأبو القاسم القشري وأبو بكر بن خلف وآخرون ، كان معاصرا للباقلاني وأبي اسحاق الاسفرايني حدثت بينه وبين الكرامية في عهد محمود بن سبكتكين الغزنوي مناظرات وفتنة فدسوا له السم فمات في الطريق إلى نيسابور ونقل اليها سنة ٤٠٦هـ من مؤلفاته « النظامي في أصول الدين » ، « مشكل الحديث وبيانه » ، « مجرد مقالات الأشعري » ، و « شرح كتاب العالم والمتعلم لأبي حنيفة » ، « شرح كتاب العالم والمتعلم لأبي حنيفة » . انظر : تبيين كب المفترى (ص:٢٣٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/٢١٤) ، طبقات الشافعية للسبكي (٤/١٢٧ - ١٣٥) .

(٤) « الأشعري » مثبتة من (ح ، ق) وساقطة في بقية النسخ .

(٥) في (ح ، م) « الامام » وفي هامش (ح ، م) « الايمان » .

(٦) في (ف ، هـ ، مح ، ق) بدون تنوين .

(٧) في (أ ، هـ ، م ، مح) « ومنه ما ليس بعلم » والمثبت من بقية النسخ .

(٨) في (س) « فإنما » .

(٩) في (ح ، م ، ق) « يتكلم » .

(١٠) توجد في (هـ ، م ، ح ، ف) زيادة « واو » والصواب بدونها .

(١١) انظر المجرد لابن فوك (ص : ١٥١) .

قلت : هذا مما اختلف فيه قول[١] الأشعري، وهو أن الجهل[٢] ببعض[٣] الصفات ، هل يكون جهلاً[٤] بالموصوف ، أم لا ؟ على قولين ، والصحيح الذي عليه الجمهور وهو آخر قوليه ، أنه لا يسلتزم الجهل بالموصوف ، وجعلُ إثبات الصفات[٥] من الإيمان مما خالف[٦] فيه الأشعري جهماً ، فإن جهماً غالٍ في نفي الصفات ، بل وفي الأسماء[٧] .

قال أبو الحسن : « ثم السمع ورد بضم شرائط أخر إليه ، وهو أن لا[٨] يقترن به ما يدل على كفر من يأتيه فعلاً وتركاً ، وهو أن الشرع أمره بترك العبادة والسجود للصنم ، فلو أتى به دل على كفره ، وكذلك من قتل نبياً أو استخف به ، دل على كفره، وكذلك لو ترك تعظيم المصحف أو[٩] الكعبة دل على كفره ، قال : [وأحد][١٠] ما استدللنا به على كفره مامنع الشرع أن يقرنه[١١] بالإيمان ، أو أوجب ضمه إلى الإيمان ، لو وجد دلنا ذلك على أن التصديق الذي هو الإيمان مفقود من قلبه ، وكذلك كل ما[١٢] كفر به المخالف من طريق التأويل فإنما كفرناه به لدلالته[١٣] على فقد ما هو إيمان ، في[١٤] قلبه، لاستحالة أن يقضي السمع بكفر من معه الإيمان والتصديق بقلبه[١٥] » .

---

(١) في (هـ) زيادة « أبي الحسن » .

(٢) في (ف) « الجاهل » .

(٣) في (ح) « الجهل بالله » .

(٤) في (ف) « جاهلا » .

(٥) « الصفات » توجد بهامش (ف) .

(٦) في (ح ، م) « يخالف » .

(٧) انظر قول جهم بن صفوان في الأسماء والصفات في : المقالات (١٨١/١، ٢٨٠، ٥١٨/٢) ، ط محي الدين عبدالحميد والتنبيه والرد للمالطي (ص : ٩٣ - ٩٥ ، ١٩٣ - ١٩٤) الفصل لابن حزم (٧٣/٥) .

(٨) في (ف) « أنه » .

(٩) في (ف) « بالواو » .

(١٠) في (أ) « آخر » والمثبت من بقية النسخ .

(١١) في (ح ، ق) « يقرن به الإيمان »

(١٢) في (ف ، س) « كلما » .

(١٣) في (ف) « بدلالته » .

(١٤) المثبت من (أ ، ف ، ح) وفي بقية النسخ « من » .

(١٥) انظر المجرد لابن فورك (ص : ١٥١) .

فيقال : لا ريب[١] أن الشارع لا يقضي[٢] بكفر من معه الإيمان بقلبه ، لكن دعواكم أن الإيمان هو التصديق وإن تجرد عن جميع أعمال القلب غلط ، ولهذا قالوا : أعمال التصديق والمعرفة من قلبه ، ألاترى أن الشريعة حكمت بكفره ، والشريعة لا تحكم بكفر / [٥٤/أ]
المؤمن المصدق ، لهذا نقول[٣] : إن كفر إبليس ـ لعنه الله ـ كان أشد من كفر كل كافر ، وأنه لم يعرف الله بصفاته قطعا ، ولا آمن[٤] به إيمانا حقيقياً باطنا [و][٥] إن[٦] وجد منه القول والعبادة ، وكذلك اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الكفرة ، لم يوجد في قلوبهم حقيقة الإيمان المعتد به[٧] في حال حكمنا لهم بالكفر ، قال الله[٨] تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ[٩] وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [المائدة : ٨٤] وقوله [تعالى][١٠] ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ [[١١] ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً] ﴾[١١] [النساء : ٦٥] .

فجعل الله [تعالى][١٢] هذه الأمور شرطا في ثبوت حكم الإيمان ، فثبت أن[١٣] الإيمان المعرفة بشرائط لا يكون معتدا [به][١٤] دونها .

---

(١) « لا ريب » ساقطة من (ح) وتوجد بهامش (م) .
(٢) في (ف) « يفضي » .
(٣) في (ح) « قال » وفي (ف) « يقول » ، وفي (ق) « ولهذا نقول » .
(٤) في (ف) « من » بدل « آمن » .
(٥) الواو ساقطة من (أ) ومثبتة في بقية النسخ .
(٦) في (ف) « فإن » .
(٧) في (ف) « فيها » .
(٨) « لفظ الجلالة » ليس في (ح ، م ، ق) .
(٩) « النبي » يوجد بهامش (أ) .
(١٠) « تعالى » مثبتة من (م ، ح ، ق) .
(١١) ما بين المعكوفتين مثبت من (هـ ، ط) وساقط من بقية النسخ .
(١٢) « تعالى » مثبتة من (س) .
(١٣) في (ف) « من » بدل « أن » .
(١٤) « به » ساقطة من (أ) ومثبتة في بقية النسخ .

فيقال : إن[(١)] قلتم : إنه ضم إلى معرفة القلب شروطاً في ثبوت الحكم أو[(٢)] الاسم ، لم يكن هذا قول جهم ، بل يكون هذا[(٣)] قول من جعل الإيمان كالصلاة والحج هو [الاسم][(٤)] وإن كان في اللغة بمعنى الدعاء والقصد[(٥)] لكن الشارع ضم إليه أمورا ، إما[(٦)] في الحكم وإما في الحكم والاسم ، وهذا القول قد سلّم صاحبه أن حكم الإيمان المذكور في الكتاب والسنة لا يثبت بمجرد تصديق القلب ، بل لا بد من تلك الشرائط ، وعلى هذا فلا يمكنه جعل الفاسق مؤمناً إلا بدليل يدل على ذلك ، لا بمجرد قوله : إن معه تصديق القلب ، ومن جعل الإيمان هو[(٧)] تصديق القلب ، يقول : كل [الكفار][(٨)] في النار ليس معهم[(٩)] من التصديق بالله شيء ، لا مع إبليس ولا مع غيره ، وقد[(١٠)] قال [الله][(١١)] تعالى : ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ۞ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [غافر :٤٧ ـ ٤٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا //[(١٢)] وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر : ٧١][(١٢)]// فقد

---

(١) في (م) « أو » وفي (ح ، ف ، ق) « لو » .

(٢) في (م ، ح) « بالواو » .

(٣) « هذا » ساقطة من (ح) .

(٤) « الاسم » مثبت من هامش (ح) وساقط في بقية النسخ .

(٥) في (هـ ، م) « القصد والدعاء » .

(٦) « أما في الحكم » توجد بهامش (أ) .

(٧) « هو » ساقطة من (م) .

(٨) في جميع النسخ « كافر » وما أثبت يقتضيه السياق .

(٩) في (مح ، م ، هـ) « معه » .

(١٠) « قد » ساقطة من (ح ، ف ، ق) وبدلا عنها « كما » .

(١١) « لفظ الجلالة » مثبت من (هـ ، ف ، مح) .

(١٢) ما بين العلامتين //ـــــ// ساقط من (ح)، وفي (ق) من قوله « أبوابها » سقطت حتى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين » .

اعترفوا بأن الرسل أتتهم ، وتلت عليهم آيات ربهم ، وأنذرتهم / لقاء يومهم هذا ، فقد عرفوا [٥٤/ب]
الله ورسله[١] واليوم الآخر وهم في الآخرة كفار . وقال تعالى[٢] : ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ، قَالُواْ بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ[٣] ﴾ [الملك : ٧ - ٨] فقد كذبوا بوجوده وكذبوا بتنزيله . وأما في الآخرة [فقد][٤] عرفوا[٥] الجميع ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا // [٦]قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٠] // وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ وَنُفِخَ //[٧]فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ //[٧] لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق : ١٩ - ٢٢] إلى آيات أخر كثيرة تدل على أن الكفار في الآخرة يَعْرِفُونَ ربهم ، فإن كان مجرد [المعرفة][٨] إيماناً كانوا مؤمنين في الاخرة .

فإن قالوا : الإيمان //[٩] في الآخرة لا [٩]// ينفع وانما الثواب على الإيمان في الدنيا .

قيل : هذا[١٠] صحيح ، لكن إذا لم يكن الإيمان إلا مجرد[١١] العلم ، فهذه الحقيقة لا تختلف ، فإن لم يكن العمل من الإيمان ، فالعارف في الآخرة لم يفته شيء من الإيمان ،

---

(١) في (هـ) « ورسوله » .
(٢) « تعالى » ساقطة من (ح ، ق) .
(٣) في (ح) تكملة الآية : ﴿ **إن أنتم إلا في ضلال كبير** ﴾ [الملك : ٨] .
(٤) « فقد » مثبتة من (س) وساقطة في بقية النسخ .
(٥) في (س) « عرفوا » وفي بقية النسخ « فعرفوا » .
(٦) مابين العلامتين // ــــ // ساقطة من (ح ، ق) .
(٧) مابين العلامتين // ــــ // ساقطة من (ف ، س ، مح ، هـ ، ح) .
(٨) في (أ) « الايمان » والمثبت من بقية النسخ .
(٩) ما بين العلامتين // ــــ // ساقطة من (م) .
(١٠) في (ف) « فهذا » .
(١١) في (م) زيادة « على » قبل « مجرد » .

لكن(١) أكثر ما يدّعونه أنه حين مات لم يكن في قلبه [شيء من التصديق بالرب(٢)] ونصوص القرآن في غير موضع ، تدل على أن الكفار كانوا في الدنيا مصدقين بالرب ، حتى فرعون الذي أظهر التكذيب كان في الباطن(٣) مصدقا قال(٤) تعالى : ﴿ وَجَحَدُواْ(٥) بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ﴾ [النمل : ١٤] وكما(٦) قال موسى لفرعون : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاَءِ إِلاَّ رَبُّ السَّموات وَالأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ [الإسراء : ١٠٢] . ومع هذا لم يكن مؤمنا ، بل قال موسى(٧) : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِم وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٨٨] قال الله تعالى(٨) ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾(٩) [يونس : ٨٩] ولما قال فرعون : ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُ لا إِلَه إِلا الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُوا اسْرائيل ﴾ [يونس : ٩٠] ، قال الله [له](١٠) ﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : ٩١] . فوصفه بالمعصية [و](١١) لم يصفه / بعدم العلم في [٥٥/أ] الباطن ، كما قال [الله](١٢) تعالى ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾(١٣) [المزمل : ١٦] . وكما قال عن إبليس: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُون * إِلاَّ إِبْلِيسَ(١٤) اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

(١) « لكن » توجد بهامش (ف) .

(٢) ما بين المعكوفتين مثبت من (م ، ح ، ق ، ف) وفي بقية النسخ « من التصديق بالرب شيء » .

(٣) في (م ، هـ) « باطنه » .

(٤) « تعالى » ساقطة من (مح ، هـ) .

(٥) « وجحدوا » ساقطة من (ح) .

(٦) (كما) ساقطة من (س) .

(٧) « موسى » ساقطة من (م) .

(٨) « تعالى » ساقطة من (مح ، هـ ، ق) .

(٩) في (ف) بزيادة « فاستقيما » .

(١٠) « له » مثبتة من (ف ، ح ، م ، ق) وساقطة في بقية النسخ .

(١١) « الواو » مثبتة من (هـ ، ح ، ف ، ق) وساقطة في بقية النسخ .

(١٢) « لفظ الجلالة » مثبت من (م) .

(١٣) في(ف) زيادة « فأخذناه » .

(١٤) في (س ، ق) « أبى واستكبر » وهي خطأ .

الْكَافِرِين ﴾ [سورة ص: ٧٣ - ٧٤] فلم يصفه إلا بالإباء والاستكبار [ومعارضة[١] الأمر] لم يصفه بعدم العلم[٢] ، [وقد[٣] أخبر الله عن المشركين[٤] في غير موضع أنهم كانوا معترفين بالصانع في مثل قوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾][٥] الزخرف : ٨٧] .

ثم يقال لهم : إذا قلتم [الإيمان][٦] هو التصديق بالقلب[٧] ، أو باللسان ، أو بهما ، فهل هو التصديق [المجمل][٨] ، أو لا بد فيه من التفصيل ؟ فلو صدّق أن محمدا رسول الله ، ولم يعرف صفات الحق ، هل يكون مؤمنا [أم لا][٩] فإن جعلوه مؤمناً ، قيل : فإذا بلغه ذلك فكذب[١٠]به ، لم[١١] يكن مومنا باتفاق المسلمين ، فصار بعض الإيمان أكمل من بعض . وإن قالوا : لا يكون مؤمنا ، لزمهم أن لا يكون أحد مؤمنا حتى يعرف تفصيل كل[١٢] ما أخبر به الرسول [صلى الله عليه وسلم][١٣] . ومعلوم أن أكثر الأمة لا يعرفون ذلك ، وعندهم الإيمان لا يتفاضل إلا بالدوام فقط .

---

(١) في (أ ، س) « ولمعارضة الأمر » وفي (هـ) و « معارضته الأمر » والمثبت من (م ، ح ، ف) .

(٢) في (ف ، هـ) زيادة « في الباطن » .

(٣) « قد » ساقطة من (س) .

(٤) في (هـ) « الكفار » .

(٥) مابين المعكوفتين ساقط (أ) ومثبت في بقية النسخ .

(٦) « الايمان » مثبتة من (م ، ف) وفي (ح) « فلم قلتم » .

(٧) في (م) « بالقلب وباللسان » بالواو والصواب ما أثبت .

(٨) في (أ) « بالعمل » والمثبت من بقية النسخ .

(٩) « أم لا » ساقطة من (أ ، مح ، ح ، ق ، ف) ومثبتة في باقي النسخ .

(١٠) في (ح) « فكذبه » .

(١١) في (ف) « فلم » .

(١٢) في (ف) « كلما » .

(١٣) « ﷺ » مثبتة من (ف ، س ، م) .

قال أبو المعالي[(١)]: « فإن قال القائل[(٢)]: أصلكم[(٣)] يلزمكم أن يكون إيمان [المنهمك][(٤)] في فسقه ، كإيمان النبي - ﷺ - قلنا [النبي - ﷺ - [(٥)] .يفضل] من عداه باستمرار تصديقه وعصمةُ الله إياهُ من مخامرة[(٦)] الشكوك واختلاج الريب ، والتصديق عرض من[(٧)] الأعراض لا يبقى ، وهو متوال[(٨)] للنبي - ﷺ - ثابت[(٩)] لغيره في بعض الأوقات ، وزائل عنه في أوقات الفترات ، فيثبت[(١٠)] للنبي - ﷺ - أعداد من التصديق ، ولا[(١١)] يثبت لغيره إلا بعضها ، فيكون إيمانه لذلك[(١٢)] أكثر[(١٣)] وأفضل[(١٤)]، قال: ولو وصف[(١٥)] الإيمان بالزيادة والنقصان وأريد به ذلك كان مستقيما»[(١٦)] .

قلت : فهذا هو[(١٧)] الذي يفضل به النبي غيره في الإيمان عندهم ، ومعلوم أن هذا في غاية الفساد من وجوه كثيرة ، كما قد بسط في مواضع أخرى[(١٨)] .

---

(١) المقابلة من هنا من كتاب « الارشاد إلى قواطع الأدلة » لإمام الحرمين الجويني بتحقيق محمد يوسف موسى ، وعلي عبد المنعم عبد الحميد ط الخانجي (١٩٥٨م) (ص ٣٩٩- ٤٠٠) مع بقية النسخ المخطوطة .

(٢) في (م ، ف) « قائل » بدون « ال » . وفي الارشاد « فإن قيل » .

(٣) في (ف) « أظنكم » .

(٤) في (أ ، ح ، ف ، س) « المتهتك » والصواب من بقية النسخ وفي الارشاد « منهمك بدون ال ».

(٥) المثبت من الارشاد وفي (أ) بقية النسخ «قلنا الذي يفضل ايمانه على ايمانه من عداه » .

(٦) في (ف) « مجاهرة » .

(٧) « من الأعراض » لا توجد في الارشاد وفي (ف) « غرض من الأغراض » .

(٨) في (ف) « متولي » وفي الهامش « متوال » كما هو مثبت .

(٩) في (ف) « تايب ».

(١٠) في (مح ، ف) وبعض نسخ الارشاد « فثبت » .

(١١) « الواو » ساقطة من (م) والارشاد ، والصواب اثباتها كما في (أ) وبقية النسخ .

(١٢) في (ف) « لذلك » وفي الارشاد « بذلك » وفي احدى نسخ الارشاد (لذلك) كما هو مثبت في (ف) وفي بقية النسخ .

(١٣) في (ح ، م) « أكبر » .

(١٤) « افضل » ساقطة من الارشاد .

(١٥) في الارشاد : « فلو وصف الايمان بالزيادة والنقصان واريد بذك ما ذكرناه لكان مستقيما » .

(١٦) انظر الارشاد (ص : ٤٠٠) .

(١٧) « هو » توجد بهامش (س) .

(١٨) في (ف ، ح ، س) « أخر » ، وانظر رد المؤلف - رحمه الله - على أبي المعالي الجويني فيما ذهب اليه في النص السابق في كتاب « الايمان الأوسط » ضمن مجموع الفتاوي (٥٥٠/٧ - ٥٥٣ ، ٥٨٢ - ٥٨٧) .